الإحاطة في أخبار غرناطة

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب
المتوفى سنة ٧٧٦هـ

شرحه وضبطه وقدم له
الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي والدراسات العليا
بالجامعة اللبنانية

تنبيه:
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الرابع

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5
9782745133199 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

ومن الغرباء

عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي[1]

يُكنى أبا محمد، شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى بالمغرب.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، خاتمة الصُّدور، ذاتًا وسَلَفًا وتربية وجلالة. له القِدْح المعلَّى في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصلين، والإمامة في الحديث، والتَّبريز في الأدب والتاريخ واللغة، والعَروض والمُماسة في غير ذلك. نشأ فارس الحَلْبة، وعروس الوليمة، وصدر المجلس، وبيت القصيد، إلى طيب الأبُوَّة، وقِدَم الأصالة، وفضل الطُّعمة، ووفور الجاه، والإغراق في النِّعمة، كثير الاجتهاد والملازمة، والتفنُّن والمطالعة، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة، إلى أن دعته الدولة المرينيَّة بالمغرب إلى كتابة الإنشاء، فاشتملت عليه اشتمالًا، لم يفضُل عنه من أوقاته ما يلتمس فيه ما لديه. واستمرت حاله، موصوفًا بالنَّزاهة والصِّدق، رفيع الرُّتبة، مَشِيد الحُظوة، مشاركًا للضيف فاضلًا، مُختَصر الطُّعمة والحِلْية، يغلب عليه ضَجر يكاد يُخلُّ به، متصل الاجتهاد والتَّقييد، لا يَفْتَر له قلم، إلى أن مضى بسبيله.

---

(١) ترجمة عبد المهيمن بن محمد الحضرمي في جذوة الاقتباس (ص ٢٧٩) والتعريف بابن خلدون (ص ٢٠، ٣٨) وكتاب العبر (م ٧ ص ٥١٦) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٧٧) و(ج ٨ ص ٩) وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٥٥) والوفيات (ص ٣٥٢) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٤).

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» من تأليفنا بما نصُّه[١]: تاج المَفرِق، وفخر المغرب على المشرق، أَطْلَع منه نورًا أضاءَت الآفاق[٢]، وأثْرَى[٣] منه بذخيرة حَمَلت أحاديثها الرِّفاق. ما شئت من مجد سامي المصاعد والمراقِب، عزيز عن لحاق المجد الثاقب، وسَلَفٍ زُيِّنَتْ سماؤه بنجوم المناقب. نشأ بسَبْتة بين علم يُفيده، وفخر يَشيده، وطهارة يَلْتحف مَطارفَها، ورياسة يتفيّأُ وارِفَها، وأبوه رحمه الله قُطْبُ مَدارِها، ومُقام حَجِّها واعْتِمارها، فسلك الوُعوث من المعارف والسُّهول، وبَذَّ على حداثة سنِّه الكهول، فلمّا تحلَّى من الفوائد العلمية بما تحلَّى، واشتهر اشتهار الصباح إذا تجلَّى، تنافست فيه هِمَمُ الملوك الأخاير، واستَأْثرتْ به الدول على عادتها في الاسْتِئثار بالذَّخاير، فاستقلَّت بالسياسة ذراعه، وأخدم الذوابل والسيوف يَراعه، وكان عَيْن المَلِك التي بها يُبْصر، ولسانه الذي به يُسْهب أو يَختصر. وقد تقدَّمت له إلى هذه البلاد الوفادة، وجلَّت به عليها الإفادة، وكتب عن بعض ملوكها، وانتظم في عقودها الرَّفيعة وسلوكها، وله في الأدب[٤] الرَّاية الخافقة، والعقودُ المُتَناسقة.

مشيخته: قرأ ببلده سبتة على الأستاذ الإمام أبي إسحٰق الغافقي المَدْيوني، وعلى الأُستاذ المُقرىء أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن الطيِّب، والأستاذ النحوي أبي بكر بن عُبيدة الإشبيلي، وعلى الأُستاذ العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدَّراج التِلمساني، وعلى ابن خال أبيه الأمير الصالح أبي حاتم العَزَفي، والعدل الرِّضا أبي فارس عبد الرحمٰن بن إبراهيم الجزيري.

وقرأ بغرناطة على الشيخ العلّامة أبي جعفر بن الزبير، وروى عن الوزير الراوية أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤذن، وعلى الأُستاذ أبي بكر القللوسي، وأخذ عن الشيخ الوزير أبي الوليد الحضرمي القرطبي. وبمالقة عن الإمام الولي أبي عبد الله الطَّنجالي. وبِبِلِّش عن الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، وعن الخطيب أبي عبد الله بن شعيب المروي، والعلّامة أبي الحسين بن أبي الربيع، وأبي الحكم بن منظور، وابن الشّاط، وابن رُشيد، وابن خميس، وابن بُرْطال، وابن ربيع، وابن البنّا، وسمِيِّه ابن البنّا المالقي، وابن خميس النحوي، وأبي أمية بن سعد السُّعود بن عُفير الأمدي. هؤلاءِ كلهم لقِيهم وسمع منهم، وأجازوا له ما عندهم. وممن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل المغرب، الأُستاذ أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصاري التِّلِمْساني ابن الدراج، والكاتب أبو علي الحسين بن عتيق، وتناول تواليفه، والأديب

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٩ ـ ١٠).
(٢) في النفح: «له الآفاق».
(٣) في النفح: «وأثر».
(٤) في النفح: «الآداب».

الشهير أبو الحكم مالك بن المُرَحَّل، والشريف أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن أبي الشرف الحسيني، وأبو بكر بن خليل السُّكوني، وأبو العباس المطري، والجزّاري، وشرف الدين بن معطي، وابن الغمّاز، وابن عبد الرفيع القاضي، وأبو الشمل جماعة بن مهيب، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التَجاني وأبناء عمّه عمر وعلي، وابن عَجْلان، ومحمد بن إبراهيم القيسي السلولي، ومحمد بن حماد اللبيدي، وابن سيد الناس، وابنه أبو الفتح، وابن عبد النور، والمومِناني، والخطيب ابن صالح الكتّاني، وابن عياش المالقي، والمُشدالي، وابن هارون، والخلاسي، والدبّاغ، وابن سِماك، وابن أبي السُّداد، وابن رُزين، وابن مَسْتقور، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو بكر بن مُحرز. وكتب له من أهل المشرق جماعة منهم: الأبرقيشي، وابن أبي الفتح الشيباني، وابن حمادة، وابن الطاهري، وابن الصابوني، وابن تيْمية، وابن عبد المنعم المفسر، وابن شَيْبان، وابن عساكر، والرضي الطبري، وابن المخزومي، وابن النحاس. قلت: من أراد استيفاءهم ينظر الأصل، فقد طال على استيفاءِ ما ذكره الشيخ رحمه الله. وقد ذكر جماعة من النساءِ، ثم قال بعد تمام ذلك: ولو قصدنا الاستِقصاءِ لضاق عن مجاله المتبع.

شعره: وشعره مُتخلٌ عن محلّه من العلم والشهرة، وإن كان داخلًا تحت طور الإجادة.

فمن ذلك قوله[1]: [الطويل]

تراءَى سُحَيْرًا والنسيمُ عليلُ ... وللنجم طَرْفٌ بالصباح كليلُ
وللفجر بحر[2] خاضه الليلُ فاغْتَلَتْ ... شَوَى أدهمِ الظلماءِ منه حُجولُ[3]
بُرَيْقٌ بأَعلى الرَّقْمَتَين كأَنه ... طلائعُ شهبٍ في السواد[4] تجول
فَمَزَّقَ ساجي الليل منه شرارة ... وخَرَّقَ سِتْرَ الغَيم منه نُصول
تبسّم ثَغْرُ الروض عند ابتسامه ... وفاضتْ عيونٌ للغمام هُمُول
ومالتْ غصونُ البان نَشْوى كأنها ... يُدَارُ عليها من صباه شَمول
وغنَّتْ على تلك الغصون حمائمٌ ... لهنّ حفيفٌ فوقها وهَديل

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٠ ـ ١٣). وهي تدخل في مدح الشاعر الوزير ابن الحكيم الرندي.
(٢) في النفح: «نهر».
(٣) في الأصل: «خجول» والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «في السماء».

إذا سَجعتْ في لحنها ثم قرقرتْ يطيحُ خفيفٌ دونها وثقيل
سقى الله ربعًا لا تزالُ تشوقني إليه رسومٌ دونه وطُلُول
جاد رُباه[(١)] كلما ذرَّ شارق من الوَدْق هَتّانٌ أَجَشُّ هطول
وما ليَ أستسقي الغمامَ ومدمعي سَفُوحٌ على تلك العِراص[(٢)] هَمُول
وعاذِلَةٍ ظَلّتْ[(٣)] تلوم على السُّرى وتُكْثِرُ من تَعْذالها وتطيل
تقولُ: إلى كم ذا فراقٌ وغُربَةٌ ونأْيٌ على ما خَيَّلَتْ ورحيل
ذريني أَسْعى للتي تُكْسِبُ العلا سَناءً وتُبقي الذِّكْرَ وهو جميل
فإمّا تَريني من مُمَارسةِ الهوى نحيلًا فَحَدُّ المَشْرفيِّ[(٤)] نحيل
فوقَ أَنابيبِ اليراعةِ صفرة[(٥)] تَزينُ، وفي قَدِّ القناة ذبول
ولولا السُّرى لم يُجْتَلَ البَدْرُ كاملًا ولا باتَ منه للسُّعود نزيل
ولولا اغترابُ المرء في طلب العُلا لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال[(٦)] ابن الحكيم محمد لأصبحَ رَبْعُ المَجْدِ وهو مُحِيل
وزيرٌ سما فوق السِّماك جلالةً وليس له إلّا النجومَ قَبيلُ
من القوم، أمّا في النَّديّ[(٧)] فإنهم هِضابٌ وأمّا في النَّدى فَسُيول
حَوَوْا شرف العلياءِ إرْثًا ومَكْسِبًا وطابت فروعٌ منهمُ وأصول
وما جُونةٌ هطّالةٌ ذاتُ هَيْدَبٍ مَرَتْها شمالٌ مزجف وقبول[(٨)]
لها زَجَلٌ من رعدها ولوامعٌ من البرق عنها للعيون كلول
كما هَدَرَتْ وسط القِلاص وأرسلتْ شقاشِقَها عند الهياج فُحُول
بأَجْوَدَ مِنْ كَفِّ الوزير محمدٍ إذا ما توالتْ للسّنين مُحول
ولا[(٩)] روضةٌ بالحسن طيبةُ الشَّذا ينمُّ عليها إذْخِرٌ وجليل
وقد أذكيتْ للزهر فيها مَجامِرٌ تعطَّرُ منها للنسيم ذيول

(١) في الأصل: «رياه» والتصويب من النفح.
(٢) العِراص: جمع عَرْصة وهي كل بقعة بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء. مختار الصحاح (عرص).
(٣) في النفح: «باتت».
(٤) المشرفي: السيف، ينسب إلى مشارف اليمن. لسان العرب (شرف).
(٥) في النفح: «صَعْدَةٌ». (٦) في النفح: «اغتراب».
(٧) النديّ: مجلس القوم. مختار الصحاح (ندا).
(٨) الجونة هنا: السحابة. مَرَتْها: أسالت ماءها. الشمال: ريح الصبا. القبول: ريح الجنوب. لسان العرب (جون) و(مرى) و(شمل) و(قبل).
(٩) في الأصل: «ولولا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

وفي مُقَل النُّوارِ للطلِّ[١] عَبْرَةٌ تردّدُها أجفانُها وتُحيل
بأَطْيَبَ من أخلاقه الغُرّ كلّما تفاقم خَطْبٌ للزمان يهول
حَوَيْتَ أبا عبد الإلٰه مناقبًا تفوتُ يَدَيْ[٢] مَن رامَها وتطول
فغرناطةٌ مصرٌ وأنت خَصيبُها ونائلُ يُمْناك الكريمةِ نِيل[٣]
فذاك رجالٌ حاولوا دَرَكَ العُلا ببُخْلٍ، وهل نال العَلاءَ بخيل؟
تخيَّرك المولى وزيرًا وناصحًا فكان له مِمّا أراد حصول
وألقى مقاليدَ الأمورِ مُفوّضًا إليك فلم يَعْدمْ يمينكَ سُول
وقام بحفظ المُلْك منك مؤيِّدٌ نَهوضٌ بما أعيا سواك كفيل
وساس الرعايا منك أروع[٤] باسلٌ مُبيدُ العِدا للمعْتَفِين مُنيل
وأبلَجُ وقّادُ الجبين كأنما على وجنتيه للنُّضار مَسِيل
تَهيم به العَلياءُ حتى كأنها بُثَيْنَتُهُ في الحبِّ وَهْوَ جميل
له عَزَماتٌ لو أُعِيرَ مضاءَها حُسامٌ لما نالتْ ظُباه فُلُول
سَرَى ذِكْرُهُ في الخافقين فأصبحتْ إليه قلوبُ العالمين تميل
وأعدى قريضي جودُهُ وثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يجول
إليك أيا فخرَ الوزارة أرْقَلَتْ بِرَحْليَ هوجاءُ النَّجاء ذَلُول
فلَيتُ إلى لقياك ناصيةَ الفلا بأَيدي ركابٍ سَيْرُهُنَّ ذَمِيل[٥]
تُسدِّدُني سَهْمًا لكلِّ ثنيَّة ضوامرُ أشباهُ القِسيِّ نُحُول
وقد لَفَظَتْني الأرضُ حتى رَمَتْ إلى ذَراك بِرَحْلي[٦] هَوْجَلٌ وهَجُول
فقَيَّدْتُ أفراسي به وركائبي ولَذَّ مَقامٌ لي به وحُلُول
وقد كنتُ ذا نفس عَزُوفٍ وهِمَّةٍ عليها لأحداثِ الزمان ذُحول[٧]
ويَهوَى[٨] العُلَا حَظِّي ويُغْرى[٩] بضدّه لذاك اعْتَرَتْه رِقّةٌ ونُحول

---

(١) في الأصل: «للظلّ» والتصويب من النفح. (٢) في الأصل: «يدا» والتصويب من النفح.
(٣) أخذ المعنى من قول أبي نواس في مدح الخصيب [الكامل]:
أنت الخصيب وهذه مصرُ فَتَدَفَّقا فكلاكما بَحْرُ
ديوان أبي نواس (ص ٤٧٩).
(٤) في النفح: «أَشْوَسُ». (٥) السير الذميل: السريع. لسان العرب (ذمل).
(٦) في الأصل: «بِرَجْلي» والتصويب من النفح.
(٧) الذحول: جمع ذحل وهو الثأر. لسان العرب (ذحل).
(٨) في النفح: «وتهوى». (٩) في النفح: «وتغري».

وتــأبــى لــيَ الأيــامُ إلّا إدالــةً فـصـونَـكَ لـي إنَّ الـزمـانَ مُـدِيـل
فـكـلُّ خـضـوعٍ فـي جـنـابـك عـزَّةٌ وكـلُّ اعـتـزازٍ قـد عَـداك[1] خُـمُـولُ

وهي طويلة. ومن شعره[2]: [السريع]

سقـى ثـرى سبْتَـة بيـن الـبـلاد وعَهْدَها المحبوب صَوْبُ العِهادِ
وجـاد مَـنْـهـل الـحَـيـا رَبْـعـهـا بـوَبْـله تـلـك الـرُّبـى والـوِهـاد
وكـم لـنـا فـي طُـور سـيـنـائـهـا مـن رائـحٍ لـلأُنْـس فـي إثـر غـاد
وعـيـنـهـا الـبـيـضـاءُ كـم لـيـلةٍ بيضاء فيها قد خلتْ لو تعاد
وبـالـمـنـارة الـتـي نـورهـا لـكـلّ مـن ضـلّ دلـيـلٌ وهـاد
نَـرُوح مـنـهـا مـثـلـما نَـغْـتَـدي لـلأُنـس والأفـراحُ ذات ازديـاد
فـي فِـتـيَـةٍ مـثـل نـجـوم الـدُّجـى مـا مـنْـهُـمُ إلّا كـريـم جـواد
ارتـشـفـوا كـأس الـصـفـا بـيـنـهـمْ وارتضعوا أخلاف محض الوداد
ويـالأيـامِ بِـبَـنْـيُـولِش[3] لقد عَدَتْ عنها صروف العوادي
أدركْـتُ مـنْ لُبْـنـى بـهـا كـلّـما لـبـانـةً وسـاعـدتْـنـي سُـعـاد
ونـلْـتُ مـن لـذّات دهـري الـذي قـد شِـئْـتُه ولـلأمـانـي انـقـيـاد
مـنـازلٌ مـا إن عـلـى مُـبْـدِلٍ هـاءَ مـكـانَ الـلام فـيـهـا انـتـقـاد
سَـلَوْتُـهـا مـذ ضَـمَّـنـي بـعـدهـا نادِي الوزير ابنِ الحكيمِ الجَوادِ

ومن المقطوعات قوله[4]: [المتقارب]

أبـتْ هـمّـتـي أن يـرانـي امـرؤٌ على الدهرِ يومًا له ذا خضوع
ومـا ذاك إلّا لأنـي اتّـقـيـتُ بـعـزِّ الـقـنـاعـة ذُلَّ الـقـنـوعِ[5]

ومن ذلك في المشط والنشفة من آلات الحمّام: [الكامل]

إني حسدْتُ المُشطَ والنَّشْف الذي لهما مزايا القُرْب دوني مُخْلصَهْ
فـأنـامـلٌ مِـنْ ذا تـبـاشـرُ صُـدْغَـهُ ومراشفٌ مِنْ ذا تُقَبِّلُ أَخمَصَهْ[6]

---

(١) عَداك: جاوزك. محيط المحيط (عدا).
(٢) يظهر من فاتحة الأبيات أنه يحنّ إلى وطنه سبتة.
(٣) في الأصول: «بنيولش»، وكذا ينكسر الوزن. وبنيولش: ضاحية من ضواحي سبتة.
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٣). (٥) في النفح: «الخشوع».
(٦) حرك المحقق كلمتي «فأنامل» و«مراشف» بضمة واحدة فوق اللام والفاء، والصواب تنوينها، برغم أنها ممنوعة من الصرف، وذلك لكي لا ينكسر الوزن.

نثره: وقع هنا بياض مقدار وَجْهة في أصل الشيخ.

مولده: ولد ببلَدِه سَبْتة في عام ستة وسبعين وستمائة.

وفاته: وتوفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعمائة في وقيعة الطاعون العام، بعد أن أصابته نبْوة من مخدومه السلطان أبي الحسن[١]، ثم اسْتعْتبه وتلطف له. وكانت جنازته مشهورة، ودفن بالزّلاج من جبانات خارج تونس، رحمه الله.

عبد المهيمن بن محمد الأشجعي البُلُّذُوذي

نزيل مراكش.

حاله: من كتاب «المؤتمن»[٢]، قال: كان شاعرًا مُكْثرًا، سهل الشعر، سريعه، كثيرًا ما يَسْتجدِي به، وكان يتقلّد مذهب أبي محمد علي بن حزْم، الفقيه الظاهري، ويصول بلسانه على مَن نافَرَه. دخل الأندلس وجال في بلادها بعد دخوله مراكش. وكان أصله من بُلُّذوذ. ورد مالقة أيام قضاء أبي جعفر بن مَسْعدة، وأطال بها لسانه، فحمل عليه هنالك حَمْلًا أذاه، إلى أن كان مآل أمره ما أخبرني به شيوخ مالقة، وأنْسيْته الآن، فتوصَّل إلى مآل أمره من جهة مَن بقي بها الآن من الشيوخ، نقلت اسمه ونسبه من خطِّه.

شعره: [مجزوء الرجز]

أمـــا عـــلى ذي شَـــرَكْ ... فـــي صَـــيْـــدنـــا مِـــنْ دَرَكِ؟
تـــصِـــيـــدُنـــا لـــواحـــظُ ... ومـــا لـــهـــا مِـــنْ حَـــرَكِ
والـــبَـــدْرُ إن غـــاب فـــمَـــنْ ... يـــجـــلو ظـــلام الـــحَـــلَك؟
قـــد تـــابَ لـــلقـــلـــبِ[٣] فـــمـــا ... يَـــدْريَ إن لـــم تُـــذْركـــي[٤]
عـــدا الـــســـقـــام أو عـــدا ... وَغْـــدُ الـــذي لـــم يـــأفـــك
أو لـــم[٥] يـــكـــن حِـــلُّ دَمـــي ... فـــلـــتُـــبْـــطـــلي[٦] أو أتـــرك

---

(١) هو المنصور علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني؛ حكم المغرب من سنة ٧٣١ هـ إلى سنة ٧٥٢ هـ. اللمحة البدرية (ص ٩٤، ١٠٥) والحلل الموشية (ص ١٣٤).

(٢) عنوان هذا الكتاب هو: «الكتاب المؤتمن في أنباء أبناء الزمن» وهو لابن الحاج البلفيقي، شيخ لسان الدين ابن الخطيب.

(٣) في الأصل: «القلب» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «تدرك» بدون ياء المخاطبة.

(٥) في الأصل: «لن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «فلتبطى» وكذا ينكسر الوزن.

حـاربـتُ مَـنْ لا قـدرةً — لـديـه فـي الْمُـعْـتـرك
يـفـلُّ غـرْبَ سـيـفـه — سـيـفُ لِحـاظِ فـتّـك
يـا لـفـتّـى يـا قُـبْـلتـي — يـا حُـجَّـتـي يـا نَـسكـي[١]
إنْ عَـظُـمَ الـحُـزنُ فـمـا — أرْجَـلُ حُـسْـنَ الـفـلك[٢]
أو أهـديـت الـحَـيَّ — فـلابـن عـبـد الـمـلك[٣]
خـطـيـب ومُـران لـلّذي — سَـلَك عـلى سـلك[٤]
رُكْـن الـتُّـقـى محـمـد — ذو النُّبْـل والطبع الزكي[٥]
مـنـفـردٌ فـي جـوده — بـمـالـه الـمـشـتـرك
يـا نـوقُ، هـذا بـابُـه — فَـهْـوَ أجـلُّ مَـبْـرك
وأنـتِ يـا حـاديـة، — قَـرُبْـتِ، مـا أسـعـدك!
فَـبَـرِّكـي وكَـبِّـري — وأبْـركـي[٦] وبَـرِّك
فـقـد أتـيْـنـا بَـشَـرًا — لـه صـفـات الـمـلكِ
كـفُّـك يَـهْـمـي مَـلَكَـتْ — كـأنَّـهـا لـم تَـمْـلك
قـصـيـدتـي لـو لـم تـنَـلْ — مـنـك حُـلًى لـم تُـسْـبَـكِ
أبـكـيـت ديـمـة الـنَّـدى — فَـزَهْـرُهـا ذو ضَـحِـك
لـكـنـنـي يـا سـيـدي — مـن فـاقـتـي فـي شَـرَكِ

وشعره على هذه الوتيرة. حدَّثني أبي، قال: رأيته رجلًا طُوالًا، شديد الأدْمة، حليق الرأس، دمينه، عاريه، كثير الاسْتِجداءِ والتَّهاتر مع المُحابين من أُدباءِ وقته، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهده.

وفاته: من خط الشيخ أبي بكر بن شِبْرين: وفي عام سبعة وتسعين وستمائة توفي بفاس الأديب عبد المهيمن المكناسي، المكتنى بأبي الجيوش البُلُّذوذي، وكان ذا هَذَر وخَرَق، طَوَّافًا على البلاد، ينظم شعرًا ضعيفًا يَسْتَمْنح به الناس، وآلت حاله إلى أن سُعي به لأبي فارس عزُّوز الملزوزي الشاعر، شاعر السلطان أبي يعقوب وخديمه، وذكر له أنه هجاه، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه، ثم ضربت عنقُهُ صبرًا، نفعه الله.

---

(١) في الأصل: «نسك» بدون ياء.
(٢) في الأصل: «فلك» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) صدر هذا البيت منكسر الوزن.
(٤) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.
(٥) في الأصل: «الزك» بدون ياء.
(٦) في الأصل: «وابركي»، وكذا ينكسر الوزن.

عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي

من أهل العُدْوة الغربية، يكنى أبا فارس، ويعرف بعزُّوز.

حاله: كان شاعرًا مكثرًا سيّال القريحة، مُنحطّ الطبقة، مُتَجنّدًا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورًا على الأُمراء، عَلِق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنائهم، ووَقف أشعارَه عليهم، وأكثر النظم في وقائعهم وحروبهم، وخلط المُعَرّب باللّسان الزناتي في مخاطباتهم، فعُرف بهم، ونال عريضًا من دُنياهم، وجَمًّا من تقريبهم. واحتلّ بظاهر غرناطة في جُملة السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب، وأمير المسلمين أبيه، واستحقّ الذكر بذلك.

شعره: من ذلك أرجوزة نظمها بالخضراءِ في شوال سنة أربع وثمانين وستمائة، ورفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق، سماها بـ«نظم السلوك، في الأنبياءِ والخلفاءِ والملوك» لم يقصر فيها عن إجادة.

ومن شعره، قال مخبرًا عن الأمير أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي يوسف:

دعاني يومًا والسما قد ارتدتْ بالسحائب ... والغيث يبكي بالدموع السّواكبِ
كأنه عاشقٌ صُدَّ عنه حبيبُه ... ففاضتْ دموعُه عليه وكثر نحيبُه
ولم يُرَق له مدمع ... كأنه لم يبق له فيه مطمعُ
فكان الوَعْدُ حَسْرَته ... والبرق لَوْعَتَه وزَفْرَتَه
فقال لي: ما أحسن هذا اليوم ... لو كان في غير شهر الصوم
فاقترحَ غايةَ الاقتراح عليّ ... وقال: قُلْ فيه شعرًا بين يديّ

فأنشدته هذه الأبيات: [الكامل]

اليوم يوم نزهة وعُقار ... وتقرُّب الآمال والأوطار
أو ما ترى شمسَ النهار قد اختفت ... وتستّرت عن أعين النُظّار
والغيث سَحَّ غمامُه فكأنه ... دَنِفٌ بكى من شدَّة التذكار
والبرق لاح من السماءِ كأنه ... سيف تألّق في سماءِ غبار
لا شيءَ أحسن فيه من نيل المُنى ... بمُدامةٍ[1] تبدو كشعلة نار

---

(١) في الأصل: «بمدامته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

لولا صيام عاقني عن شربها لَخَلَعْتُ في هذا النهار عِذاري[(١)]
لو كان يمكن أن يُعار أعَرْتُه وأصوم شهرًا في مكان نهار
لكنْ تركْتُ سروره ومُدامه حتى أكون لديه ذا أفكار
ونديرها في الكأس بين نواهد تجلو الهمُوم بنغمة الأوتار
فجفونُها تُغْنيك عن أكواسها وخدودها تُغْنيك عن أزهار

فشكره لمّا سمعه غاية الشكر، وقال: أسْكَرْتنا بشعرك من غير سُكر. قال: وأتيته بهذه الأبيات: [الكامل]

أعَلِمْتُ بعدك زَفْرَتي وأنِيني وصَبابتي يوم النَّوى وشجوني[(٢)]؟
أودعتُ إذ وَدَّعْتُ وَجْدًا في الحشا ما إن تزالُ سهامُهُ تُصْميني[(٣)]
ورَقيبُ شوقِكَ حاضرٌ مُتَرَقِّبٌ إنْ رُمْتُ صَبْرًا بالأسى يُغْريني
من بَعْد بُعْدِكَ ما رَكَنْتُ لراحةٍ يومًا ولا غاضَتْ عَليك شؤوني
قد كنت أبكي الدمعَ أبْيَضَ ناصعًا فاليومَ تَبْكي بالدِّماءِ جفوني
قُلْ للذين قَدِ ادَّعوا فَرْطَ الهوى إن شِئْتُمُ عِلْمَ الهوى فَسَلُوني
إنّي أخذْتُ كثيرَه عن عُرْوة ورويتُ سائره عن المجنون
هذي روايتنا عَن ٱشياخ[(٤)] الهوى فإنِ ادَّعَيْتُمْ غَيْرَها فأروني
يا ساكني أكنافَ رَمْلَةِ عالج ظفِرَتْ بِظَبْيِكُمُ الغَرِيرِ يَميني
كم بات في جُنْح الظلام مُعانقي ومَجَنْتُ في صُفْر[(٥)] إلى مجنونِ
في روضة نمَّ النسيم بعَرفها وكذاك عَرْفُ الرَّوض غير مَصونِ
والوُرْق[(٦)] من فوق الغصون ترنَّمَتْ فَتُريك بالألحان أيَّ فنون
تُصْغي الغصون لما تقول فتنثني طربًا لها فاعْجَبْ لميل غصون
والأرض قد لَبِسَتْ غَلائل سندس قد كُلِّلت باللؤلؤ المكنون
تاهتْ على زُهْر السماءِ بِزَهْرها وعلى البُدور بوجهها الميمون

(١) في الأصل: «عذار» بدون ياء. (٢) في الأصل: «وشجون» بدون ياء.
(٣) في الأصل: «تصمين» بدون ياء.
(٤) في الأصل: «عَنْ أشياخ» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا الهمزة الأصلية همزة وصل.
(٥) في الأصل: «صُفرُوى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) الوُرْق: جمع وَرْقاء وهي الحمامة.

قال أبو فارس: وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة سَلا، فبويع بها ولده أبو يعقوب، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستمائة، يوم مولد النبيّ ﷺ، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه:

[الكامل]

يا ظَبْيَةَ الوَغساءِ، قد بَرِحَ الخفا ... إنّي صَبَرْتُ على غرامك ما كفى
كم قد عَصيت على هواك عواذلي ... وأناب بالتَّبعيد منك وبالجفا
حَمَّلْتِني ما لا أطيق من الهوى ... وسَقيتِني من غَنْج لحظك قَرْقَفا[1]
وكَسَوْتنِي ثوب النحول فمَنظري ... للناظرين عن البيان قد اختفى
هذا قتيلكِ فارحميه فإنه ... قد صار من فرط النحول على شفا
لَهْفي على زمنٍ تقضّى بالحِمى ... وعلى محلٍّ بالأُجَيْرع قد عفا
أترى يعود الشَّمْل كيف عَهِدْته ... ويصير بعد فراقه مُتألِّقا؟
لله دَرّكِ يا سَلا من بلدة ... من لم يُعاين مِثْلَ حُسْنك ما اشتفا
قد حُزْتِ بَرًّا ثم بَحْرًا طاميا ... وبذاك زدْتِ ملاحةً وتَزَخْرُفا
فإذا رأيت بها القطائع خِلْتها ... طيرًا يحوم على الورود مُرَفرفا
والجاذفين على الرُّكيم كأنهمْ ... قوم قد اتخذوا إمامًا مُسْرفا
جعل الصَّلاة لهمْ ركوعًا كلها ... وأتى ليَشرع في السجود مُخَفّفا
والموج يأتي كالجبال عُبابُه ... فتظنّه فوق المنازل مُشْرفا
حتى إذا ما الموجُ أبْصَر حَدَّه ... غضَّ العِنان عن السُّرى وتوقَّفا
فكأنَّه جيش تعاظم كَثْرةً ... قد جاءَ مُزْدحمًا يُبايع يُوسُفا
مَلِك به ترضى الخلافة والعُلا ... وبه تُجَدِّد في الرِّئاسة ما عَفا
من لم يزل يَسْبي الفوارس في الوغى ... إن سلَّ في يوم الكريهة مُرْهَفا
أَلِفَتْ مَحَبَّتَهُ القلوبُ لأنه ... مَلِكٌ لنا بالجود أضحى مُتْحفا
أَلْقى إليه الأمر والدُه الذي ... عن كل خطْبٍ في الوَرى ما اسْتَنْكفا
يعقوبٌ المَلِكُ الهُمام المُجْتبى ... الماجد الأوفى الرحيم الأرْأفا
يَهْواهُ من دون البنين كأنما ... يعقوبُ يعقوبٌ ويوسفُ يوسُفا

(١) القرقف: الخمر.

طوبى لِمن في الناس قَبَّل كَفَّه ... والويل منه لمن غدا مُتوقِّفا
أعطاك رَبُّك وارتضاك لِخَلْقه ... فاقْتُلْ بسيفك مَنْ أبى وتخلَّفا
وامْدُدْ يمينك للوفود فكلهمْ ... لليوم عادَ مُؤمِّلًا متشوِّفا
فاليوم لا تخشى النِّعاجُ ذئابها ... ويعود مَن يَسْطو بها متعطِّفا
صَلُح الزمان فلا عدوٌّ يُتَّقى ... لم يَخْش خلْقٌ في عُلاك تخوّفا
لم لا وعَدْلُكَ للبريَّة شامل؟ ... طبْعًا وغيرك لا يزال تكلُّفا
يا من سُرِرْتُ بمُلْكه وعَلائه ... اليومَ أعْلَمُ أنَّ دهريَ أنْصَفا
فإذا مَلكْتَ فكنْ وفيًّا حازما ... واعلمْ بأنَّ المُلْك يَصْلَحُ بالوفا
وأفِضْ بذلك[١] للوجود وكنْ لهمْ ... كَهفًا وكُنْ ببَعِيدهمْ مُسْتعطفا
فالجود يُصْلح ما تعلَّم في العُلا ... وسواه يُفسد في الخلافة ما صفا
إنّ البريَّة في يديك زمامُها ... فاحذرْ فدَيْتُك أن تكون مُعَنِّفا
يا من تَسَرْبَلَ بالمكارم والعلا ... ما زال حاسدكمْ يَزيدُ تأسُّفا
خُذْها إليك قصيدةً من شاعر ... في نَظْم فَخْرِكَ كيف شاء[٢] تصرَّفا
خَضَعَ الكلامُ له فصار كَعَبْدِه ... ما شاءَ يصنع ناظمًا ومُؤَلِّفا
لا زالتِ الأمجادُ تَخْدُمُ مَجدكمْ ... ما زارت الحجّاجُ مَرْوَةَ والصَّفا

ومن شعره في رثاءِ الأمير أبي مالك: [الكامل]

سَهْمُ المنيَّة أين منه فِرارُ ... مَنْ في البريَّة مَنْ رجاه يُجارُ
حَكَمَ الزمانُ على الخلائق بالفنا ... فالدار لا يَبْقى بها ديَّار
عِشْ ما تشاءُ فإنّ غايتك الرَّدى ... يَبْلى الزمانُ وتذهبُ الأعمار
فاحْذَرْ مُسالمةَ الزمانِ وأمْنَهُ ... إنّ الزمان بأهله غدَّار
وانظرْ إلى الأمراءِ قد سكنوا الثرى ... وعليهمُ كأسُ المَنُون تُدار
تركوا القصورَ لغيرهمْ وتَرَحَّلوا ... ومِنَ اللُّحود عليهمُ أستار
قد وُسِّدوا بعد الحرير جَنادلًا ... ومن اللحود عليهمُ أستار
مُنعوا القِبابَ[٣] وأُسْكِنوا بَطْنَ الثَّرى ... حَكَمتْ بذاك عليهمُ الأقدارُ

(١) في الأصول: «بَذْلك» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «شا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «منعوا السرى للقباب وأسكنوا. . .» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

لم تنفعِ الجُرْد الجياد ولا القنا ... يوم الرَّدى والعسكر الجرَّار
في موت عبد الواحد الملك الرِّضا ... لجميع أمْلاك الوَرى إنذار
أنْ ليس يبقى في الملوك مُمَلَّك ... إلّا أتته مَنِيَّةٌ وبوار
ناديته والحزن خامَرَ مهجتي ... والقلبُ فيه لوعة وأُوار
يا مَنْ بِبَطْن الأرض أصبح آفلًا ... أتَغيبُ في بطن الثَّرى الأقمار؟
أين الذين عَهِدْتُ صَفْو وِدادهمْ ... هل فيهمُ بَعْدَ الرَّدى لك جار؟
تركوك في بطن الثَّرى وتشاغلوا ... بِعُلا سِواك فَهَجْرُهُمْ إنكار
لما وَقَفْتُ بقبره مُتَرَحِّما ... حان العزاءُ[1] وهاجني اسْتِعبار
فبكيتُ دمعًا لو بَكَتْ بمثاله ... غُرُّ السَّحائبِ[2] لم تكنْ أمطار
يا زائريه استغفروا لمليككمْ ... ملكُ الملوك فإنه غفَّار

وفاته: توفي خَنْقًا بسجن فاس بِسعايةٍ سُعِيت به، جَناها تهوُّره في وسط عام سبعة وتسعين وستمائة، وقد كان جُعل له النَّظر في أُمور الحِسْبة ببلاد المغرب.

ومن العُمَّال

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي

من أهل وادي آش، نزل سَلفُه طُرُّش من أحوازها، وجَدُّه استوطنها، وذكروا أنه كان له بها سبعون غلامًا. وجدُّه للأمّ أبو الحسن بن عمر، شارح الموطَّأ ومُسْلم، ومُصَنِّفٌ غَيْرَ ذلك. كذا نقلته عن أبي عبد الله العراقي، قريبه.

حاله: كان طبيبًا، شاعرًا مجيدًا، حسن الخط، طَرِيف العمل، مُشاركًا في معارف، تولَّى أعمالًا نبيهة.

شعره: نقلته من خطِّه ما نصُّه: [الوافر]

صَرَفْتُ لخير صَدْرٍ في الزمان ... عريقٌ في أصالته عِنانِ
كريمُ المُنْتَمى من خير بيتٍ ... سليلُ مجَادةٍ ورفيعُ شانِ
رحيبٌ بانَ[3] فَضلٌ غَيْر وانِ ... عن الأفضال في هذا الأوانِ

---

(١) في الأصل: «العزا» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «السحاب».
(٣) في الأصل: «بنا» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومَنْ هذا؟ أذاك هو ابنُ عيسى ... محمدُ المُعان على المعانِ؟
أبو عبد الإلٰه[١] المُنْتَمي من ... مَساوي الفضلِ في سَرْو[٢] العِنان
ذراني في مَجادته محبًّا ... فهشَّ لما به يحوي جَناني[٣]
فأُنْسٌ ثم بشرٌ بالأماني ... ورفعٌ بعد تأنيسٍ مكاني
وسِرُّ اللهِ[٤] ما أولى لِيرْأى[٥] ... وليس كمن رآني فازدَراني
ويوجب ذو الفضائل كلّ فضلٍ ... بما فيها تَرَشَّحَتِ الأواني
وكم زهْرٍ رآه وَسْطَ روضٍ ... وكم هاذٍ يدي بين الدِّنان
بمالقةٍ وبالأقطار أضحَتْ ... معاليكمْ مُشَيَّدَةَ المباني
فأبْدوا للإلٰهِ[٦] لسوف يأتي ... لكم منّي سوابقُ في الرِّهان
قَوافٍ كم[٧] مِنَ الحِكَمِ قواف ... محامدُ للسَّماع وللعِيان
يفوق نَظِيمها من كل معنى ... سلوك الدُّرِّ من حَلْي الحِسان
متى خفَّ ازدحامٌ من همومي ... ورُجِّيتُ الأماني[٨] مَعْ أمان
شكرْتُ الله ثم صَفا فؤادي ... وأُمْلي ما تحبُّ على لساني[٩]
فهأنذا ببرِّكمُ غِذائي ... ولي منكمْ على بُعْدي تَدان
محبُّك حيث كنت بلا سُلُوٍّ ... وضيفُك في البُعاد وفي الثَّوان
ثنائي ثابت يبقى بَقائي[١٠] ... ومِن بَعْدي على طول الزمان
وما تَهبُ الأكفُّ قِراك فان ... وما تَهبُ الطُّروس فغير فان
هنيئًا بالنَّزاهة في سرور ... ومَعْ مَنْ لا لَهُ في الفضل ثان
فلا زالتْ مسرَّتُه تُوالي ... ولا زالَتْ تَزُفُّ لك التَّهاني

وفاته: ببلدة وادي آش عام خمسة عشر وسبعمائة.

(١) في الأصل: «أبو عبدلي إنه المنتمي...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «سرى».
(٣) في الأصل: «جنان» بدون ياء.
(٤) في الأصل: «سرٌ لله» وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «ليرَ» وكذا لا يستقيم الوزن.
(٦) في الأصل: «فأيّدوا الإلٰه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٧) كلمة «كم» ساقطة في الأصل.
(٨) في الأصل: «الأمان» بدون ياء، وكذا ينكسر الوزن.
(٩) في الأصل: «لسان» بدون ياء.
(١٠) في الأصل: «بقاي» وكذا ينكسر الوزن.

عبد القادر بن عبد الله
ابن عبد الملك بن سوّار المحاربي

حاله: هذا الرجل دَمِث الأخلاق، سكُون، وقور. خدم أبوه بغرناطة كاتبًا للغَزاة، منوَّهًا به، مشهورًا بكرم وظَرف. وانتقل إلى العُدوة، ونشأ ابنه المذكور بها، وارتسم بخدمة ولي العهد الأمير أبي زيَّان، وورد على الأندلس في وسط عام سبعة وخمسين وسبعمائة في بعض خدمه، وأقام بغرناطة أيامًا يحاضر محاضرة يُتَأنَّس به من أجلها الطالب، وينتظم بها مع أولي الخصوصية من أهل طريقه، وينقل حكايات مُسْتَطرفة؛ فمن ذلك أن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن القَرَوي الفاسي كان مع أبي القاسم الزياني بجامع القرويين ليلة سبع وعشرين من رمضان، فدخل عليهم ابن عبدون المكناسي، فتلقاه الزياني وتأيّده، وتوجهوا إلى الثُّريَّا بالقرويين وقد أُوقِدت، وهي تحتوي على نحو ألف كاس من الزجاج، فأنشد الزياني: [السريع]

انظرْ إلى نارِيَّةٍ نُورُها   يصدَعُ بالأْلاء حُجْبَ الغَسَقْ

فقال ابن عبدون: [السريع]

كأنَّها في شكلها زهرةٌ   انتظَمَ النورُ بها فاتَّسقْ

وحُكِيت القصة للأديب الشهير أبي الحكم مالك بن المُرحَّل، فقال: لو حضرت أنا لقُلْتُ: [السريع]

أعيذُها من شَرِّ ما يُتَّقى   من فجأَة العين بربِّ الفَلَقْ

واستُنْشِدَ من شعره في الثامن والعشرين لربيع الآخر من العام بقصر نَجْد، فقال من حكايات: إن السلطان أمير المسلمين وَجَد يومًا على رجل أمر بتنكيله، ثم عَطَف عليه في الحال وأحسن إليه، وكان حاضرًا مجلسه أبو الحسن المزدغي، رحمه الله، فأنشده بديهة: [البسيط]

لا تونِسَنَّك من عثمنَ سَطْوَتُه   وإن تَطَاير من أثوابه الشررُ
فإنَّ سَطْوَتَهُ والله يكلأه   كالبَرْق والرَّعد يأتي بعده المَطَرُ

قال المترجم به: فحدَّثني بذلك والدي، فتعقَّبتُها عليه عام تسعة وعشرين وسبعمائة، لموجِبِ جرَّ ذلك بقولي: [البسيط]

لا تَيْأَسَن من رجا كَهْف الملوك أبي   سَعيد المرتجى للنَّفْع والضَّررِ

وإن بدا منه سخطٌ أو رأيت له ... من سطوة أَقْبَلَتْ تَرميك بالشَّرر

فإنما شيءٌ مثل الرَّعد يَتْبَعُه ... بَرْقٌ ومن بعده يَنْهَل المَطَر

وأنشدني لبعض الأحداث من طلبة فاس، يخاطب صاحبنا الفقيه الكاتب أبا عبد الله بن جُزَي، وقد توعده على مَطْلٍ باستِنْسَاخ كتاب كان يتناول له، وهو بديع: [الطويل]

إذا ما أَتَتْ أبطالُ قيس وعامر ... وأقيالُ عَبْسٍ مِنْ بُغام[١] وقَسْوَرٍ[٢]

تُصادمني وسط الفَلا لا تهولني ... فكيف أُبالي بابنِ جُزْءٍ مُصَغَّر؟

مولده: بفاس في العشر الأُول لذي حجة عام تسعة وسبعمائة.

ومن الزهّاد والصلحاء وأولًا الأصليون

عبد الأعلى بن مَعلا

يكنى أبا المَعْلى الإلبيري، من قرى القلعة[٣]، ونشأ بالحاضرة. وكان ينسب إلى خَوْلان. ويذكر أنه أسلم على يدي رجل من خَوْلان، فتولّاه وانتسب إليه، وخرج إلى إلبيرة، ونشأ بها، وشُغِف بكتب عبد الملك بن حبيب، ولم يكن أحد في عصره يشبهه في فضله وزهده وورعه، وتواضعه وانقباضه، وتستُّره؛ أرسل إليه حسين بن عبد العزيز، أخو هاشم بن عبد العزيز، وهو بإلبيرة يرغب إليه في أن يشهد جنازة ابنة توفيت له، كان يُشْغف بها، فتعذَّر عليه إذ خشي الشُّهْرة. وقال لبعض جلسائه: ما علمت أن حُسَيْنًا يعرفني، وعمل على الخروج من إلبيرة، وتهيّأ للخروج للحج، فحج، فلمّا كان مُنْصَرفه ونزل في بعض السَّواحل، وجد هنالك مركبين يُشْحنان، فرغب كل من أصحاب المركبين أن يركب عنده، وتنافسا في ذلك، حتى خُشي أن تقع الفتنة بينهم، فاهتم لذلك، ثم اصْطَلح أرباب

(١) في الأصل: «بغمام» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، وأغلب الظن أنه بُغام بن الحارث بن عبد الله بن عمران، وهو أول مَن أغار على الفرس من جهة عُمان. جمهرة أنساب العرب (ص ٣٧٠).

(٢) قد يكون قَسْوَرة بن معلّل بن الحجاج بن جذيمة، الذي ولي سِجْستان أيام بني أمية. جمهرة أنساب العرب (ص ٤٤٧).

(٣) هي القلعة الملكية Alcalá la Real، وتسمى أيضًا قلعة يَحْصب أو قلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد، وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

المركبين على أن يُخرِج كل واحد منهما قارِبه إلى البرّ، فمن سبق قاربُه إليه دخل عنده. ونزل في مُنصرفه ببجانة[١] وسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم ابن سِدِراي بن طُفيل

يكنى أبا العرب، ويشهر بالحاج، ويُدعى بكُنيته.

حاله: كان عالمًا فاضلًا صالحًا، منقطعًا متبتّلًا، بارع الخطّ، مجتهدًا في العبادة، صاحب مُكاشفات وكرامات. نَبذ الدنيا وراءَ ظهره، ولم يتلبَّس منها بشيءٍ، ولا اكتسب مالًا ولا زوجة، ووَرث عن أبيه مالًا خرج عن جميعه، وقطع زمن فَتائه في السِّياحة وخدمة الصالحين، وزمان شيخوخته في العُزلة والمراقبة والتزام الخَلْوة. ورحل إلى الحج، وقرأ بالمشرق، وخدم مشايخ من الصالحين، منهم الفَخْر الفارسي، وأبو عبد الله القرطبي وغيرهما، وكان كثير الإقامة بالعُدْوة، وفشا أمره عند ملوكها، فكانوا يزورونه، ويتبرّكون به، فيَعرِض عنهم، وهو أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لِنُصرة من بالأندلس في أول الدولة النَّصرية، إذ كان الرُّوم قد طمعوا في استخلاصها، فكان يحرّض على ذلك، حتى عزم صاحب العُدوة على الجواز، وأخذ في الحركة بعد استدعاءِ سلطان[٢] الأندلس إياه، وعندما تعرّف يَغْمُور بن زيّان، ملك تلمسان، ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة، فخاطبه الحاج أبو العرب مخاطبته المشهورة التي كفَّت عدوانه، واقْتصَرته عما ذهب إليه.

وكان حيًّا في صفر عام ثلاثة وستين وستمائة، وهو تاريخ مخاطبته أبا يحيىٰ يغمور بن زيان.

---

(١) في الأصل: «ببجاية»، وقد صوّبنا الخطأ؛ لأن بجاية أول من اختطّها هو الناصر بن عِلْناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة ٤٥٧ هـ، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا والمغرب. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٣٩). وبجانة مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٣٩).

(٢) أغلب الظن أنه أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة (٦٣٥ ـ ٦٧١ هـ). اللمحة البدرية (ص ٤٢).

ومن الطارئين وغيرهم

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكّي(١)

مُرسي، رَقُوطي(٢) الأصل، سكن بآخرة مكّة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سبعين.

حاله: قال ابن عبد الملك(٣): درس العربية والأدب بالأندلس، عند جماعة من شيوخها. ثم انتقل إلى سَبْتة، وانتحل التصوف، بإشارة بعض أصحابه، وعكف برهة على مطالعة كتبه، وتعرّض بعد لإسماعها، والتكلُّم على بعض معانيها، فمالت إليه العامة، وغَشِيت محلّه. ثم فَصَل عن سبتة، وتجوّل في بلاد المغرب منقطعًا إلى طريقة التصوف، داعيًا إليها، محرّضًا عليها. ثم رحل إلى المشرق، وحجّ حِجَجًا، وشاع ذكره، وعظُم صيته هنالك، وكثر أتباعه على مذهبه الذي يدعو إليه من التصوف نحلة، ارتسموا بها من غير تحصيل لها، وصنّف في ذلك أوضاعًا كثيرة، تلقّوها منه، وتقلّدوها عنه، وبثُّوها في البلاد شرقًا وغربًا، ولا يخلو أحد منها بطايل، وهي إلى وساوس المَخْبُولين، وهذيان المَمْروضين أقرب منها إلى منازع أهل العِلْم، ولَفَظه غير ما بلد وصُقْع، لما كان يُرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها، وهو المطلع على سريرته فيها. وكان حسن الأخلاق، صَبُورًا على الأذى، آية في الإيثار، أبدع الناس خطًّا.

وقال أبو العباس الغُبْريني في كتاب «عُنوان الدِّراية»(٤) عند ذكره: وله علم وحكمة ومعرفة، ونباهة وبلاغة وفصاحة. ورحل إلى العُدْوة، وسكن بجاية مدة، ولقيه من أصحابنا ناس(٥) كثير، وأخذوا عنه، وانتفعوا به في فنون خاصة له، مُشاركة في معقول العلوم ومنقولها، ووجاهة لسان، وطلاقة قلم، وفهم جَنان(٦)،

---

(١) ترجمة ابن سبعين في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٣) والبداية والنهاية (ج ١٣ ص ٢٦١) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٤٠٧) ومقدمة كتاب «رسائل ابن سبعين» بتحقيق الدكتور عبد الرحمٰن بدوي.

(٢) نسبة إلى رقوطة Ricate وهي بلدة قريبة من مرسية. البداية والنهاية (ج ١٣ ص ٢٦١).

(٣) نص ابن عبد الملك في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤٠٧) وفيه بعض اختلاف عما هنا.

(٤) عنوان الدراية (ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ونفح الطيب (ج ٢ ص ٤١٤).

(٥) في عنوان الدراية: «أناس». وفي النفح: «ولقي من أصحابنا ناسًا...».

(٦) الجَنان، بالفتح: القَلْب. مختار الصحاح (جنن).

وهو آخر[١] الفضلاءِ، وله أتباع كثيرة من الفقراءِ، ومن عامّة الناس، وله موضوعات كثيرة، موجودة بأيدي الناس[٢]، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبجد[٣]. وله تسميات مخصوصات[٤] في كُتبه، هي نوع من الرُّموز. وله تسْميات ظاهرة كالأسامي المعهودة، وله شعر في التحقيق، وفي مَراقي أهل الطريق، وكتابته مُسْتحسنة في طريقة[٥] الأدباءِ. وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام، والتزَامه الاعْتِمار على الدوام، وحِجَّته[٦] مع الحجاج في كل عام، وهذه مزية لا يُعْرَفُ قَدْرُها ولا يُرام. ولقد مشى به للمغاربة بحظٍّ في الحرم الشريف، لم يكن لهم في غير مُدَّته. وكان أصحاب[٧] مكة، شرّفها الله، يهتدون بأفعاله، ويعتمدون على مقاله.

قلت[٨]: وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم المُوهن[٩] المُكَفِّر، ومنهم المُقَلِّد المُعَظِّم، وحصل لطَرَفي هذين الاعتقادين من الشهرة والذِّياع ما لم يقع لغيره. والذي يقرب من الحق، أنه كان من أبناءِ الأصالة ببلده، ووُلّي أبوه خُطَّة المدينة، وبيته نبيه، ونشأ تَرِفًا مُبجَّلًا، في ظل جاه، وعزّ نعمة، لم تفارق معها نفسه البلد. ثم قرأ وشدا، ونظر في العلوم العقلية، وأخذ التحقيق عن أبي إسحٰق بن دهاق، وبرع في طريقة الشّوذية[١٠]، وتجرّد واشتهر، وعظُم أتباعه، وكان وسيمًا جميلًا، ملوكي البزَّة، عزيز النفس، قليل التصنع، يتولّى خدمته الكثير من الفقراءِ السَّفارة، أولي العبا والدقاقيس، ويحفون به في السِّكك، فلا يَعْدم ناقدًا، ولا يفقد متحاملًا. ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاءِ زِيًا وانْتِباذًا ونِحلةً وصُحبةً واصطلاحًا، كثر عليه التأويل، ووُجهت لألفاظه المعاريض، وفُلِّيت موضوعاته، وتَعاورتْه الوَحْشة، ولقيه فحول من مُنْتابي تلك النِّحلة، قَصُر أكثرهم عن مداه في الإدراك والاضطِلاع، والخوض في بحار تلك الأغراض. وساءت منه لهم في الملاطفة السيرة، فانصرفوا عنه مكظومين[١١] يُنَدِّرون في الآفاق عليه من سوءِ القِيلة، ما لا شيء فوقه. ورحل إلى المشرق، وجرت بينه وبين الكثير من أعلامه خطوب. ثم نَزَل مكة، شرفها الله تعالى، واختارها قرارًا، وتلمذ له أميرها، فبلغ من

(١) في النفح: «وهو أحد العلماء الفضلاء». (٢) في النفح: «أصحابه».
(٣) في الأصل: «أبي جاد»، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «مخصوصة». (٥) في النفح: «طريق».
(٦) في النفح: «وحجه». (٧) في النفح: «أهل».
(٨) قارن بنفح الطيب (ج ٢ ص ٤٠٧، ٤١٣ ـ ٤١٤).
(٩) في النفح: «المرهق». (١٠) الشوذية: هم متصوفة.
(١١) في النفح: «مكلومين».

التعظيم الغاية. وعاقه الخوف من أمير المدينة المعظمة النبوية، عن القدوم عليها، إلى أن توفي، فعظم عليه الحَمْل لأجل ذلك، وقَبُحت الأُحْدوثة.

شُهرته[١] ومحلّه من الإدراك:

أما اضطلاعه، فمن وقف على «البُدّ» من كُتُبه، رأى سَعة ذَرْعه وانفِساح مدى نظره، لما اضطلع به من الآراءِ والأوضاع والأسماءِ، والوقوف على الأقوال، والتعمق في الفلسفة، والقيام على مذاهب المتكلمين، بما[٢] يقضي منه العجب[٣]. ولما وردت على سَبْتة المسائل الصِّقلية، وكانت جملة من المسائل الحِكَمِية، وجهها علماءُ الروم تبكيتًا للمسلمين، انتُدب إلى الجواب عنها، على فتيٍّ من سنّه، وبديهة من فكرته. وحدّثني شيخنا أبو البركات[٤]، قال[٥]: حدَّثني أشياخنا من أهل المشرق، أن الأمير أبا عبد الله بن هود، سالَمَ طاغية النصارى، فنكث عهده[٦]، ولم يَفِ بشرطه، فاضطرّه ذلك إلى مخاطبته[٧] إلى القُومس الأعظم برومة، فوكّل أبا طالب بن سبعين، أخا أبي محمد[٨]، المُتكلم عنه، والاستظهار بالعقود بين يديه. قال: فلما[٩] بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة، وهو بلد لا تصل إليه المسلمون، ونُظر إلى ما بيده، وسُئل عن نفسه، كلّم ذلك القَسُّ مَنْ دنا منه محلّه من علمائهم بكلام، تُرجم لأبي طالب بما معناه: اعلموا أنّ أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه.

دعواه وإزراؤه:

وقد شُهر[١٠] عنه في هذا الباب كثير، والله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك. فقد ذكروا أنه قال: وقد مرّ ذكر الشيخ أبي مَدْين رحمه الله: «شُعَيبٌ عَبْدُ عملٍ، ونحن عبيد حضرة»[١١]. وقال لأبي الحسن الشُّشتري عندما لقيه، وقد سأله عن وجهته، وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد، إن كنت تريد الجنة فشأنُك ومَنْ قَصَدت، وإن كنت تريد ربّ الجنة فهلم إلينا. وفي كتاب «البُدّ» ما يُتَشوف إليه من

(١) ورد بعض هذا النص في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤١١).
(٢) في النفح: «منه». (٣) لهنا فقط ورد النص في النفح.
(٤) هو أبو البركات ابن الحاج البلفيقي كما ورد في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤١١).
(٥) النص في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤١١). (٦) في النفح: «فنكث به».
(٧) في النفح: «مخاطبة القسّ الأعظم برومية».
(٨) في النفح: «أبي محمد عبد الحق ابن سبعين في التكلم عنه».
(٩) في النفح: «فلما بلغ ذلك الشخص رومية». (١٠) قارن بنفح الطيب (ج ٢ ص ٤١١ ـ ٤١٢).
(١١) هنا ينتهي النص في نفح الطيب.

هذا الغرض عند ذكره حكماءَ الملة. وأما ما يُنسب إليه من آثار السِّيمياءِ والتصريف فكثير.

تواليفه: وتواليفه كثيرة تشذّ عن الإحصاءِ، منها كتابه المسمى بالبُدّ «بُدّ العارف»، وكتاب الدَّرج، وكتاب الصفر، والأجوبة اليمنية، والكلُّ والإحاطة. وأما رسائله في الأذكار، كالنورية في ترتيب السلوك، وفي الوصايا والعقايد فكثير، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة، وإيثار الورع، كقوله من رسالة[١]: «سلام الله عليك ورحمته. سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك. سلام الله ورحمته الممتدّة على عوالمك كلِّها، السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعتِك، وكصلاة أعزّ ملائكته من حيث حقيقتِك، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته. السلام عليك يا حبيبه[٢]. السلام عليك يا قياس الكمال، ومقدِّمة السعد[٣]، ونتيجة الحمد، وبرهان المحمود، ومن إذا نظر الذهن إليه قد أُنعم العيد[٤]، السلام عليك يا مَن هو الشرط في كمال الأولياءِ، وأسرار مشروطات الأزكياءِ الأتقياءِ. السلام عليك يا مَن جاوز في السماءِ[٥] مقام الرُّسل والأنبياءِ، وزاد رفعة، واستولى على ذوات الملأِ الأعلى، ولم يسعه في وُجهته تلك إلّا ملاحظة الرَّفيق الأعلى، وذلك قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[٦] إلى الأُخرى والأُولى، لا إلى الآخرة والأُولى، وبلغ الغاية والمطلوب، التي عجزت عنه قوة ماهيَّة النُّهى، وزاد بعد ذلك حتى نظر تحته مَن ينظر دونه سِدْرة المُنْتهى، إلى استغراق كثير، أفضى إلى حال من مقام».

ومن وصاياه يخاطب تلاميذه وأتباعه: حفِظَكم الله، حافظوا على الصلوات، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات، وكونوا أوّابين، تَوّابين، واستعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق، واعملوا على نَيْل الدَّرجات السَّنية، ولا تَغْفلوا عن الأعمال السَّنِيَّة، وحصِّلوا مَخصص الأعمال الإلـٰهية ومُهملها، وذوقوا مُفَصَّل الذات الرُّوحانية ومَخملها، ولازموا المودة في الله بينكم، وعليكم بالاستقامة على الطريقة، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة، ولا تفرقوا بينهما؛ لأنهما من الأسماءِ المترادفة،

---

(١) الرسالة في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤١٢). (٢) في النفح: «يا حبيب الله».
(٣) في النفح: «العلم».
(٤) في النفح: «. . .إليه قرأ (نِعْمَ العَبْدُ)». وهي سورة صٓ ٣٨، الآية ٣٠.
(٥) في النفح: «السمٰوات». (٦) سورة الأعلى ٨٧، الآية ١.

واكفُروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله؛ لأنها حقيقة كما سُمِّي اللَّدِيغ سليمًا، وأهلها مُهمِلون حدَّ الحلال والحرام، مستخفُّون بشهر الصوم والحج وعاشوراءِ والإحرام، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون.

ومنها: واعلموا أن القريب إليَّ منكم، مَن لا يخالف سُنَّة أهل السُّنَّة ويوافق طاعة رب العزَّة والمِنَّة، ويؤمن بالحَشر والنار والجنَّة، ويفضل الرُّؤية على كل نِعمة، ويعلم أن الرِّضوان بعدها، أجلُّ كل رحمة، ثم يطلب الذَّات بعد الأدب مع الصفات والأفعال، ويَغْبِط نفسه بالمشاهدة في النوم والبرزخ والأحوال، وكل مخالف سخيف، مُتَّهم منه الفساد، وإن كان من إخوانكم، فاهجروه في الله، ولا تلتفتوا إليه، ولا تُسْلموا له في شيء، ولا تُسَلِّموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحضر الكل منهم، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم، ويخرج من صفاته المذمومة، ويترك نظام دعوته المحرومة. وأنا مذ أشهدت الله العظيم، أني قد خرجت من كل مُخالف متخلِّف العقل واللسان، ولا نسبة بيتي وبيته في الدنيا والآخرة، فمن زلَّ قدمه يستغفر الله، ولا يخدعه قدمه، وأمثال هذا كثير.

دخوله غرناطة: أخبرني غير واحد من أصحابنا المعتنين بهذا، أنه دخل غرناطة في رحلته، وأظنّه يجتاز إلى سبتة، وأنه حلّ وسَطَه، على اصطلاح الفقراءِ، برابطة العُقاب[(١)] من خارجها، في جملة من أتباعه.

شعره: وشعره كثير، مما حضرني منه الآن قوله[(٢)]: [البسيط]

كم ذا تُمَوِّهُ بالشِّعْبَيْنِ والعَلَمِ والأمْرُ أوْضَحُ مِنْ نارٍ على عَلَمِ[(٣)]
وكم تُعَبِّرُ على سَلْعٍ وكاظمةٍ وعن زَرُودٍ وجِيرانٍ بذي سَلَمِ
ظَلَلْتَ تَسْأَلُ[(٤)] عن نَجْدٍ وأنت بها وعن تِهامةَ، هذا فعلُ مُتَّهمِ
في الحَيِّ حَيٌّ سوى ليلى فتسأله[(٥)] عنها! سؤالُكَ وَهْمٌ جَرَّ للعَدَمِ

(١) رابطة العقاب أو رباط العقاب: كانت تخصص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٢ ص ١٥٥) حاشية رقم ٤ من تعليق الأستاذ محمد عبد الله عنان.
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٢ ص ٤١٣).
(٣) العَلَم، بالفتح: الجبل. مختار الصحاح (علم).
(٤) في الأصل: «تُسئل»، والتصويب من النفح.
(٥) رواية صدر البيت في الأصول هي:
في الحي حتى ولا سوى ليلى وتسألها
وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من نفح الطيب.

وفاته: توفي بمكة، شرَّفها الله تعالى، يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة وستين وستمائة[١].

وفيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية وهم عتيق وعمر وعثمان وعلي، وأولًا الأمراء والملوك وهم ما بين طارىء وأصلي وغريب

عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي[٢] ابن كسمسم بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش[٣]

كبير الثُوار، وعظيم المُنتزين، ومُنازع الخلفاء بالأندلس.

أوليته وحاله: قال صاحب التاريخ[٤]: أصله من رُندة، من كورة تاكُرُنَّا، وجَدُّه جعفر إسلامي، وانتقل إلى رندة؛ لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن هشام، فسكن قرية طَرجيلة من كورة ريُّه المجاورة لحصن أُوطة، فاستوطن بها، وأَنْسَل بها عمر، ثم أنسل بها عُمَرُ حَفْصًا، وفُخِّم فقيل حَفْصُون. ثم أنسل عمر هذا الثائر مع أخوة له، منهم أيوب وجعفر. ولمّا ترعرع عمر، ظهر له من شَراسته وعُتُوِّه ما لم يعدم معه أبواه هربًا عن مواضعهما، فزالا عن وطنهما، فذكر أنه لم يُمْسك من حين كان عن أحد ممن ناظره، ولا سَكت عن أقبح ما يمكن من السَّب لمن عاتبه، وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه، فتغرَّب لذلك عن الموضع زمانًا.

وذكر ابن القوطيَّة[٥] أن عامل ريُّه[٦] عاقبه في جناية وفرَّ إلى العُدوة، وصار يتهرَّب عند خياط كان من أهل ريُّه، فبينا هو جالس في حانوته يومًا إذ أتاه شخص

---

(١) في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٤): «ومات بمكة في ثامن عشرين شوال سنة ثمان وستين وستمائة، وله من العمر خمس وخمسون سنة». وجاء في البداية والنهاية أنه ولد سنة ٦١٤ هـ، وتوفي ٢٨ شوال بمكة سنة ٦٦٩ هـ.

(٢) أي إنَّ جدَّه جعفر هو أول مَن أسلم من أسلافه.

(٣) ترجمة عمر بن حفصون في تاريخ افتتاح الأندلس (ص ١٠٣) وجذوة المقتبس (ص ٣٠١) وبغية الملتمس (ص ٤٠٦) والمقتبس بتحقيق العربي (ص ٧٨) والمقتبس بتحقيق مكي (ص ١٩٩، ٣٩٣) والمقتبس بتحقيق ب. شالمينا وف. كورنيطي (ص ١١٢) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٨٦) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٠٦، ١٣١).

(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٠٦).

(٥) تاريخ افتتاح الأندلس (ص ١٠٣ ـ ١٠٥).

(٦) عامل رية، كما في المصدر السابق، هو أحد بني خالد، المعروف بدونكير.

بثوب يقطعه، فقام إليه الخياط، فسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر، فقال له: هو رجل من جيراني، فقال الشيخ: متى عهدُك بريُّه؟ فقال له: منذ أربعين يومًا، فقال له: أتعرف جبلًا يقال له بُبشتر(١)؟ فقال: أنا ساكن عند أهله(٢)، فقال: أَلَهُ حركةٌ؟ قال: لا. قال الشيخ: قد أذن ذلك، ثم قال: تعرف فيما يجاوره رجلًا يقال له عمر بن حفصون؟ ففزع من قوله، فأحدَّ الشيخ النظر فيه وقال: يا منحوس، تُحارب الفقر بالإبرة، ارجع إلى بلدك، فأنت صاحبُ بني أُمية، وستملك ملكًا عظيمًا، فقام من فَوْره، وأخذ خُبزة(٣) في كُمّه، ورجع إلى الأندلس، فداخل الرجال، حتى ضبط الجبل المذكور، وانضوى إليه كل مَن يتوقَّع التهمة على نفسه، أو تشهره إلى الانتزاءِ بطبعه، وضمَّ إلى القلعة كل مَن كان حولها من العجم والمولَّدين. ثم تملَّك حصن أُوطة وميجش، ثم تملَّك قُمارش وأرجِدونة. ثم اتسع نظره حتى تملَّك كورة ريُّه، والخضراء، وإلبيرة، إلى بَسْطَة، وأُبَّدة، وبيَّاسة، وقَبْرة، إلى حصن بُلي المطل على قرطبة، وأشرق الخلافة بريقها، وقطع الزمان من استكانة إلى عهد، وكشف الوجه في خَتْر، وتَشْمير الساعد عن حرب، وحَسَر اللِّثام عن أيد وبَسْطة، وشدّ الحزام على جَهْد وصبر، ونازله الخلائف والقُواد، فلم يحُل بطائل، وأصابته جراحات مُثْخِنة في الوقائع وأصبحت فتنتُه سَمَر الرّكاب، وحديث الرِّفاق، شدَّة أسر، وثِقل وطأة، وسَعة ذَرْع، واتِّصال حبل، وطول إملاءِ، استغرق بها السنين، وطوى الأعمار، وأوْرَث ذلك ولده بعده. وعند الله جزاء وحساب، وإن امتدَّ المآب، لا إله إلّا هو.

دخوله غرناطة وإلبيرة:

قال ابن الفيَّاض وغيره(٤): ودخل إلبيرة مرات، عندما ثار بدعوته قاتل، وانضوى إلى حصن منتشافر(٥)، من إقليم برجيلة قيس، في نحو ستة آلاف، وتغلّب على يحيىٰ بن صِقالة، ثم نازله سَوَّار بن حمدون، أمير العرب بغرناطة، حتى غلبه وأخذه أسيرًا. ثم أوقع بجَعْد ومن معه من أهل إلبيرة وقائع مُستأصلة، وتملّك بعدها

(١) بُبَشْتَرْ: بالإسبانية Bobastro، وهو حصن منيع بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلًا. الروض المعطار (ص ٧٩).
(٢) في تاريخ افتتاح الأندلس: «عند أصله».
(٣) في المصدر نفسه: «فأخذ خبزتين من الخباز وألقاهما في كُمّه».
(٤) قارن بالمقتبس بتحقيق العربي (ص ٧٨ ـ ٧٩).
(٥) في المقتبس بتحقيق العربي (ص ٧٨): حصن منت شاقر، وهو بالإسبانية: Monte Sacro، وهو حصن يقع على الجبل الذي يطل على سهل غرناطة.

بيّاسة وأُبّدة في أخبار تطول. قال أبو مروان: قصد ابن حفصون حاضرة إلبيرة وحصونها، وناصب الحرب سوَّارًا، وقد استمدّ سوّار رجالات العرب من كورتي جيّان وريُّه وإلبيرة، فوقعت الهزيمة على ابن حفصون، وجرح جراحات مُثْخنة، وأُصيب جماعة من فرسانه، وانقلب منهزمًا، فغضب عند ذلك على أهل إلبيرة فأغْرَمهم مَغرمًا فَدَحهم، واستعمل عليهم حفص بن المرّة، فلم يزل يعمل الحيل على سوّار حتى أوقع به، وأتى بجثته إلى إلبيرة، وحمل رأسه إلى بُبَشْتر، واسْتَشْرى داؤه، وأغيا أمره، فاتصل مُلْكه بالقواعد والأقطار، وغلب أكثر المدن ما بين الموسَّطة والغرب، وأحدق ملكه بقرطبة، وحجر عليها الخيل من حصن بُلي من حصون قَبْرة، فجلت الكَنْبانية[١]، وامتدَّ إلى بنيان المعاقل. ولمّا رأى الأمير محمد[٢] ما أحاط به منه، تأهّب إلى غزوه، ونزل حصن بُلي، وناهضه، فأوقع به، وهزمه وألجأه إلى أن سَلَّم في حصنه. فلمّا خرج منه بمن معه، تطيَّرهم ريح الفرار والسيوف تأخذهم، استولى الخليفة[٣] على الحصن. وفي ذلك يقول أحمد بن عبد ربه، شاعر دولتهم[٤]: [الرمل]

وله يَوْمَ بُليٍّ وَقْعَةٌ ... لم تَدَعْ للكُفْر رأسًا في ثَبَجْ
لم يَجِدْ إبليسُ في حَوْمتها ... نَفَعًا من رَهْبَةٍ حيث بَلَجْ
دَفَعَتْهُمْ حملةُ السَّيل إلى ... كافِحِ الأمواجِ مَخْضِ للُجَجْ[٥]
فَتَحَ اللهُ على الذِّين به ... وعلى الإسلام يا عامرُ تتجْ

وكان هذا الفتح سنة سبع وسبعين ومائتين[٦]. ثم استخلص مدينة إستِجَّة.

وفاته: قال: ومن هذا العهد أدبر أمر ابن حفصون، وتوقَّف ظهوره، بعد تخبُّط شديد، ولَجاج كبير، وشرٍّ مُبير، وكانت وفاته ببُشْتر، موضع انتزائه على عهد

(١) الكنبانية: كلمة إسبانية Campãna، وتعني الأرض الجرداء. راجع نفح الطيب (ج ٤ ص ١٩١) حاشية المحقق.
(٢) الصواب: الأمير عبد الله بن محمد، الذي حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ إلى سنة ٣٠٠ هـ. والذي هزم ابن حفصون كما سيأتي بعد أسطر، وذلك في سنة ٢٧٨ هـ.
(٣) لم يكن عبد الله بن محمد خليفة، بل كان أميرًا.
(٤) هذه الأبيات لم ترد في ديوان ابن عبد ربه.
(٥) في الأصل: «مخضُ اللُّجج»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) الصواب أن فتح حصن بلاي كان سنة ٢٧٨ هـ، كما جاء في المقتبس بتحقيق العربي (ص ١١٦) وفي البيان المغرب (ج ٢ ص ١٢٣).

الخليفة[١] عبد الرحمٰن في سنة ست وثلاثمائة، بعد مرض شمل النَّفخُ به جسده، حتى تشقَّق جلده، وانتقل أمره إلى ولده جعفر، ثم إلى ولده سليمان، ثم إلى ولده حفص. وعلى حفص انقرض أمرهم.

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي[٢]

بَطَليوسي، مِكناسي الأصل، من مِكناسة الجوف، الأمير بالثغر الغربي، الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله، المكنى بأبي محمد، المُنبز بابن الأفطس.

أوليته: قال ابن حيان: كان[٣] جَدُّهم عبد الله بن مسْلمة، المعروف بابن الأفطَس، أصله من فحص البلّوط[٤]، من قوم لا يدَّعون نباهة، غير أنه كان من أهل المعرفة التامة، والعقل، والدهاء، والسياسة. ثم كان بهذا الصُّقع الغربي، بطليوس وأعمالها، وشَنْتَرين والأُشبونة، وجميع الثغر الجوفي في أمر الجماعة، رجل من عبيد الحكم المستنصر، يسمى سابور، فلمّا وقعت الفتنة، وانشقَّت العصا[٥]، انتزى سابور على ما كان بيده. وكان عبد الله يدبّر أمره إلى أن هلك سابور، وترك ولدين لم يبلغا الحُلُم، فاشتمل عبد الله على الأمر، واستأثر به على ولديه، فحصل على مُلْك غرب الأندلس، واستقام أمره، إلى أن مضى بسبيله، وأعقبه ابنه المظفَّر محمد بن عبد الله، وكان ملكًا شهيرًا عالمًا شجاعًا أديبًا، وهو مؤلف الكتاب الكبير المسمّى بالمظَفَّري، فاستقامت أُموره إلى أن توفي[٦]، فقام بأمره ولده عمر هذا المترجم به.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان[٧] أديبًا بارع الخطِّ، حافظًا للغة، جوادًا، راعيًا حقوق بلده، مُواخيًا[٨] لهم، مُحبَّبًا فيهم، مرَّت لهم معه أيام هُدْنة وتفضُّل إلى حين القبض عليه.

---

(١) لم يكن عبد الرحمٰن الثالث آنذاك قد تسمّى خليفة، وقد تسمّى بذلك في سنة ٣١٦ هـ.

(٢) ترجمة عمر بن محمد بن مسلمة في المغرب (ج ١ ص ٣٦٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٦) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٦٦) وقلائد العقيان (ص ٣٦) والذخيرة (ق ٢ ص ٦٤٦) والمعجب (ص ١٢٧) ورايات المبرزين (ص ٩٥) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٩٦) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ١٥٥) ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٩٣ وصفحات أخرى متفرقة).

(٣) قارن بالبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٤) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف قرطبة، يكثر فيها شجر البلوط. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٩٢).

(٥) في البيان المغرب: «عصا الأمة».

(٦) توفي عبد الله بن مسلمة بن الأفطس لإحدى عشرة ليلة بقيت لجمادى الأولى من سنة ٤٣٧ هـ. البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٣٦).

(٧) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٦٦).

(٨) في الذيل والتكملة: «موجبًا».

وقال الفتح في قلائده[١]: ملكٌ جَنَّد الكتائبَ والجنود، وعَقَدَ الألويةَ والبُنود، وأمر الأيامَ فائتمرتْ، وطافتْ بكَعْبته الآمالُ واعْتَمَرَتْ، إلى لَسَنٍ وفصاحة، ورَحْب جَنابٍ للوافدين[٢] وساحة، ونَظْمٍ يُزْري بالدُّرِّ النظيم، ونَثْرٍ تَسْري رقّته سُرى النسيم، وأيامٍ كأنها مِنْ حُسْنها جُمَع، ولَيالٍ كان فيها على الأُنْس حضور ومجتمع، راقت إشراقًا وتبلُّجًا، وسالت مكارمه فيها[٣] أنهارًا وخُلُجًا، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهود العُدْوان، ودبَّت إليه دبيبها لصاحب الإيوان، وانبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان.

شعره: بلغه أنه ذُكر في مجلس المنصور يحيىٰ أخيه بسوءٍ، فكتب إليه بما نصُّه[٤]: [الطويل]

فـمـا بـالُهُـمْ لا أنْـعَـمَ اللهُ بـالَهُـمْ ... يُنيطون[٥] بي ذمًّا وقد علموا فَضْلي
يسيئون لي[٦] في القول جَهْلًا وضَلَّةً ... وإنّـي لأرجـو أنْ يـسـوءهُـمُ[٧] فـعْـلي
لئن كـان حقًّا ما أذاعوا فلا مَشَتْ[٨] ... إلـى غـايـةِ الـعَـلْـيـاءِ من بـعـدهـا رِجْلي
ولـم ألْقَ أضْـيـافـي بـوجـه طـلاقـةٍ ... ولـم أمنحِ[٩] العافين في زمن المَحْلِ
وكـيـف وراحـي دَرْسُ كـلِّ غـريـبـةٍ[١٠] ... ووِرْدُ التُّقى شَمِّي وحَرْبُ العِدا نُقْلي؟
ولي خُلُقٌ في السُّخْطِ كالشَّرْي[١١] طَعْمُهُ ... وعند الرِّضى أَحْلى جَنًى من جنى النَّحْل
فـيـا أيـهـا الـسَّـاقـي أخـاه عـلـى الـنَّـوى ... كؤوسَ القِلى مَهْلًا[١٢] رُوَيدك بالعلّ
لِنُطْفيءَ[١٣] نارًا أُضْرِمَتْ في صدورنا[١٤] ... فـمـثْـلِيَ لَا يُـقْـلـى ومـثـلـك لا يَـقْـلـي

---

(١) قلائد العقيان (ص ٣٦).
(٢) في القلائد: «للوافد».
(٣) كلمة «فيها» ساقطة في القلائد.
(٤) القصيدة في قلائد العقيان (ص ٤٠ ـ ٤١) والذخيرة (ق ٢ ص ٦٤٨ ـ ٦٤٩) والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٠٤) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ١٥٦).
(٥) في الحلة والفوات: «ينوطون».
(٦) في القلائد والذخيرة والحلة: «يسيئون فيَّ القولَ...».
(٧) في الأصل: «وإني لا أرجو أن يسيئهم»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من المصادر.
(٨) في الذخيرة والحلة: «خَطَتْ».
(٩) في فوات الوفيات: «ولم أسْخُ للعافين في الزمَن...».
(١٠) في فوات الوفيات: «فضيلة».
(١١) في المصدر نفسه: «كالشوك».
(١٢) في المصدر نفسه: «جهلًا».
(١٣) في القلائد: «لِتُطْفيء».
(١٤) في الفوات والقلائد والذخيرة: «نفوسنا».

وقد كنتَ تُشكيني إذا جئتُ شاكيًا فقل لي: لمن أشكو صَنيعك بي؟ قُلْ لي
فبادرْ إلى الأُولى وإلّا فإنني سأشكوك يوم الحَشْر للحَكَمِ[١] العَدْل

وكتب جوابًا لأبي محمد بن عبدون مع مركوب عن أبيات ثبتت في القلائد[٢]: [المتقارب]

بَعَثْتُ إليكَ جَناحًا فَطِرْ على خِفْيَةٍ مِنْ عيونِ البَشَرْ
على ذُلُلٍ من نِتاجِ البُرُوقِ وفِي ظُلَلٍ[٣] مِنْ نسيجِ الشَّجَرْ
فَحَسْبيَ مِمَّنْ[٤] نأى من[٥] دنا فمن[٦] غاب كان كمن[٧] قد حَضَرْ

قال الفتح[٨]: أخبرني الوزير[٩] أبو أيوب بن أُمية[١٠] أنه مَرَّ في بعض أيامه بروض مُفْتَر المباسم، معطر الرياح النواسم، فارتاح إلى الكَوْن به بقيَّة نهاره، والتَّنعُّم ببنَفْسجه وبَهاره، فلمّا حصل من أُنسه في وسط المدى، عمد إلى ورقة كرنب قد بلَّلها النَّدى، وكتب فيها بطرف غُصْن، يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه، ونجوم سمائه[١١]: [مخلع البسيط]

أَقْبِلْ[١٢] أبا طالبٍ[١٣] إلينا واسْقُطْ[١٤] سُقُوطَ النَّدى علينا
فنحن عِقْد بغير[١٥] وُسْطى ما لم تَكُنْ حاضِرًا لَدَيْنا

نثره: وهو أشَفُّ من شعره، وإنَّه لطَبَقة تتقاصر عنها أفذاذ الكتاب، ونهاية من نهاية الآداب. قال[١٦]: كان ليلة مع خواصّه للأُنس مُعاطيًا، ولمجلس كالشمس

---

(١) في الحلة: «للمَلِكِ».
(٢) قلائد العقيان (ص ٤٣) والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٠٦) ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٩٤).
(٣) في الأصل: «في ظِلٍّ»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٤) في الحلة: «عَمَّنْ».
(٥) في الأصل: «ومن»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٦) في النفح: «ومن».
(٧) في المصادر: «كان فدا مَنْ حَضَرْ».
(٨) قلائد العقيان (ص ٤٦).
(٩) في القلائد: «الفقيه».
(١٠) في القلائد: «بن أبي أمية».
(١١) البيتان أيضًا في الذخيرة (ق ٢ ص ٦٥٢) والمغرب (ج ١ ص ٣٦٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٥) ورايات المبرزين (ص ٩٦) والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٠٧) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ١٥٦) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٢٩٤).
(١٢) في الذخيرة والمغرب وأعمال الأعلام والرايات والحلة والفوات: «انهضْ».
(١٣) في المغرب والفوات: «غانم».
(١٤) في القلائد: «وقَعْ وقوع الندى...».
(١٥) في المغرب والفوات: «مِنْ غير».
(١٦) النص في قلائد العقيان (ص ٤٥ ـ ٤٦).

واطيًا، قد تفرّغ للسُّرور، وتفرغ[١] عيشًا كالأمل المَزْرور، والمُنى قد أفصحت وزقُها، وأومض بَرْقُها، والسَّعْد تَطْلع مَخايله، والملك يبدو زهوه وتخايُله، إذ ورد عليه كتاب بدخول أُشْبُونة في طاعته، وانتظامها في سِلْك جماعته، فزاد في مسرَّته، وبَسَط من أسِرَّته وأقبل على[٢] خُدَّامه، وأسْبَل نداه على جُلسائه ونُدَّامه، فقال له ابن خِيرة، وكان يُدلُّ بالشباب، وينزل منه مَنْزلة الأحباب: لمن تُولّيها، ومن يكون واليها؟ فقال[٣] له: أنت، فقال: فاكتب الآن بذلك، فاستدعى[٤] الدواة والرّق، وكتب وما جفَّ له قلم، ولا توقَّف له كَلِم: لم يُسَوِّغ أولياءُ النِّعم مثل الذي سُوِّغتموه من التزام الطاعة، والدخول في نَهْج الجماعة، وذلك[٥] لا آلوكم، ونفسي فيكم، نُصْحًا فيمن أتخيَّره للنيابة عني في تدبيركم، والقيام بالدَّقيق والجليل من أُموركم، وقد ولَّيت عليكم من لم أُوثر والله فيه دواعي التَّقريب، على بواعث التَّجريب، ولا فَوات التَّخصيص، على لوازم التَّمحيص، وهو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة، ابْني[٦] دُرْبة، وبعضي صُحْبة، ونشأتي سكَّة[٧] وقَرْية، وقد رسمت له من وجوه الذَّبّ والحماية، ومعالم الرِّفق والرِّعاية، ما التزم الاستيفاءَ بعَهْده، والوقوف بجدِّه عند حدّه، والمسؤول في عَوْنه من لا عون إلّا من عنده، ولن أعرِّفكم من حميد خصاله، وسديد فعاله إلّا بما سَيَبْدو للعيان، ويزكو[٨] مع الامتحان، ويفشو من قبلكم إن شاء الله على كل لسان. وقد حدَّدت له أن يكون لناشئكم أبًا ولكهلكم أخًا ولذي النفوس[٩] والكبرة ابنًا ما أَعَنْتُموه على هذا المُراد، ولزوم الجواد، ورُكوب الانقياد. وأمّا مَنْ شَقَّ العصا، وبان عن الطاعة وعصى[١٠]، وظهر منه المراد والهوى، فهو القَصيُّ منه، وإن مَتَّ إليه بالرَّحم الدُّنيا، فكونوا خير رعيَّة بالسمع والطاعة في جميع الأحوال، يَكُن لَكم بالبرِّ والموالاة خيرَ وال، إن شاءَ الله عزّ وجلّ.

وصوله إلى غرناطة: وَصَلها صُحبة حليفه ابن عباد، لمّا قبض يوسف بن تاشفين على صاحبها ونزل بالمشيجة من خارجها في رجب من عام ثلاثة وثمانين

---

(١) في القلائد: «وتسوّغ».
(٢) كلمة «على» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من القلائد.
(٣) في القلائد: «فقال: لك. فقال: فاكتب لي بذلك».
(٤) في القلائد: «فاستدنى».
(٥) في القلائد: «ولذلك».
(٦) في القلائد: «ابن درية بعضي...».
(٧) في القلائد: «شبكة».
(٨) في القلائد: «ويذكو».
(٩) في القلائد: «التقويس».
(١٠) كلمة «وعصى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من القلائد.

وأربعمائة ورابهما الأمر، كما تقدّم في ذكر المعتمد بن عباد، فتعجَّلا الرجوع إلى وطنهما بحيلة دبَّراها.

نكبته ووفاته: ولمّا اشتدَّ خوفة من أمير لمتونة، ورأى أنه أُسْوَة ابن عباد في الخلع عن مُلْكه، وضَيَّقت الخيل على أطرافه وانتزعتها داخل طاغية الرُّوم، وملَّكه من مدينة الأشْبُونة رغبة في دفاعه عنه، فاسْتَوْحشت لذلك رعيتُه، وراسلت اللَّمتونيين، واقتحمت عليه مدينة بَطَلْيوس، واعتصم بالقَصَبة، وخانه المُحاربة، فدُخلت عليه عَنْوةً، وتُقُبِّض عليه وعلى بنيه وعبيده، وتحصَّلوا في ثقاف قائد الجيش اللَّمتوني. وبادر إعلام الأمير سير بن أبي بكر، فلحق بها. واستخرج ما كان عند المتوكل من المال والذَّخيرة، وأزْعَجه إلى إشبيلية مع ابْنين له، فلمّا تجاوز وبَعُدَ عَنْ حضرته، أُنزل وقيل له: تأَهَّبْ للموت، فسأل أن يقدّم ابناه يَحْتَسبهما عند الله، فكان ذلك، وقُتلا صَبْرًا بين يديه، ثم ضُرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وانقرضت دولة بني الأفطس.

وممن رثاهم، فبلغ الأمد وفاءً وشهرة وإجادة، أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته الفريدة[1]: [البسيط]

الـدَّهْـرُ يَـفْـجَـعُ بَـعْـدَ الـعَـيْـنِ بـالأثَـرِ
فـمـا الـبُـكـاءُ عـلى الأشْـبـاح والـصُّـوَرِ؟
أنْـهـاكَ أنْـهـاكَ لا آلُوكَ مـوعـظـةً[2]
عـن نَـوْمـةٍ بـيـن نـابِ الـلَّيْـثِ والـظُّـفُـرِ
فـالـدَّهْـرُ[3] حَـرْبٌ وإن أبْـدى مُـسـالـمـةً
والبِـيـضُ والـسُّـمْـر[4] مـثـلُ الـبِـيـض والـسُّـمُـر[5]
ولا هَـوادةَ بـيـن الـرأس تـأْخُـذُه
يَـدُ الـضِّـراب وبـيـن الـصَّـارم الـذَّكَـر

(١) القصيدة في قلائد العقيان (ص ٣٧ ـ ٤٠) والمطرب (ص ٢٧ ـ ٣٣) والمعجب (ص ١٢٩ ـ ١٤٠). ووردت في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٦ ـ ١٨٩) عدا الأبيات السبعة الأوائل. ووردت في الذخيرة (ق ٢ ص ٧٢١ ـ ٧٢٤) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٣٩١) غير كاملة. وورد فقط البيت الأول في نفح الطيب (ج ١ ص ١٨١) و(ج ٦ ص ٣) و(ج ٧ ص ١٤٦). وورد في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٦٧) فقط البيت السادس.

(٢) في القلائد والفوات: «معذرة». (٣) في الفوات: «والدهر».

(٤) في الفوات والمطرب والمعجب: «والسود». وفي الذخيرة: «والسود والبيض».

(٥) البيض والسُّمْر: هي الأيام والليالي. والبيض والسُّمُر: هي السيوف والرماح.

فلا تَغُرَّنْكَ[1] من دُنياك نَوْمَتُها
فما صِناعةُ[2] عينيها سوى السَّهَرِ
ما لِلَّيالي، أقالَ اللهُ عَثْرَتَنا
من اللَّيالي وخانَتْها[3] يَدُ الغِيَرِ
في كلّ حين لها في كل جارحة
منَّا جِراحٌ وإن زاغتْ عن البصر[4]
تَسُرُّ بالشيءِ لكنْ كي تُغَرَّ به[5]
كالأيْم[6] ثار إلى الجاني مِنَ الزَّهَرِ
كم دولةٍ وَلِيَتْ بالنَّصْر خِدْمَتَها
لم تُبْقِ منها وسَلْ ذكراكَ من خبرِ
هَوَتْ بِدارا وفَلَّتْ غَرْبَ قاتِلِهِ
وكان[7] عَضْبًا على الأملاك ذا أُثُرِ[8]
واستَرْجَعَتْ من بني ساسانَ[9] ما وَهَبَتْ
ولم تَدَعْ لبني يُونانَ من أثَر
وأتْبَعَتْ[10] أُخْتَها طَسْمًا وعادَ على
عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقضُ[11] المِرَر[12]
وما أقالَتْ ذوي الهيئات مِنْ يَمَنِ
ولا أجارَتْ ذوي الغايات من مُضَرِ

(١) في القلائد والفوات والمطرب: «يغرّنْك». (٢) في الذخيرة: «سجيّة».
(٣) في الفوات «وغالَتْها». (٤) في المطرب والمعجب: «النظر».
(٥) في الأصل: «... لكن تُغَرِّبُهُ»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا، والتصويب من المصادر.
(٦) الأيم: الحَيَّة.
(٧) في الأصل: «وكانت عَضْبًا»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من المصادر.
(٨) دارا: أحد ملوك الفرس، حكم ثلاثين سنة ثم قتله الإسكندر. والعَضْبُ: السيف. والأملاك: جمع ملك. والأُثُر: فِرِنْد السيف.
(٩) بنو ساسان: الأكاسرة من ملوك فارس، حكموها حتى الفتح العربي.
(١٠) في المعجب: «وألْحَقَتْ».
(١١) في الأصل: «ناقص»، والتصويب من الذخيرة والمطرب والمعجب والفوات. وفي القلائد: «ناقف».
(١٢) في الفوات: «المدر». وأخت طَسْم: جديس. وجديس وطَسْم وعاد: قبائل عربية بائدة. وجُرْهَم: قبيلة أذهب الله ريحها. وناقض المِرَر: هو الدهر؛ لأنه لا يدع قوة على قوته.

ومــزّقــت سـبــأ فــي كــلّ قــاصــيــة
فــمــا الــتــقــى رائــحٌ مــنــهــم بــمــبــتَــكــر
وأنــفــذَتْ فــي كُــلَــيــب حــكــمــهــا[١] ورَمَــتْ
مُــهَــلْــهَــلًا بــيــن سَــمْــع الأرض والــبَــصَــر[٢]
ولــم تَــرُدَّ[٣] عــلى الــضّــلِّــيــل صِــحّــتَــهُ
ولا ثَــنَــتْ أسَــدًا عــن ربِّــهــا حُــجُــرِ
ودوَّخَــتْ آلَ ذُبْــيــانٍ وإخْــوَتَــهُــمْ[٤]
عَــبْــسًــا[٥] وعــضَّــت[٦] بــنــي بــدر عــلى الــنــهــر[٧]
وألْحَــقَــتْ بِــعَــدِيٍّ بــالــعــراق[٨] عــلى
يَــدِ ابْــنِــهِ أحْــمَــرَ[٩] الــعــيــنــيــن والــشَّــعَــر[١٠]
وأهْــلَكَــتْ إبْــرَويــزًا بــابــنــه وَرَمَــتْ
بِــيَــزْدَ جِــرْدَ إلــى مَــرْوٍ فــلــم يُــحِــرِ
وأشــرفــت بِــخُــبَــيْــبٍ فــوق فــارعــة[١١]
وألْــصــقــتْ[١٢] طــلــحــةَ الــفــيّــاض بــالــعَــفَــر
ومَــزَّقَــتْ[١٣] جــعــفــرًا بــالــبــيــض واخــتــلــسَــتْ
مــن غِــيــلِــهِ حَــمْــزَةَ الــظَّــلّامَ لــلــجُــزُرِ

---

(١) في فوات الوفيات: «كلْمها».
(٢) كليب: هو كليب بن ربيعة. ومهلهل: هو الحارث بن ربيعة، أخو كليب، لُقِّب بذلك لأنه أول من هلهل الشِّعر، أي رقّقه.
(٣) في الذخيرة: «وما أعادت على الظِّلّيل». والظِّلّيل: هو امرؤ القيس، أسماه هكذا إشارة منه إلى أنه مات مسمومًا.
(٤) في الذخيرة وأعمال الأعلام والفوات: «وجيرتهم».
(٥) في المصادر السابقة: «لَخْمًا». (٦) في المعجب وأعمال الأعلام: «وغَصَّتْ».
(٧) ذبيان وعَبْس أخوان، كانت بينهما حرب داحس والغبراء التي دامت أربعين سنة. وبنو بدر: بطن من ذبيان.
(٨) في المطرب: «في العراق». (٩) في المطرب: «الأحمر».
(١٠) أحمر العينين والشّعر: هو النعمان بن المنذر، صاحب النابغة الذبياني. وعَدِيّ: هو عَدِيّ بن زيد، الشاعر النصراني.
(١١) في الأصل: «بحبيب فوق قارعة»، والتصويب من القلائد والمعجب والمطرب. ويشير هنا إلى مصرع خبيب بن عَدِيّ الأنصاري.
(١٢) في الأصل: «وألحقتْ»، والتصويب من المصادر السابقة.
(١٣) في الفوات: «ومرَّغَتْ... جمهرة الظلام للجزر».

وبلّغت يزدجرد الصِّينَ واختزلت
عنه سوى الفُرْس جَمْعَ التُّرْك والخَزَر
ولم تَرُدّ[١] مواضي رُسْتم وقنا
ذي حاجب عنه سَعْدا[٢] في ابنة الغِيَرِ
وخَضَّبَتْ[٣] شَيْبَ عثمانٍ دمًا وخَطَتْ
إلى الزبير ولم تَسْتَحي من عُمَرِ
وما[٤] رَعَتْ لأبي اليقظان صُحْبَتَهُ
ولم تُزَوِّده إلّا الضَّيْحَ في الغُمَر
وأجْزَرَتْ سَيْفَ أشقاها أبا حسن
وأمكنت من حسين راحَتَيْ شَمِرِ
وليتها إذ فَدَتْ عَمْرًا بخارجة
فَدَتْ عليًّا بمن شاءَتْ من البشر
وفي ابن[٥] هند وفي ابن المصطفى حَسَنٍ
أتتْ بِمُغْضلة[٦] الألباب والفِكَرِ
فبعضُنا قائلٌ: ما اغتاله أحدٌ
وبعضُنا ساكت لم يُؤتَ مِنْ حَصَر
وعَمَّمَتْ[٧] بالرَّدى[٨] فَوْدَي أبي أنسٍ
ولم تَرُدَّ الرَّدى عنه قَنا زُفَر[٩]
وأرْدَتِ ابنَ زياد بالحسين فلم
يَبُؤْ بِشِسْعٍ له قد طاح أو ظُفُر

---

(١) في الذخيرة والفوات والمطرب: «تكفّ». (٢) في القلائد: «سَمْعًا».
(٣) في أعمال الأعلام: «وخاضبتْ». (٤) في المصادر كلها: «ولا».
(٥) ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان، أمّه هند بنت عتبة بن ربيعة.
(٦) في المطرب: «بمذهلة».
(٧) في الأصل: «وعَمّتْ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصادر.
(٨) في كل المصادر: «بالظُّبا».
(٩) أبو أنس: هو الضحاك بن قيس الفهري. وزفر: هو ابن الحارث، كان مع الضحاك في معركة مرج راهط لحرب مروان بن الحكم، وفيها قتل الضحاك.

وأنْـزَلَـتْ مُـضْـعَـبًـا مـن رأس شـاهـقـةٍ
كـانـت بـهـا مُـهْـجـة الـمـخـتـار فـي وَزَر
ولـم تـراقـبْ مـكـانَ ابـنِ الـزُّبـيـر ولا
راعـت[١] عـيـاذَتَـهُ بـالـبـيـت[٢] والـحـجَـر
ولـم تَـدَعْ لأبـي الـذِّبّـان[٣] قـاضِـبَـهُ[٤]
لـيـس الـلَّـطـيـم[٥] لـهـا عـمـرٌو بِـمُـنْـتَـصـر
وأظْـفـرَتْ بـالـولـيـد بـن الـيـزيـد ولـم
تُـبْـق الـخـلافـةَ بـيـن الـكـأس والـوَتَـر
حَـبـابـةٌ حَـبُّ رُمّـانٍ ألـمَّ بـهـا[٦]
وأحـمـرٌ قَـطَّـرَتْـه نَـفْـحَـةُ الـقُـطُـر
ولـم تَـعُـدْ قُـضُـبُ الـسَّـفّـاح نـابـيـةً
عـلى رأس مـروانَ أو أشـيـاعـه الـفُـجُـر
وأسْـبـلَـت دمـعـةَ الـروح الأمـيـن عـلى
دم يـشـجّ[٧] لآل الـمـصـطـفـى هَـدَر
وأشْـرَقَـتْ جـعـفـرًا والـفـضـل يـنـظـره
والـشـيـخُ يُـحْـيـي بَـرِيـقَ الـصّـارم الـذَّكَـر[٨]
وأخْـفَـرت فـي الأمـيـن الـعَـهْـدَ وانـتـدبـتْ
لـجـعـفـرٍ بـابـنـه والأعـبـدِ[٩] الـغُـدُر

(١) في القلائد والفوات والذخيرة والمطرب: «رعتْ».
(٢) في المطرب: «بالرُّكْن».
(٣) في الأصل: «الزّيّان»، والتصويب من المصادر. وأبو الذّبّان: هو عبد الملك بن مروان.
(٤) في الذخيرة: «ماضية». وفي المطرب والفوات: «قائمة». والقاضب: «السيف».
(٥) اللطيم: هو عمرو بن سعيد بن العاص.
(٦) في المعجب والمطرب: «أُتيح لها». وحبابة: جارية مغنية كانت ليزيد بن عبد الملك، ماتت لشرقها بحبة رمّان.
(٧) في الفوات والمطرب والمعجب وأعمال الأعلام: «بفخّ».
(٨) في المطرب: «بكأس الصاب والصبر».
(٩) في الأصل: «بالأعبد» والتصويب من المصادر.

وروَّعتْ كلّ مأمون ومؤتَمَن
وأسْلَمَتْ[١] كلَّ منصورٍ ومُنْتصر

وأَغْثَرَتْ آلَ عبّاسٍ لَعًا لهُمُ
بذيلِ زبّاءَ[٢] من بيض ومن سُمُر

ولا[٣] وَفَت بعهود المستعين ولا
بما تأكّد للمُغْتَزّ من مِرَر

وأوثقت في عُراها كلَّ مُعْتَمد
وأشرقتْ بقذاها كلَّ مُقتَدر

بني المظفر والأيامُ ما برحتْ[٤]
مراحلًا[٥] والورى منها على سَفَر

سُحْقًا ليومكُمُ يومًا وما[٦] حملتْ
بمثله ليلةٌ في سالف[٧] العُمُر

من للأسرَّة أو من للأعنَّة أو
من للأسِنَّة يهديها إلى الثُّغَر

من لليَراعة أو من للبَراعة أو
من للسَّماحة أو للنَّفع والضَّرر

من للظُّبا وعوالي الخطِّ قد عُقِدَتْ
أطرافُ ألسُنِها بالعِيِّ والحَصَر

وطُوِّقَتْ[٨] بالمنايا السُّود بيضُهم
أعْجِبْ بذاك وما منها سوى ذِكر[٩]

---

(١) في أعمال الأعلام: «وصَمَّمَتْ».

(٢) في الذخيرة: «ربّاءَ»، وفي المطرب: «ريّاءَ»، وفي المعجب: «زبّاء لم تنفر من الذُّعُر».

(٣) في الذخيرة: «وما». (٤) في المعجب: «لا نزلت».

(٥) في الأصل: «مراحل» والتصويب من الذخيرة والقلائد وأعمال الأعلام والمطرب.

(٦) في كل المصادر: «ولا».

(٧) في الذخيرة والقلائد: «مُقْبل». وفي المطرب والمعجب: «غابر».

(٨) في المطرب: «وطُرِّزَتْ». (٩) في المطرب والمعجب: «الذكر».

أو رَفْـعُ كـارثـة أو دَفْـعُ حـادثـة
أو قـمـع آزفـةٍ تُـغـيـي عـلى الـقـدَر[(١)]
وَيْـحَ الـسَّـمـاح وويـح الـجـود[(٢)] لـو سَـلِمـا
وحَـسْـرة الـدِّيـن والـدُّنـيـا عـلى عـمـر
سَـقَـتْ ثـرى الـفـضـل والـعـبـاس هـامـيـةٌ
تُـغـزَى إلـيـهـمْ سَـمـاحًـا لا إلـى الـمـطَـر
ثـلاثـة مـا ارتـقـى[(٣)] الـنَّـسْـران حـيـث رَقَـوا
وكـلُّ مـا طـار مـن نَـسْـرٍ ولـم يَـطِـر
ثـلاثـة كـذوات الـدهـر مـنـذ نـأوا
عـنـي مـضَـى الـدهـرُ لـم يُـربـعْ ولـم يَـحُـر
ومَـرَّ مـن كـلِّ شـيءٍ فـيـه أطْـيَـبُـه
حـتـى الـتـمـتُّـعُ بـالآصـال والـبُـكَـر
مـن لـلجـلال[(٤)] الـذي عَـمَّـتْ مـهـابـتُـه
قـلوبَـنـا وعـيـونَ الأنـجـم الـزُّهُـر
أيـن الإبـاءُ الـذي أرسَـوْا قـواعـدَه
عـلى دعـائـمَ مـن عـزٍّ ومـن ظَـفَـر
أيـن الـوفـاءُ[(٥)] الـذي أصْـفَـوا شـرائـعَـه
فـلم يَـرِدْ أحـدٌ مـنـهـمْ[(٦)] عـلى كَـدَر
كـانـوا رواسـيَ أرضِ الله مـنـذ نـأوا[(٧)]
عـنـهـا اسْـتَـطـارتْ بـمـن فـيـهـا ولـم تَـقِـرِ

(١) رواية هذا البيت في المصادر المذكورة جاءت مختلفة عمّا هنا، فلتنظر.
(٢) في القلائد والمطرب وأعمال الأعلام: «البأس».
(٣) في الذخيرة: «رقى».
(٤) في المطرب والفوات والمعجب: «أين الجلال الذي غَضّتْ...».
(٥) في فوات الوفيات: «الرواء».
(٦) في الذخيرة والفوات والمطرب والمعجب: «منها».
(٧) في المعجب: «مَضَوْا».

كـانـوا مـصـابـيـحـهـا دهـرًا فـمـذ خَـبُـوا
هـذي الـخـلـيـقـةُ تـالله فـي سَـدَرِ[١]
كـانـوا شَـجَـى الـدهـر فـاسْـتَـهْـوَتْـهُـم خُـدَعٌ
مـنـه بـأحـلام عـادٍ فـي خُـطـا الـخَـضِـر[٢]
مَـن لـي[٣] ولا مَـنْ بـهـمْ إنْ أظْـلَـمَـتْ نُـوَبٌ
ولـم يَـكُـنْ لَيْـلُها يُـفْـضـي إلـى سَـحَـر
مَـن لـي ولا مَـنْ بـهـمْ إنْ طُـبِّـقَـتْ[٤] مِـحَـنٌ
ولـم يـكـنْ وِرْدُهـا[٥] يُـفْـضـي[٦] إلـى صَـدَر
مـن لـي[٧] ولا مَـنْ بـهـمْ إن عُـطِّـلَـتْ سُـنـنٌ
وأُخـفِـيَـتْ أَلْسُـنُ الآثـار[٨] والـسِّـيَـر
وَيْـلُمِّـهِ مِـنْ طَـلُوبِ الـثـأرِ مُـدْرِكِـهِ
لـو كـان ديـنًـا عـلى الأيـام ذي عَـسَـر[٩]
عـلى الـفـضـائـل إلّا الـصَّـبْـرَ بَـعْـدَهُـمُ
تـسـلـيـم[١٠] مُـرْتَـقِـبٍ لـلأجـر مُـنْـتـظِـر
يـرجـو عـسـى ولـه فـي أُخـتـهـا طـمـعٌ[١١]
والـدَّهـرُ ذو عُـقَـب شـتَّـى وذو غِـيَـر

---

(١) رواية هذا البيت جاءت في القلائد والمطرب والمعجب مختلفة عما هنا، فلتنظر.
(٢) في المطرب: «الخطر»، وفي المعجب: «الحضر».
(٣) في المطرب: «من لي ومن لهم إنْ...». وفي القلائد: «من لي ومن بهم إنْ...».
(٤) في القلائد: «من لي ومن بهم إن أطنبت محن...». وفي المطرب: «من لي ومن لهم إنْ أطبقتْ...». وفي المعجب: «أطبقت» بدلًا من «طُبِّقَتْ». وفي أعمال الأعلام: «أعضلت» بدلًا من «طُبِّقَتْ».
(٥) في الأصل: «ورودها» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٦) في المطرب وأعمال الأعلام والمعجب: «يدعو».
(٧) في المطرب: «من لي ومن لهم إنْ...». وفي أعمال الأعلام: «من لي ولا من لهم إنْ... وأخفتت أَلْسُنُ...». وفي القلائد: «من لي ومن بهم إنْ... وأُخْفِتَتْ السن...».
(٨) في الذخيرة: «الأيام والبشر».
(٩) رواية عجز البيت في المعجب هي:
منـهـم بـأسْدِ سراةٍ في الـوغـى صُبُـرِ
وفي المطرب:
منهم بأسْدِ سواهم في الوغى صُبُرِ
(١٠) في كل المصادر: «سلام».
(١١) في المعجب والمطرب والذخيرة: «أملٌ».

قَـرَّطْـتُ آذانَ مَـنْ فـيـهـا بـفـاضـحَـةٍ
عـلى الـحِـسـان حَـصَـا الـيـاقـوتِ والـدُّرَر
سَـيَّـارةٍ فـي أقـاصـي الأرض قـاطـعـة
شَـقـاشِـقًـا هَـدَرَتْ[1] فـي الـبَـدْو والـحَـضَـر
مُـطـاعَـةِ الأمـرِ فـي الألْـبـابِ[2] قـاضـيـةٍ
مِـنَ الـمـسـامـع مـا لـم يُـقْـضَ مِـنْ وَطَـر

ومن الغرباءِ

عثمان بن عبد الرحمٰن بن يحيىٰ بن يَغْمَراسِن[3]

الدَّائل بتِلمسان، يكنى أبا سعيد.

حاله: كان شيخًا مَخِيلًا بسِمة الخير، متظاهرًا بالنَّسَف، بقية آل زيَّان، متقدِّمًا في باب الدهاءِ والذِّكر، بالغًا أقصى المبالغ في ذلك. سكن غرناطة ووادي آش، ووُلد بغرناطة. وكان أبوه ممن هلك في وقعة فُرْتونة، فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حِجر أبيه وبعده، ثم ثَنى عِنانه إلى وطنه، وتخطَّته المتالف عند تغلُّب السلطان صاحب المغرب على بلده تلمسان، وغاص في عِرْض من تهنَّأَ الإبقاءَ من قبيله. وكان ممن شمله حصار الجزيرة، ووصل قبله ممدًّا مع الجيش الغربي بجيش غرناطة عند مُنازلة القلعة. ولمّا جرت على واتِرهم السلطان أبي الحسن الهزيمة بظاهر القَيْرُوان، وبَعُد الطمع في انتِشاله وجَبْره، ولحق كل بوطنه، حوم الفلُّ من بني زيَّان على ضعفهم، ومذ رحل عنه السلطان القائم بمُلْك المغرب أبو عنان، إلى محل الأمر ودار الملك، وسدَّ تلمسان بشيخ من قبيلهم يعرف بابن حرار له شهرة وانتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف، فذ في إدارة الحيلة، وإحالة قِداح السياسة، رأس الرَّكب الحجازي غير ما مرة، وحلَّ من الملوك ألطف محلَّة. ولمّا نَهَد القوم إلى تلمسان، ناهضهم ابن الحرار بمن استَرْكب من جنده، وانضمّ إليه من قومه، فدارت عليهم الهزيمة، وأُحِيط به، فتُمُلِّك البلد، وتُحصِّل في الثِّقاف، إلى أن هلك به مُغْتالًا، واستولى عثمان بن يحيىٰ على المدينة، وانقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد والقبائل، فثاب لهم مُلْكٌ لم

(١) في الأصل: «هذرت» بالذال المعجمة، والتصويب من المطرب والمعجب.
(٢) في الأصل: «الباب» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المطرب والمعجب.
(٣) ترجمة عثمان بن عبد الرحمٰن في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٠٧) والأعلام (ج ٤ ص ٢٠٨).

تكد شُغْلته تَقِد حتى خَبَتْ، وعلى ذلك فبلغوا في الزمان القريب من وفور العُدَّة، واستجادة الآلة، وحُسن السِّيرة، ما يقضي منه العجب. وانفرد عثمان بالأمر، وعيَّن أخاه أبا ثابت الزعيم إلى إمارة الجيش، فاستقام الصفُّ، وانضمّ النَّشر، وترتَّبت الألقاب، واستأنفوا الدولة، وتلقَّفوا الكُرَة، وقلّ ما أدْبَر شيءٌ فأقبل. وبادر السلطان بالأندلس مُفاتحته مهنِّئًا، وللحِلْف مجدِّدًا، بكتاب من إنشائي من فصوله:

«بعد الصَّدر والتحميد، ولا زائد بفضل الله المرجو في الشَّدائد، لجميل العوائد، إلّا ما شرح الصدور، وأكَّد السرور، وبَسَط النفوس، وأضحك الرَّسَن العَبوس، من اتِّساق أمور ذلك المُلْك لديكم، واجتماع كلمته عليكم، وما تعرَّفنا أن الدولة الزَّيانيَّة، وصل الله لبُدورها استئناف الكمال، وأعلى أعلامها في هضاب اليُمْن والإقبال، تذكَّرت الرسائل القديمة والأذمَّة، وألقت إلى قومها بالأزمَّة، وحَنَّت إلى عهدهم على طول النَّوى، وأنشد لسان حالها: «نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى»، فأصبح شَتِيتُك بأهلها مجموعًا، وعَلَمُ عَلْيَائها بأيدي أوليائها مرفوعًا، وملابس اعْتِزازها بعد ابْتِزازها جديدة، وظِلال سُعودها على أغوارها ونُجُودها مديدة، وَقبيلها قد أنجح الله في ائتلافه أمَلَ الآمل، ومُبْتداها مرفوعًا مع وجود العوامل، والكثير من أوطانها قد سَلكت مسلكها في الطاعة، وتبادرت إلى اسْتِباق فضيلة الوفاق بحَسَب الاستطاعة، فعظُم الاسْتِبشار بأن كان لكم مالها، وفي إيالتكم انْتِيالها، من غير أن يَغلُق بأسبابها من ليس من أربابها، ويطمع في اكْتِسابها من لم يكن في حِسابها. وقلْنا مُوارث وَجَب، وعاصِب حَجَب، ورَكْبٌ عَلَج من بعد القُفول، وشمس طَلَعَت من بعد الأفول، وجيد حُلِّي بعد ما اشتكى العَطَل، وغريم قضى بعد ما مَطَل، وطِرْفٌ تنبَّه بعد ما سَجَع، ودُرِّيٌّ استقام سيره عقب ما رجع، وقضية انصرف دليلُها عن حدود القواطع، وطُرحت عليه أشعة السُّعود السَّواطع، لا بل عَبْدٌ أبَق، لقَدَرٍ سَبَق، حتى إذا راجع نهاه، وعَذله العقل ونهاه، جَنح بعد هجره، إلى كنف من نشأ في حِجره. وعلمنا أن الدولة التي عَرَفنا مكارمها قد دالَتْ، والغمامة التي شكرنا مَواقعها قد انثالت، فجرينا في المسرَّة ملءَ الأعِنَّة، وشاركنا في شكر هذه المنَّة، وأصْدَرنا إليكم هذا الخطاب مُهَنِّئًا، وعن الود الكريم والولاءِ الصَّميم مُنْبيًا، وفي تعزيز ما بين الأسلاف جدَّد الله عليهم ملابس الرِّضوان مُعيدًا مُبديًا، وإن تأخَّر منه الغرض، وقضى بهذا العهد واجبه المُفْترض، والأعْذار واضحة، وأدِلَّتها راجحة، وللضِّرار أحكام تُمْضى، والفروض للفَوات تُقْضى، فكيف والاعتقاد الجميل مُسَيَّر مُسَكَّن، والوقت والحمد لله مُتمكن؟ وما برِحنا في مناط اجتهاد، وترجيح استشهاد، والأخبار يَضطرد مفهومُها، والألفاظ لا يتخصَّص عمومها، والأحاديث يجول في مُتَعَارَضها النَّظر، ولا

يلزم العمل ما لم يصحَّ الخبر. فلمّا تحققنا الأمر من قَصّه، وتعاضد قياسه بنصّه، لم نُقَدِّم على المبادرة عملًا، وبيّنا لكم من حسنِ اعتقادنا ما كان مُجملًا، فَلْيَهْنَ تلك الإيالة ما استأنفته من شبابها، وتَسَرْبلته من جديد أثوابها، ولِيَسْتَقبل العيش خَضِرًا، والدهر مُعْتذرًا، والسَّعد مُسْفِرًا».

وتمادى مُلْكه من الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة إلى أن اسْتَوسق مُلْك المغرب للسلطان أبي عنان، واستأثر إليه أبيُّه، وتحرك إلى مُنازلة تلمسان في جمادى الآخرة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وكَسَر جَمْعهم، واستولى على ملكهم حسبما يأتي، وبَرَز إليه سلطانها المذكور مؤثرًا الإصْحار على الاجْتِحار، واللقاءَ على الانْحِصار، وكانت بين الفريقين حرب ضروس، ناشَب الزَّيّانيون محلّات المغرب القتال، بموضع يُعرف بإنكاد، على حين غفلة، وبين يَدَيْ شروعٍ في تنقُّل وسكون، وتفرُّقٍ من الحامية في ارتياد الخَلا، وابتغاءِ الماءِ، فلم يَرُع إلّا إطلال الرَّايات، وطلوع نواصي الخيل، فوقع الصراخ، وعلا النِّداءُ، وارتفع القَتام، وبادر السلطان بمن معه من الخالِصة، ورَوَّم الركاب الصَّدمة، ومضى قُدُمًا، وقد طاش الخبر بهزيمته، فعاثَتْ العُربان في محلّته، وكانوا على الأموال أغدى من عدوِّه، وفرَّ الكثير إلى جهة المغرب بسوءِ الأُحدوثة.

ولمّا تقاربت الوجوه، وصدق المُصاع، قذف الله في قلوب الزيّانيين الرُّعب، واستولى عليهم الإدبار، فانهزموا أقبح هزيمة، وتفرّقوا شَذَر مَذَر، واختفى سلطانُهم عثمان المترجم به، وذهب متنكرًا وقد ترجَّل، فعُثر عليه من الغد، وأُوتي به فشدَّ وثاقه، وأسرع السلطان اللِّحاق بتلمسان، وقد تلقّاه أهلها مُعلنين بطاعته ولائِذين بجناب عَفْوه، وتنكَّبها الجيش المَفْلول لنظر الأمير أبي ثابت، فاستقرَّ بأحواز جزائر بني مَزْغَناي. ودخل السلطان تلمسان في يوم الأحد الحادي عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وتدامر بنومرين، واستَذْركوا دَحْض الوصمة في اتِّباع أضدادهم المحروبين، فكان اللقاء بينهم وبين الجيش المفلول، وحَكَم الله باسْتئصالهم، فمضى عليهم السيف، وأُوتي بزعيمهم الزعيم، فاحتمل مع أخيه في لُمَّة من أوليائهم، ونفذ الأمر لأقْتالهم من بني حرار بأخذ حقهم، فقُتل عثمان والزَّعيم، رحمهما الله، بخارج تلمسان ذَبْحًا، وأُلحق بهما عميد الدَّولة يحيىٰ بن داود بعد أن استُحضر عثمان بين يدي السلطان، وأسمع تأْنيبًا، حَسُن عنه جوابه بما دلَّ على ثباتٍ وصبر. وانقضى أمر كرَّتهم الثانية، وخَلَتْ منهم الأوطان، وخَلُصت لبني مرين الجِهة، وصَفَتْ العِمالة. والله يعطي مُلْكه من شاءَ سبحانه لا إلٰه إلّا هو، وكان مقتل عثمان وأخيه في أوائل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة.

علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي ابن أبي طالب(١)

أوّل ملوك(٢) بني هاشم بالأندلس، يكنّى أبا الحسن، ويلقَّب من الألقاب السلطانية، بالناصر لدين الله.

حاله: كان شهمًا لبيبًا، جَريء اللقاءِ، باطش السَّيف، شديد السَّطوة، أسمر، أغيَن، نَحيف الجسم، طويل القامة، حادَّ الذهن، من أُولي الحزم والعزم.

خلافته: ذكروا(٣) أن هشام بن الحكم(٤)، لمّا ضُيّق به الحَجْر، كتب إليه في السِّرّ بعَهْد ولايته، وأهّله للأخذ بثأره، فكان كذلك، وأجاز البحر من سَبْتة، مظهرًا القيام بنَصْر هشام عندما خُلع، فانحاش إليه كثير من الناس، وقصد قرطبة، وبَرَز إليه الخليفة سليمان خالعُ هشام ومُغتاله، فظهر عليه علي بن حَمُّود وهزمه، ودخل قرطبة، فقَتل سليمان، وبحث عن هشام، وقد فات فيه الأمر، وتسمَّى بأمير المؤمنين. وأنِس به أهل قرطبة؛ لقَهْره من كان لنَظَره من البرابرة، وإمضاءِ الأحكام عليهم. قال المؤرخ: فبَرقَتْ للعدل يومئذ بارقة، لم تَكِد تَقِد حتى خَبَتْ. وكان الأغلب عليه السَّخاءُ والشجاعة.

ومدحه الكثير من الشعراءِ، منهم أبو عمر بن درّاج، وفيه يقول(٥): [المتقارب]

لَعَلَّكِ يا شَمْسُ عند الأصيلِ شجيتِ(٦) بشَجْوِ(٧) الغريبِ الذَّليلِ

---

(١) ترجمة علي بن حمود في الذخيرة (ق ١ ص ٣٧، ٩٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١١٣، ١١٩) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٢١، ١٢٨) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٢٨، ٣٣٠)، وجذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتمس (ص ٢٧) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٦٩) والمعجب (ص ٩٠، ٩٨) وسير أعلام النبلاء (ج ١٧ ص ١٣٥، ٢٨٠) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٤٥) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ١ ص ٤٩٥).

(٢) لم يكن علي بن حمود ملكًا، بل كان خليفة.

(٣) قارن بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٠ ـ ١٢١).

(٤) هو هشام بن الحكم المستنصر، المعروف بهشام المؤيّد بالله.

(٥) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلي (ص ٧٥ ـ ٧٦، ٧٩) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٤).

(٦) في الأصل: «تحنّ»، والتصويب من المصدرين.

(٧) في الديوان: «لِشَجْوِ».

فكوني شَفيعي إلى ابنِ الشَّفيعِ وكوني رَسُولي إلى ابنِ الرسولِ
فـإمّـا شَـهِـدْتِ فـأزكـى شَـهِـيـدٍ وإمّـا دَلَلْتِ فـأَهْـدى دَلـيـلِ
إلـى الـهـاشـمـيِّ إلـى الـطّـالِبـيِّ إلى الفاطميِّ العَطُوفِ الوَصُولِ

وصوله إلى إلبيرة: قال: ولمّا اسْتوسق الأمر، واضطرب عليه خيْران صاحب ألمرية، أغراه وأذن لحربه، فخرج من قرطبة يوم الثلاثاءِ لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعمائة، وساء إلى أن بلغ وادي آش، وترادَفت عليه الأمطار والسُّيول، وانصرف إلى إلبيرة ثم إلى قرطبة.

وفاته: قال المؤرخ: وفي[١] سنة ثمان وأربعمائة كان مَقتل علي بن حمُّود، وذلك أن صَقالِبَته قتلُوه بموضع أَمْنِه، في حمام قصره، وكانوا ثلاثة من أغمار صبيان قصْره، منهم نُجح[٢] وصاحباه، وسدُّوا باب الحمّام عليه، وتسلّلوا، ولم يَحسَّ أحدٌ بهم، واستطال نساؤه بقاءه، فدخلوا عليه، ودمُه يسيل، فصحَّ خبرُ مقتله، وبعَثت زناتة إلى أخيه[٣] بإشبيلية، فخاف[٤] أن تكون[٥] حيلة، حتى كَشف عن الأمر، ولحِق بقرطبة، فأخرج جَسَده، وصلّى عليه، وأنفذه إلى سَبْتة، فدفن بها، وبُني عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان، وقُبض مِنْ قاتليه على صَبِيَّين عُذِّبا بأنواع العذاب، ثم قُتلا وصُلبا[٦].

علي بن يوسف بن تاشفِين بن ترجوت[٧]

وينظر اتصال نسبه في اسم أبيه.

هو أمير المسلمين بالعُدْوة والأندلس بعد أبيه، يكنى أبا الحسن، تصيَّر إليه الملكُ بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة، ثم ولِّي أمره يوم وفاته وهو يوم الاثنين مستهل محرم عام خمسمائة[٨].

---

(١) قارن بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٢). (٢) في البيان المغرب: «منجح».
(٣) أخوه: هو القاسم بن حمود. (٤) الضمير يعود إلى أخيه القاسم.
(٥) في الأصل: «يكون» والتصويب من البيان المغرب.
(٦) في البيان المغرب: «وصلبا على جسر قرطبة».
(٧) في الأصل: «تومرت»، وقد صوّبناه من البيان المغرب (ج ٤ ص ٤٦). وترجمة علي بن يوسف بن تاشفين في المعجب (ص ٢٣٥) والمغرب (ج ٢ ص ٤٣٨) والحلل الموشية (ص ٦١) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٨٠) والبيان المغرب (ج ٤ ص ٤٨) ورايات المبرزين (ص ٢٠٤) وجذوة الاقتباس (ص ٢٩١).
(٨) في الحلل الموشية (ص ٦٧): مات يوسف بن تاشفين في شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٠ هـ.

حاله: وكان ملكًا عظيمًا، عالي الهمة، رفيع القدر، فسيح المعرفة، شهير الحلم، عظيم السياسة، أنفذ الحق، واستظهر بالأزكياءِ، ووالى الغزو، وسدَّ الثغور، إلى أن دهمه من أمر الدولة الموحدية ما دهمه، وكل شيءٍ إلى مدى، فأمهل السَّرح، وحالف الإدبار، وجاز إلى الأندلس، وغزا فيها بنفسه، ودخل غرناطة وباشرها.

قال ابن عذاري: تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله واستنجده وسأله حسن الكفاية فيما قلَّده، فوجده مُلْكًا مؤسَّسًا، وجُنْدًا مُجَنَّدًا، وسلطانًا قاهرًا، ومالًا وافرًا، فاقتفى إثر أبيه، وسلك سبيله في عضد الحق، وإنصاف المظلوم، وأمن الخائف، وقمع المظالم، وسدِّ الثغور، ونكاية العدو، فلم يعدم التوفيق في أعماله، والتسديد في حسن أفعاله.

دخوله غرناطة: وفي سنة خمس وخمسمائة، جاز البحر إلى الجهاد. قال المؤرخ: قدم علي بن يوسف غرناطة مرات مع أبيه. وفي سنة خمس وخمسمائة تلوَّم بها ريثما تلاحقت حشوده، وتأهبت مُطوَّعته وجنوده، فافتتح مدينة طَلْبيرة عَنْوة[١]. ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسمائة، فغزا قُلُمْرِية[٢].

ظهور الموحدين في أيامه:

قال ابن عذاري: في[٣] سنة أربع عشرة وخمسمائة، كان ابتداءُ أمر الثائر على الدولة، الجالب للفتن الجمة، الجارِّ لها منذ ثلاثين سنة، حتى أقفر المعمور، وأصار الضياء كالديجور، محمد بن تُومَرت السوسي الملقَّب بالمهدي. قلت: وأخباره عجيبة، وما زال أمره في ظهور، وأمر هذه الدولة في ثبار وإدبار، إلى أن محا رسومها، وقطع دابرها، والمُلك لله، يُؤتي الملك مَن يشاءُ، ويَنزع الملك ممن يشاءُ، سبحانه.

وفاته: قال: وفي[٤] سنة سبع وثلاثين وخمسمائة[٥] توفي أمير المسلمين علي بن يوسف، لسبع خلون من رجب، ولم يُشهر موته إلّا لخمس خلون من

(١) في البيان المغرب (ج ٤ ص ٥٢): في سنة ٥٠٣ هـ تحرّك علي بن يوسف بن تاشفين من مراكش إلى الأندلس، ثم يمّم غرناطة وتلوّم بها، ثم دخل مدينة طلبيرة ووقع النهب بها.

(٢) في الأصل: «قولمرية»، والتصويب من البيان المغرب (ج ٤ ص ٦٤). وفي الحلل الموشية: «قلمريت». وقلمرية: بالإسبانية Coimbra، وهي مدينة من بلاد البرتغال. الروض المعطار (ص ٤٧١).

(٣) قارن بالبيان المغرب (ج ٤ ص ٥٩ ـ ٦٠).

(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٤ ص ١٠٠ ـ ١٠١).

(٥) في جذوة الاقتباس (ص ٢٩١): توفي سنة ٥٣٩ هـ.

شوال، فكانت مدته من حين قدّمه أبوه، تسعًا وثلاثين سنة وأشهرًا[1]، وعمره إحدى وستون سنة. قال ابن حماد: ولمّا يَئس من نفسه، عهد أن يُدْفن بين قبور المسلمين، ودُفن بها في جملتهم، رحمه الله.

الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

عتيق بن زكريا بن مَوْل التجيبي[2]

قرطبي الأصل، يمتُّ إلى الإمارة النَّصْرية بقُربى صِهْر، يكنى أبا بكر.

حاله: كان شهمًا جريًا مِقْدامًا، جَهْوريًا، ذا أَنَفه وشارة، مليح التجنُّد، ظاهر الرُّجُولية، معروف الحق، نبيه الولاية، فصيح اللسان، مطبُوعًا، ذكيًا، مؤثرًا للفكاهة، وُلِّي القيادة بمدينة وادي آش عَقِب الرئيس المُنتزي بها، ثم عُزل عنها بسعاية رُفعت فيه إلى ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الحكيم، فساءَ ما بينهما لذلك، وأعمل عليه التدبير بمداخلة الأمير نصر، وإغرائه بالأمر، فتمّ له التوثُّب على ملك أخيه، وخَلْعِه يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة. وقُتل الوزير ابن الحكيم بين يديه، وانتُهبت منازله، واستقلّ بعد بالتدبير والوزارة، وحَصَل من صنائع الحائن، ومتوقِّعي الضغط، على مال عريض، وقام بوظيف الوزارة محذور الشبا، مرهوب المُذْية، مَسْنُوّ الفتكة، فلم يَنْشَب أن عُيِّن للرسالة إلى باب السلطان ملك المغرب، وسُدَّ باب الإياب لوجهته، وأقام بالعُدْوة تحت الحُظوة، مشارًا إليه في وجوه الدولة، وزير المداخلة والرُّتبة. وقد كان في ريان حداثته لحق بطاغية الرُّوم، ورَكِب في جُملته، وعَلِقته جارية من بنات زعماءِ الروم، لفضل جماله، وزَيْن شبيبته، ففرَّ بها تحت حماية سيفه، ولحق ببلاد المسلمين، وكانت من أهل الأصالة والجمال، فاتصل بمحلة أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق، وقد جاز إلى الأندلس غازيًا، فاستُخلصت منه لمزية الحُسْن، واستقرّت بقصر السلطان حظيّة لطيفة المحل، وجدّ أثر رِفدها وانتفع، هو وبنوه بعائد جاهها، وقد هلك السلطان. وقامت لمن خلفه مقام الأُمومة، فنالوا بها دنيا عريضة، وباشر بالمغرب أهوالًا، وخاض في فِتَن إلى أن أسنّ، وقيّدته الكِبْرة، واستولت على بَصَره الزمانة. ولما

---

(١) في البيان المغرب: «وسبعة أشهر، وقيل: وتسعة أشهر».

(٢) ورد اسمه في اللمحة البدرية (ص ٧٠ ـ ٧١) هكذا: «الوزير القائد أبو بكر عتيق بن محمد بن المَوْل، الشُّهم النَّجد، وبيت بني مَوْل بقرطبة بيت أصالة».

وُلِّي الوزارة ولدُه على عهد سادس الأُمراء من بني نصر(١)؛ استَقدمه في ربيع الثاني من عام تسعة وعشرين وسبعمائة، فقدم شيخًا قد استَثنى أديمه واحقَوقب، ومَسْحةُ الظَّرف واللوذعية تتعلق منه بطَلَلٍ بائد. ثم اقتضى تقلُّص ظل الولاية عن ولده انصراف جميعهم إلى العُدْوة، فكان ذلك في رجب أو أول شعبان من العام، وبها هلك.

وفاته: توفي بمدينة فاس رابع محرم عام ثلاثين وسبعمائة. وكان كثيرًا ما يتمثل بقول الشاعر: [الطويل]

نصحْتُ فلم أفلحْ وخانوا فأفلحوا ... فـأنـزَلـنـي نُـصْـحـي بـدار هـوانِ
فإن عشْتُ لم أنصحْ وإن متُّ فالعنوا ... دون النصح من بعدي بكل لسانِ

أخبرني بذلك شيخنا أبو الحسن بن الجياب وغيره.

عمر بن يحيىٰ بن مُحلًّى البطّوي

يكنى أبا علي.

حاله: كان يمتُّ إلى السلطان ملك المغرب، رحمه الله، بالخؤولة، وله جرأة وجِزم واضطلاع بالمهمة، إلى نكراء وخُفوف إلى الفتنة واسْتِسْهال العظيمة. ولمّا تصيرت مالقة(٢) إلى إيالة السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق من قِبل رؤسائها من بني إشقَيْلولة، استَظهر عليها من عمر هذا بحجاج رجاله، وقدّمه بقَصَبتها، وجعل لنظره جيشًا أخشَن يقوده رجل من كبار وُصَفائه. وداخل السلطان ثاني(٣) الملوك من آل نصر عمر بن مُحلًّى هذا بوساطة أخيه طلحة السابق إلى إيالته، فأحكم بينهما صرف مالقة إليه، وانتقال عمر إلى خدمته، مُعَوّضًا عن ذلك بمال له بال، مُسَلّمًا إليه حصن شُلوبانية، ولأخيه طلحة مدينة المنكب، على أرزاق مقررة، وأحوال مرتبة مقدرة، فتمّ ذلك، وتحمل ثِقات السلطان بقصبة مالقة ليلًا مع عمر، واستُدعي للغداة قائد الجيش ومثله من الوجوه، مُوريًا بمعارضتهم، فسقط الغشاء بهم

(١) سادس سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، حكم غرناطة من سنة ٧٢٥ هـ إلى سنة ٧٣٣ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة، وفي اللمحة البدرية (ص ٩٠).
(٢) قارن باللمحة البدرية (ص ٥٧ ـ ٥٨).
(٣) ثاني سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠٨ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة وفي اللمحة البدرية (ص ٥٠).

على سرحان، وأخذهم اعتقاله رهينة استُخلص بها من كان من عياله بالعُدْوة، وجاءَ بها جَلواة عارية أغرَبت عن لُؤمه وخُبْث أمانته، وانتقل له مُوَفى له بعهده، فحل بحصن شلوبانية منتصف عام سبعة وستين وسبعمائة، حسبما كتب لي بعض الشُيوخ من مُسِنّي بقية أهله، واحتلّ أخوه طلحة بمدينة المنكب، ولم يلبث أن خرج عنها للسلطان مُعَوضًا بالمال، وأعمل الانصراف إلى الحج. وأقام عمر بشلوبانية وما يليها من العِمالة، مظهرًا للطاعة تمام العام المذكور، وفسد ما بينه وبين السلطان المذكور، وظهر الخلاف وأُخيفت الطرق، وتحرك السلطان إلى مُنازلته لأشهر ثلاثة من خلافه، وحاصره أيامًا شدّ فيها مُخنقه، فلمّا رأى عزمه، خاطب سلطانه الذي نزع عنه أمير المسلمين أبا يوسف، وعرض الحصن عليه، فبادر إليه بالأُسطول، فلمّا احتل بمرسى حصنه واتصلت به يده ونُشرت عنده بُنوده، أفرج عنه السلطان، وانبت طمعُه فيه، وصرف وجْهَه إلى حَضرته، وبدا لعُمَر في أمره، فصرف الأُسطول متعلّلًا ببعض الأعذار، وأقام على سبيله، واتصل ذلك بالسلطان، فرتب عليه الحصن، وضيق السُّبل، وتحرك في صائفة العام إلى مُنازلته في عُدَّة عظيمة، وحاصره ورماه بالمجانيق، وتتبع بها مجاثمه، فأعياه الصبر، وأعمل الحيلة بإظهار الإنابة، وعرض على السلطان التخلّي عن الحصن، وطلب منه أن يُوجه لقبضه وزيره، وأحْظَى الرؤساءِ لديه، وصاحب بَنده، فوجههم السلطان في طائفة من حاشيتهم، وقد أكمن لهم عمر بمعرجات الطريق، بين يدي باب القلعة، فلمّا توسطوا الكمناء، وبرز عمر ليسلم عليهم، ثار بهم رجاله الأساوِدة وغيرهم، وقبضوا عليهم بمرأى من السلطان، وأدخلوهم الحصن، وعاد السلطان إلى قتاله، فتوعد بقتلهم، وجعلهم بأعلى السور، ورمى عليه بحجر، فطرح أحدهم الحين، وعلا صراخُهم يسترحمون السلطان، فكفّ عنه، وانصرف مَكظُومًا. ولأيام وقعت المهادنة على تخلّيه عن شلوبانية في جملة شروط صَعْبة، منها العَقْدُ له على بنت السلطان المنسماة بشمس، وانتقاله إلى مدينة المنكب، فتمّ ذلك في وسط ثمانية وستين بعده، وتمادت المهادنة شهورًا أربعة، ثم ثاب خلافه، وضُيقت عليه الحصص المرتَّبة، وخرج للسلطان عن منكّب على مال وعَهْد، وصرف بعد وجهه إلى سلطانه، وتطارح عليه، وهو بجزيرة طَريف، بعد أن أخذ أمانه، زعموا، وقد كان أخوه طلحة سبق إليه، فاعتقل يسيرًا. ثم حُلّ اعتقاله إيثارًا للعفَّة، ورعْيًا للمتَات. ولمّا توفي السلطان أبو يوسف، اضطره حاله، وآل أمره إلى العود إلى الأندلس، وبها الأشياخ من بني عبد الله بن عبد الحق، مطالبو أبيه بدم عمِّهم، سبقوا مَقْدَمه على السلطان بإيعاز منه، وقد نزل بقرية أرملة[1] على وادي

---

(١) أرملة: بالإسبانية Armilla، وهي إحدى قرى غرناطة وتقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل.

أفلم، واعتصم منهم ببرج، فقاتلوه واستنزلوه فقتلوه، فانقضى أمره على هذه الوتيرة، والبقاءُ لله سبحانه.

عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق(١)

شيخ الغزاة بالأندلس، وابن شيخها، يكنى أبا ثابت، أُجْرِي مجرى الأصليين لولادته بالأندلس.

أوليته: تأتي في اسم أبيه.

حاله: كان رئيسًا جليلًا، فذًّا في الكفاية والإدراك، نسيج وَحْده في الدَّهاءِ والنُّكراءِ، مشارًا إليه في سَعة الصدر، ووفور العقل، وانْفِساح الذَّرع، وبعد الغور، باسلًا مِقْدامًا، صعب الشَّكيمة على الهمَّة، لين الكلمة، رَيِّش جَناح العزِّ، وافر أسباب الرِّئاسة، مجرِّبًا، مُحْتَنكًا، عارفًا بلسان قومه وأغراضهم، جاهلًا جَفَوات أخلاقهم دُبُر أُذنه، مَهيبًا على دماثة وإلحاح سِقام. تولّى الأمر بعد أبيه، فقام به أحمد قيام، مُسَلِّمًا لبقية من مُسِني القرابة وأكابر الإخوة، اعترافًا بالفضل، وإيثارًا لمزيَّة العَتاقة على الهجْنة، فحلَّ أرفع المحال، وتبَنَّك على حال الضَّنا نعيمًا، وغزا غزوات شهيرة، إلى أن تناسى الأمر، وكبا بهم الجدّ، وحملهم قرب مُخيفهم بالثَّأر المُنيم ملك المغرب، لما اقتحم فُرْضة المجاز إلى الجهاد على المباينة ومراسلة الطاغية، فساءت القالة، وفَسَد ما بينهم وبين سلطانهم، وأُعمل عليهم التدبير.

نكبته: ثبتٌ في الكتاب المسمى بـ«طُرْفة العصر»: ولما اتَّصلت ليَدَيْ المسلمين، وفصَل أميرهم من مُلْك المغرب، تنمَّر أضدادهم المناوؤن له، المعاندون قدرة الله فيه، المتهيِّئون إلى القاصِمة بمشاحنته، فأظهروا النُّفور والحذر، وكانوا قد داخلوا ملك قشتالة وواعدوه اللحاق به، إن راعهم رائع، ووصلتهم مخاطبته بقبولهم، فلمّا تخلَّف المسلمون عن اللحاق به، نسب لهم الفشل والتكاسل، فانطلقت الألسن، وملَّت القلوب، وتُشُوِّف إلى الفتك بهم، وهم عصابة بأْسها شديد، أشهروا فروسية ونجدة وأتباعًا، فعظم الخطْب، وأُعملت الشُّورى في أمرهم، وصُرفت الحيل إلى كف عاديتهم، ومُعالجة أمرهم، فتمَّ ذلك. ولما كان يوم السبت التاسع والعشرون من ربيع الأول، قعد لهم السلطان على عادته، ووجَّه عنهم في غرض الاستشارة في حال السَّفر إلى إمداد ملك المغرب، وقد عبر ونازل جزيرة طريف، وفاوضهم فيما عليه الناس من إنكار التَّلوُّم، ثم قام السلطان من

(١) ترجمة عامر بن عثمان في اللمحة البدرية (ص ١٠٥).

مجلسه، وثارت بهم الرجال، فأُحيط بهم، ونُزعت سيوفهم عن عواتقهم، وطارت الخيل في ضمّ من شذّ عنهم، فتقُبّض على طائفة من أعلامهم، كانوا بين غرّ يباشر قنصًا، أو مُفلت لم يجد مهربًا، وطارت الكتب إلى مالقة في شأن من بها منهم، فشملهم الاعتقال، ثم نقلوا إلى مدينة المنكب، فجعلوا في مُطْبِق الأسرى بها، إبلاغًا في النكال، وتناهيًا في المُثلة، فلم تَجْرِ عليهم مصيبة أعظم منها، لاضطرارهم إلى قضاءِ حاجة الإنسان برأي عين من أخيه، خطة خَسْف سَئموها، مع العلم بنفور نفوسهم عن مثلها، وفيهم صدور البيت وأعلامه، كأبي ثابت المترجم به، وأخيه كبيره إبراهيم، وابن عمهم زين المواكب، وقريع السيوف، وعروس الخيل، حَمُّو بن عبد الله، وسواهم، وقانا الله شَرَّ الهلكات، واشرأب مُخيفهم للسلطان صاحب المغرب، وولي الثّرة، إلى صرفهم إليه، وقد استوجب من مَلِك الأندلس الملاطفة لالتفاته لسيء البُرْد، واقتحامه باب القُطر. وأخفق السعي، وضنَّ بهم موقع النِّقمة عن إسلامهم إليه، سيرة أحسنها في جنسهم من أُولي الجهالف، فأجلاهم عما قريب في البحر إلى إفريقية، فاستقرّوا ببجاية، ثم استُقْدموا إلى تونس تحت إرصاد ورِقْبة، وأخفر فيهم ملكُها الذِّمة، وهم لديه، فوجَّههم على بعد الدار، ونزوح المزار، إلى السلطان صاحب المغرب، مُصْحبين بشفاعة فيهم، كانت قُصارى ما لديه، فاستقرُّوا في الجملة تحت فلاح وكفاية، لا تلفت إليهم عين، ولا يتشبَّث بذَمل حُظوتهم أمل. ثم نُكبوا بظاهر سبتة نكبة ثقيلة البَرْك، مغارة البرك الحمل، وأُودعوا شرَّ السجون بمدينة مكناسة، فأصبحوا رهن قيود عديدة، ومَسْلحة مرتَّبة، جرَّ ذلك عليهم ذرّة من القول في باب طمُوحهم إلى الثورة، وعملهم على الانْتزاءِ بسبتة، الله أعلم بحقِّه من مَيْنه. ولمّا صيَّر الله مُلْك المغرب إلى السلطان، أمير المؤمنين أبي عنان، واضطره الحال إلى الاستظهار بمثلهم، انتَشَلهم من النكبة، وجَبَرَهم بعد الصَّدْعة، وأعْلَق يد كبيرهم المترجم به بعُرْوة العزّة، واستعان بآرائه على افتراع الهضْبة، فألفى منه نقَّابًا قد هذَّبته التجربة، وأرْهَفته المحنة، وأخْلصته الصَّنيعة، فسلَّ منه سيفًا على أعدائه، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه، واستفزَّته قوة الثرّة، ولذّة التَّشفي، وذهب إلى أن يَكِل للسلطان ناكبه المجاراة صاعًا بصاع، فانتُدب إلى ضبط ما بالأندلس من عمالة راجعة إلى مَلِك المغرب، فانقلب يجرّ وراءه الجيش، ويجنِّب القوة، فقطع به عن أمله القاطع بالآمال، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعونًا لُطْفًا من الله به، وبمن اسْتَهْدف إلى النَّصب بمجادَّته. وهو سبحانه مليء بالمغفرة عن المُسْرفين، سبحانه.

وفاته: في الأُخريات من عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحُّو بن عبد الله ابن عبد الحق[١]

يكنى أبا الحسن.

حاله: هذا الرجل نسيج وَحْده في الفضل والتخلُّق، والوفاء، ونُصح الجيب، وسلامة الصدر، وحسن الخُلُق، راجح العقل، سَرِيُّ الهمَّة، جميل اللقاءِ، رفيع البِزَّة، كريم الخصال، يكتب ويُشعر، ويحفظ ويطالع غرائب الفنون، صادق الموقف، معروف البسالة، ملوكيُّ الصِّلات، غَزِلٌ، كثير الفكاهة، على تيَقُّور وحشمة، قدّمه السلطان شيخ الغَزاة بمدينة وادي آش، فلما وقعت به المحنة، ورَكِب الليل مُفلتًا إليها، اتَّفق لقاؤه إياه صباحًا على أميال منها، وجاءَ به، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها، فاستقرَّ بقصبتها وما كاد، وأخذ له صَفْقة أهلها، وشمَّر في الذبّ عنه تَشْميرًا نَبا فيه سَمْعُه عن المُصانعة، ودَهْيه عن الجُملة، وكفُّه عن قبول الأعواض، فلم يَلْف فيه العدوُّ مَغْمزًا، ولا المكيدة مَغْجمًا، ولا استأثر عنه بشيءٍ ممّا لديه، إلى أن كان انتقال السلطان عنها إلى المغرب، فتبعه مُشَيِّعًا إلى مَأمنه، فتركها غريبة في الوفاءِ، شاع خبرها وتُعوطي حديثُها، على حين نُكِر المعروف، وجُحِدت الحقوق، وأَخْوَتْ بروق الأمل. ثم قَلِق المتغلّب على الدولة بمكانه، فصرفه إلى العُدْوة الغربية، فاستقرَّت به الدار هنالك، في أوائل عام ثلاثة وستين أو أواخر العام قبله.

وخاطبته من مدينة سلا لمكان الوُدِّ الذي بيني وبينه بما نصُّه[٢]: [مخلع البسيط]

يـا جُـمـلةَ الـفَـضْـل والـوفـاءِ ... مـا بـمـعـالـيـك مِـنْ خَـفـاءِ
عـنـديَ بـالـودِّ فـيـك عَـقْـدٌ ... صَـحَّـفـه[٣] الـدَّهـرُ بـاكـتـفـاءِ
مـا كـنـتُ أقـضـي عـلاك[٤] حقًّـا ... لـو جـئـتُ مَـدْحًـا بـكـلِّ فـاءِ
فَـأَوْلِ وَجْـهَ الـقـبـولِ عُـذْري ... وجَـنِّـبِ[٥] الـشَّـكَّ فـي صـفـاءِ

(١) ترجمة ابن عبد الحق في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٤).
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٤).
(٣) في الأصل: «صحّحه» والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «حلاكِ». (٥) في النفح: «وحَسْبُكَ الشَّكُّ».

سيدي[١]، الذي هو فَضْلُ[٢] جنسه، ومزيّة يومه على أمسه، فإن افتخر الدين من الله[٣] بِبَدْره افتُخر منه بشمْسه، رحلتُ عن[٤] المَنْشإ والقرارة[٥]، ومحلِّ الصَّبوة والغَرارة[٦]، فلم تتعلّق نفسي بذخيرة، ولا عهد جِيرة[٧] خِيرة، كتعلُّقها بتلك الذات التي لَطُفت لطافة الرّاح، واشتَملت بالمجد الصُّراح، شفقةً أن تُصيبها مَعَرَّة[٨] والله تعالى[٩] يَقيها، ويَحفظها ويُبقيها، إذ الفضائل في الأزمان الرَّذلة غوائل[١٠]، والضِّدّ منحرف بالطبع ومائل. فلمّا تعرَّفتُ خلاصَ سيدي من ذلك الوطن، وإلقاءه[١١] وراءَ الفُرْضة بالعَطَن، لم تبق لي تَعِلَّة[١٢]، ولا أَجْرَضَتني[١٣] علّة، ولا أوتي جمعي من قلّة، فكتبتُ أُهنىءُ نفسي الثانية بعد هناءِ نفسي الأُولى، وأعترف للزمن[١٤] باليد الطولى. فالحمد لله الذي جمع الشَّمْل بعد شَتاته، وأحْيا الأُنْس بعد مماته، سبحانه لا مُبَدِّل لكلماته. وإياه أسأل أن يجعل العِصْمة حظَّ سيدي ونصيبَه، فلا يستطيع حادث أن يُصيبه، وأنا أَحْدِج[١٥] عن بثٍّ كمين، ونصح أنابه قَمِين، بعد أن أسْبُرَ غَوْره، وأخْبُرَ طَوْره، وأرْصُد دوره، فإن كان له في التَّشْريق[١٦] أمل، وفي رَكْب الحجاز ناقة وجَمل، والرأي فيه قد نجحت منه نيّة وعمل، فقد غَنِيَ عن عَوْفِ[١٧] والبقرات، بأزكى الثمرات، وأطفأ هذه الجَمَرات، برمي الجَمَرات، وتأنّس بوصل السُّرى ووصال السُّراة، وأناله[١٨] إن رَضي أرْضى مُرافق، ولو أُغْري[١٩] به خافق. وإن كان على السُّكون بناؤه، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه، فأمرٌ له ما بعده، والله يحفظ من الغِيَر[٢٠] سعْدَه. والحقّ أن تُحْذَف الأبهة وتُخْتصر، ويحفظُ[٢١] اللسان

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦).

(٢) في النفح: «فَضْلُ»، بالصاد المهملة. (٣) في النفح: «من أبيك».

(٤) في النفح: «على».

(٥) القرارة: موضع الاستقرار. لسان العرب (قرر).

(٦) في النفح: «والفَرارة». (٧) في النفح: «جيرة».

(٨) المَعَرّة: الإثم والخطيئة. محيط المحيط (عرر).

(٩) كلمة «تعالى» غير واردة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(١٠) في الأصل: «غوامل» والتصويب من النفح. (١١) في الأصل: «وإلقاه»، والتصويب من النفح.

(١٢) التَّعِلّة: ما يُتَعَلّل به من طعام وغيره. محيط المحيط (علل).

(١٣) في النفح: «ولا أحرضتني له علّه». (١٤) في النفح: «للزمان».

(١٥) في النفح: «وأنا أخرج له عن...». (١٦) في الأصل: «التفريق» والتصويب من النفح.

(١٧) في النفح: «عرف البقرات». (١٨) في النفح: «وأنابه إن رضيني».

(١٩) في النفح: «ولواء عزي به...».

(٢٠) غِيَرُ الدَّهر: نوازله ومصائبه المغيرة. لسان العرب (غير).

(٢١) في الأصل: «وتحفّظ»، والتصويب من النفح.

ويغضّ[١] البَصَر، وينخرط في الغِمار، ويُخَلّي عن المِضْمار، ويجعل من المحظور مُداخلة من لا خَلاق له، ممّن لا يَقْبَل الله تعالى[٢] قوله ولا عمله، فلا يَكْتم سرًّا، ولا يتطرّق[٣] من الرُّجولة زُمَرًا[٤]، ورفض[٥] الصُّحبة زِمام السلامة، وترك النَّجاة علامة. وأمّا حالي فكما[٦] علمتم مُلازم كِنّ[٧]، ومبهوظُ[٨] تَجربة وسِنّ، أُزْجي الأيام، وأرُومُ بعد التفرّق الالتئام، خالي اليد، مالىء[٩] القَلْب والخَلَد، بفضل الواحد الصَّمَد، عامل على الرِّحْلة الحجازية التي أختارُها لكم ولنفسي، وآمل في التماس الإعانة عليها يومي بأمْسِي، أوجبُ ما قرّرته لكم ما أنتم أعلم به من وُدّ قَرَّرَتْهُ الأيام والشهور، والخلوصُ المشهور، وما أطَلْتُ في شيءٍ عند قدومي على هذا الباب الكريم إطالتي فيما يختصّ بكم من موالاته، وبذل مجهود القول والعمل في مَرْضاته. وأما ذكركم في هذه الأوضاع، فهو مِمّا يُقِرُّ عين المَجادة، والوظيفة التي تنافس[١٠] فيها أُولو السيادة، والله يَصِلُ بقاءَكم، ويُيَسِّر لقاءَكم، والسلام.

وهذا الفاضل ممن جال فيه لاخْتِيار الإمارة أيام مُقامه بالعُدْوة الغربية؛ لذِياع فضله، وكرم خِلاله. وقَفَل إلى الأندلس عند رجوع الدولة، فجنَى ثمرة ما أسلفه، وقُدِّم شيخ الغَزاة بمالقة، ثم نُقل إلى التي لا فوقها من تقديمه شيخ الغَزاة بحضرته منّة لا على ميادين حُظوته، مُقْطعًا جانب تَجِلّته، فبَلي الناس على عهد ولايته الفتوح الهنِيَّة، والنِّعم السَّنية. ولما قفل السلطان، أيّده الله، من فتح قاعدة جيَّان، أصابه مرض، تُوفي منه في ثالث صفر من عام تسعة وستين وسبعمائة، فتأثّر الناس لفَقْده، لما بَلَوْه من يُمْن طائره، وحُسْن موارده ومصادره. وكان قد صدر له المنشور الكريم، من إملائي، بما ينظر في اسم المؤلف، في آخر هذا الديوان.

(١) في الأصل: «وبغيض» والتصويب من النفح.
(٢) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٣) في النفح: «يتطوق». (٤) في النفح: «زرّا».
(٥) في النفح: «ويرفض زمام السلامة، وترك العلامة على النجاة علامة».
(٦) في الأصل: «فما» والتصويب من النفح.
(٧) الكِنّ: المخبأ، وقوله: ملازم كنّ: يريد أنه ملازم بيت.
(٨) في النفح: «ومهبط». (٩) في النفح: «مليء».
(١٠) في النفح: «ينافس».

علي بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مسعود المحاربي(١)

الوزير، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من أعيان أهل الحضرة، وذوي الهيئات والنباهة من بيوتاتها، أيّدا، حسن الشكل، جهير الصوت، فصيح اللسان ثرثاره، جيد الخطّ، حُلْو الدُّعابة، طيّب النفس، لبِقًا، ذكيًّا، أديبًا، فاضلًا، لوْذعِيًّا، مُدْركًا. وَزَرَ للسلطان أبي الوليد، نَزع إليه لمّا دعا إلى نفسه بمالقة من إيالة مخلوعه بعد اصْطِناعه، وصَرَف وُجْهته إلى جِهته، فتغلَّب على هواه، وأشركه في الوزارة، مع القائد الوزير أبي عبد الله بن أبي الفتح الفِهْري، وقد مَرَّ ذِكْرُه، فأبرَّ عليه بمزيد المعرفة بالأُمور الاشْتِغالية وجِماح عِنان اللسان والجرأَة في أبواب المُداخلات الوزارية، فلم يزل يضمُّ أذيال الخُطَّة ويقلِّصُها عن قَسيمه إلى أن لم يبق له منها إلّا الاسم إلى حين وفاته.

وفاته: واستمرّت حاله على رَسْمه من القيام بالوزارة إلى أن فَتَك بسلطانه قرابته بباب داره كما تقدّم في اسم السلطان أبي الوليد في حرف الألف، فكرَّ أدراجه وهاج بالباطشين، وسلَّ سيفه يدافع عنه، فمالت إليه الأيدي، وانصرفت إليه الوجوه، وأُصيب بجراحات مُثْخنة، أتى عليه منها جُرْح دِماغي لأيام، وعلى ذلك فلم يبرح من سدَّة السلطان، حتى تعجَّل ثأْره، وشمل السَّيف قَتَلته، وأخذ البيعة لولده. وكانت وفاته في السابع والعشرين لشعبان من عام خمسة وعشرين وسبعمائة. ودفن بباب إلبيرة. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، والثناءُ عليه كثيرًا، والرحمة له مُسْتَفيضة.

ورثاه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله بقوله: [الطويل]

أيا زَفْرتي، زيدي ويا عَبْرتي جودي ... على فاضل الدُّنيا على ابن(٢) مسعودِ
على الشامخ الأبيات في المَجْد والعلا ... على السَّابق الغايات في البأس والجودِ
على غُرَّة العصر التي جَمَعَتْ إلى ... مهابةِ مَرْغوبٍ طلاقةَ مَوْدودِ
على مَنْ له في الملك غيرُ مُنازَع ... وَزارة مَيْمُون النَّقِيبة محمودِ
على مَن إذا عُدَّ الكرام فإنه ... بواجبِ حقِّ الفضلِ أوَّلُ معدودِ

---

(١) ترجمة علي بن مسعود المحاربي في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٦).
(٢) جعلنا همزة الوصل همزة قطع لكي لا ينكسر الوزن.

ومن كعَليٍّ ذي الشجاعة والرِّضا   لإضراخ مَذعورٍ وإيواءِ مَطْرود؟
ومن كَعليٍّ ذي السَّماحة والنَّدى   لإسباغ إنعام وإنجاز موعودِ؟
ومن كعليٍّ للوزارةِ قائمًا   عليها بتَضويبِ عليها وتَصْعيدِ؟
ومن كعليٍّ للإدارةِ سالكًا   لها نَهْجَ تَلْيين مَشوبِ بتَشْديدِ؟
ومن كعليٍّ للسياسة مُنفِذًا   أوامرَ تَنفيذ وأحكام تَوْطيدِ
ومن كعليٍّ في رضا الله حاكمًا   بإنجاد مَعْدوم وإعدام مَوْجودِ
ومن كعليٍّ واصِلِ الرَّحِمِ التي   تَمُتُّ بتقريب له أو بتبْعِيد
ومُسْدي الأيادي البِيض بَدءًا وعودة   مُرَدَّدة تمحو دُجى الثَّوبِ للسُّوْدِ[1]
أيا كافيَ السلطان كلَّ عظِيمة   بآراءِ تَشديدِ وأعمال تمهيد
ويا حامي المُلْك المَشِيد بناؤه   بصولةِ مَحْذورٍ وغُرَّة مقصود
ويا كافل الأيتام يَجْري عليهمُ   جرايةَ نُعْمى بابُها غير مَسْدود
ذكَرْتُك في نادي الوزارة صادعا   بأمرٍ مُطاعٍ حُكْمُه غير مردود
ذكرْتُك في صدر الكَتِيبة قائمًا   بخِدْمة مَوْلًى بعد طاعةِ مَعْبُود
ذكرْتُك في المحراب والليلُ دامِسٌ   تَرَدَّد آيَ الذِّكْر أطيَب ترديد
ودمْعُك مُرْفضٌ وقَلْبُك واجب   لخشيةِ يوم بين عينيك مشهود
عَفاءٌ[2] على الدنيا ولا دَرَّ دَرُّها   فما جَمْعُها إلَّا رهينٌ بتبديد
فمهما حَلَتْ منها لديك مَسَرَّةٌ   ففي إثْرها فارقُبْ مرارة تَنكيد
ألهفًا على الوجه الجميل مُعطَّرا   بدار البِلى رَهين الأساوِد والدُّود
وعهدي به مُستَبْشرًا ومُبَشِّرًا   بتفريجِ مَكْرُوبِ وراحةِ مجهود
لأظْلَمَتِ الدنيا عليَّ لفَقْدِه   فها أنا أرْعاها بمُقْلةِ مَرْصود
وقلَّص من ظلِّ الرَّجاء[3] فراقه   فظلَّ رجائي بعده غير مَمْدود
وكم سَبَحَتْ فُلْكُ المُنى في بِحارها   مواخِر فاليوم اسْتَوت بي على الجود
وهوَّن عندي كلَّ خطب مصابُه   فَبَعْد عليٍّ لست أبكي لمفقود
ولا أدَّعي أني وَفَيْتُ بعهده   فلم أرْعَ عهدًا حين أوْدى ولم أوْد
فلا يَشْمتِ[4] الأعداءُ إنْ حانَ حيْنُهُ   فما بالرَّدى عارٌ فكل امرئٍ مود

(١) في الأصل: «السود» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «عفًا»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «الرجا»، وكذا ينكسر الوزن.   (٤) في الأصل: «يشمتنّ»، وكذا ينكسر الوزن.

ولا سيما إذ[١] مات ميتةَ عزَّةٍ بعيدًا شهيدًا ماضيًا غير رعديدِ
وَفِيًّا لمولاه مُطِيعًا لربِّه وقد بَطَلَت ذُعْرًا رِقاب الصَّناديد
فبشرى له أنْ فاز حَيًّا ومَيِّتًا بمِيْتَة مفقود وعِيشة محسود
عليه سلام اللهِ ما ذَرَّ شارقٌ وما صَدَعَتْ وزقاءُ في فرع أُمْلُود
وجادتْ ثَرَى اللَّحْد الزَّكي سحائب مجدِّدة الرَّحمى بأحسن تجديد

علي بن لب بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي

غرناطي، قلعي[٢].

حاله: كان ظريفًا، مليح الخطِّ، حارّ التَّنديد، عينًا من عيون القُطر ووزرائه.

شعره: حدَّث أبو الحسن بن سعيد، قال: تمشينا معًا أيام استيلاءِ النهب والتهدم على معظم ديار مرَّاكُش بالفتنة المتصلة، قال: فانتهينا إلى قصر من قصور أحد كبرائهم، وقد سجدت حيطانه، وتداعت أركانه، وبقايا النُّهب والأصْبِغة والمُقَرْبسات تثير الكمد، ولا تُبْقي جَلَدًا لأحد، فوجدنا على بعضها مكتوبًا بفَحْم: [الكامل]

ولقد مَرَرْتُ على رسوم ديارهمْ فبكيْتُها والرَّبْعُ قاعٌ صَفْصَفُ
وذكرْتُ مَجْرى الجَوْر في عَرَصاتهمْ فعلمْتُ أنَّ الدهر منهمْ مُنْصفُ

فتناول أبو الحسن بياضًا من بقيَّة جِيار، وكتب تحتها ما نصُّه: [الكامل]

لهفي عليهمْ بَعْدَهمْ فمثالُهُمْ باللهِ قُلْ لي في الورى هل يُخْلَفُ؟
من ذا يجيب مناديًا لوسيلة أم من يُجير من الزمان ويَعْطِفُ؟
إن جار فيهمْ واحدٌ من جُملة كم كان فيهمْ من كريمٍ يَنْصِفُ

وفاته: توفي بمراكش سنة سبع وعشرين وستمائة.

---

(١) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) أي إنه ينسب إلى القلعة الملكية Alcalá la Real، وتعرف هذه القلعة أيضًا بقلعة يَحصِب، أو قلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

علي بن يوسف بن محمد بن كماشة[١]

القائد والوزير بين القَتادة والخَرْط، يكنى أبا الحسن.

أوليته: كان جَدُّه من المُنْتَزين ببعض حصون الأندلس، طَلْياطة[٢]، وخدم طاغية الروم ببعضها، وانخرط في جُملته، يشهد بذلك مكتوبات تلقّاها بشماله ووراءَ ظهره، صانها حافِدُه المترجم به في خِرقة من السَّرَق لا يزال يعرضها في سبيل الفخر على مَن يصل إلى باب السلطان من رسل الرُّوم. ولقد عرضها أيام سفارته إلى ملك قشتالة على وزيره شمويل اللبي اليهودي، وطلب تجديدها، فقال له: هذا يتضمن خدمة جدِّك للسلطان مولاي جدِّ مولاي السلطان بجملة من بلاد المسلمين، وفيها الشُّكْرُ له والرِّعاية على ذلك، فاذهبْ أنت هذا المذهب الذي ذهبه جدُّك، يتجدَّد لك ذلك إن شاء الله، فلمّا هلك وَوُرِي بين مدافن الروم، بعد أن عُلِّق زمانًا من سور الحصن في وعاءٍ، توفيةً لشرط لا أُحقِّقُه الآن. ولحق ولده بباب السلطان، فتفيَّأوا ظلّ كفالته، ونشأوا في عداد صِبْيته. ولمّا صلحوا للاستعمال، استخدم منهم عليًا كبيرهم في العمل، فاستظهر به على حفزه بحمى ألمرية وما إليها، فأثرى ورآه استغنى، وطالت مدَّة ولايته، واستعمل أخاه يوسف والد المترجم به، في القيادة، وكان رجلًا مضعوفًا، فاستمرّت حاله إلى أن فقد بصره، جنَى عليه شؤم ولده الجلا شيخًا زَمِنًا. ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بها، حسبما يذكر في اسميهما. وكانوا يتبجَّحون بنسبه إلى مَعْن بن زائدة؛ طَوَّق جدَّهم بتلك النسبة، بعضُ أولي التَّنفق والكُذْبة، فتعلَّلوا منها بنسيج العناكب، وأكْذَبوها بالخُلُق الممقوت، والبُخل بفُتات القوت، والتعبُّد لعَبَدة الطَّاغوت ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣].

حاله: هذا الرجل حسن الشكل، كثير الهشَّة، جيِّد الرِّياش، كثير التعلُّق والتَّوسل، لَصِقَت بشجرات الدول صَمْغته، وثَبَت بأسبابها قُراده، شديد الملاطفة لحَجَبة الأبواب، والمداخلة لأذيال الأُمراءِ، مُتَصامم على أغراضهم، مُكذِّب لمحسُوس جَفْوتهم، مُتَنفِّق بالسِّعاية، مُتَبذِّل في أسواق الخدمة، يسبق في الطيالس، ويلفظ الزِّبير، ويصرخ بالإطراءِ، ويولول بالدعاءِ، مدلٌّ في الأخونة، محكم في نفسه

---

(١) لابن كماشة ترجمة في كتاب العبر (م ٧ ص ٤٤٩) واللمحة البدرية (ص ١٢٦) وفيه أنه كان وزير الغني بالله، ثامن سلاطين بني نصر بغرناطة.

(٢) في الأصل: «طلياطيه»، والتصويب من الروض المعطار (ص ٣٩٥). وطلياطة بالإسبانية Tejada، وهي بلدة تبعد عن إشبيلية عشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ٣٩٥).

(٣) سورة الحُجرات ٤٩، الآية ١٣.

للنّادرة التي تضحكهم، بذي مهذار، قليل التصَنُّع، بعيد عن التّسمت، أطمع خلق الله وأبخلهم بما لديه، وأبعدُهم في مهاوي الخسَّة. أما فَلسُه، فمخزون، وأمّا خوانه، فمحجوب، وأمّا زاده، فممنوع محجور، وأمّا رِفده، فمعدوم العين والأثر. وأمّا ثوبه، فحبيس التّخت إلى يوم القيامة، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه، ونفاضة مخاليه، وسور دوابه مؤنة ما. فالنُّخالة بينة المصرف، وللسرجين معين الجهة، وفتات المنديل موقفة على فطور الغد، ودهن الاستصباح جارٍ في التَّجلة والادخار مجرى دهن البَلَسان.

أخباره: في هذا الباب مُغْرِبةٌ، ولزمت كَعْبة المَنْحسَة، وعَلِق في عنقه طائر الشُّؤم، فلم تنجح له وُجْهة، ولا سَعِدت له حركة، واستقرَّ عند الكائنة على الدولة، بباب السلطان بالمغرب، خاطبًا في حَبْل الغادر، المُتوثّب على المُلْك، ومُعينًا للدهر على الأحَبِّ الحقّ ووليِّ النِّعمة. ثم بدا له في المقام بالمغرب أمنًا واضطرابًا. ولمّا رحل السلطان أبو عبد الله بن نصر[١] المذكور إلى طلب حقِه، وقد أعْتَبه، سدَّد به رسم الوزارة في طريقه، كما اضطرّ صيادٌ إلى صُحبة كَلْبٍ مُخابت آماله، ولحقت به المَشْأمة، وتَبِر الجدُّ، واشتهر ذلك، فعَلِقت به الشَّفقة، إلى أن خاطب السلطان بعض من يهمُّه أمره بهذه الأبيات: [الطويل]

كُماشَكمُ من أجله انكَمشَ السَّعْدُ إذا ما اطَّرَحْتُمْ شُؤمه نَجِزَ الوَعْدُ
ومن لم تكن للسَّعْد في بَدْءِ أمْره مَخِيلةُ نَجْحٍ، كيف تُرْجى له بَعْدُ؟
وتصريفُه المشؤومُ فلتتذكَّروا وما قلت إلّا بالتي عَلِمَتْ سَعْدُ

واقتضى أمره تبرُّمًا به أن صُرف من رُندة، وقد استقرَّ أمره بها رسولًا إلى باب ملك المغرب؛ لأُمور منها استخلاص ولده وإيصاله إليه، فتعذَّر القَصْد، وسُدَّت الأبواب، وأزِفَت بدار المغرب عهدٌ بذِّ الآزفة، وتراخى مُخَنِّق مُرسله لخلو دَسْته منه، فثاب الرَّجاءُ وقَرُب الفتح، وساعد السَّعد بما طال منه التَّعجب. ولمّا بلغ خبرُ صُنع الله، وإفاقة الأيام، وجَبَر الله السلطان بدخول مالقة في طاعته، لحق به، وقد قَلِقت به الجوانب، وتنكَّرت الوجوه، وساءَت لطَيْرته الظُّنون، فتوفَّر العزم على صرْفه عن الأندلس في أوليات رمضان عام ثلاثة وستين وسبعمائة، فقُبض عليه، وصُرف إلى البلاد الشرقية، وقد شرع في إغراءِ سلطان قشتالة بالمسلمين، وكان آخر العهد به،

(١) هو سلطان غرناطة الغني بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري؛ حكم غرناطة من سنة ٧٥٥ هـ إلى سنة ٧٩٣ هـ على مرحلتين. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة وفي اللمحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).

وذكروا أنه حجّ وقَفَل والعودة تتبعه، والنفوس لمتوقَّع شُؤمِه مُكْرِهة. ورُجي أن يكون ماءُ زمزم وضوء النقع، أو أنَّ مشاهدته الآثار الكريمة تُصلح ما فَسَد من حاله، فآب شرَّ إياب، وربما نَبَض له شِريان من جدِّه الذي تقدم في خدمة النصارى ذكره، فأجاز البحر إلى ملك برجلونة، فجعل تقبيل كفِّه لاستلام الحجر الأسود وسيلة ثانية وقُرْبة مُزْلفة، والقول بفضل وطنه حجَّة صادقة، ثم قَلِق لخَيْبة قصده، وخلُوّ يده من الزَّقُوم الذي كان قد احْتَجنه للمُهِمّ من أمره، واستيلاءِ النَّحْس على بيت سَعْده، فصرف وجهه المشؤوم إلى المغرب، فاحتلّ به، وجعل يُطوق كل مَن أسلف له بِداء الذَّام، ويَشيع عنه سوءَ القِيلة، ويَجْهر في المجتمعات والدَّكاكين بكل شَنيع من القول، بالغًا في ألفاظ السُّغيلة أقصى مبالغ الفُحْش، لطف الله بنا أجمعين.

عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو[1]

من قَبيل بني مرين، يكنى أبا سعيد، شيخ الغُزاة بجزيرة الأندلس على عهده.

أوليتهم: جَدُّ هؤلاءِ الأقْيال الكِرام، الذي يشترك فيه الملوك الغرُّ من بني مرين بالعُدْوة، مع هؤُلاءِ القَرَابة، المُنْتَبين عنهم أضرار التُّراث، ودواعي المنافسات، عبد[2] الحق بن مَحْيُو. وكان له من الولد إدريس وعثمان وعبد الله ومحمد وأبو يحيىٰ ويعقوب، فكان الملوك بالمغرب من ولد يعقوب، وهؤلاءِ من ولد عبد الله وإدريس ويعقوب ورحُو. ولمّا قتل جدُّهم يعقوب بيد ابن عمّه عبد الحق بن يعقوب، أجْفَل أخواه ومَن معهم، وانْتَبَذُوا، واستقرُّوا بتلمسان، بعد أمور يطول شرحها. ثم اجتاز الشيخ أبو سعيد في جُملة مَن اجْتاز منهم إلى الأندلس، فنال بها العِزَّة والشُّهرة.

حاله: كان رجل وقته جلالةً وأصالةً، ودهاءً وشهرة وبَسالةً، مَرْمى لاختيار عَتاقة وفراهة، واحِدُ الزَّمن أبَّهة ورُواءً، وخُلُقًا ورجاحةً، أيِّدا، عظيم الكَراديس، طَوالًا، عريض المَنْكِب، أقْنى الأنف، تقع العين منه على أسَدٍ عيصٍ، وفحل هَجْمة، بعيد الصيت، ذائع الشهرة، مُنجب الولد، يحمي السَّرح، ويُزين الدَّست. لحق بتِلمسان مع زوج أمِّه وعمِّه، موسى بن رحُو، عندما فرّوا من الجبل بأحواز وزغَة، شابًا كما اجتمع، وأجاز البحر منها، وخدم مُرْتَزِقًا بها. ثم عاد إلى العُدْوة برِضًا من

---

(١) ترجمة عثمان بن إدريس في كتاب العبر (م ٧ ص ٤٧١، ٤٩١، ٥٤٨) ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٢٩).

(٢) أخبار عبد الحق بن محيو في كتاب العبر (م ٧ ص ٧٦٧).

عمه السلطان بها. ثم فرَّ عنه ولحق بالأندلس، واستقرّ بها، ووُلّي خُطّة الشِّياخة العامة، وهي ما هي، من سمُوّ الهَضْبة، وورُود الرِّزق، وانفساح الإقطاع، فشارك، وتبنَّك النَّعيم، وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سَبْتة، عند انتظامها في الإيالة النَّصرية، فشنَّ الغارة، ودعا إلى نفسه، وخلا فطلب النِّزال، فغَلَبَت غارته أحواز وادي سبُو. ثم رجع أدراجه إلى الأندلس، وذَمَّر السلطان أبا الوليد، مُنفق حُظوته على طلب الملك، ففازت به قِداحه، واستولى على الجمّ من ريق دنياه، وسلَّ الكثير من ماله وذخيرته في أبواب من العبادة، والاسْتِرضاءِ والاسْتِهداءِ. ولمّا توفي، تضاعف لُطْف محلّه من ولده، إلى أن ساء ما بينه وبين مدبِّر أمره ابن المحروق، ونَفَر عنه، مُؤاخذًا بأُلْقيات كانت سُلّما إلى تجنّيه، يَحْسَب أن الافتِقار إليه يُعَبِّد له كل وَعْث، فاغتنم المذكور نُفْرته، واستبصر في الانتِباذ عنه، مطيعًا دواعي الخَوَر والرَّهبة، من شؤوب حاله. وأجلى الأمير عن رحيله وولده إلى ساحل ألمريَّة، مُوادعًا، مُزمِعًا الرحيل عن الأندلس. وارتاد الجهات، وراسل الملوك بالعدوة، فكلٌّ صمَّ عن ندائه، وسُدَّ السبيل إليه، فداخل قومًا من مشْيَخة حصن أنْدَرَش حاضرة وطن الجباية، فاستولى عليه، وانتقل إليه بجُملته، وراسل الطَّاغية، فتحرّك إلى منازلة حصن وَبْرة من الحصون التاكرونيَّة، ففازت به قِداحه، واستُدعي عمّ السلطان، وهو الرئيس أبو عبد الله بن فرج بن نصر، من تلمسان، فدعا إليه، وشَمَلت الفِتنة، وكانت بينه وبين جيش الحَضْرة وقائع تناصَف فيها القوم خِطَّتي المُساجلة إلى أن نَفِد صبره وماله، وسَمَت فتنته الدولة، واقْتَضت مُسالمته المصلحة، فعُوهد على التخلّي عن الحصن، وصُرف أميره إلى مُتَبَوّئه الأقصى، وانتقاله إلى مدينة وادي آش؛ ليكون سكنه بها تحت جرايات مُقدَّرة، وذلك في شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعمائة، وعلى تفيئة ذلك، عدا على مناوءة أميره، ففَتَك به، واستَقْدم الشيخ أبا سعيد فأعاده إلى محلّه، واستمرّت على ذلك حياته إلى مدة حياته، إلى أن توفي في أُخريات أيامه.

وفاته: ولمّا نزل العدوُّ ثغر أطيبة، ونهض جيش المسلمين إلى مضايقته، أصابه المرض. ولمّا أشفى[١] نقل[٢] إلى مالقة، فكانت بها وفاته يوم الأحد ثاني ذي حجة من عام ثلاثين وسبعمائة عن سنّ عاليه تنيف على الثمانين سنة، ونُقل إلى غرناطة، فووري بها، وبُنيت عليه بُنْية ضخمة، وصار أمره إلى ولده. ونقش على قبره في الرخام:

---

(١) أشفى: أي أشفى على الموت. (٢) في الأصول: «ونقل».

«هذا[١] قبر شيخ الحُماة، وصدر الأبطال الكُماة، واحِدُ الجلالة، لَيْثُ الإقدام والبَسالة، عَلَم الأعلام، حامي ذِمار الإسلام، صاحب الكتائب المَنْصورة، والأفعال المشهورة، والمغازي المَسْطُورة، وإمام الصفوف، القائم بباب «الجنَّة تحت ظِلال السيوف»، سيف الجهاد، وقاصم الأعاد، وأسد الآساد، العالي الهِمَم، الثابت القَدَم، الإمام[٢] المجاهد الأرْضَى، البطل الباسل الأمْضَى، المقدَّم[٣]، المرحوم، أبي سعيد عثمان، ابن الشيخ الجليل، الإمام[٤] الكبير، الأصيل الشهير، المُقدَّس، المرحوم أبي العلاءِ إدريس بن عبد الله بن عبد الحق. كان عمره ثمانيًا وسبعين[٥] سنة، أنْفَقه ما بين رَوْحة في سبيل الله، وغَدْوة، حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غَزْوة، وقطع عُمره جاهدًا مُجاهدًا[٦] في طاعة الرَّب، مُحْتَسبًا في إدارة الحرب، ماضي العزائم في جهاد الكفار، مُصادمًا [بين جموعهم][٧] من تدفُّق التيار، وصَنع الله له فيهم من الصَّنائع الكبار، ما صار[٨] ذكره في الأقطار، أشهر من المثل السَّيَّار، حتى توفي، رحمه الله، وغُبار الجهاد طيُّ أثوابه، وهو مراقبٌ لطاغية الكفار وأحزابه، فمات على ما عاش عليه، وفي مَلْحمة الجهاد قَبَضه الله إليه، واسْتَأْثر به سعيدًا مُرْتضَى، وسيفه على رأس ملك الروم مُنْتَضى، مقدَّمةَ قَبُول وإسعاد، ونتيجة جهاد وجلاد، ودليلًا عن نيَّته الصالحة، وتجارته الرابحة، فارتجَّت الأندلس لفَقْدِه[٩]، أتْحَفه الله رحمةً من عنده، توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعمائة».

القضاة الأصليون

عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيىٰ الغساني[١٠]

غرناطي، يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفرَّاء، ويعرف عقبُه ببني الوادي آشي، وقد مرَّ ذكر ولده أبي الفرج، ويُنْبَز بقرنيَّات.

حاله: حدّثني أبي، رضي الله عنه، وكان صديقًا لأبيه، أنَّه كان من أهل الجلالة والفضل، حسن السَّمت، عظيم الوقار، جميل الرُّواءِ، فاضلًا، حسن العشرة.

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ١ ص ٤٣١ ـ ٤٣٢).
(٢) في النفح: «الهَمّام».
(٣) في المصدر نفسه: «المقدّسي».
(٤) في المصدر نفسه: «الهمام».
(٥) في النفح: «وثمانين».
(٦) في النفح: «مجتهدًا».
(٧) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفح.
(٨) في النفح: «سار».
(٩) في النفح: «لبعده».
(١٠) ترجمة عتيق بن أحمد الغساني في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١١٦).

وقال القاضي ابن عبد الملك[١]: كان جامعًا لفنون من المعارف، معروف الفضل[٢] في كل ما يُتناول[٣] من الأمور العلمية، وقيَّد كثيرًا، وعُني بالعلم العناية التامة، واستُقْضي بالمنكِّب، وعُرف في[٤] ذلك بالعدالة والنَّزاهة.

تواليفه: صنّف[٥] «نُزهة الأبصار، في نَسَب الأنصار»، و«نَظْم الحُليّ، في أرجُوزة أبي عليّ»، يعني ابن سينا[٦].

شعره: قال: ومما نظمته ووجَّهته به صُحبة رسالتين: [الكامل]

يا راكبًا يَبْغي الجناب الأشْرفا ... ومُناه أن يَلْقى الكريمَ المُسْعِفا
عَرِّجْ بطيبةَ مرّةً لترى بها ... عِلْمَيْ قبولٍ رحمةً وتعطُّفا
وإذا حَلَلْتَ بها فقَبِّلْ تُرْبَها ... وارغبْ جلالهمُ عسى أن يُسْعفا
وأسِلْ دموعَك رغبةً وتضرُّعًا ... وأطِلْ بها عند التضرُّع مَوْقفا
واذكرْ ذنوبَكَ واعترفْ بعظيمها ... فعسى الذي ترجو له أن يَعْطِفا
واجعلْ شَفِيعَكَ إن قَصَدْتَ عنايةً ... قَبْرًا تقدَّس تُرْبةً وتشرَّفا
قَبْرٌ تضمَّنَ نورَ هَدْيٍ واضحًا ... لم يَحْتَجبْ عن مُبْصريه ولا اخْتَفى
قَبْرٌ حوى النُّور المبين ونُوْرُهُ ... يَهْدي به سُبُلَ السَّلام من اقْتَفى
قَبْرٌ به للهاشميّ[٧] محمدٍ ... أبهى الأنام سَنًا وأوفى من وفى
خَيْرُ الورى عَلَمُ التُّقى شمس الهدى ... للمُنتَقى[٨] والمجتبى والمُصطفى
سَلِّمْ عليه وخُصَّه بتحيّة ... واقرأ عليه من السلام مُضاعفا
واذكرْ، هُدِيتَ، أخا البطالة، عمره ... هيهات[٩] كم نَقَضَ العهود وأخْلفا!
ولكم تَيقَّنَ بالدليل فما له ... رَكِبَ العنادَ لجاجةً وتعسُّفا؟
وعصى فأَسْلَمَ للقطيعة والجوى ... حقٌّ على من خان أو لا يعْرفا
هل للعفو تنفَّح نحوه[١٠] ... يومًا فيَضْحى بالرِّضا مُتعرِّفا؟

---

(١) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١١٧). (٢) في الذيل والتكملة: «النبل».
(٣) في الأصل: «يُناول» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) قوله: «في ذلك» ساقط في الذيل والتكملة. (٥) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١١٧).
(٦) في الذيل والتكملة: «يعني الطبية المنسوبة إلى ابن سينا».
(٧) في الأصل: «الهاشمي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٨) في الأصل: «المنتقى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٩) كلمة «هيهات» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(١٠) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

وأعِذْ حديثَ مَشُوقٍ قَلْبِ عنده ... من لم يَذُبْ شوقًا له ما أنْصَفا
أخْبره عن حبِّي وطول تَشوُّقي ... تَفْديكَ[(١)] نفسيَ مُخْبرًا ومُعَرِّفا
وتشكُ مَنْ جاءَ الإلـه[(٢)] فإنَّ لي ... نَفْسًا تُسوِّفني المتاب تسوُّفا

مولده: بغرناطة في ذي حجة خمس وثلاثين وستمائة.

وفاته: ذُكر أنه كان حيًّا سنة خمس وثمانين وستمائة[(٣)].

علي بن محمد بن توبة[(٤)]

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من العلماءِ الجِلَّة الفقهاءِ الفضلاءِ. وُلِّي قضاءَ غرناطة لباديس بن حَبُّوس، وعلى يديه كان عمل مِنْبر جامعها، وكان عمله في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة. وكان من قضاة العدل، وإليه تنسب قنطرة القاضي بغرناطة والمسجد المتصل بها في قِبلتها. وكان كاتِبُه الزاهدَ أبا إسحٰق الإلبيري، وفيه يقول: [الخفيف]

بعلي إبْنِ[(٥)] توبةٍ فازَ قِدْحي ... وسَمَتْ هِمَّتي على الجَوْزاءِ
فهنيًّا لنا وللدين قاضٍ ... مثله عالمٌ بفضل القضاءِ
يَخْسِم الأمْرَ بالسياسة والعَدْ ... لِ كحَسْم الحُسام للأدواءِ
لو أنا سَيَّرْناه قال اعترافا ... غَلِط الواصفون لي بالذكاءِ
لو رأى أحْنَفٌ وأكْبَر منه ... حِلْمُهُ ما انْتَمَوْا إلى الحُلَماءِ
أو رأى المُنْصِفون بَحْرَ نَداه ... جعلوا حاتمًا من البحر لاءِ
هو أوْفى من الشَّمُول وعَهْدًا[(٦)] ... ولما زال مُغْرمًا بالوفاءِ
وحَياء[(٧)] المُزْنِ وحَيّا أخاه ... أهْملَتْ كفّه بوَبْل العطاءِ

---

(١) في الأصل: «عطفة نفسي...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «عطفة».
(٢) في الأصل: «إليه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) لم يشر ابن عبد الملك إلى سنة وفاته.
(٤) ترجمة علي بن محمد بن توبة في الصلة (ص ٢٢٥) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٦١ ـ ١٦٢).
(٥) جعلنا همزة الوصل همزة قطع كي لا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «عهدًا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «وحيا»، وكذا ينكسر الوزن.

يشهد العالمون في كل فنّ أنّه[١] كالشهاب في العُلماءِ
وقُضاة الزمان أرضٌ لديهمْ وَهْوَ مِنْ فوقهمْ كمِثْل السَّماءِ
لتعرَّضْتُ مَدْحَهُ فكأنّي رُمْتُ بَحْرًا مُساجلا بالدِّلاءِ
فأنا مُعْجمٌ على أنَّ خَيْلي لا تجارى في حَلْبَة الشُّعراءِ
لكَساني مُحَبَّرًا ثوبَ فَخْرٍ طال حتى حَرَّرْتُهُ مِنْ ورائي
ولَوَ انْصَفْتُه[٢] وذاك قليل كان خدّي لِنَعْله كالحِذاءِ
فأنا عَبْدُه وذاك فَخاري وجَمالي بين الورى وبَهائي
وثنائي[٣] وَقْفٌ عليه وشُكْري ودُعائي له بطول البقاءِ

علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف بن الغريب بن يزيد بن الشمر ابن عبد شمس بن الغريب الهمداني[٤]

والغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليمانيين بالأندلس، يكنى أبا الحسن.

وَلِي غرناطة، وكان من أهل العلم والفهم، والمشاركة في الطِّب، والكفاية الجيدة، والشعر في ذِرْوة هَمْدان، وذوائبهما، حسن الخطّ، كريم النفس، جوادٌ بما يماري، عطاياه جَزْلة، ومواهبه سَنِيَّة، وخُلُقه سهلة، كثير البشاشة، مليح الدُّعابة، مُوطَّأ الأكْناف، على خُلُق الأشراف والسادة.

مشيخته: روى بألمرية عن القاضي أبي مجمد بن سمحون وبه تفقَّه، وقرأ الأدب على ابن بَقَنَّة، وعلى الإمام الأُستاذ أبي الحسن علي بن أحمد بن الباذش، وسمع الحديث على الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمٰن بن عطية وغيره.

(١) في الأصل: «أنه كان كالشهاب...»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا كلمة «كان».
(٢) جعلنا همزة القطع همزة وصل لئلّا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «وثناء».
(٤) ترجمة أبي الحسن علي بن عمر بن أضحى في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٢١١) وجاء فيه: «علي... بن أحمد بن أضحى»، وقلائد العقيان (ص ٢١٥) والمغرب (ج ٢ ص ١٠٨) ورايات المبرزين (ص ١٤٥) والتكملة (ج ٣ ص ١٩٢) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢٧٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٦) و(ج٥ ص ٣٠٢).

شعره: من شعره يخاطب الوزير ابن أُبَيّ[١] ويعتذر إليه، وكان الفقيه أبو جعفر المذكور قد خاطبه شافعًا في بعض الأعيان، فتلقى شفاعته بالقَبُول، ثم اعتقد أنه قد جاءَ مقصِّرًا، فكتب إليه[٢]: [الطويل]

ومُسْتَشْفِع عندي بخير الوَرى عندي وأولاهُمُ بالشُّكرِ منّي وبالحَمْدِ
وَصَلْتُ فلمّا لم أقُمْ بجزائه (لَفَفْتُ له رأسي حياءً من المَجْدِ)[٣]

وكتب يخاطب أبا نصر بن عبد الله، وقد كان أبو نصر خاطبه قبل ذلك[٤]: [الطويل]

أتَتْني أبا نَصْرٍ نتيجةُ خاطرٍ سريعٍ كَرَجْعِ الطَّرْفِ في الخَطَراتِ
فأعْرَبْتَ[٥] عن وَجْدٍ كَمينٍ طَوَيْتَه بأَهْيَفَ طاوٍ فاترِ اللَّحَظاتِ
غَزالٌ أحَمُّ المُقْلَتَين عَرَفْتَه بخَيْفِ[٦] مِنًى للحسن[٧] أو عَرَفاتِ
رَماكَ فأصْمَى[٨] والقُلوبُ رَمِيَّةٌ لكلِّ كحيلِ الطَّرْفِ ذي فَتَكاتِ
وظَنّ بأنَّ القَلْبَ مِنكَ مُحَصَّبٌ فَلَبّاكَ مِن جنابه[٩] بالجَمَراتِ
تَقَرَّبَ بالنُّسّاك في كلِّ مَنسِكٍ وضَحّى غَداةَ النَّحْر بالمُهَجاتِ
وكانت له جَيّانُ مَثْوًى فأصبحتْ ضُلُوعُكَ مَثْواهُ بكلِّ فَلاةِ[١٠]
يَعِزُّ علينا أن تَهِيمَ فَتَنْطَوي كئيبًا[١١] على الأشجان والزَّفَراتِ
فلو قُبِلَتْ للناس في الحبِّ فِدْيَةٌ فَدَيْناكَ بالأموالِ والبَشَراتِ

---

(١) في القلائد: ذو الوزارتين أبو جعفر بن أُبَيّ.
(٢) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢١٦) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣٠٢).
(٣) عجز هذا البيت عجز بيت لأبي تمام وهو في ديوانه (ص ١١٤):
أتاني مع الركبان ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ لَفَفْتُ له رأسي حياءً مِنَ المَجْدِ
(٤) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢١٦) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٧) و(ج ٥ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣).
(٥) في القلائد: «فأعرب».
(٦) في الأصل: «نُحَيْفُ» والتصويب من القلائد والنفح.
(٧) في القلائد والنفح: «للحَيْن».
(٨) أصمى الصَّيْدَ: رماه فقتله مكانه. لسان العرب (صما).
(٩) في القلائد والنفح: «من عينيه».
(١٠) في الأصل: «فلاتِ» بتاء طويلة، والتصويب من القلائد والنفح.
(١١) في الأصل: «كبيبًا» وقد صوبناه من القلائد والنفح.

وخاطب أحد أوليائه شافعًا في رجل طلّق امرأته، ثم عَلِقت بها نفسه، فلم تُسْعِفه، وكتب إليه[١]: [المتقارب]

ألا أيـهـا الـسَّـيِّـدُ الـمُـجْـتَـبـى ... ويـا أيـهـا الألْـمَـعِـيُّ الـعَـلَـمْ

أتَـتْـنـيَ أبـيـاتُـكَ الـمُـعْـجِـزاتُ[٢] ... بـمـا قـد حَـوَتْ مـن بـديـع الـحِـكَـمْ

ولـم أرَ مـن قَـبْـلـهـا بـابـلًا[٣] ... وقـد نَـفَـثَـتْ سـحـرهـا فـي الـكَـلِـمْ

ولـكـنـه الـدِّيـنُ لا يُـشْـتَـرى ... بـنـثـرٍ ولا بـنـظـامٍ نُـظِـمْ

وكـيـف أُبـيـحُ حِـمًـى مـانـعًـا ... وكـيـف أُحَـلِّـلُ مـا قـد حَـرُمْ

ألَـسْـتُ أخـافُ عـقـابَ الإلـه ... ونـارًا مـؤجَّـجـةً تـضـطـرمْ؟

أأَضْـرِفُـهـا طـالـقـةً[٤] بـتَّـةً ... على أَنْوَكٍ[٥] قد طَغى[٦] واجترمْ؟

ولو أنّ ذلك[٧] الغبيَّ الخَمُول[٨] ... تَـثَـبَّـتَ فـي أمـري[٩] مـا نَـدِمْ

ولـكـنـه طـاشَ مـسـتـعـجِـلًا ... فـكـان أحـقَّ الـورى بـالـنَّـدَمْ

ومن شعره أيضًا قوله رحمه الله: [الخفيف]

يا عليمًا بمُضْمراتِ القلوبِ ... أنـا عـبْـدٌ مُـثَـقَّـلٌ بـالـذنـوبِ

فاْغفُ عني وتُبْ عليَّ وفرِّجْ ... ما أنا فيه من أليم الكروبِ

حالما أشتكي سواك طبيب ... كيف أُشْجَى به وأنت طبيبي[١٠]؟

أنا ممن دعا قريبٌ مجيبٌ ... فأرِحْ ما بمهجتي عن قريبِ

تواليفه: قال أبو القاسم بن خلف الغافقي: حدّثني عنه الفقيه أبو خالد بن يزيد بن محمد وغيره بتواليف، منها كتاب «قُوت النفوس»، «وأُنْس الجَليس» وهو كتاب حسن، ضمن فيه كثيرًا من شمائل النبيّ عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) في النفح: «المحكماتُ». (٣) في النفح: «مثلها».

(٤) في النفح: «طالقًا».

(٥) حَرَّكها عنان بفتح الكاف؛ لأنها ممنوعة من الصرف، على وزن افعل، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «طَغَنِّي». وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، وقد صوبناه من النفح.

(٨) رواية صدر البيت في القلائد هي:

ولـو أن ذاك الـغـبـيّ الـجـهـول

وهكذا ينكسر الوزن. وروايته في النفح هي:

ولـو أن ذلـك الـغـويّ الـزريّ

(٩) في القلائد والنفح: «أمره». (١٠) في الأصل: «طبيب» بدون ياء.

وفاته: توفي بغرناطة في سنة أربعين وخمسمائة، وهو يحاصر الملثمين[١] بقصبة غرناطة حسبما ثبت في اسم ابن هود أحمد.

ومن الطارئين والغرباء

عثمان بن يحيىٰ بن محمد بن منظور القيسي[٢]

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو[٣]، ويعرف بابن مَنْظُور، الأُستاذ القاضي، من بيت بني منظور الإشبيليين، أحد بيوت الأندلس المعمور بالنباهة.

حاله: كان[٤]، رحمه الله، صَدْرًا في علماءِ بلده، أُستاذًا ممتعًا، من أهل النظر والاجتهاد[٥] والتحقيق، ثاقب الذهن، أصيل البحث، مضطلعًا بالمشكلات، مشاركًا[٦] في فنون، من فقه وعربية، برز فيهما، إلى أُصول وقراءات وطب ومنطق. قرأ كثيرًا، ثم تلاحق بالشادين[٧]، ثم غَبّر في وجوه السوابق. قرأ على الأُستاذ أبي[٨] عبد الله بن الفخار، ولازم الأُستاذ أبا محمد بن أبي[٩] السداد الباهلي، وتزوج ابنة[١٠] الفقيه أبي علي بن الحسن، فاستقرّت عنده كُتُب والدها، فاستعان بها على العلم والتبحُّر في المسائل. وقيّد بخطِّه الكثير، واجتهد، وصنّف، وأقرأ ببلده، متحرِّفًا[١١] بصناعة التوثيق، فعظُم به الانتفاع. وقعد للتدريس خلفًا للراوية أبي عثمان بن عيسى في شوال عام تسعة وسبعمائة. ووُلي القضاءَ ببلِّش[١٢] وقُمارش،

---

(١) الملثمون: هم المرابطون البربر الذين حكموا المغرب والأندلس معًا. وفي التكملة (ج ٣ ص ١٩٣): توفي ابن أضحى في رمضان سنة ٥٣٩ هـ، وولد في ربيع الأول سنة ٤٧٢ هـ. وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢٧١): توفي بعد رمضان ٥٣٩ هـ بأيام قلائل.

(٢) ترجمة ابن منظور في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٤) وبغية الوعاة (ص ٣٢٤) والكتيبة الكامنة (ص ١١٤). وجاء اسمه في المصدرين الأولين هكذا: «عثمان بن محمد بن يحيىٰ بن محمد بن منظور».

(٣) كنيته في تاريخ قضاة الأندلس وبغية الوعاة: أبو عمر.

(٤) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٤) وبغية الوعاة (ص ٣٢٤).

(٥) كلمة «والاجتهاد» ساقطة في تاريخ قضاة الأندلس.

(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «مشاركًا في الفقه والعربية، إلى أصول...». وفي بغية الوعاة: «برز في الفقه والعربية، إلى أصول...».

(٧) في تاريخ قضاة الأندلس: «بأصحابه».

(٨) في المصدر نفسه: «وقرأ على الأستاذ أبي بكر بن الفخار».

(٩) في بغية الوعاة: «محمد بن السواد».

(١٠) في تاريخ قضاة الأندلس: «وتزوج زينب ابنة...».

(١١) في تاريخ قضاة الأندلس: «محترفًا بضاعة...».

(١٢) في المصدر نفسه: «بآش ومُلْتماس، وقُمارش...». وفي بغية الوعاة: «ببلش ومالقة ومات=

ومُلْتماس، ثم ببلده مالقة. وتوفي(١) قاضيًا بها. لقيته وانتفعت بلقائه، وبلوتُ منه أحسن الناس خُلُقًا، وأعذَبُهم فكاهة.

شعره: وكان قليلًا ما يَصْدُر عنه، كتب على ظهر الكتاب الذي ألّفه للوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، مُقتديًا بغيره من الأعلام في زمانه(٢): [السريع]

قد جَمَعَ الحُكْمَ وفَصْلَ الخطابْ ... ما ضَمَّه مجموعُ هذا الكتابْ
مِنْ أدبٍ غضٍّ ومن عِلْيَةٍ ... تسابقوا للخَيْر في كلِّ بابْ
فجاءَ فذًّا في العُلى والنُّهى ... ومُنتقى صَفْوِ لُبابِ اللُّباب
ألّفه الحبرُ الجليلُ الذي ... حازَ العُلا إرثًا وكَسْبًا فطابْ

تواليفه: ألّف كتاب «اللُّمع الجَدَلية في كيفية التحدث في علم العربية». وله تقييد في الفرائض، حسن سمّاه، «بُغْية المباحث في معرفة مقدمات الموارث»، وآخر في المسح على الأنماق الأندلسي.

وفاته: توفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي حجة من عام خمسة وثلاثين وسبعمائة، ولم يَخْلِف بعده مثله.

علي بن أحمد بن الحسن المذحِجي

من أهل حصن ملتماس(٣)، وابن وزيره الفقيه الحافظ القاضي، يكنى أبا الحسن، ويعرف بجدِّه.

حاله: من أولي الأصالة والصِّيانة والتعفُّف، والعكوف على الخير، والآوين إلى طُعْمة مُتَوارثة، ونباهة قديمة، صنّاع اليد، مُتْقِن لكل ما يحاوله من تَسْعير ونِجارة، مبذول المودّة، مُطْعم للطعام بدار له معدّة للضِّيفان من فضلاءِ مَنْ تَطْوِيه الطريق، ويَغْشاه من أبناءِ السبيل. وُلي قضاءَ بلده في نحو عشرين سنة، فحمُدَت سيرته، ثم وُلي قضاءَ مالقة فظهرت دُرْبته ومعرفته بالأحكام، فأُعفي وعاد إلى ما كان بسبيله من القضاءِ بموضعه والخطابة.

= بها...».
(١) في تاريخ قضاة الأندلس: «وتوفي بها مصروفًا عن القضاء دون عقب...».
(٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١١٤).
(٣) كذا ورد اسم هذا الحصن في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٤).

مشيخته: قرأ على الشيخين الصالحين؛ أبي جعفر بن الزيات، وأبي عبد الله بن الكماد ببلده بلِّش، وأخذ عنهما.

تواليفه: له أجوبة حسنة في الفقه، وصنّف على كتاب البَراذعي تصنيفًا حسنًا بلغ فيه إلى آخر رِزمة البيوع ثلاثة عشر سفرًا، واستمرّت على ذلك حاله.

وفاته: توفي ببلده بلِّش في...[1] من عام ستة وأربعين وسبعمائة.

علي بن عبد الله بن الحسن الجُذامي النُّباهي المالقي[2]

صاحبُنا أبو الحسن.

أوليته: تنظر فيما تقدم من أهل بيته والمذكورين فيه من سَلَفه[3].

حاله: هذا الرجل، وُلِّي قضاءَ الحضرة، وخطابة جامع السلطان، وعَرَض له تقزُّز فيما يقف عليه من منتخب وصفه، وعدم رضًا بما يُجتهد فيه من تَحْليته، فوكلنا التعريف بخصائصه، إلى ما اشتهر من حميدها، تحرُّجًا مما يجرُّ عتْبه، أو يثير عدم رضاه.

مشيخته: ذَكر أنه أخذ عن الشيخ الخطيب أبي بكر الطَّنجالي، قريب أبيه، والناظر عليه بعده بوصاته. وكان من أهل الدِّراية والرواية، وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني، شُهر بابن حفيد الأمين، وقرأ عليه الفقه والقرآن، وسمع عليه، وتلا على الشيخ الأستاذ المقرىء أبي محمد بن أيوب، وسمع عليه الكثير. وهو آخر من حدّث عن أبي بن أبي الأحوص، وعلى الشيخ المقرىء أبي القاسم بن يحيىٰ بن محمد بن درهم، وأخذ عن قريبه القاضي، نسيج وحده أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري. ومن أشياخه صهره القاضي الأُستاذ أبو عمرو بن منظور،

---

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة أبي الحسن النباهي في الكتيبة الكامنة (ص ١٤٦) وفيه يذمّه ابن الخطيب أقذع الذمّ ويتعرض له فيصفه بالقرد الشارد، وذلك بعد أن تغيّرت النفوس، إذ كان النباهي أحد المتآمرين على ابن الخطيب. وانظر أيضًا بعض أخبار النباهي في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٥) ونفح الطيب (ج ٧ ص ١١٦) و(ج ٨ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥). وللدكتورة مريم قاسم دراسة كافية عن النباهي أوردتها في مقدمة كتابه: «تاريخ قضاة الأندلس» أو «المرقبة العليا» وفيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للنباهي، فلتراجع.

(٣) تقدم في الجزء الأول من الإحاطة ترجمة للحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي، فلتنظر.

والأُستاذ الحافظ المتكلّم أبو عبد الله القطان، والصُّوفي أبو الطاهر محمد بن صَفوان، والقاضي الكاتب أبو القاسم محمد البناء. وصحب الشيخ أبا بكر بن الحكيم، ولازمه وروى عنه. ولقي الخطيب المقرىء أبا القاسم بن جُزيّ، وأخذ نسبته عن الشيخ أبي القاسم بن عُمْران. وبرُنْدة عن القاضي المحدِّث المقيد أبي الحجاج يوسف المنتشافري. ورحل فلقي بتلمسان عمران أبا موسى المِشدالي، وحضر مجلسه، والأخوين الإمامين أبا زيد وأبا موسى ابني الإمام. وبباجَة[١]، أبا العباس أحمد بن الرُّباعي، وأبا عبد الله بن هارون. وبتونس أعلامًا، كقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام. قال: ومن خطّه نقلت، وأجازني من أهل المشرق والمغرب، عالم كثير.

شعره: قال: نظمت مقطوعتين، مُوَطِّئًا بهما على البيتين المشهورين.

الأولى منهما قولي[٢]: [الطويل]

بنفسيَ[٣] من غِزْلانَ غزوى[٤] غَزالةٌ[٥] ... جمالُ مُحيّاها عن النُّسْكِ زاجرُ
تصيدُ بلحظ الطرف مَنْ رامَ صَيدها ... ولو أنه النَّسْرُ الذي هو طائرُ
مُعَطَّرَةُ الأنفاسِ رائقةُ الحُلى ... هواها بقلبي في المَهامِه[٦] سائرُ
«إذا رُمْتُ عنها سَلْوةً قال شافعٌ ... من الحبِّ: ميعادُ السُّلُوِّ المقابرُ»

والأُخرى قولي[٧]: [الطويل]

وقائلةٍ لَمّا رأَتْ شَيْبَ لِمَّتي ... لئن مِلْتَ عن سلمى فعُذْرُك ظاهرُ
زمانُ التَّصابي قد مَضى لسبيله ... وهل لك بَعْدَ الشَّيْبِ في الحبِّ عاذر؟
فقلت لها: كلّا وإن تَلِفَ الفتى ... فما لهواها عند مثليَ آخِرُ
«ستبقى[٨] لها في مُضمر القلب والحشا ... سريرةُ وُدٍّ يومَ تُبْلى السَّرائرُ»

---

(١) المراد هنا باجة إفريقية، وليس باجة الأندلس؛ لأنه جاء في النص أنه رحل من الأندلس إلى تونس.
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٥). (٣) بنفسي: أي أفدي بنفسي.
(٤) في النفح: «حُزْوى».
(٥) في الأصل: «وغزالة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) المهامه: جمع مَهْمه وهو الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها. لسان العرب (مهمه).
(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٥). (٨) في النفح: «سيبقى».

وكتب مع شكل يحذو على النَّعْل الكريم، من شأنه أن يكتب ذلك لكل مُزمع سفر[١]: [الطويل]

فديتُكَ لا يُهدى إليكَ أجلُّ من ... حديثِ نبيِّ الله خاتَمِ رُسْلِهِ
ومن ذلك البابِ المثالُ الذي أتى ... به الأثرُ المأثورُ في شأنِ نَعْلِهِ
ومن فضله مهما يكنْ عند حاملٍ ... له نالَ ما يَهْواهُ ساعةَ حَمْلِهِ
ولا سيما إن كان ذا سَفَرٍ به ... فقد ظَفِرَتْ يُمْناه بالأمْنِ كلِّهِ
فدونك منه أيها العَلَمُ الرِّضا ... مثالًا كريمًا لا نظيرَ لِمِثْلِهِ

ومن ذلك قوله[٢]: [البسيط]

لا تَلْجَأنَّ لمخلوقٍ مِنَ الناسِ ... من يافثٍ كان أَصْلًا أو من الياسِ[٣]
وثِقْ بربِّك لا تيأسْ ترى[٤] عَجَبًا ... فلا أضرَّ على عَبْدٍ من الياسِ

ومن قوله يمدح السلطان ويصف الإعذار[٥]: [البسيط]

أبْدَى لنا من ضُروب الحسن أَفْنانا ... هذا الزمانُ[٦] لمولانا ابنِ مولانا

يقول فيها لطف الله بنا وبه:

ولا[٧] تُحَرِّكْ لسانًا يا أخا ثقةٍ ... برَيْمِ رامةَ إن وفَى وإن خانا
يظلُّ ينشرُ مَيْتَ الوَجْدِ عن جَدثٍ ... من الجفونِ أو الأحشاءِ عُرْيانا

ثم قال فيها بعد كثير يُرجى عفو الله فيه:

فما النَّسيبُ بأولى[٨] من حديثِ علا ... عن الإمامِ يُنيلُ المرءَ رضوانا
يَمِّمْهُ تَحْظَ بما أمَلْتَ من أملٍ[٩] ... يُجنيك للسُّول أفنانًا فأفنانا

ومنها في المدح:

مَلِكٌ يخفُّ لراجيه بنائله ... على وقارٍ يُرى كالعين ثَمْلانا

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٥). (٢) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٦).
(٣) إلياس: هو إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. قلائد الجمان (ص ١٣٣).
(٤) في النفح: «تجدْ».
(٥) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٥٠ ـ ١٥١).
(٦) في الكتيبة: «هذا الطهور». (٧) في الكتيبة: «فلا».
(٨) في الأصل: «أولى» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٩) في الكتيبة: «من نعم تجنيك...».

مـلك يـنـصُّ لـه الآلاء عـزتـه ... على السعادة في الدارين فرقانا
العاطر الذِّكر ترتاح النفوس له ... تـخال فيه لـهـا رُوحًا وريـحـانـا
السَّاحر المنطق في شتَّى العلوم ... إذا سَأَلْتَ منه لوجه الرُّشد هانا
كسا الزمان ثياب الفضل حتى ... قضا عن مَنْكبي صرفه ظلمًا وعدوانا
وعـظَّـم الـشـرْعَ حـتـى أنَّ داعيـه ... لا يستطيع له المَدْعُوُّ عِصيانا

ومنها في ذكر الإعذار:

لله درُّك يـا مـولاي مـن مـلكٍ ... شَيَّدْتَ بالحق للإسْلام بُنيانا
ولم تُبال ببَذْل المال في غرض ... يـعـمُّ بـالـفـضـل وِلْدانا وبـلـدانـا
وقمْتَ في الولد الميمون طائرُه ... بـسـنَّـة الـديـن إكـمـالًا وإتـقـانـا
بدا لنا قمرًا[1] تَرْنُو العيون له ... مُقَلَّدًا من نِطاق المَجْد شُهْبانا
وقام يسحب أذيال الجمال على ... بساط مُلْكك بالإعذار جَذْلانا
خجلان بالقصُور عن بلوغ مدًا ... من العُلى بل الحسن منه قد بانا
فَدَتْهُ أنفُسُنا لو كان يَقْبلُها ... منّا وكانت على الإبلال قُرْبانا
فيا دمًا سال عن تقوى فعاد له ... بـيـن الـدِّماءِ طَهُورًا طيِّبًا زانا

ولا دليل على الغَفْلة المعَبَّر عنها بالسلامة والذهول كقوله: وقُمْتَ في الولد الميمون طائرُه. ومن ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب أبا القاسم بن رِضوان[2]: [الطويل]

لـكَ اللهُ قـلـبـي فـي هـواكَ رَهـيـنُ ... ورُوحـيَ عـنـي إن رَحَـلْـتَ ظَـعـيـنُ
مَلَكْتَ بحكم الفضلِ كُلِّيَ خَالصًا ... ومُـلْـكُـكَ لـلـحـرِّ الـصَّـريـح يـزيـنُ
فَهَبْ لي من نُطقي بمقدار ما به ... يُـتَـرْجَـمُ سـرٌّ فـي الـفـؤاد دَفِـيـنُ
فـقـد شَـمَـلَـتْـنـا من رضـاكَ مـلابسٌ ... وسَـحَّ لـديـنـا[3] مِـنْ نَـداكَ مَـعِـيـنُ
أعَنْتَ على الدهر الغَشُوم ولم تزلْ ... بـدنـيـاكَ فـي الأمـر الـمُـهِـمِّ تـعـين
وقَصَّرَ من لم تَعْلم النفسُ أنه ... خـذولٌ إذا خـان الـزمـان يـخـون

(١) في الكتيبة: «قمرٌ».
(٢) هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان، كما في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٦). والقصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨).
(٣) في الأصل: «لنا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

وإنّي بحمد الله عنه لفي غِنًى وحَسْبيَ صَبْرٌ عن سواكَ يصون
أَبى لي مجدٌ عن كرام وَرِثْته وقوفًا ببابٍ للكرام[١] يَهين
ونفسي[٢] سَمَتْ فوق السّماكينِ هِمَّةً وما كلُّ نَفْسٍ بالهوان تَدين
ولمّا رأَتْ عيني مُحيّاك أقسَمَتْ بأنّكَ للفعل الجميل ضَمين
وعادَ لها الأُنسُ الذي كان قد مضى بِرَيَّةَ إذ شَرْخُ الشَّبابِ خَدِينُ[٣]
بحيثُ نَشَأْنا لابسينَ حُلى التُّقىٰ وكلٌّ بكلّ عند ذاك ضَنينُ
أما وسَنى تلك الليالي وطيبُها ووَجْدِ غرامي والحديثُ شُجون[٤]
وفِتيانِ صِدْقٍ كالشُّموس وكالْحَيا حديثُهُمُ ما شِئْتَ عنه يكون
لئن نَزَحَتْ تلك الدِّيارُ فوَجْدُنا عليها له بين الضُّلُوع أنين
إذا مَرَّ حينٌ زاده الشوق جِدَّةً وليس يُعاب[٥] للرُّبُوع حَنين[٦]
لقد عَبَثَتْ أيدي الزمان بجَمْعنا وحانَ افتراقٌ لم نَخَلْه يَحِين
وبَعْدُ التَقَيْنا في محَلّ تغرُّبٍ وكلُّ الذي دون الفِراق يَهُون
فقابلْتَ بالفضل الذي أنتَ أهْلُه وما لكَ في حُسْن الصنيع قَرين
وغِبْتَ وما غابتْ مكارِمُك التي على شُكْرها الرَّبُّ العظيمُ يُعين
يمينًا لقد أولَيْتَنا منكَ نعمةً تَلَذُّ بها عند العِيان عيون
ويَقْصُرُ عنها الوَصْفُ إذ هي كلُّها لها وجهُ حُرٍّ بالحياءِ مَصُون
ولمّا قَدِمْتَ الآن زاد سرورُنا ومَقْدمك الأسْنَى بذاك قَمين[٧]
لأنك أنتَ الرُّوحُ منّا وكلُّنا جُسُومٌ، فعند البعد كيف تكون
ولو كان قَدْرُ الحبّ فيك لقاؤنا إليك لكنّا باللُّزوم ندين
ولكن قَصَدْنا راحة المجد دوننا[٨] فراحتُه شَمْل الجميع تصون

---

(١) في النفح: «للكريم».
(٢) في النفح: «ونَفْسٌ».
(٣) الخدين: الصديق. لسان العرب (خدن).
(٤) أخذه من المثل: «الحديث ذو شجون»، أي ذو فنون وأغراض. مجمع الأمثال (ج ١ ص ١٩٧) ولسان العرب (شجن).
(٥) في النفح: «بعابٍ». والعاب: العيب. محيط المحيط (عيب).
(٦) جاء في النفح بعد هذا البيت البيت التالي:
وأنّى بمسْلاها وللبين لذعةٌ أقلُّ أذاها للسليم جنونُ
(٧) القمين: الجدير، الخليق. لسان العرب (قمن).
(٨) في النفح: «جهدنا».

هـنـيـئًا هـنـيـئًا أيـهـا الـعَـلَـمُ الـرِّضـا ... بـمـا لَك فـي طـيِّ الـقـلـوب كَـمـيـن
لك الحسنُ والإحسانُ والعِلْم والتُّقى ... فـحـبُّـك دُنـيـا لـلـمُـحِـبِّ ودِيـن
وكم لك في دار[1] الخلافة من يدٍ ... أقـرَّتْ لـهـا بـالـصِّـدق مـنـك مَـرِيـن
وقـامـتْ عـلـيـهـا لـلـمـلـوك أدلَّةٌ ... فـأنـت لـديـهـا مـا حُـيِّـيـتَ مَـكِـيـن
فلا وَجْهَ إلّا وهو بالبشر مُقبل[2] ... ولا نُـطْـقَ إلّا عـن عُـلاكَ مُـبـيـن
بقيتَ لرَبْع الفضل تحمي ذِماره[3] ... صحيحًا كما قد صحَّ منك يقين
ودونـك يـا قـطْـبَ الـمـعـالـي بُـنَـيَّـةً ... من الفِكْر عن حال المُحِبِّ تُبين
أتـتـكَ ابـنَ رضـوانٍ تَـمُـتُّ بـوُدِّهـا ... ومـا لـسـوى الإغـضـاءِ مـنـك ركـون
فَخلِّ انتقاد البحث عن هفواتها ... ومَهِّدْ لـهـا بـالـسَّـمْـح حيث تكون
وخُـذْهـا عـلى عِـلَّاتـهـا فـحـديـثُـهـا ... حـديـثُ غـريـبٍ قـد عـراه سُـكـون

ومن شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم من قصيدة[4]: [الطويل]

خليليَّ، مُرّا على أرض[5] مأرَبٍ ... ولا تَـعْـذلانـي إنـنـي غـيـرُ آيـبِ

وهي طويلة أُثبتت في الرِّحلة، فلينظرْها هنالك من أراد استيفاء غرضها.

نثره: من أمْثَل ما صدر عنه في غرض غريب، وهو وصف نخلة بإزاءِ باب الحمراءِ. ونثره كثير، ولكنا اخترْنا له ما اختار لنفسه، وأشاد بشُفُوفه على أبناء جنسه:

يا أيها الأخلّاءُ الذين لهم الصَّنائع، التي تحسدها الغَمائم، والبدائع التي تودُّها بدلًا من أزهارها الكمائم، بقيتم وشَمْلكُم جَميع، وروض أملكم مَريع، والكل منكم للغريب الحَسَن من حديث المُحبِّ سميع: [الوافر]

بـأرض الـنـخـل قـلـبي مُـسْـتـهـام ... فكيف يَطيب لي عنها المُقامُ؟
لـذاك إذا رأيـتُ لـهـا شـبـهـا ... أقـول ومـا يُـصـاحـبـنـي مـلامُ
ألا يـا نـخـلـة مـن ذات عِـرْقٍ ... عـلـيـكِ ورحـمـة الله الـسـلامُ

فسلَّمتُ يومًا تسليم المبرَّة، على مدنها الحرَّة البرَّة، جارة حائط الدار، الواقفة للخدمة كالمنار، على سِدَّة الجدار، بياضَ النهار، وسوادَ الليل المتلفِّعة بشِعار

(١) في النفح: «باب».
(٢) في النفح: «مشرق».
(٣) الذِّمار: ما يدافع عنه. لسان العرب (ذمر).
(٤) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ١٥١).
(٥) في الكتيبة: «أمّ».

الوقار، المكفولة الذَّيل، أنِيسة مَشيخة الجماعة، القاطنة من الحمراءِ العليّة، بباب ابن سَماعة، فحين عَطَفْتُ عليها، وصَرَفْتُ زمام راحِلتي إليها، ووقفْتُ بإزاءِ فنائها، ولكنها وقوف المشفق من فنائي وفنائها، وقلت لها: كيف حالك أيتها الجارة، السّاكنة بنَجْدة الحجارة، الواعظة للقريب والبعيد، بمقامها صامتة على الصَّعيد: [الطويل]

سقاكِ من الغُرِّ الغوادي مَطيرُها ولا زلْتِ في خَضْراءَ غَضٍّ نظيرُها

فما أحقَّكِ مِنْ باسِقَةٍ بالتَّرحيب، وأقْربَك من رحَمات السَّميع المجيب، خِلْتُها اهتزَّت عند النّداء اهتزاز السُّرور، وتمايَلت أكْمامها تمايُل الثَّمِل المَسْرور، ثم قالت لسائلها، بلسان وسائلها، عند مشاهدة مِثْلي تقول العرب: عينُها فرارها، وابنُ جَدِّها للناظرين اصفرارُها، وجملة بُخيَّتي، بعد إتمام تحيَّتي، أنَّ الدهر عَجَم قَناتي، ومسُّ الكِبَر كدَّر سِناتي، وما عسى أن أبثّ من تُكناتي، وجلُّ عُلاتي من تركيب ذاتي. ولكنّي أجد مع ذلك أنَّ وقاري، حسَّن لدى الحيِّ احتقاري، وكثرة قناعتي، أثمرت إضاعتي، وكمال قدِّي، أوْجَب قدِّي، فما أنْسَ م الأشياء، لا أنْسَ عُذوانَ جُعْسُوس[١]، من لعْبُوش اليهود أو المجوس، يفْحَص بمُدْيَته عن وريدي، ويحرص على مَدِّ جريدي، ويجْدَع كل عام بخَنجره أنفِي، وكلّما رُمْتُ كفَّ إذايته عني، كشم كفٍّ، فلو رأيتم صَعْصَعة أفناني، وسَمِعتم عند جَذْم بَناني، قَعْقَعة جَنَاني، والدمع لمَّا جَفاني، يفيض من أجفاني، والجُعْسوس الخبيث المنحُوس قد شدّ ما حدَّ بأمْراسه، ورفعه لبيعة كفْره على راسه، بعد الأمر بوضعه على أسْنِمة القبور، حسبما ثبت في الحديث المشهور، لحَمَلْتكم يا بني سام وحام، على الغَيْرة وشائج الأرْحام، فقد علمتم بنصِّ الأثر أني عمَّتُكم القديمة، وإن لم أكن لذلك بأهل فإني لكم اليوم خَدِيمة، أو من ذُرّيّة الفريق الموجب المضروب به المثل يوم السَّقِيفة، لمن رام من أشراف الأندلس أن يكون إذ ذاك خليفة. وخالةُ أبي كانت النخلة البَرْشا الكبيرة، التي حادَثها الأمير عبد الرحمٰن بالرُّصافة[٢] القريبة من كورة إلبيرة. فكيف

---

(١) قال عنه ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ١٤٦): «القاضي علي بن عبد الله بن الحسن البني، المدعو بجُعْسُوس». والجعسوس: القصير الذميم، والجمع جعاسيس. محيط المحيط (جعس).

(٢) يشير إلى قول الأمير عبد الرحمٰن الداخل، وقد نزل بمنية الرصافة بقرطبة، فنظر فيها إلى نخلة، فهاجت شجنه، وتذكّر وطنه، فقال على البديهة أبياتًا منها [الطويل]:

تَبدَّتْ لنا وَسْطَ الرصافةِ نَخْلَةٌ تناءتْ بأرض الغَرْب عن بلد النَّخْلِ
فقلْتُ: شبيهي في التغرُّب والنَّوى وطولِ اكتئابي عن بنيّ وعن أهْلي =

يسهل اليوم عليكم إهمالي، ويَجْمُل لديكم إخمالي، وترك احْتِمالي، والأيام والحمد لله مُساعدة، والمُلْك مُلْك بني ساعدة؟ فلمّا سمعْتُ عِتابها، وعلمت أنها قد شَدَّت للمناضلة أقْتابها، قلت لها: أهلًا بك وسهلًا، ومهلًا عليك أو بَهْلًا، لقد دَسَع بعيرُك، وعادت بالخيبة عيرُك. فليست الحقيقة كالمجاز، ولا جلّيقية في النّيّات كالحجاز. هنا جنّات من أعناب مُرسلة الذُّيول، مُكْملة الأطْناب، قد طاب اسْتِيارها، وحَمُد اخْتِبارها واختيارها، وعَذُبَت عيون أنهارها، وتفتَّحت كمائم أزهارها، عن وَرْدها ونَرْجِسها وبَهارها، وسَرَتْ بطَرْف محاسنها الرِّفاق، حتى قَلِقَتْ منها الشَّام واليمن والعراق. فحين كثر خيرُها، سُحِر بالضَّرورة غيرُها، وأنت لا كنتِ يا خَشَبة، قد صِرت من المنال عُشْبة، وأصبحت نَذْلي خالفة، ورَذْلي بالهم تالفة، لا يُجتنى بَلَحُك ولا طَلعُك، ولا يُرتجى نَفْعك، فالأولى قَطْعك أو قَلْعك، وإلّا فأين قنوك أو صنوك، أو تمرك أو سَبْرك؟ هلا أبقيت يا فَسِيلة على نفسك، وراعيتِه صَلْحة جنسك؟ ولقد انتهت بك المحارجة إلى ارتكاب ما لا يجوز، وفي علمك أنَّ من أمثال الحكماء كل هالك عجوز. حسبك السَّمح لك بالمُقام، ما دمْتِ حيَّة في هذا المقام. فانقطع كلامُها، وارتفع بحكم العجز ملامُها. وما كان إلّا أن نُقل مقالي، فقال المتكلم بلسان القالي: أنا أتطوَّع بالجواب، وعلى الله جزيلُ الثَّواب، ليعلم كلُّ سائل، أنَّ تفضيل النخل على العِنب من المسائل التي لا يَسَع فيها جحد جاحد، وإن كانا أخوين سُقِيا بماءٍ واحد. وقد جرى مِثلُ هذا الخطاب بين يدي عمر بن الخطاب، فقيل: يا بني حتمة: أيهما أطْيَب، الرُّطب أم العنب؟ فقال: ليس كالصقر، في رؤوس الرَّقْل، الراسخات في العقل، المُطْعمات في المَحْل، تحفة الصَّائم، ونُقلة الصَّبي القادم، ونزل مريم بنت عمران، والنخلة هي التي مُثِّل بها المؤمن من الإنسان، ليس كالزَّبيب الذي إن أكلته ضَرِست، وإن تركته غربت، وكفى بهذه الرواية حُجّة، لمن أراد سلوك المحَجَّة. وعلى كل تقدير، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكَرْمة لزوم الصِّلة للموصول، والنَّصب للمُنادى الممطول، والعجز لِكتابي المُحصَّل والمحصول. وكم على تَرْجيح ذلك من قِياسٍ صحيح، ونقل ثابت صريح. قال: واعتذاركم بالمَهْرمة، عن فعل المَكْرمة، لأمة في تلك الطِّباع كامنة، وسامة للتَّلف لا للخَلَف ضامنة. وذكرتم الثَّمرة والبُسْرة، والوقت ليس بوقت عُسْرة، فأذكرتم قول القائل، في بعض المسائل: دَعْنا من تمرتان وبُسْرتان أو تمرتين وبُسرتين، على الوجهين، المتوجِّهين في المَسْلتين، وفي ضمن ذكركم لذلك أدلَّة صدق على

= البيان المغرب (ج ٢ ص ٦٠).

تطلُّع النفس الفقيرة، لِلأعراض التافهة الحقيرة، والإمامة العظمى، أجلُّ عندنا وأسْمى، من أن تَلْحظ بعينها تلك الملاحظ، ولواصل لديها مراتِبُها وأفكارُها ببَيانه وتِبْيانه عمرو بن بحر الجاحظ، إذ هي كافأَ الله فضلها ولا قلَّص ظلَّها كالسَّحاب، نجود بغَيْثها على الآكام والضِّراب، ومنابت الشجر من التُّراب، فضلًا عن الخدمة والأتراب، فليس يَضيع مع جميل نَظَرها ذو نسب، ولا يُجهل في أيامها السَّعيدة مقدارُ مُنْتَسب إلى حَسَب. وإن وقعت هفوة صغيرة، أعقَبتها حَسَنة كبيرة، ومِنَن أثيرة، ونِعم كثيرة. ولم لا، ورُوح أمرها، ومذهب نُصرة جَمْرها، عِلْم السادة للقادة الأكابر، المغرم بجَبْر كل كَسِير، وناهيك من به جابر الرازي، ذكر مآثره بعرف أطيب الطِّيب، الوزير أبو عبد الله بن الخطيب. والمطلوب منه لهذه الشجرة الثَّرما، الغريبة الشَّما، التي أصلها ثابت وفرعها في السما، إنما هو يسير بنا، وظهير اعتنا، وخنجر يُرما، لعل عَباسة أديم دوها أن تذهب، وأكمام كباسة قنوها أن تُفَضَّض بنعيم النُّضارة ثم تُذَهَّب، ويعود إليها شَرْخُ شبابها، وتستحكم صُفْرة ثيابها، وخُضْرة جِلبابها، وذلك كله بمنِّ اللطيف الخبير، من أسهل العمل على مجد الأمير، وفضل الوزير، إذ هما، دام عزُّهما، على بيِّنة من أن الإحسان ألقاح، والشكر نتاجه، والثناءُ إكليل، وهو في الحقيقة تاجه. قال المسلم: ومن يا إخوتي، لعلّي بمعارضة الحافظ أبي علي، ولو أني اشتملت شملة النَّضر بن شُميل، وأصبحت أفصح من عامر بن الطُّفيل، وأخطب من شبيب، وأشعر من حبيب، وجُزْت من طرق الجدال، منازل نقدة صدور الأبدال. وعلى أنه ما قال إلّا حقًّا، فبُعْدًا للمرءِ وسُحْقًا. ولكني أُقسم عليكم بمُقَدِّر الضِّيا والحَلَك، ومُسَخِّر نجوم الفَلَك، بإصابة الأغراب، وأصحاب الإغراب، وأرباب فنون الإعراب، ألا ما تأمَّلتم فصول هذه المقالة، وأفتَيتم بما يترجَّح فيها لديكم من نَسْخ أو فَسْخ أو إجادة أو إقالة، فأنتم علماءُ الكلام، وزعماءُ كَتائب الأقلام، والمراجعات بين شقاشق الرجال شِنْشِنة معروفة، وطريقة إليها الوجوه في كثير من المخاطبات مَصْرُوفة، لا زلتم مذكورين في أهل البيان، مشكورين على بَذْل الفضل مدى الأحيان. والله سبحانه يجعل التَّوفيق حاديكم، ونور العِلم هاديكم، ومنه نَسَل، جلَّ اسمه، التطهير من كل مَعابة، والسَّمح فيما تخلَّل هذه المَقامة من دُعابة، والتحية الكريمة مع السلام الطيب المُعاد، يُعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المَعاد، والرَّحمات والمسرات، والبركات والخيرات، من كاتبها علي بن عبد الله بن الحسن، أرشده الله.

المقرئون والعلماء

علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري[(١)]

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، الشيخ الأُستاذ، إمام الفريضة بجامع غرناطة.

حاله: من الملّاحي: أوحد زمانه إتقانًا ومعرفة ومشاركة في العلوم وانفرادًا بعلم العربية. وكان حسن الخطِّ، كثير الكتب، ترك منها بخطه كثيرًا جدًا، مشاركًا في الحديث، عالمًا بأسماءِ رجاله ونَقَلَته، مع الدِّين، والفضل، والزهد، والانقباض عن أهل الدنيا، وتَرْك المُلابسة لهم.

مشيخته: قرأ على المُقرىء بغرناطة أبي القاسم نِعْم الخلف بن محمد بن يحيىٰ الأنصاري، وأبي علي الصَّدفي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. وحدث عنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والقاضي أبو محمد بن عطية، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحيم، والقاضي أبو بكر جابر بن يحيىٰ التَّغلبي، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زَمَنين، والقاضي أبو الحسن بن أضحى.

تواليفه: ألَّف في النحو كتبًا كثيرة، منها على كتاب سيبويه، وعلى كتاب المُقْتضب، وعلى الأُصول لابن السَّراج، وشرح كتاب الإيضاح، وكلامه على كتاب الجُمل لأبي القاسم، وكلامه على الكافي لابن النحاس، مع التنبيه على وَهْمه في نحو مائة موضع، إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو القاسم: وله نظم ليس بالكثير. فمن ذلك: [الكامل]

أضْبَحْتَ تقعدُ بالهوى وتَقومُ ... وبه تقرُّظ مَغْشَرًا وتُديمُ

تعنيك نَفْسُكَ فاشتغلْ بصلاحها ... إنني بغير السَّقام سَقيمُ[(٢)]

وفاته: توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وصَلّى عليه إثر صلاة العصر ابنه الأُستاذ أبو جعفر، ودفن بمقبرة باب إلبيرة، وازدحم الناس على نعشه، وكانت جنازته حافلة، وتفجّع الناس على قبره. وقبره مشهور، يَتَبرّك به الناس.

---

(١) ترجمة ابن الباذش في الصلة (ص ٦١٨) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٨٠).
(٢) عجز هذا البيت مختل الوزن.

علي بن محمد بن دري

الْمُقرِىء الفقيه، الخطيب أبو الحسن، الإمام بجامع غرناطة، أصله من طليطلة.

حاله: كان من خِيار الناس وفُضلائهم، وأهل المعرفة منهم، عارفًا بإقراءِ كتاب الله، عزَّ وجلَّ، والرواية للحديث. أخذ الناس عنه، وكانت عنده مُشاركة ومسارعة لقضاءِ الحوائج، والمشي للإصلاح بين الناس، والإشفاق على المساكين، كثير الصدقة، والسَّعي في فِداءِ الأسرى، والوسائط الجميلة في مُهمّات الأُمور ومشكلاتها. دخل رجل تاجر غريب الميضأة للوضوءِ، فنسي بها وعاءً فيه جملة مال، فتذكَّرَ له، فرجع ولم يجدْه، فسقط مغشيًا عليه، فاجتمع عليه الناس، وهو يقول: مالي، ووافق خروج الأُستاذ أبي الحسن المذكور من الجامع، فسأل عنه، فجالس أُذُنه، فقال: مالُك عندي وديعة تركْتَه أنت عندي، وإذا كان بعد صلاة العصر تأْخذه. فقام الرجل، فكأنما نشط من عِقال، ومشى الخطيب في حينه إلى مُشرف غرناطة ابن مالك، فقال له: إني اشتريت لك قصرًا في الجنة، بخمسمائة دنير، وأنا الضَّامن لذلك، فشكره، وأخبره الخطيب بالقصة، فدفع إليه المال، فدفعه إلى الرجل. وكان الناس لا يتوقَّفون له في أمر.

مشيخته: روى بطُليطلة عن أبي عبد الله المقامي، وعن أبي مُسلم الضرير المقرىء، والقاضي أبي الوليد الوقَّشي، وأخذ عن أبوي علي الصَّدفي والغساني، وعن أبي مروان بن سِراج، وابنه سِراج.

وفاته: توفي بغرناطة في رمضان سنة عشرين وخمسمائة، وصَلّى عليه القاضي أبو القاسم بن ورد، ودفن في مقبرة باب إلبيرة، وكانت جنازته حافلة، وتفجّع الناس عليه، وأخلصوا الدعاءَ له.

ومِمن رثاه أبو عبد الله بن أبي الخِصال بقوله: [الطويل]

عِتاب وما يُغْني العتابُ على الزمنْ ... وشكوى كما تشكو الرِّياحُ إلى السفنْ
وما رَضِيَتْ بعد الغضارة أيكةٌ ... نَبَختْ ولكنْ عالمُ الكونِ ممتحنْ
وماذا عليه والسَّلامةُ حَظُّه ... بأَنْ تتخطاه النَّوائبُ والمِحَنْ
فليتَ كريمًا يُنْعِشُ الناسَ[1] خيرُه ... يُعَمَّرُ فيها عُمْرَه[2] الآن أو حَضَنْ

(١) في الأصل: «للناس» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «عمرته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ولكنه يمضي كظلِّ غمامةٍ ويبقى لسمّ سرّه غير مؤتمن
يودّ الفتى طولَ البقاءِ وطولُه يُورِّثُه ثُكلَ الأحبَّة والبَدَن
وأيّ اغتباط في حياة مرزّءًا يروح على بثٍّ ويغدو على شجن
زيادته نَغْصٌ[١] وجِدَّتُه بِلى وراحته كَرْب وهُدْنَتُه دَخَن
إذا فوّق السَّهْم المُصيب فقَلْبُه ومن صار فيه من أحبَّته فنن
فيا عجبًا للمرءِ يلتذُّ عَيْشَهُ معايشَ[٢] قد لُزَّتْ مع الموت في قَرَنْ
أرى كلَّ حيّ للمنيَّة حاملا فيا وَيْحَهُ ممّا تَحَمَّلَ واحتَضَنْ
إذا زادت الأيام فينا إساءة نزيد على علم بما ساءَ حُسْن ظَنّ
ولم أر مثل الموت حقًّا كباطل وكلُّ قباءٍ[٣] ليس بالموت مُرْتَهَنْ
أإخواننا، لم تبق إلّا تحيّةٌ أرقي[٤] بها تلك المعاهد والدِّمَنْ
أإخواننا، هل تسمعون تحيّتي وذو كلم ما تَحْجِبُ السِّرَّ والعلن؟
أبا الحُسْنِ، خَلْدٌ في الجنان مُنَعَّمًا جزاءً بما أسْلَفْتَ من سَعْيك الحسن
يطير فؤادي روعةً فإذا رأى مُحيّاك في دار الغِنا والرِّضا سكن
وقد كنت ترتاد المواطنَ إذ نَبَتْ فبوَّأك الرحمٰنُ فِرْدَوسَهُ وَطَنْ
وبتَّ مُعَنًّى بالجلاءِ فَنِلْتَه وقد كان حاديه يُغَرِّد بالظَّعَن
ولم ترض إلّا الأرضَ هِجْرَتَكَ التي تَخَيَّرَها الأولياءُ على القنن
وفي مثلها أنّ الرسول مهاجرٌ[٥] لِسَعْدٍ وقد واراه أكْرَمَ مَدْفَنْ
على أنك المدعُوُّ من كل بلدة هلمَّ فإنَّا دونك الحجب الجُنَنْ[٦]
سيرْضيك مَنْ أرْضَيْتَهُ في عباده وجاهدْتَ فيه بالفُروض وبالسُّنن
ويبقى كما بَقيت بعدك أنه لهمْ فلما اسْتَهوتهمُ روعةٌ سَكَنْ
ويحفظهمْ حِفظ اليتيمين أيّدًا بوقع جدار قد تداعى وقد وَهَنْ
أبا الحُسْنِ، إنَّ المدى، بعد ما بدا، طويلٌ، ولا يُعْتَدُّ في جَنْب ما بطن
وأسْيَر وَجْد في فراقك أنه سيبقى عليك الوَجْد ما بقي الزمن

---

(١) في الأصل: «تغُصُّ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) قوله: «معايش قد» ساقط في الأصل، وقد أضفناه ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «قباليّه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «أرقد»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٥) كلمة «مهاجر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٦) في الأصل: «والجنن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

سقى الله والسُّقْيا بكفّيه تربة   مباركة ضَمَّتْك أسرع ما هتن
ولا بَرِحَتْها دِيمةٌ مُستهلة   إذا ركضتها الرّيح قام بها جرن
فلا زلْتَ في رَوض ورُوح ورحمة   ومقبرة تَثْرى على ذلك الجننْ

علي بن عمر بن إبراهيم ابن عبد الله الكناني القيجاطي(١)

يكنى أبا الحسن، أصله من بَسْطة، واستوطن غرناطة، حتى عُدَّ من أهلها قراءَة وإقراءً ولزومًا.

حاله: من «العائد»(٢): أوحدُ زمانه علمًا وتخلُّقًا وتواضعًا وتفنُّنًا. ورد على غرناطة مُسْتدعًى عام اثني عشر وسبعمائة، وقعد بمسجدها الأعظم يُقرىء فنونًا من العلم، من قراءات وفِقْه وعربية وأدب. ووُلّي الخطابة، وناب عن بعض القضاة بالحضرة، مشكور المأخذ، حسن السِّيرة، عظيم النفع. وقصده الناس، وأخذ عنه البعيد والقريب(٣). وكان أديبًا لَوْذَعيًا، فَكِهًا، حُلْوًا، وهو أول أُستاذ قرأَتُ عليه القرآن والعربية والأدب، إثر قراءَة المكتب.

مشيخته: قرأ على أبيه ببلده بسطة القرآن، بالرِّوايات السبع، وجمعها في خَتْمة، وعلى الأُستاذ أبي عبد الله بن مساعد الغسَّاني. وقرأ بغرناطة القرآن على الأُستاذ أبي عبد الله بن مستقور، والأُستاذ أبي جعفر الطبَّاع، والأُستاذ الشهير أبي الحسن بن الضايع، والأُستاذ النحوي أبي الحسن الأُبَّدي، وعلى القاضي أبي عمرو بن الرُّندي، والفقيه القاضي أبي علي بن الأحوَص، وعلى الفقيه النسَّابة أبي جعفر بن مسعدة، والأُستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير. ولقي الشيخ الصالح وليّ الله أبا إسحٰق بن عُبيدسْ، وحضر مجالسه العامة. وذكر أنه كان يفتتح مجلسه الذي يتكلم فيه بقوله: لا حول ولا قوة إلّا بالله، كنز من كنوز الجنة، رَزَقنا الله الأدب مع الله، واستعمَلَنا فيما يُرضيه، ويُرضي رسوله، وجعل حظَّنا في الدار الآخرة. ولقي الإمام بجامع بسطة الخطيب الراوية أبا الحسن بن نافع، وغيرهم، وله تواليف في

(١) ترجمة أبي الحسن علي بن عمر القيجاطي في الكتيبة الكامنة (ص ٣٧) وبغية الوعاة (ص ٣٤٤) والديباج المذهب (ص ٢٠٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥١). والقيجاطي: نسبة إلى قيجاطة وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥١).

(٣) في النفح: «الناسُ وأخذوا عنه».

فنون، وشعر، ونثر. فمن شعره قوله[(١)]: [الكامل]

روضُ المشيبِ تَفَتَّحَتْ أزهارُه حتى استبان ثَغامُهُ[(٢)] وبَهارُهُ
ودُجى الشبابِ قد استبان صباحُهُ وظلامُه قد لاحَ فيه نهارُهُ
فأتى حَمامٌ لا يُعافُ وقوعُهُ ومضى غُرابٌ[(٣)] لا يُخاف مطارُه
والعُمْرُ مثلُ البدر يُرمقُ[(٤)] حسنه حينًا ويُعقب بعد ذاك سِرَارُهُ
ما للإخاءِ تَقَلَّصَتْ أفياؤه ما للصَّفاءِ تكدَّرَتْ آثاره
والحرُّ يصفحُ إن أخلَّ خليلُه والبَرُّ يسمحُ إن تجرَّأ جارُه[(٥)]
فتراه يدفع إن تمكن جاهه وتراه يرفع[(٦)] إن علا مقدارُهُ
ولأنت تعلم أنني زَمَنَ الصِّبا ما زلتُ زندًا والحياءُ سِوارُهُ
والهجرُ ما بين الأحبَّة لم يزلْ تركُ الكلام أو السَّلام مَشارُه
ولكم تجافى عن جَفاءٍ[(٧)] خليله فَطِنٌ وقد ظفِرتْ به أظفارُه
ولكم أصَرَّ على التَّدابر مُدْبِرٌ أفضَى إلى نَدَم به إضرارُه
فأقام كالكُسَعِيِّ بانَ نهارُه أو كالفرزدق فارقَتْهُ نَوارُه[(٨)]
أنكرتمُ من حَقٍّ مُعترفٍ لكم بالحقِّ ما لا ينبغي إنكاره
والشَّرْعُ قد منع التقاطعَ نصُّه قطعًا وقد وردتْ به[(٩)] أخباره
والسَّنُّ سِنُّ تَوَرُّعٍ وتَبَرُّعٍ وتسرُّعٍ لتشرُّعٍ[(١٠)] تختاره

---

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٣٨ ـ ٤٠) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥١ ـ ٥٣).
(٢) الثَّغام: نبات أبيض الزهر والثمر، واحدته ثغامة. لسان العرب (ثغم).
(٣) في الأصل: «غروب لا نخاف» والتصويب من المصدرين.
(٤) في النفح: «يبدو». وفي الكتيبة الكامنة: «يونق».
(٥) رواية البيت في النفح هي:
والحرّ يصفح إن تمكَّن جاهُه وتراه ينفعُ إنْ علا مِقْدارُهُ
(٦) في النفح: «ينفع».
(٧) في الأصل: «خفاء»، والتصويب من المصدرين.
(٨) الكُسَعيّ: مضرب المثل في الندم، وقد ورد في شعر الفرزدق عندما ندم على طلاق زوجته النوار، وهي نوار ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي، وهي ابنة عم الفرزدق [الوافر]:
ندِمتُ ندامة الكُسَعيِّ لمّا غَدَتْ مني مُطلَّقةً نَوارُ
وكانتْ جنّتي فخرجتُ منها كآدمَ حينَ أخرَجَهُ الضِرارُ
وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٨٣) وهما ليسا في ديوان الفرزدق.
(٩) في الكتيبة: «بذا».
(١٠) في الأصل: «لتشرُّح»، والتصويب من المصدرين.

ما يومُنا من أمسِنا قَذْكَ[1] اتّئذْ ذهب الشَّبابُ فكيف يبقى عارُه؟
هلّا حظرتمْ أو حذرتمْ منه ما حَقٌّ[2] عليكم حَظْرُهُ وحِذارُه
عجبًا لمن يجري هواه لغايةٍ محدودةٍ إضمارُهُ مضمارُه
يأتي ضُحًى ما كان يأتيه دُجًى فكأنَّه ما شاب منه عِذاره
فيعدُّ ما تَفنى[3] به حسناتُه ويعيدُ ما تَبْقى به أوزاره
فالنفسُ قد أجرَتْه مِلْءَ عِنانه[4] يشتدُّ في مضمارها[5] إحضارُه[6]
والمَرْءُ من إخوانه في جُنَّة[7] بل جَنَّةٍ تجري بها أنهاره
فاليُمْنُ[8] قد مُدَّتْ إليه يمينُه واليُسْرُ قد شُدَّتْ عليه يساره
شِعْرٌ به أشعَرْتُ بالنصح الذي يَهديه[9] من أشعاره إشعاره
ولو اختبرتمْ نقده بمحكِّه[10] لامتاز بَهْرَجُهُ ولاح[11] نُضاره
هذا هدًى فيه[12] اقْتَدِهْ تَنَلِ المُنى[13] أو أنت في هذا وما تختاره
وعليكُمُ مني سلامٌ مثل ما أرِجَتْ بروضٍ يانعٍ أزهارُه

ومن شعره في الرِّثاء قوله من قصيدة[14]: [الطويل]

حَمَامُ حِمام فوق أيك الأسى تَشْدو تهيجُ من الأشجان ما أوْجَدَ الوَجْدُ
وذلك شَجْوٌ في حناجرنا شَجًى وذلك لهوٌ[15] في ضمائرنا جِدُّ
أرى أرْجُلَ الأرزاءِ تَشْتَدُّ نحونا وأيديَها تسعى إلينا فتمتَدُّ
ونحن أولو سَهْوٍ عن الأمر ما لنا سوى أملٍ إيجابُنا عنده جَحْدُ

(١) في الأصل: «قطك اتبت»، والتصويب من الكتيبة الكامنة. وفي النفح: «متدارك» بدل «قَذْكَ اتّئذ».
(٢) في الكتيبة: «فرضٌ».
(٣) في الأصل: «فبعد ما تنعى»، والتصويب من المصدرين.
(٤) في النفح: «عنانها».
(٥) في الكتيبة: «إخضارها».
(٦) الإحضار: الجري السريع. لسان العرب (حضر).
(٧) الجُنَّة، بضمّ الجيم: الدرع. لسان العرب (جنن).
(٨) في النفح: «واليمن».
(٩) في الكتيبة: «يُبْديه».
(١٠) في النفح: «بمحكّةٍ».
(١١) في الكتيبة: «وبان».
(١٢) في المصدرين: «فبه».
(١٣) في الكتيبة: «الرضى».
(١٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٣٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥٣).
(١٥) في النفح: «هَزْلٌ».

فإن خطرتْ للمرء ذكرى بخاطرٍ فتَسْبيحةُ[١] السَّاهي إذا سُمعَ الرَّعْد
مُصابٌ به قُدَّتْ قلوبٌ وأنفسٌ لدينا إذا في غيره قُطِعَتْ بُرْد
تلين له الصُّمُّ الصِّلابُ وتَنْهَمي عيونٌ ويَبكي عنده الحَجَرُ الصَّلْد
فلا مُقْلَةٌ ترنو ولا أُذُنٌ تَعِي ولا راحةٌ تعطو ولا قَدَمٌ تَغْدو
وقد كان يبدو الصَّبْرُ منّا تَجَلُّدا وهذا مصابٌ صَبْرُنا فيه لا[٢] يَبْدو

مولده: عام خمسين وستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة ضحى يوم السبت التاسع[٣] والعشرين من شهر ذي حجة من عام ثلاثين وسبعمائة، ودفن في عصر اليوم بعد بجبانة باب إلبيرة. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، حضرها السلطان، واحتمل الطلبة نعشه.

ومن الطارئين

عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي[٤]

المعروف بالرُّندي، من أهل رندة، يكنى أبا علي[٥].

حاله: كان من جملة المُقْرئين، وجهابذة الأُستاذين، مشاركًا في فنون، نقَّادًا، فاضلًا.

مشيخته: روى[٦] عن أبي زيد السُّهيلي[٧]، وعنه أخذ العربية والأدب، وبه تفقَّه، وإياه اعتمد. وعن أبي محمد القاسم بن دحمان، وأبي عبد الله بن أبان، وتلا على هؤلاءِ القراءات بقراءات السَّبعة. وعن أبي إسحٰق بن قرقول، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسي، وأبي محمد عبدالحق بن بُونه، وأبي عبد الله الحميري الإستجّي، وأبي العباس بن اليتيم، وأبي عبد الله بن مُدْرك، وأبي القاسم بن حُبيش، وأبي عبد الله بن حُميد. أخذ عن هؤلاءِ بمالقة، من أهلها، ومن الواردين عليها. ورحل إلى غرناطة، فأخذ بها عن يزيد بن رفاعة، وابن كوثر،

(١) في الأصل: «فتسبيحه» والتصويب من المصدرين.
(٢) في النفح: «ما يبدو». (٣) في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٤): «السابع».
(٤) ترجمة عمر بن عبد المجيد الأزدي في التكملة (ج ٣ ص ١٥٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٥٠) وبغية الوعاة (ص ٣٦١).
(٥) في التكملة والذيل والتكملة: «يكنى أبا علي وأبا حفص».
(٦) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ١٥٧ ـ ١٥٨). (٧) في التكملة: «سمع أبا القاسم السهيلي».

وابن عروس[١]، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفَرَس، وأبي جعفر بن حكم. وإلى قرطبة، فأخذ بها عن ابن بَشْكُوال، وأبي القاسم المشراط. وإلى إشبيلية، فأخذ بها عن أبي بكر بن الجدّ، وأبي عبد الله بن رزق، وابن خير، وابن صاف. وأخذ بسبتة عن ابن عُبيد الله. وبالجزيرة الخضراءِ عن القاضي أبي جعفر بن عَزرة[٢]. هؤلاءِ جملة من أخذ عنهم باللقاءِ والمشافهة. وأجازه جماعة من أهل المشرق كبيرة، ذكرهم في برنامجه، كالخُشوعي، والأرحي، والحرشاني[٣]، وحدَّث عن السِلفي الحافظ بإجازته العامة.

تواليفه: شرح جُمل أبي القاسم الزَّجاجي، وردٌّ على ابن خروف، منتصرًا بشيخه أبي زيد السهيلي في مسألة نحوية ردَّ فيها ابن خروف على السُّهيلي، وقيّد فيما جرى بينه وبين الأُستاذ أبي محمد القرطبي، جزءًا سماه بـ «الحقبي، في أغاليط القرطبي»، لم يَخلُ فيه عن حَمْل وتعسُّف. وألَّف برنامجًا جامعًا. روى عنه أبو عبد الله بن عسكر القاضي، والشيخ أبو عبد الله بن عبيد الأُوسي، وأبو عبد الله الطَّنجالي، والخطيب ابن أبي ريحانة.

مولده: سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

وفاته: توفي سحر يوم الجمعة الموفي عشرين لشهر ربيع الثاني سنة عشر وستمائة[٤].

عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي[٥]

المُقرىء، الحافظ المعروف بابن الصَّيرفي، قرطبي الأصل، يكنى أبا عمرو، ويشتهر بالدّاني؛ لاستيطانه دانية. ودخل إلبيرة، وقرأ على أبي عبد الله بن أبي زَمَنين، فوجب ذكره لذلك.

---

(١) هو أبو بكر يحيىٰ بن محمد السلمي الغرناطي، المعروف بابن عروس، وترجمته في التكملة (ج ٤ ص ١٨١).

(٢) في التكملة: أبو حفص بن عذرة.

(٣) في التكملة: أبو القاسم الحرستاني.

(٤) في التكملة: «وتوفي بمالقة سحر ليلة الجمعة الحادي والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ٦١٦، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقال ابن غالب: في جمادى الأولى». ومثله قال ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٥٤).

(٥) ترجمة عثمان بن سعيد الداني الأموي في جذوة المقتبس (ص ٣٠٥) وبغية الملتمس (ص ٤١١) والصلة (ص ٥٩٢) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٥٠).

حاله: كان أحد الأئمة الأعلام في علم القرآن، وآياته، وتفسيره، ومعانيه وإعرابه، وجمع في ذلك كله التواليف العجيبة التي يكثر تعدادها، ويطول إيرادها، وله معرفة بالحديث وطرقه، وأسماء رجاله ونَقَلته. وكان حسن الخطِّ، جيد الضبط، آية في الحفظ والعلم، والذكاءِ والفهم، ديِّنًا عارفًا، ورعًا سنيًا. قال المغامي(١): وكان أبو عمرو مُجابَ الدعوة. وذكره الحميدي فقال(٢): مُحَدِّث مُكْثر، مقرىء متقدِّم.

مشيخته: روى(٣) عن أبي المطرف عبد الرحمٰن بن عثمان القُشيري بقرطبة، وعن أبي بكر حاتم بن عبد الله البزاز(٤)، وأبي عبد الله محمد بن خليفة، وأحمد بن فتح بن الرِّهان(٥)، وأبي بكر بن خليل، ويونس بن عبد الله القاضي، وخلف بن يحيىٰ، وغيرهم. وبإلبيرة عن محمد بن أبي زمنين كثيرًا من رواياته وتواليفه. وسمع بإستِجَّة وبجَّانة وسَرَقُسطة(٦) من بلاد الثغر. ورحل إلى المشرق(٧)، فلقي(٨) أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقي. وسمع بمصر من أبي محمد بن النحاس، وأبي القاسم بن مُيَسَّر، وخلف بن إبراهيم بن خاقان، وفارس بن أحمد، وطاهر بن عبد المنعم، وبالقيرُوان من أبي الحسن القابسي(٩). وقدم الأندلس فاستوطن دانية.

شعره: قال أبو القاسم بن بشكُوال: ومما يذكر من شعره قوله(١٠): [البسيط]

قد قُلْتُ إذ ذَكَروا حالَ الزمانِ وما ... يَجْري(١١) على كل من يُعْزى إلى الأدبِ

---

(١) في الأصل: «المغلى»، والتصويب من الصلة (ص ٥٩٣). والمغامي هو أبو عبد الله محمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن إسحٰق التجيبي المغامي، نسبة إلى مقام بلد بالأندلس. معجم البلدان (ج ٥ ص ٦١).
(٢) جذوة المقتبس (ص ٣٠٥).
(٣) قارن بالصلة (ص ٥٩٢) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣٥٠).
(٤) في النفح: «البزار»، بالراء المهملة.
(٥) في الصلة: «الرسان».
(٦) في الصلة: «وغيرها من بلاد الثَّغر».
(٧) في نفح الطيب: «ورحل إلى المشرق سنة ٣٩٧ هـ... وحَجَّ ورجع إلى الأندلس في ذي القعدة سنة ٣٩٩».
(٨) في الصلة: «ولقي بمكة أبا الحسن أحمد بن فراس العَبْقسي».
(٩) في الأصل: «القانسي»، والتصويب من المصدرين.
(١٠) الأبيات في جذوة المقتبس (ص ٣٠٥) وبغية الملتمس (ص ٤١٢) والصلة (ص ٥٩٣).
(١١) في الأصل: «يجرٍ»، وكذا يختل الوزن، والتصويب من المصادر.

أهلُ الخساسة أهلَ الدِّين والحَسَبِ لا شيءَ أبْلَغُ من ذُلٍّ يُجَرِّعه[١]
والمُبْغضين لأهل الزَّيْغ والرِّيَبِ القائمين[٢] بما جاءَ الرسول به

مولده: قال أبو عمرو[٣]: سمعت والدي يقول: إني ولدت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وابتدأتُ طلب العلم بعد خمس وثمانين.

وفاته: من خط أبي الحسن المُقرىء[٤]: يوم الاثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية، ودفن عصر اليوم المذكور ببقِيعها. ومشى السلطان[٥] راجلًا أمام نَعْشه.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد[٦]

الإمام أبو محمد بن حزم.

أوليته: أصله من الفُرس، وجدُّه الأقصى في الإسلام اسمه يزيد، مولى ليزيد بن أبي سفيان. قال أبو مروان بن حيان: وقد كان من عجائبه، انتماؤه في فارس وأتباع أهل بيته، له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولّى فيها الوزير، المفضَّل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم، لبني أُمية أولياءِ نعمته، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عَهِده الناس مُوَلَّد الأرومة من عجم لَبْلة، جدُّه الأدنى حديث عهد بالإسلام، لم يتقدَّم لسلفه نباهة. فأبوه أحمد، على الحقيقة، هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رايته، وعَمَره بالخلال الفاضلة، من الرَّجاحة والدَّهاءِ والمعرفة والرجولة والرأي، فأسدى جرثومة شرف لمن نماهم، أغنتهم عن الرسوخ في أولى السابقة، فما من شرف إلَّا مسبوق عن خارجته، ولم

(١) في الأصل: «تجرّعه»، والتصويب من المصادر.
(٢) في جذوة المقتبس: «العالمين».
(٣) قارن بالصلة (ص ٥٩٣).
(٤) قارن بالصلة (ص ٥٩٣).
(٥) المراد بالسلطان إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري، صاحب الجزر ودانية في عصر ملوك الطوائف. وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٤٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٥٧) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢١).
(٦) ترجمة ابن حزم في جذوة المقتبس (ص ٣٠٨) وبغية الملتمس (ص ٤١٥) والذخيرة (ق ١ ص ١٦٧) ومطمح الأنفس (ص ٢٧٩) والمغرب (ج ١ ص ٣٥٤) والمعجب (ص ٩٣) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٥٤٦) وشذرات الذهب (ج ٣ ص ٢٩٩) والصلة (ص ٦٠٥) والمطرب (ص ٩٢) ورايات المبرزين (ص ١١٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ١١٣) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٤) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩٢).

يكن إلّا كلًّا ولا، حتى تخطّى على هذا أوليته لَبْلة، فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس. فالله أعلم كيف ترقّاها، إذ لم يكن يُؤتى من خطل ولا جهالة، بل وَصْلُه بها وُسع علم، ووَشْجة رَحِم معقومة، فلها يستأخر الصلة، فتناهت حاله مع فقهاءِ عصره إلى ما وُصف، وحسابه وحِسابهم على الله الذي لا يظلم الناس مِثقال ذرَّة، عزَّت قدرته.

حاله: قال الحُميدي[١]: كان حافظًا، عالمًا بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنّة، متفننًا في علوم جمَّة، عاملًا بعلمه، زاهدًا في الدنيا بعد الرِّئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله، في الإدارة[٢] وتدبير الممالك، متواضعًا، ذا فضائل جمَّة. قال: وما[٣] رأينا مثله فيما اجتمع له، مع الذكاءِ وسُرْعة الحفظ، وكَرَم النفس والتَّديُّن. قال أبو مروان بن حيان: كان أبو محمد حامل فنون، من حديث وفقه ونسب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة. وله في ذلك عدة تواليف.

وقد مال أولًا به النَّظر في الفِقه إلى رأي أبي عبد الله الشافعي، وناضل عن مذاهبه، وانحرف عن مذهب غيره، حتى وُسم به، واستهدف بذلك إلى كثير من الفقهاءِ، وعيب بالشُّذوذ. ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظَّاهر، مذهب داود بن علي، ومَن تَبِعه من فقهاءِ الأمصار، فنقحه ونهجه، وجادل عنه، ووضع الكتب في بَسْطه، وثَبَت عليه إلى أن مضى بسبيله. وكان يحمل علمه، ويجادل عنه لمن خالفه فيه، على استرسال في طباعه، واستناد إلى العَهْد الذي أخذه الله على العلماءِ من عِباده، ليبيِّنه للناس، ولا يكتمونه، فآل أمره إلى ما عُرف.

مشيخته: قال[١]: سمع سماعًا جَمًّا، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجَسُور قبل الأربعمائة.

تواليفه: قال[٤]: بلغت تواليفه أربعمائة مجلد. وقال: حِمْل بعير، فمنها في علم الحديث كتاب كبير سمّاه «الإيصال إلى فهم كتاب[٥] الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام، في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوْجَبه القرآن والسُّنة والإجماع»؛ أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين،

(١) جذوة المقتبس (ص ٣٠٨). (٢) في الجذوة: «الوزارة».
(٣) جذوة المقتبس (ص ٣٠٨).
(٤) قارن بجذوة المقتبس (ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥).
(٥) كلمة «كتاب» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه. وله كتاب «الإحكام لأصول الأحكام» في غاية التقصّي وإيراد الحجاج. وكتاب «الفَصْل في الملل والأهواءِ والنِّحل». وكتاب «الإجماع ومسائله» على أبواب الفقه. وكتاب «المُجلَّى والمُحلَّى» وكتاب «في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلّق بعضها ببعض». وكتاب «إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقُض ما بأيديهم من ذلك مما لا[1] يحتمل التأويل». وهذا ممّا سُبق إليه، وكتاب «التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه» بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية؛ فإنه سلك في بيانه وإزالة سوءِ الظنّ عنه، وتكذيب المنحرفين[2] به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمْنا[3].

شعره: قال[4]: وكان له في الأدب[5] والشعر نَفَسٌ واسع، وباع طويل. وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرعَ منه. وشعره كثير، وقد جُمع على حروف المعجم. ومنه قوله[6]: [الطويل]

هل الدَّهرُ إلّا ما عَرَفْنا وأدْرَكْنا ... فجائِعُهُ تبقى ولَذّاتُه تَفْنى
إذا أمْكَنَتْ فيه مَسَرَّةُ ساعةٍ ... تَوَلَّتْ كمرِّ الطَّرْف واستخلفت حُزْنا
إلى تَبِعاتٍ في الحساب[7] وموقفٍ ... نَوَدُّ لديه أننا لم نكُنْ كُنّا
حَصَلْنا على همٍّ وإثم وحَسْرةٍ ... وفات الذي كنّا نلذُّ[8] به عنّا[9]
حَنينٌ لِما ولَّى، وشُغْلٌ لما[10] أتى ... وغَمٌّ لما يُرْجى، فعَيْشُك لا يَهْنا
كأنَّ[11] الذي كُنّا نُسَرُّ بكونه ... إذا حقَّقَتْهُ النَّفْسُ لَفْظٌ بلا معنى

ومن ذلك قوله من قصيدة في الفخر[12]: [الطويل]

أنا الشَّمْسُ في جَوِّ العلوم منيرةٌ ... ولكنَّ عَيْبي أنَّ مَطْلَعيَ الغَرْبُ

---

(١) كلمة «لا» ساقطة في الجذوة. (٢) في المصدرين: «المُمَخْرقين».
(٣) في الجذوة: «علمناه».
(٤) النص نثرًا وشعرًا في جذوة المقتبس (ص ٣٠٩ - ٣١١).
(٥) في الجذوة: «الآداب».
(٦) الأبيات أيضًا في بغية الملتمس (ص ٤١٦) والمعجب (ص ٩٤ - ٩٥) والصلة (ص ٦٠٦).
(٧) في المصادر كلها: «المعاد». (٨) في المعجب: «نقرُّ».
(٩) في المعجب والصلة: «عينا». (١٠) في المصادر كلها: «بما».
(١١) في الأصل: «كان»، والتصويب من المصادر.
(١٢) الأبيات أيضًا في المعجب (ص ٩٥) وبغية الملتمس (ص ٤١٧) والذخيرة (ق ١ ص ١٧٣ - ١٧٤) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧).

ولو أنّني من جانب الشّرق طالعٌ ... لَجَدَّ على ما ضاع من ذكريَ النَّهبُ
ولي نَحوَ أكنافِ العراقِ صَبابةٌ ... ولا غَرْوَ أنْ يَسْتَوحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ
فإنْ يُنْزل الرحمنُ رَحْليَ بينهمْ ... فحينئذ يبدو التأسُّفُ والكَرْبُ
فكم قائلٍ: أغفَلْتُه وهو حاضر ... وأطلبُ ما عنه تجيء به الكُتْبُ
هنالك يَدْري أنّ لِلبُعْدِ قصةً ... وأنّ[1] كَسادَ العِلْمِ آفَتُه القُرْبُ

ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه:

ولكنَّ لي في يوسفٍ خَيْرَ أُسْوةٍ ... وليس على من سار[2] سيرته ذَنْبُ
يقول، وقال الحقَّ والصِّدْقَ، إنني ... حفيظٌ عليمٌ، ما على صادقٍ عَتْبُ

ومن شعره قوله فيما كان يعتقده من المذهب الظاهري[3]: [الطويل]

وذي عَذَلٍ فيمن سَبانيَ حُسْنُه ... يُطيلُ مَلامي في الهوى ويقولُ:
أفي حُسْنِ وَجْهٍ لاحَ لم تَرَ غيره ... ولم تَدْرِ كيف الجسمُ أنت قَتيلُ[4]؟
فقلت له: أسْرَفْتَ في اللوم ظالمًا ... وعنديَ رَدٌّ، لو أردْتُ، طويلُ[5]
ألم تَرَ أنّي ظاهريٌّ وأنني ... على ما بَدا[6] حتى يقومَ دليلُ؟

ومن ذلك قوله[7]: [الطويل]

أبِنْ وَجْهَ قولِ الحقِّ في نَفْس سامعٍ ... ودَعْه فَنُورُ الحَقِّ يَسْري ويُشْرِقُ
سيؤنسه رفْقًا فينسى نِفاره ... كما نَسِيَ القَيْدَ المُوثَّقَ مُطْلَقُ

---

(١) في الأصل: «وأنه»، والتصويب من المصادر.
(٢) في المصادر: «على مَن بالنبي ائتسى ذَنْبُ».
(٣) الأبيات في الذخيرة (ق ١ ص ١٧٥) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٥٥٠) والمغرب (ج ١ ص ٣٥٦) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩٧).
(٤) في الذخيرة: «لم تر غيره ولم تَدْرِ...». وفي معجم الأدباء: «أمن حُسْن وجه...». وفي المغرب ونفح الطيب: «أمن أجل وَجْه... أنت عليلُ».
(٥) في الذخيرة والمغرب ومعجم الأدباء: «... اللوم فاتئذ فعندي ردّ، لو أشاء، طويلُ».
(٦) في المغرب والنفح: «أرى».
(٧) البيتان أيضًا في بغية الملتمس (ص ٤١٧) والذخيرة (ق ١ ص ١٧٤).

ومن ذلك قوله[(١)]: [الوافر]

لئن أصْبَحْتُ مُرْتَحِلًا بشخصي[(٢)] فرُوحي[(٣)] عندكمْ أبدًا مُقيمُ
ولكنْ للعِيانِ لطيفُ مَعْنًى لهُ[(٤)] طَلَبَ[(٥)] المعاينةَ الكَليمُ

وفي المعنى[(٦)]: [الوافر]

يقول أخي: شَجاكَ رحيلُ جِسْم ورُوحكَ ما له عنّا رحيلُ
فقلت له المُعايِنُ مُطْمَئِنٌّ لذا طَلَبَ المُعاينةَ الخليلُ

دخوله غرناطة: وصل في جملة الإمام المرتضَى، ولمّا جرَت عليه الهزيمة واستولى باديس الأمير بغرناطة على محلّته، كان أبو محمد من عِداد أسْراه مع مِثله، إلى أن أطلقه بعد لأيٍ، وخلّصه الله منه.

محنته: قال ابن حيان: استَهدَف إلى فقهاءِ وقته، فتألّبوا على بُغْضه، وردِّ قوله، وأجمعوا على تَضْليله، وشنّعوا عليه، وحذّروا سلاطينهم من فِتْنته، ونهوا أعوامهم عن الدنوِّ إليه، والأخذ عنه، فطَفِق الملوك يَقْصونه عن قُربهم، ويُسَيِّرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به، مُنقطع أثره بتربة بلده من بادية لَبْلة، وبها توفي غير راجع إلى ما أرادوا، به يَبُثّ علمه فيمن يَنْتابه ببادِيته من عامّة المُقْتبسين منه من أصاغر الطلبة الذين لا يحسُّون فيه الملامة بحداثتهم، ويفقِّههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف حتى كَمُل من مصنّفاته في فنون العلم وَقر بعير، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية، وفي ذلك يقول[(٧)]: [الطويل]

فإنْ تحرقوا القِرطاسَ لا تحرقوا الذي تَضَمَّنه القرطاسُ بل هو في صَدْري
يسيرُ معي حيث استقلّتْ ركائبي ويَنْزلُ إنْ أنزِلْ ويُدْفَنُ في قَبْري

---

(١) البيتان أيضًا في بغية الملتمس (ص ٤١٧) والمغرب (ج ١ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧) والمطرب (ص ٩٢) والذخيرة (ق ١ ص ١٧٤) والمعجب (ص ٩٦) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٦) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩٧).
(٢) في وفيات الأعيان: «بجسمي».
(٣) في النفح: «فقلبي».
(٤) في النفح: «لذا».
(٥) في المصادر كلها: «سأل».
(٦) البيتان أيضًا في بغية الملتمس (ص ٤١٨) والذخيرة (ق ١ ص ١٧٤) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٥٥٦) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٦).
(٧) البيتان في الذخيرة (ق ١ ص ١٧١).

مولده: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة.

وفاته: توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة[1].

علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي[2]

يكنى أبا الحسن، صاحبنا حفظه الله.

حاله: آية الله في الحفظ، وثُقوب الذهن، والنجابة في الفنون، وفصاحة الإلقاءِ، خريج طبعه، وتلميذ نفسه، ومُبْرز اجتهاده. إمام في العربية، لا يُشقُّ فيها غُباره حِفظًا وبحثًا وتوجيهًا واطلاعًا وعثورًا على سقَطات الأعلام، ذاكر للغات والآداب، قائم على التفسير، مقصود للفُتْيا، عاقد للوثيقة، مشارك في الفنون، ينظِم وينثُر، فلا يَعْدو الإجادة والسَّداد، سليم الصدر، أبيُّ النفس، كثير المشاركة، مُجدي الصُّحْبة، بعيد عن التَّسمُّت. رحل عن بلده مالقة بعد التبريز في العَدالة والشهرة بالطلب، واستقرّ بالمغرب، فأقرأ بمدينة أنْفَا، مُنَوَّهًا به، ثم بسَلا، واستوطن بها، رئيس المدرسة بها، مُجَمْهرًا بكرسيّها، فارعًا بمنبَرها بالواردة السلطانية، يفسر كتاب الله بين العشاءين، شرحًا كثير العيون، محذوف الفضول، بالغًا أقصى مبالغ الفصاحة، مُسْمعًا على المحال النّابية، ويدرس من الغَدَوات بالمدرسة، دولًا في العربية والفقه، أخذه بزمام النبل، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع. وحضر المناظرة بين يدي السلطان، فاستَأثر بِشِقْصٍ[3] من رَغيه، وأُعجب بقوة جأشه، وأصالة حِفظة، فأنْمى جراياته، ونوَّه به.

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذين، عَلَمي القُطْر؛ القاضي العالم أبي عبد الله ابن تِبر، والقاضي النظار أبي عمرو بن منظور. وتلا القرآن على المقرىء أبي محمد بن أيوب. وذاكر بغرناطة إمام العربية أبا عبد الله بن الفخَّار ورئيس الكتاب شيخنا أبا الحسن ابن الجيّاب. وبالمغرب كثيرًا من أعلامه، كالرئيس أبي محمد الحَضْرمي، والقاضي أبي عبد الله المقرىء وغيرهما[4]. وهو الآن بحاله الموصوفة قاضيًا بشرقي مالقة، وأستاذًا بها متكلمًا، مُعْجزٌ من مفاخر قُطْره.

---

(١) في الجذوة (ص ٣٠٩): مات بعد سنة ٤٥٠ هـ. وفي الصلة: مات قريبًا من سنة ٤٦٠ هـ، وقيل: سنة ٤٥٨ هـ.

(٢) ترجم له ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤) تحت عنوان: «المتكلم أبو الحسن علي بن إبراهيم الرقاص، رحمه الله تعالى».

(٣) الشِّقْص: النصيب والسَّهم.

(٤) في الأصل: «وغيرهم».

شعره: مما يؤثر من شعره منقولًا من خطّ صاحبنا أبي الحسن بن الحسن: [البسيط]

رحْماك رحْماك في قَلْبٍ يُقَلِّبُهُ ... شَوْقٌ يكادُ بِلَفْحِ الوَجْدِ يُذْهِبُهُ
هام الفؤاد بمعنًى للجمال بدا ... عليك في السِّرِّ للأرواح أعْجَبُهُ
ولاح منك لذي الإشراف جوهرة ... ألاحَتِ الحُسْنَ عمّا كان يَحْجِبُهُ
فلو هم الصَّحْب أن الرّوح تَيَّمَها ... ماضي الجفون برود الثَّغر أشْنَبُهُ
يظلّ مُعتقلًا من خَوْط قامته ... بأسْمَرٍ غالني منه مؤرّبُهُ
وذي فِرَنْدٍ يدبُّ الموت في شطب ... منه ويوحش في جنحٍ تَلَهُّبُهُ
يخاله ذو الصَّدا ماء فيُبْصره ... يودّ في الحال أنْ لو كان يَشْربُهُ
بالهِنْدوانيّ والذي[1] توشّحه ... وبالصَّبابة والأرواح مَلْعبُهُ
كساه سِرُّ الجمال المحض حُلّته ... إذ جاده من نكوب الجود صَيِّبُهُ
وقام يَرْفُل فيها وَهْيَ ضافيةٌ ... فأقبلَتْ نحوه الأرواحُ تطلبه
هيهات من دونه بابٌ بظاهره ... يجر الفناء[2] وجُنْد الروح يَرْهَبُهُ
فمرنا والموت فيه عَيْن عيشته ... فأَوْجُ مَرْقى حياةِ الروحِ مَرْقَبُهُ
نيدتْ لوائحُه من بحر جوهره ... بَرْقًا يغير على الغَيْران خُلَّبُه
وتَسْتَعير له روحا مظاهره ... سرُّ الجمال بها يبدو تحجُّبه
بَدْرٌ وفي أُفق الأرواح مَطْلَعُه ... مهما أفاقتْ وإلّا فَهْيَ مَغْربُهُ
بخاطر منه سرّ لا يفارقه ... وإن غدا بغرام الشوق يُلْهبه
لي هواه والبعد ينهاني ويُصْدقني ... في نُصحه وصريح الوَجْد يُكْذبه
سِرُّ الغرام غريبٌ ليس يعلمه ... إلّا الذي قد غدا يُرضيه مُغْضبُهُ
وللصَّبابة أقوام ومَوْردهمْ ... بها من الأُنْس أحلاه وأعذبه
وليس يَعْرف هذا حَقَّ معرفة ... إلّا الذي قد تَجَلَّى عنه غَيْهَبُه
وأبصر الحُسْن قد لاحتْ لوائحه ... وغرُّ مُسْتَبْشرِ الأضواءِ كوكبُه
بذات أهيف من سرّ الحياة[3] ... طِرْسٌ يغالبه طورًا فيَغْلِبُه

---

(١) في الأصل: «والذي ندّ توشجه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «الفنا» وكذا ينكسر الوزن. (٣) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

وفي لُجَين الجمال المحض قد فعلت فعلًا يردُّ لها في الحكم مذهبه
أرُوم إغجامه هَوْنًا وتُطْمِعُني فيه النَّفاسة والأنفاس تعرفه
فَمَنْ لمِثْلي بكتمانٍ ومنْ نَفَسي أخو بيانٍ مع الساعات يُشهبه
لُبانة السِّرّ أنْ تحظى بمرقبة إلى سبيل من الزُّلْفى تُقَرِّبه
تسمو على منكَب الجوزاءِ ذروتها عن رقَّة بشهود الفرق تُسلبه
وفي مصافَّات سِرِّ القبضِ يَبْسُطه لدى الوجود الذي قد عَزَّ مطلبه
فيرتقي في مراقي الجمع مختطفًا إلى المقام الذي إليه[1] بُغْيَتُهُ
فذاك أعظم ما يرجوه أن سبقت عنّا يَدٌ نحو باب العزِّ تجذبه

ومن منظومه في النسيب قوله: [الكامل]

لمحمدِ البرقاءِ حُسْنٌ باهرٌ كلُّ الورى حِلْف الصَّبابة فيهِ
السِّحْرُ مفتونٌ بغُنْج لحاظه والشَّهْدُ ممزوجٌ بريق[2] فيه
فسحره أضْنَى المتيَّم في الهوى حتى يكاد سقامُه يُخْفيه
ولَوَ أنه بالشَّهْد جاد ورَشْفُه لِصَدٍ لكان من الصَّدا يَشْفيه
بصدوده قلبي يُقَطَّع في الهوى يا ليته بوصاله رافيه

وصدّر كتابًا بقوله يخاطبني[3]: [الوافر]

أنِسْيانًا فَدَيْتُكَ يا حياتي لمن لم يَنْسَ[4] حُبَّكَ للمماتِ
ورَجْمًا بالظنون أخا حَنينٍ إليك رَهينَ[5] شوقٍ وانْبتات
يمينًا بالنهار إذا تَجَلَّى وبالقمر المنير وبالأيات[6]
لقد أحلَلْتُ حُبَّكَ من فؤادي مَحَلَّ الروحِ مِنْ بثّ الجهات[7]

وشعره بديع، وإدراكه عجيب، وعارضته قوية.

(١) في الأصل: «عند» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «بريقه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤).
(٤) في الأصل: «ينبيك»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٥) في الكتيبة: «حليف».
(٦) أصل القول: «وبالآيات»، جمع آية، وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الكتيبة الكامنة: «من بيت الحياة».

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكِتامي[١]

يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن الضَّائع، من أهل إشبيلية.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: بلغ[٢] الغاية في الفنِّ النحوي، وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي الشلوبين بأسرهم، وله في مشكلات الكتاب العجائب، وقرأ ببلده أيضًا علم الكلام، وأصول الفقه، وكان متقدمًا في هذه العلوم الثلاثة، متصرِّفًا فيها. وأما فنُّ العربية، وعلم الكلام، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العِلْمين. وأما فهمه وتصرفه في كتاب سيبويه، فما أراه يسبقه في ذلك أحد. وله إملاءٌ على طائفة كبيرة من إيضاح الفارسي. وكان له اعتناءٌ كبير بكلام الفارسي على الجُملة، وبحسب ذلك استَقْصَى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة على أبي علي بالردّ، واستوفى ما وقع له في ذلك حتى لم يبق بيده شيء على طريقة من الإنصاف ودليل الهدى، لم يُسبق إليها، وكذا فعل في رد أبي محمد بن السيد على أبي القاسم الزجّاجي. وكذا فعل في اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة على كتاب سيبويه. وكان بالجملة إمامًا في هذا كله لا يُجارى. وأما اختيارات أبي الحسن بن عصفور في مغربه وغير ذلك من تعاليقه وما قيَّد في ذلك، فرَدَّ عليه معظمَها أو أكثرها. ولم يُلْق بالأندلس والعُدْوة، ولا سمعْنا بأنبه منه، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه، ولا رأيت مختَلِفًا عليه من أهل بلده من أترابه، ومَنْ فوقهم. وكان إذا أخذ في فن أتى بعجائب. قال الأستاذ: لازمته، وأخذت عليه كتاب سيبويه في عدة سنين، وأكثر كتاب الإيضاح، وجمل الزجّاجي، إلى غير ذلك، وجميع التلقيحات للسَّهْرَوَرْدي، وطائفة كبيرة من إرشاد أبي المعالي، ومن كتاب الأربعين لابن الخطيب، وغير ذلك.

مشيخته: أجاز[٣] له من أهل بلده الراوية المُسِنّ أبو الحسن[٤] بن السّراج، والقاضي أبو الخطاب بن خليل. ومن غيرهم، القاضي أبو بكر بن محرز، والمُقرىء المُعمَّر أبو بكر الشّماتي المعروف بالشريشي، وأبو عبد الله الأزدي، وأبو عبد الله بن جَوْبَر، وآخرين. وقرأ ببلده، ولازم الأستاذ أبا علي الشلوبين، حتى كمل عليه إيضاح

(١) ترجمة علي بن محمد الكتامي في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٣٧٣) وبغية الوعاة (ص ٣٥٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٩٧).

(٢) قارن ببغية الوعاة (ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥). وترجمته غير موجودة في صلة الصلة لابن الزبير، المطبوعة.

(٣) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٣٧٣). (٤) في الذيل والتكملة: «أبو الحسين».

الفارسي، وكتاب سيبويه. وسمع جمل الزجّاجي، وغير ذلك من كتب العربية، ممن كان يقرأ في المجلس، وقرأ عليه طائفة كبيرة من تَذْكرة الفارسي مما يتعلّق بمسائل الكتاب، بعد أن جرَّدها من التذكرة. وبلغ الغاية في الفن النحوي، وفاق أصحاب أبي علي بأسرهم.

وفاته: توفي، رحمه الله، في شهر ربيع الآخر[١] من سنة ثمانين وستمائة، وقد قارب التسعين[٢]. [قلت: العجب من الشيخ الخطيب، رحمه الله، كيف لا يذكر للمترجم به، رحمه الله، شَرْحَه لجمل الزجّاجي، بل شرحه الصغير والكبير؟ ولم يكن اليوم على الزجّاجي أجدى منها، ولا أنفع، ولا أقلّ فضولًا، ولا أفصحَ عبارة، ولا أوجز خطابة، ولا أجمل إنصافًا، ولا أجْوَدَ نظرًا[٣]].

الكتاب والشعراء وأولًا الأصليون منهم

علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي[٤]

يكنى أبا الحسن، من أهل غرناطة.

حاله: صاحبُنا أبو الحسن، من[٥] أهل الفضل والسَّراوة والرُّجولة والجزالة. فذ في الكفاية، ظاهرُ السذاجة والسلامة، مُضعَبٌ لأضداده، شديد العصبة[٦] لأُولي وُدِّه، في أخلاقه حِدَّة، وفي لسانه نبالة، أخلّا به، مشتملٌ على خلال من خطٍّ بارع، وكتابة حسنة، وشِعر جيد، ومُشاركة في فقه وأدب ووثيقة، ومحاضرة ممتعة. ناب عن بعض القضاة، وكتب الشروط، وارتَسَم في ديوان الجند، وكتب عن شيخ الغَزاة أبي زكريا يحيىٰ[٧] بن عمر على عهده. ثم انصرف إلى العُدْوة سابع عشر جمادى الأُولى من عام ثلاثة[٨] وخمسين وسبعمائة، فارتسم في الكتابة السلطانية مُنَوَّهًا به، مُسْتَعْمَلًا في خِدم مُجْدية، بان غناؤه فيها، وظهرت كفايته.

---

(١) في بغية الوعاة (ص ٣٥٥): «مات في ٢٥ ربيع الآخر...». وفي الذيل والتكملة: «ولد بإشبيلية سنة أربع عشرة وستمائة».
(٢) في بغية الوعاة: «السبعين».
(٣) ما بين قوسين، أغلب الظن أنه من كلام الناسخ أو المختصر.
(٤) ترجمة ابن الصباغ في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣).
(٥) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥).
(٦) في النفح: «العصبية لأولي وداده، يشتمل على خلال من خطّ...».
(٧) كلمة «يحيىٰ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٨) في الأصل: «ثلاث»، وهو خطأ نحوي.

وجرى ذكره في كتاب التَّاج بما نصُّه[١]: اللَّسِنُ العارف، والنَّاقد[٢] الجواهر المعاني كما يفعل بالسِّكة الصَّيارف، الأديب المُجيد، الذي تَحَلّى به للعصر[٣] النَّحْرُ والجيد، إن أجال جِيادَ براعته فَضَح فرسان المَهارِق، وأخْجل بين بياض طِرْسه وسواد نِقْسه[٤] الطُّرَرَ تحت المفَارق. وإن جلا أبكار أفكاره، وأثار طَيْر البيان[٥] من أوكاره، وسلب الرَّحيق المُفدّم[٦] فَضْلَ أبكاره[٧]، إلى نفس لا يُفارقها ظَرف، وهِمّة لا يرتدّ إليها طَرْف، وإباية[٨] لا يُفَلُّ لها غَرْب ولا حرف. وله أدب غضٌّ، زهره عن[٩] مجتنيه مُرْفَضٌ[١٠]. كتبت إليه أنْتَجز[١١] وعده في الالتحاف[١٢] برائقه، والإمتاع بزهر هواتِفه[١٣]، وهو قولي[١٤]: [الكامل]

عندي لموعدَك افتقارٌ مُحوجٌ[١٥] ... وعهودكَ افْتَقَرتْ إلى إنجازِها
والله يعلم فيكَ صِدْقَ مودَّتي ... وحقيقةُ الأشياءِ غيرُ مَجازِها

فأجابني بقوله: [الكامل]

يا مُهْديَ الدُّرِّ الثمينِ مُنَظَّمًا ... كَلِمًا حلالُ السِّحْرِ في إيجازها
أدْرَكْتَ حَلْباتِ الأوائل وانيًا ... ورَدَدْتَ أُولاها على أعْجازها
أحْرَزْتَ في المضمار خَصْلَ سِباقها ... ولأنتَ أسبقُهم إلى إحرازها
حَلَّيتَ بالسِّمْطَينِ مني عاطلًا ... وبَعَثْتَ من فكري مَتات[١٦] مفازها
فلأنجزنَّ مواعدي مستعطفا ... فاسمح وبالإغضاءِ منك مجازها

ومن مقطوعاته قوله[١٧]: [المديد]

ليت شعري والهوى أمَلٌ ... وأماني الصَّبِّ لا تَقِفُ

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤).
(٢) في النفح: «الناقد».
(٣) في الأصل: «تملّى به العصر والنحر...»، والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «وسواد نفسه الطور...»، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «طير البيازين أوكاره»، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «المقدّم».
(٧) في النفح: «إسكاره».
(٨) في النفح: «وإبانة».
(٩) في النفح: «على».
(١٠) في النفح: «منفض».
(١١) في المصدر نفسه: «أستنجز».
(١٢) في المصدر نفسه: «الإتحاف».
(١٣) في النفح: «حدائقه، قولي».
(١٤) البيتان والمقطوعة التالية في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٤).
(١٥) في النفح: «محرج».
(١٦) في النفح: «فتاة».
(١٧) هذان البيتان والبيتان التاليان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٥).

هـل لـذاك الـوَصْـلِ مُـرْتَـجَـعٌ أو لـهـذا الـهَـجْـرِ[١] مُـنْـصَـرَفُ؟

ومن ذلك: [الطويل]

وظَبْيٍ سبى[٢] بالطَّرْف والعِطْف والجِيد[٣] وما حاز من غُـنْـجٍ ولِيـنٍ ومِـنْ غَـيَـدْ
أتـيـتُ[٤] إلـيـه بـالـدّنُـوِّ مُـداعِـبًـا فقال: أيَدْنو الظَّبْيُ من غابةِ الأسَدْ؟

وقال من مبدإ قصيدة مطولة فيما يظهر منها[٥]: [الطويل]

حديثُ المغاني بَعْدَهُنَّ شُجونُ وأوْجُـهُ أيـامِ الـتـبـاعـدِ جُـونُ[٦]
لحا الله أيامَ الفراقِ فكم شَجَتْ وغـادرتِ الـجَـذْلانَ وهـو حـزيـنُ
وحَـيَّـا ديـارًا فـي رُبـى أغْـرنـاطـة وإنّـي بـذاك الـقـربِ فيه[٧] ضـنـيـن
لـيـالـيَ أنـفـقْـتُ الـشـبـابَ مُـطـاوعـا وعُمري لدى البيض الحسان ثمينُ[٨]
فأرخَصْتُ[٩] فيها من شبابيَ ما غَلا وغُرْمي[١٠] على مالِ العفافِ أمينُ
خـلـيـلَيَّ، لا أمْـرٌ، بـأرْبُـعِـهـا قِـفـا فـعـنـدي إلـى تـلـك الـرُّبـوع حَـنـيـنُ
ألـم تَـرَيـانـي كـلّـمـا ذَرَّ شـارقٌ تـضـاعـفُ عـنـدي عَـبْـرَةٌ وأنـيـن؟
إذا لـم يـسـاعـدْنـي أخٌ مـنـكـمـا فـلا حَدَتْ نحو[١١] قرن بعد ذاك أمُون
ألـيـس عـجـيـبًـا فـي الـبـريّـةِ مَـنْ لـنـا إلى عهدِ إخوانِ الزمانِ[١٢] رُكون؟
فلا تَثِقَنْ من ذي[١٣] وفاءٍ بعهده فـقـد أجِـنَ الـسَّـلْـسـالُ وهـو مَـعِـيـنُ
لـقـلـبيَ[١٤] عُـذْرٌ فـي فـراق ضـلـوعـه ولـلـدمـع فـي تـرك الـشـؤون شـؤون
ومـن تَـرَكَ الـحـزمَ الـمَـعـيـنَ فـإنـه لَـعـانٍ بـأيـدي الـحـادثـات رهـيـن
رعـى الله أيـامـي الـوثـيـقَ ذِمـامُـهـا فـإنَّ مـكـانـي فـي الـوفـاءِ مَـكـيـن

(١) في الأصل: «البحر»، والتصويب من المصدرين.
(٢) في الكتيبة: «زها».
(٣) في الكتيبة: «والطلا».
(٤) في المصدرين: «أَسْرَتُ».
(٥) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦).
(٦) الجُون: السُّود.
(٧) في النفح: «منك».
(٨) هذا البيت غير وارد في نفح الطيب.
(٩) في النفح: «لأرخَصْتُ».
(١٠) في النفح: «وعزمي».
(١١) في النفح: «حَدَتْ لخؤون بعد...».
(١٢) في الأصل: «للزمان» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٣) في الأصل: «فلما تثغن من ذرى وفاء...»، والتصويب من النفح.
(١٤) في الأصل: «أذلني» والتصويب من النفح.

ولم أرَ مِثْلَ الدهرِ أمَّا عَدُوُّه فخِبٌّ وأمّا خِلُّه فخؤون
ولولا أبو عمرو وجُودُ يمينِهِ[١] لما كان في عهد الزمان مُعين

ومن شعره قوله[٢]: [الكامل]

زار الخيالُ ويا لها من لَذَّةٍ لَكِنَّ لَذَّاتِ[٣] الخيال مَنامُ
ما زلتُ ألثمُ مَبسمًا منظومُهُ دُرٌ[٤] ومَوْرِدُهُ الشَّهِيُّ مُدام
وأضمُّ غصنَ البان مِنْ أعطافِهِ فأشِمُّ[٥] مِسْكًا فُضَّ عنه ختام

مولده: عام ستة وسبعمائة.

وفاته: وتوفي بمدينة فاس، وقد تخلّفه السلطان كاتب ولده، عند وجهته إلى إفريقية، في شوال عام ثمانية وخمسين وسبعمائة، فتوفي في العشرين لرمضان منه.

علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان ابن حسن الأنصاري[٦]

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن الجيّاب، شيخنا ورئيسنا العلّامة البليغ.

حاله: من عائد الصِّلة: كان، رحمه الله، على ما كان عليه من التفنُّن، والإمامة في البلاغة، والأخذ بأطراف الطلب، والاستيلاءِ على غاية الأدب، صاحب مجاهدة، وملازمة عبادة، على طريقة مُثلى من الانقباض والنزاهة، وإيثار التقشف، محبًا في أهل الخير والصلاح، مُنحاشًا إليهم، مُنافرًا عن أضدادهم، شيخ طلبة الأندلس، رواية وتحقيقًا، ومشاركة في كثير العلوم، قائمًا على العربية واللغة، إمامًا في الفرائض والحساب، عارفًا بالقراءات والحديث، متبحرًا في الأدب والتاريخ، مشاركًا في علم التصوّف، فذًا في المسائل الأدبية البيانية، حامل راية المنظوم والمنثور، والإكثار من ذلك، والاقتدار عليه، جلدًا على الخدمة، مغتبطًا بالولاية، محافظًا على الرُّتبة، مراقبًا

(١) في النفح: «بنانه».
(٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٦).
(٣) في الكتيبة: «لكنْ للذات». (٤) في الكتيبة: «دُرَرٌ».
(٥) في النفح: «وأشمُّ».
(٦) ترجمة علي بن محمد بن الجياب في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٣) ونثير فرائد الجمان (ص ٢٣٩) ونيل الابتهاج (ص ١٩٣) والديباج المذهب (ص ٢٠٧) ودرة الحجال في أسماء الرجال (ج ٢ ص ٤٣٥) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٠٧) و(ج ٨ ص ٣٩٧).

لوظائف الأبواب السلطانية، متوقد الذهن، ذلِق الجوانب، مشغوفًا بالأُنس والمفاوضة في الأدب، محسنًا للنادرة الظريفة، مليح الدُّعابة، غزير الحفظ، غيورًا على الخُطَّة، كثير النشاط إلى المذاكرة، مع استغراق الكلف، وعلو السن. طال به المرض حتى أذهب جواهر بَدَنه، وعلى ذلك فما اختلّ تميّزه، ولا تغيّر إدراكه. بعثت إليه باكور رمّان، فقال لي من الغد، نَعِم بالهُدْنة زمانُك، يعني نَعِمت الهدية رمّانك. فعجب الناس من اجتماع نفسه، وحضور فكره. وهو شيخي الذي نشأت بين يديه وتأدبت به، ووَرِثت خُطَّته عن رضى منه. كتب عن الدول النصرية نحوًا من خمسين سنة أو ما ينيف عليها، متين الجاه، رفيع المكانة، بعيد الصيت، وسَفَر إلى الملوك، واشتهر بالخير، والحمل على أهل الظلم، وجرى ذكره في التاج بما نصُّه(١):

صدر الصُّدور الجلّة، وعَلَمُ أعلام هذه الملّة، وشيخُ الكتابة وبانيها(٢)، وهاصِرُ أفْنان البدائع وجانيها، اعتمدته الرياسة، فناءَ(٣) بها على حبل ذراعه، واستعانت به السياسة، فدارت أفلاكها على قطب من شَباة يَراعه(٤)، فتفيّأ للعناية ظلّاً ظليلًا، وتعاقبت(٥) الدول فلم تَرَ به بديلًا، من نَدْب على علوّه متواضع، وحبر لِثَدْي المعارف راضع، لا تمرّ(٦) مذاكرة في فنّ إلّا وله فيه التَّبريز، ولا تُعْرض جواهر الكلام على محاكاة(٧) الأفهام إلّا وكلامه الإبريز، حتى أصبح الدهر راويًا لإحسانه، وناطقًا بلسانه، وغرّب ذكره وشرّق، فأشام(٨) وأعرق، وتجاوز البحر الأخضر والخليج الأزرق، إلى نفس هذَّبت الآداب شمائلها، وجادت الرياض خمائلها، ومراقبة لربّه، واستباق لِرَوْح الله من مَهَبّه، ودين لا يُعْجم عوده، ولا تخلف وعوده. وكلّ ما ظهر علينا ـ معشر(٩) بنيه ـ من شارة تجلى(١٠) بها العين،

(١) النص في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٣ ـ ١٨٤) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٧).
(٢) في الأصل: «وبنيها»، والتصويب من النفح. وجاء في الكتيبة الكامنة: «وبنيها، ومتولّي أيام خدمتها وسِنِيها، وهاصرُ...».
(٣) في الأصل: «فنأى» والتصويب من المصدرين.
(٤) اليراع: القلم، وأراد بالشباة طرف القلم الذي يكتب به، وأصل الشباة طرف الرمح ونحوه.
(٥) في الكتيبة: «وتعاقبت دول العدل... له عديلا».
(٦) في الكتيبة: «لا يمرُّ الكلام في فن...».
(٧) في النفح: «محكات». وفي الكتيبة الكامنة: «جواهر الأفهام على ميدان الإبهام إلّا انتسب إليه الإبريز...».
(٨) في النفح: «وأَشأم».
(٩) كلمة «معشر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(١٠) في الكتيبة: «تحلّى».

أو إشارة كما سُبِكَ[١] اللُّجين، فهي إليه منسوبة، وفي حسناته محسوبة، فإنما هي أنفسٌ راضَها بآدابه، وأعلقها بأهدابه، وهذَّب طباعها، كالشمس تلقي على النجوم شعاعها، والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها، وما عسى أن أقول[٢] في إمام الأئمة، ونور الدياجي المُدْلَهِمَّة، والمثل السائر في بُعْدِ الصيت وعلوّ الهمّة.

مشيخته: نقلت من خطه، في بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين لقيتهم وأجازوني عامة؛ الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات، نسيج وحده، أبو الحسن فضل بن محمد بن علي ابن فضيلة المعافري، قرأت عليه كذا. ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير، خاتمة المسندين بالمغرب، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، نشأت بين يديه، وقرأت عليه كثيرًا وسمعت، وأجازني. ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأُستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الخُشني البلُوطي، قرأت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع وغير ذلك. ومنهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي، لقيته بمالقة. ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي الخطيب الصالح، قرأت عليه وسمعت. ومنهم الشيخ العدل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مَسْتقور الطائي. ومنهم قاضي الجماعة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العَنْسي. ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدّث الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد. ومنهم الشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيلي. ومنهم الشيخ الخطيب الأُستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبي السَّداد الأموي الباهلي. ومنهم الشيخ الوزير الحسيب أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن ربيع الأشعري، والشيخ الخطيب الأُستاذ النظار أبو القاسم بن الشّاط، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحَّل، والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد المولى الخولاني. هؤلاء كلهم لقيتهم، وأجازوني إجازة عامة، وأما من أجازني ولم ألْقه، فعالم كثير من أهل المغرب والمشرق، منهم أبو العباس بن الغمَّاز، قاضي الجماعة بتونس، وأبو عبد الله بن صالح الكناني، خطيب بجاية، والشريف أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني، وأبو فارس عبد العزيز الهواري، وأبو محمد بن هارون القرطبي، وأبو علي ناصر الدين المِشْدالي، وغيرهم.

---

(١) في الكتيبة: «سكب».

(٢) في الكتيبة: «أن يقال».

شعره: وشعره كثير مدوّن، جمعته ودونته، يشتمل على الأغراض المتعددة من المُعَشَّرات النبويَّات، والقصائد السلطانيات، والإخوانيات، والمقطوعات الأدبيات، والألغاز والأُحْجِيات.

فمن ذلك من المعشَّرات في حرف الجيم على وجه التبرك[١]: [الطويل]

جريئًا على الزلّات غير مفكِّرِ ... جبانًا على الطاعات غير مُعَرِّجِ
جَمَعْتَ لما يفنى اغترارًا بجمعه ... وضَيَّعْتَ ما يبقى سجيَّة أهْوَج
جنونًا بدارٍ لا يدومُ سرورُها ... فدعْها سدًى ليست بِعُشِّكَ فادْرُجِ[٢]
جيادُك في شأو الضلال سوابقٌ ... تفوتُ مدًى بين[٣] الوجيه وأعوجِ[٤]
جهلْتَ سبيل الرشد فاقصدْ دليلَهُ ... تجدْ دارَ سَعْدٍ بابُها غيرُ مُرْتَجِ
جنابُ رسولٍ ساد أولادَ آدم ... وقُرِّبَ في السَّبْع الطِّباق بِمَعْرَجِ
جمالٌ أنار الأرض شرقًا ومغربا ... فكلٌّ سنًى من نوره المتبلِّجِ
جلا صدأَ المرتاب أنْ سَبَّحَ الحصا ... لديه بِنطْقٍ ليس بالمتلجلجِ
جعلْتُ امتداحي والصلاةَ عليه لي ... وسائلَ تُخطِئني بما أنا أرتجِ[٥]

ومن الأغراض الصوفية السلطانية قوله[٦]: [الكامل]

هاتِ اسقني صِرْفًا بغير مزاجِ ... واخي[٧] التي هي راحتي وعلاجي
إن صُبَّ منها في الزجاجة قطرة ... شَفَّ الزجاجُ عن السَّنى الوهّاجِ
فإذا[٨] الخليعُ أصاب منها شَرْبةً ... حاجاه بالسِّرِّ المصون مُحاجي
وإذا المريدُ أصاب منها جُرْعَةً ... ناجاه بالحقِّ المُبين مُناجِ
تاهتْ به في مَهْمَهٍ لا يُهتدى ... فيه لتأديب[٩] ولا إدلاجِ
يرتاحُ من طَرَبٍ بها فكأنها[١٠] ... غَنَّتْه بالأرمالِ والأهْزاجِ

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨).
(٢) أخذه من المثل: «ليس هذا بعُشّكِ فادرُجي». أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حقّ فدعيه، يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٨١).
(٣) في النفح: «سنّ».
(٤) الوجيه وأعوج: فرسان من جياد خيل العرب. لسان العرب (وجه) و(عوج).
(٥) في النفح: «مُرْتج».
(٦) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٧) في النفح: «راحي».
(٨) في النفح: «وإذا».
(٩) في النفح: «لتأويب».
(١٠) في النفح: «فكأنما».

هَبَّتْ عليه نفحةٌ قدسيّة ... في فتح[1] بابٍ دائمِ الإرْتاج
فإذا انتشى يومًا وفيه بقيّةٌ ... سارتْ به قصدًا على المنهاج
وإذا تمكّن منه سُكْرُ مُعَرْبِدٍ ... فليبصرنّ[2] لمصرعِ الحلّاج
قصرتْ عبارةُ فيه عن وجدانه ... فغدا يفيضُ بمنطقٍ لَجْلَاج
أعشاه نورٌ للحقيقة باهرٌ ... فتراه يهبط[3] في الظلام الدّاجي
رام الصعودَ بها لمركز أصله ... فَرَمَتْ به في بحرها الموّاج
فلئن أُمدَّ برحمةٍ وسعادةٍ ... فليخلصنْ من بعدِ طول هِياج
وليرجعنَّ بغنيمةٍ موفورةٍ ... ما شِيبَ عَذْبُ شرابها بأُجاج[4]
ولئن تَخَطّاه القبولُ لما جنى ... فليرجعنْ نِكْسًا على الأدراج
ما أنتَ إلّا دُرّةٌ مكنونةٌ ... قد أُودِعتْ في نُطْفةٍ أمْشاج[5]
فاجهدْ على تخليصها من طبعها ... تعرّجْ بها في أرفع المِعْراج
واشْدُدْ يديك معًا على حبل التُّقى ... فإن اعتصمْتَ به فأنتَ النّاجي
ولدى العزيز ابْسُط بِساطَ تَذَلُّلٍ ... وإلى الغَنِيّ امْدُدْ يَدَ المحتاج
هذا الطريقُ له مقدِّمتانِ صا ... دقتانِ أنتجتا أصَحَّ نتاج
فاجمعْ إلى تَرْك الهوى حمل الأذى ... واقنعْ من الإسْهاب بالإدماج
حَرْفان قد جمعا الذي قد سطروا ... من بَسْطِ أقوالٍ وطولِ حِجاج
والمشربُ الأصْفَى الذي مَنْ ذاقه ... فقد اهتدى منه بنورِ سِراج
ألا ترى إلّا الحقيقةَ وحدها ... والكلُّ مضطرٌّ إليها لاجي
هذي بدائعُ حكمةٍ أنشأْتُها ... بإشارةِ المولى أبي الحجّاج
وَسِعَ الأنامَ بفضله وبعدْلِهِ ... وبحلْمه وبجوده الثّجّاج
من آل نصرٍ نُخْبة الملكِ الرِّضا ... أمْنُ المروَّعِ هُمْ وغيثُ اللّاجي[6]
من آل قيلة ناصري خيرِ الورى ... والخلقُ بين تَخاذُلٍ ولجاج[7]

---

(١) في النفح: «في فَيْء».
(٢) في النفح: «فليصبرنّ».
(٣) في النفح: «يخبط».
(٤) الأجاج: الملح. محيط المحيط (أجج).
(٥) أمشاج: مختلطة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ سورة الإنسان ٧٦، الآية ٢.
(٦) في النفح: «الراجي».
(٧) اللجاج: العناد في الخصومة، والجدل. لسان العرب (لجج).

مـاذا أقـولُ وكـلُّ قـولٍ قـاصـرٌ ... فـي وصـفِ بـحـرٍ زاخـرِ الأمـواج
مـنـه لـبـاغـي الـعُـرْفِ دُرٌّ فـاخـرٌ ... ولمن يعادي الدينَ هَوْلٌ فاجي[1]
دامتْ سعودُكَ في مزيدٍ، والمُنَى ... تـأْتـيـك أفـواجًـا عـلى أفـواج

ومن الأمداح المطوّلة[2]: [الكامل]

لمن المَطايا في السَّرابِ سوابِحَا ... تَـفْـلي الـفـلاة غـواديًـا وروائـحـا
عُوجٌ[3] كأمثال القسيّ[4] ضوامرٌ ... يـرمـيـن فـي الآفـاق مَـرْمًـى نـازحـا
أو كـالـسـحـاب تـسـيـر مـثـقـلةً ... حَمَلَتْهُ[5] من سُقْيا البطاح دوالحا[6]
ركـبٌ يُـيـمِّـمُ غـايـةً بـل آيـة ... أبدت مُحَيّا الحقّ أبلَج واضحا
لـمـا دعـا داعـي الـرشـاد مـردِّدا ... لـبَّـوه شـوقـا والـحـمـام هـوادحـا
فلهم عجيج بالبسيطة صاعد ... يُذْكي بنار الشوق منك جوانحا
وإذا حَدا الحادي بذكر المصطفى ... أذروا على الأكْوار دمعًا سابحا
عيسٌ تهادى بالمحبِّين الألى ... ركبوا من العزم المصمم جامحا
طـارت بـهـم أشـواقـهـم سبَّاقةً ... فـتـركْـن أعـلام الـمـطـيّ روازحـا
رفـقًـا بـهـنّ فـهـنَّ خَـلْق مـثـلكـم ... أنـضـاءُ أسـفـار قـطـعْـن مـنـادحـا
قـد جِـيـن لـلـهـادي وهـادًا جـمّـة ... وسلكْن نحو الأبطحيّ أباطحا
نـاشـدتـك الـرحـمٰـن وافِـد مـكـة ... ألّا صرفْتَ إليّ صرفًا طامحا
وأخًـا أتـيـتَ الـقـبـر قـبـر مـحـمـد ... وحمدْتَ سعيًا من سِفارك ناجحا
وذَهِلْت عن هذا الوجود مغيبا ... لما لمحْتَ من الجَمال ملامحا
فاقرأْ سلامي عند قبر المصطفى ... وامسحْ بيُمناك الجِدار مصافحا
قـسـمًـا بـوفـدٍ يـزخـرون رواحـلا ... قَطَعَتْ سباسبًا بَلْقَعا وضحاضحا
حتى أناخوا بالمحصَّب من مِنى ... وتأمّلوا النور المبين اللائحا

---

(١) أصل القول: «فاجىء»، وقد سهّل الهمزة فقلبها ياء.
(٢) ورد فقط البيتان الأول والثاني في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٠٩).
(٣) العوج: النوق، واحدها أعوج. لسان العرب (عوج).
(٤) في الأصل: «اللقيى» والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «بما حملته...»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٦) الدوالح: جمع دالح، والسحاب الدالح: الكثير الماء. محيط المحيط (دلح).

وتعرّضوا لعوارض عرفيّة هَبْـ ـبَتْ بها تلك الرياح لوافحا
وآووا إلى الحرم الشريف فطافعا بالبيت أُوبا لركن منه ماسحا
وسَقَوا به من ماءِ زمزم شربةً نالوا بها في الخلد حظًّا رابحا
ثم انثنوا قصدًا إلى دار الهدى يتسابقون عزائما وجوارحا
فتبوّؤا المغنى الذي بركاته فاضت على الآفاق بحرًا طافحا
ختموا مناسِكهم بزورة أحمد بختام مسك طاب عَرْفا نافحا
إنّ السماحة والشجاعة والنّدى والبأس والعقل الأصيل الراجحا
وَقْفٌ على شمس المعالي يوسف أعلى الملوك خواتما وفواتحا
فهو الذي ملأ البلاد فضائلا صارت لمن بارى علاه فضائحا
إن أُجملت سير الكرام فخلقه ما زال للإجمال منها شارحا
حامي الذِّمار مدافعًا وموادعا كافي العدو محاربًا ومصافحا
للملك بالعزم المؤيد مانعا للعُرْف بالجود المردد مانحا
إن تَلْقَه في يوم جود هامر تَلْقَ السحاب على البلاد سوابحا
أو تلقه في يوم بأس قاهر تلق الأُسود لدى العَرين كوافحا
أو تلقه في يوم فخر ظاهر تلق الكواكب في السماءِ لوائحا
من أُسرة النصر الألى هم ناصحوا بعزائم الصدق الأمين الناصحا
هم أسَّسوا الملك المشيد بناؤه فكفُوا به الإسلام خَطْبًا فادحا
فاستَفهِم الأيام عن آثارهم تُطلعْ عليك صحائفًا وصفائحا
كان إذا ضنّ الغمام سحائبا يهمي وإن جنَّ الظلام مصابحا
شادوا له مجدًا صميمًا راسخا يبقى على الأعقاب ذكرًا صالحا
وسماء[1] فخرٍ فوق أمْن جهادهمْ سمكوا له منه[2] سماكًا رامحا
الأعظمون مَغانيا ومَناقبا والأكرمون مَحامدا ومَمادحا
يا دولةً نَصريَّةً قد جددت نصرًا لأبواب المعاقل فاتحا
وأُمامة سعدية قد أطْلَعَتْ سعدًا ولكن للأعادي ذابحا
فاضت جَدًى فكأنما أيامُها جُعِلَتْ لأرزاق العباد مفاتحا
كفَتْ عِدًا فكأنما أوقاتُها جاءت لآيات الأمان شوارحا

(١) في الأصل: «وسما» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) كلمة «منه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

عـدلًا لأقـطـار الإيـالـة كـالـبـا ... ولجامحات البَغْي منها كافحا
بشرى بيوسف ناصر الملك الذي ... ما زال عنه مجالدا ومكافحا
جمع المواهب للمواهب مانحا ... فوق المنى وعن الجرائم صافحا
ابن الإمام أبي الوليد وحَسْبُنا ... مدحًا تضمن في الفخار مدائحا
يُهْنيك عيد النَّحْر أسعد قادم ... وافاك من جدوى يمينك ماتحا
وفَّيته قربانه وصِلاته وأقمت ... فـيـه شـعـائـرا وذبـائـحـا
ورجعت في الجيش الذي أخباره ... تُروي غرائبها الحسانُ صحائحا
أُسْدٌ ضراغم فوق خيل ترتمي ... نحو العدو سوانحا وبوارحا
طيَّارةٌ بالدَّارعين تخالها ... تنقضُّ في يوم القتال جوارحا
من كلّ من تَخِذُ القنا خيمًا له ... يَلْقى العدو مُماسيًا ومُصابحا
والشمس أضرمت السبيكة عندما ... لقي الحديد شعاعها المطارحا
فاهْنأْ به وانعمْ بدولتك التي ... تُرْضي الوليَّ بها وتُشْجي الكاشحا
دامت ودام الحقّ فيها ثابتا ... يعلو يدًا والإفْك فيها طالحا

وقال يمدح ويصف مصنعًا سلطانيًا[1]: [الكامل]

زارت تجرر نحوه أذيالها ... هيفاءُ تخلطُ بالنِّفار دَلالَها[2]
والشمسُ[3] من حسَدٍ لها مُصْفَرَّةٌ ... إذ قَصَّرَتْ عن أن تكون مِثالها
وافَتْكَ تمزجُ لينَها بقساوةٍ ... قد أدرجتْ طيَّ العِتاب نوالَها
كم رُمْتُ كتم مزارها لكنه ... صَحَّتْ دلائلُ لم تُطِقْ إعلالَها
تركَتْ على الأرجاءِ عند مسيرها ... أرَجًا كأنَّ المِسْكَ فُتَّ خِلالها
ما واصلتك محبَّةً وتفضُّلا ... لو كان ذاك لواصَلَتْ إفضالها
لكن توقَّعتِ السُّلُوَّ فجدَّدَتْ ... لك لوعةً لا تتَّقي ترحالها
فَوَحُبُّها قَسَمًا بحق بروره ... لِتُجَشِّمنَّكَ في الهوى أهوالها
حَسَّنْتَ نَظْمَ الشِّعْرِ في أوصافها ... إذ قَبَّحَتْ لك في الهوى أفعالها
يا حُسْنَ ليلةِ وَصْلِها ما ضرَّها ... لو أتْبَعَتْ من بعدها أمثالها

---

(١) القصيدة في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٠ ـ ٤١٢).
(٢) في نثير فرائد الجمان: «... تجرّر نخوة... هيهات تخلط...». وفي النفح: «... تجرُّ لنحوه...».
(٣) في النفح: «فالشمس».

لمّا سَكِرَتْ بريقها وجفونها ... أهملْتَ كأسَكَ لم تُرِدْ إعمالها
هذا الربيعُ أتاك ينشرُ حُسْنَهُ ... فافسخْ لنفسك في مَداه مجالها
واخلعْ عِذارك في البطالة جامحا ... واقْرِنْ بأسحارِ المنى[1] آصالها
في جَنَّة تجلو محاسنها كما ... تجلو العروسُ لدى الزفاف جمالها
شكرتْ أيادي للحيا شُكْرَ الورى ... شرفَ الملوك همامَها مفضالها
وصميمها أصلًا وفَرْعا خَيْرَها ... ذاتًا[2] وخُلقًا، سَمْحَها بَذّالها[3]
الطاهرَ الأعلى الإمام[4] المرتضَى ... بَحْرَ المكارم غَيْثَها سِلْسالَها
حاز المعالي كابرًا عن كابر ... وجرى لغايات الكرام فنالَها
إن[5] تَلْقَهُ في يومِ بَذْلِ هِباتِهِ ... تَلْقَ الغمائمَ أرسلت هطّالَها[6]
أو تَلْقَه في يوم حرب عُداتِه ... تَلْقَ الضّراغمَ فارقتْ أشبالها
ملك إذا ما صال يومًا صَوْلةً ... خِلْتَ البسيطةَ زُلْزلت زلزالها
فَبِسَيْبه[7] وبسيفه نال[8] المُنا ... واستعجلت أعداؤه آجالها
الواهبُ الآلافِ قبل سؤالها ... فكفى العُفاةَ سؤالها ومِطالها
القاتلُ الآلافِ قبل قِراعها ... فكفى العُداةَ قِراعها ونِزالها
إن قلتَ بَحْرٌ كفُّه قَصَّرْتَ إذ ... شَبَّهْتَ بالملح الأجاج نوالها
ملأ البسيطةَ عَدْلُه ونواله[9] ... فالوحشُ لا تعدو على مَنْ غالها
وسقى البريَّةَ فيضُ كَفَّيه فقد ... عمَّ البلادَ سهولها وجبالها
جمعَ العلومَ عنايةً بفنونها[10] ... آدابَها وحسابَها وجِدالَها
منقولها، معقولها، وأُصولها ... وفروعَها، تَفْصيلَها، إجمالها
فإذا عُفاتك عاينوكَ تهللوا ... لمّا رأوا من كَفِّك استهلالها
وإذا عُداتك أبصروك تيقّنوا ... أنّ المنيّة سلَّطَتْ رئبالها[11]

---

(١) في النفح: «الهنا».
(٢) في نثير فرائد الجمان: «ذاتًا خلقًا وسمحها...».
(٣) البذّال: الكثير البذل والعطاء. لسان العرب (بذل).
(٤) في النفح: «الأمين».
(٥) في نثير فرائد الجمان: «وإن».
(٦) الهطّال: المتتابع الهطول. لسان العرب (هطل).
(٧) في الأصل: «فبسيفه» والتصويب من المصدرين.
(٨) في نثير فرائد الجمان: «نيل». وفي النفح: «نلْتَ».
(٩) في المصدرين السابقين: «وأمانه».
(١٠) في النفح: «بعيونها».
(١١) الرئبال: الأسد. محيط المحيط (رأبل).

بَـدَّدْتَ شَـمْـلَـهُـمُ بـبـيـضٍ صـوارمٍ رَوَّيْتَ من عَلَقٍ[١] الكماة نِصالها
وأبَحْتَ أرْضَهُمُ فأصبح أهلها جُزُرًا[٢] تُغادر نهبةً أموالها
فَتَحَتْ إمارتُكَ السعيدةُ للورى أبوابَ بُشرى واصلتْ إقبالها
وبَنَتْ مصانعَ رائقاتٍ ذَكَّرَتْ دارَ النعيم جنانَها وظلالَها
وأجلُّها قدرًا وأرفعُها مدًى هذا الذي سامى النجومَ فطالها[٣]
هو جنّةٌ فيها الأميرُ مخلَّدٌ بلغتْ إمارتُه بها آمالها
ولأرضِ أندلسٍ مفاخرُ، أنتمُ أربابُها، أضفيتُمُ سِرْبالَها[٤]
فحميتُمُ أرجاءَها، وكفيتُمُ أعداءَها، وهديتُمُ ضُلّالها
فبآل نصرٍ فاخرتْ لا غيرهم لم تعتمدْ من قبلهم أقيالها[٥]
بمحمدٍ ومحمدٍ ومحمد قَصَرتْ على الخصم الألَدِّ نِضالها
فهم الأُلى ركبوا لكلِّ عظيمةٍ جُرْدًا كَسَيْنَ من النجيع جِلالها
وهم الأُلى فتحوا لكلِّ مُلِمَّةٍ بابًا أراحَ بفتحه إشكالها
متقلِّدون من السيوف عضابها[٦] متأبِّطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عِرابها والضاربون من العدا أبطالها
أوليّ عهد المسلمين ونخبة الـ أملاك صفوةَ مَخضها وزلالها
إنّ العبادَ مع البلاد مُقِرَّةٌ بفضائلٍ لك مَهَّدت أحوالها
فتفكُّ عانيها وتحمي سِرْبَها وتُفيدُ حلمًا دائمًا جُهّالها

ومن الرثاءِ قوله يرثي ولده أبا القاسم[٧]: [الطويل]

هو البَيْنُ حتمًا، لا لعلَّ ولا عسى فما بالُ نفسي لم تُفِضْ عنده أسى
وما لفؤادي لم يذبْ منه حسرةً فَتَبًّا لهذا القلب سَرْعانَ ما قسا
ويا[٨] لجفوني لا تفيضُ مُوَرَّدًا من الدمع يَهْمي تارة ومُوَرَّسا[٩]

---

(١) العَلَق، بالفتح: الدم. لسان العرب (علق). (٢) في النفح: «خَوَرًا».
(٣) في نثير والنفح: «وطالها».
(٤) أضفيتم سربالها: جعلتم السربال ضافيًا، والسربال: الثوب. لسان العرب (ضفى) و(سربل).
(٥) الأقيال: جمع قيل وهو الذي يقول فلا يجسر أحد أن يردّ قوله. لسان العرب (قال).
(٦) العضاب: جمع عضب وهو السيف الصارم. لسان العرب (عضب).
(٧) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٢ ـ ٤١٤).
(٨) في النفح: «وما».
(٩) المورّس: الأصفر بلون الزعفران. لسان العرب (ورس).

وما للساني مُفْصِحًا بخطابه وما كان لو أوفى بعهدٍ ليَنْبِسا
أمِنْ بعدما أودعتُ روحيَ في الثّرى ووسَّدْتُ مني فَلْذَةَ القلب مَرْمسا[١]
وبعد فراق ابني أبي القاسم الذي كساني ثوبَ الثُّكل لا كان مُلْبسا
أُؤمِّلُ في الدنيا حياةً وأرتضي مَقيلًا لدى أبنائها ومُعَرَّسا[٢]
فآهًا وللمفجوع فيها استراحةٌ ولا بُدَّ للمصدور أن يتَنفَّسا
على عُمرٍ أفْنَيْتُ فيه بضاعتي فأسلمني للقبر حَيْرَان مُفْلسا
ظللتُ به في غفلةٍ وجهالةٍ إلى أن رمى سَهْمَ الفراقِ فَقَرْطَسا[٣]
إلى الله أشكو بَرْحَ حزني فإنه تَلَبَّس منه القلبُ ما قد تلبَّسا
وصَدْمَةَ[٤] خَطْبٍ نازلَتْني عشيّةً فما أغنَتِ الشكوى ولا نَفَعَ الأسا
فقد صَدَّعَتْ شملي وأصْمَتْ مَقاتلي وقد هدَّمَتْ ركني الوثيقَ المؤسَّسا
ثبتُّ لها صبرًا لشدّة وقعها فما زلزلتْ صبري الجميلَ وقد رسا
وأطمع[٥] أن يلقى برحمته الرضا وأجزعُ أن يشقى بذنب فَينكُسا
أبا القاسم اسمعْ شَجْو[٦] والدك الذي حَسا من كؤوس البين أفظعَ ما حسا
وقفتُ فؤادي مذ رحلْتَ على الأسى وأشهدُ[٧] لا ينفكُّ وَقْفًا مُحبَّسا
وقَطَّعْتُ آمالي من الناس كلِّهم فلستُ أبالي أحْسَنَ المرءُ أم أسا
تواريتَ يا شمسي وبَدْري وناظري فصار وجودي مذ تواريتَ حِنْدِسا
وخَلَّفْتَ لي عِبئًا من الثُّكل فادحا فما أتعبَ الثّكلان نفسًا وأتْعَسا
أحقًّا ثوى ذاك الشبابُ فلا أرى له بعد هذا اليوم حوليَ مجلسا
فيا غُصُنًا نَضِرًا ثوى عندما استوى فأوحشني أضعافَ ما كان آنَسا
ويا نعمةً لمّا تبلَّغتُها انقضتْ فأنعمُ أحوالي بها صار أبؤسا
فودَّعْتُه[٨] والدمعُ تَهمي سحابُه كما أسلم السلكُ الفريدَ المجنّسا[٩]

---

(١) المَرْمس: الموضوع في الرمس، والرمس هو القبر. لسان العرب (رمس).
(٢) المقيل: المكان تقيل فيه وقت القيلولة. والمُعَرّس: المكان تنزل فيه ليلًا. لسان العرب (قال) و(عرس).
(٣) قرطس: أصاب الهدف. لسان العرب (قرطس).
(٤) في نفح الطيب: «وَهدّة».
(٥) في الأصل: «وأطمع في أنا...»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «شَكْوَ».
(٧) في النفح: «فأشهد».
(٨) في النفح: «لَوَدَّعْتُه».
(٩) في النفح: «المُخَمَّسا».

وقَبَّلْتُ في ذاكَ الجبينِ مودعا ... لأكرم من نفسي عليٍّ وأنْفَسا
وخَفَّفَ[١] من وجدي به قربُ رحلتي ... وماذا عسى أن يُنْظِرَ الدهرُ ما[٢] عسا
فيا رحمةً للشيب يبكي شبيبةً ... قياسٌ لعمري عَكْسُهُ كان أقيسا
فلو أنَّ هذا الموتَ يقبلُ فِدْيةً ... حَبَوْناهُ أموالًا كِرامًا وأنفُسا
ولكنه حكمٌ من الله واجبٌ ... يُسَلِّم فيه من بخير الورى ائتَسَى[٣]
تغمدك الرحمٰنُ بالعفو والرضا ... وكَرَّمَ مَثْواكَ الجديدَ وقَدَّسا
وألَّف منّا الشمل في جنّة العلا ... فنشرب تسنيمًا[٤] ونلبس سندسا

وكتبتُ إليه قصيدة أولها[٥]: [الطويل]

أَمُسْتخرجًا كَنْزَ العتيقِ بآماقي ... أُناشدُكَ الرحمٰنَ في الرَّمَق الباقي
فقد ضَعُفَتْ عن حَمْل صبريَ طاقتي ... عليك وضاقَتْ عن زفيريَ أطواقي

فأجابني رحمة الله عليه عن ذلك[٦]: [الطويل]

سَقاني فأهلًا بالسِّقايةِ[٧] والعناق[٨] ... سُلافًا بها قامَ السرورُ على ساقِ
ولا نَقْلَ[٩] إلّا من بدائعِ حِكْمةٍ ... ولا كأسَ إلّا من سطورٍ وأوراقِ
فقد أنشأتْ لي نَشْوَةً بعد نشوةٍ ... تَمُدُّ بروحانيةٍ ذات أذواق
فمن حظِّها[١٠] الفاني متاعٌ لناظري ... وسمعي وحظُّ الروح من حظِّها[١١] الباقي

---

(١) في النفح: «وحقّقت».
(٢) في النفح: «من عسا». وعسا: كبر وشاخ. لسان العرب (عسا).
(٣) ائتسى: اقتدى. لسان العرب (أسا).
(٤) التسنيم: عين في الجنة. لسان العرب (سنم).
(٥) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٨) و(ج ٩ ص ٢٠٤).
(٦) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٦ ـ ١٨٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠).
(٧) في النفح: «بالمدامة».
(٨) في المصدرين: «والساقي».
(٩) النَّقْل: ما يُتَنَقَّل به على الشراب.
(١٠) في الكتيبة: «خَطُّها الباهي». وفي النفح: «خَطُّها».
(١١) في النفح: «خَطُّها».

أعادت شبابي بعد سبعين حِجَّةً
فأثوابُهُ قد جُدِّدَتْ بعد إخلاق[١]
وما كنتُ يومًا للمُدامة صاحبا
ولا قَبِلَتْها قطُّ نشأةُ أخلاقي
ولا خالَطَتْ لحمي ولا مازَجَتْ دمي
كفى شَرَّها مولاي فالفضلُ للواقي[٢]
وهذا على عهدِ الشباب فكيف لي
بها بعد ماءٍ للشبيبة مُهراقِ
تَبَصَّرْ فحكما[٣] القهوتين تخالَفا
فكم بين إثباتٍ لعقلٍ وإزهاق
وشتّان ما بين المُدامين[٤] فاعتبرْ
فكم بين إنجاح لسعي وإخفاق[٥]
فتلك تَهادى بين ظُلْمٍ وظلمةٍ
وهذي تهادى بين عَدْلٍ[٦] وإشراق
أيا عَلَمَ الإحسان غيرَ مُنازعٍ
شهادةَ إجماع عليها وإصفاق[٧]
فضائلكَ الحُسنى عليٌّ تَواترتْ
بمُنْهَمِرٍ من سُحْب فكرك غَيْداق[٨]
خزائنُ آدابٍ بعثتَ بِدُرِّها
إليَّ ولم تمننْ بخشية[٩] إنفاق

(١) الحِجَّة، بكسر الحاء: السنة. والإخلاق: البلى والرثة.
(٢) في الكتيبة: «وقى شرّها مولاي، فالشكر للواقي».
(٣) في المصدر نفسه: «فحكم».
(٤) في المصدرين: «القهوتين».
(٥) في الكتيبة: «وإنفاق».
(٦) في الكتيبة: «نور».
(٧) في المصدر نفسه: «أيا علم الأعلام غير... وإطباق».
(٨) الغَيْداق: الكثير الانهمال.
(٩) في الكتيبة: «لخشية».

ولا مثلَ بِكْرٍ حُرَّة عربيّة
زكيَّةِ أخلاقٍ كريمةِ أعراق
فأُقسم ما البيضُ الحِسانُ تَبَرَّمَتْ[١]
تُناجيك سرًّا بين وَحْيٍ وإطراق
بُدورٌ بدتْ من أُفْقٍ[٢] أطواقها على
رياض شَدَتْ في قُضْبها[٣] ذاتُ أطواق[٤]
فناظَرَ[٥] منها الأُقحوانُ ثغورَها
وقابلَ منها نَرْجسٌ سَحَرَ[٦] أحداق
وناسب منها الوردُ خدًّا مورَّدا
سقاه الشبابُ النَّضْرُ[٧]، بُورِكَ من ساق!
وأُلبِسْنَ من صنعاء وَشْيًا مُنَمْنَمًا
وحُلِّينَ مِنْ دُرٍّ نفائسَ أعلاق
بأحْلى لأفواهٍ، وأبهى لأعينٍ
وأحلى[٨] لألباب، وأشهى لعُشّاق
رأيتُ بها شُهُبَ السماء تنزَّلَتْ
إليَّ تُحَيِّيني تحيةَ مُشْتاق
ألا إنَّ هذا السحر لا سحرُ بابلٍ
فقد سحرتُ قلبي المُعَنَّى فَمَنْ رَاق[٩]؟
لقد أعْجَزتْ شكري[١٠] فضائلُ ماجدٍ
أبرَّ بأحباب وأوْفَى بميثاق
تقاضى دُيُونَ الشعر مني منبِّهًا[١١]
رويدك لا تعجلْ عليَّ بإرهاق

(١) في الكتيبة والنفح: «تبرّجتْ».
(٢) في الكتيبة: «فوق».
(٣) في النفح: «قطبها».
(٤) في الكتيبة: «أوراق».
(٥) في المصدر نفسه: «يناظر».
(٦) في المصدر نفسه: «حسن».
(٧) في الكتيبة: «الغَضُّ».
(٨) في الكتيبة: «وأجلى». وفي النفح: «وأحي».
(٩) الراقي: الذي يرقي. لسان العرب (رقى).
(١٠) في الكتيبة: «نُطْقي».
(١١) في الكتيبة: «بيانها».

فلو نُشِرَ الصادّان مِنْ مَلْحَدَيْهِما[١]
لإنصاف هذا الدِّيْنِ[٢] لاذا بإملاق
فَخُذْ بزمامِ[٣] الرِّفْق شيخًا تقاصرتْ
خُطاه وعاهِدْه[٤] بمعهود إشفاق[٥]
فلا[٦] زلتَ تُحيي للمكارم رَسْمَها
وقَدْرُك في أهل العلا والنُّهى راق

وكتبت إليه في غرض العتاب والاستعتاب[٧]: [الطويل]

أدَرْنا وضوءُ الأُفْق قد صَدَعَ الفَضَا … مُدامةَ عتبٍ بيننا نَقْلُها الرضا
فللّه عينا مَنْ رآنا وللحَيا … حَبِيٌّ[٨] بآفاق البشاشة أوْمَضا
نفِرُّ إلى عدل الزمان الذي أتى … ونبرأُ من جَوْر الزمان الذي مضى
ونأسو[٩] كلومَ اللفظ باللفظ عاجلًا … كذا قَدَحُ الصَّهْباءِ داوى وأمْرضا

فراجعني بقوله[١٠]: [الطويل]

ألا حَبّذا ذاك العتابُ الذي مضى … وإن جَرَّه واشٍ بِزُورٍ تمضمضا
أغارتْ له خيلٌ فما ذَعَرَتْ حِمًى … ولكنها كانت طلائعَ للرضا
تألّق منها بارقٌ صابَ مُزْنُهُ[١١] … على معهدِ الحُبِّ الصَّميم فَرَوَّضا
تلألأَ نور[١٢] للصداقة حافظًا … وإن ظُنَّ سَيفًا للقطيعة مُنْتَضى
فإن سوَّد الشيطانُ منه صحيفةً … أتى مَلَكُ الرُّحمى عليها فَبَيَّضا

---

(١) في الكتيبة: «مضجعيهما». (٢) في الكتيبة: «الدهر».
(٣) في الأصل: «زمام» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من النفح. وفي الكتيبة: «بذمام».
(٤) في الكتيبة: «وعامله».
(٥) في الأصل: «وإشفاق»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٦) في الكتيبة: «ولا».
(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٨) في الأصل: «حييّ»، والتصويب من النفح. والحَبِيُّ: السَّحاب يشرف من الأفق على الأرض. محيط المحيط (حبا).
(٩) نأسو: نداوي. لسان العرب (أسا).
(١٠) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢).
(١١) في الأصل: «مزنة» والتصويب من نفح الطيب.
(١٢) في النفح: «نورًا».

وما كان حبٌّ أحكم الصدق عهده ... لِيُرمى بِوَسْواسِ الوشاة فَيُرْفَضا
أُعيذ ودادًا زاكي القصد وافيًا ... تخلَّصَ من أدرانه فَتَمَحَّضا[1]
ونيَّةَ صدقٍ في رضى الله أخلصت ... سناها بآفاقِ البسيطةِ قد أضا
مَنِ الآفِكُ الساعي ليخفيَ نورها ... أيخفى شعاعُ الشمس قد ملأ الفضا؟
وكيف يُحلُّ المبطلون بإفكهم ... معاقِدَ حبّ أحكمتها يَدُ القضا
تعرَّض يبغي هَدْمَها فكأنه ... لتَشْييد مبناها الوثيق تَعَرَّضا
وحَرَّضَ في تنفيره فكأنما ... على البرّ والتسكين والحبّ حرَّضا
وأوقد نارًا فهو يَصْلى جحيمها ... يُقلِّبُ منها القَلْبَ في موقد الغَضا[2]
أيا واحدي المعدود بالألف وحده ... ويا ولدي البَرَّ الزكي إن ارتضى
بَعَثْتَ مِنَ الدُّرِّ النفيس قلائدًا ... على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نَتيجةُ آدابٍ وطبعٍ مهذَّبٍ ... أطال مَداه في البيان وأعرضا
ولا مِثْلَ بِكْرٍ باكرتنيَ آنفا ... كزورةِ خِلٍّ بعد ما كان أعرضا
هي الروضةُ الغنَّاءُ أينعَ زَهْرُها ... تناظرُ حسنًا مُذهَّبًا ومُفَضَّضا
أو الغادةُ الحسناءُ راقتْ فينقضي ... مدى العمر في وَصْفي لها وهو ما انقضى
تَطابَقَ منها شَعْرُها وجبينُها ... فذا اللَّيْلُ مُسْودًّا وذا الصُّبْحُ أبيضا
أو الشهب منها زينةٌ وهداية ... ورَجْمٌ لشيطانٍ إذا هو قُيِّضا
أتت ببديع الشِّعر طورًا مُصَرِّحًا ... بأبياتك الحسنى وطورًا مُعَرِّضا
ومَهَّدَتِ الأعذارَ دون جناية ... ولو أنك الجاني لكنتُ المُغَمِّضا
لكَ اللهُ من برٍّ وفيٍّ وصاحبٍ ... محضتُ له صدقَ الضمير فأمحضا
لسانك في شكري مُفِيضٌ تفضّلًا ... فيا حُسْنَ ما أهدى وأسدى وأقرضا
وقَلْبُكَ فاضتْ فيه أنوارُ خِلَّتي ... فأبقى[3] يَدَيْ تسليمه لي مفوّضا
وفَضْلُكَ مشكورٌ وعَهْدُكَ ثابتٌ ... وفضلُكَ منشورٌ وفعلُك مُرْتضى
فهل مَعَ هذا ريبةٌ في مودّة ... بحال! وإن رابتْ[4] فما أنا معرضا

(١) تمحّض: تخلّص من الشوائب. لسان العرب (محض).
(٢) الغضا: شجر شديد الاشتعال. لسان العرب (غضا).
(٣) في النفح: «فألقى».
(٤) في الأصل: «رأيت». وهكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من النفح.

فَثِقْ بولائي إنني لك مخلصٌ هوًى ثابتًا يبقى فليس له انْقِضا
عليك سلامُ الله ما هَبَّتِ الصَّبا وما بارقُ جنح الدُّجنّة أوْمضا

وكتب إلى القاضي الشريف وهو بوادي آش[١]: [الطويل]

أهزلًا وقد جَدَّتْ بك اللِّمَّةُ الشمطا[٢]
وأمْنًا وقد ساورَتَها حَيّةٌ رَقْطا[٣]
أغَرَّكَ طولُ العمر في غيرِ طائلٍ
وسَرَّكَ أنَّ الموتَ في سيره أبْطا
رويدًا فإنَّ الموتَ أسْرَعُ وافدٍ
على عمرِكَ الفاني ركائبه حَطَّا
فإذ ذاك لا تسطيع[٤] إدراكَ ما مضى
بحالٍ ولا قَبْضًا تطيقُ ولا بَسْطا
تأهَّبْ فقد وافى مَشِيبُكَ منذرًا
وها هو في فَوْدَيْكَ أحْرُفَه خَطَّا
فرافقْتَ منه كاتبَ السِّرِّ واشيًا
له القلمُ الأعلى يخطُّ به وخطا
مُعَمّى كتابٍ فكُّه «اخذرْ» فهذه
سفينةُ هذا العمرِ قاربتِ الشَّطّا
وإن طال ما خاضتْ بك[٥] اللجَجَ التي
خبطتَ بها في كلِّ مهلكةٍ خبطا
وما زلتَ في أمواجها متقلّبًا
فآونة رفعًا وآونة حَطًّا

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٤ ـ ٤١٦).
(٢) في الأصل: «الشمطاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «وقد ساورتِ يا حيّة. . .».
(٤) في الأصل: «تستطيع» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في النفح: «به».

فقد أوشكَتْ تلقيك في قعرِ حفرةٍ
تشدُّ عليكَ الجانبين بها ضغطا
ولستَ على علم بما أنت بعدها
مُلاقٍ، أرِضْوانًا من الله أم سخطا
وأغجبُ شيءٍ منك دعواك في النُّهى
وهذا الهوى المُردِي على العقل قد غطّى
قسطْتَ[1] عن الحقِّ المبينِ جهالةً
وقد غالطتك[2] النَّفْسُ فادَّعت القَسْطا
وطاوغتَ شيطانًا تجيبُ إذا دعا
وتَقْبَلُ إن أغوى وتأْخذُ إن أعطى
تناءَى عن الأُخرى وقد قَرُبَتْ مدًى
تدانى عن الدنيا وقد أزمعت شَحْطا[3]
وتمنحها حُبًّا وفَرْطَ صَبابةٍ
وما منحتْ إلّا القَتادةَ والخَرْطا[4]
فها أنت تهوى وَصْلَها وهي فارِكٌ
وتأمل قُرْبًا من جِماها وقد شَطَّا
صراطُ هدًى نَكَّبْتَ عنه عِمايةً
ودار ردًى أوعيت في سجنها سَرْطا
فما لك إلّا السيدُ الشافعُ الذي
له فضلُ جاهٍ كلّ ما يَرْتجي يُغطى
دليلٌ إلى الرحمٰن فانهجْ سبيلَهُ
فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخْطا
محبّتُه شرطُ القَبُول فمن خلتْ
صحيفتُهُ منها فقد فَقَدَ الشَّرْطا

(١) قسطت عن الحق: انحرفت: لسان العرب (قسط).

(٢) في النفح: «خالفتك».

(٣) الشَّحْط: البعد. لسان العرب (شحط).

(٤) القتادة: ضرب من الشجر الصلب له شوك كالإبر. وخَرْط القتادة: انتزاعها باليد. لسان العرب (قتد) و(خرط).

وما قُبِلَتْ منه لدى الله قربةٌ
ولا زكت الأعمال بل حَبَطَتْ حَبْطا
به الحقّ وضاحٌ، به الإفكُ زاهقٌ
به الفوزُ مَرْجُوٌّ، به الذَّنْبُ قد حَطّا
هو الملجأُ الأحمى، هو الموئلُ الذي
به في غدٍ يَستشفعُ المذنِبُ الخَطّا[1]
إليك ابنَ خير الخلقِ بِنْتَ بديهةٍ
تُقَبِّلُ تَبْجيلًا أنامِلَكَ السُّبْطا
وحيدةَ هذا العصرِ وافتْ وحيدة
لتبسطَ من شتّى بدائعها بَسْطا
وتتلوَ آياتِ التشيُّع إنها
لموثقةٌ عهدًا ومحكمةٌ ربطا
لكَ الشرفُ المأثور يا ابنَ محمدٍ
وحسبك أن تُنمى إلى سَبْطه سبطا
إلى شَرَفَيْ دينٍ وعِلْمٍ تظاهرًا
تبارك من أعطى وبُورك في المعطى
ورَهْطُكَ أهلُ البيت، بيتِ محمدٍ
فأعظِمْ به بيتًا وأكرِمْ بهم[2] رهطا
بَعَثْتُ به عِقْدًا مِنَ الدُّرِّ فاخرا
وذكْرُ رسول الله دُرَّتُه الوُسْطى[3]
وأهديتُ منها للسيادة غادةً
نَظَمْتُ مِنَ الدُّرِّ الثمين بها سِمْطا
وحاشيتها من كل ما شانها[4]، فإن
تَجَعَّدَ حوشيٌّ تجدْ لفظها سَبْطا

---

(١) الخطا: أصل القول: الخطاء، وقد حذف الهمزة للضرورة الشعرية.
(٢) في النفح: «به».
(٣) الدرة الوسطى: التي تكون في وسط العِقْد وهي أكبر حبّات العقد وأحسنها.
(٤) في الأصل: «شأنها» والتصويب من النفح.

وفـي الـطـيـبـيـن الـظـاهـريـن نَـظَـمْـتُـهـا
فـسـاعَـدَهـا مـن أجـلِ ذلـك حـرفُ الـطـا
عـلـيـك سـلامُ الله مـا ذَرَّ شـارقٌ
ومـا رَدَّدَتْ ورقـاءُ فـي غـصـنـهـا لـغْـطَـا

ومن غريب ما خاطبني به قوله[1]: [الرجز]

أُقْسِمُ بالقَيسين والنابغتينْ ... وشاعِرَيْ طيءٍ المولَّدَينْ
وبابن حُجْرٍ وزهيرٍ وابنه[2] ... والأغشَيَيْنِ بَعْدُ ثمّ الأعميينْ
ثم بعُشّاقِ الثريّا والرقيـ ... ـيات وعزّةٍ ومَيّ وبثينْ
وبأبي الشيص ودعبلٍ ومَنْ ... كشاعِرَيْ خُزاعة[3] المخضرمينْ
وولدِ المعتزّ والرَّضيّ والسريّ ... ثم حسنٍ وابن الحسينْ
واختمْ بِقُسٍّ وبسَحْبانٍ[4] فإن[5] ... أوجَب[6] حقٌّ أن يكونا أوّلينْ
وحِلْيتي[7] نَثْرِهُمُ ونَظْمِهِمْ ... في مَشْرقي أقطارهم والمغربين
أنَّ الخطيبَ ابنَ الخطيب سابقٌ ... بنثره ونَظْمه للحلبتين
وافَتْني[8] الصحيفةُ الحسنا التي ... شاهدْتُ فيها المكرماتِ رأيَ عين
تَجْمَعُ من براعة المعنى إلى ... براعة الألفاظ كلتا الحسنيين
أشهدُ أنك الذي سبقْتَ في ... طريقَيْ[9] الآداب أقصى الأمدين
شعرٌ حوى جزالةً ورقّةً ... تُصاغ منه حِلْية[10] للشعريين
رسائلٌ أزهارُها منثورةٌ ... سرورُ قلبٍ ومتاعُ ناظرين
يا أحوذيًّا، يا نسيجَ وَحْدِهِ ... شهادةً تنزهتْ عن قولِ مَيْن[11]
بقيتَ في مواهب الله التي ... تُقِرُّ عينيك وتملأُ اليدينْ

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٨ ـ ١٨٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣).
(٢) في الكتيبة: «بعده والأعشيين بعده والأعميين».
(٣) في النفح: «خزامة».
(٤) في الأصل: «وسحبان»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٥) في المصدرين: «وإن».
(٦) في الكتيبة: «أوجبَت أن...».
(٧) في النفح: «وحَلّبَتني».
(٨) في النفح: «راقتني».
(٩) في الكتيبة: «طريقة».
(١٠) في النفح: «حلّة».
(١١) المين: الكذب. لسان العرب (مين).

ومن المقطوعات الموطّنات على المثال[١]: [مخلع البسيط]

لله عَـصْـرُ الـشـبـاب عـصـرًا فَـتَّـحَ لـلـخـيـر كـلَّ بـابِ
حَـفِـظْـتُ مـا شـئـتُ فـيـه حـفـظًا كـنـتُ أراه بـلا ذهـابِ
حـتـى إذا مـا الـمـشـيـبُ وافـى نَـدَّ[٢] ولـكـنْ بـلا إيـاب
لا تـعـتـنـوا بـعـدهـا بـحـفـظٍ وقَـيِّـدوا الـعِـلْـمَ بـالـكـتـابِ

ومن ذلك قوله[١]: [مخلع البسيط]

يـا أيـهـا الـمُـمْـسِـكُ الـبـخـيـلُ إلـٰهُـكَ الـمـنـفـقُ الـكـفـيـلُ
أَنْـفِـقْ وثِـقْ بـالإلـٰه تَـرْبَـحْ فـإنَّ إحـسـانَـهُ جـزيـلُ
وقَـدِّم الأقـربـيـن واذكـرْ مـا رُوِيَ ابْـدَأْ بـمـن تَـعُـولُ

ومن ذلك قوله[١]: [المتقارب]

وقـائـلةٍ لِمْ عـراكَ الـمـشـيـبُ ومـا إن يـعـهـد الـصِّـبـا مِنْ قِـدَمْ
فـقـلـتُ لـهـا: لـم أشِـبْ كَـبْـرَةً ولـكـنـه الـهَـمُّ نِـضْـفُ الـهَـرَمْ

ومن ذلك قوله[٣]: [المتقارب]

هي الـنَّـفْـسُ إن أنـتَ سامَحْتَـهـا رَمَـتْ بك أقصى مَهاوي الخديعة
وإن أنـتَ جَـشَّـمْـتَـهـا خُـطَّـةً تـنـافي رضاها تـجـدْها مطيعة
فإن شـئـتَ فـوزًا فـنـاقـضْ هـواهـا وإن واصـلـتْـكَ أَجْـزِها بالقطيعة
ولا تـعـبـأَنَّ بـمـيـعـادهـا فـمـيـعـادُهـا كـسَـرابِ بِقِيـعَـةْ

ومن المقطوعات أيضًا[٣]: [الكامل]

من أنت يا مولى الورى مقصودُهْ طـوبـى لـه قـد سـاعَـدَتْـهُ سـعـودُهْ
فـلـيـشـهـدنْـك لـه فـؤادٌ صـادقٌ وشـهـودُهُ قـامـتْ عـلـيـه شـهـودُهُ
ولـيـفـنـيـنْ عـن نـفـسـه ورسـومـه طُـرًّا وفـي ذاك الـفـنـاء وجـودُهُ
ولـيـخـطـفـنْـه[٤] بـارقٌ يَرْقـى بـه فـي أشرفِ الـمـعـراج ثـم يـعـيـدُهُ
حتى يظلَّ وليس يدري دهشةً تـقـريـبُـهُ الـمـقـصـودُ أو تـبـعـيـدُهُ

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٦). (٢) نَدَّ: نفر. محيط المحيط (ندد).
(٣) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٧). (٤)في النفح: «وليحفظنه».

لـكـنـه ألـقـى الـسـلاحَ مـسـلِّمًـا ... فـمـرادُه مـا أنـت مـنـه تـريـدُهُ
فـلـقـد تـسـاوى عـنـده إكـرامُـهُ ... وهَـوانُـه ومـفـيـدُهُ ومُـبـيـدُهُ

ومن ذلك قوله في المعنى[١]: [الطويل]

يـقـيـنـيَ أنّ الله جَـلَّ جـلالـه ... يقيني[٢] فراجي الله ليس يَخيبُ

ومن مقطوعاته في الألغاز والأحاجي قوله في حَجَلة[٣]: [الرجز]

حـاجـيـتُ[٤] كـلَّ فَـطِـنٍ لـبـيـبِ ... ما اسمٌ لأُنثى[٥] من بني يعقوبِ[٦]
ذاتُ كـرامـاتٍ فـززهـا قـربـةً ... فَـزَوْرُهـا أحـقُّ بـالـتـقـريـب
تشركها في الاسم أنثى لم تزلْ ... حـافـظـةً لـسـرِّهـا الـمـحـجـوب
وقد جرى في خاتم الوحي الرضا ... لـهـا حـديـثٌ لـيـس بـالـمـكـذوب
وهو إذا ما الفاء[٧] منه صُحِّفَتْ ... صبغُ الحياءِ[٨] لا الحيا المسكوب
فـهـاكـهـا واضـحـةً أسـرارُهـا ... فـأمْـرُهـا أقـربُ مـن قـريـب

وفي آب الشهر[٩]: [مجزوء الرجز]

حـاجـيـتـكُـمْ مـا اسـمُ عَـلَـمْ ... ذو نـسـبـةٍ إلـى الـعَـجَـمْ
يـخـبـرُ بـالـرجـعـة وهـ ... ـو راجـعٌ كـمـا زَعَـمْ
وصـفُ الـحـمـيـم[١٠] هـو ... بـالـتـصـحـيـف أو بـدءُ قَـسَـمْ
دونـكـه أوضـحُ مـن ... نـارٍ عـلـى رأسِ عَـلَـمْ

ومن ذلك قوله في كانون[١١]: [الهزج]

ومـا اسـمٌ لـسـمـيَّـيـن[١٢] ... ولـم يـجـمـعـهـمـا جـنْـسُ

---

(١) البيت في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٧). (٢) يقيني: يحفظني. لسان العرب (وقى).
(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٩) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٧ ـ ٤١٨).
(٤) في الكتيبة: «خاطبت».
(٥) في الأصل: «الأنثى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٦) اليعقوب: ذكر الحجل. محيط المحيط (عقب).
(٧) في الكتيبة: «الحاء»، و«الفاء»: فاء كلمة «الحجل» وهو حرف الحاء.
(٨) في الأصل: «الحيا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٩) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٩ ـ ١٩٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٨).
(١٠) في النفح: «الحبيب». وفي الكتيبة: «وهو الحميم معربًا تصحيفٌ أو...».
(١١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٨).
(١٢) أي إن كانون هو موقد النار، وهو أيضًا: شهر من شهور السنة الرومية.

فــهــذا كــلّـمــا يــأْتــي فــبــالآخــر لــي أُنْــسُ
وهــذا مــا لــه شــخــصٌ وهــذا مــا لــه حِــسٌّ
وهــذا مــا لــه سَــوْمٌ وذا قــيــمــتُــهُ فِــلْسٌ[١]
وهــذا أصــلُه الأرضُ وهــذا أصــلُه الــشــمــسُ
وهــذا واحــدٌ مــن سبــ ــعة تَــحْــيــا بــهــا الــنَّــفْــسُ
فــمــن مــحــمــولِهِ الــجــنُّ ومــن مــوضــوعــه الإنْــسُ
فــقــد بــانَ الــذي أُلــغــز تُ مــا فــي أمــره لَبْــسُ

ومن ذلك قوله في نمر[٢]: [الرجز]

مــا حــيــوان مــا لــه مــن حــرمــة إن اسمه صُحِّف فابن العمّة[٣]
وقَــلْبُــهُ مــن بــعــد تــصــحــيــف لــه يــريــك فــي الــذكــر الــحــكــيــم أُمَّــهْ

ومن ذلك قوله في سُلّم[٤]: [الرجز]

مــا اسمٌ مــركَّبٌ مــفــيــدُ الــوضــع مستعملٌ في الوَصْل لا في القَطْعِ
يُنْصَبُ لكنْ أكثرُ استعمالِ من[٥] يُعنى به في الخفض أو في الرفع
وهــو إذا خَــفَّــفْــتَــه مــغــيّــرا[٦] تــراه شــمــلًا لــم يــزل ذا صــدع
فــالاســمُ إن طــلبــتــه تــجــدْه فــي خــامــســةٍ مــن الــطــوالِ الــسَّــبْــع
وهــو إذا صَــحَّــفْــتَــه يُــعْــرَبُ عــن مُــكَــسَّــرٍ فــي غــيــر بــابِ الــجــمــع[٧]
لــه أخٌ أفــضــلُ مــنــه لــم تــزلْ آثــارُه مــحــمــودةً فــي الــشَّــرْع[٨]
هما جميعًا من بني النجار والأفـ ـضلُ أصلٌ في حنين الجذع
فــهــاكــه قــد سَــطَــعَــتْ أنــوارُهُ لا ســيــمــا لــكــلِّ زاكــي[٩] الــطــبــع

---

(١) في الكتيبة: «وهذا سومُهُ فِلسٌ».
(٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٠).
(٣) صُحِّف: أي جعل «تمر»، والعمّه: النخلة.
(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٠ ـ ١٩١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٩).
(٥) في الكتيبة: «أكثر استعماله يعني...».
(٦) في الكتيبة الكامنة: «وهو إذا صَغَّرْته مخفَّفًا».
(٧) إذا صحَّفتَ «سلّم» أصبح «يتثلّم» أي يتكسّر.
(٨) الأخ الأفضل: هو المنبر. وآثاره: هي المواعظ المحمودة في الشرع.
(٩) في النفح: «ذاكي».

ومن ذلك قوله في فنار[(١)]: [مجزوء الرجز]

مـا اسـمٌ إذا حَـذَفْـتَ مـنـ ـه فـاءه الـمـنـوّعَـهْ
فـإنـه بِـنْـتُ[(٢)] الـزِّنـا مـضـافـةً لأربـعـهْ

ومن ذلك قوله في حوت[(٣)]: [مجزوء الرجز]

مـا حـيـوانٌ فـي اسـمـه إن اعـتـبـرتـه فـنـونْ
حـروفـه[(٤)] ثـلاثـة والـكـلُّ مـنـهـا نـونْ[(٥)]
تـصـحـيـفـه قَـطْـعُ الـفـلا أو مـا جَـنـاه الـمـذنـبـونْ[(٦)]
أو أبـيـضٌ أو أسـود أو صـفـةُ الـنـفـس الـخـؤونْ[(٧)]
وقـلـبـه مُـصَـحَّـفًـا[(٨)] عـلـيـه دارتِ الـسـنـون
كـانـت بـه فـي مـا[(٩)] مضى عـبـرةُ قـوم يـعـقـلون
أودع فـيـهـا[(١٠)] عـنـده سـرٌّ مـن الـسِّـرِّ الـمـصـون
فـهـاكـه كـالـنـار فـي الـزَّنـد لـهـا فـيـه[(١١)] كـمـون

ومن ذلك قوله في مائدة[(١٢)]: [الرجز]

حـاجـيـتُ كـلَّ فَـطِـنٍ نـظَّـارِ مـا اسمٌ لأُنثـى مـن بنـي الـنـجـارِ
وفـي كـتـابِ الله جـاءَ ذِكْـرُهـا فـقـلّ مـا يَـغْـفَـلُ عـنـهـا الـقـاري

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٩١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٦).
(٢) في النفح: «ابنة». وبنت الزنا: يريد بنت الزناد وهي النار.
(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩١ ـ ١٩٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩).
(٤) في النفح: «أحرفه».
(٥) النون: الحوت. لسان العرب (نون).
(٦) رواية البيت في النفح هي:

إن أنـت صَـحّـفـتَ اسـمـه فـمـا جَـنـاه الـمـذنـبـونْ

وتصحيف «حوت» هو «حوب» بالباء، والحوب هو الذنب والإثم.
(٧) إذا صَحّفْتَ «حوت» وأردت به الأبيض والأسود كان «الجون». وإذا أردت صفة النفس الخؤون كان «الحوب».
(٨) في النفح: «قلْبُ اسمه مُصَحّفًا». ومقلوب «حوت» هو «توح»، وتصحيفه هو «يوح» وهو اسم الشمس.
(٩) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(١٠) في الكتيبة: «فيه». وفي النفح: «فيه زمنًا سرُّ من...».
(١١) في النفح: «فيها».
(١٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤١٩).

في خَبَر المهديّ فاطلبْها تجدْ إن كنتَ من مطالعي الأخبار
ما هي إلّا العيدُ عيدُ رحمةٍ ونعمةٍ ساطعةِ الأنوار
يشركها في الاسم وصفٌ حَسَنٌ من وَصْفِ قُضْبِ الروضة المعطار[١]
فهاكه كالشمس في وقت الضُّحى قد شفّ عنها حُجُب الأستار

ومن ذلك قوله في زبيب[٢]: [الرجز]

ما نقي العِرض طاهرُ الجَسَدْ عندما خالطه الماءُ فَسَدْ
خالط الماءَ القَراحَ فغوى بعد ما كان من أهل الرَّشدْ
عجميّ الأصل تمَّ حُسْنُهُ عندما صاد الغزالةَ الأسَدْ[٣]
واسمُهُ اسْمُ امرأةٍ مصحّفًا[٤] ولقد يكونُ وَصْفا لولدْ
هاكهُ قد بَهَرَتْ أنوارُه فازمِ بالفكر تُصِبْ قَصْدَ الرشد[٥]

جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه بحر لا ينفد مدده، وقطر لا يبلغ عدده.

وأمّا نثره فسلطانيّات مطولات، عرضت بما تخللها من الأحوال متونها، وقلّت لمكان الاستعجال والبديهة عيونها. وقد اقتضبت منها أجزاء سميته «تافهًا من جَمْ ونقطة من يَمْ».

مولده: ولد بغرناطة في جمادى الآخرة[٦] عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

وفاته: ليلة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة. ودفن بباب إلبيرة. وكانت جنازته آخذة نهاية الاحتفال، حضرها السلطان فمن دونه.

ومما رُثِيَ به: رثيته بقصيدة أنشدتها على قبره خامس يوم دفنه ثبتت في غير ما موضع وهي[٧]: [الكامل]

ما لليراع خواضعَ الأعناقِ طَرَقَ النَّعيُ فهنَّ في إطراقِ
وكأنما صَبَغَ الشحوبُ وجوهها والسُّقْمُ من جَزَعٍ ومن إشفاق

(١) يريد أن يقول: إن قضب الروضة تميد، فهي مائدة.
(٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٢ ـ ١٩٣).
(٣) أي تمّ نضجه عندما وقعت الشمس في برج الأسد.
(٤) تصحيف «زبيب» هو «زينب» أو «ربيب». (٥) في الكتيبة: «السدد».
(٦) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٠): «الأولى».
(٧) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢).

ما للصحائفِ صَوَّحَتْ[١] روضاتها أسفًا وكنَّ نضيرةَ الأوراق
ما للبيان كؤوسُهُ مهجورةٌ غفل المديرُ لها ونام السَّاقي
ما لي عدمْتُ تجلُّدي وتصبّري والصبرُ في الأزمات من أخلاقي
خطبٌ أصاب بني البلاغة والحجا شَبَّ الزفيرُ به عن الأطواقِ[٢]
أمّا وقد أوْدى أبو الحسن الرضا فالفضلُ قد أودى على الإطلاق
كَنْزُ المعارف لا تبيدُ نقودُه يومًا ولا تفنى على الإنفاق
مَنْ للبدائع أصْبَحَتْ سمر السُّرى ما بين شامٍ للورى وعراق
مَنْ لليراع يجيلُ من خَطِّيِّها[٣] سمٌّ العدا ومفاتح الأرزاق
قُضُبٌ ذوابلُ مثمراتٌ بالمنى وأراقمٌ ينفثْنَ بالتِّرْياق
مَنْ للرقاع الحمرِ يجمعُ حُسْنُها خجلَ الخدود وصَبْغَةَ الأحداق
تغتالُ أحشاءَ العدوِّ كأنها صفحاتُ داميةِ الغِرارِ رِقاق
وتهزُّ أعطافَ الوليِّ كأنها راحٌ مشعشعةٌ براحةِ ساق
مَنْ للفنون يجيلُ في ميدانها خَيْلَ البيانِ كريمةَ الأعراق
مَنْ للحقائق أُبْهِمتْ أبوابُها للناس يفتحها على اسْتِغْلاق
مَنْ للمساعي الغرِّ تقصدُ جاهه حُرُمًا فينصرُها على الإخفاق
كم شدَّ من عَقْدٍ وثيقٍ حكمه في الله أو أفتى بحلِّ وثاق
رَحْبُ الذراع بكلِّ خَطْبٍ فادح أعيتْ رياضتُهُ على الحُذّاق
صَعْبُ المقادة في الهوادة والهوى سهلٌ على العافين[٤] والطُّرّاق
ركب الطريقَ إلى الجنان وحُورها يلقينه بتصافحٍ وعناق
فاعجبْ لأُنسٍ في مظنَّةِ وَحْشَةٍ ومقام وصلٍ في مَقام فراق
أمُطَيَّبًا بمحامد العمل الرضى ومُكَفَّنًا بمكارم الأخلاق
ما كنتُ أحسبُ قبل نعشك أن أرى رَضْوى[٥] تسيرُ على الأعناق
ما كنت أحسبُ قبل دفنك في الثّرى أنَّ اللحودَ خزائنُ الأعلاق[٦]

(١) صوّحت الرياض: يبس نباتها. لسان العرب (صوح).
(٢) شبَّ عن الأطواق: عظم وكبر، وقد أخذ ذلك من المثل: «شبَّ عمرو عن الطوق».
(٣) في الأصل: «خطبها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) العافون: جمع عافٍ وهو طالب المعروف. لسان العرب (عفا).
(٥) رَضْوى: «اسم جبل».
(٦) الأعلاق: جمع عِلْق وهو النفيس من كل شيء. محيط المحيط (علق).

يا كوكبَ الهدي الذي من بعده ... ركدَ الظلامُ بهذه الآفاق
يا واحدًا مهما جرى في حَلْبَةٍ ... جَلّى بغُرَّةِ سابقِ السُّبّاق
يا ثاويًا بَطْنَ الضريح وذكْرُهُ ... أبدًا رفيقُ ركائبٍ ورفاق
يا غَوْثَ من وصل الضريح[1] فلم يجدْ ... في الأرض مِنْ وَزَرٍ ولا من واق
ما كنتَ إلّا دِيمةً منشورةً ... من غير إرعادٍ ولا إبراق
ما كنتَ إلّا روضةً ممطورةً ... ما شئتَ مِنْ ثمرٍ ومن أوراق
يا مزمِعًا عنّا العشيَّ ركابُهُ ... هلّا لبثتَ[2] ولو بقدر فُواق[3]
رفقًا أبانا جَلَّ ما حَمَّلتَنا ... لا تَنْسَ فينا عادةَ الإشفاق
واسمحْ ولو بمزارٍ لقيا في الكرى ... تُبْقي بها منّا على الأرماق
وإذا اللقاءُ تَصَرَّمَتْ أسبابُه ... كان الخيالُ تَعِلَّةَ المشتاق
عجبًا لنفسٍ ودَّعتك وأيقنتْ ... أن ليس بعد ثواك[4] يوم تلاق
ما عذرها إن لم تقاسمك الردى ... في فضل كأسٍ قد شربْتَ دِهاق
إن قَصَّرَتْ أجفاننا عن أن تُرى ... تبكي النجيعَ عليك باستحقاق
واستوقفتْ دهشًا فإنَّ قلوبنا ... نهضتْ بكلِّ وظيفةِ الآماق
ثِقْ بالوفاءِ على المَدى مِنْ فِتْيةٍ ... بك تقتدي في العهدِ والميثاق
سَجَعَتْ بما طوقتها من مِنَّةٍ ... حتى زَرَتْ[5] بحمائم الأطواق
تبكي فراقَكَ خلوةٌ عمَّرتها ... بالذكر في طَفَلٍ وفي إشراق
أمّا الثناءُ على عُلاك فذائعٌ ... قد صحَّ بالإجماع والإصفاق
والله قد قَرَنَ الثناءَ بأرضه ... بثنائه من فوق سَبْعِ طِباق
جادتْ ضريحَكَ ديمةٌ هَطّالَةٌ ... تبكي عليه بواكفٍ رَقْراق
وتغمّدتْكَ من الإلٰه سعادةٌ ... تسمو بروحك للمحلِّ الراقي
صبرًا بني الجيّاب إنَّ[6] فقيدكم ... سَيُسَرُّ مَقْدَمه بما هو لاقِ
وإذا الأسى لفحَ القلوبَ أُوارُه ... فالصبرُ والتسليمُ أيُّ رواق

(١) في النفح: «الصريخ». (٢) في النفح: «ثويت».
(٣) الفُواق، بضم الفاء: ما بين الحلبتين من الوقت، ومنه قولهم: «امهلْني قدر فُواق». وهو مثل يضرب في قصر المدة. لسان العرب (فوق).
(٤) في النفح: «نَواكَ». (٥) زرى به: ازدراه. لسان العرب (زرا).
(٦) كلمة «إنَّ» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفح.

وأنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جُزي رحمه الله[١]: [الطويل]

ألم تَرَ أنَّ المجدَ أقوتْ معالمُهْ ... فأطنابُهُ قد قُوِّضَتْ دعائمُهْ
هوى من سماءِ المعلوات شهابها ... وخانتْ جوادَ المكرمات قوائمُهْ
وثُلَّتْ من الفخر المشيدِ عروشُهُ ... وفُلَّتْ من العزِّ المنيع صَوارمُهْ
وعُطِّلَ من حَلْي البلاغة قُسُّها ... وعُرِّيَ من جُودِ الأنامل حاتمُهْ[٢]
أجلْ إنه الخطبُ الذي جَلَّ وَقْعُهُ ... وثُلِّمَ غربَ الدين والعلم هاجمُهْ
وإلّا فما للنوم طار مَطاره ... وما لِلَزِيم الحزن قُصَّتْ قوادمُه
وما لصباح الأُنس أظلم نورُهُ ... وما لِمُحَيَّا الدهرِ قَطَّبَ باسمهْ
وما لدموع العينِ فُضَّتْ كأنها ... فواقعُ زهرٍ والجفونُ كمائمه[٣]
قضى الله في قطب الرياسة أن قضى ... فشتَّتَ ذاك الشَّمْلَ مَنْ هو ناظمه
ومن قارعَ الأيامَ سبعين حجَّةً ... ستنبو عراره[٤] ويَنْدَقُّ قائمه
وفي مثلها أعيا النطاسيّ[٥] طبُّهُ ... وضلَّ طريقَ الحزم في الرأي حازمه
تساوى جوادٌ في رداهُ وباخل ... فلا الجودُ واقيه ولا البخلُ عاصمه
وما نفعتْ ربَّ الجياد كِرامُه ... ولا منعتْ منه الغنيَّ كرائمه
وكلُّ تلاقٍ فالفراقُ أمامه ... وكلُّ طلوع فالغروبُ ملازمه
وكيف مجالُ العقل في غير مَنْفَذٍ ... إذا كان باني مَصْنعٍ هو هادمه
لِيَبْكِ[٦] عليًّا مستجيرٌ بعدله ... يُصاحُ لشكواه ويُمْنَعُ ظالمه
لِيَبْكِ[٦] عليًّا مائحٌ[٧] بَحْرَ علمه ... يُرَوّى بأنواع المعارف هائمه
لِيبْكِ[٦] عليًّا مظهر فضلَ نُصْحه ... يُحَلَّأُ[٨] عن وِرْدِ المآثم حائمُه

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٥).
(٢) قُسّ: هو قُسّ بن ساعدة الإيادي، الخطيب الجاهلي المشهور، وهو مضرب المثل في الفصاحة. وحاتم: هو حاتم الطائي، مضرب المثل في الجود والكرم. جمهرة أنساب العرب (ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨، ٤٠٢).
(٣) الكمائم: جمع كمامة وهي غلاف الزهر. لسان العرب (كمم).
(٤) في النفح: «غراراه».
(٥) النطاسيُّ: الطبيب الحاذق. لسان العرب (نطس).
(٦) في الأصل: «لَيّبْكَ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «ماتح» والتصويب من النفح. ومائح بحر العلم: مغترفه. لسان العرب (ماح).
(٨) يحلّأ: يمنع ويذاد. لسان العرب (حلأ).

ليبكِ[١] عليًا مُعْتَفٍ[٢] جودَ كَفِّه يـواسيـه فـي أمـوالـه ويـقـاسـمـه
ليـبـكِ[١] عـليًّـا لـيـلُهُ وهـو قـائـم يُـكـابـده أو يـومُـهُ وهـو صـائـمـه
ليـبـكِ[١] عـليًّـا فـضـلُ كـلّ بـلاغـة يـخـلّده فـي صـفـحـةِ الطِّرْس راقمه
وشخصٌ ضئيلُ الجسمْ يرهبُ نَفْثَه ليوثُ الشَّرى في خِيسها وضراغمُهْ[٣]
تـكـفَّـل بـالـرزق الـمـقـدَّر لـلـورى إذا الله أعطى فهو للناس[٤] قاسمه
يـسـدّده سَـهْـمًـا ويَـنْـضـوه صـارمـا ويَـشْـرَعـه رُمْـحًـا فـكـلٌّ يـلائـمـه
إذا سال مِنْ شِقَّيه سائلُ حبْره[٥] بـمـا شـاءَ مـنـه سـائـلٌ فـهـو عـالـمـه
ليبكِ عليه الآن[٦] مَنْ كـان بـاكـيـا فـتـلـك مـغـانـيـه خَـلَـتْ ومـعـالـمـه
تـقـلّد مـنـه الـمـلكُ عَـضْـبَ بـلاغـةٍ يـقـدُّ الـسـلـوقـيَّ الـمُـضـاعَـفَ صـارمـه
وقـلَّده مَـثْـنـى الـوزارةِ فـاكـتـفـى بـهـا ألْـمَـعـيٌّ حـازمُ الـرأي عـازمـه
فـفـي يـده وهـو الـزعـيـمُ بـحـقِّـهـا بـراعـتـه[٧] والـمـشـرفـيُّ وخـاتـمـه
سـخـيٌّ عـلـى الـعـافـيـن سـهـلٌ قـيـادُهُ أبيٌّ على العادين صَعْبٌ شكائمه
إذا ضـلَّـت الآراءُ فـي لـيـلِ حـادثٍ رآها برأي يصدُع الحقَّ[٨] ناجمه
وقـام بـأمـر الـمـلك[٩] للدين حـامـيًـا فـذلَّ مُـعـاديـه وضـلَّ مـراغـمـه
وقد كان نِيطَ العلم والحلم والتُّقى بـه وهـو مـا نـيـطـتْ عـلـيـه تـمـائـمـه
ودوّخ أعـنـاقَ الـلـيـالـي بـهـمَّـةٍ يـبـيـتُ ونـجـمُ الأُفـق فـيـهـا يـزاحـمـه
وزاد عـلـى بـعـد الـمَـنـال تـواضـعًـا أبـى الله إلَّا أن تـتـمَّ مـكـارمـه
سَقَيْتَ الغوادي! أيُّ علمٍ وحكمةٍ وديـنٍ مـتـيـنٍ ذلـك الـقَـبْـرُ كـاتـمـه
وما زلت[١٠] يُسْتَسقى بدعوتك الحيا وهـا هـو يـسـتـسـقـى لـقـبـرك سـاجـمـه

(١) في الأصل: «لَيْبْكَ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) المعتفي: طالب المعروف. لسان العرب (عفا).
(٣) الشَّرى: مكان تسكنه الأسود. الخِيس: مأوى الأسود. لسان العرب (شرا) و(خاس). وهنا كناية عن القلم.
(٤) في النفح: «في الناس».
(٥) في الأصل: «حبرة» والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «اليوم».
(٧) في الأصل: «يراعته» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «الخطب».
(٩) في النفح: «بأمر الدين والملك...».
(١٠) في النفح: «وما زال».

بكت فَقْدَكَ الكُتّابُ إذ كان شملهم يؤلّفه من روح[١] فضلك ناعمه
وطَوَّقْتَهُمْ بالبِرّ ثم سقيتهم نداك فكنتَ الروضَ ناحتْ حمائمه
ويبكيك مني ذاهبُ الصبرِ موجَعٌ تَوَقّد[٢] في جنبيه للحزن جاحِمُه
فتًى نال منه الدهرُ إلّا وفاءَه فما وَهَنَتْ في حفظ عهدٍ عزائمه
عليلُ الذي زُرَّتْ عليه جيوبُهُ قريحُ الذي شُدَّتْ عليه حزائمُهْ
فقد كنتُ ألقى الخَطْبَ منه بِجُنَّةٍ تعارضُ دوني بأسَهُ وتصادمه
سأصبرُ مضطرًا وإنْ عَظُمَ الأسى أحاربُ حزني مَرّةً وأسالمه
وأهديك إذ عزَّ اللقاءُ تحيّةً وطيبَ ثناءٍ كالعَبِير نواسمه

وأنشد القاضي أبو بكر[٣] القرشي قوله في قصيدة في ذلك[٤]: [الوافر]

هي الآجال[٥] غايتها نفادُ وفي الغايات تمتازُ الجيادُ

وأنشد الفقيه الكاتب أبو بكر[٦] القاسم بن الحكيم قوله من قصيدة: [الطويل]

لينْعِ الحِجا والحلمَ مَنْ كان ناعيا ويرعَ العُلا والعلمَ من كان راعيا

وأنشد الفقيه القاضي أبو بكر[٧] بن جزي قصيدة أولها[٨]: [الطويل]

أبثّكما والصبرُ للعهدِ ناكثٌ حديثًا أملّتْهُ عليَّ الحوادثُ

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض، فكان هذا التأبين غريبًا لم يتقدّم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك، والتجلّة في مثل هذا مقصورة على أُولي الأمر، فمضى بسبيله، رحمه الله.

---

(١) في النفح: «دوح».
(٢) في الأصل: «فوقّد» والتصويب من النفح.
(٣) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٥): «أبو بكر بن علي القرشي».
(٤) البيت في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٥). (٥) في النفح: «الآمال».
(٦) في المصدر نفسه والصفحة نفسها: «أبو القاسم بن الحكم».
(٧) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٥). «أبو جعفر».
(٨) البيت في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٢٥).

علي[١] بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد[٢] بن الحسن ابن عثمان[٣] بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم[٤] بن ثعلب ابن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن نام بن عبس[٥] واسمه زيد بن مالك بن أدد بن زيد العَنْسي المذحجي[٦]

من أهل قلعة يَحْصِب[٧]، غرناطي، قَلْعي[٨]، سكن تونس، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن سعيد.

أوليته: قد تقرر من كرم أوليته وذكر بيته ما ينظر في محله.

حاله: هذا الرجل وُسْطَى عِقْد بيته، وعَلَم أهله، ودرَّة قومه، المصنّف الأديب، الرحال، الطُّرفة، الإخباري، العجيب الشأن في التجول في الأوطان، ومداخلة الأعيان، والتمتع بالخزائن العلمية، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية.

مشيخته: أخذ عن أعلام إشبيلية كأبي علي الشُّلوبين، وأبي الحسن الدباج، وأبي الحسن بن عصفور وغيرهم.

---

(١) ترجمة علي بن موسى ابن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٧٢) واختصار القدح المعلى (ص ١) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ١٠٣) وبغية الوعاة (ص ٣٥٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤١١) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٩).

(٢) في الذيل والتكملة: «سعد».

(٣) في المصدر نفسه: «عثمان بن الحسين بن عبد الله الداخل إلى الأندلس ابن سعيد بن عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة».

(٤) في المصدر نفسه: «لوذيم، ويقال: لوذين، بن ثعلبة».

(٥) في الذيل والتكملة: «يام بن عنس». (٦) في نفح الطيب: «المُذلجي».

(٧) قلعة يَحْصِب، أو قلعة يعقوب، أو قلعة بني سعيد، أو القلعة السعدية: بالإسبانية Alcalá La Real، أي القلعة الملكية؛ نزلها بنو سعيد وسكنوها فسمِّيت باسمهم، وهي من أعمال غرناطة، وتبعد عن إلبيرة ثلاثين ميلًا. نصوص عن الأندلس (ص ٨٩، ٩٢) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤١٢) والروض المعطار (ص ٤٥٣) وتقويم البلدان (ص ١٧٧) ونفح الطيب (ج ١ ص ٢٨٦، حاشيته رقم ٤).

(٨) قلعي: نسبة إلى قلعة يَحْصِب المذكورة.

تواليفه: وتواليفه كثيرة، منها المُرْقصات والمُطْربات(١)، عزيز الوجود، والمقتطف أغرب وأعجب، والطالع السعيد في تاريخ بيته وبلده، والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار، وهما «المغرب في حلى المغرب»، «والمشرق في حلى المشرق»، وغير ذلك مما لم يتصل إلينا، فلقد حدَّثني الوزير أبو بكر بن الحكيم، أنه تخلف كتابًا يسمى «المِرْزَمَة»، يشتمل على وَقْر بعير، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلّا الله.

شعره: قال: تعاطى نظم الشعر في حدّ زمن الشبيبة، يعجب فيه من مثله، فيذكر أنه خرج مع والده، وقد مرّ في صحبته إلى إشبيلية، وفي صحبته سهل بن مالك، فجعل سهل يباحثه عن نظمه، إلى أن أنشده في صفة النهر والنسيم يردّده، والغصون تميل عليه(٢): [المنسرح]

كأنما النَّهْرُ صَفْحَةٌ كُتِبَتْ   أَسْطُرُها والنسيمُ يُنْشِئُها(٣)
لَمّا أبانتْ عن حُسْنِ مَنْظرها   مالتْ عليها الغُصونُ تقرؤها(٤)

فطرب أبو الحسن وأثنى عليه، ثم شدا. وناب عن أبيه في أعمال الجزيرة، ومازج الأُدباء، ودوّن كثيرًا من نظمه، وحفظ له في المدح: [الكامل]

يا أيها الملك الذي هباته   وهباته شَدَّتْ عُرى الإسلامِ
لمّا أسال نداه سَلَّ حُسامَهُ   فأراك بَرْقًا في متون غَمامِ
لله شيعتك التي ترك العدا   أقداحهمْ بمواطىءِ الأقدام
طاروا بأجنحة السيوف إليهمُ   مثل الحمام جلبْن كل حِمام
فهم سهام والجياد قِسِيُّهم   وعُداهم هدف وسَعْدك رام

(١) بهذا العنوان طبع الكتاب، واسمه في فوات الوفيات (ج ٣ ص ١٠٣) هو: «المرقص والمطرب».
(٢) البيتان في اختصار القدح (ص ٢) والمغرب (ج ٢ ص ١٧٣) وبغية الوعاة (ص ٣٥٧) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٨).
(٣) في المغرب: «منشئها». وفي اختصار القدح «منثؤها». وفي بغية الوعاة: «منشؤها».
(٤) في المغرب: «... حسن منظره... الغصونُ تفرؤها». وفي بغية الوعاة: «... حسن منظره...».

وقال: ومما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوباني أغَرَّ أكْحَلَ بِحِلْيَة[١]: [الطويل]

وأجْرَدَ تِبْرِيٍّ أثَرْتُ به الثَّرى وللفجر[٢] في خَضْرِ الظلام وِشاحُ
عَجِبْتُ له وهو الأصيل بعرفه ظلامٌ وبين الناظِرَينِ صَباحُ

رحلته المشرقية، وفيها الكثير من نظمه، قال في «الطالع»: لما قدم الديار المصرية واشتهر، كان مما نظمه سلمًا لمعرفة الأُدباءِ والظرفاءِ قوله، وقد رأى بساحلها وجوهًا لا يعرفها، وألسُنًا غير ما عهد[٣]: [الكامل]

أصبحْتُ أعترضُ الوجوهَ ولا أرى مِن[٤] بينها وَجْهًا لمن أدْرِيهِ
وَيْحَ الغريب تَوَحَّشَتْ ألحاظُه في عالَمٍ ليس له بِشَبيهِ
عَوْدي على بَدْئي ضلالًا بينهمْ حتى كأني من بقايا التِّيهِ

ودخل القاهرة، فصنع له أُدباؤها صنيعًا في ظاهرها، وانتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، وكان فيهم أبو الحسن الجزَّار[٥]، فجعل يدوس النرجس برجله، فقال أبو الحسن[٦]: [السريع]

يا واطِئَ النرجس بالأرجل ما تستحي أن تَطَأ الأعْيُنَ بالأرْجُلِ؟[٧]

فتهافتوا بهذا البيت وراموا إجازته.

فقال ابن أبي الأصبغ[٨]: [السريع]

فقال[٩]: دَعْني لم أزَلْ مُخْرَجًا على لِحاظِ الرَّشإ[١٠] الأكْحَلِ

---

(١) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٧٣) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٤) وجاء فيهما أنه فرس أصفر أغرّ.

(٢) في الأصل: «والفجر»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٩). (٤) في النفح: «ما».

(٥) في نفح الطيب (ج ١ ص ٣٦): جمال الدين أبو الحسين الجزار المصري الشاعر.

(٦) البيت في فوات الوفيات (ج ٣ ص ١٠٦) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦).

(٧) رواية البيت في الوفيات ونفح الطيب هي:
يا واطىء النرجس، ما تستحي أن تَطَأ الأَعْيُنَ بالأرْجُلِ؟

(٨) هو زكي الدين بن أبي الإصبع، كما جاء في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦).

(٩) في النفح: «فقلت».

(١٠) في الأصل: «الرشاد» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

وكان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال[١]: [السريع]

قــابِـلْ جُـفُـونَـا بـجـفـونٍ ولا   تَـبْـتَـذِلِ الأرْفَـعَ بـالأسْـفَـلِ

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق، صاحب الأشغال السلطانية، إلى مجلس بضفة النيل، مبسوط بالورد، وقد قامت حوله شمامات نرجس، فقال في ذلك[٢]: [السريع]

مَنْ فَضَّلَ النَّرْجِسَ فَهْوَ الذي   يَرْضى بِحُكْمِ الوَرْد إذ يَرْأسُ

أمـا تـرى الـوَرْدَ غَـدا قـاعـدًا   وقـام فـي خـدمـتـه الـنَّـرْجِـسُ؟

ووافق ذلك مماليك الترك، وقوفًا في الخدمة على عادة المشارقة، فطرب الحاضرون، من حَسُود ومنصف. ولقي بمصر محيي الدين بن ندا واقد التركي[٣]، والإمام زهير الحجاري بهاء الدين، وبالقاهرة جمال الدين بن مطروح، وجمال الدين بن يغمور، وتعرف بكمال الدين بن العديم رسول سلطان حلب، فاستصحبه يُتحف به الملك الناصر صاحب حلب، فلقي بحُمْص وبيت المقدس وحماه أعلامًا جِلَّة، وله معهم أخبار يطول ذكرها، ودخل على السلطان[٤] بحلب، وأنشده قصيدة أولها[٥]: [الكامل]

جُدْ لي بما أَلْقى الخيالَ من الكَرى   لا بُدَّ للطَّيف المُلِمِّ من الكَرى[٦]

فقال كمال الدين: هذا رجل عارف[٧] مذ روى لمقصده من أول كلمة. ثم قال بعد أبيات:

الـنـاصرُ الـملكُ الـذي عـزمـاتُـه   أبدًا تكون مع العساكر عسكرا

مـا كـان أنبـا الـفـتـح يـلزم لامـه   والـجـمـع مـن أعـدائـه مـتـكـسّـرا

(١) البيت في فوات الوفيات (ج ٣ ص ١٠٦) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦).
(٢) البيتان في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩).
(٣) في النفح (ج ٣ ص ٣٩): «أيْدَمُر التركي».
(٤) في النفح: «فدخل على الناصر صاحب حلب».
(٥) هذا البيت وبعض الأبيات التالية في المغرب (ج ٢ ص ١٧٥).
(٦) في النفح: «جُدْ لي بمالقي... للضَّيْف المُلِمِّ من القرى». ورواية عجز البيت في المغرب هي:

لا بُـدَّ لـلـضَّـيْـف الـمُـلِـمِّ مـن الـقِـرى

(٧) في النفح: «عارف، وَرّى بمقصوده...».

فعظم استظراف السلطان لهذه المقاصد، وأثنى عليه. ثم وصل فقال:

الدين أصلحه وعمّ صلاحه الدنيا ... وأصبح ناصرًا ومظفَّرا
فكأن كُنيته غدت موضوعه ... من ربّه والوصف منه مقرَّرا
وكأنما الأسماءُ قد عرضت على ... عَلْياه قبل وجوده متخيَّرا

فقال السلطان: كيف ترون؟ واستعاده. فقال عون الدين العجمي عميد المجلس وكاتب الإنشاءِ: استنباطه ما سمع الملوك بمثله يا خَوند. ثم أنشد:

من آل أيوب الذين هم هم ... ورثوا الندى والبأس أكبر أَكْبَرا
أهلُ الرياسةِ والسياسةِ والعُلا ... بسيوفهم حَلّوا الذُّرى منحوا الذُّرا[١]
سُمُّ العُداةِ على حياءٍ فيهمُ[٢] ... لا تعجبوا فكذاك[٣] آسادُ الشَّرى
كادوا يُقِيلون العُداةَ من الرَّدى ... لو لم يَمُدُّوا كالحجابِ العِثْيَرا
جعلوا خواتم سُمْرهم من قَلْبِ كُلْـ ... ـلِ معاندٍ عدَّ[٤] المُثَقَّفَ خِنصرا
وبِبِيضهِمْ قد تَوَّجُوا أعداءَهُمْ ... حتى لقد حَلُّوا لكيما تَشْكُرا
لو لم يخافوا تِيهَ سارٍ[٥] نحوهمْ ... وَهَبُوا الكواكبَ والصَّباحَ المُسْفِرا

وهي طويلة. ثم استجلسه السلطان، وسأله عن بلاده ومَقْصِده[٦] بالرحلة، فأخبره أنه جمع كتابًا في الحُلَى البلادية والحُلَى العِبادية المختصّة بالمشرق، وأخبره أنه سمّاه «المُشرِق في حُلَى المَشرق». وجمع مثله فسمّاه «المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب». فقال: نُعِينُكَ بما عندنا من الخزائن، ونُوصلك إلى ما لا[٧] عندنا، مثل خزائن الموصل وبغداد، وتضيف[٨] لنا المغرب. فخدم على عادتهم، وقال: أمر مولاي بذلك إنعام وتأنيس، ثم قال له السلطان مُداعبًا: إن شعراءنا مُلَقَّبون بأسماءِ الطيور، وقد اخترْتُ لك لَقَبًا يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر، فإن كنت ترضى به، وإلّا لم يعلمه[٩] غيرنا، وهو البُلْبل، فقال: قد رضي المملوك بذلك يا خَوند.

---

(١) رواية البيت في المغرب هي:
من مَعْشَرٍ خَبَروا الزمانَ رئاسةً ... وسياسةً حَلُّوا الذُّرى حُمْرَ الذُّرا
(٢) في الأصل: «على هيافيهم» وهكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المغرب.
(٣) في المغرب: «لا تعجبنّ كذاك...». (٤) في المغرب: «حَسِبَ».
(٥) في الأصل: «تيسار»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المغرب.
(٦) في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩): «ومقصوده برحلته، وأخبره...».
(٧) في النفح: «ما ليس عندنا كخزائن...». (٨) في النفح: «وتُصَنِّف لنا، فخدم...».
(٩) في النفح: «وإلّا لم نُعْلِمْ به أحدًا غيرنا».

فتبسّم السلطان، وقال: اخْتَرْ واحدة من ثلاث، إمّا الضيافة التي ذكرتها أول شعرك، وإمّا جائزة القصيدة، وإمّا حقّ الاسم. فقال: يا خوند، المملوك ممّن[١] لا يختنق بعَشْر لُقَم، فكيف بثلاث؟ فطرب السلطان، وقال هذا مَغرِبي ظريف، ثم أتبعه من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف. ولقي بحضرته عَوْن الدين العجمي، وهو بَحْر لا تنزفه الدِّلاءُ[٢]، والشهاب التلَعْفَري الشهير الذكر، والتاج ابن شُقير، وابن نجيم الموصلي، والشرف بن سليمان الإرْبِلّي، وطائفة من بني الصاحب. ثم تحوَّلَ إلى دمشق، ودخل الموصل وبغداد، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق، وحضر بمجلس[٣] خَلْوته. وكان ارتحاله إلى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الأُولى إليها. ثم رحل إلى البصرة، ودخل أرَّجان، وحجَّ. ثم عاد إلى المغرب. وقد صنّف في رحلته الأُولى إليها مجموعًا سمّاه بـ«النفحة المِسْكِيَّة في الرحلة المكية». وكان نزوله بساحل مدينة إقليبية[٤] من إفريقية في إحدى جمادين من عام اثنين وخمسين وستمائة، واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر[٥] فنال الدرجة الرفيعة من حُظوته. وقال عند اتصاله به لحين قدومه: [المتقارب]

وما زلت أضرب في الخافقين   أروم البلاد وأرعى الدولْ
إلى أن رَجَعْتُ إلى تونس   محلّ الإمام وأقصى الأملْ
فقلت البلاد لهذي قِرَى   وقلت الأنام لهذا خَوَلْ

نكبته: وحدّثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم، أن المستنصر جفاه في آخر عمره، وقد أسَنَّ لجراءِ خدمة مالية أسندها إليه، وقد كان بلاءَ منه قبل جفوة، أعقبها انتشال وعناية. فكتب إليه: [الرمل]

يا غزالًا في الحشا منزِلُهُ   وبعيني دائمًا مَنْهلُهُ

---

(١) في النفح: «ممّا».

(٢) الدِّلاء: جمع دَلْو وهو الذي يُسْتقى به. محيط المحيط (دلا). وقوله: لا تنزفه الدلاء: أي لا تستخرج ماءه كلّه، كناية عن الغزارة.

(٣) في النفح: «ج ٣ ص ٤٠»: «مجلس».

(٤) في الأصل: «إقلنية»، والتصويب من النفح. وإقليبية، بكسر الهمزة واللام والباء وسكون القاف: حصن منيع بإفريقية قرب قرطاجنة، مطل على البحر. معجم البلدان (ج ١ ص ٢٣٧).

(٥) هو محمد بن يحيىٰ بن عبد الواحد الحفصي، حكم تونس من سنة ٦٤٧ هـ إلى سنة ٦٧٥ هـ. ترجمته في الأعلام (ج ٧ ص ١٣٨) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

ما بقيْ في الجسم ما يحملُهُ لا تَرُغني[١] بالجَفا ثانيةً

فرقّ له، وعاد إلى حسن النظر فيه، إلى أن توفي تحت برٍّ وعناية، رحمه الله.

مولده: ولد بغرناطة ليلة الفطر في سنة عشر وستمائة.

وفاته: توفي بتونس، حرسها الله، في أحواز عام خمسة وثمانين وستمائة[٢].

علي بن عبد الرحمٰن بن موسى بن جودي القيسي[٣]

الأديب الكاتب، يكنى أبا الحسن.

حاله: من أهل المعرفة بالعلوم القديمة، وأصله من عمل سَرَقُسْطة. وكان صديقًا للوزير أبي الحسن بن هاني.

مشيخته: قرأ على الحكيم أبي بكر بن الصايغ، المعروف بابن باجة[٤]. وكان خليع الرَّسن فيما ذكر عنه.

شعره: من شعره: [الطويل]

خليليَّ من نعمانَ، بالله عرِّجا على الأيْك من وادي العقيق فَسَلِّما

وقولا له ما حال لُبْنى لعلّه إذا سمع النجوى بلُبْنى تَكَلَّما

فعهدي به والظلُّ يَنْفَضُ دوحه وقد خضلتْ عيدانُه فتنعَّما

تُباكره لُبْنى لإتيانِ موعدٍ عزيزٍ عليها أن يُخانَ ويُصْرما

نبثُّ حديثها فنبكي بعَبْرة فترسلها ماءً ونُرسِلُها دما

(١) في الأصل: «لا تُرْعِني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٠).

(٢) في فوات الوفيات (ج ٣ ص ١٠٤): «توفي بدمشق في شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة». وفي بغية الوعاة (ص ٣٥٧): «ومات حادي عشر شعبان سنة ثلاث وسبعين».

(٣) ترجمة ابن جودي في المغرب (ج ٢ ص ١٠٩) ومطمح الأنفس (ص ٣٥٨) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٨٤) وأزهار الرياض (ج ٥ ص ١٥٣) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢٨٢).

(٤) هو محمد بن يحيىٰ بن باجة التجيبي الأندلسي السرقسطي. ترجمته في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٢) وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢٨٣) وعيون الأنباء (ص ٥١٥) والمغرب (ج ٢ ص ١١٩) واسمه فيه: محمد بن الحسين بن باجة، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ١٤٠) ومطمح الأنفس (ص ٣٩٧) ومعجم الأدباء (ج ٤ ص ٥٤٧) في ترجمة ابن خاقان، وقلائد العقيان (ص ٢٩٨).

ومن شعره قوله[(١)]: [الوافر]

أدِرْ كأسَ المُدامِ فقد تَغنّى بِفَرْعِ الأيكِ أوْرقها الصَّدُوحُ
وهَبَّ[(٢)] على الرياض نَسيمُ صُبْحٍ يَمُرُّ كما ونى[(٣)] سادٍ طليحُ
وسال النَّهْرُ يَشكُو مِنْ حصاه جراحاتٍ كما أنَّ الجريحُ

وقال: [الطويل]

سقى الله دَهْرًا ضَمَّ شَمْلَ مَوَدَّةٍ وجَمَّعَ إخوانَ الصفاءِ بلا وَعْدِ
بميناءَ تَعْلُوها الرياحُ بَلِيلَةً وتنظرُ منها الشمسُ بالأعينِ الرُّمْدِ

وفاته: توفي بغرناطة في حدود الثلاثين وخمسمائة[(٤)].

ومن الطارئين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابش، يكنى أبا علي.

حاله: كان فقيهًا أديبًا مكثرًا، شهير المكان بجهته، مولعًا بمكاتبة الأُدباءِ وتقييد ما يصدر عنهم، مؤرِّخًا من أهل النباهة والعناية. ألّف كتابًا سماه «نُخْبة الأعْلاق، ونزهة الأحداق في الأُدباءِ»، وحلّى من ذُكر فما قَصّر عن السَّداد. وله نظم ونثر وخُطَب، وبيعات ومراجعات تضمّنها الكثير من كُتُبه.

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه: [البسيط]

خُذْها إليك أبا إسحٰقَ تَذْكِرةً مِنْ ذاكرٍ لكَ في قُرْبٍ وفي شَحَطِ
يَرْعى ذمامَكَ، لا تَنْسى لوازمَهُ ولا يمازجه بالسَّهْو والغلطِ
ولا يزال بحفظ العهد مُعْتنيًا ولا يعامل في البحران بالشطط
فأنت عنديَ أولى من أذمَّةِ رُ بَحي ومن صَفْوتي في أرفع النَّمط
قد طال شوقيَ للإعلام منك بما لديك إذ فيه لي تأنيسُ مُغْتَبِط
وقد تبتُّ بنكري في التغافل عن معهودِ ما كنت تُوليه لذي الشَّحَط

(١) الأبيات في مطمح الأنفس (ص ٣٦٤). (٢) في المطمح: «ونمّ».
(٣) في المطمح: «وَرى سارٍ طليحُ».
(٤) في المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٨٤): توفي بعد الثلاثين وخمسمائة.

وقد عفا رَسْمُ عِرْفانِ الإخاءِ بما … أوليتَ من كثرة الإهمال والغلط
اجْبُرْ[١] أخي وَهْيَهُ وارْجِعْ لصالح ما … عَوَّدْت في الكُتْب من مُسْتحسن الخُطط
وجُدْ ببسطِ انبساطٍ أنتَ تبذلُه … فإنَّ أقبح شيءٍ قَبْضُ منبسط
وخُذْ[٢] سلامًا كعَرْف المِسْك نَفْحَتُهُ … من ذي ولاءٍ بذاك المجد مغتبط

وفي مفاتحة بعض الأُدباءِ: [الطويل]

أبا جعفرٍ، وافَتْك في صفحة الطِّرْس … عقيلةُ وُدٍّ لم تَشِنْها يَدُ اللَّمْس
لها حُلَلُ الإخلاص زِيًّا وحَلْيُها … عطر ثنا عَرْف روض الربى يَنْبِس[٣]
وموجبها ما قد فشا من مَحامد … حباك بها الرحمٰنُ ذو العرش والكُرْسي
وغُرُّ علومٍ حُزْتَها ومعارف … غلوت بها فَحَيْ على البدر والشَّمْس
فإنْ رُزِقَتْ منك القبول تشرَّفتْ … وفازتْ بتحصيل المسرّة والأُنس
خطابك يا قاضي العدالة بُغْيتي … ورُوحي وريحاني وقُصْوى مُنى نفسي

اقتضبتها أعلى الله قدرك، كما أسْنَى في سماءِ المعارف والأدب التالد والطارف بَذْرك، عن ودٍّ ملك زمامي، وفضل في سبيل المنافسة في خطبة وِدادك غاية اهتمامي، وقد تقرَّر لديّ من محاسنك وإحسانك بالسماع، ما أوجب عليَّ مخاطبتك عند تعذّر المشافهة بألسنة اليراع، فانقدْتُ بزمام ذلك الواجب، وقصدْتُ أداءَه على أصحّ المذاهب، راجيًا من تجاوزك وإغضائك، ما يليق بباهر علائك، وفي جوابك هو الشفاءُ، ولدى خطابك يُلْقى الاعتناءُ والاحتفاءُ، والله يطلع منك السّار، ويصل لك المبار. وقال يخاطب السلطان: [الطويل]

إلى الحضرة العلياءِ[٤] يستبقُ العَبْدُ … وفي القُرْب منها والدُّنُوِّ هو القَصْدُ
إلى حضرة الولي الإمارية التي … تبلَّج فيها العَدْلُ وابتسم السَّعْدُ
وفيها وجود المَرْءِ[٥] للدين والدُّنا … وقد خصَّها بالرحمةِ الصَّمَدُ الفَرْدُ

وفاته: كان حَيًّا في سنة خمس وستمائة.

---

(١) في الأصل: «جبر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «خُذْ» وكذا ينكسر الوزن. (٣) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «العليا» وكذا ينكسر الوزن.
(٥) كلمة «المرء» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني(١)

من أهل قرية أرينتيرة من قرى سند مدينة وادي آش، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من جلّة الطلبة ونبهائهم وأذكيائهم وصلحائهم. عنده معرفة بالفقه، ومشاركة في الحديث، ومعرفة بالنحو والأدب، وحسن نظم ونثر، من أحسن الناس نظمًا للوثائق، وأتقنهم لها، وأعرفهم بنقدها، وأقصدهم لمعانيها، يستعين على ذلك بأدب وكتابة، فيأتي بأشياء عجيبة.

مشيخته: روى عن الراوية أبي العباس الخروبي، والمقرىء أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصاري، والقاضي أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجي.

تواليفه: ألّف كتابًا في شرح المُسْنَد الصحيح لمُسْلم بن الحجاج في أسفار كثيرة، أجاد فيها كل الإجادة. وله كتاب سماه بـ«الوسيلة في الأسماءِ الحسنى». ونظم في شمائل النبيّ، عليه أفضل الصلاة والسلام.

شعره: له شعر في الزهد وغيره، فمنه قوله: [مجزوء الرجز]

أيـا كـريـمًـا لـم يـضـغ ... لـديـك عَـبْـدٌ أمَّـلَكْ
بـالـبـاب مَـنْ أنـت لـه ... وودَّ أنْ لـو كـان لَـكْ
عَـبْـدٌ لـه أسـئـلـةٌ ... وَلْيَسْتَحِي أنْ يسـألَـكْ
أفـواهُـهُـمْ تـسـألُهُ ... ولـم تُـحَسِّـنْ عَـمَـلَكْ
أَلَسْتَ(٢) أنـت خُـنْـتَـه ... أمـانـةً قـد حَـمَّـلَكْ؟
ولـم تـكـن تـشـكـرُ مـا ... مـن فـضـلـه قـد خـوَّلَكْ؟
وكـلّـمـا أهْـمَـلْـتَـهُ ... مـن حـقِّـه مـا أهْـمَـلَكْ
إنّـا كـمـا قـالـوا سـوى ... أنـك أعـلـى مَـنْ مَـلَكْ
تـلك الـتـي تُـؤنـسـنـي ... وتـرتـجـي مَـنْ فَـضَّـلَكْ(٣)
بُـشْـرايَ إن نـال الـرِّضـا ... بـهـا فـقـد(٤) تَـوَسَّـلَكْ

(١) أغلب الظنّ أن ابن الخطيب سيترجم له بعد سبعة تراجم، مع اختلاف بسيط في الاسم، وسيرد هكذا: «علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني».
(٢) في الأصل: «فإن»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «وترتجي بفضلك»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) كلمة «فقد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

علي بن محمد بن[١] علي بن هَيْضم الرُّعَيْني

من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحسن.

حاله: الكاتب البليغ المحدّث الراوية. قال الأستاذ: كان من أهل العلم والمشاركة، وغلبت عليه الكتابة السلطانية واعتمدها صناعة. وكتب لجلّة من ملوك الأندلس والعُدْوة. وكان انفصاله من الأندلس قبل سنة أربعين وستمائة.

قلت: وكتب للسلطان المتوكل على الله أبي عبد الله بن هود[٢]، ثم للسلطان المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر[٣]. وسكن بغرناطة مدة مديدة. ثم رحل إلى مراكش، فكتب عن أمير سَبْتَة، وعن ملوك الموحدين بمراكش. ونَمَتْ حاله ونَبُهَتْ رتْبَتُه، واستقلّ بالإنشاءِ بعد شيخه أبي زيد الفازازي، وكان محدّثًا عارفًا بالرواية، متعدد المشيخة، فاضلًا، ديّنًا، مشاركًا في كثير من المعارف، حسن الخط، جيد الكتابة، متوسط الشعر. قلت: هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب، طويلة اختصرتها.

شعره ونثره: من ذلك ما جمع فيه بين النظم والنثر: [الكامل]

وافى الكتاب وقد تقلّد جيدُه ... ما أنت تحسن نَظْمَهُ وتُجِيدُهُ

مِنْ كلِّ مَعْنًى ضِمْنَ لَفْظِهِ في حُلى ... خطٌّ يُزيل طِلَى الطرُوس فريدُهُ

أبا المُطَرِّف، دعوةٌ مِنْ خالصٍ ... لـعُـلاك غـابـتْ ودُّهُ وشـهـيـدُهُ

أنـت الـوحـيـد بـلاغـة وبـراعـة ... ولـك الـبـيـان طـريـفُـه وتـليـدُه

فـانْـثُـرْ فـأنـت[٤] بـديـعُـهُ وعـمـادُهُ ... وانظمْ فـأنت[٤] حبيبُهُ ووليـدُه

إيه، أيها السيد الذي جلّتْ سيادتُه، وحلّت صميم الفؤاد سعادتُه، ودامت بها ينفع الناس عادته. ألقى إلى كتاب كريم خطّته تلك اليمنى التي اليمن فيها تخطُّه، ونسَّقت جواهر بيانه التي راق بها سِمطُه، فلا تسلوا عن ابتهاجي بأعاجيبه، وانتهاجي لأساليبه، وشدَّة كلفي بالتماح وسِيمه، وجدَّة شغفي باسترواح نسيمه. فإنه قدم وأُنس

(١) كلمة «بن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية (ص ٤٥).

(٢) أبو عبد الله بن هود هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي، أول مَن قام على الموحدين سنة ٦٢٦ هـ. اللمحة البدرية (ص ٣٢).

(٣) الغالب بالله هو محمد بن يوسف بن نصر، أول سلاطين بني نصر، حكم غرناطة من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٤٢).

(٤) في الأصل: «أنت» وكذا ينكسر الوزن.

النَّفس راحلٌ، واستعاده وروض الفكر ماحلٌ، فجاده لا جَرم أنه بما حوى من حَدَق النَّوى، وروى من طرق الهوى، وبكى الربيع المحيل، وشكى من صابح الرَّحيل، هَيَّجَ لواعج الأشواق وأثارها، وحرَّك للنفس حوارها، فحنَّت، واستوهبت العين مدارها فما ضنَّت. فجاشت لوعة أسكنت، وتلاشت سَلْوة عَنَت، وكفَّ دمع كفّ، وثُقل عَذَلٌ حفَّ، واشتدّ الحنين، وامتدّ الأنين، وعلا النحيب، وعرا الوجيب، والتقى الصَّبُّ والحَيْن، وهدى المحب قَدْر ما جناه البَيْن، وطالما أعمل في احتمال المشاق عزيمه، وشدَّ لاجتياب الآفاق حَيازيمه: [المنسرح]

وادَعَ مَثْوى المُقامِ معتزمًا ... فلا(١) يرى للغرامِ ملتزما
وأزْمَعَ البَيْنَ(٢) عن أحبّته ... والبين عن داره التي رئما
وما درى أنه بعزمته ... قد(٣) أشعَل البينَ في الحَشَا ضَرَما
وهل جرى ذاك في تصوّره؟ ... فربما أحدث الهوى لمما
إلٰهي، ألا نوى مشيئته(٤) ... شَمْلا من العَيْش كان منتظما؟
وعاذلٌ قال لي يُعَنِّتُني ... لا تُبْدِ فيما فَعَلْتَهُ نَدَما
ما حيلة في يدي فأعملها ... عَذلٌ من الله كلُّ ما حكما

أما أنَّ القلب لو فهم حقيقة البَيْن قبل وقوعه، وعلم قَدْر ما يشبّ من الرَّوع في روعه، لبالغ في اجتنابه، واعتقد المَغْفي عنه من قبيل المُغْتنى به، ولحا الله الأطماع، فإنها تستدرج المرءَ وتغرُّه، وتُغْريه بما يسرُّه، ما زالت تقتل في الغارب والذُّروة، وتخيل بالترغيب والثَّروة، حتى أنأَت عن الأحباب والحبايب، ورَمَت بالغريب أقصى المغارب. فيا لوَحْشة ألْوَت بإيناسه، وبالغُرْبة أحلَّت في غير وطنه وناسه، ويا عجبًا للأيام وإساءَتها، وقرب مسرَّتها عن مساءَتها، كأنها لم تُتْحف بوصال، ولم تُسْعف باتصال، ولم تمتّع بشباب، ولم تفتح لقضاءِ أوطار النفس كل باب: [الخفيف]

عجبًا للزمان عقَّ وعاقا ... وعدِمْنا مسرَّة ووفاقا
أين أيامُهُ وأين ليالٍ ... كلآلٍ تَلألُؤاً واتِّساقا؟
كم نعمْنا بظلّها فكأنّا ... مرقها للصَّبا علينا رماقا

(١) في الأصل: «لا يرى الغرام...»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «البائن»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.
(٤) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

كم بغرناطةٍ وحِمْصٍ وصلْنا باصطباح من السرور اغْتِباقا
في[1] رُبى نَجْدٍ تلك أو نهرِ هَذْي والأماني تَجْري إلينا اسْتِباقا
في رياض راقَتْ وراق ولكن حين ندّ الحيا لها فأراقا
رقَّ فيها النسيم فَهْوَ نسيب قد سَبا رقّة نفوسا رفاقا
وثنا للغصون منها قدودا تتلاقى تصافُحًا واعتناقا
كلّما هَبَّ من صَباه عليل وتداوى بها العليل أفاقا
حكم السَّعْد للأحبة فيه بكؤوس الوصال أن تَنساقا
ثم كَرَّتْ للدهر عادة سوءٍ شقَّ فيها خَطْبُ النوى حين شاقا
شَتَّت الشمل بعد طول اجتماع وسقى للفراقِ[2] كأسا دهاقا
وأعاد الأوطان قفرًا ولكن قد أعاد القِطان فيها الرفاقا
ليت شعري والعيش تَطْويه بالفَيْـ فى[3]، أشامًا تبوؤا أم عِراقا؟
يا حُداة القلوب، رِفقًا بصبٍّ بَلَغَتْ نَفْسُه السياقَ اشتياقا
آهِ[4] مِنْ شَجْوةٍ وآهِ لبينٍ أَلْزَمَ النَّفْسَ لوعةً واحتراقا

هذه، يا سيدي، استراحة من فؤاد وَقَذَتْه الفُرقة والقَطيعة، واستباحَتْه لُحْمى الوقار بما لم تحظرْه الشريعة، فقديمًا تُشُوكِيت الأحزان، وتُبوكِيت الأوطان، وحَنّ المشتاق، وكنَّ له من الوجد ما لا يطاق، فاستوقف الركب يشكو البلابل، واستوكف السحب لسُقيا المنازل، وفَدى الرَّبع وإن زاده كربًا، ومن له إن يَلُم لائمًا له تُرْبًا. حسبه دموع تفيض مجاريها، ونجوم يسامرها ويسايرها: [الكامل]

أَلِفَ السهادَ فشأْنُه إدمانُه واستغرقَتْ أحيانَه أشجانُهُ
وشكا جفاء[5] الطَّيف إذ لم يأته هل ممكن من لم يَنَمْ إتيانُهُ؟
واسْتَعْبَدَتْه صبابةٌ وكذا الهوى في حكمه[6] أحرارُهُ عِبْدانُهُ
كم رام كتمان المحبة جَهْده ودموعه يبدو بها كتمانُهُ

---

(١) في الأصل: «وفي» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «الفراق» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «تطوي بالفيافي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والفَيْفى والفيفاء: المفازة لا ماء فيها، جمعها: فيافٍ.
(٤) في الأصل: «فآه»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «جفا» وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «حكم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وإذا المحبُّ طوى حديث غرامه ... كبا الضلوع وشَتْ به أجفانُهُ

وهي طويلة.

وفاته: بمراكش سحر ليلة الأربعاءِ الرابعة والعشرين من رمضان سنة ست[(١)] وستين وستمائة. ودفن عقب ظهره بجبانة الشيوخ مقاربًا باب السادة أحد أبواب قصر مراكش. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، لم يتخلّف كبير أحد.

علي بن محمد بن علي بن البنا[(٢)]

من أهل وادي آش، يكنى أبا الحسن.

حاله: من «الإكليل الزاهر»، قال فيه[(٣)]: فاضل يروقك وقاره، وصَقرٌ بَعُدَ مطارُه. قدم من بلده وادي آش[(٤)] يروم اللحاق بكُتَّاب الإنشاءِ، وتوسل بنظم أنيق، وأدب[(٥)] في نسب الإجادة عريق، تُعْرب براعته عن لسان ذليق، وطبع طليق، وذكاءٍ بالأثرة خليق، وبيننا هو يُلْحم في ذلك الغرض ويُسْدي، ويعيد ويبدي، وقد كادت وسائله أن تنجح، وليلة[(٦)] رجائه أن تصبح، اغتاله الحِمام، وخانتْه الأيام، والبقاءُ لله والدّوام.

شعره: من شعره يخاطبني لما تقلدت الكتابة العليا[(٧)]: [البسيط]

هو العلاءُ[(٨)] جرى باليُمْن طائرُه ... فكان منكَ على الآمال ناصرُهُ

ولو جرى بك ممتدًّا إلى أمل[(٩)] ... لأَعْجَزَ الشمسَ ما أمّت[(١٠)] عساكرُهُ

لقد حباه منيعَ العِزِّ خالقُهُ ... بفاضلٍ منك لا تُحصى مآثرُهُ

فليَزْهُ فخرًا فما خَلْقٌ يُعارِضُهُ ... ولا علاءٌ[(١١)] مدى الدنيا يُفاخرُه

لله أوصافك الحُسْنى لقد عجزتْ ... من كلّ ذي لَسَنٍ عنها خواطرُه

هيهات ليس عجيبًا عجزُ ذي لسنٍ ... عن وصف بحرٍ رمى بالدُّرِّ زاخرُه

---

(١) في الأصل: «ستة» وهو خطأ نحوي.
(٢) ترجمة ابن البنا في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٣).
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٦). (٤) قوله: «وادي آش» غير وارد في النفح.
(٥) في النفح: «ونسيب». (٦) في النفح: «وليل رجائه أنْ يُصْبح».
(٧) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٨) في الأصل: «العلا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «أمد». (١٠) في النفح: «ما آبتْ».
(١١) في الأصل: «عُلًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

هل أنت إلّا الخطيبُ ابن الخطيب ومن ... زانتْ حُلَى الدين والدنيا مفاخرُهُ
فإن يُقَصِّرْ عن الأوصاف ذو أدبٍ ... فما بَدا منك في التقصير عاذرُهُ
يا ابنَ الكرام الألى ما شَبَّ طِفْلُهُمُ ... إلّا وللمجد قد شُدَّتْ مآزره
مهلًا عليك فما العلياءُ قافية ... ولا العلاءُ[1] بسَجْعٍ أنتَ ناثرُه
ولا المكارمُ طِرْسًا أنتَ راقمُهُ ... ولا المناقبُ طِبًّا أنتَ ماهرُه
ماذا على سابقٍ يَسْرِي على سَنَنٍ ... إن كان من نفعه[2] خِلٌّ يُسايرُه
سِرْ حيثُ شئتَ من العلياء مُتَّئدًا[3] ... فما أمامَكَ سابقٌ[4] تحاذرُه
أنتَ الإمامُ لأهل الفخر إن فخروا ... أنت الجوادُ الذي عَزَّتْ مفاخره[5]
ما بَعْدَ ما حُزتَهُ مِنْ عِزَّةٍ وعُلًا ... شأوٌ يُطاردُ فيه المَجْدَ كابرُه
نادتْ بك الدولة النَّصْرِيُّ[6] مَحْتِدُها ... نداءَ مُسْتَنْجِدٍ[7] أزرًا يوازره
حَلَّيْتَها برداءِ البِرِّ مرتديًا ... وصُبْحُ يُمْنِكَ فَجْرُ السَّعْدِ سافره[8]
فالملكُ يَرْفُلُ في أبراده مَرَحًا ... قد عَمَّتِ الأرضَ إشراقًا بشائرُه
فاهْنأ[9] بها نعمةً ما أن يقوم لها[10] ... من اللسان ببعضِ الحَقِّ شاكرُه
وليُهنِنا أنه[11] ألقتْ مقالدها ... إلى سريٍّ[12] زكتْ منه عناصرُه
فإنه بَدْرُ تِمّ في مطالعها ... قد طَبَّقَ الأرضَ بالأنوار نائرُه

ومن أطبع ما هزَّ به إلى إقامة سوقه، ورعي حقوقه، قوله[13]: [البسيط]

يا معدنَ الفضلِ موروثًا ومكتسبا ... فكل[14] مجدٍ إلى عليائها[15] انتسبا

---

(١) في الأصل: «العلا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في النفح: «في رفقه».
(٣) في الأصل: «العليا سيّدًا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «سبّاق». (٥) في النفح: «أوافره».
(٦) في الأصل: «الشّغريّ»، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «مستجد»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) في الأصل: «حلية لما برد البرّ مرتديًا وصَبِّحَ... سافرُهُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح.
(٩) في الأصل: «فأضاء»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «فيها»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «وليهنها أنها». (١٢) في النفح: «زكيّ».
(١٣) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٦). (١٤) في النفح: «وكلّ».
(١٥) في النفح: «عليائه».

بباب مجدكم الأسمى أخو أدبٍ مستصرخٌ بكُمُ يستنجدُ الأدبا
ذلَّ الزمانُ له طورًا فبلَّغه من بعض آماله بعض[1] الذي طلبا
والآن أركبه من كلِّ نائبةٍ[2] صَعْبَ الأعنَّةِ لا يألو به نَصَبا
فَحَمَّلَتْه دواعي حُبِّكُمْ وكفى بذاك شافعُ صِدْقٍ يُبلِّغ الأربا
فهل سرى نسمةٌ من جاهكم فيها[3] خليفةُ الله فينا يمطر الذَّهَبا

وأهدى إليَّ قباقِبَ خشب برسمي ومعها من جنسها صغار للأولاد من مدينة وادي آش من خشب الجوز، وكتب لي معها[4]: [الخفيف]

هاكها ضُمَّرًا مطايا حسانا نشأَتْ في الرياض قُضْبًا لِدانا
وثَوَتْ بين روضةٍ وغديرٍ مُرْضعاتٍ من النَّمير لُبانا[5]
ثم لَمّا أراد إكرامها الله وسَنّى لها المُنى والأمانا
قَصَدَتْ بابك العليَّ ابتدارًا ورَجَتْ في قبولك الإحسانا[6]
قد قبلْنا جيادَكَ الدُّهْمَ لمّا أنْ بَلَوْنا منها العِتاقَ الحسانا
أقبلتْ خَلْفَ كلِّ حِجْرٍ ببيع[7] خَلَعَتْ وصفها عليه عيانا
فقبلْنا[8] برعيها وفسحْنا في ديار[9] العلى لها ميدانا
وأردْنا امْتِطاءها[10] فاتَّخذْنا[11] من شراكِ الأديم فيها عِنانا
قَدِمَتْ قبلها كتيبةُ سحرٍ من كتابٍ سَبَتْ به الأذهانا
مثلما تجنُبُ الجيوشُ المذاكي[12] عُدَّةً للقاءِ مهما كانا

---

(١) في النفح: «فوق».
(٢) في الأصل: «نابية»، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «فبها».
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٥).
(٥) في الأصل: «ليانا»، والتصويب من النفح. وبعد هذا البيت جاء في النفح البيت التالي:
لابساتٍ من الظلال بُرُودًا دونها القُضْبُ رقّةً وليانا
(٦) في نفح الطيب جاء بعد هذا البيت العبارة التالية: «قال: فأجبتُه»، ثم أورد ابن الخطيب الأبيات التالية.
(٧) في النفح: «تبيع».
(٨) في النفح: «فعنينا».
(٩) في النفح: «في ربوع».
(١٠) في الأصل: «امتطاها»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) في الأصل: «فأفخذنا»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من النفح.
(١٢) تجنب الجيوش: تسير بجانب الدواب التي تركبها. والمذاكي: الخيل الجواد. لسان العرب (جنب) و(ذكا).

لم ترقْ مُقلتي ولا رقَّ قلبي كحلاها براعةً وبيانا[١]
من يكن مُهْديًا فمثلك يُهْدي لم أجدْ للثَّنا عليك لسانا

وفاته: توفي في الرابع لشعبان من عام[٢] خمسين وسبعمائة مُغتبطًا في الطاعون، لم يبلغ الثلاثين.

علي بن محمد بن علي العبدري

سكن غرناطة، يكنى أبا الحسن ويعرف بالورَّاد، ويشهر أبوه باليربوني.

حاله: بقية مُسِنِّي أُدباءِ الأندلس في فن الهزل والمُعرب، والهَزْل متولي شهرته، وله القِدْح المعلَّى فيه، والطريقة المثلى، ظريف المأخذ، نبيل الأغراض، حافظ للعيون، مال بآخرة إلى النُّسْك وصحبة الصالحين. ولم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكَبْرة، وظرفه يتألّق خلال النسك. وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصُّه: أديب، نار ذكائه كأنه يتوقَّد، وأريبٌ لا يُعترض كلامه ولا يُنقد. أمّا الهزل فطريقته المثلى، التي ركض في ميدانها وجَلَى، وطلع في أُفقها وتجلّى، فأصبح عَلَمَ أعلامها، وعابر أحلامها. إن أخذ بها في وصف الكاس، وذكر الورد والآس، وألَمَّ بالربيع وفصله، والحبيب ووَصْله، والروض وطِيبه، والغمام وتقطيبه، شقَّ الجيوب طربًا، وعلَّ النفوس إربًا وضربًا. وإن أشفق لاعتلال العشية، في فرش الربيع الموْشِية، ثم تعدّاها إلى وصف الصَّبوح، وأجهز على الرق المجروح، وأشار إلى نغمات الوِزَق، يرفلن في الحلل الزُّرَق، وقد اشتعلت الليل نار البرق، وطلعت بنور الصباح في شرفات الشرق، سلب الحليم وقاره، وذكر الخليع كأسه وعقاره، بلسان يتزاحم على مورده الخيال، ويتدفّق من حافاته الأدب السيال، وبيان يقيم أود المعاني، ويشيده صانع اللفظ محكمة المباني، ويكسو حُلل الإحسان جسوم المثالث والمثاني، إلى نادرة لمثلها يشار، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويُسار.

وقد أثبتُّ من شعره المُعرب، وإن كان لا يتعاطاه إلّا قليلًا، ولا يجاوره إلّا تعليلًا، أبياتًا لا تخلو من مسْحة جمال على صفحاتها، وهبّة طِيبٍ ينمُّ في نفحاتها.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

يُذَكِّرُني حُسْنَ الكواعبِ روضة لها خَطَرٌ قَيْد النَّواظرِ مُونقُ

(١) في النفح: «لم يرقْ... راق قلبي كعلاها براعة...».
(٢) في النفح: «عام واحد وخمسين وسبعمائة».

خدودٌ من الورد النضير وأعْيُنٌ من النَّرْجس السامي إليها تُحدِّقُ
وخاماتُ زَرْعٍ يانعٍ كذؤاب وما شقّها من جدول الماءِ مُفَرِّقُ

ومن شعره قوله: [الوافر]

أسافِرَة النقابِ، سُحِرْتُ لَمَّا أمَطْتِ الخزَّ عن بَدْرِ التمامِ
وتَيَّمْتِ الفؤادَ بغَنْجِ طَرْفٍ كحيلٍ ما يفيقُ من المنامِ
لَعَمْرُ أبيك ما بالنوم بُعْدٌ عن الجَفْنِ المُكَحَّلِ بالظلامِ

ومن معانيه المخترعة وأغراضه المبتدعة، وكلها كذلك: [البسيط]

ما لي إذا غِبْتُمُ تَهْمي لفرقتكمْ عيني بمُنْهَمرٍ كالغيث هتَّانِ
أشبهْتُ نيلوفرًا والشمسُ بَهْجَتُكُمْ إن غبتمُ غبتُ في أمواه أجفانِ
السُّقْمُ يَشْهَدُ لي والدَّمْعُ بَرَّحَ بي متى استوى عندكمْ سِرٌّ وإعلانِ؟

وقال من المستحسن الذي رمى فأصاب، واستمطر طبعه فصاب: [الطويل]

يقولون: لاح الشيب فالْهُ عن الصِّبا وعن قهوة تصبو لها وتنيبُ
فقلت: دعوني نَصْطحِبْها سُلافةً على صُبْح شَيْبي فالصُّبْحُ عجيبُ

وقال كذلك: [الكامل]

لا تَعْجَبَنَّ من البَليد مخولا ومن اللبيب يُعدّ في الفقراءِ
الماء أصل الخَصْب غير مُدافع وأخو البلادة طبْعُهُ كالماءِ
والنار مؤثرة الجُدوب وإنها لشبيهة بطبائع الفُطَناءِ

ومن قصائده الغريبة: [الكامل]

ومُعذِّرٍ لَحِظَ المَشيب بعارضي فتصرَّمَتْ دوني حبالُ وصالِهِ
هلَّا ثَنَتْهُ نسبةٌ لمحبِّه؟ إنّ العِذار لشيبةٌ لجمالِهِ

وقال أيضًا: [الوافر]

تَحَرَّ الصِّدْقَ إنْ حدَّثْتَ يوما وإنْ حَدَّثْتَ لا تنقلْ حديثا
وكُنْ للسِّرِّ صوَّانًا كَتُومًا وربما كان سِرُّك أو حديثا

وقال مما يكتب في غِمْد سيف: [الطويل]

لئن راق منّي مَنْظَرٌ بان حُسْنُه لقد سامني بالمُهَنَّدِ باطنُ
كأنَّ أديمي رُقْعة من حديقة تَلَقَّفها صِلٌّ لدى الروض كامنُ

وقال مما يكتب على قوس: [البسيط]

إن كان من وتر الألحان مُنْبَعِثًا سرور قوم مدى الآصال والبُكَرِ
فإنّ حُزْن العدا ما نال منبعثا منّي وحينهمُ في النَّقْر في وترِ

وقال في غير هذا الغرض: [السريع]

الخيرُ كلُّ الخير في ستَّة لم تُلْفَ إلّا في كرام الرجال
الحزم والحلم وحمل الأذى والصبر والصَّمْت وصدق المقال

ومما نختتم به محاسنه قوله: [الطويل]

ألا إنَّ باب الله ليس بمُغْلق ولا دونه من مانع لموفَّقِ
ولكنْ بُلينا في سلوك طريقه بكَلْبٍ من الشيطان ليس بمُطْرقِ
فمن يَزِمِ بالدنيا إليه كَلُقْمةٍ فذاك الذي مِنْ شَرِّه ليس يَتَّقي
فَخَلِّ عن الدنيا ودَعْ عنك حُبَّها يَدَعْك إلى أوج السعادة ترتقي

وقوله: [البسيط]

أيقنت أنّ جميع الخلْق ليس له شيء من الأمر في شيء فيصنعُهُ
فلا أخاف ولا أرجو مدى عمري إلّا الذي في يديه الخلق أجْمَعُهُ

مولده: بمدينة مالقة في اليوم الثالث والعشرين لذي حجة من عام أحد وثمانين وستمائة.

وفاته: في أحواز أحد وستين وسبعمائة.

علي بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصاري

يكنى أبا الحسن، سَرَقُسطي الأصل، غَرناطي الاستيطان والاستعمال.

حاله: كان وزيرًا جليلًا، معظَّم القدر، مبجلًا أثيرًا، ذا معارف جمة، أحد كتاب الزمن، وأهل البلاغة والفصاحة والكرم. وزَر للأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشُفين، صاحب غرناطة، فحمدت وزارته، وكتب للأمير علي بن يوسف. وروى عن شيوخ غرناطة.

أخباره في الجود والجلالة:

قال أبو القاسم: شكى إليه بعض إخوانه من حادثٍ طَرَقَهُ، وأن النِّفاق أخرجه من بلده، وحال بينه وبين بلده، فأنزله أكرم منزل، وخرج إلى المسجد الجامع،

وأشهد على نفسه أنه وهبه الربع من أملاكه، وكتب بذلك عقدًا ودفعه إليه، وقال: يا أخي، إن ذلك سيصلح من حالك، وحالي لا يتسع لأكثر من هذا، فاعذرْ أخاك. وكان الذي وهبه يساوي فوق الألفِ دنيرِ مرابطية، فرحم الله الوزير أبا الحسن؛ فلقد كان نادرة الزمن.

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

يا ليت شعري والأماني كلُّها ... زور يَغُـرّك أو سراب يلمعُ
في كل يوم منزل لأحِبَّةٍ ... كالظلّ يُلْبس للمقيلِ[1] ويُخْلَعُ

ومن ذلك قوله: [الوافر]

تسمَّوا بالمعارف والمعالي ... فليس المجد بالرحم البوالِ
وإنْ فاتا فبالبيضِ المواضي ... وبالسُّمْرِ المثقَّفة العوالي
وإنَّ المَرْءَ تُنهِضُهُ هذه[2] ... فليس بناهضٍ أخرى الليالي
ومن أسْمَتْهُ أسبابٌ سواها ... فَرِفْعَتُها تؤولُ إلى سِفالِ

ومن المحدّثين والفقهاء والطلبة النجباء

علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الجذامي[3]

القاضي المتفنن الحافظ، من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: من الصِّلة: كان عَدْلًا فاضلًا جليلًا، ضابطًا لما رواه، فقيهًا حافظًا، حسن التقييد.

تواليفه: قال: اختصر كتاب «الاستذكار» لأبي عمر بن عبد البر، وغير ذلك.

مشيخته: روى[4] عن أبي محمد عبد الحق بن بُونة، والقاضي أبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي القاسم بن حُبَيش، وأبي خالد بن رفاعة، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي زيد السُّهيلي، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الوليد بن رشد.

(١) في الأصل: «للقيل» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «وإذا المرء تنهضه هذي»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) ترجمة علي بن إبراهيم الجذامي في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٨٤) والديباج المذهب (ص ٢١٠).
(٤) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٨٤).

مولده: ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة وخمسين وخمسمائة(١).

وفاته: وتوفي قريب الظهر من يوم الأربعاءِ التاسع عشر لذي حجة من عام اثنين وثلاثين وستمائة.

مَن روى عنه: روى عنه القاضي أبو علي بن أبي الأحوص(٢).

علي بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن الضحاك الفزاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن النَّفْزي.

حاله: قال أبو القاسم الغافقي: فقيه مُشاور بغرناطة، محدّث متكلّم.

مشيخته: أخذ عن أبي الحسن شُريح، وعن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن الباذش، وعن أبي القاسم بن ورد، وعن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى، وعن الإمام أبي عبد الله المازَرِي، وعن أبي الطاهر السِّلفي، وعن أبي مروان بن مَسرَّة، وأبي محمد بن سِماك القاضي، وعلي بن عبد الرحمٰن بن سمحون القاضي، والقاضي أبي محمد بن عطية، والمشاور أبي القاسم عبد الرحيم بن محمد، والقاضي أبي القاسم بن أبي جمرة، وجماعة يطول ذكرهم.

تواليفه: وله تواليف في أنواع من العلم، منها كتاب «نزهة الأصفياءِ، وسلْوة الأولياءِ، في فضل الصلاة على خاتم الرسل وصفوة الأنبياءِ» اثنا عشر جزءًا، وكتاب «زواهر الأنوار، وبواهر ذوي البصائر والاستبصار، في شمائل النبيّ المختار» سِفْران كبيران، وكتاب «منهج السداد، في شرح الإرشاد» ثلاثون جزءًا، وكتاب «مدارك الحقائق في أصول الفقه» خمسة عشر جزءًا، وكتاب «تحقيق القصد السَّني، في معرفة الصمد العلي» سفر، وكتاب «نتائج الأفكار، في إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال من الغوامض والأسرار» سفر، وكتاب «تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول، وشرح المهمات منها والأصول» سفر، وكتاب «السّباعيات»، وكتاب «تبيين مسالك العلماءِ، في مدارك الأسماءِ»، وكتاب «رسائل الأبرار، وذخائر أهل الحظوة والإيثار، في انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار» سفران اثنان، وكتاب «الإعلام، في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام» سفران.

---

(١) كذا جاء في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٨٥). وأضاف ابن عبد الملك: «ولد بغرناطة».

(٢) ذكر في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٨٤ ـ ١٨٥) أن عشرين رجلًا رووا عنه، ولم يذكر من بينهم أبا علي بن أبي الأحوص.

وفاته: توفي في الكائنة بغرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة. خرج منها يريد وادي آش، فلم يصل إليها، وفقد فلم يوقع له على خبر.

علي بن عبد الله بن يحيىٰ بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن زكريا.

أوّليته: قد مرَّ في ذكر أبيه وعمّه.

حاله: هذا الرجل فاضل، سَكُون، من أهل السذاجة والسلامة والعفاف والصيانة، مُعمّ مُخول في الخير، طاهر النشأة، جانح للعدالة. قعد للعلاج، وبرز في صناعة الطب على فِتًا من سنّه، واستيم إليه بمهم من نبيه العمل وخُطّته، متصف بالإجادة والبيان.

مشيخته: قرأ العربية والفقه وغيرهما من المبادىء على مشيخة وقته، والطب على الوزير أبي يزيد خالد بن خالد من أهل غرناطة، وقعد معه.

شعره: ينتحل من الشعر ما عينه في الشُّرود أو غير ذلك فراره، كقوله: [الرمل]

صَـعَّـدَتْ نـارُ فـؤادي أدْمـعـي ... فـلذا مـا جَـفَّ قـلبـي فـانْـفَـطَـرْ
لـو أبـاح الله لـي وَصْـلٌ إلـى[1] ... صَـدَعِ لـلقـلبِ مـنـي وانْـجَـبَـرْ
أصْـلُ دائـي مـنـك لَحْـظٌ فـاتـر ... وأشـدّ الـلّحـظ مـنـه[2] مـا فَـتَـرْ
كـيـف أرجـو مـنـه بُـرْءًا وغَـدَتْ ... قَـهْـوَةٌ لـلحُـسْـنِ[3] تَـسْـقـيـه دُرَرْ؟

فانظر قوله الأنبل من شعره: [الطويل]

ولـي هِـمَّـةٌ مـن دونـهـا كـلُّ هـمَّـةٍ ... أموت بها عطشانَ أو يخلُصَ الشِّرْبُ
يـعـزُّ عـلـى الـكـريـم ورودُ مـاءٍ ... يُـكـدِّره شَـوْبٌ ويَـطْـرُقُـه نَـهْـبُ
وإنّـي وإنْ أضـحـى لِوُدِّك مـوضـع ... من القلب أضحى دون موضعه الخَلْبُ
فـتـمـنـعـنـي نـفـسـي لأيـمـان أروا ... حهمْ لا[4] على شِرْبٍ يُؤَنِّقُهُ قَشْبُ

---

(١) في الأصل: «. . . لي وصلك الأنبل صدع القلب. . .»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «ما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «الحُسْن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) كلمة «لا» ساقطة في الأصل وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

غفر الله له على قَشَب، وتجاوز عنه، فلقد دفع منه فضحها.

وهو بحاله الموصوفة.

ومن الطارئين والغرباءِ

علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني

من أهل مالقة، من قرية يَعشيش من عمل مُلْتماس، من شرقيها، يكنى أبا الحسن. ودخل غرناطة ومدح أمراءَها، وتردَّد إليها.

حاله: من «عائد الصلة»: من صدور أهل الدين والفضل، والخير والصلاح والنزاهة، والاقتصاد والانقباض، تحرَّف بصناعة التَّوثيق بمالقة، جاريًا على شاكلة مثله من الاقتصاد، والتبلُّغ باليسير، ومصابرة الحاجة، مكِبًّا على المطالعة والنظر، مجانبًا للناس، بعيدًا عن الرِّيب، مؤثرًا للزهد في الدنيا. وُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم من قصبة مالقة في عام وفاته.

مشيخته: قرأ على الأُستاذ الصالح الخطيب أبي جعفر بن الزيات، والأُستاذ المقرىء رُحْلة الوقت أبي عبد الله بن الكمَّاد.

شعره: وشعره آخذٌ بطرف من الإجادة في بعض المقاصد، فمن ذلك قوله: [الوافر]

أرى لك في الهوى نظرًا مُريبا ... كأنَّ عليك عَذْلًا[١] أو رقيبا

ولست بخائف في الحب شيئا ... على نفسي مخافتيَ المَشِيبا

يريني كل ما تهواه نفسي ... قبيحًا مالئًا عيني عنيبا

أنا منه ابن قيس لا يراح ... فَذُقْ مُرَّ التأسف مستطيبا

إذا ما كنتَ تبكي فَقْدَ حِبٍّ ... فما مثل الشباب به حبيبا

وقال في مذهب المدح من المطولات: [الكامل]

الآن تطلب وُدَّها ووصالها ... من بعد ما شَغَلَتْ بهجرك بالها

وقد استحالت فيك سيماء[٢] الصِّبا ... حالا يروع مثلُها أمثالَها

وأتيتها متلبسًا بروائع ... نكرٍ بفَوْدك أصْبَحَتْ عُذَّالَها

---

(١) في الأصل: «عاذلًا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «سيما»، وكذا ينكسر الوزن.

بيضٌ تخيَّلَ للنفوس نصولها سُمْرًا تخوّل للنحور نصالَها
مثل الأفاعي الرُّقْط تَنْفُث في الحشا وأرى بفَوْدك جثما أطالها
نار تُضَرّمُ في الفؤاد حريقها لكن تُنير بمِفرقَيك ذُبالها
جَزِعَتْ لهذا الشَّيب نفسي وهي ما زالت تهوّن كل صعب نالَها
ولكم صدعْتُ بنافذ من عزمتي همًّا فلا[1] يهدي العليمُ ضَلالَها
صادمْتُ من كَرْب الدُّنا أشْتاتها ما خفْتُ غُرْبتها ولا إقلالها
ولئن تقلّص عشرتي فيء الغنا عنّي فلي نَفْسٌ تمدُّ ظلالَها
ما مَزَّقَتْ ديباجتي غير امرئٍ عرضتْ عليه النفسُ قط سؤالَها
ألقى الليالي غير هبٍّ صَرْفها والأُسْد غير مُجَنّب أغيالَها
أمشي الهوينا والعُداة تمرُّ بي مرًّا يطير عن الجياد نِسالَها
علمَتْ ليَ الخُلُقَ الجميل محقّقا وتسيءُ فيَّ على عم[2] أقوالَها
تبْغي انثناءً، هل[3] سمعْتَ بنَسْمة مَرَّتْ على نَجْدٍ تهزُّ جبالَها؟
ولربما عرضتْ لعينيَ نظرة يَرْضى الحكيم غرامَها وخَبالَها
من غادةٍ سَرَقَ الصباحُ بهاءَها والبَدْرُ في ليل التمام كمالها
تهوي المجرَّة أن تكون نجومها من حَلْيها وهلالُها خلخالَها
عرضتْ كما مرّت بعينك مُطْفل ترعى بناظرك الكحيل غرامها
ما نَهْنَهَتْ نفسي وإن ضَمِنَتْ لها عَبَراتها يوم الوداع وصالَها
من كان يأمُلُ أنْ يقوم بمجلس حَطَّتْ به شُهُبُ السما أثقالَها
محا أحاديث السُّرى[4] أولي النُّها نصًّا ويُضْري في العُلى أمثالها
ألقى هواه جانبًا وسَرَى به وجنا تُدَوّي في الدجى إعمالها

ومنها في المدح:

ألْبَسْت دين الله حلّة أمْن أضْفَتْ على إسرائه زِلْزالَها[5]
أنتمْ بني نصر نصرتمْ ملّة الـ إسلام حين شكتْ لكمْ عُذَّالَها
كنتمْ لها أهلًا ورَحَّبْتُمْ بها في الغُرْبتين ومِنْتُمُ إنزالَها

(١) في الأصل: «لا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «عملي»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «وهل»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «السُّراة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «ذلذالها»، وهو لا معنى له.

نَزَلَتْ على سَعْدٍ ليسعدَ جدُّها ... وأوتْ إلى نصر لينصر آلَها
أحْرَزْتُمُ يوم السَّقيفة عُودَها ... دون الأنام وقودَها وسكالَها
لكنْ حبَوْتمْ من أجرتمْ منَّة ... بخلافة الله التي يُغنى لها
إذ تؤثرون سواكمُ قالتْ بذا ... آيُ الكتاب، فمن يردُّ مقالها؟
حتى إذا عثرتْ ولم ينهضْ بها ... إلّاكُمُ بادرْتُمُ إنشالها
آوَيْتُمُ خيرَ البريّة كلِّها ... ومغيثَها ونجاتها وثِمالها
مَنْ ألْبَس الشَّرف الرفيع وضِيعَها ... وكسا مُعَضْفرة الحِجا جُهَّالَها
مَنْ أمَّ في السَّبْع العُلى أملاكها ... جِبْريلها في الغَرْب أو مِيكالها
مَنْ أنقَذَ الغَرْقى وقد شمل الرَّدى ... هذا الأنام خيارها وحثالها
مَنْ فاضَتِ الخيرات من تِلْقائه ... كالصُّبْح فاض على الدُّجى فأزالها
مَنْ فجَّر العَيْن الفُرات بكفِّه ... يَرْو الورى ورْد القطا سِلسالَها
مَنْ لا يقاسي[1] بالرياح إذا سَرَتْ ... نشرًا تقلّ من السحاب ثِقالها
معنى وجود الكون علّة كونه ... نفس الحياة مُنَفِّسًا أهوالها
دامت صلاة الله دِيمة عارِض ... يَهْمي عليه نَدى الدُّنا هطَّالها
لمّا تحقَّقت النبوّة أنها ... قد زلزلت منها الورى زلزالها
وتقاعَسَت عن منعها أعمامها ... أمَّت أئمَّة نصرها أحوالها
فوثبْتُمُ مثل الليوث لنصرها ... والحرب تُجْنب خلفها أشبالها
وأدرْتُمُ منها زَبُونًا أصْبَحَتْ ... تَرْمي رؤوس الملحدين ثِقالها
بَدْرٌ وما بَدْرٌ وردَّم قلبها ... بجنادل الطاغوت تملأُ جالها
ولكمْ بأوْطاسٍ وقد حَمِي الوطيـ ... ـسُ على العِدا يوم أطاح بحالها
فنزغتُمُ أزواجَها وسَبَيْتُمُ ... أولادها وسلَبْتُمُ أموالها
وذهبْتُمُ بالمصطفى لديارِكمْ ... وحيا سواكمْ ساقها وجمالها
فُزْتمْ به فوزَ المُعَلَّى منحة ... أحرزْتُمُ دون الأنام منالها
يا أيها الملك الذي من مُلْكه ... جَنَتِ الملوكُ جمالها وجلالها
ما زال حِزْبكَ منهمُ يعلو على ... مَرِّ الدهور ويَغْتَلي أجْبالها
حتى حللْتَ من المَجادة ذِروة ... ما حلّ غيرك في المجادة حالها
تَحْمي الهدى تَهْمي النَّدى تُولي الجَدا ... وتقي الردى وتُري العدا أوْجالها

(١) في الأصل: «يقاس»، وكذا ينكسر الوزن.

قَعَدتْ شريعتُه بيُمْنك ليس من ... كدر يُشين على العباد زُلالها
يا سيِّد السادات، يا ملك الملو ... ك وشَمْسَها وصباحَها وهلالها
يا بَدْرَها، يا بَحْرَها، أو غَيْثَها ... أو لَيْثَها أو حُسْنَها وجمالَها
خُذها كما دارتْ بكأس سُلافها ... حَوْراءَ تمزج باللُّمى جَرْيالها
تثْني على السِّحر المبين وشاحها ... وتُدير من خمر الفُتور جلالها
لَمْياءُ تبرز للعيون كشاطر ... والعقل يوجب حُكْمُهُ إجلالها
وَقَفتْ وذو إحسانها من هاشم ... من سِبْط خير العالمين حيالها
يرجو رضاك وطالما أرْضَيْتُمُ ... آلَ النبيِّ وكنْتُمْ أرسالها
كم من يَدٍ بَيْضا لَدَيْنا منكمُ ... شكرًا[١] له وأولياه فعالها
آويتُمُ، واسيْتُمُ، والَيْتُمُ، ... أحْلَلْتُمُونا داركَمْ وجَلالَها
وهجرْتُمُ لوصالنا أعداءَنا ... ووصلْتُمُ لِصلاتنا أوصالها
فَصِلوا حياءَنا[٢] ما استطعتُمْ وَصْلَه ... تُعْطوا مِنَ أجْزاءِ[٣] الجزاء جزالها

وله تأليف غريب عكف عليه عمره في فضل مكّة، وكأنه يَرُوم برهانًا على وجوب كونها بالموضع الذي هي به، وفضله على سواه، وتكلم على حروف اسمها، من جهة تناسب أعداد الحروف، مما الناظر فيه مُخَير في نسبه إلى العِزْفان أو الهَذَيان.

وفاته: توفي بمالقة في أُخريات صفر من عام خمسين وسبعمائة.

علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني

من أهل وادي آش، وروى وتردّد إلى غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان فقيهًا حافظًا، يقظًا، حسن النظر، أديبًا، شاعرًا مجيدًا، كاتبًا بليغًا، فاضلًا.

مشيخته: روى عن أبي إسحٰق بن عبد الرحيم القيسي، وأبي الحسن طاهر بن يوسف، وأبي العباس الخرُّوبي، وأبي القاسم بن حُبَيش، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرَس الغرناطي، ومحمد بن علي بن مَسَرَّة.

(١) في الأصل: «شكرنا»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «أحياءنا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «أجزا» وكذا ينكسر الوزن.

وروى عنه أبو بكر بن عبد النور، وأبو جعفر بن الدلال، وأبو عبد الله بن أحمد المذحجي، وأبو سعيد الطَّراز، وابن يوسف، وابن طارق، وأبو علي الحسن بن سمعان، وأبو القاسم بن الطَّيْلسان.

تواليفه: صنَّف في شرح «الموطأ» مُصَنَّفًا سمّاه «نهج المسالك، للتفقه في مذهب مالك» في عشرة مجلدات. وشرح صحيح مُسْلم وسمّاه «اقتباس السراج، في شرح مسلم بن الحجاج». وشرح تفريع ابن الجلاب وسمّاه «الترصيع، في شرح مسائل التفريع». وصنَّف في الآداب منظوماته ورسائله، وهي شهيرة، شاهدة بتَبْريزه وتقدُّمه. وله نظم شمائل رسول الله ﷺ، رسالة بديعة تشتمل على نظم ونثر، بعث بها إلى القبر الشريف. وله كتاب «الوسيلة إلى إصابة المعنى، في أسماءِ الله الحسنى».

شعره: من شعره في «الوسيلة»، وقد ضمَّن كل قطعة أو قصيدة اسمًا من أسماءِ الله تعالى، فمنها قوله في اسم الله سبحانه: [الطويل]

قُلِ الله نستفتحْ من أسمائه الحسنى ... بأعظمها لفظًا وأعظمها معنى
هو الله فادْعُ الله بالله تقتربْ ... لأقرب قُربى من وريدك أو أدنى
وآملْهُ مضطرًّا وقِفْ عند بابه ... وقوف عزيز لا يُصَدُّ ولا يُثْنى
بباب إلٰه أوسع الخلق رحمة ... فلله ما أولى أبرَّ وما أحْنى
وقَدِّمْ من الإخلاص ثم وسيلة ... تَنَلْ رتبة العلياء[١] والمقصد الأسنى
أمولاي، هل للخلق غيرك مفضل ... يصرّح عن ذكراه في اللفظ أو يُكْنى؟
ببابك مضطر شكا منك فَقْره ... لأكْرَم من أغنى فقيرًا ومن أقْنَى
وللفضل والمعروف منك عوائد ... لها الحمد ما أدنى قطوفًا وما أهْنى
فمنها لك الإنعام دأْبًا خوالدا ... تفاني بها الأيام طُرًّا ولا يَفْنى

وفاته: توفي شهيدًا في ربيع الآخر سنة تسع وستمائة.

علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف[٢]

طُرْطُوشي، سكن دانية، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن عزِّ الناس[٣].

---

(١) في الأصل: «العليا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) ترجمة علي بن صالح في التكملة (ج ٣ ص ٢٠٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٨) والديباج المذهب (ص ٢١٢) ونيل الابتهاج (ص ١٩٩).
(٣) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٩): «غُرّ الناس».

حاله: كان[١] عالمًا بالفقه، حافظًا لمسائله، متقدِّمًا في علم الأُصول، ثاقب الذهن، ذكي الفؤاد، بارع الاستِنْبَاط، مُسَدَّد النظر، متوقِّد الخاطر، فصيح العبارة، ذا حظٍّ من قرض الشعر[٢].

من روى عنه: روى[٣] عنه أبو بكر أُسامة بن سليمان، وسليمان بن محمد بن خلف، ويحيىٰ بن عمر بن الفصيح.

دخوله غرناطة: قالوا[٤]: واستخلصه الأمير أبو زكريا يحيىٰ بن غانية[٥] أيام إمارته ببلنسية لمشهور معرفته ونباهته، ثم سار معه إلى قرطبة[٦]، ولازمه إلى أن توفي أبو زكريا بن غانية بغرناطة سنة ثلاث وأربعين، فانتقل إلى شرق الأندلس، واستقرّ بدانية.

تواليفه: وله[٧] مصنّفات منها «كتاب العُزْلة»، ومنها «شرح معاني التحيّة».

ولد بطرطوشة سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي بدانية؛ قتل مظلومًا بإذن ابن سعد الأمير في رمضان[٨] سنة ست وستين وخمسمائة.

علي بن أبي جَلَّا المكناسي[٩]

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان[١٠] شيخًا ذكيًا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظًا للمسائل الفقهية، عارفًا لها، قائمًا على كتاب المُدَوَّنة، تفقَّه بالشيخ أبي يوسف الجَزُولي،

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٩).
(٢) في الأصل: «ذا خطٌ مروض»، وكذا لا معنى له، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٣) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٢٠٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٩).
(٤) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٩).
(٥) يحيىٰ بن غانية، المعروف بابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة وغرب الأندلس من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. قاوم الموحدين في أول استيلائهم على الأندلس، فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.
(٦) في الذيل والتكملة: «ثم صار صُحْبَتَه إلى قرطبة سنة سبع وثلاثين، ولازمه إلى أن توفي أبو زكريا. . .».
(٧) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٢٠٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٢١٩).
(٨) في الذيل والتكملة: «في آخر رمضان».
(٩) ترجم له المقري في نفح الطيب (ج ٥ ص ١٠١) باسم: «علي بن أبي حَلَّى المكناسي»، بالحاء وليس بالجيم.
(١٠) النص في نفح الطيب (ج ٥ ص ١٠١).

وعليه اجتهد في مسائل الكتاب. وكان مضطلعًا بمشكلاته، حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات، إلّا أنه كان يحكي غرائب شاهدها تملُّحًا وأُنسًا، فينمّقها عليه الطلبة(١)، وربما تعدّوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح والمداعبة، حتى لَجَمَعوا(٢) من ذلك كثيرًا في جزءٍ سموه بـ «السِّلْك(٣) المُحَلَّى، في أخبار ابن أبي جلّا». فمن ذلك ما زعموا أنه حدَّث بأنه كانت له هرّة، فدخل البيت يومًا، فوجدها قد بَلَّتْ أحد(٤) كفّيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به، ونصبته بإزاءِ كوّة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأُخرى لصيده، فناداها باسمها، فردّت(٥) رأسها، وجعلت إصبعها في(٦) فمها على هيئة المشير بالصمت. وأشباه ذلك كثير.

وفاته: في حدود ستة(٧) وأربعين وسبعمائة.

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمـٰن بن علي ابن سمحون الهلالي

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان شيخًا جليلًا، فقيهًا، عارفًا، نبيلًا، نبيهًا، ذا مروءَة كاملة، وخُلُق حسن، من بيت حَسب وعلم ودين. قال أبو القاسم الملّاحي: حدّثني صاحبنا الفقيه الخطيب أبو جعفر بن حسان، قال: كنت أجاوره في بعض أملاكي، وكان له مِلْك يُلاصقني، أتمنى أن أكتسبه، فينتظم لي به ما هو مفترق، فوافقته ذات يوم في القرية، فسألته المعاوضة به، وخيَّرته في مواضع في أرضي، فضحك مني، وقال لي: انظر في ذلك إن شاء الله. ثم إنه وجَّه لي بعد ذلك بأيام يسيرة، بعقد يتضمن البيع وقبض الثمن مني، فخجلت منه، وراودته في أخْذِ الثمن، فأبى وقال لي: هذا قليل في حقّك، وكان قد لقي شيوخًا أخذ عنهم، وكانت له كتب كثيرة.

وفاته: توفي بالـمُنَكَّب صبح اليوم السادس من رمضان عام ستة وتسعين وخمسمائة. ولست أحقق أهو القريب أو سلفه، وعلى كلا التقديرين، فالفضل حاصل.

---

(١) في النفح: «بعض الطلبة».
(٢) في النفح: «حتى جمعوا».
(٣) في النفح: «السالك والمحلّى... حَلّى».
(٤) في النفح: «إحدى يديها، وجعلتها...».
(٥) في النفح: «فزوت».
(٦) في النفح: «على».
(٧) في النفح: «وتوفي المذكور سنة ٤٠٦، قاله في الإحاطة».

علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي[(١)]

يكنى أبا الحسن، ويعرف بالصُّغَيِّر، بضم الصاد وفتح الغين والياءِ المشددة.

حاله: من «المؤتمن»[(٢)]: كان هذا الرجل قيّمًا على التهذيب للبرادعي، حفظًا وتفقهًا، يشارك في شيءٍ من أصول الفقه، يطرّز بذلك مجالسه، مُغْربًا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت، لخلُوِّهم من تلك الطريقة بالجملة. حضرْت[(٣)] مجلس إقرائه، وكان ربْعةً، آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زيّ صنعة، وأحسن ما فيه ليس بحسن. وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس، ويحضر عليه نحو مائة نفس، ويقعد على كرسي عال ليسمع البعيد والقريب، على انخفاض كان في صوته، حسن الإقراءِ، وقورًا فيه، سَكُونًا، مثبتًا، صابرًا على هجوم طلبة البربر، وسوءِ طريقتهم في المناظرة والبحث، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته، تَرِد عليه السؤالات من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك، على طريقة من الاختصار وترك فضول القول. وُلّي القضاءِ بفاس؛ قدّمه أبو الربيع سلطان المغرب وأقام أوَده، وعضده، فانطلقت يده على أهل الجاه، وأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى من العدل على صراط مستقيم. ونُقم عليه اتخاذ شمّام يستنشق على الناس الخمر، ويحقّ أن يُنتقد ذلك.

مشيخته: أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي، وانتفع به، وعليه كان اعتماده. وأخذ عن صهره أبي الحسن بن سليم، وأبي عمران الجَوْرماني، وعن غيرهما[(٤)]. وقَيّدت عنه بفاس على التهذيب وعلى رسالة أبي زيد، قيّدها عنه تلاميذه، وأبرزوها تأليفًا كأبي سالم بن أبي يحيىٰ.

وفاته: وفاته يوم الثلاثاءِ السادس لرمضان عام تسعة عشر وسبعمائة، ودخل غرناطة لمّا وصل رسولًا على عهد مستقضيه، رحمهما الله.

---

(١) نسبة إلى قبيلة بني زروال البربرية.
(٢) هو كتاب «المؤتمن، على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات ابن الحاج البلفيقي، أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.
(٣) الفاعل يعود إلى أبي البركات ابن الحاج.
(٤) في الأصل: «وغيرهم».

علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيىٰ بن عبد الله ابن يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ الغافقي[١]

سَبْتي، ساري[٢] الأصل، انتقل منها أبوه سنة اثنتين وستين وخمسمائة، يكنى أبا الحسن، ويُشْهَر أهل بيته في سارة بني يحيىٰ.

حاله: من «التكملة»[٣]: كان محدِّثًا راوية مُكْثِرًا، عدلًا ثقة، ناقدًا، ذاكرًا للتواريخ وأيام الناس وأحوالهم وطبقاتهم، قديمًا وحديثًا، شديد العناية بالعلم، والرغبة فيه، جاعلًا الخوض فيه، مفيدًا ومستفيدًا، وظيفة عمره، جمَّاعة للكتب، منافسًا فيها، مغاليًا في أثمانها، وربما أعمل الرحلة في التماسها حتى اقتنى منها بالابتياع والانتساخ كل عِلْق نفيس. ثم انتقى منها جملة وافرة فحَبَسها في مدرسته التي أحدثها بقرب باب القصير، أحد أبواب بحر سبتة، وعيّن لها من خِيار أملاكه وجيِّد رباعه وقفًا صالحًا، سالكًا في ذلك طريقة أهل المشرق، وقعد بها بعد إكمالها لتروية الحديث وإسماعه، في رجب خمس وثلاثين وستمائة، وكثر الأخذ بها عنه، واستمرّ على ذلك مدة. وكان سَرِيَّ الهمّة، نزيه النفس، كريم الطبع، سَمْحًا، مؤثرًا، مُعانًا على ما يصدر عنه من المآثر الجليلة ونبل الأغراض السنية، بالجدة المتمكنة، واليسار الواسع. وكان سُنّيًا، مُنافرًا لأهل البدع، مُحبًا في العلم وطلابه، سمحًا لهم بأعلاق كتبه، قوي الرجاءِ في ذلك. وممّا يؤثر عنه من النزاهة، أنه لم يباشر قط دُنيرًا ولا درهمًا، إنما كان يباشر ذلك وُكَلاؤه اللائذون به.

مشيخته: روى[٤] عن أبوي الحسن أبيه والتجيبي، وأبي الحسن بن عطية بن غازي، وأبي عبد الله محمد بن عيسى، وابن عبد الكريم، وابن علي الكتّاني، وأبي إسحٰق الشُّقوري، وأبوي بكر بن الفصيح، ويحيىٰ بن محمد بن خلف البوريني، وأبي الحسن بن خروف النحوي، وابن عُبَيْدس، وابن جابر، وابن جُبير، وابن زَرْقون، وابن الصائغ، وأبي بكر بن أبي رُكب، وأبي سليمان بن حوط الله، وأبي العباس القوراني، وأبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم، وأبي محمد الحِجْري وأكثر عنه، وابن حوط الله، وابن محمد بن عيسى التّادلي، وعبد العزيز بن زيدان، ويَشْكر بن موسى بن الغزلقي، هؤلاءِ أخذ[٥] عنهم بين سماع وقراءَة، وأكثرهم أجازه

(١) ترجمة علي بن محمد الغافقي في التكملة (ج ٣ ص ٢٥١).
(٢) في التكملة (ج ٣ ص ٢٥٢): «ويعرف بالشاري؛ لأن أصله من الشارة شرق الأندلس».
(٣) لم يرد هذا النص في التكملة المطبوعة. (٤) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٢٥٢).
(٥) في الأصل: «وأخذ».

أو كتب إليه مُجيزًا. ولم يلقه أبو جعفر بن مضاءٍ، وأبو الحسن بن القطان ونجبه، وأبو عبد الله بن حماد، وابن عبد الحق التِّلمساني، وابن الفخار، وأبو القاسم السهيلي، وابن حبيش، وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس. واستجاز بآخرة، مكثرًا من الاستفادة، أبا العباس بن الرومية، فأجاز له من إشبيلية.

مَن روى عنه: روى أبو بكر أحمد بن حميد القرطبي، وأبو عبد الله الطَّنجالي، وابن عياش، وأبو العباس بن علي الماردي، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران، وأبو محمد عبد الحق بن حكيم. وحدّث بالإجازة عنه أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي.

محنته ودخوله غرناطة:

غرَّبه أمير سبتة اليانشتي الملقب بالواثق بالله، غاصًا به لجلالته وأهليته، وكونه قد عُرضت عليه فأباها، فدخل الأندلس في شعبان عام أحد وأربعين وستمائة، فنزل ألمرية وأقام بها إلى المحرم من سنة ثمان وأربعين، وأخذ عنه بها عالم كثير. ثم انتقل إلى مالقة في صفر من هذه السنة ودخل غرناطة، فأخذ عنه جميع طلبتها إلّا النادر.

قال الأستاذ أبو جعفر الزبير: وقرأت إذ ذاك عليه، وكان يروم من مالقة الرجوع إلى بلده، ويحوم عليه، فلم يُقْض له ذلك، وأقام بها يؤخذ عنه العلم، إلى أن أتتْه منيَّته.

مولده: بسبته يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى وسبعين وخمسمائة.

وفاته: توفي بمالقة ضحوة يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان تسع وأربعين وستمائة، نفعه الله، بشهادة الموت غريقًا.

علي بن عبد الله بن محمد ابن يوسف بن أحمد الأنصاري(١)

فاسي المولد، أصله منها قديمًا، ومن مَراكُش حديثًا، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن قطْرال.

(١) ترجمة علي بن عبد الله الأنصاري في التكملة (ج ٣ ص ٢٤١) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٥٤) والعبر في خبر من غبر (ج ٥ ص ٢٠٩).

حاله: كان ريان من الأدب، كاتبًا بليغًا، دمث الأخلاق، لين الجانب، فقيهًا حافظًا، عاقدًا للشروط، مقدمًا في النظر فيها، كتب طويلًا عن قاضي الجماعة بمراكش، أبي جعفر بن مضاءٍ، ثم عن أبي القاسم بن بقي، وأسنّ ممتعًا بحواسه.

مشيخته: روى[١] عن أبوي بكر بن الجدّ، وابن أبي زمنين، وأبي جعفر بن يحيىٰ ولازمه كثيرًا، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي الحسن بن كوثر ونجبه، وأبي الحسن يحيىٰ بن الصائغ، وأبي خالد بن رفاعة[٢]، وأبي عبد الله بن حفص، وابن حميد، وابن زرقون، وابن سعادة الشاطبي، وابن عروس، وابن الفخار، وأبي العباس، وابن مضاءٍ، ويحيىٰ المجريطي، وأبي القاسم بن بقي، وابن رشد الوراق، وابن سمحون، وابن غالب، وابن جمهور، وابن حوط الله، وعبد الحق بن بونة، وعبد الصمد. وروى عنه ابناه أبو عبد الله وأبو محمد، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو محمد بن بَرْطَلة، وأبو محمد بن هارون الطائي، وأبو يعقوب بن عقاب. قال ابن عبد الملك: وحدّثنا عنه من شيوخنا أبو الحجاج بن حكم، وأبو الحسن الرعيني، وأبو الطيب صالح بن شريف، وأبو القاسم العَزَفي.

محنته: وامتُحن بالأسر، وهو قاضٍ بأُبَّدة، حين تغلّب العدوّ الرومي عليها إثر وقيعة «العقاب»[٣]، وذهب لأجل ذلك أصول سماعه، وافتُكّ بمشاركة الوزير أبي سعيد بن جامع، ويسَّر الله عليه، فثاب جاهه، واستقام أمره، وقدِّم للقضاءِ بمواضع نبيهة[٤].

دخوله غرناطة: قال: دخل غرناطة وأقام بها، وقرأ على أبي محمد عبد المنعم بن الفرس، وأبي بكر بن أبي زمنين، وأبي عبد الله بن عروس.

---

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٢٤١). (٢) في التكملة: «رقاعة».

(٣) العِقاب، بالإسبانية Las Navas de Tolosa: موضع بين جيان وقلعة رباح، كانت فيه وقيعة عظيمة بين الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب المغرب والأندلس، وبين الإسبان بقيادة الأذفونش، في منتصف صفر من سنة ٦٠٩ هـ، وكانت الهزيمة فيها على المسلمين شنيعة، أتى القتل فيها على خلق كثير من المسلمين، وكانت أول وهن دخل على الموحدين. الروض المعطار (ص ٤١٦).

(٤) جاء في التكملة أنه ولي بالأندلس بعد أَبّذة قضاء شاطبة وشريش وجيان وقرطبة وسبتة، وبالمغرب قضاء فاس وأغمات.

ولد بفاس سنة ثنتين وستين وخمسمائة[١]. وتوفي، عفا الله عنه، يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الأُولى[٢] عام أحد وخمسين وستمائة بمراكش.

«انتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى، يتلوه،
ومن السفر الحادي عشر ترجمة الطارئين في ترجمة العمال والأثرا.
والحمد لله رب العالمين»

* * *

ومن السِّفر الحادي عشر من ترجمة الطارئين في ترجمة العمال والأثرا

عمر بن علي بن غفرون الكلبي[٣]

من أهل مُنْتِفريد[٤].

حاله: كان شيخًا مُخْشَوْشِن الظاهر بَدَوِيَّهُ، سريع الجواب، جَلِدًا على العمل، صليبًا وقَاحًا. له ببلده نباهة وخصل من طلب وخطٍّ وحساب. أَمَّ ببلده، وانتقل إلى الحضرة عند انتزاءِ ثَغْره، وداخل السلطان في سبيل استرجاعه، فنشأت له غمامة رزق ببابه، وأقلّته هضبة حظوة ناطت به ديوان الجيش مدة أيام السلطان، ووُلِّي بعده خُططًا نبيهة، ثم التأثت حاله وأسنَّ، ومات تحت خمول.

وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصُّه[٥]: شيخ خَدَم، قام له الدهر فيها على قَدَم، وصاحب تعريض، ودهاءٍ عريض، وفائزٌ من الدولة[٦] بأيادٍ بيض، خدم الدولة النصرية ببلده عند انتزاءِ أهله، وكان ممن استنزلهم من حَزْنِه إلى سَهْله، وحكَّم الأمر الغالبي في يافعه وكَهْله، فاكتسب[٧] حُظْوة أرْضَتْه، ووسيلة أزْهَفَتْه وأمْضَتْه، حتى

(١) جاء في التكملة: «ومولده بقرطبة عام ٥٦٣».
(٢) في التكملة: «وتوفي بمراكش في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة».
(٣) ترجمة ابن غفرون في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٨).
(٤) منتفريد: بالإسبانية Montefrio، أي جبل البرد، ويقع شمال مدينة لوشة.
(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٨).
(٦) في النفح: «من الدول النصرية بأيادٍ بيض، أصله من حِصْن منتفريد، خدم به الدولة النصرية عند انتزاء...».
(٧) في النفح: «فكسب».

عظم ماله[١]، واتسقت آماله. ثم دالت الدول، ونكرت[٢] أيامه الأول، وتقلب[٣] من يُجانسه، وشقي بكل[٤] من كان ينافسه، فجفَّ عوده، والتاثَتْ سعوده، وهلك والخمولُ يطلبه[٥]، والدهر يقُوتُه من صُبابة حرث كان يستغلّه.

شعره: وله شعر لم يُثَقِّفْه النظر، ولا وَضَحَتْ منه الغُرَر. كتب للسلطان أمير المسلمين مُنفق سوق خدمته، ومتغمده بنعمته، يطلب منه تجديد بعض عنايته: [السريع]

يا ملكًا، ساد ملوك الورى ... في الحال أو في الأعصر الخاليةْ
العبد لا يطلب شيئًا سوى ... تجديد خطٍّ يدك العاليةْ

ومن شعره يخبر عن وداده، ويعلن في جناب الملوك الغالبيين بحسن اعتقاده: [الكامل]

حُبُّ الملوك مِنَ آل نصرٍ دِيني ... أَلْقى به ربِّي بحسن يقيني
هو عُدَّتي في شدَّتي وذخيرتي ... وبه يتحسَّبني غدًا ويَقيني[٦]
حتى أوانَ[٧] الحَشْرِ لم أخدم سوى ... أبوابهمْ بوسيلةٍ تكفيني[٨]
أرجو نفاد العُمْر في أيامهمْ ... من تحتِ سترِ رعايةٍ تُرضِيني[٩]
إن كان دهري في نفادي بعدهمْ ... فالله، عزَّ وجلَّ، لا يُبقيني[١٠]

وسَلِم في أيام خموله، وانْغَلق على المتغلب على الدولة أبي عبد الله بن المحروق، وقد احتقره ببابه، وأعرض عن جوابه، فكتب إليه، ولم يرهب ما لديه: [المجتث]

يا من سألتك وَغْدًا[١١] ... في كل يومٍ مِرارا
ازْدُدْ عليَّ سلامي ... ولا تَدَعْهُ احتِقارا

---

(١) في النفح: «جاهه وماله، وبسقت آماله».
(٢) في النفح: «وتنكّرت».
(٣) في النفح: «وتغلّب».
(٤) في النفح: «وشقي بمن كان ينافسه».
(٥) في النفح: «يُظلُّه».
(٦) في الأصل: «ويقين» بدون ياء.
(٧) في الأصل: «أبى»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٨) في الأصل: «تكفين» بدون ياء.
(٩) في الأصل: «ترضينِ».
(١٠) في الأصل: «لا يبقينِ».
(١١) في الأصل: «يا من سُول وغدا» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وفاته: قال شيخنا الكاتب أبو بكر بن شبرين، رحمه الله: وفي ذي حجة من عام أربعة وأربعين وسبعمائة توفي الفقيه أبو علي بن غفرون من أهل مُنْتفريد من حصون براجلة غرناطة. قدم قديمًا بالباب السلطانية في تنفيذ واجب العسكر الأندلسي وإشراف الحضرة وحفازتها. وكان ميمون النقيبة، وَجْهًا في الناس فاضلًا، رحمه الله.

علي بن يحيىٰ الفزاري(١)

من أهل مالقة، بربري النسب فَزارِيه. يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن البربري.

حاله: كان من أماثل طريقته عدلًا، وعفافًا، وفضلًا، ليّن العريكة، دَمث الأخلاق، حسن الخط، جيد الشعر، تَغْلب عليه السلامة والغفلة، تصرف في إشراف مالقة وسواها عمره، محمود الطريقة، حسن السيرة. ومدح الملوك والكبراءِ.

شعره: ممّا خاطبني به قوله(٢): [الطويل]

لِبـابِـكَ أمَّ الآمـلون ويَـمَّـموا ... وفي ساحَتَيْ رحماك حَطُّوا وخَيَّموا(٣)
ومِنْ راحَتَيْ كَفَّيْكَ جَدْواك تنهمي(٤) ... فـتـرْوى عـطـاشٌ مِـنْ نَـداك وتـنـعـمُ
وأنـت لـمـا رامُـوه كـعـبـةُ حَـجِّـهـم ... إذا شـاهـدوا مـرآك لَبَّوْا وأحْـرَمـوا(٥)
يطوفون سَبْعًا حول بابك عندما ... يـلوحُ لـهـم ذاك الـمَـقـامُ الـمُـعَـظَّـمُ
فَـيُـمْـنـاكَ يُـمْـنٌ لـلرعـايـا(٦) ومـنَّـةٌ ... ويُـسْـراك يُـسْـرٌ(٧) لـلـعُـفـاة ومَـغْـنَـمُ
ولُقْـيـاكَ بِـشْـرٌ لـلـنـفـوس وجـنَّـةٌ ... تـزقُّ(٨) بـهـا وُرْقُ الـمُـنـا وتَـرَنَّـمُ
فـيـا واحدَ الأزمانِ عـلْمًـا ومَـنْـصِـبًـا ... ويـا مَـنْ(٩) به الـدنـيـا تـروقُ وتـبـسـم
ومَـنْ وَجْـهُـهُ كـالـبـدر يُـشْـرِقُ نـورُه ... ومن(١٠) جودُه كالغَيْثِ بل هو أكرمُ

---

(١) ترجمة الفزاري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٩).
(٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦٩ - ٢٧٠).
(٣) في الأصل: «وخيم» والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «جدوًا تهمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «وأحرم» والتصويب من النفح.
(٦) في الأصل: «الرعايا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «ويسرًا» والتصويب من النفح. (٨) في النفح: «ترنُّ».
(٩) في الأصل: «ومن به الدنيا. . .»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

ومَنْ ذِكْرُه كالمِسْكِ فُضَّ ختامُهُ وكالشمس نورًا بشرُه المتوسَّم
لقد حُزْتَ خَصل[١] السَّبْق غيرَ مُعانِدٍ[٢] فأنتَ على أهل السباق مُقَدَّم
حويتَ من العلياءِ كلَّ كريمةٍ بها الروضُ يَنْدى والرُّبى تَتَبَسَّم
وباهَيْتَ أقلامَ المقام[٣] براعةً فلا قلمٌ إلّا يراعَكَ يخدم
إذا[٤] فاخرَ الأمجادُ يومًا فإنما لمجدك في حال الفخار يُسَلِّم
وإن سكتوا كُنتَ البليغَ لديهمُ يعبِّر[٥] عن سِرِّ العُلى ويُتَرْجِم[٦]

ومنها:

فيا صاحِبَيْ نَجْواي عُوجًا برامَةٍ على رَبْعِهِ حيثُ النَّدى والتَّكَرُّمُ
وقولا له: عَبْدٌ[٧] ببابك يرتجي قضاء لُبَاناتٍ لديك تُتَمَّمُ
وليس له إلّا عُلاك وسيلةٌ ولا شيء أسْمى من علاكَ وأعْظَمُ
فَجُدْ بالذي يرجوه منك[٨] فما له كعقدٍ ثمينٍ من ثنائك يُنْظَمُ
بقيتَ ونَجْمُ السَّعْدِ عندك طالعٌ يُضيءُ له بَدْرٌ وتشرقُ أنْجُمُ

وقال مراجعًا القاضي أبا عبد الله بن غالب، رحمه الله: [الطويل]

وما كنتُ عن ذكر الأحبَّة ساليا ولا عن هوى بيضِ الدُّما برغيبِ
فلمّا أتتْني رُقعةٌ بُلْبُليَّةٌ شَغُلْتُ بها عن منزلٍ وحبيبِ
وقَبَّلْتُها ألْفًا وقلت لها أنْعمي صباحًا ومَمْسى بالقبول وطيب
فيا حسن خطٍّ جاء من عند بارع ويا سحر لفظٍ من كلام أديب
وإنَّ قريضًا لم يَحِكْهُ ابنُ غالب لَخُلْوٌ من الآداب غيرُ عجيب

وفاته: بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة.

(١) في النفح: «فضل». (٢) في المصدر نفسه: «مُنازَع».
(٣) في المصدر نفسه: «الفئام». والفئام: الجماعة من الناس.
(٤) في الأصل: «وإذا»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في النفح: «تُعَبِّرُ». (٦) في النفح: «وتترجم».
(٧) كلمة «عَبْدٌ» ساقطة في الأصل، وأضفناها من النفح.
(٨) في الأصل: «لمنك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي

من أهل غرناطة، يكنى أبا بكر، الشيخ الصوفي.

حاله: هذا الرجل فذّ الطريقة في الخصوصِيَّة والتخلّي، وإيثار الانقطاع والعُزلة، طُرفة في الوقار والحشمة. نشأ بغرناطة وطلب بها، وكتب بألمرية عن بعض ولاة قصبتها، وعُني بمطالعة أقوال الصوفية، فآثر طريقهم، وعوَّل عليه، وتجرّد وترك التسبُّب، والتزم منزله، بحيث لا يريمه إلّا لصلاة الجمعة في أقرب محالّها وإليه، نظيف البِزَّة، حسن السَّمْت، مليح الترتيب والظَّرْف، طيب المجالسة، طُلَعة مُتْعة، إخباري، يصل ماضي الزمان بمستقبله، جليس مصلًّى، ومُجيل سبحة، كثير الزوار، ممن يلتمس الخير وينقر عن أهله، محظوظ المجلس، حفيٌّ بالوارد، ذاكر، مأثرة من مآثر بلده.

مشيخته: أخذ عن الخطيب الصالح ولي الله أبي عبد الله الطَّنْجالي، والخطيب المحدّث أبي عبد الله بن رشيد، والأستاذ النظار أبي القاسم بن الشّاط، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والشيخ الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأزكشي، نزيل مالقة، والوزير الراوية أبي عبد الله بن ربيع الأشعري، والعدل الراوية أبي الحسن بن مستقور، والأستاذ المقرىء أبي جعفر الجزيري الضرير، والخطيب أبي عبد الله بن الخشاب، والخطيب المقرىء أبي إسحٰق بن أبي العاصي، والشيخ والمحدّث أبي تمام غالب بن حسن بن غالب الجهاري، والقاضي المُسِنّ أبي جعفر الشاطبي، والقاضي المحدّث أبي المجد يوسف بن الحسن بن أبي الأحوص، والأستاذ المحدّث أبي القاسم بن جابر، وأخيه المحدّث أبي جعفر، والقاضي أبي جعفر بن أبي جبل، والأستاذ الصوفي أبي محمد بن سلْمون، والشيخ الشريف أبي الحسن علي بن جمرة بن القاسم الجهني، والأستاذ المقرىء أبي عبد الله بن بيبش العبدري، والشيخ المكَتِّب أبي عمرو عبد الرحمٰن بن يُشت، والشيخ الراوية المحدّث الرحال أبي عبد الله بن جابر الوادآشي، الملقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين، والخطيبين أبوي الحسن بن فرحون، وابن شعيب، والقاضي أبي الحسن البلوي، والأستاذ المقرىء.

محنته: ناله امتحان من بعض القضاة ببلده، حَمْلًا عليه وإنكارًا لما امتاز به من مثلى الطريقة، أدّاه إلى سجنه ومنع الناس عن لقائه. وهو الآن بحاله الموصوفة، قد ناهز السبعين، تمرّ الناس تلتمس بركته وتغشى لطلب الدعاءِ خلْوته.

علي بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز الهاشمي

من أهل غرناطة، ويعرف بالقُرَشي.

حاله: كان، رحمه الله، على طريقةٍ مُثلى، حياءً ووقارًا وصمتًا، وانقباضًا وتخلُّقًا وفضلًا، عاكفًا على الخير، كثير الملازمة لكسْر البيت، مكبًّا على المطالعة، مؤثرًا للخلوة، كلفًا بطريق الصوفية. كتب الشروط لأول أمره، فكان صَدْرًا في الإثبات، وعلمًا في العدول، إلى لين الجانب، ودماثة الخلق، وطهارة الثوب، وحسن اللقاءِ، ورجوح المذهب، وسلامة الصدر. قيّد الكثير، ولقي في تَشرِيقه أعلامًا أخذ عنهم. وتقدَّم خطيبًا وإمامًا بالمسجد الأعظم في غرناطة، عام أحد عشر وسبعمائة، واستمرّت حاله، إلى حين وفاته، على سنن أولياءِ الله الصالحين.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبير، ولازمه وتأدَّب به، وتلا عليه بالقراءَات السبع، وسمع كثيرًا من الحديث، وعلى الخطيب الولي أبي الحسن بن فضيلة، والشيخ الخطيب أبي عبد الله بن صالح الكناني، سمع عليه الكثير، قال: أنشدني الخطيب أبو محمد بن بَرْطلة: [مخلع البسيط]

أسْلَمني للبلا[1] وحيدًا ... من هو في مُلْكه وحيدُ
قضى عليَّ الفناءَ حتمًا ... فلم يكن عنه لي مَحيدُ
وكيف يبقى غريق نزى ... فذاته أولا صعيدُ
يعيد أحواله إليه ... من نَعته المُبدْيء[2] المعيد

وأخذ عن الشيخ الراوية المحدّث أبي محمد بن هارون الطائي، والشيخ الراوية المعمر أبي محمد الخلاسي، والشيخ الشريف تاج الدين أبي الحسن العرامي، والشيخ المحدّث الإمام شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي، والشيخ رضيّ الدين الطبري، والمحدّث الحافظ فخر الدين التودري الميكالي؛ قال: وأنشدني من لفظه بالحرم الشريف لشيخه الإمام أبي الحسن الخزرجي: [الرمل]

عن أُهَيل المنحنى لا أصْبِرُ ... فاعذِلوني فيهمُ أو فاعذروا
فيه[3] أحبابي[4] وإنْ هُمْ عذَّبوا ... ومُنائي وصَلوا أم هجروا

---

(١) في الأصل: «للبلاء» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «المبدي»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «هم» وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «أحباب».

والشيخ المحدِّث المُفْتي بالحرم الشريف، رضي الدين محمد بن أبي بكر بن خليل؛ قال: وأنشدني لبعض شيوخه: [الطويل]

أفي كل وادٍ شاعر ومطيب ... وفي كل ناد مِنْبر وخطيبُ؟
نعمْ كثر الأقوام قلّة ناقد ... لهمْ فتَساوى مُخطىء ومُصيبُ

والشيخ المحدّث الإمام أنس الدين ابن الإمام قطب الدين القَسْطلّاني، والأديب الواعظ نفيس الدين بن إبراهيم اللمطي؛ قال: وأنشدني إجازة عن الشيخ الإمام شرف الدين أبي الفضل السلمي المرسي من قصيدة: [الطويل]

إذا جئتُ ألقى عند بابك حاجبًا ... مُحيَّاه من فرط الجهامة حالكُ
ومن عَجَبٍ[1] مَغْناك جنَّةُ قاصد ... وحاجبها من دون رضوانَ مالكُ

والشيخ الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، وأبي العباس بن الظاهري، ومحيي الدين بن عبد المنعم، ومحمد بن غالب بن سعيد الجيَّاني، والخطيب الجليل أبي عبد الله بن رُشيد من أهل المغرب. وكتب له الشريف أبو علي الحسن بن أبي الشرف، والعدل أبو فارس الهواري، وأبو القاسم بن الطيب، وأبو بكر بن عبيدة، وأبو إسحٰق الغافقي، وأبو عبد الله الدرّاج، وأبو الحكم مالك بن المرحّل، وأبو إسحٰق التِّلمساني، وغيرهم.

تواليفه: صنّف في التصوّف كتابًا سماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» وكتابًا في غرض «الشفا» العِياضي. ومن شعره، ثبتُ بظهر الكتاب المسمّى بـ«الموارد المستعذبة» من تأليف شيخنا أبي بكر بن الحكيم ما نصُّه: [الطويل]

كتابك ذا مَنْ هَوَتْه المفاخرُ ... سنا وسنًا راق منه زواهرُ
لقد جاء كالعِقْد المُنَظّم ناثرًا ... فرائد قسٌّ عنك في ذاك[2] قاصرُ
بلاغته في القوم تشهد عندما ... تشكك فيه أنه عنك صادرُ
فللّه من روضٍ أنيقٍ غُصونه ... بما تتمنّاه[3] فَزاهٍ وزاهرُ
فما شئته تجدْه فيه فإنه ... لناظره بَحْرٌ بها هو زاخرُ
فنُهنيكمُ بابن الأُلى شاع مجدهمْ ... قيادكمُ مَجْدٌ بذاتك آخر
أتيتَ بما فيه تبثُّ[4] حياة مَنْ ... حَوَتْه على مَرّ الدهور المقابر

---

(١) في الأصل: «عجيب» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «ذا» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «تتمنا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «انبثّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وأبديتَ فيه سحر لفظك رائقا ... تلذُّ به الأجفان وهي سواهر
ومتَّعْتُ طرفي فيه لا زلت باقيا ... نحا[١] بك ربيٍّ يوم تُبْلى السرائر
وخصَّك منّي بالسلام مردَّدا ... عليك مدى الدنيا وما طار طائرُ

مولده: في حدود سنة سبع وستين وستمائة.

وفاته: في صفر من عام أربعة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته بالغة أقصى مبالغ الاحتفال، وتزاحم الناس على قبره بما بَعُدَ العهدُ به.

وممن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال: [الرمل]

قُضي الأَمْرُ، فيا[٢] نَفسُ اصْبري ... صَبْرَ تسليمٍ لِحُكْمِ القَدَرِ
وعزاءً يا فؤادي إنَّه ... حُكْمُ مَلْكٍ قاهرٍ مُقْتَدِرِ
حِكْمَةٌ قد[٣] أَحْكَمَتْ تَدْبيرَها ... نحن منها في سبيل السَّفَرِ
أَجَلٌ مُقْتَدِرٌ[٤] ليس بِمُسْـ ... ـتَقْدِمٍ منه[٥] ولا مُسْتَأْخِرِ
أَحْسَنَ اللهُ عزاءَ كلِّ ذي ... خَشْيَةٍ مِنْ ربِّه[٦] في عمرِ
في أمانيٍّ[٧] التَّقِيِّ الخاشعِ الـ ... ـطاهرِ الذاتِ الزَّكيِّ السيرِ
قُرَشِيٌّ من سليمٍ[٨] مُسْتَقَى ... من صميمِ الشَّرفِ المُطَّهَّرِ
يَشْهَدُ الليلُ دليلاً[٩] أنه ... دائمُ الذِّكْرِ طويلُ السَّهَرِ
في صلاةٍ بَعَثَتْ وَفْدًا لها[١٠] ... زُمَرٌ للمصطفى[١١] مِنْ مُضَرِ
نائمًا أو[١٢] راكعًا أو ساجدًا ... لطلوعِ فجرِه المُنْفجرِ
جمع الرحمنُ شَمْلَيْنا[١٣] غَدًا ... بحبيبِ اللهِ خَيْرِ البَشَرِ
وَتَلَقَّتْهُ وفودٌ، رحمةُ الـ ... ـلَه تأتي بالرِّضى والبِشَرِ

---

(١) في الأصل: «ونحا» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «يا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) كلمة «قد» ساقطة في الأصل.
(٤) في الأصل: «مقدر»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) كلمة «منه» ساقطة في الأصل.
(٦) في الأصل: «لربِّه»، وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «إمامنا»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٨) في الأصل: «سليمان»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٩) كلمة «دليلًا» ساقطة في الأصل.
(١٠) في الأصل: «وقودها»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(١١) في الأصل: «المصطفى»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٢) في الأصل: «وراكعًا وساجدًا»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٣) في الأصل: «شملنا»، وكذا ينكسر الوزن.

علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن المحروق.

أوّليته: قد مَرَّ ذلك عند ذكر عمِّه وجدِّه.

حاله: هذا الرجل شيخ الفقراءِ السَّفَّارة والمتسببة بالرِّباط المنسوب إلى جدِّه، وهو مقيم الرسم، حاجٌّ رحَّال، عارف بالبلاد، طواف على كثير من مشاهير ما عُرِف الاصطلاح. وزار تُرب الصالحين، وصحب السَّفارة، حسن الشكل، أصيل البيت، حافظ للترتيب، غيور على الطريقة، محظوظ العقد، مجانبٌ للأغمار، منافر لأهل البدع، مكبوحٌ عن غلو الصافنة، أنوف، مترفِّع، كلف بالتجلّة، يرى لنفسه الحق ولا يفارق الحظَّ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة وسرد الكثير من كلام الخطباءِ عن غير اختيار، يطبق المِفصل، ويكافىء الغرض المقصود، على شرود عن قانون الإعراب، حسن الحديث، طبقة للرَّسم الدُّنيوي من هذا الفن كثرة، وحسن بزَّة، ونفاذ أمره، ونباهة بيته، وتعاطيا لنتائج الخَلْوة.

محنته: قبض عليه المتغلب على الدولة وأزعجه بعد الثِّقاف في المُطْبق، إلى مَرْسى ألمريَّة، اتهامًا بممالأة السلطان، فامتعض له من أهل مدينة وادي آش، وتبعهم المشيخة على المجاهرة، فاستنقذوه، وكاشفوا المتغلب، إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه، وعاجل الأمر تصير الملك لصاحبه، فعاد الشيخ إلى حاله، فهي معدودة عنه من أثر التصريف.

مشيخته: ومن خطه نقلت. قال: ولدت في اليوم الحادي والعشرين لرجب عام تسعة وسبعمائة، ولبستُ الخِرقة من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ الولي الشهير أبي علي عمر بن محمد بن علي الهاشمي القرشي في أوائل ذي قعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعمائة. وحدَّثني بها، رحمه الله، عن الشيخ الزاهد أبي محمد الخلاسي، عن شرف الأئمة أبي عبد الله بن مَسْدي، عن الشيخ الكبير أبي العباس بن العَريف، عن أبي بكر عبد الباقي بن برال، عن أبي عمرو الطَّلمنكي، عن أبي عمرو بن عون الله وأبي علي الحسن بن محمود الجرجاني، عن أبي سعيد ابن الأعرابي، عن أبي محمد سالم بن محمد بن عبد الله الخراساني، عن الفضل بن عِياض، عن هشام بن حسَّان ويونس بن عبيد، عن أبي الحسن بن الحسن البصري، عن الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه. ثم رحلْتُ إلى المغرب، طالبًا في لقاءِ أهل الطريقة، راغبًا، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم، ولا يُجْهَل قدرهم. ولما توجهت إلى المشرق، لقيت به أعلامًا

وأشياخًا كرامًا، لهم طرق سنِّية، وأحوال سَنية، أودعت ذكرهم هذا طلبًا للاختصار، وخوفًا من سآمة الإكثار، وكان اعتمادي فيمن لقيت منهم في أيام تجريدي واجتهادي، بعد إيابي من قضاءِ أربي، من حجّ بيت الله الحرام وزيارة قبر النبيّ عليه الصلاة والسلام، على مَن بهَدْيه أستنير، وأعتمد عليه فيمن لقيت وصحبت، وإليه أشير، سيدي الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره وفريد دهره، جمال الدين أبو الحجاج الكوراني جِنسًا، والتميمي قبيلة، والكلوري مولدًا، والسهروردي خرقةً وطريقة ونسبة، وهو الذي لقَّنني، وسلكت على يده، وقطعت مفاوز العُزْلة عنده، مع جملة ولده. وحدَّثني، رضي الله عنه، أنه لقَّنه الشيخ الفقيه العارف أبو علي الشمشري، هو والشيخ الإمام نجم الدين الإصبهاني، والشيخ نجم الدين، والشيخ بدر الدين الطوسي، لَقَّنا الفقيه محسنًا المذكور، والشيخ بدر الدين، لقّنه الشيخ نور الدين عبد الصمد النصيري، والشيخ عبد الصمد، لقّنه الشيخ نجيب الدين بن مرغوش الشِّيرازي، والشيخ نجيب الدين، لقّنه الشيخ شهاب الدين السَّهْرَوردي والشيخ شهاب الدين، لقّنه عمّه ضياءُ الدين أبو الحسن السهروردي، والشيخ ضياء الدين فرج الزِّنجاني، والشيخ فرج الزنجاني، لقّنه أبو العباس النهاوندي، والشيخ أبو العباس، لقّنه أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي، والشيخ أبو عبد الله، لقّنه أبو محمد رديم، والشيخ أبو محمد، لقّنه أبو القاسم الجنيد، والشيخ أبو القاسم، لقّنه سَرِي السَّقطي، والشيخ سري، لقّنه معروف الكَرْخي، والشيخ معروف، لقّنه داود الطائي، والشيخ داود، لقّنه حبيب العجمي، والشيخ حبيب، لقّنه الإمام الحسن البصري، والشيخ الحسن، لقّنه الإمام علي بن أبي طالب. ولبست الخرقة من يد الشيخ أبي الحجاج المذكور بسند التلقين المذكور إلى أبي القاسم الجنيد، رضي الله عنه، إلى جعفر الحذاء، إلى أبي عمر الإصطخري، إلى شقيق البلخي، إلى إبراهيم بن أدهم، إلى موسى بن زيد الراعي، إلى أويس القرني، إلى أميري المؤمنين عمر وعلي، رضي الله عنهما، ومنها إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ، وذلك في أوائل عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة. وقد ألَّفت كتابًا جمعت فيه بعض ما صدر من أورادي، أيام تجريدي واجتهادي، محتويًا على نظم ونثر، مُفْرغًا عن كلام الغير، إلّا مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة، فإني سقتها على جهة لكونها غاية في الاحتفال وهي: [الرمل]

قل لمن طاف بكاسات الرضا وسَقَى العشّاق مما قد نهل

وسميت الكتاب بـ«نكت الناجي، وإشارات الراجي». ولعلّ ذلك يكون اسمًا وافق مسمّاه، ولفظًا طابق معناه. وإلى ما ذكرت من النكت، أشرت بما نظمت،

فقلت: [البسيط]

فـي كـل واحـدة مـنـهـن أسـرارُ لا تنقضي، ولها في اللفظ أسرارُ
إنْ رُمْتَ حَضرَ معانيها بما سَمِعَتْ أُذْناكَ ليس لها بالسَّمْع إخصارُ
فاصْحبْ خبيرًا بما يرضى الحجاب ستارها وكذاك[1] الحُرُّ سَتّارُ

ولعلّه يكون، إن شاء الله، كما ذكرته، وأعرِّف بما أنشدته.

ولي جملة قصائد وأزجال منظومة على البديهة والارتجال، نطق بها لسان المقال، معربًا عمّا وجدته في الحال، قصدت بها الدخول مع ذلك الفريق، وأوْدعْتُها غوامض أسرار التحقيق. فمن بعض نكت الكتاب، ما يعجب منه ذوو الألباب، نكتة سرّ الفقير، يشير إليه بجميع الكائنات، فلا حديث مُعجم، ولا موجود مُبهم، فهو إذا يتكلم دون حَدِّه وبلسان وجده، والفقيه يتكلم فوق قَدْره وبلسان غيره، وهذا ما حضرني في الوقت، مع مزاحمة الشواغل، فتصفّحوا، واصفحوا، وتلمحوا واسْمَحوا. ولكم الفضل في قبول هذه العجالة واليسير من هذه المقالة. انتهى.

ومن الطارئين

علي بن عبد الله النميري الشُشْتَري[2]

عروس الفقراءِ، وأمير المُتجرِّدين، وبركة الأندلس، لابس العباءة الخرقة، أبو الحسن. من أهل شِشْتَر، قرية من عمل وادي آش، معروفة، وزقاق الشُّشْتري معروف بها. وكان مجوِّدًا للقرآن، قائمًا عليه، عارفًا بمعانيه، من أهل العلم والعمل.

حاله: قال شيخنا أبو عثمان بن ليُون في صدور تهذيبه لرسالته العلمية: الإمام الصُّوفي المُتَجرِّد، جال البلاد والآفاق، ولقي المشايخ، وسكن الرُّبُط، وحجّ حجَّات، وآثر التجرّد والعبادة. وذكره القاضي أبو العباس الغُبْريني، قاضي بجاية، في كتابه المسمَّى عُنْوان الدِّراية فيمن عُرف في المائة السابعة بمدينة بجاية، وقال: الفقيه الصوفي الصالح العابد، أبو الحسن الشُّشتري من الطلبة المحصِّلين، والفقراءِ

(١) في الأصل: «وكذلك»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) ترجمة الششتري في عنوان الدراية (ص ١٤٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٩٦) ومقدمة ديوانه بتحقيق الدكتور علي سامي النشار.

المنقَطِعين، له علم وعمل بالحكمة، ومعرفة بطريق الصوفية، وله تقدم في النظم والنثر، على طريقة التحقيق. وأشعاره في ذلك، وتواشيحه ومُقَفَّياته وأزجاله، غاية في الانطباع. وكان كثيرًا ما يُجوِّد عليه القرآن. ونظمه في التحقيق كثير.

مشيخته: أخذ عن القاضي محيي الدين أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الشاطبي، وعن غيره من أصحاب السُّهْرَوَردي صاحب العوارف والمعارف. واجتمع بالنَّجم بن إسرايل الدِّمشقي الفقير سنة خمس وستمائة. قال: ألفيْتُه على قدم التجرد، وله أشعار وأذواق في طريق القوم، وكان من الأُمراءِ وأولاد الأُمراءِ، فصار من الفقراءِ وأولاد الفقراءِ، وخدم أبا محمد بن سبَعين، وتَلْمَذ له. وكان الشيخ أبو محمد دونه في السِّن، لكن استمرّ باتِّباعه، وعوّل على ما لديه، حتى صار يُعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها، بعبد الحق بن سبعين، وبه استدل أصحاب أبي محمد على فضله. ويقال: إنه لما لقيه يُريد المشايخ، إن كنت تريد الجنة، فصِرْ إلى الشيخ أبي مدين، وإن كنت تريد ربّ الجنة فهلم. ولما مات الشيخ أبو محمد، انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراءِ والمتجرِّدين والسَّفَّارة، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير، فيقسِّمهم الترتيب في وظايف خدمته.

كراماته: قالوا: نادى يومًا، وهو مع أصحابه في برِّية، يا أحمد، فقال أحدهم: ومن هذا، فقال تُسرُّون به غدًا. فلما وردوا من الغد قابِس، وجدوا أحمد قد جاءَ من الأسْر، فقال: صافحوا أخاكم المُنَادى بالأمس. قالوا: ودخل عليه ببجاية أبو الحسن بن علّال من أمنائها، وهو يُذكر في العلم، فأعجبته طريقته، فنوى أن يؤثر الفقراءَ من ماله بعشرين دنيرًا. ثم ساق شطرها، وحبس الباقي ليزوِّدهم به، فرأى النبيّ ﷺ، في النَّوم، ومعه أبو بكر وعمر، فقال: ادْعُ لي يا رسول الله، فقال لأبي بكر: أعطِه، فأعطاه نصف رغيف كان بيده، فقال له الشيخ في الغد: لو أتيت بالكل، لأخذت الرغيف كله.

تواليفه: له كتاب «العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاءِ العلوم». وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته. وله «المقاليد الوُجُودية في أسرار إشارات الصوفية». وله الرسالة القُدْسية في توحيد العامة والخاصة. والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية. والرسالة العلمية، وغير ذلك.

دخوله غرناطة: دخلها ونزل برابطة العقاب، وتكرَّر إليها، إذ بلده من عِمالتها.

شعره: من ذلك قوله[١]: [الطويل]

لقد تِهتُ عُجبًا بالتَّجَرُّد والفَقْر ... فلم أَنْدَرِجْ تحت الزمانِ ولا الدَّهْرِ
وجاءَتْ لقلبي نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ ... فغِبْتُ بها عن عالم الخَلْقِ والأمْرِ
طَوَيتُ بِساطَ الكونِ والطَّيُّ نَشْرُهُ ... وما القصدُ إلّا التركُ للطَّيِّ والنَّشْرِ
وغَمَّضتُ عينَ القَلْبِ عن غير مُطْلَق[٢] ... فألْفَيْتَني ذاك المُلَقَّبِ بالغَيْرِ
وَصَلْتُ لمن لم تَنْفَصِلْ عنه لحظة ... ونَزَّهْتُ مَنْ أعني من[٣] الوَصْل والهَجْر
وما الوَصْفُ إلّا دُونه غَيْرَ أنني ... أُريد به التشبيه[٤] عن بعض ما أدْرِي[٥]
وذلك مِثْلُ الصوتِ أيقظ نائمًا ... فأبصرَ أمْرًا جَلَّ عن ضابط الحصْرِ
نقلت[٦] له الأسماءَ تبغي بيانه ... فكانت له الألفاظُ سِترًا على سِتْرِ

ومن شعره أيضًا قوله في الغرض المذكور[٧]: [الكامل]

مَنْ لامني لو أنه قد أبْصَرا ... ما ذُقْتُه أضحى به مُتَحَيِّرا
وغَدا يقولُ لِصَحْبه إنْ أنتُمُ ... أنكرْتُمُ ما بي أتيتُمْ مُنكرا
شَذَّت أُمورُ القومِ عن عاداتهمْ ... فَلأَجْلِ ذاكَ يُقالُ: سِحْرٌ مُفْتَرى

ومن شعره القصيدة الشهيرة ولها حكاية[٨]: [الطويل]

أرى طالبًا منّا الزيادةَ لا الحُسْنى ... بفكرٍ رَمى سَهْمًا فعدّى به عُدْنا
وطالَبنا مَطْلُوبُنا من وجودنا ... يغيب[٩] به عنّا[١٠] لدى الصَّعْقِ إنْ عَنّا
تركنا حظوظًا من حضيض لحوطنا[١١] ... إلى المقصِد الأقصى إلى المقصد الأسْنى

---

(١) الأبيات في ديوان أبي الحسن الششتري (ص ٥١) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨).
(٢) في النفح: «... القلبِ غَيْرَ مُطَلِّقِ».
(٣) في النفح: «عن».
(٤) في النفح: «التشبيب».
(٥) في الأصل: «أدرِ» بدون ياء.
(٦) في النفح: «فقلت».
(٧) الأبيات في ديوان أبي الحسن الششتري (ص ٤١) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٩٨).
(٨) ديوان أبي الحسن الششتري (ص ٧٢). وورد في نفح الطيب فقط البيتان الأول والثاني.
(٩) في النفح: «نغيب».
(١٠) كلمة «عنّا» ساقطة من الإحاطة، وقد أضفناها من المصدرين.
(١١) في الأصل: «لحوطتنا»، وكذا ينكسر الوزن.

ولـم نُـلْفِ كـونَ الـكـون إلّا تـوهُّـمَـا
وليس بشيءٍ ثابت هاك[١] أَلْفينا
فَرَفْضُ السِّوا فَرْضٌ علينا لأننا
أُناس بمحو الشِّرْك والشرك قد دنا
ولكنما[٢] كيف السبيل لرفضه
ورافضه المرفوض نحن وما كنَّا؟
فيا قابلا بالوصل والوقفة التي
حُجِبْتَ بها اسْمعْ وارعوي مثل ما أُبنا
تبدَّتْ لك الأوهامُ لمّا تداخلتْ
عليك ونور العقل أورَثك الشَّجْنا
وسَمَّتْ بأنوارٍ فَهِمْنا أُصولَها
ومَنْبَعها من أين كان فما سُمْنا
وقد تحجب الأنوار للعقل مثل ما
تُبَعِّدُ من إظلام نَفْسٍ حَوَتْ ظعْنا
وأنّى دُجالٌ في القَضِيَّة يدَّعي
وأكمل من في الناس مَنْ[٣] صَدَعَ الأمْنا
فلو كان سرُّ الله يلحق هكذا
لقال لنا الجمهور: ها نحن ما خِبْنا
وكم دونه من فتنةٍ وبليَّةٍ
وكم بُهْمَةٍ من قبل ذلك قد جُبْنا
وكل مُقام لا تُقِمْ فيه إنه
حجاب فَجُدَّ السَّيْرَ واستَنْجِدِ العَوْنا
ولا تلتفت في السَّير إذْ كلُّ ما[٤] به
سوى الله غيرٌ فاتخذْ ذِكْرَهُ حِصْنا
ومهما ترى كل المراتب تُجْتلى
عليك فَحُلْ عنها فعن مثلها حُلْنا

(١) في الأصل: «هكذا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «ولكن»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «لمن»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «وكل ما»، وكذا ينكسر الوزن.

وقل: ليس لي في غير ذلك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طُرفة تجنى
وسِرْ نحو أعلام اليمين فإنها
سبيلٌ بها يُمنٌ فلا تترك اليُمْنا
أمامك هَوْل فاسْتَمِعْ لوصيَّتي
عِقالٌ من العقل الذي منه قد تُبْنا
إمام[١] الورى بالمشكلات وقبلهمْ
بأوهامه قد أهلك الخرَّ والبنَّا
محجَّتنا قَطْعُ الحِجا وهو حَجُّنا
وحُجَّتُنا شلْوه ها بها هِمْنا
يُثَبِّتُنا عند الصعود لأنه
يَوَدُّ لأنّا للصَّعيد قَدَ اَخْلدنا
تلوح لنا الأطواق منه ثلاثة
كراءٍ وهارب[٢] ورؤية ما قلْنا
ويظهر باسم[٣] السِّرِّ والنفسِ مُدْبرًا
وعقلًا وخيرًا مُقْبلًا عندما يُدْنى
ولوح إذا لاحت سطور كتابنا
له فيه وهو النُّون فالقلم الأدْنى
وعرش وكرسيّ وبرج وكوكب
وحَشْي لجسمِ الكل في وصفه حِزنا
تمرُّ خطوط الذهن عند التفاتنا
أحاطَته لِلقصوى[٤] التي فيه أخضَرْنا

(١) في الأصل: «أيام»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «كرآ هربن»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «باسمه للسّرّ»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «حاطته القصوى»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

مُـقَـطّـعُـه الأزمـان[١] لـلدهـر مـثّـل
يـكـيِّـف لـلأجـسـام مـن نِـخْـلة[٢] أيـنـا
أقـــام دويـــن الـــدهـــر مَـــذْرَةَ ذاتِـــهِ
ونـحـن ونـفـس الـكـل فـي بـحـره عُـمْـنـا
وفـــتَّـــق لـــلأمـــلاك جـــوهـــره الـــذي
يـشـكِّـله سـرُّ الـحـروف فَـحَـرَّفْـنـا
يُـفَـرِّقُ مـجـمـوع الـقَـضـيَّـة ظـاهـرا
ويـجـمـع فـرْقًـا مـن تـداخـله فُـزْنـا
وعَـدَّدَ شـيـئًا لـم يـكـن غـيـر وَاحـدِ
بـألـفـاظِ أسـمـائـهـا شَـتَّـتَ الـمـعـنـى
ويُـغْـرج والـمـعـراج مـنـه ذواتـه
لـتـطـويـره الـعُـلويّ بـالـوسـم أسْـرَيْـنـا
لـيُـفْـلل[٣] سُـفْـليًّـا ويـوهـم أنـه
لسُـفْـليّـه الـمـجـهـول بـالـذات أسْـبَـطْـنـا
يُـقَـدِّرُ خـضـلًا بـعـد وصـل لـذاتـه
وفَـرْضُ مـسـافـات يـجـدُّ لـهـا الـذِّهْـنـا
يـحـلّ لـهـا طـور الـمَـغَـبَّـة شـكـله
وإن لـمـعـتْ فـيـه فـيـلحـقـه الـمَـفْـنـا
ويـلحـقـه بـالـشَّـرط مـن مُـشْـنَـويَّـة
يـلوح بـهـا وهـو الـمُـلَوَّحُ والـمـبْـنَـى
فـنـحـن كـدُود الـقَـزِّ يَـحْـصُـرنـا الـذي
صَـنَـعْـنـا بـدفـع الـحَـصْـر سِـجْـنًا لـنـا مـنَّـا
فـكـم واقـفِ أزدى وكـم سـائـر هـذا
وكـم حـكـمـة أبْـدَى وكـم مُـمْـلق أغْـنـى!

(١) في الأصل: «مُقَطَّعُ بالأزمان»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «نحلته»، وكذا لا يستقيم الوزن.
(٣) في الأصل: «فليفلّ»، وكذا ينكسر الوزن.

وتَـيَّـمَ أربـابَ الـهَـرامِـس كـلّهـمْ
وحَسْبـك مـن سُـقْـراطَ أسْـكـنـه الـدُّنـا
وجـرّد أمـثـال الـعـوالـم كـلهـا
وأبْـدَى لأفـلاطـونَ فـي الـمـثـل الـحَـسْـنـا
وهـام أرِسْـطـو أنْ[١] مـشـى مـن هـيـامـه
وبـثَّ الـذي ألـقـى إلـيـه ومـا ضَـنَّـا
فـكـان لـذي الـقَـرْنـيـن عـونًـا عـلى الـذي
تـبـدَّى بـه وَهْـوَ الـذي طَـلْيـه[٢] الـعَـيْـنـا
ويـفـحـص عـن أسـبـاب مـا قـد سَـمِـعْـتُـمُ
وبـالـبـحـث غـطَّـى الـعـيـن إذ ردّه عَـيْـنـا
وذوّق لـلـحـلّاج طـعـم اتّـحـاده
فـقـال لـنـا: مَـن لا يُـحَـبِّـطْ بـه مَـعْـنـى
فـقـال لـه ازجـعْ عـن مـقـالـك قـال: لا
شَـرِبْـتُ مُـدامًـا كـلُّ مَـنْ ذاقـهـا غَـنَّـى
وأنْـطَـقَ لـلشُّـبْـليّ بـالـوحـدة الـتـي
أشـار بـهـا لـمّـا مَـحـا عـنـده الـكَـوْنـا
أقـام لـذات الـصُّـغْـريـيـنِ[٣] لـنـا حَـوْلًا[٤]
يـخـاطـب بـالـتُّـوحـيـد إذ ردّه خِـدْنـا
وكـان خـطـا بـابـيـن ذاتَـيْـن مَـنْ يَـكُـنْ
فـقـيـرًا يـرى الـبـحـر فـيـه قـد عُـمْـنـا
فـأضْـمَـتَ لـلحُـسْـنِـيِّ تـجـريـدَ خـلْقـه
مـع الأمـر إذ[٥] صَـحَّـتْ فـصـاحَـتُـه لُكْـنـا
تـثـنَّـى قـضـيـبُ الـبـان مـن سُـكْـر خـمـره
وكـان كـمـثـل الـعُـمْـر لـكـنـه ثَـنَّـى

(١) في الأصل: «حتى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «طلينه»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «الصُّغْرى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «حولها»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٥) في الأصل: «إذا»، وكذا ينكسر الوزن.

وقد شذَّ بالشُّوذيّ عن ثوبه فلم
يُمِلْ نحو أحوازٍ ولا سكن الدُّنا
وأصبح فيه السُّهْرَوَرْديّ حائرًا
يُصيخ لما يلقى الوجود له أُذْنا
بِعُمْر علي[1] بن الفارض الناظم الذي
تجرّد للأسفار إذ سَهَّلَ الحَزْنا
ولابن قَسِيٍّ خَلْعُ نَعْلي[2] وجوب
وليس أخا طَلْبٍ من المَجْد قد تُبْنا
أقام على ساق المَسَرَّة نحله
لمن زمن الأسرار فاستمطر المُزْنا
ولاح سَنَا برق من القُرْب للسَّنا
لنجل ابن سينا للذي[3] ظنّ ما ظنّا
وقد قلّد الطُّوسي بما قد ذكرته
ولكنه نحو التصوف قد حَنَّا
ولابن طُفَيل وابن رشد تيقُّظٌ
رسالة يقظانَ[4] اقتضتْ فتحه الجَفْنا
كسا لشُعيبٍ ثوب جمعٍ لذاته
فجرّ على حُسَّاده الذَّيْل والوَدْنا
وقد[5] طوّق الطائي بسبط كنانه
بدسكرة الخلّاع إذ ذبّنا[6] الوَهْنا

(١) كلمة «علي» ساقطة في الأصل. وهنا إشارة إلى المتصوف عمر بن علي بن الفارض، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ. ترجمة ابن الفارض في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣٩٨).

(٢) يشير إلى كتاب «خَلْع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين»، وهو مختصر في التصوف لأبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي المولدي، أول مَن ثار في الأندلس عند اختلال دولة المرابطين، وسمي أتباعه بالمريدين. الحلة السيراء (ج ٢ ص ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) في الأصل: «الذي»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) هي رسالة «حي بن يقظان» لمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي، وقد تحدَّثنا عنها بإسهاب في كتابنا: مدخل إلى الأدب الأندلسي (ص ٢٢١ ـ ٢٢٦)، فتنظر.

(٥) في الأصل: «وعنه»، وكذا يختل المعنى والوزن معًا.

(٦) في الأصل: «إذا ذَبَّ»، وكذا ينكسر الوزن.

تسمَّى برفع الروح صبرًا ولم
يبلْ ما يهزُّ[1] في المقام ولا قرنا
وباح به نجل الحرائيّ[2] عندما
رأى كتمه ضعفًا وتلويحه غَيْنا
وللأمويّ النظم والنشر في الذي
ذَكَرْنا وإعرابٌ كما عنه أغْرَبْنا
وأظهر منه الغافقيّ لما خفى
وكَشَّفَ عن أطواره الغَيْمَ والدَّجْنا
وبَيَّن أسرار العبودية التي
عَنِ أعرابها لم ترفع اللَّبْس واللَّحْنا
كَشَفْنا غطاءً من تداخل سرِّها
فأصبح ظهرًا ما رأيتمْ له بَطْنا
هوانا لدينِ[3] الحقِّ مَنْ قد تَوَلَّهَتْ
إلى قربة[4] ألبابُنا وله هُذْنا
فمن كان يَبْغي السَّيْرَ للجانب الذي
تقدَّس لازبًا فلا تأخذوا[5] عَنّا

وهذه القصيدة غريبة المنزع، وإن لم تَخْلُ عن شذوذ من جهة اللِّسان، وضعفٍ في الصناعة، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه الطريقة، وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمنا، إذ الحسنى الجنَّة، والزيادة مقام النظر، فقوله: أرى طالبًا منّا الزِّيادة لا الحُسْنى، إشارة إلى ذلك، والله أعلم. والغافقي الذي ختم به هو شيخنا أبو محمد، وهو مرسي الأصل غافِقية، رحم الله جميعهم، ونفعنا بأُولي الحَظْوة لديه.

(١) في الأصل: «يهزّ نَدًا في...»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «الحر إلى»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «الدين»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «لقربه»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «... لازبًا خُذْه...»، وكذا ينكسر الوزن.

نثره: وكلامه حسن، ومقاصده غريبة، رضي الله عنه، ونفع به. كتب إليه الشيخ الصوفي أبو علي بن تادَرَزْت، لمّا سافر ولم يودّعه، وكان قد قال له: أغيب عنكم أيامًا قلائل، وأعود إن شاء الله، فأبطأ عنه:

بسم الله الرحمـٰن الرحيم، الله وحده فقط ليس إلّا وصلواته على ملائه المقرب الأعلى، وعلى سيدهم الخاتم محمد وآله الهُداة، وسلامُه الحقُّ يخصّ العليم بسرِّه، في عالم الفرق، ورحمته وبركاته. من أخيه حقيقة في العوالم الأول، لا في عالم العلم الحق، من حيث هو موضوعه بحسب الإضاءة، بمنزله من مدينة بني مدار عمرها الله وأرشدهم، وليس إلّا أني نعتبكم عرفًا وعادةً، لسفركم دون مُوادعة، بخلاف سِيرتكم الأولى من المشرق الأقصى، إلى المغرب الأقصى، وأمّا بكون حقيقة الأمر الموحد، فلا عتب، بل نقرأ على الماهية سورة الإخلاص التي توحيدُها المحض أحاط وأحصى. ثم وعدتم، أنكم ولا بُدَّ، لا تطول إقامتكم ببجاية كلأها الله، إلّا ليالي[1] قليلة العَدد، تأخذون فيها كتبكم وتنفصلون قافلين في أسرع أمد. ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة التي نبا كما عندنا الزمان. وقد ورد من أناس بالتّواتر أنكم ولا بدَّ تصومون هنالك رمضان المعظم على الأمان، فقلْنا: لحظ البشريَّة الحيوانية، وعلمنا أن الأمر ليس سرّا لأجل القضايا الحَكْمية الطَّلَبية، والمقادير العلمية السرِّية. ولا تتحرك ذرَّة إلّا بإذنه، ولا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون في دهره وزمنه، يمحو الله ما يشاءُ ويثبت، وعنده أُمُّ الكتاب. ولكنّا أيضًا نقرأُ، والله لا يخلف الميعاد. وقد يكون غير الوفاءِ بالعهد في الخلف لمصالح فيها وعد الله، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرًا من الحياة الدُّنيا، والله يفعل ما يشاءُ. ولا تكن معترضًا، فلا تلوم إلّا بحسَب فَرْقنا الأول. وأما من حيث الكمالات الثواني والأول، فلا لوم ولا عتب، لرفع المثنوية، وإحالة الكثرة والإضافة، حتى ليس إلّا الوحدة العلمية المعنوية العَليَّة. وبالجملة الله معكم، ولن يَتركم أعمالكم، فإن ما يرفع العمد والعماد. قال الله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2]، وهو معكم أينما كنتم، والله عليم بما تضنعون. والرَّغبة إلى ذاتكم الكاملة الوُجُودية، ذات الكمالات العلمية القُدْسية، أن تعجلوا لي، إذ وأنتم مقيمون هنالك: [الطويل]

وأيـن يـجدْ فـي عَـلِيَّيْـنِ غـرفـة ... وإن شُـغِـلْتـم عـن نـسخـهـا[3]

---

(١) في الأصل: «ليال».

(٢) سورة الأنعام ٦، الآية ٩١.

(٣) عجز البيت مختل الوزن والمعنى معًا.

والحق لا يُشغله شأن عن شأن، فوجِّهوا إليَّ بها بعض الفقراءِ والإخوان، وأنا أقسم عليك في ذلك، يا أخي وسيدي، بالسِّر فقط الذي يشغله أبدًا سَرْمدا الله فقط، وأن تعجل لي بذلك، وتُحيي مَوَاتي، وتجمع أشْتاتي، مع كلام تعتنوا لي به من كلامكم، تخصُّوني به في كرّاس مبارك، علَّمني الله العليم الحكيم منكم سرَّ علمه العظيم وحكمته المحيطة، وكفانا سرَّ هذه العوالم الأرضية المركبة الحَطيطة، ونقلنا من البَسِيطة لغة إلى العوالم الرَّيسة النفيسة البسيطة، ويُرقينا به عنها إلى أن نتصل الحظَّ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى، وإن كان في الحقيقة ما انفصل، ويدخلها حضرة عِلْمنا المحيط الوُجودي، الذي ليس وراءها محيط إليه يُرقى ويتصل. والسلام الحقُّ محض مظهره ومَجْلاه ومرآته، ورحمة الله وبركاته.

فراجعه الشيخ أبو الحسن الشُّشْتري المترجم به، رضي الله عنه بما نصُّه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله على النبيّ محمد، المرسل بالحق لإدحاض الشَّك، وإيضاح الغلط، الموصل على أقرب السَّبيل للحضرة الإلٰهية، ومن شَطَط المختص بجوامع الكَلم، المبْكت لكل من موِّه وسَفْسَط، المبعوث بكلمة الإخلاص، التي حاصلها الله فقط، ورضي الله عن مَظْهر الوراثة المحمدية في كل زمان، المتَرجم عن كَنز الوجود الذي طلسمه الإنسان، وسلام الله ورحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التُّرجمان، المُتَجوهر بمقام الإسلام والإيمان والإحسان، القارىء على أخباره المنبعثة في أرض فُرقة كلُّ مَن عليها فانٍ، بالمعنى الفقير الباطن للسَّيار الظاهر المشير الحائم على سلب الاسمين، الدَّائر على دائرة قاب قَوسين. المشهور في العالم الأول، بأبي علي الحسين من خبر ماسيه، الوارث الطالب لذاته بها للوصل له. وهو به عنه باحث، المنظور في ذات كمالاته، المنْعُوت بالوافي لا بالناكث، المعتصم بحَبْل التحقيق، القائل بالحق، عبده علي الشُّشتري، ابن إفادتكم عبد الحق بن سَبعين، أما قبل من حيث الأصل، ومع من حيث الوَصْل، وبعد من حيث الفصل، فإني أُقسم بالبَدْر إذا أدْبَر، والصُّبْح إذا أسفَر، أن النصاب واقع من حيث الصور، لا من حبَّة حقيقة المظهر. فأين هنا أنت أو أنا؟ أو قبل أو بعد؟ أو هند أو دَعْد؟ أو خِلْف أو وَعْد؟ ولا بدَّ من المراح في ميدان الخطاب، وبيان المُتَشابه عليكم، المُودَع عليكم، في هذا الكتاب، فأول عائق عنكم مرض أحد الأصحاب، ولا انفكاك عند وجود هذه القضية، عند كل طائفة سنِيَّة، فما ظنّك بالسَّبْعينية، هذا مع وجود وعد مُبين، وزمان مُعين. ونحن لم نُعيِّنْ للموضوع وقتًا، ولو عيَّنّا لكبر عند الله مَقْتًا. وإنما قلْنا: أيام قلائل، ويدخل في ذلك الجمعة والشهر والعام القابل، بل برزخ العالم وإنائه عند النحرير العاقل. ثم لو عَيَّنّا يومًا أو يومين أو جمعتين، ولم

يكن فقَلْبُ المؤمن بين إصبعين. أما علمت أنّ الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمّنه صَعْقَة العمود بالبُعْد أو بالتّواني، أو بالحواس أو بالمعاني؟ والمُنْكر هو الجريال لا الأواني. وأما قَضية الوداع، فقد ارتفع بين الفقراءِ فيها النزاع، ووقع من الصُّوفية في ذلك الإجماع، أنّ الاجتماع من غير ميعاد والافتراق عن غير مَشورة، وقول إنه من حيث المذهب لازم بالضرورة، فإنّ المودع لا يخلق أن يكون من تربة الفَرس والسبع، أو في مقام الفَردانية والجمْع، أو في البَرْزخ الذي بين المقامين، المُعبَّر عنه عند الصُّوفية بالفناءِ. فإن كان في الوَتريَّة، فلا أنت ولا أنا، ولا مُودِع، ولا مودَّع، وقلّة العَتَب لهذا ألْيَقَ وأطْبع. وإن كان في برزخ الفنا، فمن المُودع هنا، وإن كان في الفرق هنا. وإن كان في الفَرْق، فترك المُودع أقرب إلى الحق لألم التفرقة الموجود المحسوس، المُعترض عند ذلك للنُّفوس. واعلمْ أنّ الانفصال، كان بالطريق عند مَن يرى بالانْفِصال والاتِّصال، ولا نُقْلة عند ذوي الاتِّصال. وأما نَكرة عَرِفة فهي عند الشيخ أبي عبد الله التّوزري لا عندي، ولو كانت ما ضَنَنْت بها بحمد الله لا بِحَمدي. والسلام على موضوعك ومَحْمُولك، وسُلوكك ووصُولك، وجمعك وفَرْقك، وعبُوديَّتك وحقِّك، بل على جَمْلته الصالحة، ورحمة الله وبركاته.

وفاته: قالوا: إنه لما وصل بالشام إلى ساحل دمياط، وهو مريض مرضه الذي توفي منه، نزل قرية هناك على ساحل البحر الرومي يُصاد فيها السمك، وقال: ما اسم هذه القرية، فقيل: الطِّينة، فقال: حَنَّت الطِّينة إلى الطينة، ووصَّى أن يدفن بمقبرة دمياط، إذ الطينة بالمفَازة بالساحل، ودمياط أقرب المدن إليها، فحمله الفقراءُ على أعناقهم، فتوفي بها يوم الثلاثاءِ سابع عشر صفر عام ثمانية وستين(١) وستمائة، ودفن بمقبرة دمياط.

وفي سائر الأسماء من حرف العين
الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

عامر بن محمد بن علي الهنتاني(٢)

رئيس مُتَبَّوأ قبيلةٍ من جبل درَنْ، ومِزْوار المصامدة، والمُطْلقة يَدُه على جِباية الوطن المراكُشي، يكنّى أبا ثابت.

---

(١) كلمة «وستين» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها للتصويب؛ لأن ولادة الششتري كانت في سنة ٦١٠ هـ.

(٢) ترجمة عامر بن محمد الهنتاني في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٢) و(ج ٩ ص ١٣١).

حاله: هذا الرجل حسن الشكل، حصيف العقل، ثابت الجأش، معروف الأمانة والصدق، عفيف الفَرْج، مؤثر للجدّ، ماضي الحَذَر بأهل الحكم، نزيه اليد، مشهور بالرَّجاحة، عين من عيون الحدود الغربية، وبقيَّةٌ من بقايا الجلَّة العِلْمية، مُسَدَّد اللسان للإبانة عن الأغراض، مختصر البزَّة والحِلية، متوسط الجود، مؤثر للخصُوصية، بعيد النظر، سديد الرأي.

قدِمْتُ عليه بمحلّه من الجبل، زائرًا مُتَوَفَّى السلطان أبي الحسن، مستجيرًا جِماهم، فَبلَوْت من برّه وبر الرئيس النَّدِي عبد العزيز أخيه ما تَقْصُر عنه همم الملوك، وتقف دونه آمال الأشراف، تلقّيًا، واحتفالًا، وفرشًا، وآنية، وطعامًا، وصلة، وانتخابًا، واحتشامًا، وألْطافًا، حسبما يتضمن بُسط ذلك كتاب «الرحلة» من تأليفي.

وأنشدتهم عند رحيلي، وقد رأيت إلى ما يُبْقي الذكر ويخلّد الآثار شِيم السادة، ودَيْدن الرؤساء[١]: [الكامل]

يا حُسْنَها من أرْبَعٍ[٢] وديارِ ... أضحتْ لباغي الأمْن دارَ قرارِ
وجبالِ عِزٍّ لا تَذِلُّ أُنوفُها ... إلّا لِعِزِّ الواحدِ القَهّارِ
ومَقَرِّ توحيدٍ وأُسِّ خلافةٍ ... آثارُها تُنْبي عن الأخبارِ
ما كنتُ أحْسَبُ أنَّ أنهارَ النَّدى ... تجري بها في جُمْلة الأنهارِ
ما كنتُ أحْسَبُ أنَّ أنوار الحِجا ... تَلْتاحُ في قُنَنٍ وفي أحجارِ
مَجَّتْ[٣] جوانبها البرود وإن تكنْ ... شَبَّتْ بها الأعداءُ جَذْوَةَ نارِ
هَدَّتْ بِناها في سبيل وفائها ... فكأنها صَرْعى بغير عُقارِ
لمّا توعَّدها على المَجْد العِدا ... رَضِيَتْ بِعَيْثِ النار لا بالعارِ
عَمَرَتْ بحِلّة[٤] عامرٍ وأعزّها ... عبدُ العزيزِ بمُرْهفٍ بتّارِ[٥]
فَرَسا رهانٍ أحْرزا قَصَبَ النَّدى ... والبأسَ في طَلَقٍ وفي مِضْمارِ
وَرِثا عن النَّدْب الكريم[٦] أبيهما ... مَحْضَ الوفاءِ ورِفعةَ المقْدارِ

(١) القصيدة في نفاضة الجراب (ص ٥٢ ـ ٥٤) ومشاهدات لسان الدين (ص ١٢٨ ـ ١٣٠) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٢) الأربع: جمع ربع وهو المنزل. لسان العرب (ربع).
(٣) في المصادر: «مَحَتْ» بالحاء المهملة.
(٤) في مشاهدات والنفح والأزهار: «بجلّة» بالجيم المعجمة.
(٥) المرهف: السيف الحادّ. البتّار: القطّاع. لسان العرب (رهف) و(بتر).
(٦) كذا في نفاضة الجراب. وفي بقية المصادر: «الكبير».

وكذا الفروعُ تطولُ وهي شبيهةٌ … بالأصل في وَرَقٍ وفي أثمار
أزْرَتْ وجوه الصَّيدِ من هِنْتاتةٍ … في جَوِّها بمطالعِ الأقمار
لله أيُّ قبيلةٍ تركتْ لها الـ … ـنُظراء دَعْوى الفَخْر يومَ فخارِ
نَصَرَتْ أميرَ المسلمينَ ومِلْكُهُ … قد أسْلَمَتْهُ عزائمُ الأنصار
آوتْ[1] عليًا عند ما ذَهَبَ الرَّدى … والروعُ بالأسماع والأبصار
وتخاذلَ الجيْشُ اللُّهامُ وأصْبَح الـ … أبطالُ بين تقاعُدٍ وفرار
كُفِرَتْ صنائعُهُ فَيَمَّمَ دارَها … مُسْتَظْهِرًا منها بعزٍّ جوار
وأقامَ بين ظهورها لا يتَّقي … وَقْعَ الرَّدى وقد ارتمى بِشَرار
فكأنها الأنصارُ لمّا آنستْ[2] … فيما تَقَدَّم غربةَ المُخْتار
لمّا غدا لَحْظًا وهُمْ أجفانُهُ … نابَتْ شِفارُهُمُ عن الأشْفار[3]
حتى دعاهُ اللهُ بين بيوتهم … فأجابَ مُمْتثلًا لأمرِ الباري
لو كان يُمْنَعُ من قضاءِ الله ما … خَلَصَتْ إليه نوافذُ الأقْدار
قد كان يَأْمُلُ أن يُكافِىءَ بعض ما … أوْلَوْهُ لولا قاطعُ الأعْمار
ما كان يُقْنِعُهُ لو امْتَدَّ المَدى … إلّا القيامَ بحقِّها من دار
فيعيدُ ذاكَ الماءَ ذائبَ فِضَّةٍ … ويعيدُ ذاك التُّرْبَ ذَوْبَ نُضار
حتى تفوزَ على النَّوى أوطانُها … من مُلكِهِ بجلائل الأوطار[4]
حتى يلوحَ على وجوه وجوههم … أثرُ الرعايةِ[5] ساطعَ الأنوار
ويسوِّغَ الأملَ القَصيَّ كِرامُها … من غير ما ثُنْيا[6] ولا استعصار
ما كان يُرْضي الشَّمسَ أو بَدر الدّجى … عن دِرْهَمٍ فيه[7] ولا دينار
أو أنْ يُتَوّج أو يُقَلَّدَ هامُها … ونحورُها بأهِلَّةٍ[8] ودَراري
حَقٌّ على المولى ابْنِهِ إيثارُ ما … بذلوه من نصرٍ ومن إيثار
فلمثلها ذُخِرَ الجزاءُ ومِثْلُهُ … من لا يُضيعُ صنائعَ الأحرار

---

(١) في الأصل: «وآوت»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نفاضة الجراب ومشاهدات لسان الدين. وفي النفح والأزهار: «وارث».
(٢) كذا في نفاضة الجراب. وفي بقية المصادر: «أنَسَتْ».
(٣) الشفار: أجفان العيون. والأشفار: السيوف. (٤) الأوطار: جمع وطر وهو القصد والغرض.
(٥) في النفح والأزهار: «العناية». (٦) الثُّنيا: الاستثناء.
(٧) كذا في نفاضة الجراب ومشاهدات لسان الدين. وفي النفح والأزهار: «فيهم».
(٨) في نفاضة الجراب: «بإهالة».

وهو الذي يقضي الديون وبِرُّه[١] يُرْضيه في عَلَنٍ وفي إسْرارِ
حتى تُحجَّ مَحَلَّةٌ رفعوا بها عَلَمَ الوفاءِ لأعْيُنِ النُّظّار
فيصير منها البيتُ بيتًا ثانيًا للطائفين إليه أيَّ بِدار
تُغْني قلوبُ القوم عن هَدْيٍ به ودموعُهُمْ تَكْفي لرَمْي جِمار
حُيِّيْتِ مِن دارٍ تَكَفَّلَ سَعْيُها الـ ـمحمودُ بالزُّلْفى وعُقْبَى الدار
وضَفَتْ عليكِ من الإلـه عنايةٌ ما كَرَّ[٢] ليلٌ فيكِ إثْرَ نهارِ

دخوله غرناطة: دخل الأندلس، وحلَّ بغرناطة في حدود خمسين وسبعمائة، وأقام بها أيامًا، وقد أسند إليه السلطان أبو الحسن، لمّا رحل عن إفريقية، حِفْظ حُرَمه وأسبابه، في مراكب كان استقرارها بسواحل الأندلس، وحضر مجلس السلطان، فراق الحاضرين مَلْقاه وضمُّ لسانه لأطراف الحديث وحسنُ تبويبه للأغراض. ولهذا الرجل في وطن المغرب ذكر بعيد، وقد أمسك الأمر مرات، على مَن استقرّ لديه من ولد السلطان، ورتَّب له الألقاب والترشيح يُغازله بذلك الوطن. وتنوعت الحال بهذا الرجل، من بعد وفاة السلطان أبي سالم ملك المغرب، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته، ورتَّب له الألقاب بوطن مراكُش، ونظر لنفسه أثناءَ ذلك، فحصّن الجبل، واتّخذ به القلعة، وأكثر الطعمة والعُدَّة، فلمّا حاقت بأميره الدَّبْرة، لجأ إلى ما أعدَّه، وهو الآن يُزجي الوقت مهادنةً تشفّ عن انتزاءٍ، والله يهيىءُ له الخلاص من الْوَرْطة، ويتيحُ له إلى حزب السلامة الفَيْئة.

ومن الطارئين في القضاة والغرباء

عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا ابن حكم الأنصاري

بيَّاسي[٣] الأصل.

حاله: كان، رحمه الله، فقيهًا حافظًا للمسائل، مُفْتيًا بالرأي، معروفًا بالفهم والإتقان، بصيرًا بالفتوى، شُوور ببلده وببلنسية، واستقضاه أبو محمد بن سَمْحون

(١) في نفاضة الجراب: «ومثله».
(٢) في الأصل: «باكر»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من المصادر.
(٣) نسبة إلى بَيّاسة Baeza، وهي مدينة كبيرة بالأندلس تابعة لكورة جيّان، مشهورة بالزعفران. الروض المعطار (ص ١٢١) ومعجم الأدباء (ج ١ ص ٥١٨).

على باغَة أيام قضائه بغرناطة، إذ كان يكتب عنه ويلازمه، ثم استُقْضي بمُرْسية أعادها الله. وكان حافظ وقته، لم يعاصره مثله.

مشيخته: روى عن أبيه، وتلا بالسبع على ابن ذِروة المُرادي، ولقي أبا القاسم بن النحاس، وأخذ الحديث عن أبي بحر الأسدي، وأبي بكر بن العربي، وأبي جعفر بن جحدر، وأبي الحسن بن واجب، وغيرهم.

مولده: ببيَّاسة سنة أربع، وقيل: ست وثمانين وأربعمائة.

وفاته: توفي بشاطِبة، تسع وستين وخمسمائة.

تواليفه: شرح المُدوَّنة مسألة مسألة، بكتاب كبير سماه «الجامع البسيط، وبغية الطالب النشيط»، حشد فيه أقوال الفقهاء، ورجّح بعضها، واحتُجّ له. قالوا: وتوفي قبل إكماله.

عِياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سَبْتَة، حفيد القاضي العالم أبي الفضل، يكنى أبا الفضل.

حاله: من «الصِّلة»: كان من جلّة الطلبة، وذوي المشاركة في فنون من العلوم العقلية وغيرها، فصيحًا، شاعرًا، لَسِنًا، مُفوَّهًا، مِقدامًا، موصوفًا بجزالة وحِدَّة امتُحن بسببها. وكان مع ذلك كثير التَّواضع، فاضل الأخلاق، سريًا، مُشاركًا، معظَّمًا عند الملوك، مُشارًا إليه، جليل القدر. حضر الأندلس أيام قضاءِ أبيه بغرناطة، وغير ذلك الوقت، وجال فيها، وأخذ بقرطبة وإشبيلية وغيرهما، واستقرّ أخيرًا بمالَقة، وتأثّل بها وبجهاتها أُصول أملاك إلى ما كان له.

مشيخته: روى عن أبيه أبي عبد الله، وعن أبي محمد بن عبد الله، وأبي بكر بن الحدَّاد القاضي بسبتة، وأبي القاسم بن بَشْكُوال، وابن حُبَيش، وابن حُمَيد، وأبي بكر بن بيبش الشَّلْطِيشي، وغيرهم.

مَن روى عنه: قال الأُستاذ: روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم، منهم ابنه أبو عبد الله قاضي الجماعة، وأبو العباس بن فُرتون، أخذ عنه كثيرًا بمدينة فاس.

مولده: قال صاحب «الذيل»: سألته عن مولده: فقال: ولدت في اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد وستين وخمسمائة بمدينة سبتة.

وفاته: توفي في العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين وستمائة بمالقة، وروضته بها في جنَّة كانت له برَبَضِها الشَّرقي، رحمه الله.

عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى ابن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى ابن عياض اليَحْصبي(١)

القاضي، الإمام المجتهد، يكنى أبا الفضل، سَبْتي الدّار والميلاد، أندلسي الأصل، بَسْطِيّه(٢).

أوليته: من كتاب ولده في مآثره، وهو كنّاش نبيه، قال: استقرَّ أجدادنا في القدم بالأندلس بجهة بسطة، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس. وكان لهم استقرار في القَيْروان، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك. وكان عمرون رجلًا خَيارًا من أهل القرآن، وحجَّ إحدى عشرة حجة، وغزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة. وانتقل إلى سَبْتة بعد سكنى فاس، وكان موسِرًا، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة، فبنى في بعضها مسجدًا، وفي بعضها دِيارًا حبسها عليه، وهو الآن منسوب إليه، ووُلد له ابنه عياض، ثم ولد لعياض ابنه موسى، ثم ولد لموسى القاضي أبو الفضل المترجم به.

حاله: قال ولده في تأليفه النبيل: نشأ على عفَّة وصيانة، مرضيّ الخلال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفًا بالنُّبل والفهم والحذق، طالبًا للعلم، حريصًا عليه، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، فكان من حُفاظ كتاب الله، مع القراءة الحسنة، والنَّغمة العَذْبة، والصوت الجهير، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه. وكان من أئمة الحديث في وقته، أُصوليًا متكلّمًا، فقيهًا حافظًا للمسائل، عاقدًا للشروط، بصيرًا بالأحكام، نحويًا، ريّان من الأدب، شاعرًا مجيدًا، كاتبًا غالبًا بليغًا، خطيبًا، حافظًا للغة والأخبار والتواريخ، حسن المجلس، نبيل النادرة، حلو الدُّعابة،

(١) ترجمة أبي الفضل عياض في قلائد العقيان (ص ٢٢١) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢٤) وبغية الملتمس (ص ٤٣٧) والصلة (ص ٦٦٠) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٣٢، ١٣٢) وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٥٥٠) والديباج المذهب (ص ١٦٨) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ٣٦٣) وتذكرة الحفاظ (ص ١٣٠٤) وعبر الذهبي (ج ٤ ص ١٢٢) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ١٣٨) والنجوم الزاهرة (ج ٥ ص ٢٨٥) وجذوة الاقتباس (ص ٢٧٧) ومرآة الجنان (ج ٣ ص ٢٨٢) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٣٠١) ونفح الطيب (ج ١٠ ص ١٧٦، ١٨٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣) و(ج ٤ ص ٥).

(٢) نسبة إلى مدينة بسطة Baza، وهي مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش، من كورة جيان، مشهورة بشجر التوت والمياه والبساتين. الروض المعطار (ص ١١٣).

صبورًا، حليمًا، جميل العشرة جوادًا، سَمْحًا، كثير الصَّدقة، دروبًا على العمل، صَلبًا في الحق.

رحلته وولايته ومنشأُ أمره: رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسمائة، فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرهما، ثم عاد إلى سبتة، فأجلسه أهلها للمناظرة عليه في «المُدوَّنة»، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها، ثم جلس للشورى. ثم ولِّي القضاءَ، فسار في ذلك حسن السِّيرة مشكور الطريقة، وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم. وبنى بجبل الميناءِ الرابية الشهيرة، وعظُم صيته. ثم نُقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، فتقلَّد خُطَّة القضاءِ بها. ثم وُلّي قضاءَ سبتة ثانية. ولمّا ظهر أمر الموحِّدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سَلا، فأجزل صلته، وأوجب بِرَّه، إلى أن اضطربت أُمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، وحدث على مَن كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم، ثم من رجوع أمورهم، فالتاثت حاله، ولحق بمراكش مُشَرَّدًا به عن وطنه، فكانت بها وفاته.

مشيخته: ورتبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف؛ فمنهم أحمد بن محمد بن بقي، وأحمد بن سعيد بن مستقر، وأحمد بن محمد بن مكحول، وأحمد بن محمد السِّلفي، الشيخ أبو الطاهر، وأحمد بن محمد بن غَلْبون بن الحصَّار، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحي، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلًا، والحسن بن محمد الصّدفي بن سُكَّرة، والحسين بن محمد الغساني، والحسين بن عبد الأعلى السفاقسي، والحسن بن علي بن طريف، وخلف بن إبراهيم بن النحاس، وخلف بن خلف الأنصاري بن الأنقر، وخلف بن يوسف بن فُرْتون، ومحمد بن عيسى التجيبي القاضي، ومحمد بن علي بن حمدين القاضي، ومحمد بن أحمد التجيبي القرطبي القاضي ابن الحاج، ومحمد بن أحمد بن رشد، ومحمد بن سليمان النِّفْزي ابن أُخت غانم. وأجازه محمد بن الوليد الطُّرطوشي، ومحمد بن علي بن عمر المازَري، ومحمد بن عبد الله المعافري القاضي ابن العربي، ومحمد بن عبد الرحمٰن بن شِبرين القاضي، ومحمد بن علي الأزدي الخطيب الطُّليطلي، ومحمد بن علي الشاطبي بن الصقيل، إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخًا، وعبد الله بن محمد الخشني، وعبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسي، وعبد الله بن محمد بن أيوب الفهري، وعبد الرحمٰن بن محمد السبتي ابن العجوز، وعبد الرحمٰن بن محمد بن بقي، وعلي بن أحمد الأنصاري ابن الباذش، وعلي بن عبد الرحمٰن التجيبي ابن الأخضر، من جملة من سبعة وعشرين، وغالب بن عطية

المحاربي، وسِراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن، وسفيان بن العاصي الأسَدي، من جملة خمسة من الأشياخ في هذا الحرف، وشُريح بن محمد الرعيني الإشبيلي، وهشام بن أحمد القرطبي أبو الوليد بن العواد، وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي، ويونس بن محمد بن مغيث بن الصفار، ويوسف بن موسى الكلبي، سمع منه أرجوزته، ويوسف بن عبد العزيز بن عتريس الطليطلي.

شعره: قال: مما كتبته من خطِّه[(١)]: [المتقارب]

أعـوذ بـربِّـي مـن شـرِّ مـا ... يـخـاف مـن الإنـس والـجِـنَّـهْ
وأسـألـه رحـمـة تـقـتـضـي ... عـوارفَ تُـوصـل بـالـجَـنَّـهْ
فـمـا لـلخـلائـق[(٢)] مـن نـاره ... سـوى فـضـل رحـمـاه مـن جـنَّـهْ

ومن شعره، قال: أنشدنيه غير واحد من أصحابنا، فوارحمة الله عليه: [الوافر]

أذاتِ الخلِّ[(٣)]، كم ذا تنتضيها ... عليّ سيوف عينيك انتضاءً[(٤)]
بمطْلكِ لي مواعدَ أقتضيها ... من التَّوريد واللَّعس اقتضاء[(٥)]
فقضِّي وَغدَ مَطْلك وانجزيه ... «خيارُ الناس أحسنهمْ قضاءً[(٦)]»

قال: ومما كتبته من خطه[(٧)]: [البسيط]

يا من تحمَّل عنّي غير مكترث ... لكنه للضَّنى والسُّقْم أوصى بي[(٨)]
تَرَكْتَني مُسْتهامَ القلب ذا حرقٍ[(٩)] ... أخا جوًى وتباريح وأوصابِ
أُراقب النَّجم في جُنح الدُّجى وَلِهًا[(١٠)] ... كأنَّني[(١١)] راصدٌ للنجم أو صابي[(١٢)]
وما وجدت لذيذ النوم بعدكم ... إلَّا جنَى حنظل في الطعم أو صاب

---

(١) الأبيات في أزهار الرياض (ج ٤ ص ٢٧٠).
(٢) في الأصل: «للخلّان»، والتصويب من أزهار الرياض.
(٣) في الأصل: «الخلال» والتصويب من أزهار الرياض.
(٤) في الأصل: «انتضاه»، والتصويب من الأزهار.
(٥) في الأصل: «واللمس اقتضاه»، والتصويب من الأزهار.
(٦) في الأصل: «قضاه»، والتصويب من الأزهار.
(٧) الأبيات في أزهار الرياض (ج ٤ ص ٢٤١).
(٨) في الأصل: «أوصاب»، والتصويب من الأزهار.
(٩) في الأصل: «خوف»، والتصويب من الأزهار.
(١٠) في أزهار الرياض: «سهرًا».
(١١) في الأصل: «كأني»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الأزهار.
(١٢) في الأصل: «أوصاب»، والتصويب من الأزهار.

ومن ذلك قوله رحمه الله[١]: [البسيط]

اللهُ يعلمُ أنّي منذ لم أرَكُمْ كطائرٍ خانَهُ ريشُ الجَناحَين
فلو قَدَرْتُ ركبْتُ الرِيح[٢] نحوكُمُ فإنَّ[٣] بُعْدَكُمُ عنّي جَنى حَيْني[٤]

قال: وكتبت من خطّه[٥]: [الكامل]

يا راحلين وبالفؤاد تحمَّلوا أترى لكمْ قبل الممات قُفُولُ؟
أمّا الفؤاد فعندكُمْ أنباؤه ولواعجٌ تَنْتابه وغليلُ
أترى[٦] لكم عِلْمٌ بمنتَزَح الكرى عن جَفْن صبٍّ ليله موصولُ؟
أودى بعزمةِ[٧] صَبْرِهِ ولبابِهِ طَرْفٌ أحمُّ[٨] ومبسمٌ مصقولُ
ما ضرَّكم وأضَنَّكم بتحية يحيى بها عند الوداع قَتيلُ
إن الخليل[٩] بلحظه أو لفظه أو عطفه أو وقفه لَبَخيلُ

ومما نسبه إليه الفتح وغيره، ومن العجب إغفال ولده إياه، قوله يصف الزَّرع والشقائق فيه[١٠]: [السريع]

انظرْ إلى الزَّرع وخاماته تحكي وقد[١١] ماسَتْ أمام الرياحْ
كتيبةٌ خضراءُ[١٢] مهزومة شقائقُ النُّعمان فيها جِراحْ

---

(١) البيتان في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢٥) وأزهار الرياض (ج ٤ ص ٢٥٢).
(٢) في الأصل: «المريخ»، وكذا ينكسر الوزن. وفي المصدرين: «البحر».
(٣) في وفيات الأعيان: «لأنَّ».
(٤) في الأصل: «حين»، والتصويب من المصدرين.
(٥) الأبيات في أزهار الرياض (ج ٤ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢).
(٦) في الأصل: «فترى» والتصويب من أزهار الرياض.
(٧) في الأصل: «بعزته صَبْرُه وإبابه»، والتصويب من أزهار الرياض.
(٨) في الأصل: «أصمّ» والتصويب من أزهار الرياض.
(٩) رواية البيت في أزهار الرياض هي:
إن البخيل بلحظة أو لفظة أو عطفة أو وقفة لبخيلُ
(١٠) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٢٣) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢٥) ورايات المبرزين (ص ١٩٣) وأزهار الرياض (ج ٤ ص ٢٤١).
(١١) في رايات المبرزين: «إذا».
(١٢) في رايات المبرزين: «كتائب تُدْبر...». وفي القلائد: «كتائبًا تحفل...». وفي وفيات الأعيان: «كتيبة حمراءُ...».

نثره: وهو كثير. فمن خُطَبِه، وكان لا يخطب إلّا بإنشائه:

الحمد لله الذي سبق كل شيءٍ قِدَمًا، ووسع كل شيءٍ رحمة وعلمًا ونِعَمًا، وهدى أولياءَه طريقًا نَهجًا أممًا، وأنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عِوَجًا قيّمًا، لينذر بأسًا شديدًا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجرًا حسنًا، ماكثين فيه أبدًا. أحمده على مواهبه، وهو أحقُّ من حُمد، وأسأله أن يجعلنا أجْمَع، ممن حَظِي برضاه وسَعُد، وأستعينه على طاعته، فهو أعزُّ من استُعين واستُنجد، وأَسْتَهديه توفيقًا، فإنَّ مَن يهد الله فهو المهتَدِ، ومَن يُضْلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إلـٰه إلّا الله وحده، لا شريك له، شهادة فاتِحةً لأقْفال قلوبنا، راجحة بأثقال ذنوبنا، منزَّهة له عن التَّشبيه والتمثيل بنا، وأنه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أنزل عليه الفُرقان، وبعثه بالهُدى والإيمان، وأغزى بدعوته دعوة أولياءِ الشيطان، وأبعدهم مقاعد عن السمع، فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا.

أيها السامع، قد أيقظك صرفُ القدر من سِنَة الهوى وتيّاراته، ووعظك كتاب الله بزواجره وعِظاته، فتأمّل حدوده، وتدبّر مُحْكم آياته، واتْلُ ما أوحي إليك من كتاب ربِّك لا مبدِّل لكلماته، ولن تجد من دونه مُلْتَحدًا. أين الذين عَتَوْا على الله، وتعظَّموا واستطالوا على عباده وتحكَّموا، وظنُّوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا. وتلك القُرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا. غرَّهم الأمل وكواذب الظُّنون، وذَهِلوا عن طوارق القَبْر وريْب المَنون، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون، حتى إذا رأوا ما يوعدون، فسيعلمون من أضعَفُ ناصرًا وأقل عددًا. فهذِّبوا، رحمكم الله، سِراركم بتقوى الله واخلصوا، واشكروا نعمته، وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها، واحذروا نقمته واتقوه. ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده. ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴿١٣٥﴾﴾[1] وانهضوا لطاعته الهمم العاجزة، واركُضوا في ميدان التَّقوى، وحُوزوا قصب خَصله العابرة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله: ﴿وَيَوْمَ[2] نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴿٤٧﴾﴾[3] وذلك يوم تَذهل فيه الألباب، وتَرجُف القلوب رجفًا، وتُبدَّل الأرض وتُنسَف الجبال نَسْفًا، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلًا ولا صَرْفًا. ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[4] وعُرضوا على ربِّك صفًّا، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة،

---

(١) سورة طه ٢٠، الآية ١٣٥.
(٢) في الأصل: «يوم».
(٣) سورة الكهف ١٨، الآية ٤٧.
(٤) سورة طه ٢٠، الآية ١٠٢.

بل زعمتم أنْ لن نجعل لكم موعدًا، اللهمَّ انفعْنا بالكتاب والحكمة، وارحمْنا بالهداية والعصمة، وأوْزِعنا شكر ما أوليت من النِّعمة. ربنا آتنا من لدُنْك رحمة، وهيِّىء لنا من أمرنا رَشَدًا.

تواليفه: مما أكمله وقُرىء عليه؛ كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ستة أجزاء. وكتاب «إكمال المعلم في شرح مُسلم» تسعة وعشرون جزءًا. وكتاب «المُسْتَنبطة على الكتب المدوَّنة والمختلطة» عشرة أجزاءٍ. وكتاب «ترتيب المدارك وتَقْريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» خمسة أسفار، ولم يسمعه. وكتاب «الإعلام بحدود قواعد الإسلام». وكتاب «الإلماع في ضَبط الرواية وتَقْييد السماع» سفر. وكتاب «الرَّائد لما تَضمنه حديث أُم زَرْع من الفوائد». وكتاب خُطَبه، سفر. وكتاب المعجم في شيوخ أبي سُكَّرة. وكتاب الغُنْية في شيوخه، جزءٍ. ومما تركه في المُبيضة كتاب «مشارق الأنوار على صحيح الآثار» ستة أجزاء ضخمة، وهو كتاب جليل. وفيه يقول الشاعر: [الطويل]

مـشـارقُ أنـوارٍ تَـبَـدَّتْ بـسَـبْـتـة ... ومن عجب كَوْن المشارق بالغربِ

وكتاب «نظم البرهان على صِحَّة جَزْم الأذان» جزء. وكتاب «مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور» جزء. ومما لم يكمله «المقاصد الحِسان فيما يلزم الإنسان». وكتاب «الفُنُون الستَّة في أخبار سَبْتة». وكتاب «غُنْية الكاتب وبُغية الطالب» في الصدور والتَّرسيل. وكتاب «الأجوبة المُحبَّرة، على الأسئلة المتخيَّرة» وجدت منها يسيرًا فضَمَمته إلى ما وجدته في بطائقه وعند أصحابه. يقول هذا ولده من معانٍ شاذة في أنواع شتى سئل عنها، رحمة الله عليه، فأجاب: جمعت ذلك في جزءٍ. وكتاب أجوبة القرطبيين وجدتها بطابق، فجمعتها مع أجوبة غيرهم. وأجوبته مما نزل في أيام قضائه، من نَوازل الأحكام في سفر، وكتاب «سر السُّراة في أدب القضاة».

نبذ من أخباره: وأولا في ثناءِ الأعلام عليه؛ قال ولده: أخبرني ابن عمي الزاهد أن القاضي أبا عبد الله بن حَمْدين كان يقول له وقت رحلته إليه: وحتى، يا أبا الفضل، إن كنت تركت بالمغرب مثلك. وقال: وأخبرني أن أبا الحسين بن سراج قال له، وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ: فهو أحوج إليك منك إليه. وقال: إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر قال له: ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض، وأمثال ذلك كثير، ومن دُعابته، قال بعض أصحابنا: صنعت أبياتًا تغزلت فيها، والتفت إلى أبيك، رضي الله عنه، ثم اجتمع بي، فاستنشدني إياها،

فوجمْت، فعزم عليّ فأنشدت: [الطويل]

أيا مكثرًا صدًى ولم آت جَفوة ... وما أنا عن فعل الجفاءِ براضِ
سأشكو الذي تُوليه من سوءِ عشرة ... إلى حَكَم الدنيا وأعدل قاضِ
ولا حَكَم بينك أرتضي قضاياه ... في الدنيا سوى ابن عياضِ

قال: فلمّا فرغت حسَّن، وقال: متى عرفتني قوادًا يا فلان، على طريق المداعبة. وأخباره حسنة وفضائله جمة.

مولده: بِسبتة حسبما نقل من خطّه في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربعمائة.

وفاته: توفي بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة، ودفن بها في باب إيلان من داخل السُّور.

عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي(١)

من أهل طُرْطُوشة، يكنى أبا المجد(٢).

حاله: كان فقيهًا متطرِّفًا في فنون من العلم، متقنًا لما يتناوله من ذلك، حسن التهدِّي، من بيت طَلَب. وقد تقدّم ذكر جدّه الأُستاذ. وُلِّي عقيل قضاءَ غرناطة وسجلماسة.

مشيخته: روى(٣) عن أبي القاسم بن بَشْكُوال. قرأ عليه وسمع، وتناول من يده، وأجاز له. وقفت على ذلك بخطّه.

شعره: أنشد له في «الذيل»(٤) قوله مما نظمه لجماعة من السَّادة: [الوافر]

ملوك دون بابكمُ وقُوفُ ... سَطَتْ بهمُ الحوادثُ والصُّروفُ
أذلَّهُمُ الزمانُ وكان قدْمًا ... لهمْ راعٍ وحولهمُ يطوفُ
غدوا عِبَرًا لمُعْتَبِر فَسُحْقًا ... لدنيا أَمرها أمر سخيفُ

---

(١) ترجمة عقيل بن عطية القضاعي في التكملة (ج ٤ ص ٣٣) والديباج المذهب (ج ٢ ص ١٣٥).

(٢) في التكملة: «يكنى أبا طالب وأبا المجد». (٣) قارن بالتكملة (ج ٤ ص ٣٣).

(٤) هذه الأبيات لم ترد في الذيل والتكملة المطبوع.

وطال وحقِّ مجدك ما تَبَدَّوْا | وحولهمُ الغواضبُ والسيوفُ
أُسود يُقْدمون أسود حرب | وخلفهمُ العساكرُ والصفوفُ
أتى بهمُ الزمان إليك قصْدًا | حَيارى فيه يُعْجِزُهُم رغيفُ
فَعَطْفًا أيها المولى عليهمْ | وقاك السوء باريك اللطيف
فرحمةُ سيِّدٍ قد ذُلّ فرضٌ | يقول به النَّبي الهادي الشريف
وما يرعى الكرام سوى كريم | وأنت الماجد النَّدِّي العَطُوف

تواليفه: قال الأُستاذ: وقفت على تأليف سماه «فصل المقال، في الموازنة بين الأعمال» تكلّم فيه مع أبي عبد الله الحُمَيدي وشيخه أبي محمد بن حزم، فأجاد فيه وأحسن وأتى بكل بديع، وشرح المقامات الحريرية.

وفاته: في صفر سنة ثمان وستمائة.

ومن الكتّاب والشعراء

عاصم بن زيد بن يحيىٰ بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن محمد التميمي ثم العبادي الجاهلي[١]

يكنى أبا المخشي[٢]، من أهل إلبيرة.

حاله: كان شاعرًا مُجيدًا، شهير المكان، بعيد الصِّيت على عهده. قال أبو القاسم: كان من أعلام الجند ومقدميهم. وقال الرّازي: دخل والده زيد بن يحيىٰ من المشرق إلى الأندلس، واختطّ بكورة جُند دمشق، وشُهر ابنه عاصم هذا بالشِّعر، إذ كان غزير القول، حسن المعاني، كثير النادر، سَبْط اللفظ، فاغتدى شاعر الأندلس، ومادح بني أمية، المخلّف فيهم قوافي شعر[٣] المديح الشاردة، وقد كان في لسانه بَذاءة زائدة، يتسرّع به إلى مَن لم يوافقه من الناس، فيقْذع هجوهم، ويقْذف نساءَهم ويَهْتِك حُرَمهم. وكان أفّاكًا نهابًا، لا يعدم متظلّمًا منه، وداعيًا عليه، وذاكرًا له بالسوءِ، وهو مستهزئٌ بذلك، جارٍ على غُلَوَائه.

(١) ترجمة أبي المخشي عاصم بن زيد في جذوة المقتبس (ص ٤٠١) وبغية الملتمس (ص ٥٢٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٠٢) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٥٦) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٣).

(٢) في الأصل: «المخشبي»، وقد صوّبناه أينما ورد.

(٣) في الأصل: «الشعر».

محنته: قال[١]: وكان مع ذلك منقطعًا إلى سليمان ابن الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية، كثير المدح له، على أنه ما أخْلى الأمير هشامًا من مدحه، وهو مع ذلك لا يَسْأل سخيمته وحقده عليه؛ لانحطاطه في شُعَب سليمان أخيه، وبينهما من التنافس والمشاحة ما لا شيء فوقه. وُروي[٢] أن الذي هاج غضب هشام عليه، أن قال له الساعي عليه: قد عرَّض بك بقوله في مديح أخيك سليمان في شعر له فيه منه[٣]: [الوافر]

وليس كمثْلِ مَنْ إنْ سِيلَ عُرْفًا[٤] يُـقَـلِّبُ مُـقْـلَةً فـيـهـا اعْـورارُ[٥]

وكان هشام أحْول، فاغتاظ لذلك. وركب فيه من المُثْلة وركبه، وحقد عليه، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة، وهشام يومئذ واليها في حياة الأمير أبيه، فخرج إليه أبو المخشي من قرطبة، طامعًا في نائله، غير مرتاب بباطنه، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا المخشي، إن المرأة الصالحة التي هَجَوْت ابنها فقذفتها، فأفحشتَ سبَّها، قد أخلصت دعاءها لله في أن ينتقم لها منك، فاستجاب لها، وسلَّطني وتأذَّن بالاقتصاص لها على يدي منك، ثم أمر به فقُطع لسانه، وسُمِّلت عيناه، وعولج من جراحه، فاستقل منها، وعاش زمنًا مُمَثَّلًا به. فأما لسانه، فانجبر بعيد وقت إلّا قليلًا، واقتدر على الكلام إلّا تَلَعثمًا كان يعترضه، واستمرّ العَمَى، فعظُم عليه مصابه، فكثرت في شكواه أشعاره. قال: ويذكر أن قصة أبي المخشي في نبات لسانه، لما بلغت مالك بن أنس، أشار إليها في فتواه في التأنّي بديَّة اللسان طمعًا في نبتها، وقال: يُتأنّى بالحكم عامًا، فإن نَبَتَ أو شيء منه، عُمل في ديَّته بحسب ذلك، فقد بلغني أن رجلًا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعدما قطع، فأمكنه الكلام.

شعره: قالوا: وبلغ الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية صنيع ابنه هشام بمادِحهم أبي المخشي، فساءه وكتب إليه يعنّفه، وأوصل أبا المخشي إليه عند استيلائه بعد حين، فاعتذر إليه ورقَّ له، وأنشده بعض ما أحدثه بعد، فكان لا يبين الإنشاد، فينشد له صبيّ كان قد علَّمه ودرَّبه، فأنشده قصيدته التي وصف فيها عَمَاه وأولها[٦]:

---

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٠٢). (٢) قارن بالمغرب (ج ٢ ص ١٢٤).
(٣) البيت في المغرب (ج ٢ ص ١٢٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٠٣).
(٤) في الأصل: «وليسوا مثل من بان سيل...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المغرب. وفي الذيل والتكملة: «وليس كشانىء إنْ سِيلَ...».
(٥) في الأصل: «أعونه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.
(٦) الأبيات في: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة (ص ٨٦ ـ ٨٧). وورد منها ستة أبيات في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ١٠٣) وأربعة أبيات في تاريخ افتتاح الأندلس (ص ٥٧).

[الرمل]

خَـضَـعَـتْ أُمُّ بـنـاتـي لـلـعدى | إذْ قـضـى اللهُ بـأمْـرٍ فـمـضـى[١]
ورأتْ أعـمـى ضـريـرًا إنـمـا | مَـشْـيُـهُ فـي الأرض لَـمْـسٌ بـالـعَـصـا
فَـبَـكَـتْ[٢] وَجْـدًا وقـالـتْ قـولـةً | وهـي حَـرّى[٣] بَـلَـغَـتْ مـنّي المدى
فـفـؤادي قَـرِحٌ[٤] مـن قـولـهـا: | مـا مِـنَ الأدواءِ داءٌ كـالـعَـمـى[٥]
وإذا نـال الـعَـمـى ذا بـصـرٍ | كـان حَـيًّـا مـثـل مَـيْـتٍ قد ثـوى[٦]
وكـأنَّ الـنـاعـمَ[٧] الـمـسـرورَ لـم | يَـكُ مـسـرورًا إذا لاقـى[٨] الـرَّدى
عـانـى بـالـقـرب وهـنـا طـرب | بـيِّـن لـجٍّ فـي الـحِـمـى
. . . .[٩] | كـيـف يـعـتـاد الـصَّـبـا مـن لا يـرى
أبْـصَـرَتْ مـسـتـبـدلًا مـن طـرفـه | قـائـدًا[١٠] يـسـعـى بـه حـيـث سـعـى
بـالـعَـصـا إن لـم يَـقُـدْه قـائـدٌ[١١] | وسـؤالَ الـنـاسِ يَـمْـشـي إن مـشـى
وإذا رَكْـبٌ دَنَـوا كـان[١٢] لـهـمْ | هَوْجَلًا في المَهْمَهِ الخرْقِ الصُّوى[١٣]
لـم يـزل فـي كـلِّ مَـخْـشـيِّ الـرَّدى[١٤] | يَـصْـطـلـي الـحـرب ويَـجْـتَـاب الـدُّجـى
امـتَـطَـيـنـاهـا سـمـانًـا بـدنًـا | فـتـركْـنـاهـا نـضـاءً بـالـفَـنـا
وذَرِيـنـي[١٥] قـد تـجـاوزتُ بـهـا | مَـهْـمَـهًـا قَـفْـرًا إلـى أهـل الـنَّـدى

---

(١) في الذيل وتاريخ افتتاح الأندلس: «أنْ قضى الله قضاءً فمضى».
(٢) في تاريخ افتتاح الأندلس: «فاستكانت ثم قالت...».
(٣) في الأصل: «وهي حدا حلّقت منّي...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المراجع الثلاثة.
(٤) في الأصل: «فرح»، والتصويب من المراجع الثلاثة.
(٥) في الأصل: «أس العما»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المراجع الثلاثة.
(٦) في الأصل: «نعا»، والتصويب من الذيل والتكملة، والأدب الأندلسي.
(٧) في الأصل: «وكان للناعم»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من الذيل والتكملة والأدب الأندلسي.
(٨) في الذيل والتكملة: «لاح». (٩) بياض في الأصول.
(١٠) في الأصل: «فأنذا»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من الأدب الأندلسي.
(١١) في الأصل: «فإنه»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المرجع السابق.
(١٢) في الأصل: «كأنّ»، وكذا يختل المعنى والوزن، والتصويب من الأدب الأندلسي.
(١٣) في الأصل: «هو حملًا في المهمة الخِراف الصدى»، والتصويب من المرجع السابق. والهَوْجل: البطيء الثقيل. والمَهْمَه: المفازة. والخرْق: القفر. والصُّوى: جمع صوة وهي ما غلظ وارتفع عن الأرض.
(١٤) في الأدب الأندلسي: «السُّرى».
(١٥) في الأصل: «وذرّيتي»، وكذا يختل الوزن والمعنى.

قــاصــدًا خــيــر مَــنــافٍ كــلــهــا ومــنــافٌ خــيــرُ مَــنْ فــوق الــثَّــرى

وهي طويلة. ومن شعره في الوقيعة بأبي الأسود الفِهْري[١]، وكانت عظيمة من أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمٰن[٢]: [الكامل]

مـاذا تُـسـائـل[٣] عـن مـواقـع مَـعْـشَـر أودى بـهـم[٤] طـلـبُ الـذي لـم يُـقْـدَرِ
رشـد الـخـلـيـفـة إذا غَـوَوا فـرمـاهُـمُ بـالـمُـوبِـذِيِّ الـجَـهْـم[٥] والـمـتـأزِّر
فـغـدا[٦] سـلـيـمـان الـسَّـمـاح عـلـيـهـمُ كـالـلـيـث لا يـلـوي عـلـى مُـتَـعـذِّر
غـاداهـمُ[٧] مـتـقـنّـعًـا فـي مـأزق بالموت مُرْتَجِسُ العوارضِ مُمْطر[٨]
أمـا سـلـيـمـانُ الـسـمـاحِ فـإنـه جـلّـى الـدُّجـى وأقـام مَـيْـلَ الأصْـعَـر
وهـو الـذي ورث الـنَّـدى أهـل الـنَّـدى ومـحـا مَـغَـبَّـةَ[٩] يـومِ وادي الأحـمـر
بُعْدًا لقتلى بالمجانص[١٠] أصبحت جِـيَـفًـا تـلـوح عـظـامـهـا لـم تُـقْـبـر
فـالـلـيـل فـيـهـا لـلـذئـاب فـرائـسٌ[١١] ونـهـارُهـا وقـفٌ لـنـهـش[١٢] الأنْـسُـر
أفـنـاهُـمُ سـيـفٌ مُـبـيـرٌ صـارم[١٣] في قَسْطَلُونَةَ بل[١٤] بـوادي الأحـمـر
فَـلْـتَـرْكَـبَـنَّـكَ[١٥] مـا هَـرَبْـتَ مَـخـافـةً مـنـه فَـقَـعْ يـا ابـنَ الـلَّـقِـيـطـة أو طِـرِ

(١) هو محمد بن يوسف الفِهْري، الذي ثار على عبد الرحمٰن الداخل بعد مقتل أبيه يوسف.
(٢) الأبيات في: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة (ص ٨٢).
(٣) في المرجع السابق: «وإذا تساءل». (٤) في المرجع السابق: «وذويهم».
(٥) في الأصل: «بالحزم»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المرجع السابق. والمُوبذيّ: فقيه الفرس وحاكم المجوس. والجَهْم: الغليظ.
(٦) في المرجع السابق: «وغدا».
(٧) في الأصل: «عاداهم»، والتصويب من المرجع السابق.
(٨) في الأصل: «في الموت من بخس العوارض الممطر»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المرجع السابق.
(٩) في الأصل: «دُجْنة»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المرجع السابق.
(١٠) في الأصل: «بعد القتلى بالمخايض...»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من المرجع السابق. والمجانص: جمع مجنص وهو اسم مكان من جنص أي مات فزعًا.
(١١) في الأصل: «للذباب عرايس»، والتصويب من المرجع السابق.
(١٢) في المرجع السابق: «وقع لنبش». (١٣) في المرجع السابق: «مبيد طرْفُه».
(١٤) في الأصل: «وبل»، والتصويب من المرجع السابق.
(١٥) في الأصل: «هات عنك»، والتصويب من المرجع السابق.

وفاته: قال ابن حيان: قرأت بخطّ عبادة الشاعر، قال: عمّر أبو المخشي بعد محنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبد الرحمٰن[1]، فوالى بين مديح أربعة أُمراء[2]، ما بينه وبين جدّه عبد الرحمٰن بن معاوية الأمير الداخل. وتوفي بعد ذلك قريبًا من تاريخ الثمانين والمائة[3]، وبَعُد عليه لحاق دولة الأمير عبد الرحمٰن لهذا التاريخ.

ومن الأصليين من ترجمة المُحَدِّثين الفقهاء والطلبة النجباء

عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرّي

يكنى أبا الأصبغ، من أهل إلبيرة.

حاله: نبيه القدر، وروى عن شيوخ بلده.

حاله: توفي بعد الأربعمائة. قلت: قد اعتذرت، وتقدم الاعتذار في إثبات من أثبته من هذا البيت في هذا الاختصار من هذا النمط، فلينظر هنالك إن شاءَ الله.

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموي

لَوْشي الأصل، غرناطي الاستيطان والقراءَة، يكنى أبا موسى، الشيخ الطبيب بالدار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: بقية أهل العلم، ونسيج وحده في لين الجانب، وخفض الجناح، وحسن الخلق، وبذل التواضع، ممتع من معارف قديمة، بين طلب وتعليم، على حال تديُّن والتزام سُنَّة، أقرأ الطِّبّ، وخدم به الدار السلطانية، ووُلِّي القضاءَ بلَوْشَة بلده.

مشيخته: قرأ على الأُستاذ أبي عبد الله الرَّقوطي المُرْسي ولازمه، وأخذ عن أبي الحجاج بن خلصون، وأدرك أُمَّةً من صدور العلماءِ.

تواليفه: له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب «القفل والمفتاح، في علاج الجسوم والأرواح»، تضمّن كثيرًا من العلم الطبي وما يتعلق به، رأيت أجزاءَ من مسودته بيد ولده.

---

(١) المراد عبد الرحمٰن الثاني الذي حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ هـ إلى سنة ٢٣٨ هـ.

(٢) الأمراء الأربعة هم: عبد الرحمٰن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢ هـ) وهشام الرضا (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ) والحكم الربضي (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ) وعبد الرحمٰن الثاني (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ).

(٣) هذا التاريخ يناقض ما قاله ابن حيان نقلًا عن عبادة الشاعر.

وفاته: توفي بغرناطة ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام ثمانية وعشرين وسبعمائة.

حرف الغين من الأعيان

غالب بن أبي بكر الحضرمي

من أهل غرناطة، يكنى أبا تمام، ويعرف بابن الأشقر.

حاله: كان قائدًا جَزْلًا مهيبًا، مليح التجنُّد، معروف الدِّربة والثقافة، مشهور الفروسية، ظريف الشكل، رائق الرِّكبة، حسن الشَّيبة، صَليب العود، مرهوب السطوة، وُلِّي قيادة العسكر زمانًا طويلًا، فوقع الإجماع على أهليته لذلك؛ تمييزًا للطبقات، وانتهاضًا بالخدمة، وإنفاذًا للعزمة، ومعرفة بالعوائد، واقتدارًا على السهر في تفقُّد المسالح، واختبار المراصد، واختيار الحرس، وتنظيم المصاف، وإمساك السِّيقة ممن يرجع إلى حصيف رأيه، ويُركن إلى يُمْن جِنْكته، ويعترف بحقه. لقي الجند منه ضغطًا لاضطلاعه باستخدامهم، وجعل العقاب من وراءِ تقصيرهم؛ فقد كان بعض نُقَبائه يحمل معه مِقصًا لإيقاع المُثلة بذقون مضيِّعي المسلحة أو مُتَهيِّبي المَلْحمة. ولمّا أوقع بالسلطان أمير المسلمين أبي الوليد قرابته بباب داره بما هو مشهور، نُمي عنه أنه اخترط سيفه. وكان ممن أثخن الوزير يومئذ جراحة لا يعلم؛ أحيرةً وغلطًا، أم تواطأً وقصدًا، فقد كان من مَرَج الناس يومئذ، وإعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو معلوم، فعزل عن الخُطَّة، وسئم خطة الخمول، ففقد مكانه من العناء، واضطر إليه.

وفاته: توفي بغرناطة عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة وعشرين وسبعمائة، ودفن قرب باب إلبيرة.

ومن المقربين

غالب بن عبد الرحمـٰن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام ابن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف ابن أسلم بن مكتوم المحاربي، أبو بكر

حاله: كان من أهل العلم والعمل، مُقرئًا فاضلًا، راوية، حجَّ وروى، وكفَّ بصره في آخر عمره.

مشيخته: قرأ القرآن بالسَّبع على أبي الحسن بن عبد الله الحضرمي، ودرس الفقه وناظر فيه على سعيد بن خلف بن جعفر الكناني. وروى عن أبي علي الغساني، وعن أبيه عبد الرحمٰن بن غالب، وأبي عمر بن عبد البر، الإمام الحافظ.

مَن روى عنه: حدَّث عنه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، وأبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي، وعبد الله بن طلحة بن أحمد بن عطية.

شعره: قال يحذر من أبناءِ الزمن: [الرمل]

كُنْ بذيًا صائدٍ مستأنسا ... وإذا أبصرْتَ إنسانًا ففرْ
إنما الإنسيُّ بَحْرٌ ما له ... ساحل فاحذره إياك الغُرَرْ
واجعل الناس كشخص واحد ... ثم كن من ذاك الشخص حَذِرْ

وله رحمه الله: [الكامل]

كيف السُّلُوّ ولي حبيب هاجر ... قاسِي الفؤاد يَسُومني تعذيبا
لمّا درى أن الخيال مواصلي ... جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

مولده: ولد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

وفاته: توفي ليلة الجمعة لستٍّ بقين من جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة[١] وخمسمائة.

غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيىٰ ابن سيد بونه الخزاعي[٢]

يكنى أبا تمام.

أوليته وحاله: أصل[٣] سلفه من بونة[٤] من بلد إفريقية، واستوطن جدّه بالأندلس قرية زنيتة من وادي[٥] لستة شرقي الأندلس من عمل قسنطانية، وملك فيها

(١) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.
(٢) ترجمة غالب بن حسن ابن سيد بونة في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٢).
(٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٢ - ١٧٣).
(٤) بونة: مدينة قديمة من بلاد إفريقية، على ساحل البحر، مرساها من المراسي المشهورة، وتسمى بونة بلد العنّاب لكثرة العنّاب فيها. الروض المعطار (ص ١١٥).
(٥) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٣): «وادي آش من عمل دانية».

أموالًا عريضة. ولمّا ظهر سِبْطه وليّ الله أبو أحمد[١] شيخ المريدين بذلك الصقع، وظهرت عليه البركات، وشهدت بولايته الكرامات، غمرتهم بركته، ونوَّهت بهم شهرته، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات، بعد وفاة الشيخ، رضي الله عنه، فهاجرت ذريته إلى غرناطة، بعد اسْتِيطانهم مدينة ألش، وبنوا بالرَّبَض المعروف بربض البيّازين، واقتطعوا وامتطوا، واتخذوا دار إقامة، وانتشرت به نحلتهم الإرادية[٢]، وانضمّ إليهم مَنْ تَبِعهم من جالية أهل الشرق، وتقدّم هذا الشيخ بعد، شيخًا ويُغسوبًا وقاضيًا وخطيبًا به، بعد خاله، رحمه الله، فقام بالأعباءِ، سالكًا سُنَن الصالحين من أهل الجَلَد والجدَّة والقوة والرجولة، من الإيثار والمثابرة على الرباط، والحفُوف[٣] إلى الجهاد، كان مليح الشَّيبة، كثير التَّخلق، جمّ التواضع، مألفًا للغرباءِ، مبذول البشر، حسن المشاركة، رافضًا للتصَنُّع، مختصر المطعم والملبس، بقية من بقايا الجلَّة، معتمدًا في مجالس الملوك بالتَّجلَّة.

مشيخته: يحمل عن والده أبي علي، وعن خاله، وعن الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة، وغيرهم.

تواليفه: له تأليف في تحريم[٤] سماع اليراعة المسماة بالشَّبّابة، وعلى ذلك درج جمهورهم.

مولده: في ذي القعدة من عام ثلاثة وخمسين وستمائة.

وفاته: توفي في عاشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان الحفل في جنازته يشِذُّ عن الوصف، ودفن بمقبرتهم.

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري

من أهل غرناطة، يكنى أبا تمام.

حاله: كان من أهل الفضل والدَّماثة، حسن الخلق، وسيم الخَلْق، مليح الانطباع، مستطرف الأغراض، من بيت كَسْب وخيريَّة. رحل في شبيبته إلى المشرق، فحجَّ، وقرأ الطب بالمارستان من القاهرة المُعِزِّية، وحذق العلاج على طريقة المشارقة، وأطرف بكثير من أخبارهم، وانتصب للمداواة ببجاية بعد مناظرة لها

(١) هو أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة، كما جاء في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٣).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس: «ونشروا مذهبهم في الإرادة».

(٣) في المصدر نفسه: «والخفوق».

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «منع».

حكاية. وقدم على بلده، فنَبُه به قدره، واستدعي إلى باب السلطان فخدم به، ثم تحول إلى العُدْوة، فاتصل بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين أبي سعيد، مسوِّغًا ما شاءَ من قبول، ولَطُف محلُّه عنده؛ لانطباعه ولين عريكته وتأنيه لما يوافق غرضه من سبيل الفكاهة، ووُلِّي الحِسْبة بمدينة فاس، وأثرى وحَسُنت حاله. وكان مثالًا لأهل بلده، موصوفًا بالجود وبذل المشاركة لمتغرّبيهم.

وله تواليف طيِّبة، كان لا يفتر عن الاشتغال بها، بحسب ما فتح له من الإدراك، فمنها نبيل ووبيل. ولمّا انتقل الأمر إلى أمير المسلمين أبي الحسن، وصل حَبْل رَغيه، طاويًا بِساط الهَزْل في شأنه، واتصلت خدمته إياه إلى حين وفاته.

وفاته: توفي في أوائل عام أحد وأربعين وسبعمائة بسَبْتة، عند حركة أميره المذكور إلى الجواز للأندلس برسم الجهاد، الذي مَحَصه الله فيه بالهزيمة الكبرى.

مولده: . . .[١].

حرف الفاء

الأعيان والكبراء

فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر[٢]

الرئيس الجليل، أبو سعيد، وكان حقُّه أن يفرد له باب في الأمراءِ، لكنه الأبواب المتعددة الأسماءِ، نؤثر فيها الجمع والاختصار كما شرطنا.

أوليته: معروفة؛ وكان والده، رحمه الله، صِنْو أمير المسلمين الغالب بالله[٣] أبي عبد الله، وآثره بمدينة مالَقة وما يرجع إليها، عند تصير الملك إليه أو بعده. وكان دونه في السِّنّ، فاستمرّت أيامه بها إلى أن توفي، رحمه الله، وتصيَّر أمره إلى الرئيس أبي محمد بن إشْقَيْلولة، وتخللت ذلك الفتن، حسبما وقع الإلماع به، وتصيَّر أمرُها إلى ملوك المغرب. ثم لما انجلت الحال عن عودتها إلى الملك النَّصري، ولَّى عليها الرئيس أبا سعيد، ومكَّنه من ميراث سلفه بها، وهو كما استجمع شبابه، وعَقَد له

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر في اللمحة البدرية (ص ٣٥ ـ ٣٦، ٧٥، ٨٨، ١١١).

(٣) هو أول سلاطين بني نصر بغرناطة، وهو محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من عام ٦٣٥ هـ إلى عام ٦٧١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٤٢).

على ابنته الحرة لُباب الملك، فقام بأمرها خير قيام، وثَبَت لزلزال الفتنة، حسبما هو مذكور في موضعه.

حاله: كان هذا الرئيس نسيج وحده في الحزم والجزالة وفخامة الأحوال، مما يرجع إلى الفتية. ناغى السلطانَ ابْنَ عمِّه في اقتناءِ العقار، وتخليد الآثار، فيما يرجع إلى الفلاحة والاعتِمار والازدياد والاستكثار، وأربى عليه بإنشاءِ المراكب الكبار، فعظمت غلّاته، وضاقت المسارح عن سائمته، وغُصَّت الأهراءُ بحبوبه، وسالم الخرج دخل ماله، فبَذَّ الملوك جِدَةً ويسارًا، تقتحم العين منه ظاهرًا ساذجًا، غُفْلًا من الزينة والتصنُّع، في طيِّه ظَرْف وذكاءُ وحنكة وحلاوة، جهوريًا، مرسل عِنان النَّادرة، باذلًا النصفة، مَهيب السَّطا، خصيب المائدة، شهير الجلالة، بعيد الصيت. وُلِّي مالقة عام سبعة وسبعين وستمائة، فعانى بها الشِّدة واللِّيان، حتى رسخت بها قدمه، وطالت لأهلها صحبته، وعظم بها قراره وعساكره، وأينعت غرسانه، ونمت متاجره، وتبنَّكت النَّعيم حاشيته، وأُضيفت إليه الجزيرة الخضراءُ، فاتسعت العِمالة، وانفسحت الخُطَّة، إلى أن كان من تغلّبه على مدينة سَبْتة، واستيلائه عليها، مما وقع الإلماع به في موضعه من هذا الكتاب، في شهر شوال عام خمسة وسبعمائة، فساس رعيتها، وتملّك جبالها، وشنَّ الغارة على ما وراءَها، وتملّك القصر المضاف لها، ولم يزل نظره عليها، إلى أواخر ذي قعدة من عام ثمانية وسبعمائة، فصُرف عنها، وجُهل قَدْرُه، وأُوغر صَدْرُه، وأُوعز للولاة بالتضييق على حاشيته، فدعا بمالقة إلى نفسه في شهر شعبان من عام أحد عشر وسبعمائة، وقدَّم لطلب الملك ولدَه إسماعيل، وسمَّاه السلطان، ورتَّب له الألقاب، ودوَّن الدواوين، فنزع إليه الجند، وانضافت إلى عمالته الحصون. ثم وقعت المُهادنة، وأعقبتها المُفاتنة، وكان من أمره ما وقع التَّنبيه على عيون منه في ذكر ولده.

نكبته: ولمّا استأصلت القطيعة مُختجنه الراكد في مغابن الخزائن من لدن عام سبعة وسبعين وستمائة، واستَنْفدت عتاده المطاولة، نظر لنفسه فوجَّه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى، وعاقده على الخروج له عن مالَقة، مُتَعَوِّضًا عنها بمدينة سَلا من عمل ملك المغرب، وتمّ ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثة عشر وسبعمائة، وذاع خبره، وضاقت بأولياءِ انْتِزائه السُّبل، إذ تحققوا بإخفاق المسعى، وسقوط العَشِيِّ بهم على سرحان من سلطانهم الراغبين عنه، فداخلوا ولده المقدَّم الأمر، أبا الوليد، واتفق أمرهم على خَلْعه، ومعاجلة الأمر قبل تمامه، في...[1] من شهر رمضان، ركب

(١) بياض في الأصول.

الرئيس، رحمه الله، في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بساتينه، فلمّا قضى وَطَرَه، وهمّ بالخروج عنه، اعترضه القوم عند بابه، فالتفّوا به، وأشعروه غرضهم فيه، وجاءُوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد، فجعلوه به تحت رِقْبة، وقد بادر ولده القصبة، فاستولى عليها من غير ممانعة؛ لعدم استرابة ثقاته به، إلّا ما كان من خائن يتولّى القيام ببعض أبوابها همّ بسدّه، فطاح لحينه، وتمّ لولده الاستبداد بالأمر، واستولى على النُّصب والذخيرة وباقي المال، ونُقل الرئيس إلى مَعْقل قرطبة، فلمّا خلص الأمر لولده، انتقل إلى مَعْقل شُلوبانية، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره، مرفّهًا عليه إلى أن قضى نحبه.

وفاته: في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعمائة، توفي، رحمه الله، بشلوبانية، وجيءَ بجنازته محمولًا على رؤوس صدور الدولة ووجوه رجالها، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدّم به عهد، ودفن بمقبرة السَّبيكة، وولده أمير المسلمين واقف بإزاءِ لَحْده، مظهر الاكتراث لفقده، وعلى قبره الآن مكتوب نَقْشًا في الرخام البديع ما نصُّه:

«هذا قبر عَلَم الأعلام، وعماد دين الإسلام، جواد الأجواد، أسد الآساد، حامي الثغور وممهّد البلاد، المجاهد في ذات الله حقَّ الجهاد، شمس الملك وبَدْره، وعين الزمان وصَدْره، الكريم الأخلاق، الطاهر الذات والأعراق، الذي سار ذكره في الآفاق، وخلّد من فضائله ما تتحلّى به ظهور المنابر وبطون الأوراق، كبير الإمامة النَّصْرية، وعظيم الدولة الغالبية، فرع الملك وأصله، ومن وَسِع الأنام عَدْلُه وفضله، مخلّد الفخر الباقي على الأعصار، والعمل الصالح الذي يُنال به الحُسْنى وعُقبى الدار، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار، الإمام الرضي ناصر دين المختار، المنتخب من آل نصر ونعم النسب الكريم في الأنصار، الهمام، الأكبر، الأشهر، المقدم، المرحوم، الأطهر، أبو سعيد بن الإمام الأعلى، ناصر دين الإيمان، وقاهر عَبَدة الصلبان، صِنْو الإمام الغالب بالله، ومجهز الجيوش في سبيل الله، سهام العِدا، وغمام النّدى، وضرغام الحروب، ذي البأس المرهوب، والجود المسكوب، بطل الأبطال، ومناخ الآمال، المجاهد، الظاهر، المقدّس، المرحوم، أبي الوليد بن نصر، قدَّس الله مضجعه، ورقاه إلى الرفيق الأعلى ورفعه. كان، رضي الله عنه، وحيد عصره، وفريد دهره، علت في سماءِ المعالي رتبه، وكَرُمَ من أمير المسلمين صهره ونسبه، فلا يُزاحم مكانه، ولا يُدانى منصبه، نفذت أحكامه في الشرق والغرب، ومضت أوامره في العجم والعرب، إلى أن استأثر الله به، فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعمائة، وكان مولده يوم الجمعة

الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ستة[١] وأربعين وستمائة، فسبحان الله الملك الحق، الباقي بعد فناءِ الخلق: [الطويل]

سلامٌ على قَبْرِ المكارم والمَجْد ... مُقام الرضى والفوز والبِشْرِ والسَّعْدِ
مثابة إحسانٍ ومعهد رحمةٍ ... ومُسْتَودع العَلْياءِ[٢] والسِّرِّ والعَدِّ
فيا أيها القبر الذي هو روضةٌ ... تفوحُ شَذًى أذكى من المِسْك والنَّدِّ
لك الفضل إذ حملت أرضى أمانة ... تؤدّى بإكرام إلى جنة الخلد
ففيك من الأنصار من آل نصرهمْ ... همام كريم الذات والأب والجَدِّ
وقَسْمُ[٣] أميرِ المسلمين ابنِ عمّه ... ونخبة بيت الملك واسطة العِقْد
وحامي ذمار الدين ناصره أبو ... سعيد عماد الملك في الحلّ والعقد
لِيَبْكي[٤] أميرُ العُدْوَتَيْنِ بواجب ... من الحق أبناء الوغى وبنو الرِّفْد
وتبكي بلادٌ كان مالك أمرها ... أفاض بها النَّعْماءَ سابغةَ الوِرْد
أقام بها العدل والفضل سنّة ... بإنصاف مُسْتَعْدٍ وإسعاف مُسْتَجْد
وتبكي أسًى مِلْءَ العيونِ لفقده ... وبالحق لو فاضت نفوس من الوَجْد
فيا أيها المولى الذي لمصابه ... بدا الحزن حتى في المُطَهَّمة الجُرْد
لك الله ما أعلى مكارمك التي ... تسير بها الركبان في الغَوْر والنَّجْد
وحَسْبُك أنْ أوْرَثْتَ خَيْرَ خليفةٍ ... وأبْدَيْتَ منه للورى عَلَمَ الرُّشْد
إمام هُدًى أعمالُهُ لَهِيَ[٥] رحمةٌ ... تنالُ بها الزُّلْفى من الصَّمَدِ الفَرْد
عليك من الرحمٰن أزكى تحية ... تُوَفِّيك من إحسانه غاية القصد

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر[٦]

الأمير أبو سعيد، ولد أمير المسلمين ثاني[٧] الملوك النصريين، ابن الغالب بالله.

(١) في الأصل: «ست»، وهو خطأ نحوي. (٢) في الأصل: «العليا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «قسم»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «لَبّيك»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «لله»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) أخبار فرج بن محمد في اللمحة البدرية (ص ٥٢).
(٧) ثاني ملوك النصريين هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، حكم غرناطة بعد والده الغالب بالله، من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

حاله: كان أميرًا جليلًا جميلًا، بلغ الغاية في حسن الصورة، وفضل الفروسية على صغر سنّه، وكان زناتي الشكل والركض والآلة، عروس الميدان، وحِلْس الخيل، يؤثر من شجاعته وثبات موقفه على الغَرارة، وعدم الحَنَكة، أنه أنشب في اتباع خنزير ضخم الكراديس، عظيم الناب، عريض الغبطة، طرح نفسه عليه في ضحضاح؛ لفضل شجاعته، فكبا به الطرف، واستقبله ذلك الخنزير الفحل صامدًا، فاستقلّ، زعموا، من السَّقطة، وقد اخترط سيفًا عضبًا كان يتقلّده، وسبقه بضربة تحت عينيه، أبانت فكّيه، وأطارت محل سلاحه، وخالطه مع ذلك أعزل، فلم يُغْن، وتلاحق به فرسانه، وقد يئسوا من خلاصه، فرأَوا ما بهتوا له، وبُشّر بذلك أبوه، فملأ عينه قرّة، وكان يولع منه بفرع مُلْك، وصَقْر بيت، وسيف دولة. أسف بذلك وليُّ العهد كبيرُه، فاعتُبط لأيامٍ من تصيُّر الأمر إليه.

وفاته: توفي مغتالًا في الأول من عام اثنين وسبعمائة.

مولده: عام ستة وثمانين وستمائة.

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر(١)

الأمير أبو سعيد، ولي عهد السلطان الغالب بالله.

حاله: كان هذا الأمير فاضلًا ذكيًا، من أهل الأدب والنُّبل، قام الأدب في مدته على ساق، ولّاه أبوه الغالب بالله عنده، وأمّله لمكانه لو أنَّ الليالي أمهلته.

شعره: وأدبه مما يُنسب إليه بالأندلس، وهو عندي ما يبعد قوله: [الطويل]

أيا ربة الحسن التي سلبتْ منك   على أي حال كنت لا بُدّ لي منكِ
فإمّا بِذُلٍّ وهو أليق بالهوى   وإمّا بعزٍّ وهو أَلْيَقُ بالمُلْكِ

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، يقول: أخبرني كاتب هذا الأمير، وهو الوزير أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس قال: نظم الأمير بيتًا وطلبني بإجازته، وأن يكون المنظوم مشوب النسيب بالفخر. والبيت: [الطويل]

أرقْتَ لبرق بالسُّبيكة لا الخيف   وإن كان فيه ما أحاذر من حَتْفِ

فقلت مجيزًا: [الطويل]

تجورُ على قلبي لواحظ غادة   بأنْفَذ من عزمي وأقطع من سيفِ

(١) أخبار فرج بن محمد في اللمحة البدرية (ص ٤٤).

ولـي هـزّة نـحـو الـوصـال أو الـلُّقـا كـهـزة آبـائـي الـكـرام إلـى الـضـيـف
أفيضُ وفيضٌ في الجفون وبالحشا فأشكو بحالي في الشتاء وفي الصيف
لعمري لقد وفّى العُلا حَقَّ مفخري لَوَ أنّيَ فـي الـدنـيـا مُرادِيَ أسْـتُـوفـي

قال: واستحسن ذلك ووقع عليه كاتبه، يعني بذلك نفسه.

وفاته: عصر يوم الأربعاءِ لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وستمائة، ابن خمس وعشرين سنة.

ومن الكتاب والشعراء

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور(١)

من قرية تعرف بصخرة(٢) الواد من قرى قلعة يَحْصِب، يكنى أبا نصر، ويُعْرف بابن خاقان.

حاله: كان(٣) آية من آيات البلاغة، لا يُشَقُّ غُباره، ولا يُدْرَكُ شأوه، عذب الألفاظ ناصِعُها، أصيل المعاني وثِيقُها، لعوبًا بأطراف الكلام، مُعْجزًا في باب الحلى والصفات، إلّا أنه كان مجازفًا، مقدورًا عليه، لا يملُّ من المعاقرة والقَصْف(٤)، حتى هان قَدْرُه، وابتُذِلتْ نفسه، وساءَ ذكره، ولم يدع بلدًا من بلاد الأندلس إلّا دخله، مُسْتَرْفِدًا أميرَه، وواغلًا على عِلْيته(٥). قال الأُستاذ في «الصلة»(٦): وكان معاصرًا للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال، إلا أنّ بطالته أخْلَدت(٧) به عن

(١) ترجمة الفتح ابن خاقان في المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٣٠٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٢٩) والمغرب (ج ١ ص ٢٥٩) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ١٠٧) والخريدة - قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٦١٠) ومرآة الجنان (ج ٣ ص ٢٦٤) ومعجم الأدباء (ج ٤ ص ٥٤٦) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٥) وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٩٧) وجاء فيهما: «الفتح بن محمد بن عبيد الله».
(٢) في النفح: «بقلعة الواد».
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٥ - ٢٥٧).
(٤) المعاقرة: شرب الخمر. والقصف: إقامة الرجل في أكل وشرب ولهو. لسان العرب (عقر) و(قصق).
(٥) في النفح: «واغلًا في عليته».
(٦) لم ترد ترجمة ابن خاقان في الصلة المطبوع.
(٧) يقال: أخلدت به إلى الأرض: أي نزلت به. لسان العرب (خلد).

مرتبته. وقال ابن عبد الملك[(١)]: دخل[(٢)] يومًا إلى مجلس قضاء أبي الفضل عياض[(٣)] مخمرًا، فتَنَسَّم بعضُ حاضري[(٤)] المجلس رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فاسْتَثْبت[(٥)]، وحَدَّه حدًّا تامًا، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحدّ، بثمانية دنانير وعمامة. فقال الفتح حينئذٍ لبعض أصحابه: عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم[(٦)] بـ«قلائد العقيان» قال: فقلت: لا تفعل، وهي نصيحة، فقال[(٧)]: وكيف ذلك؟ فقلت[(٨)] له: قِصَّتُك معه من الجائز أن تُنسى، وأنت تريد أن تتركها[(٩)] مؤرخة، إذ كلّ من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه مَنْ هو مثله ودونه في العلم والصيت، فيسأل عن ذلك، فيقال له، [اتّفق معك كيت وكيت][(١٠)] فيَتَوارث العلم[(١١)] عن الأكابر الأصاغر، قال: فتبين له ذلك، وعلم صحته وأقرّ اسمه[(١٢)].

وحدَّثني بعض الشيوخ أنّ سبب حقده على ابن باجة أبي بكر[(١٣)]، آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس، ما كان من إزرائه به، وتكذيبه إياه في مجلس إقرائه، إذ جعل يُكثر ذِكر ما وصله به أمراءُ الأندلس، [ويذكر الفخر بذلك][(١٠)]، ووصف حليًا، وكانت[(١٤)] تبدو من أنفه فضلة خضراءَ اللون. زعموا[(١٥)]، فقال له: فمن تلك

---

(١) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٣٠) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧).
(٢) كذا في الذيل والتكملة. وفي النفح: «قصد».
(٣) كلمة «عياض» غير واردة في الذيل والتكملة.
(٤) في الذيل والتكملة: «حضور».
(٥) في المصدر نفسه: «بذلك، فأمر به فاستثبت في استنكاهه وحَدَّه».
(٦) في الذيل والتكملة: «الموسم».
(٧) في الذيل والتكملة: «فقال لي».
(٨) في المصدر نفسه: «قال: فقلت له».
(٩) في المصدر نفسه: «أن تخلّدها مؤرخة، فقال لي: وكيف؟ قال: فقلت له: كلّ من نظر...».
(١٠) ما بين قوسين ساقط في المصدرين.
(١١) في الذيل والتكملة: «العلم بذلك الأصاغر عن الأكابر...».
(١٢) في الذيل والتكملة: «فأقرّ اسمه في الكتاب قلائد العقيان».
(١٣) هو محمد بن يحيىٰ بن باجة التجيبي الأندلسي السرقسطي، المعروف بابن الصائغ. وترجمته في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٢) وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢٨٣) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥١٥) والمغرب (ج ٢ ص ١١٩) واسمه فيه: محمد بن الحسين بن باجة، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ١٤٠) ومطمح الأنفس (ص ٣٩٧) ومعجم الأدباء (ج ٤ ص ٥٤٧) وقلائد العقيان (ص ٢٩٨).
(١٤) في المصدرين: «وكان يبدو».
(١٥) كلمة «زعموا» ساقطة من النفح.

الجواهر إذن الزمردة التي على شاربك؟ فثَلَبَه في كتابه بما هو معروف في الكتاب[١]. وعلى ذلك فأبو نصر نسيجُ وحده، غفر الله تعالى[٢] له.

مشيخته: روى[٣] عن أبوي بكر: ابن سليمان بن القصيرة، وابن عيسى ابن اللبّانة، وأبي جعفر بن سعدون الكاتب، وأبي الحسن بن سِراج، وأبي خالد بن مَسْتَقور[٤]، وأبي الطيّب بن زرقون، وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب، وأبي عبد الرحمٰن بن طاهر، وأبي عامر بن سرور، وأبي محمد بن عبدون، وأبي الوليد بن حجاج، وابن دريد الكاتب.

تواليفه: ومصنفاته[٣] شهيرة: منها «قلائد العقيان»، و«مطمح الأنفس»، و«المطمح» أيضًا[٥]. وترسيله مدوَّن، وشعره وَسَط، وكتابته فائقة.

شعره: من شعره قوله، وثَبَت في قلائده، يخاطب أبا يحيىٰ ابن الحجاج[٦]: [الطويل]

أكعبة علياء وهضبة سؤدد ... وروضة مجد بالمفاخر تمطرُ
هنيئًا لِمُلْكٍ[٧] زان نورُك أُفقَهُ ... وفي صفحتيه من مَضائك أسطرُ
وإني لَخفّاقُ الجَناحينِ كلّما ... سَرَى لك ذكرٌ أو نسيمٌ مُعَطَّرُ
وقد كان واشٍ هاجَنا لتهاجُرٍ[٨] ... فبتُّ وأحشائي جوًى تتفطَّرُ
فهل لك في وُدٍّ ذوى لكَ ظاهرًا ... وباطنه يَندى صَفاءً ويَقْطُرُ
ولستُ بعِلْقٍ بِيعَ بَخْسًا وإنني ... لأرْفَعُ أعْلاقِ الزمانِ وأخطرُ[٩]

فروجع عنه بما ثبت أيضًا في قلائده ممّا أوله[١٠]: [الطويل]

ثنيتَ، أبا نصرٍ، عِناني، وربّما ... ثَنَتْ عَزْمَةَ السَّهمِ المُصَمِّمِ أسْطُرُ

---

(١) قوله: «في الكتاب» ساقط في النفح.
(٢) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٧). (٤) في النفح: «بشتغير».
(٥) يريد أن كتاب المطمح جزآن، ويقال: ثلاثة أجزاء.
(٦) في النفح: «ابن الحاج». والأبيات أيضًا في قلائد العقيان (ص ١٧٨ ـ ١٧٩) والمطرب (ص ١٨٩).
(٧) في الأصل: «هنيئًا لمن زار. . .» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من القلائد والمطرب. وفي النفح: «هنيئًا لِمُلْكٍ زار أُفقَك نُورُه».
(٨) في المطرب: «لتنافر».
(٩) في المطرب: «وأنضر». والأعلاق: جمع عِلْق وهو الشيء النفيس. لسان العرب (علق).
(١٠) قلائد العقيان (ص ١٧٩) والمطرب (ص ١٨٩).

نثره: ونثره[١] شهير، وثبتٌ[٢] له من غير المتعارف من السُّلْطانيات ظهيرًا كتبه عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة، ولا خفاءَ بإدلاله وبراعته: كتاب تأكيد اعتناء، وتقليد ذي منّة وغَناء، أمر بإنفاذه فلان، أيّده الله تعالى[٣]، لفلان ابن فلان صانه الله تعالى[٣]، ليتقدَّم لولاية المدينة بفلانة[٤] وجهاتها، ويصرخ[٥] ما تكاثَف من العُدْوان في جَنباتها، تنويهًا أحظاه بعلائه، وكساه رائق مُلائه، لما علمه من سَنائه، وتوسَّمه من غَنائه، ورجاه من حسن مَنابه، وتحققَّه من طهارة ساحته وجَنابِه، وتيقّن ـ أيّده الله تعالى[٣]! أنه مُسْتحق لما ولّاه، مُسْتَقِلٌّ[٦] بما تولّاه، لا يعتريه الكسل، ولا يثنيه[٧] عن إمضاء الصوارم والأسَل، ولم يَكلِ الأمرَ منه إلى وَكِل[٨]، ولا ناطه مناط[٩] عجز ولا فَشَل، وأمره أن يُراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه، وليعلم أنه زاجرُه عن الجَوْر وناهيه، وسائله عمّا حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾[١٠] فليتقدم لذلك[١١] بحزم لا يَحمدُ توقدُه، وعزم لا ينفد تفقُّده، ونفس مع الخير ذاهبة، وعلى سنن[١٢] البرِّ والتقوى راكبة، ويقدِّم للاحتراس مَنْ عُرف اجتهادُه، وعُلم أرَقُه في البحث وسُهاده، وحُمِدتْ أعمالُه، وأُمن تفريطه وإهماله، ويضمّ إليهم مَن يحذو حذوهم، ويقفو شأوهم، ممّن لا يُسْتراب بمناحيه، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه، وأن يُذْكي العيون على الجُناة، وينفي عنها لذيذ السِّنات[١٣]، ويفحص عن مكامنهم، حتى يُغَصَّ بالروع[١٤] نَفَس آمنهم، فلا يستقرُّ بهم موضع، ولا يقرُّ[١٥] منهم مَخبٌ ولا موضع، فإذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه، وبثَّ السؤال في مواضع تصرفه ومواطنه، فإن لاحتْ شُبهة أبداها الكشف والاسْتِبراء، وتعدَّاها البغي[١٦] والافتراء، نَكَّله بالعقوبة أشدَّ نكال، وأوضح له منها ما كان ذا إشكال، بعد أن يبلغ أناه، ويقف على طَرْف[١٧] مداه، وحدَّ له ألّا يكشف بشرة إلّا في حدٍّ يتعيّن، وإن جاءَه فاسق أن يتبيَّن، وأن لا يطمع في صاحب

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠).
(٢) في النفح: «ونثبت».
(٣) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٤) في النفح: «المدينة الفلانية».
(٥) في النفح: «ويصوّح».
(٦) مستقلٌ: حامل للعبء. لسان العرب (قلل).
(٧) في النفح: «تثنيه عن المضاء».
(٨) الوَكِلُ: الذي يعتمد على غيره في قضاء أموره ويتّكل عليه. لسان العرب (وكل).
(٩) في النفح: «بمناط».
(١٠) سورة الانفطار ٨٢، الآية ١٩.
(١١) في النفح: «إلى ذلك».
(١٢) في النفح: «مَتْن».
(١٣) السِّنات: جمع سِنة وهي أول النوم. لسان العرب (وسن).
(١٤) في النفح: «بالرّيق».
(١٥) في النفح: «ولا يفرّ منهم خبّ...».
(١٦) في الأصل: «للبغي».
(١٧) في النفح: «في طرفه».

مال موفور، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور، وأن يسلك السَّنَن المحمود، وينزِّه عقوبته من الإفراط وعفوه من تعطيل الحُدُود. وإذا انتهت إليه قصَّة مُشْكلة أخَّرها إلى غَدِه، فهو على العقاب أقدر منه على ردِّه، فقد يتبيّن في وقت ما لا يُتَبيّن في وقت، والمعاجلة بالعقوبة من المَقْت، وأن يتغمّد هفوات ذوي الهيئات، وأن يستَشعر الإشفاق، ويخلع التَّكَبُّر فإنه من ملابس أهل النفاق، وليحسن لعباد الله اعتقاده، ولا يرفض زمام العدل ولا مَقَاده، وأن يعاقب المجرم قَدْرَ زلّته، ولا يعتزّ عند ذِلَّته، وليعلم أنّ الشيطان أغواه، وزيَّن له مَثْواه، فيشفق من عثاره، وسوءِ آثاره، وليشكر الله على ما وهبه من العافية، وأكسبه من ملابسها الضَّافية، ويذكره جلّ وتعالى[1] في جميع أحواله، ويفكّر في الحَشْر وأهواله، ويتذكّر وعدًا يُنجز فيه ووعيدًا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[2]. والأمير أيّده الله، وليٌّ لـه مـا عَـدَل وأقسـط، وبريءٌ منه إن جار وقَسَط. فمن قرأه فليقف عند حدِّه ورَسْمه، وليعرف له حقَّ قَطْع الشَّرِّ وحَسْمه، ومن وافقه من شريف أو مَشْروف، وخالفه في شيء[3] مُنكر أو أمرٍ بمعروف، فقد تعرَّض من العقاب لما يذيقه وَبالَ خَبْله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[4]. وكتب في كذا.

وفاته: بمرّاكُش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسعة[5] وعشرين وخمسمائة، أُلفي قتيلًا ببيت من بيوت فُنْدق لبيب[6] أحد فنادقها، وقد ذُبح وعُبث به، وما شُعر به إلّا بعد ثلاث[7] ليال من مَقْتله.

ومن المقرئين والعلماء

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي[8]

من أهل غرناطة، يكنى أبا سعيد.

---

(١) في النفح: «وعلا».
(٢) سورة آل عمران ٣، الآية ٣٠.
(٣) في النفح: «في نَهْي عن منكر».
(٤) سورة فاطر ٣٥، الآية ٤٣.
(٥) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي. وفي معجم الصدفي: توفي ذبيحًا بفندق لبيت من حضرة مراكش سنة ٥٢٨ هـ. وفي وفيات الأعيان: توفي قتيلًا سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراكش في الفندق.
(٦) كلمة «لبيب» غير واردة في النفح.
(٧) في الأصل: «ثلاثة» وهو خطأ نحوي.
(٨) ترجمة فرج بن لب في الكتيبة الكامنة (ص ٦٧) وبغية الوعاة (ص ٣٧٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥٤).

حاله: هذا[١] الرجل من أهل الخير والطهارة، والزّكا[٢] والديانة، وحسن الخُلُق. رأس بنفسه، وحُلّي بفضل ذاته، وبرّز بمزية إدراكه وحفظه، فأصبح حامل لواء التحصيل عليه[٣] بدار الشُورى، وإليه مرجع الفتوى ببلده، لغزارة حفظه، وقيامه على الفقه، واضطلاعه بالمسائل، إلى المعرفة بالعربية واللغة، والمران[٤] في التوثيق، والقيام على القِراءات، والتّبريز في التفسير، والمشاركة في الأصلين والفرائض والأدب. جيد الخط، ينظم وينثر. قعد ببلده للتدريس على وفور المسجد. ثم استقلّ بعد، ووُلّي الخطابة بالمسجد الأعظم، وأقرأ بالمدرسة النّصْرية، في ثامن وعشرين من رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة، معظّمًا عند الخاصة والعامة، مقرونًا اسمه بالتسويد. وهو الآن بالحالة الموصوفة.

مشيخته: قرأ على الخطيب المقرىء[٥]، شيخنا أبي الحسن القِيجاطي، والخطيب الصالح الفاضل أبي إسحٰق بن أبي العاصي، والقاضي العدل المحدث العالم أبي عبد الله بن بكر، ولازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البيّاني، وأخذ العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار، وروى عن الشيخ الرحال الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي، وغيرهم.

شعره: من شعره في غرض النسيب قوله[٦]: [الطويل]

خذوا لِلْهَوى من قلبي اليوم ما أبْقى
فما زال قلبي[٧] للهوى كلّه رَقًّا[٨]

دعوا القَلْبَ يَصْلى في لَظَى الوجد نارُه
فنارُ الهوى الكبرى وقلبي هو الأشْقى[٩]

سَلُوا اليومَ أهلَ الوَجْدِ ماذا به لَقُوا
فكلُّ الذي يلقون بعضُ الذي ألْقى

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٥ ـ ٥٦). (٢) في النفح: «والذكاء».
(٣) في النفح: «وعليه مدار الشورى». (٤) في النفح: «ومعرفة التوثيق».
(٥) في الأصل: «للقرى».
(٦) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٦٨ ـ ٦٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥٦ ـ ٥٧).
(٧) في النفح: «قلبي كله للهوى». (٨) الرّقّ: العبد. لسان العرب (رقق).
(٩) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ⑮﴾ سورة الليل ٩٢، الآية ١٥.

فـإن كـان عَـبْـدٌ يـسـأل[١] الـعِـتـقَ مـالـكـا[٢]
فـلا أبـتـغـي مـن مـالـكـي فـي الـهـوى عِـتْـقـا
بـدعـوى الـهـوى يـدعـو أنـاسٌ وكـلـهـمْ
إذا سُـئـلوا طُـرْقَ الـهـوى جَـهِـلوا الـطُّـرْقـا
فَـطُـرْقُ الـهـوى شـتـى ولـكـنَّ أهـلَهُ
يـحـوزون[٣] فـي يـوم الـرِّهـان بـهـا سَـبْـقـا[٤]
فـكـم[٥] جَـمـعـت طُـرْقُ الـهـوى بـيـن أهـله[٦]
وكـم أظـهـرتْ عـنـد الـسُّـرى[٧] بـيـنـهـم فَـرْقـا
بِـسِـيـمـا[٨] الـهـوى تـسـمـو مـعـارفُ أهـله
فـحـيـث تـرى سِـيـمـا الـهـوى فـاعْـرِفِ الـصـدقـا
فـمـن زَفْـرةٍ تُـزجـي سـحـائـبَ زفـرةٍ[٩]
إذا زفـرةٌ تَـرْقـى فـلا عَـبْـرةٌ تـرْقـا[١٠]
إذا سـكـتـوا عـن وجـدهـمْ أعـربـت[١١] بـهـم[١٢]
بـواطـنُ أحـوالٍ ومـا عـرفـتْ نـطـقـا

ومن منظومه في وَداع شهر رمضان المعظم قوله[١٣]: [الطويل]

أَأَزْمَـعْـتَ يـا شـهـرَ الـصـيام رحـيـلا   وقـاربْـتَ يـا بَـدْرَ الـتـمـام[١٤] أُفُـولا؟
أجِـدَّكَ قـد جَـدَّتْ بـك الآنَ رحـلـةٌ   رُوَيْـدَكَ أمـسـكْ لـلـوداع قـلـيـلا
نـزلْتَ فـأَزْمَـعْـتَ الـرحـيـلَ كـلـما[١٥]   نـويـتَ رحـيـلًا إذ نـويـت نـزولا

(١) في الأصل: «يسل»، والتصويب من المصدرين.
(٢) في النفح: «سيدًا».
(٣) في الأصل: «يجوزون» والتصويب من المصدرين.
(٤) في النفح: «يوم السِّباق بها السَّبْقا». (٥) في النفح: «وكم».
(٦) في النفح: «أهلها». (٧) في المصدر نفسه: «السُّوى».
(٨) السيما: العلامة، وفي القرآن الكريم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾. سورة الفتح ٤٨، الآية ٢٩.
(٩) في الكتيبة والنفح: «عبرة».
(١٠) في الكتيبة: «تبقى». وترقى: تصعد. وتَرْقا: أصلها: ترقأ، أي تسكن. لسان العرب (رقأ).
(١١) في الأصل: «أغرت» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من النفح. وفي الكتيبة: «أعرفت».
(١٢) في النفح: «به».
(١٣) بعض أبيات هذه القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٦ - ٥٧).
(١٤) في النفح: «الزمان». (١٥) في النفح: «كأنما».

وما ذاك إلّا أنّ أهلك قد مَضَوْا تَفانَوْا فأبْصَرْتَ الديارَ طلولا
وقفتَ بها من بعدهمْ فعل ناد[١] لربع خلا يبكي عليه خليلا
لقد كنتَ[٢] في الأوقات ناشئةَ التُّقى[٣] أشدَّ به وَطْأً[٤] وأقْوَمَ قيلا
ولما انجلى وجهُ الهدى فيك مُسْفرًا سَدَلْتَ على وجه الضَّلال سُدولا
متى ارتاد مرتادٌ مَقيلا لعثْرة أتاك فألفى للعِثار مَقيلا
وناديتَ فينا صُحْبة الخير أقبلوا بإقبالكمْ حُزْتُمْ لديَّ قبولا
لقد كنت لما واصلوك ببرّهمْ حَفيًّا بهمْ برًّا لهمْ ووَصُولا
أقاموا لدين الله فيك شعائرا هَدَتْهُمْ إلى دار السلام سبيلا
فكم أطلقوا فيها أعنَّة جَدِّهمْ وكم أرسلوا فيها الدموع همولا
دموعًا أثارت سَحَّها ريح زفرة فسالت وخدَّت في الخدود مسيلا
لديك أيا شهر الهُدى قصَّروا المدى فكم لك في شأو الفضائل طولا
دلائل تشريف لديك كثيرة كفى بكتاب الله فيك دليلا

ومن الصوفية والصلحاء

فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري

يكنى أبا الحسن، من أهل الشرق الأندلسي، أبو الحسن الولي الصالح الصوفي.

حاله: كان وليًّا فاضلًا، زاهدًا، على سنن الفضلاء، وأخلاق الأولياء، غزير العلم، كثير العمل، دائم الاعتبار، مشهور الكرامة، مُسْتجاب الدعوة، صوفيًّا محققًا، انتهت إليه الرئاسة في ذلك على عهده. يدلّ على ذلك كلامه على أغراض القوم، وكَشْفُه عن رموزهم وإشاراتهم، أديبًا بليغًا، كاتبًا مرسلًا، لا يُشَقُّ غباره في ذلك. قائمًا على تجويد كتاب الله، عالي الرواية، أسَنَّ وتناهى وازْدَلف إلى التِّسْعين، مُمَتَّعًا بجوارحه، ووُلِّي الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم، أقرأ به مدة كبيرة.

قال ابن الزبير في «صلته»: كان جليلًا في ذاته وخُلُقه ودينه، معدوم النظير في ذلك، مشاركًا في فنون من العلم، أديبًا بارعًا، كاتبًا بليغًا، فصيح القلم، متقدمًا في ذلك، متصوّفًا، سَنِيًّا، وَرِعًا، معدوم القرين في ذلك، متواضعًا، مقتصدًا في شؤونه

---

(١) في الأصل: «نادى».
(٢) في النفح: «تفكرتَ في».
(٣) في الأصل: «التّعني» والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «وَطْسا»، والتصويب من النفح.

كلها، جاريًا في خُلُقه وأفعاله وأحواله على سُنَن السلف، أحفظ الناس لِلسانه وجوارحه وأصدقائه، وأسلمهم عينًا ومشهدًا، وأشدّهم تمسكًا بهدْي السلف الصالح، مؤثرًا للخمول، سريع العَبْرة، شديد الخوف لله سبحانه، تاليًا لكتاب الله، كثير الصوم، خفيف القَدَم في حوائج أصحابه، مشاركًا لهم بأقصى ما يمكنه. له تقاييد جوابية عما كان يُسأل عنه في الفن الذي كان يؤثره، محررًا ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ، غير منافر لمذهب الأشعَرية، مالِكي المذهب، له اختيارات يسيرة لا يُفتى بها، ولا تتعدَّى علمه.

مشيخته: روى عن أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة[١]، وعن أبي العباس أحمد بن محمد بن شُهيد، وأخذ أيضًا عن أبي بكر بن محرم، وأجاز له أبو بكر بن المرابط، وقرأ على القاضي أبي القاسم بن يحيىٰ بن ربيع، والقاضي أبي عيسى بن أبي السَّداد المُرْسي، وغيرهم.

من أخباره: وكراماته شهيرة، فمنها أن رجلًا استفتاه، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع، فرأى في عالم النوم وإثر سؤاله إياه رسول الله ﷺ، يقول له: الحق ما قال لك فلان في المسألة. قال الحاكي: فبكَّر إليه الرجل من الغد، فلمّا أقبل عليه بموضع إقرائه، قال له: ألم ترد أن تَسْتَفتي يا أبا فلان إلّا من رأس العين؟ فَبُهت الرجل. وأحواله شهيرة.

مولده: ولد عام سبعة وستمائة.

وفاته: في الثامن عشر من محرم عام تسعة وتسعين وستمائة. ودفن بمقبرة ربض البيّازين مع قومه من صلحاءِ الشَّرق، وكانت جنازته مشهودة.

ومن العمال الأثرا

فلّوج العلج

مولى يحيىٰ بن غانية[٢].

حاله: كان فلُّوج شهمًا شجاعًا، مَهيبًا حازمًا، نال من مولاه حظوة، واستعان به على أموره المهمة. وجرى على يده إغرام أهل قرطبة، وانطلقت على أموالهم يده، وأثرى وجمع مالًا دَبْرًا من الصامت والذخيرة عظيمًا.

---

(١) ترجمة غالب بن حسن ابن سيد بونة في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٢).

(٢) سيترجم ابن الخطيب ليحيىٰ بن غانية بعد قليل في هذا الجزء من الإحاطة.

نكبته: وكان يحيىٰ بن غانية قد ولّاه حِصْنَ بني بشير، فثقَّفه وحصَّنه، ونقل إليه أمواله ومتاعه وذخيرته. ولمّا توفي مولاه لحق به وملك أمره واستعان بجماعة من النصارى، ثم بدا له لضعف رأيه وسوءِ تدبيره، أن ألقى بيده إلى ابن أخي مولاه إسحٰق بن محمد بن غانية، فأناب ولحق به، معتذرًا عن توقفه، فقبض عليه وصفَّده، وعرض عليه العذاب، وأسكنه في تابوت، باطنه مسامير، لا يمكنه معها التصرف، وأجاعه بمرأى من الطعام بمطبخه، إلى أن مات جوعًا وألَمًا. وهو مع ذلك لا يطعمه في شيءٍ من المال. وتخلَّف بالحصن رجلًا من جهة سَرَقُسْطة، يعرف بابن مالك، ويكنى أبا مروان، فلمّا ذاع خبر القبض عليه، بادر الموحدون الذين بلَوْشة، فتغلّبوا عليه، واستولوا على ما كان به من مال وذخيرة، ووجدوا فيه من أنواع الثياب والحَلْي والذَّخيرة، كل خطير عظيم، وشدُّوا على ابن مالك في طلب المال، فلم يجدوا عنده شيئًا، إلى أن فدى نفسه منهم، بمال كبير، فمضى فلُوج على هذا السبيل.

ومن المقرئين والعلماءِ

قاسم بن عبد الله بن محمد الشَّاط الأنصاري(١)

نزيل سبتة، وأصله من بلنسية، يكنى أبا القاسم. قال: والشّاط اسم لجدّي، وكان طُوالًا فجرى عليه الاسم.

حاله: نسيج وحده في إدراك النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم، إلى حسن الشمائل، وعلو الهمة، وفضل الخلق، والعكوف على العلم، والاقتصار على الآداب السَّنية، والتحلي بالوقار والسكينة. أقرأ عُمْرَه بمدرسة سبتة الأُصول والفرائض، متقدمًا، موصوفًا بالأمانة. وكان موفور الحظ من الفقه، حسن المشاركة في العربية، كاتبًا، مُرسِّلًا، ريّان من الأدب، ذا مماسَّة في الفنون، ونظر في العَقْليات، ضرورة لم يتزوج، ممن يتحلى بطهارة وعفاف.

وقال في «المؤتمن»: كان مع معارفه، عالي الهمة، نزيه النفس، ذا وقار وتُؤدة في مشيه ومجلسه، يُشاب وقاره بفكاهة نظيفة، لا تنهض إلى التأثير في وقاره، ظريف الملبس، يخضب رأسه بالحنّاء على كبره.

مشيخته: قرأ بسبتة على الأستاذ الكبير أبي الحسن بن أبي الربيع وبه تأدب، وعلى أبي بكر بن مشليون، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي، وعلى الطبيب أبي

(١) ترجمة ابن الشاط في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤).

عبد الله محمد بن علي بن أبي خالد العبدري الأُبَّدي، وعلى أبي الحسن البصري، وعلى خاليه أبي عبد الله محمد وأبي الحسن ابني الطرطاني. وأجازه أبو القاسم بن البرّا، وأبو محمد بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن علي الغماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو بكر بن فارس، وأبو محمد الأنباري، وغيرهم. وأخذ عنه الجملة من أهل الأندلس من شيوخنا كالحكيم الأستاذ أبي زكريا بن هُذَيل، وشيخنا أبي الحسن بن الجياب، وشيخنا أبي البركات، والقاضي أبي بكر بن شِبْرين، وقاضي الجماعة أبي القاسم الحسني الشريف، والوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، والقاضي أبي القاسم بن سَلْمون، وغيرهم.

شعره: وكان يقرض أبياتًا حسنة من الشعر، فمن ذلك قوله يُذيِّل أبياتًا لأبي المطَرِّف بن عميرة وهي[١]: [الكامل]

فَضَلَ الجمالُ على الكمال بخدِّه[٢] والحقُّ[٣] لا يَخْفى على مَنْ وَسَّطَهْ
عَجَبًا له بُرْهانُهُ بشروطه مَعَهُ فما مطلوبُه[٤] بالسَّفْسَطَهْ
عِلْمُ التَّباين في النفوس وإنها منها مُفَرَّطَةٌ وغَيْرُ مُفَرَّطَهْ[٥]
فئةٌ[٦] رأت وجه الدَّليل وفرْقة أصْغَتْ إلى الشُّبهات فهي مُوَرَّطَهْ
فأرادَ جمعها معًا في حكمة[٧] هذي بمُنتجةٍ وذي بِمُغَلِّطَهْ

ومن شعره قوله: [الكامل]

إني[٨] سَلَكْتُ من انقباضي مسلكا وجريتُ من صَمْتي على مِنْهاجِ
وتركت أقوال البريّة جانبًا كي لا أُميِّز مَادحًا من هاجِ

دخوله غرناطة: ورد على غرناطة عند تصَيُّر سبتة إلى الإيالة النَّصرية مع الوفد من أهلها ببيعة بلدهم، فأخذ عنه بها الجُملة، ثم انصرف إلى بلده. قال شيخنا أبو

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤) وجاء فيه أن البيتين الأول والثاني هما لابن عميرة، وأن الأبيات الثلاثة الأخرى لابن شاط.
(٢) في النفح: «بوجهه». (٣) في النفح: «فالحقُّ».
(٤) في النفح: «مقصودُه».
(٥) رواية عجز البيت في النفح هي:
منها مُغَلَّطَةٌ وغيرُ مُغَلَّطَهْ
(٦) في الأصل: «فيه» وكذا لا يستقيم المعنى. (٧) في النفح: «ملكه».
(٨) في الأصل: «وإني» وكذا ينكسر الوزن.

البركات: وأنشدنا لنفسه: [الخفيف]

قلْت يومًا لمن تخذْتُ هواه ... ملّةً قد تبغتُها وشريعهْ
لِمَ تأبى[1] الوصالَ وَهْوَ مُباحٌ ... وتَسُومُ المُحِبَّ سوءَ القَطيعهْ؟
قال: إني خشيتُ منك ملالًا ... فتركْتُ الوصال مَدَّ ذريعهْ

وأنشدنا: [الكامل]

وغزالِ أُنسٍ سَلَّ من ألحاظه ... سيفًا أراق دَمَ الفؤادِ بسَلِّهِ
وبِخَدِّه من ذاك[2] أعْدَلُ شاهدٍ ... يقضي بأنَّ الفتك بي[3] من فِعْلِهِ
ما لي أُطالبه فيدحض حجَّتي ... ودمي يُطَلُّ وشاهدي من أهْلِهِ؟

وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقّاق، قال: أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيبًا إلى بلده: [البسيط]

يا أهلَ غرناطةٍ، إنّي أُودّعكُمْ ... ودَمْعُ عَينيَ من جَراكُمُ جارِ
ترَكْتُ قلْبي غريبًا في دياركُمُ ... عساه يَلْقَى لديكمْ حُرْمة الجارِ

تواليفه: منها «أنوار البروق، في تعقب مسائل القواعد والفروق». و«غنية الرابض، في علم الفرائض». و«تحرير الجواب، في توفير الثّواب». و«فهرسة حافلة». وكان مجلسه مألفًا للصُّدور من الطلبة، والنبلاءِ من العامة؛ حدّثني شيخنا القاضي الشريف أبو القاسم، قال: كان يجلس عند رجل خياط من أهل سبتة، يعرف بالأجعد من العامة، فأخذ يومًا يتكلم عن مسألة، فقال متمثلًا: كما تقول: الأجعد الخياط فعل كذا، ثم التفت معتذرًا يتبسم وقال: أتمثل بك، فقال الأجعد بديهة: إذًا يا سيدي، أُعتق عليكم، إشارة إلى قول الفقهاء: العبد يُعتق على سيِّده إذا مُثِّل به، فاستظرف قوله.

مولده: في ذي قعدة من عام ثلاثة وأربعين وستمائة بمدينة سبتة.

وفاته: توفي بها في آخر عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، وقد استكمل الثمانين.

---

(١) في الأصل: «تأبَ» على أساس أنه مجزوم بلم، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «ذلك» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «به» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن جابر.

حاله: كان، رحمه الله، من جلّة أهل العلم والفضل، حسن الأخلاق، مليح الحديث، عذب الفكاهة، لطيف الحاشية، على دين والتزام سُنَّة. رحل إلى المشرق، فلقي العلماءَ، وأخذ عنهم، وكَلِف بعلم الجَدَل، فقرأه كثيرًا، وبهر فيه. وورد على غرناطة من رحلته، فأقرأَ بها الأُصول وغيرها من جدل ومنطق وفقه.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الخطيب وليّ الله أبي الحسن بن فضيلة، والأُستاذ خاتمة المُقْرئين أبي جعفر بن الزُّبير، ووَلِّي القضاءَ بِبَسْطة، ثم كَلِف بالإقراء وعكف عليه، فلم ينتقل عنه.

مَن أخذ عنه: أخذ عنه كراسة الفخر المسماة بـ«الآيات البينات»، وكان قائمًا عليها جملةٌ من شيوخنا، كالأستاذ التعاليمي أبي زكريا بن هذيل، والأستاذ المقرىء أبي عبد الله بن البيّاني.

شعره: وله شعر؛ أنشدنا الشيخ أبو القاسم بن سلمون، قال: أنشدنا في شيخنا ابن جميل قوله: [مخلع البسيط]

إن أطْـلَع الـشَّـرقُ شَـمْـسَ دنـيـا قـد أطْـلع الـغـربُ شَـمْـسَ دِيـنِ
وبـيـن شـمـس وبـيـن شـمـس مـا بـيـن دُنـيـا وبـيـن دِيـنِ

مولده: ولد بغرناطة عام تسعة وستين وستمائة.

وفاته: توفي بها في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر وسبعمائة.

قاسم بن يحيىٰ بن محمد الزِّروالي (١)

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن دِرْهم، مالَقي، أصله من جبال تاغسى، ودخل غرناطة وقرأ بها.

حاله: من تذييل صاحبنا القاضي أبي الحسن، قال فيه: كان، رحمه الله، واحد زمانه، ينبوع الحكمة يتفجر من لسانه، وعنوان الولاية على طَيْلسانه. ومن «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، علمًا من أعلام الزهد والورع والديانة، والتقلُّل من الدنيا،

(١) ترجمة قاسم بن يحيىٰ بن درهم في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٥).

والعكوف على تجويد كتاب الله وإقرائه، منقطع القرين فيه، كثير المناقشة والتحقيق، يرى أن ليس في الأرض مَن يحكم ذلك حق إحكامه، ما لم يأخذه.

مشيخته: قرأ على جملة من حملة كتاب الله بالمشرق والمغرب والأندلس، وعُني بذلك. ثم لم يعتمد منهم إلّا على الأستاذ أبي إسحٰق الغافقي بسَبْتة، والخطيب أبي جعفر بن الزيات ببلّش من الأندلس، واستمرت حاله على سبيلها من الزهد والانقباض والتنطُّع، والإغراق في الصلاح، والشُّذوذ في بعض السجايا إلى أن توفي.

بعضٌ من نوادره مع اخشيشانه: حدّثني القاضي أبو الحسن بن الحسن أن بعض الطلبة المتنَسّكين قال له: أتيتُك أقرأُ عليك، فأستخير الله، ثم أتاه فقال: قد استخرت، وهمّ بالقراءة، فقال له الشيخ: أمسك حتى أستخير أنا الله في قراءتك عليّ، فقال الطالب: وهذا عمل برٌّ، فقال له: الحجة عليك، فانفصل عنه. ثم عاد إليه يَسألُ منه القراءَة، فقال: يا بني، ظهر لي أن لا تقرأ عليّ، فانصرف.

ومن أخباره في الكرامة، قال لي المذكور: وقد أزمعت السفر إلى ظاهر طَرِيف مع جَمْع المسلمين، أنك إن سافرت يا ولدي، تُقاسي مشقَّة عظمي إن سبق القدر بحياتك، والله يُرْشدك، وقد كنت شرعت في ذلك مع رفقائي. وفي سحر ليلة اليوم الذي انهزم فيه المسلمون، رأيته في النوم يقول لي منكرًا عليَّ: قلت لك لا تسافر، يكرّرها، فاستيقظت، وأوقع الله بقلبي الرجوع إلى الجزيرة، لآراب أقضيها، فما بلغ زوال الشمس من اليوم إلّا ومُقَدِّمة الفَلّ على أطواق البلد في أسوإ حال.

وفاته: توفي ببلدة مالقة خامس صفر، من عام خمسين وسبعمائة في وقيعة الطّاعون، توفي وآخر كلامه: رزقنا الله عملًا صالحًا يقربنا إليه زُلْفى، وجعلنا ممن يمرّ عُقْبَتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى.

ومن الكتّاب والشعراءِ

قرشي بن حارث بن أسد بن بشر بن هندي بن المهلب ابن القاسم بن معاوية بن عبد الرحمٰن الهمداني

حاله: هو أعرق الناس في الشعر؛ لأنّ جَدّه المُهَلّب كان شاعرًا، وولده هندي كذلك، وأسد وحارث وقرشي، فهم شعراءُ ستة على نسق، ويدلّ شعرهم على شَرَف نفوسهم وبُعْد هممهم.

شعره: قال أبو القاسم الغافقي: من شعره قوله في هاشم بن كعب التميمي، من أنجَد الفرسان، قتل في يوم خمسة من أنجاد المُوَلَّدين: [الطويل]

هجرتُ القوافي والظِّباءَ[1] الأوانسا ... وودَّعتُ لذَّاتي نَعَمْ واللواعسا
ورغتُ فؤادي بالمَشِيب عن الصَّبا ... وأصبحْتُ عن عهد الغواية يائسا
أبا خالد، ما زلْتُ مذ كنت يافعا ... لكل سِناتٍ للمكارم[2] لابسا
فما حَمَلَتْ أُنثى كمثلك سيِّدًا ... ولا حَمَلَتْ خيلٌ كمثلك فارسا

قاسم بن محمد بن الجد العمري

يكنى أبا القاسم، ويعرف بالورسيدي، من أهل ألمريَّة، وتكرر وروده على غرناطة.

حاله: قال شيخنا أبو البركات: كان حسن الأخلاق، سليم الصدر، بعيدًا عن إذاية الناس بيده أو لسانه بالجملة، له خطٌّ لا بأس به، ومعرفة بالعَدد، وسلك الطريقة الزِّمامية، وله حظ من قَرْض الشعر. وجرى ذكره في الإكليل بما نصه: من أئمة أهل الزمان، خليق برعي الذِّمام، ذو حظ كما تفتَّح زهر الكمام، وأخلاق أعذب من ماءِ الغمام. كان ببلده محاسبًا، في لجة الأعمال راسبًا، صحيح العمل، يُلْبس الطُّروسَ من براعته أسْنَى الحُلل.

شعره: قال يمدح المقام السلطاني[3]: [الطويل]

أرى أوْجُهَ الأيامِ قد أشْرَقَتْ بِشْرا ... فقلْ لي، رعاكَ الله، ما هذه البُشْرى؟
وما بال أنفاسِ الخُزامى تَعَطَّرَتْ ... فأرَّجَتِ الأرجاءِ من نَفْحها عِطْرا؟
ونَقَّبَتِ الشمس المنيرة وجهها ... قُصُورًا عن الوجه الذي أخْجَل البَدْرا
وما زالتِ الأغصانُ[4] في أرْيَحِيَّة ... كما عطفتْ أعطافها تَنْثَني شكْرا
فما ذاك إلّا أنْ بدا وَجْهُ يوسف[5] ... فأرْبَتْ على الآيات آياتُه الكُبْرى
خليفة ربِّ العالمين الذي به ... تمهّدتِ الأرجاءُ وامتلأَتْ بِشْرا
وجَرَّتْ على أعلى المَجَرَّة ساحبا ... ذيولَ العُلى فاستكملَ النَّهْي والأمْرا

---

(١) في الأصل: «والظبا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «المكارم»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) المقام السلطاني: هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، سلطان غرناطة، وقد حكم غرناطة من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللمحة البدرية (ص ١٠٢).
(٤) في الأصل: «بأغصان الرجال أريحية»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى».
(٥) هو أبو الحجاج يوسف النصري، سلطان غرناطة.

وقام بأمر الله يقضي ويقتضي الـ ـفتوح التي تُبْقي له في العلى ذكرا
وأربى على كل الملوك وفاتَهمْ بسيرته الحُسْنى التي قد عَلَتْ قَدْرا

وهي طويلة. ومن شعره أيضًا قوله: [مخلع البسيط]

من أين أقبَلْتَ يا نسيمُ جادَتْ بساحاتك الغُيومُ
ولا عَدِمْناه سَرْوًا[(١)] حَلَّ به عندنا النعيمُ
بلِّغْ سلامي أهَيل وُدّي بَلَّغَكَ الله ما تَرومُ
قلْ لهمُ صَبُّكمْ مشوقٌ أنْحَلَهُ وَجْدُه القديمُ
لطالما يَسْهَرُ الليالي وطَيُّ أضلاعِهِ جَحيمُ
هِبوا رضاكُمْ لذي غرام ما زال قِدْمًا بكمْ يهيم
إنْ غِبْتُمُ عن سواد عيني فَحُبُّكمْ في الحَشَا مُقيم
لو[(٢)] ساعدَ السَّعْدُ أنْ أراكمْ لما اشتكى قلبيَ السَّقيم
يا حادي العِيس نحو أرضٍ بنيقةٍ قَدْرُها عظيم
إذا أتيت اللِّوى وسلْفا وبان للناظر الحَطِيم
ولاح بالأبْرَقين بَدْرٌ بسيْره تهتدي النجوم
فَقُلْ: غريبٌ ثوى بقرب في بحر أوزاره يَعُوم
قد أثقَلَتْ ظهرَهُ الخطايا وشَجَبَتْ ذكره الرسوم
إنْ أعْمَلَ الحزم لارتحال أقْعَدَهُ ذَنْبُه العظيم
لَهْفيَ هذا الشباب ولَّى والقلب في غَيِّه مُقيم
يا ربِّ، عفوًا لذي اجترام لا تَهْتِكِ السِّتْرَ يا حليم
ما لي شفيع سوى رجائي وحسن ظني أيا كريم
فلا تكلْني إلى ذنوبي وارْحَمْنيَ الله[(٣)] يا رحيمُ

وفاته: توفي في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعمائة.

---

(١) في الأصل: «سُرَى»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا. والسَّرْو: الفضل.
(٢) في الأصل: «لو ثَرَّ ساعد...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «يا ألله»، وكذا ينكسر الوزن.

ومن المحدّثين والفقهاءِ والطلبة النجباء

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي

من أهل سبتة.

حاله: من خطِّ صاحبنا القاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان شيخنا يتّقد ذكاءً، رحل عن سبتة إلى الحجاز فقضى الفريضة، وتطور في البلاد المشرقية نحوًا من أربعة عشر عامًا، وأخذ بها عن جلّة من العلماءِ. وورد على غرناطة في حدود عام ثمانية عشر وسبعمائة، فأخذ عن بعض أشياخها، وعاد إلى بلده، وكان على خِزانة الكتب به، وكان يُقرىء القرآن به. قال: وأنشدني، لما لقيته، بيتًا واحدًا يحتوي على حروف المعجم، وهو: [السريع]

قد ضمّ نصر وشَكا بَثَّه ... مذ سخطت عَضَّ على الإبطِ

مشيخته: أخذ بالمشرق عن جماعة، منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدمشقي الحجار، والشيخ المحدّث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازي ابن جميل، قرأ عليه كتاب ابن الحاجب وحدّثه به عن مؤلفه، وقرأ على الشيخين المقرئين الجليلين؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق، المعروف بابن الضائع، وأبي عبد الله بن يعقوب الجراش المقدسي، جملة من الكتب الحديثية وغيرها، وسمع عليهما كتاب «الشاطبية» وحدَّثاه بها معًا عن المُقْرىء أبي الحسن على كمال الدين بن شجاع العباسي الضرير، عن صهره، مؤلفها.

تواليفه: قال: له في القراءات تقييد حسن سماه «الشافي، في اختصار التيسير الكافي».

وفاته: توفي أيام الطاعون(١) العام ببلده.

قاسم بن خضر بن محمد العامري

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن خضر، هكذا دون تعريف. يعرف سلفه ببني عمرون، من أهل ألمرية.

حاله: من خط شيخنا أبي البركات: كان هذا الشيخ من وجوه ألمرية، وممن تصرف سلفه في خُطَّة القضاءِ بها. وهو أقدم خطيب أدركْتُهُ بسِنِّي بجامعها الأعظم.

---

(١) عام الطاعون هو: ٧٥٠ هـ، وقد أشرنا إلى ذلك في هذا الكتاب غير ما مرة.

وكان شيخًا عفيفًا من رجال الجد، ضيق العَطَن، سريع الغضب، غيورًا على تلك الخطة، لا يُحلى بعينه أحد. لما مات رفيقه في الصلاة والخُطْبة، الشيخ الشهير عند العامة، ثالث اثنين، الخراسي والنطية، أبو عبد الله بن الضايع، فكلُّ مَن عرض عليه أن يكون معه أباه، فقال أهل البلد: فما العمل؟ فقال: يُكتب إلى أبي القاسم ابن الحاج إلى سبتة، ليأتي إلى أرض سلفه، ويكون رفيقي في الصلاة والخطبة، يعني عمِّي، فكتب إليه بذلك، فكانت المسألة عند الآخر أهون من أن يجيب عن(١) الكتاب، ولو بالإبابة، فبقي الأمر إلى أن قُدِّم معه الشيخ الصالح الخطيب المِصْقَع أبو الحسن بن فرحون البِلْفِيقي، فلم يجد فيه قادحًا إلّا كونه ليس من أهل البلد، فبقي مرافقًا له إلى حين وفاته.

غريبة: قال الشيخ: أخبرتني جدّتي عائشة بنت يحيىٰ بن خليل، قالت: كان الرجل الصالح أبو جعفر بن مكنون، خال قاسم بن خضر هذا، فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة ألمرية، فقال له: مَن يكون خطيب ألمرية يلعب، فبقيت في حفظه إلى أن وُلِّي الخطابة.

وفاته: توفي في صفر من عام ثلاثة وسبعمائة، وكانت جنازته مشهودة.

حرف السين

سوّار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن ديسم بن قديدة ابن هنيدة(٢)

وكان علمًا من أعلام العرب، وصاحب لواءِ قيس بالأندلس، ونزل جدُّه بقرية قربسانة من إقليم البلاط من قرى غرناطة، وبها أَنْسَل ولده، ولم يزالوا أعلامًا، إلى أن ظهر سوّار هذا منهم في الفتنة.

حاله وبعض آثاره وحروبه:

قال أبو القاسم: كان سوّار هذا بعيد الصيت، رفيع الذكر، شجاعًا، محبًّا في الظهور، حامي العرب وناصرهم. وكان له أربعة من الإخوة، مثله في الشجاعة، حضروا معه في الحروب في الفتنة، وهو الذي بنى المدينة الحمراءَ بالليل، والشَّمعُ

(١) في الأصل: «على» وقد صوبناه.

(٢) ترجمة سوار بن حمدون في المقتبس في تاريخ الأندلس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ٧٨) والحلة السيراء (ج ١ ص ١٤٧) وجمهرة أنساب العرب (ص ٢٦٠).

تُزْهر لعرب الفحص، وبنى مدينة وادي آش لبني سامي، وبنى مدينة مُنْتِيشة لبني عطاف، وبنى مدينة بَسْطة لبني قحطبة وبني مَسِيرة، وبنى كورة جيَّان للعرب. ولولا أن الله منّ على العرب بسوّار ونصره لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدًا. وأنسل سوّار عبد العزيز المقتول بمُنتِيشافر، وعبد الرؤوف وعبد الملك.

مبدأ أمره وحروبه وشعره:

قال أحمد بن عيسى، بعد اختصار، في صدر هذه السنة، يعني سنة خمس وسبعين ومائتين: ثار[١] سوَّار بن حمدون بناحية البراجِلة من كورة إلبيرة، وانضوت إليه العرب، قام على تفثة مَهْلَكِ يحيىٰ بن صُقالة[٢] أميرهم، قتيل المُسالِمة والمولَّدين، فطلب بثأره، وكثرت أتباعه، واعتزت العرب به، وقصد بجمعه إلى مُنْت شاقِر[٣]، وبه من عدوّه المذكورين نحو من ستة آلاف رجل[٤] نازلهم حتى قهرهم، وطاف على حصونهم فافتتحها، وقتل وغنم، وتنادوا لقتاله في جموع عظيمة، عليها جَعْدُ بن عبد الغافر، عامل الأمير عبد الله، وبرز إليهم فيمن برز، وناشبهم الحرب، فانهزموا فقتل منهم خلق حُرِزوا بسبعة آلاف، وأُسر جعد، ومنَّ عليه وأطلقه. وكانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقيعة جَعْد. وغَلظ، واستند إلى حصن غرناطة، بالقرب من مدينة إلبيرة. وكانت العرب يتألبون على المولَّدين، إلى أن عزل الأمير جعدًا عن الكورة إرضاءً لسوّار، فأظهر عند ذلك الطاعة، وغزا الحصون الراجعة إلى ابن حَفصون فأوقع بهم، فهاجمهم، واجتمعت عليه كلمتُهم، فقصدوه وحصروه بغرناطة في نحو عشرين ألفًا، وبرز إليهم في عدده القليل من عبيده، ورجال بيوتات العرب من أهل إلبيرة، ورجعوا من جبل الفخَّار على تعبئة، يريدون الباب الشرقي من غرناطة، وكادهم لما التحمت الحرب وشبَّ ضِرامُها، بما دبّره من انسِلاله في لَخْمة من فرسانه، حتى اسْتَدبرهم، فحمل بشعاره، فانذعروا وانفضُّوا، فتوهَّم حُماتهم أن مددًا جاءَهم من ورائهم، فولّوا منهزمين، وأعمل سوّار وأصحابه السيوف فيهم إلى باب إلبيرة، فيقال: إن قتلاهم في هذه الوقيعة الثانية كانوا اثني عشر ألفًا، وهي الوقيعة المعروفة بوقعة المدينة، ولاذ المولَّدون بعد هذا بعمر بن حَفْصون واستدعوه،

(١) في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٤٧): ثار في سنة ٢٤٦ هـ.

(٢) في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٤٨) أن سوّارًا كان صاحبًا ليحيىٰ بن صُقالة، أول الخارجين بالبراجلة بالعصبية العربية ضد المولّدين والعجم.

(٣) في الأصل: «شافر»، والتصويب من الحلة السيراء (ج ١ ص ١٤٨). ومنت شاقر: Monte Sacro، حصن مطل على سهل غرناطة.

(٤) في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٤٨): نحو من ستة آلاف رجل من المولدين والنصارى.

فوافاهم في جيش عظيم، ودخل إلبيرة، وناهض سوَّارًا، وعنده رجالات عرب الكُوَر الثلاث؛ إلبيرة وجيَّان، وريُّه، واشتدّ القتال، وجال جيش ابن حفصون جولة جُرح فيها جراحات صعبة، وكاد سوّار يأْتي عليه لولا رجال صدقوه الكرَّ واستنقذوه، وتمَّت عليه الهزيمة، فانقلب على عَقِبه، ونالت الحضرة معرَّته، فأُغْرم أهلها الذين استجلبوه ما تشَعَّث من عسكره، واستعمل عليهم قائده حفص بن المُرَّة، وانصرف، ونجح سوَّار بما تهيّأ له على أعدائه، فاعتَلَت همّته، وأجَلَّته العرب، وعلا في الناس ذكره، وقال الأشعار الجَزْلة فيما تهيّأ له على المولدين، وأكثر الافتخار بنفسه، فشُهر، من قوله في ذلك[1]: [الكامل]

صَرَمَ الغواني، يا هُنَيْدُ، مودّتي إذ شابَ مِفْرَقُ لِمَّتي وقَذالي
وصَدَدْنَ عنّي، يا هُنَيْدُ، وطالما عَلِقَتْ حِبالُ وصالهنَّ حبالي[2]

وهي طويلة، أكثر فيها الفخر، وألمَّ بالمعنى.

وفاته: ولما انصرف عمر بن حفصون وترك قائده بإلبيرة، جهّز معه طائفة من خيله، وأقرّه لمُغاوَرَةِ سوَّار ودَرْك النيل لديه، وأعمل حفص جهده وطلب غرَّته، فأمكنه الله منه، وأنه دنا إليه يومًا، وقد أكْمنَ أكثر خيله، وظهر له مُسْتَغيرًا بجانب من حِصْنه، فخرج سوَّار مبادرًا من غرناطة لأول الصُّبحة في نفر قليل، لم يحترس من الحيلة التي يحذرها أهل الحزم، فأصحر لعدوه، وخرجت الكمائن من حوله، فقُتل وجيء بجُثَّته إلى إلبيرة، فذكر أن الثَّكالى من نسائهم قَطَّعن لحمه مرقًا، وأكلنه حَنَقًا لما نالهنّ من الثُّكل. وكان قتل سوَّار في سنة سبع وسبعين ومايتين، وقُتلت العرب بقتل سوَّار، وكَلَّ حدُّها بما نزل بها.

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمٰن الناصر لدين الله الخليفة بقرطبة[3]

المُكْنى بأبي أيوب، الملقب من الألقاب الملوكية بالمُسْتعين بالله.

---

(١) البيتان في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٥٤) والمقتبس، بتحقيق العربي (ص ٨٠).
(٢) في الأصل: «وصالها بحبالي»، وقد فضّلنا رواية الحلة والمقتبس.
(٣) ترجمة سليمان بن الحكم في البيان المغرب (ج ٣ ص ٩١) والذخيرة (ق ٢ ص ٣٥) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٦٢) وأعمال الأعلام (ج ٢ ص ١١٤) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٢٤) والمعجب (ص ٩٠) وجذوة المقتبس (ص ١٧) وبغية الملتمس (ص ٢٢) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٣٩، ١٤٥) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ١ ص ٤٨٤) والأعلام (ج ٣ ص ١٢٣).

أوّليته: معروفة.

حاله: كان أديبًا شاعرًا، مجموع خِلال فاضلة، أصيل الرأي، راجح العقل، ثَبْتًا. ولي الخلافة غِلابًا، وقَعْصًا، ومنازعة، وأوْقَع بأهل قرطبة وقائع أبادتهم. وخُلع ثم عادت دولته، وجرت له وعليه الهزائم، على قِصَر أمد خلافته، لقيام البربر بدعوته، وتَدْويخ البلاد باسمه، في أخبار فيها عِبْرة، دخل في بعض حركاتها وهولاتها المُبِيرة، إلى أن طحنته رَحى الفِتنة، وشيكًا عن دنيا غير هَنِيَّة، وصُبابة ليست بسَنِيَّة.

شعره: من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة للرشيد(١): [الكامل]

عَجَبًا يَهابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِناني وأهابُ لَحْظَ فواترِ الأجفانِ
فأُقارع(٢) الأهوالَ لا مُتَهيِّبًا منها سوى الإعراض والهِجْرانِ
وتملَّكَتْ نفسي ثلاثٌ كالدُّمى زُهْرُ الوجوه نواعمُ الأبدان
ككواكبِ الظَّلْماءِ لُحْنَ لناظري من فوق أغصانٍ على كُثْبان
هذي الهلالُ وتلك أُخت(٣) المُشْتري حُسْنًا، وهذي أُختُ غُصْنِ البان
حاكمْتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الهوى فقضى بسلطانٍ على سلطاني(٤)
فأبَحْن من قلبي الحِمى وتَرَكْنَني في عِزِّ مُلْكي كالأسير العاني(٥)
لا تَعْذِلوا مَلِكًا تَذَلَّلَ للهوى(٦) ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلْكٌ ثانِ

مقتله: قتله علي بن حَمُّود، المتقدم الذكر، متولّي الأمر بعده، صبرًا بيده، بدم هشام المؤيد، وقال لما زحف إليه: لا يقْتُل الزُّلطان إلّا الزُّلطان، يعني السُّلطان، إذ كان بربري اللسان، وذلك في أُخريات المحرم من سنة سبع وأربعمائة.

---

(١) الرشيد: هو الخليفة هارون الرشيد، ومقطوعته التي يشير إليها ابن الخطيب مطلعها هو: [الكامل]

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني حَلَلْنَ من قلبي بكلِّ مكانِ

الذخيرة (ق ١ ص ٤٧) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٩) وجذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتمس (ص ٢٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١١٨). وأبيات الخليفة سليمان المستعين الواردة أعلاه في الذخيرة (ق ١ ص ٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١١٩) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٩) وجذوة المقتبس (ص ٢١) وبغية الملتمس (ص ٢٥ ـ ٢٦) ونفح الطيب (ج ١ ص ٤١٢).

(٢) في معظم المصادر: «وأقارع». (٣) في معظم المصادر: «بنت».

(٤) في الأصل: «سلطان» بدون ياء، والتصويب من المصادر.

(٥) في الأصل: «العان»، والتصويب من المصادر.

(٦) في نفح الطيب: «في الهوى».

سليمان بن عبد الرحمٰن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان[١]

يكنى أبا أيوب.

حاله: كان شهمًا جريئًا، أنُوفًا شجاعًا، ديِّنًا فاضلًا. ولما توفي أبوه بقصر قرطبة، وهشام وأبو أيوب هذا غائبان، وَكَّلَ ابنه عبد الله المعروف بالبَلَنْسي، وقال: مَنْ سبَق إليك من أخويك، فازم إليه بالخاتم، فإن سَبَق إليك هشام، فله فضل دينِه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، فإن سبق إليك سليمان، فله فضل دينهِ ونجْدته، وحبُّ الشاميين له. فقدم هشام من مارِدة، وتولّى الخلافة قبل سليمان. واتصل ذلك بسليمان، فأخذ لنفسه البيعة بطُليطلة، وما اتصل بها، ودعا إلى نفسه، وواضع أخاه الحرب غير ما مرة، تجري عليه في كلها الهزائم، إلى أن تبرَّم بنفسه، وأجاز البحر عن عهد إلى ستين ألفًا بُذلت له، واستقرَّ بأهله وولده ببلاد البربر. ولما صار الأمر للحَكم بن هشام، عاد إلى الأندلس سنة اثنتين وثمانين ومائة، وكان اللقاءُ في شوال منها، فانهزم سليمان، ثم عاد للّقاءِ فانهزم. وفي سنة أربع وثمانين[٢] حشد واحتلَّ بجيَّان ثم بإلبيرة، والتقى بها معه الحكَم، ودام القتال أيامًا حتى همّ الحكم بالهزيمة، ثم انهزم سليمان وقتل في المعركة بَشرٌ كثير، وأفلت سليمان إلى جهة مارِدة. وبالتقاءِ الحكم وعمّه سليمان بإلبيرة وأحوازها استحقّا الذكر هنا على الشرط المعروف.

وفاته: وبعث الحكم أصْبغ بن عبد الله في طلب سليمان، فأسره وأتاه به، فأمر بقتله، وبعث برأسه إلى قرطبة. قتل في سنة خمس وثمانين بعدها[٣].

سعيد بن سليمان بن جودي السَّعْدي[٤]

حاله: كان سعيد بن سليمان صديق سوَّار، فغصبت العرب الإمارة به بعده، وعلِقت به، فقام بأمرها وضمَّ نَشْرها، وكان شجاعًا بطلًا، فارسًا مجرِّبًا، قد تصرف

---

(١) ترجمة سليمان بن الحكم في البيان المغرب (ج ٢ ص ٦١، ٧٠) والكامل في التاريخ (ج ٦ ص ١٦٨) والمغرب (ج ١ ص ٣٩، ٧٠) و(ج ٢ ص ١٢٤، ٢٤٦) ونفح الطيب (ج ١ ص ٣٢٣) و(ج ٤ ص ٢٢).

(٢) أي: في سنة أربع وثمانين ومائة.

(٣) كذا جاء في الكامل في التاريخ (ج ٦ ص ١٦٨). وفي البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٠): قتل سليمان سنة ١٨٤ هـ.

(٤) ترجمة سعيد بن سليمان بن جودي في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٥٤) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٨٣) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٧، ٣١) وجذوة المقتبس (ص ٢٢٩) وبغية الملتمس (ص ٣٠٧).

مع فروسيته في فنون من العلم، وتحقق بضروب من الآداب، فاغتدى أديبًا نحريرًا، وشاعرًا مُحسنًا، واتصل قيامه بأمر العرب إلى أن قُتل.

شعره: ومن شعره في وقيعة سوّار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة: [الخفيف]

قد طلبْنا بثأرنا فقَتَلْنا ... منكمُ كلَّ مارقٍ وعنيدِ
قد قتلْناكُمُ بيحيىٰ وما أنْ ... كان حُكْمُ الإلٰهِ[1] بالمردودِ
هِجْتُمُ يا بني العَبِيد لُيُوثًا ... لم يكونوا لجارهِمْ بقُعودِ
فاصطلوا حَرَّها وحَدَّ سيوفٍ ... تتلظَّى[2] عليكُمُ بالوقود
حاكمٌ ماجدٌ يقودُ إليكمْ ... فِئةً سادةً كمثل الأُسود
ورئيسٌ[3] مهذَّبٌ من نزار ... وعميدٌ ما مثله من عميد
يطلب الثأر بابن قوم كرام ... أُخذوا بالعهود قبل المُهود
فاستباح الحمى فلم[4] يُبْقِ منها ... غير عانٍ وفَقْده[5] المَضْفُودِ
قد قتلنا منكمْ أُلوفًا فما يَعْـ ... ـدل قَتْل الكريم قتل العَبِيد
مثَّلوه لمّا أضاف إليهمْ ... لم يكن قتله برأيٍ سديد
قَتَلَتْه عبيدُ سوءٍ لئامٌ ... وفِعال العبيد غير حميد
لم يصيبوا الرشاد فيما أتوه ... لا ولا كان جَدُّهُمْ لسعود
قد غَدَرْتُمْ به بني اللؤم من بَعْـ ... ـدِ يمينٍ قد أُكِّدَتْ وعهود
فلئن كان قتله غَدْرةً ما ... كان بالنِّكْس لا ولا الرِّعْديد
كان ليثًا يحمي الحروب وحِصْنًا ... وملاذًا وعصمة المقصود
كان فيه التُّقى مع الحلم والبأْ ... س وجُودٌ ما مثله من[6] جود
عالَ مَجْدُ الأمجاد بَعْدَكُمُ[7] ... وقديمًا، وفُتَّ كل مجيد
فجزاك الإلٰهُ جنةَ عَدنٍ ... حيث يَجْزي الثوابُ كلَّ شهيد

(١) في الأصل: «الله»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تلظّى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) كلمة «ورئيس» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «لم»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «فقدُه مصفود»، وكذا ينكسر الوزن.
(٦) كلمة «من» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٧) في الأصل: «بعدك قديمًا...»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

مقتله: قال الملّاحي: كان من الأعلام، وعُدَّ في الشعراءِ والفرسان والخطَباءِ والبلغاءِ، خطب بين يدي الخليفة[١] المنذر، وهو حَدثٌ، أول ما أَفْضَت الخلافة إليه، وعليه قباءُ خزٍّ، وقد تنكّب قَوْسًا عربية، والكنانة بين يديه. خطب خطبة بليغة، وصلها بشِعر حسن، ولم يزل اللّواء يتردد عليه في العزّ والمُقام، ويخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع بإلبيرة. وسجل له الخليفة[٢] عبد الله على الكورة، إلى أن همّ بالقيام على بني أُمية عندما اشتدّت شكيمته، وظهر على عمر بن حفصون إلى أن قتل بسبب امرأة، تمت عليه الحيلة لأجلها بدار يهودية، إذ كان منحطًا في هوى نفسه، فطاح في ذي قعدة سنة أربع وثمانين ومائتين[٣]، وصار أمر العرب بعده إلى محمد بن أضحى، حسبما يتقرّر في مكانه.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ابن مالك الأزدي[٤]

صدر هذا البيت، وياقوتة هذا العِقد، يكنى أبا الحسن. قال أبو جعفر بن مسعدة: كان رأس الفقهاءِ وخطيب الخطباءِ البلغاءِ، وخاتمة رجال الأندلس. تفَنَّن في ضروب من العلم، وبالجملة فحاله ووصفه في أقطار الدنيا، لا يُجْمله أحد، فحدِّث عن البحر ولا حرج، ضنَّ الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله.

---

(١) هو المنذر بن محمد، وكان أميرًا وليس خليفة، وقد حكم الأندلس من سنة ٢٧٣ هـ إلى سنة ٢٧٥ هـ.

(٢) هو الأمير عبد الله بن محمد، الذي حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ. واستعمال ابن الخطيب تعبير «الخليفة» ليس في محلّه؛ لأن الخلافة في الأندلس أول من تلقّب بها هو عبد الرحمٰن الناصر، وذلك في عام ٣١٦ هـ.

(٣) جاء في جذوة المقتبس (ص ٢٢٩) وبغية الملتمس (ص ٣٠٧) أن سعيد بن جودي كان في عهد عبد الرحمٰن الناصر. والمعروف أن الناصر حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ.

(٤) ترجمة سهل بن مالك في رايات المبرزين (ص ١٤٩) والتكملة (ج ٤ ص ١٢٥) والمغرب (ج ٢ ص ١٠٥) واختصار القدح المعلّى (ص ٦٠) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠١) والوافي بالوفيات (ج ١٦ ص ٢٣) وبغية الوعاة (ص ٢٦٤) وزاد المسافر (ص ٩٦) وبرنامج شيوخ الرعيني (ص ٥٩) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٢٧) و(ج ٥ ص ١٣٩، ١٥٧).

حاله: قال ابن عبد الملك[(١)]: كان من أعيان مِصْرِه، وأفضل أهل[(٢)] عصره، تفنُّنًا في العلوم، وبراعة في المنثور والمنظوم، محدِّثًا ضابطًا، عَدْلًا ثقة ثبتًا، حافظًا للقرآن العظيم، مجوِّدًا له، متقنًا[(٣)] في العربية، وافر النصيب من الفقه وأصوله، كاتبًا، مجيدًا[(٤)] للنظم في مُعْرب الكلام وهزله[(٥)]، ظريف الدعابة، مليح التَّنْدير. له في ذلك أخبار مُسْتَظرفة[(٦)] مُتَناقلة، ذا جِدَةٍ ويسار، متين الدين، تام الفضل، واسع المعروف، عميم الإحسان، تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله ورباعه، وله وفادةٌ على مراكُش.

مشيخته: روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس، وخال أُمّه أبي بكر يحيىٰ بن محمد بن عروس[(٧)]، وأبي جعفر بن حَكَم، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي خالد بن رفاعة، وأبي محمد عبد المنعم بن الفَرَس. وبمالقة عن أبي زيد السُّهيلي، وأبي عبد الله بن الفخار. وبمرسية عن أبي عبد الله بن حُميد، وأبي القاسم بن حُبيش. وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجَدِّ، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبوي عبد الله العباس بن مضاء، والجراوي الشاعر، وأبي الوليد بن رشد. قرأ عليهم وسمع، وأجازوا له. وأجاز له من أهل الأندلس أبو محمد عبد الله نزيل سبتة، وعبد الحق بن الخراط، نزيل بجاية. ومن أهل المشرق جماعة، منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم الجراوي، وبركات بن إبراهيم الخُشُوعي أبو الطاهر، وعبد الرحمٰن بن سلامة بن علي القضاعي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

مَن روى عنه: روى عنه أبو جعفر بن خَلَف، والطُّوسي، وابن سعيد القزاز، وأبو الحسن العَنْسي، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري، وابن الجنّان، وأبو محمد عبد الرحمٰن بن طلحية، وأبو محمد بن هارون، وأبو القاسم بن نبيل، وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عِقاب، وأبو جعفر الطَّباع، وأبو الحجاج بن حَكَم، وأبو الحسن الرُّعَيني، وأبو علي بن النَّاظر، وغيرهم.

ثناءُ الأعلام عليه: والمجال في هذا فسيح، ويكفي منه قول أبي زيد الفزاري: [مجزوء الرمل]

عجبًا للناس تاهُوا بثَنيَّاتِ المسالكْ

---

(١) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٢ ـ ١٠٣). وانظر أيضًا: بغية الوعاة (ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٢) في الذيل والتكملة: «وأفاضل عصره». (٣) في المصدر نفسه: «متقدّمًا».
(٤) في المصدر نفسه: «النظم». (٥) في المصدر نفسه: «وهَزليّه».
(٦) في المصدر نفسه: «مستطرفة».
(٧) ترجمة أبي بكر يحيىٰ بن محمد، المعروف بابن عروس، في التكملة (ج ٤ ص ١٨١).

وَصَفوا بالفضل قومًا وهُمُ ليسوا هُنالكْ
كثر النَّقْلُ ولكنْ صحَّ عن سهل بن مالكْ

شعره: وشعره كثير مما ينخرط في سِلْك الجيد، فمن ذلك قوله: [الطويل]

نهارُك في بَحْر السَّفاهة يسبحُ وليلُك عن نوم الرَّفاهة يُصْبحُ
وفي لفظك الدَّعوى وليس إزاءَها من العمل الزَّاكي دليلٌ مُصَحَّحُ
إذا لم توافقْ قوْلةً منك فِعلةً ففي كل جزءٍ من حديثك تَفْضَح
تَنَحَّ عن الغايات لسْتَ مِنَ أهلها طريقُ الهُوَينا في سلوكك أوْضَح
إذا كنت في سنّ البنا غير صالح ففي أيِّ سِنٍّ بعد ذلك تَصْلُح؟
إلى كم أُماشِيها على الرَّغم غاية يُصيب المُزَكَّى عندها والمُجَرَّح
عليها(١) ألا تَني وتنْوي فتحسن في عين الشَّباب(٢) وتُقْبَح
عسى وَطَرٌ مُوقًى(٣) فألْتَمِسُ الرِّضا وأقْرَعُ أبوابَ الرَّشادِ فتَفْتح
فقد ساءَ ظنِّي بالذي أنا أهْلُه وفضلك يا مولاي يعفو ويصفح

وقال في تشييع بعض الفقهاءِ من غرض الأمداح: [البسيط]

يَلْقاك من كل مَن يلقاك ترحيب ومن خَليفتها عزٌّ وتَقْريبُ
وتصطفيك إلى أحوازها رتب لها على مَفْرِق الجَوْزاءِ ترتيبُ
تأتي إليك بلا سَعْي بلا سبب كأنَّ تَرْكَك للأسباب تَسْبِيب
من كلِّ مشغوفةٍ بالحسن دام لها إلى غِنائك تَصْعيد وتَصْويب
يَلْقاك بالبشر والإقبال خاطِبُها وحظُّها منك إعراض وتَقْطيب
ما زلْتَ ترغبُ عنها وهي راغبة كأنَّ زهدك فيها عنك تَرْغيبُ
فانهضْ إليها فلو تَسْطيعُ(٤) كان لها إلى لقائك إرجاءٌ وتقريبُ
يحيىٰ وتحيى فلِلْباغي مواهبُها عذب الزُّلال وللباغين تَعْذِيب
سارت على العدل والإحسان سيرتها حتى تَلاقى عليها الشَّاةُ والذِّيب
لم تُصْبِها لذّةُ الدنيا وزَخْرَفُها ولا سَبَتْها المطايا والجلابِيب

---

(١) في الأصل: «وعليها ألّا تنو ولا تني...»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «الشيبان»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «مونق» وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «تستطيع»، وكذا ينكسر الوزن.

إذا أهمَّ بني الدنيا نَعيمُهُمُ فهَمُّها البيضُ والجُرْد السَّلاهِيب
فوق الكواكب مضروبٌ سُرادقها منها⁽¹⁾ على أُفُق الأفلاك تَطْنِيب
كَرَعْتَ في ظلِّها الصافي بِسَلْسلها كأنها لك في المشروب شرِّيب
في قِبْية من بني الآمال قد قرعتْ سهمٌ إلى طلب العليا طبابيب
إذا حَضَرْنا طعامًا فَهْوَ⁽²⁾ مأدُبَة وإن سمعْنا كلامًا فَهْوَ تأديب
ومن يَلُذْ بأبي إسحٰقَ كان له أعلاقُ مالٍ وأغلاقٌ وتهذيب
يا مالكَ⁽³⁾ السِّرِّ من قلبي ويا ملكًا إن ناب خطب فمن جدواه تأنيب
هَبِ القرارَ لآمالٍ مُسافرة وقد أضرَّ بها بُعْدٌ وتَغْريبُ
ففي يمينك وهّابًا ومنتظمًا بَسْطٌ وقَبْضٌ وترغيبٌ وترهيبُ
وما يُصرّ كِتابًا راق مَنْظَره إن ناله من تُراب الأرض تَتْريب
لك السِّيادة لا يُلْقى لسؤددها مثْلٌ وإن طال تَنْقِيرٌ وتَنْقيب
عزمٌ كحدِّ سِنان الرُّمْح يصحبه عدل كما اعتدلَتْ فيه الأنابيب
كمال نفسك للأرواح تَكْمِلة وذكر فضلك للأرواح تَشْبيب
وعَرْفُ ذاتك كافٍ في تعرُّفنا بنفحة الطِّيب يَدْري أنَّه طِيب
إذا ذُكِرْتَ فللأشعار مضطرب رحب المجال وللألحان تَطْريب
سِرْ حيث شئتَ مُوَفًّى من مكارمها يَهابك الدهر والشُّبان والشِّيب
في غُرَّةٍ تخلقُ الأيامُ جِدَّتها لها على أُفُق الأملاك تَطْنيب

ومن نمط النَّسيب والأوصاف قوله وهو بسبتة بعد وصوله من مراكش، وهو مما طار من شعره⁽⁴⁾: [الكامل]

لمّا حططْتُ⁽⁵⁾ بسبتةٍ قَتَبَ⁽⁶⁾ النوى والقَلْبُ يَرْجو أن تُحَوِّلَ⁽⁷⁾ حالَهُ
والجَوُّ مصقولُ الأديم كأنما يُبْدي الخفيَّ من الأُمور صِقالُهُ

---

(١) كلمة «منها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «فهي»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «يا ملذُ»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) الأبيات عدا البيت الثاني، في رايات المبرزين (ص ١٤٩) واختصار القدح المعلى (ص ٦٢). ووردت كلها في نفح الطيب (ج ٥ ص ١٥٨) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٦).
(٥) في رايات المبرزين واختصار القدح: «لمّا أَنَختُ».
(٦) القتب: إكاف البعير، وقد استعاره الشاعر للنوى تخييلًا.
(٧) في النفح: «أن يحوّل».

عاينت[١] مِنْ بَلَدِ الجزيرة مَكْنِسًا[٢] والبَحْرُ يَمْنَعُ أن يُصادَ غزالُهُ
كالشَّكل في المرآة تُبْصره وقد قَرُبَتْ مسافَتُهُ وعَزَّ مَنالُهُ

ومن شعره قوله، رحمه الله: [الطويل]

تَبَسَّمَ واستأثرْتُ منه بقُبلة فشِمْتُ أقاحًا وارتشفْتُ عُقارا
ومرَّ فأيدي الريح ترسل شَعْره كما ستر الليل البَهيم نهارا
فيا لك ليلًا بالكثِيب قطعته كما رُعت بالزَّجر الغُراب فطارا
تُغصُّ بنا زُهْرُ الكواكب غَيْرةً فتقدح في فَحْم الظلام شرارا

ومن ذلك قوله[٣]: [الطويل]

ولمّا رأيتُ الصُبْحَ هَبَّ نسيمُهُ دعانيَ داعِيه إلى البَيْن والشَّتِّ[٤]
وقلت[٥]: أخاف الشمسَ تفضح سرَّنا فقالت: معاذ الله تَفْضَحُني أُخْتي[٦]

ومن الحكم وأبيات الأمثال قوله، رحمة الله عليه[٧]: [البسيط]

مُنَغَّص العيش لا يأوي إلى دَعَةٍ مَنْ كان ذا[٨] بلد أو كان ذا ولدِ
والسَّاكنُ النَّفْسِ من لم تَرْضَ هِمَّتُهُ سُكْنى مكانٍ ولم تَسْكُن[٩] إلى أحدِ

ومن شعره[١٠]:

ولا مِثْلَ يومٍ قد نَعِمْنا بحُسْنه مُذهَّبِ أثناءِ المروجِ صَقيلِ
إلى أنْ بَدَتْ شمسُ النهار تَرُوعنا بسيرِ صحيحٍ واصفرارِ عليلِ
ولا توارتْ شمسه بحجابها وأذَّن باقي نورها برحيل

(١) في الأصل: «عانيت» والتصويب من المصادر الأربعة.
(٢) في الأصل: «مسكنًا» والتصويب من المصادر الثلاثة. والمكنس: مسكن الظبي.
(٣) البيتان في اختصار القدح المعلى (ص ٦٢) ورايات المبرزين (ص ١٥٠).
(٤) ورد في رايات المبرزين مكان هذا البيت البيت التالي:
ولمّا بدا ضوءُ الصباح رأيتُها تُنَفِّضُ رَشح الطَّلِّ عن ناعمٍ صَلْتِ
(٥) في المصدرين: «فقلت».
(٦) في الأصل: «أختِ» والتصويب من اختصار القدح.
(٧) البيتان في بغية الوعاة (ص ٢٦٥) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٢٧) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٤).
(٨) في الذيل والتكملة: «في بلدٍ». (٩) في النفح: «لم يَسْكن».
(١٠) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٧).

وغابتْ فكان الأُفْقُ عند مغيبها ... كَقَلبيَ مُسْوَدًّا[١] لفَقْد خَليلي[٢]
أتانا بها صفراءَ[٣] يسطع نورُها ... فمزّقَ سِرْبالَ الدُّجى بِفَتيل
فردَّت علينا شمسَنا وأصيلَنا ... بمُشَبَّه شمسٍ في شَبيه أصيل

ومن نثره قوله يخاطب بني أبي الوليد بن رشد، تعزيةً في أبيهم، واستفتحه بهذه الأبيات[٤]: [الطويل]

ألا ليت شِعري، هل لطالبِ غايةٍ ... وصولٌ وأحداثُ الزمان تعوقُهُ؟
مضى عَلَمُ العِلْم الذي بِبَيانه ... تَبَيَّنَ خافيه وبانَ طريقُهُ
أخلّايَ[٥]، إنّي من دموعي بزاخر ... بعيدٍ عن الشَّطَّين منه غَريقُهُ
وما كان ظنّي قبل[٦] فَقْدِ أبيكم[٧] ... بأنَّ مُصابًا مثلَ هذا أُطيقُه
ولم أدرِ مَن أشقى الثلاثةِ بعده ... أأبناؤه[٨] أم دَهْرُه أم صديقُهُ؟
ومَنْ شاهَدَ الأحوالَ بعد[٩] مماته ... تيقّن[١٠] أنَّ الموتَ نحن نَذُوقُهُ
رُجوعًا إلى الصَّبْر الجميل فَحَقُّه ... علينا قضى أن لا تُوفَّى[١١] حُقوقُه
أُعزّيكُمُ في البُعْد عنه[١٢] فإنني ... أُهنّيه قُرْبًا من جوارٍ يَرُوقُهُ
فما كان فينا منه إلّا مكانه ... وفي العالَم العُلْويّ كان رفيقُه

إيهٍ[١٣] عن المدامع، هلّا تَلا انحدارَ الدّمعة انحدارُها؟ والمطامع هل ثَبَتَ[١٤] على قُطْبِ مدارُها؟ والفجائع أغَيْرُ دارِ بَني رُشْدٍ دارُها؟ فإنه حديث أتعاطاه مُسْكِرًا، وأستريح الله مُفكِرًا، وأبثّه باعثًا على الأشجان مذكرًا، ولا أقول كفَى، وقد ذهب الواحِدُ[١٥] الذي كنت تَتَلافى، ولا أستشعر صبرًا، وقد حلَّ نور العِلْم قَبْرًا، بل أُغْرِق

(١) في الأصل: «مُسْوَدٌ»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الأصل: «خليل»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٣) في الأصل: «صِفْرًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في اختصار القدح (ص ٦٣) أن الأبيات قيلت في رثاء القاضي أبي الوليد بن رشد. وقد ورد في المصدر المذكور فقط ستة أبيات. ووردت كلها في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٢١).
(٥) في الأصل: «أخلائي» وهكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الذيل والتكملة: «بعد».
(٧) في اختصار القدح: «فقد جلاله».
(٨) في الأصل: «أبناؤه» وهكذا ينكسر الوزن.
(٩) في اختصار القدح: «عند».
(١٠) في المصدر نفسه: «تبيّن».
(١١) في اختصار القدح: «ألّا تؤدّى».
(١٢) في الذيل والتكملة: «منه».
(١٣) النص في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٢١ ـ ١٢٤).
(١٤) في الذيل والتكملة: «والمطامع أثبَتَ».
(١٥) في المصدر نفسه: «الواحد أرى به ألفًا، ولا صبرًا، وقد أُسْكِنَ العالم قبرًا، بل أغري الأجفان=

الأجْفان بمائها، وأستَدعي الأحزان بالشَّهير من أسمائها، وأستوْهب الأشجان غَمرة غمائها. ثم أتهالك تَهالُك المجنون، وأستجير من الحياة بريْب المَنون، وأُنافِر السُّلوة[١] منافرةَ وسْواس الظُّنون، ولا عَتَب، فإذا خامر الوالِهَ جزَعُه، فإلى نُصْرة المدامع مَفْزَعُه[٢]، وإذا ضَعُف احتماله، فإلى غَمْرة الإغماءِ مآلَهُ، ومن قال: إنَّ[٣] الصبر أولى، ولِّيتُهُ من ذلك ما تولَّى. أما أنا فأسْتَعيد من هذا المُقام وأسْتَغفيه، وأُنَزِّه نفس الوَفاء عن الحُلول فيه، فإنه متى بقي للصَّبر مكان، ففي محلّ الحُزن لقَبُول ما يقاومه إمْكان، وقد خان الإخاءَ وجُهل الوفاء، مَنْ رام قلبه السُّلُوَّ، وألِفَتْ[٤] عينُه الإغْفاء. هو الخَطْبُ الذي نقى[٥] الهُجود، وألزم أعْيُن الثَّقلين أن تجود[٦]، وبه أعْظَم الدهرُ المصاب، وفيه أخطأ سهم المَنِيَّة حين أصاب. فحقُّنا أن نتجاوز الجُيوب إلى القلوب[٧]، وننقلب[٨] إذا غالبنا الحزن بصفقة[٩] المغلوب، وإذا كان الدهر السَّالب فلا غضاضة على المستريح لأنه[١٠] المَسْلوب. أستغفر الله، فقد أتَذكَّر[١١] من مَفقُودنا، رضي الله عنه حِكمه، وأشاهد[١٢] بعين البصيرة شِيمَه[١٣]، فأجدهما يكُفَّان من واكفِ الدمع دِيَمه، ويقولان: الوَلَهُ عند مماسة المصاب[١٤]، ومزاحمة الأوصاب، أمرٌ إنْ وقَع، فقد ضَرَّ فوق ما نفع، فإنه لا ألَمَ الحزْن شَفاه، ولا حقَّ المصيبة وفَّاه، ولا الذَّاهب الفائت اسْتَرْجعه وتلافاه، فربما جَنَحت إلى الصَّبر لا رغبة فيه، بل إيثارًا لِمَقصِده وتشيُّعًا لتصافيه، فأسْتَرْوح رائحة السُّلو، وأنْحَطُّ قاب قوسين[١٥] أو أدنى عن سِدْرة ذلك العُلو، وأقف بمقام الدَّهَش بين معنى الحزن

= من مائها...».

(١) في الذيل والتكملة: «السلوّ منافرة اليقين لوساوس الظنون».

(٢) في المصدر نفسه: «فزعه».

(٣) كلمة «إن» ساقطة في الذيل والتكملة.

(٤) في الذيل والتكملة: «أو ألِفَتْ».

(٥) في الأصل: «يقي» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) قوله: «أن تجود» ساقط في الأصل، وقد أضفناه من الذيل والتكملة ليكتمل المعنى وتكتمل السجعة.

(٧) في الذيل والتكملة: «القلوب إلى الجيوب».

(٨) في الأصل: «ونتغلّب» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٩) في الأصل: «بصفة» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٠) قوله: «المستريح لأنه» ساقط في الأصل، وقد أضفناه من الذيل والتكملة.

(١١) في الأصل: «قفا نتذكر» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٢) في الأصل: «ونشاهد»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٣) في الأصل: «سيمه» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٤) في الأصل: ويقولون: «عندي آسّه المصاب»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٥) في الذيل والتكملة: «قوس».

المستحكم ولفظ العزاء[١] المتلوّ. فأبكي بُكاء النساءِ، وأصبر صبر الرؤساءِ، وأحْرُز[٢] رَزايا الفضلاء، بفضل[٣] رزايا الأخسَّاءِ، موازنة بين[٤] هذا الوجود، وبخل يتعاقب على محل الجُود[٥]. فالدهر يسترجع ما وهَب، كان الصُّفر[٦] أو الذَّهب. وإذا تحقَّق عدم ثباته، وعدم[٧] استرجاعه لجميع هِباته، كان[٨] المتعرِّض لكثيره، محلّا لتأثيره. فلا غرو أن دَهَمكم الرُّزءُ، مورد[٩] الفلك الدَّابر[١٠] منه الجزء، فطالما بتّم تُرضِعكم الحكمة أخلافَها، وتهبكم الخلافةُ آلافها، وتؤملكم[١١] الأيام خلافَها. وإذا صَحِيت[١٢] العقول، وضنَّ بما لديه المعقول، وصارت الأذهانُ إلى حيث لا تتصوَّر والألسنة[١٣] بحيث لا تقول، وردتم مَعينًا، ووجدتم مُعينًا، وافْتَضَضْتُموها كمثل[١٤] اللؤلؤ المكنون صُورًا[١٥] عينًا. أظننتم أن عين الله[١٦] تنام، أم رُمْتم أن يكون صرحًا إلى إلٰه موسى ذلك السَّنام؟ لشدّ ما شيَّدتم[١٧] البناء، وألزمتم اتِّباع الأب الأبناءَ[١٨]، حتى غَرِق الأول في الآخر، وصار السَّلف على ضخامته أقلَّ المفاخر. ومن عَلَتْ في علاها[١٩] قَدَمُ ترقِّيه، ولم يُصبْ[٢٠] بكماله عينًا[٢١] يحفظ من عين العلن ويقيه، فكثيرًا ما يأتيه محذورُه من جهة توقِّيه. هذا أبوكم، رضي الله عنه، حين استكمل، فعرف[٢٢] الضَّارَّ والشَّافي، وتعذَّرت صفات كماله على الحرف النَّافي، فيا[٢٣] للهِ لفظةَ أُواليها، وأُتبِعها زفرة تَليها، لقد بَحَثَت الأيام عن حَتْفها بِظِلفها، وسَعَت على قدمها إلى رغم أنفِها، [حين أتلفت الواحدَ يزنُ مائةَ ألفها][٢٤]، فمن لبثُ الوصل

(١) في الأصل: «القرا» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الذيل والتكملة: «وأجد». (٣) في المصدر نفسه: «تفضل».
(٤) في المصدر نفسه: «في».
(٥) في الأصل: «ونحل تتعاقب على نحل الجود»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الأصل: «الصفراء» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٧) في الذيل والتكملة: «وعلم». (٨) في المصدر نفسه: «صار».
(٩) في الذيل والتكملة: «يؤود». (١٠) في المصدر نفسه: «الدائر».
(١١) في المصدر نفسه: «وتؤمنكم». (١٢) في المصدر نفسه: «ظمئت».
(١٣) في الأصل: «الألسنة» والتصويب من الذيل والتكملة.
(١٤) في الذيل والتكملة: «كأمثال». (١٥) في المصدر نفسه: «حورا».
(١٦) في المصدر نفسه: «الدّهر». (١٧) في المصدر نفسه: «شدتم».
(١٨) في المصدر نفسه: «اتباع الأبناء الكرام الآباء».
(١٩) في المصدر نفسه: «علوها». (٢٠) في المصدر نفسه: «ولم يُطِفْ».
(٢١) في المصدر نفسه: «عينًا يحفظه من عين العائن ويقيه».
(٢٢) في المصدر نفسه: «تعرَّف». (٢٣) في المصدر نفسه: «فإنّا».
(٢٤) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من الذيل والتكملة.

ولرعي[١] الوسائل، وإلى مَن يُلْجأ في مُشكلات المسائل؟ ومَن المجيبُ إذا لم يكن المسؤول بأعلم من السَّائل؟ اللّهم صَبِّرْنا على فقد الأُنْس بالعِلم، وأدِلْنا من حُفُوف الوله بوقار الحلم، وأخْلِفه في بنيه وعامة أهليه، بشبيه ما أوليته في جوارك المقدس وتُولِّيه. وإليكم أيها الإخوة الأولياء، والعِلْيةُ الذين عليهم قُصِرَتِ العلياء، أعتذر من اتخاذ[٢] الشيءِ من الكلام بنقصه[٣] الأشياء. فقد خان في هذا الزمان[٤]، حتى اللسان، وفُقِدَ منه حتى الحسان[٥]، وليس لتأبين محمد ﷺ، إلَّا حسَّان، فالعذرُ مُنفسحُ المجال، وإلى التقصير في حقِّ رُزْئكم الكبير نصير[٦] في الرَّوية والارتجال. ولذلك عدلت إلى الإيجاز، واعتقدْتُ في[٧] إرسال القول في هذا الموضع ضربًا من المجاز، ومُبْلِغُ النفسِ عُذْرَها مع العجز كالصَّائر[٨] للإعجاز. وأما حسن العزاءِ، على تعاقُب هذه الأرزاءِ، فأمرٌ لا أهبه بل أسْتَجديه، ولا أُذكركم به ونَفْسُ صبركم متوغلة فيه، فسواكم يُلْهَمُ للإرشاد[٩]، ويُذَكَّر بطرقِ الرشاد، جعل الله منكم لآبائكم خَلَفًا، وأبقى منكم لأبنائكم سَلَفًا، ولا أراكم[١٠] الوجودَ بعده تَلَفا. والسلام[١١].

محنته: امتُحن، رحمه الله، بالتَّغريب عن وطنه، لبغْي بعض حَسَدته عليه، فأُسكن بمرسية مدَّة طويلة، إلى أن هلك بألمرية الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة. فسُرِّح أبو الحسن بن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة.

ومن شعره في ذلك الحال مما يدلّ على بعد شأوه ورفعة همته، قوله[١٢]: [الطويل]

أُدافعُ هَمّي[١٣] عن جوانب هِمَّتي وتأبى همومُ العافين عن[١٤] الدَّفعِ

---

(١) في الذيل والتكملة: «ورعي».
(٢) في المصدر نفسه: «إيجاد».
(٣) في المصدر نفسه: «تنقصه».
(٤) في المصدر نفسه: «الزمن».
(٥) في المصدر نفسه: «وفقد حتى منه الإحسان».
(٦) في المصدر نفسه: «مصير ذي الروية...».
(٧) كلمة «في» ساقطة في الذيل والتكملة.
(٨) في الأصل: «كالصابر»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٩) في الذيل والتكملة: «إلى الإرشاد».
(١٠) في الأصل: «ولا لد لكم» والتصويب من الذيل والتكملة.
(١١) في الذيل والتكملة: «تلفا، بمنّ الله وكرمه، والسلام».
(١٢) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٤) وبرنامج شيوخ الرعيني (ص ٦١).
(١٣) في الأصل: «الدمع همى»، وكذا ينكسر الوزن، والمعنى لا يتلاءم مع السياق.
(١٤) في الذيل والتكملة: «على».

وألتمس العُتْبى وحيدًا وعاتبي[١] وصَرْفُ الليالي والحوادث في جَمْع
وإنّيَ من حزمي وعزمي[٢] وهمتي وما رُزِقْتُه النَّفْسُ مِنْ كرم الطَّبْع
لفِي مَنْصِبٍ تعلو السماءَ سِماتُه فتَثْبُتُ[٣] نورًا في كواكبها السَّبع
غلا صرف دهري إذ علا فإذا به ترابٌ لنَعْلي أو غبارٌ على شسْعي[٤]
تدرَّعْتُ بالصبر الجميل وأجْلَبَتْ صروف الليالي كي تمزِّق لي درعي[٥]
فما ملأتْ قلبي ولا قبضتْ يدي ولا نَحتَتْ أصلي ولا هَصَرَتْ فرعي[٦]
فإن عَرَضَتْ لي لا يفوه بها فمي وإن زَحَفتْ لي لا يَضِيق بها ذَرْعي[٧]

وفي هذه الأبيات تأنيث السَّبعة الكواكب، وحكمها التَّذكير، وذلك إما لتأويل بعد أو غفلة، فلينظره. قال أبو الحسن الرعيني: ودخلت عليه بمرسية، وبين يديه شمَّامة زهر، فأنشدني لنفسه[٨]: [الطويل]

وحاملِ طيبٍ لم يُطَيَّبْ بطيبه ولكنه عند الحقيقة طِيبُ
تَألَّفَ من أغصانِ آسٍ وزهرةٍ[٩] فمن صِفَتيه زاهرٌ ورَطيبُ
تعانقتِ الأغصانُ فيه كما التقى حبيبٌ على طول النَّوى وحبيبُ
وإن الذي أدناه دون[١٠] فراقه إليَّ كبيرٌ[١١] في الوجود عجيبُ
مناسبةٌ للبَيْنِ كان انتسابها وكلُّ غريب للغريب نَسيب
فبالأمس في إسحاره[١٢] وبداره وباليوم في دار الغريب غريب

---

(١) في الأصل: «وغايتي» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الذيل والتكملة: «من عزمي وحزمي».
(٣) في الأصل: «فيثبت» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الأصل: «سبع»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٥) في الأصل: «درع» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الأصل: «فما ملئتُ... ولا لحمْتُ... ولا حضرت فرع»، وهكذا ينكسر الوزن، والمعنى مضطرب، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٧) في الأصل: «ذرع» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٨) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٤) وبرنامج شيوخ الرعيني (ص ٦٢).
(٩) في الأصل: «تألف من أغصان زهره»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٠) في المصدرين: «بعد».
(١١) في المصدرين: «كِبْرٌ».
(١٢) في المصدرين: «أشجاره».

تواليفه: صنَّف في العربية كتابًا مفيدًا، رتَّب الكلام فيه على أبواب كتاب سيبويه. وله تعاليق جليلة على كتاب المُسْتصفى في أُصول الفقه، وديوان شعر كبير. وكلامه الهزلي ظريف شهير.

مولده: عام تسعة وخمسين وخمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة. وزعم ابن الأبّار(١) أن وفاته كانت سنة أربعين وستمائة، وليس بصحيح(٢). ودفن بمقبرة شقستر. قال ابن عبد الملك(٣): وكان كريم النفس، [فاضل الطبع، نزيه الهمّة](٤)، حصيف الرأي، شريف الطباع، وجيهًا، مبرورًا، معظّمًا عند الخاصة والعامة.

من رثاه: ممن كتب إلى بَنيه يُعزّيهم في مصابهم بفقده، ويحضّهم على الصبر من بعده، تلميذه الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن الجنّان(٥): [الطويل]

دعوني وتِسْكابَ الدموعِ السَّوافك(٦) ... فدعوى(٧) جميلِ الصَّبْرِ دعوةُ آفكْ

أصَبْرٌ جميلٌ في قبيح حوادث ... خَلَعْنَ على الأنوار ثوبَ الحَوالكْ

تنكَّرتِ الدنيا على الدِّين ضَلَّةً ... ومن شِيمة الدنيا تنكُّر فاركْ

فَصَبَّحَنا(٨) حُكْمُ الردى بردائه ... فتِلْك وهذا(٩) هالكٌ في المهالكْ(١٠)

---

(١) التكملة (ج ٤ ص ١٢٦).

(٢) أظنّ أن ابن الخطيب يردّد هنا ما قاله ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٨): وهو: «وليس بشيء».

(٣) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٥).

(٤) ما بين قوسين ساقط في الذيل والتكملة.

(٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٠٨ ـ ١١٤).

(٦) في الأصل: «السوابك» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٧) في الأصل: «فدعوني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «فَضَمَّهما».

(٩) في الأصل: «وهذي»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٠) في الذيل والتكملة: «الهوالك».

عــفــا طَــلَــلٌ مــنــهــا ومــنــه فــأَصْــبَــحــا[١]
شَــريــكَــيْ عــنــانٍ فــي بِــلًى مُــتــدارِكْ[٢]
فــلا بــهــجــةٌ تُــبْــدي[٣] مَــسَــرَّةَ نــاظــرٍ
ولا حُــجَّــةٌ تَــهْــدي مَــحَــجَّــةَ[٤] ســالــكْ
ومــا انــتــظَــمَ الأمْــرانِ إلّا لِــيُــؤذِنــا
بــأمــرٍ دهــا سَــيــرَ الــنــجــوم الــسَّــوابــك[٥]
وإنّ لــمــنــشــور الــوجــودِ انــتــظــاره[٦]
بِــكَــفَّــيْ فــنــاءٍ لــلــفــنــاءِ مُــواشــك[٧]
أمــا قــد عــلــمــنــا والــعــقــولُ شــواهــدٌ
بــأنَّ انــقــراضَ الــعــلــم أصْــلُ الــمــهــالــك
إذا أهْــلــك[٨] اللهُ الــعــلــومَ وأهْــلَــهــا
فــمــا اللهُ لــلــدهــر الــجــهــول بــبــارك[٩]
هــل الــعــلــمُ إلّا الــرُّوحُ والــخــلــقُ جُــثَّــةٌ
ومــا الــجــســمُ بَــعْــدَ الــروح بــالــمــتــمــاسك
ومــا راعــنــي فــي عــالَــم الــكــون حــادثٌ
ســوى حــادثٍ فــي عــالَــمٍ ذي مــدارك
لــذلــك مــا أبــكــي كــأنــي مُــتَــمِّــمٌ[١٠]
أُتــمّــم مــا أبْــقــى الأســى[١١] بَــعْــد مــالــكْ

(١) في الأصل: «فأصبحنا»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الأصل: «غماز في تِلّا متدارك»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٣) في الذيل والتكملة: «تهدي».
(٤) في الأصل: «بحجة» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٥) في الذيل والتكملة: «بأنْ قد دنا نثرُ النجوم الشوابك».
(٦) في الذيل والتكملة: «وأن لمنثور الوجود انطواؤه».
(٧) في الأصل: «يكفى فنّا للفنا بواشك»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٨) في الذيل والتكملة: «أذْهَبَ».
(٩) في المصدر نفسه: «بتارك».
(١٠) في الأصل: «متيَّمٌ» والتصويب من الذيل والتكملة. وهنا إشارة إلى الشاعر متمم بن نويرة وبكائه لأخيه مالك حين قتل في حروب الردّة.
(١١) في الأصل: «لا سمى» وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من الذيل والتكملة.

وسَــهَّــلَ عـنـدي أن أرى الـحـزن مـالـكـي
مـصـابـيَ بـالـفـيَّـاض سـهـلِ بـن مـالـك
إمـامُ هـدًى كُـنَّـا نُـقَـلِّد رأيـه
كـتـقـليـد رأي الـشّـافـعـي ومـالـك
غـمـامُ نَـدّى[1] كـنّـا عـهـدنـا سـمـاحَـه
بـسـاحـل دارات الـعـمـاد الـحـوائـك[2]
أحـقًّـا قـضـى ذاك[3] الـجـلالُ وقُـوِّضَـتْ
مـبـانـي مـعـالٍ فـي الـسـمـاءِ سَـوامِـكْ؟
وأقْـفَـرَ فـي نَـجْـدٍ مـن الـمـجـد رَبْـعُـه
وعُـمِّـرَ قَـبْـرٌ مُـفْـرَدٌ بـالـدَّكـادك؟
وغُـيِّـبَ[4] طـودٌ فـي صـعـيـدٍ بـمَـلْـحَـدٍ[5]
وغُـيِّـضَ بَـحْـرٌ فـي ثـرى مُـتَـلاحِـك[6]
ووارى شـمـسَ الـمـعـارف غَـيْـهَـبٌ
مـن الـخَـطْـب يُـزدي[7] بـالـشُّـمـوس الـدَّوالـك[8]
ألا أيـهـا الـنَّـاعـي لـك الـثُّـكْـلُ لا تَـفُـهْ
بـهـا إنـهـا أمُّ الـدَّواهـي الـدَّواهـك[9]
لـعـلّك فـي نَـعْـي الـعُـلا مـتـكـذِّب
فـكـم مـاحِـلٍ مـن قَـبْـلُ فـيـه ومـاحـك

(١) في الأصل: «سدى» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الذيل والتكملة: «يساجل دَرّات العهاد الحواشك».
(٣) كلمة «ذاك» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٤) في الأصل: «وغبّ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٥) في الذيل والتكملة: «مُلَحَّدٍ».
(٦) في الأصل: «وغيضِ فجرٌ في يدي متلاحك»، والتصويب من الذيل والتكملة: والمتلاحك: المتلاحم.
(٧) في الذيل والتكملة: «يُودي». (٨) الدوالك: المائلة للغروب.
(٩) في الأصل: «بهلك الدواهي الدواهك»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من الذيل والتكملة. والدواهك: التي تدق وتطحن.

فَكَذَّبْهُمُ[١] يا ليت أنك مِثلَهُمْ
تواتُرَ أخبارٍ وصِدقِ مآلكِ
فيا حُسْنَ ذاك القولِ إذْ بانَ كذبُه
ويا قُبْحَه والصِّدقُ بادي المسالكِ
لقد أرْجَفُوا[٢] فيه وقَلْبِيَ راجفٌ
مخافةَ تَصْديقِ الظُّنونِ الأوافِكِ
كأنَّ كمالَ الفضل كان يسُوءهم[٣]
فأبْدَوْا على نقصٍ[٤] هوى مُتهالكِ
كأنهمُ مُسْتَبطئون ليومه[٥]
كما اسْتَبْطأ المصبورُ[٦] هَبَّةَ باتكِ[٧]
كأنهمُ مُستمطرون لعارضٍ
كعارضِ عادٍ للتجلُّد عاركِ
بلى إنهم قد أرْهَصوا لرزيَّةٍ
تُضَعْضِعُ رُكْنَ الصَّابرِ المتمالكِ
فقد كان ما قد أنذروا بوقوعه
فهل بَعْدَهُ للصبر[٨] صَوْلةُ فاتكِ؟
مصابٌ مصيبٌ للقلوب بسهمه[٩]
رمى عن قِسيٍّ لِلَّيالي عواتكِ

---

(١) في الأصل: «يكذبهم» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الأصل: «لمقدار جَفَوا»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٣) في الأصل: «يسومهم»، والتصويب من المصدر السابق.
(٤) في الأصل: «نغصٍ هو متمالك»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من المصدر السابق.
(٥) في الأصل: «يستبطون أيومةٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) قوله: «المصبور هبة» غير وارد في الأصل، وجاء مكانه بياض، وقد أضفناه من الذيل والتكملة.
(٧) في الأصل: «فاتك»، والتصويب من المصدر السابق.
(٨) في الذيل والتكملة: «للدهر».
(٩) في الأصل: «بسيِّد»، والتصويب من الذيل والتكملة.

بَكَتْ حسنها[١] الغَبْراءُ فيه فأسْعَدَتْ
بأدمعها الخضراءُ ذات الحبائك[٢]

على عَلَم الإسلام قامتْ نوادبٌ
بِهُتْنِ مباكٍ أو بِهَتْمِ مضاحك

فمن سُنَّةٍ سَنَّتْ على الرأس تُرْبها
ومَكْرُمةٍ ناحتْ لأكرم هالك

ومن آيةٍ تبكي منوّرَ[٣] صبحها
إذا قام في جَنْح من الليل حالك

ومن حكمة تبكي[٤] لفقد مُفَجِّر
لينْبُوعها السَّلسال في الأرض سالك

فيا أسفي مَن للهوى ورسومه
ومن لمُنِيخٍ عند تلك المَبارك؟

ومَنْ للواءِ الشَّرْع يرفعُ خَفْضَهُ
ويمنعُ من تمزيقه كَفَّ هاتك؟

ومَنْ لِكتاب الله يدرسُ وَحْيَهُ
ويَقْبسُ منه النورَ غير مُتارك؟

ومن لحديثِ المصطفى ومآخذ[٥]
يبيِّنها[٦] في فهمه ومُتارك؟

ومن ذا يُزيلُ اللَّبْس في مُتَشابه
ومن ذا يُزيح الشَّكَّ عن مُتَشابك؟

---

(١) في الذيل والتكملة: «حزنها».
(٢) في الأصل: «الجمايك»، والتصويب من الذيل والتكملة. والخضراء: السماء. والحبائك: الطرق، أي طرق النجوم.
(٣) في الأصل: «بنور»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الذيل والتكملة: «ترثي».
(٥) في الأصل: «وماجد»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الأصل: «يبيّن بها»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.

ومن لليراع الصُّفْرِ[(١)] طالتْ[(٢)] بكفِّه
فصارت طوالُ السمْرِ[(٣)] مثلَ النيازك؟
ومن للرِّقاع البيض طابت بطيبه[(٤)]
فجابتْ إلى الأملاك سُبْلَ المسالك؟
ومن لمقام الحَفْل يَصْدَعُ بالتي
تَقُصُّ[(٥)] لِقُسٍّ من جَناح المدارك؟
ومن لمقال كالنُّضار يخلِّص[(٦)]
لإبريزه التبريز لا للسَّبائك؟
ومَنْ لفِعال إن ذَكَرْتُ بناءه
فَعالِ وإن تُنْشَرْ فمِسْكَةُ فاركْ؟
ومَنْ لخلالٍ كُرِّمَتْ وضَرائر[(٧)]
ضَرَبْنَ بقِدْحٍ في عتاب[(٨)] الضَّرائكْ[(٩)]؟
ومَنْ لشعارِ الزهدِ أُخْفِيَ بالغِنى[(١٠)]
ففي طيِّه فضلُ الفُضَيْل ومالك[(١١)]؟
ومَنْ لِشعابِ المَجْدِ أو لشُعوبه
إذا اختلطت ساداتُه بالصَّعالك؟
ألا ليس مَنْ: فاكْفُفْ عَويلَك أو فَرِدْ
فما بعد سهلٍ في العُلى من مُشارك
أُصِبْنا فيالله فيه وإنما
أُصِبْنا لعَمْري في الذُّرى والحَوارك

(١) في الأصل: «المُضفَرّ»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.
(٢) في الأصل: «طابت»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٣) في الأصل: «الشمس»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الذيل والتكملة: «طارت بذكره».
(٥) في الأصل: «تُغَصُّ»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الذيل والتكملة: «مخلّص».
(٧) في الذيل والتكملة: «وضرائب».
(٨) في المصدر نفسه: «غياث».
(٩) الضرائك: الفقيرات الجائعات.
(١٠) في الأصل: «بالفنا» والتصويب من الذيل والتكملة.
(١١) الفضيل: هو الفضيل بن عياض. ومالك: هو مالك بن دينار.

فنادِ بأَفلاك المحامد: أقْصِري
فلا دَوَرانٌ، زالَ[١] قُطْبُ المدارك
وصِخ بالسناءِ[٢] اليوم أَقْوَيْتَ منزلًا
بِوَطْءِ المنايا لا بوطْءِ السَّنابك
على هذه حامَ الحِمامُ محلِّقًا
ثمانين حَوْلًا كالعدوِّ المُضاحك
فسالَمهُ في مَعْرَكِ الموتِ خادعًا
وحارَبَه إذ جاز ضَنْكَ المعارك
طواك الرَّدى مَهْما يُساكِنْ فإنَّه
مُحَرِّكُ جيشٍ ناهبِ العيشِ ناهك
سَبى سَبأً قِدْما وحيَّ[٣] السَّكاسك
ولم يَألُ عن خَونٍ لخانٍ[٤] ومالك
وأفنَى مِن ابناءِ[٥] البرايا جموعَها
وألقى البُرى[٦] بالرغم فوق البَرامك
سواءٌ لديه أن يصول بفاتكٍ[٧]
من الناسِ[٨] ناسٍ للتقى أو بناسك
ولو أنه أزعَى على ذي كرامةٍ
لأزعى[٩] على المختار نَجْلِ العواتك[١٠]

---

(١) في الأصل: «بل»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) في الأصل: «بالبناء» والتصويب من المصدر السابق.
(٣) في الأصل: «نبا سبا قُدُمًا وهي...»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الأصل: «لحائز»، وكذا يختل الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٥) في الذيل والتكملة: «من أفناء».
(٦) في الأصل: «البرايا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.
(٧) في الأصل: «بقلبك»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدر السابق.
(٨) في الأصل: «للناس» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.
(٩) في الأصل: «لأعيى»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(١٠) المختار: هو رسول الله ﷺ. والعواتك: ثلاث، يعني جدّاته ﷺ.

ولـــو راعــه عُــمــرٌ تــكــامــل ألْفُــه
لـمـا راع نـوحًـا فـي الـسِّـنـيـن الـدّكـادك[١]

ومــا مــن سـبـيـلٍ لـلـدوام وإنــمــا
خُـلِـقْـنـا لأرحـاءِ الـمَـنُـون الـدواهـك[٢]

فـيـا آل سـهـلٍ أو بـنـيـه مـخـصـصـا
نـداءَ عـمـومٍ فـي غـمـومٍ مـوالـك

أعـنـدكـمُ أنـي لـمـا قـد عـراكـمُ
أمـانـعُ صَـبْـري لـن يُـلـيـن عـرائـكـي[٣]؟

فـكـيـف أُعـزِّي والـتـعـزّي مُـحَـرَّمٌ
عـلـيَّ ولـكـنْ عـادةٌ آلَ مـالـك[٤]

فـإنْ فَـرَحٌ[٥] يـبـدو فـذاك[٦] تَـكَـرُّةٌ
لـتـجـريـعِ صـابٍ مـن مـصـابٍ مُـواعـك

وإن كـان صـبـر[٧] إنـهـا لِحُـلُـومـكُـمْ
ثـوابـتُ[٨] فـي مَـرِّ الـريـاح الـسـواهـك

ورثـتُـمْ سـنـا ذاك الـمـقـدَّس[٩] فـارتـقـوا
بـأعـلى سَـنـامٍ مـن ذُرى الـعـزِّ تـامـك[١٠]

فـلـم يَـمْـضِ مَـنْ أبـقـى مـن الـمَـجْـد إرْثـه
ولـم يَـلْـقَ مـلـكًـا[١١] تـاركٌ مِـثْـلَ مـالـك

(١) في الذيل والتكملة: «الدكائك».
(٢) في الأصل: «الرامك»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدر السابق.
(٣) في الأصل: «عزائك»، والتصويب من المصدر السابق.
(٤) في الأصل: «الرمالك»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدر السابق.
(٥) في المصدر السابق: «جزع».
(٦) في الأصل: «فذلك»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.
(٧) في الأصل: «صبرًا» والتصويب من المصدر السابق.
(٨) في الأصل: «توابة»، وكذا يختل المعنى والوزن معًا.
(٩) في الذيل والتكملة: «المقدّم».
(١٠) في الأصل: «نامك»، والتصويب من الذيل والتكملة. والتامك: المرتفع.
(١١) في الذيل والتكملة: «هُلْكًا».

أتـــدرونَ لِمْ جَــدَّتْ ركـــابُ أبـــيــكـــمُ
كــمــا جَــدَّ ســيــرٌ بــالــقِــلاص الــرواتِــك[١]؟
تَـــذَكَّـــرَ فـــي أُفْـــق الـــســمـــاءِ قـــديـــمَـــهُ
فَـــحـــنَّ إلـــى عِـــيـــصٍ[٢] هـــنـــالـــك شـــابـــك
وكــان[٣] ســمــا فــي حــضــرة الــقُــدْس حــظُّــه
فــلــم يَــلْــهَ[٤] عــنــه بــالــحــظــوظ الــركــائــك
فــيــا عــجــبًــا مــنّــا نــبــكّــي مُــهــنَّــأً
تـــبـــوّأ دارًا فـــي جـــوار الـــمـــلائـــك
يــلاقــيــه فــي تــلــك الــمــغــانــي رفــيــقُــه
بــوجــهٍ مــنــيــر بــالــتَّــبــاشــيــر ضــاحــك
فــلا تــحــســبــوا أنّ الــنَّــوى غــال روحَــه
لــجــســم ثَــوى تــحــت الــدّكــادك ســادك[٥]
فــلــو أنــكــمْ كُــوشِــفْــتُــمُ[٦] بــمــكــانــه
رأيــتُــمْ مــقــيــمًــا فــي أعــالــي الأرائــك
يُــنَــعَّــمُ فـــي روض الـــرِّضـــا وتـــجـــودُهُ
ســحــائــبُ فــي كُــثْــبــان مِــسْــك عــوانــك[٧]
كـــذلـــك وَغْـــدُ الله فـــي ذي مَـــنـــاســـب
مــن الــبِــرِّ صَــحَّــتْ بــالــتُّــقــى[٨] ومــنــاســك
فـــيـــا رحـــمـــةَ الـــرحـــمـــٰن وافِـــي جَـــنـــابَـــهُ
ويـــا رَوْحَـــهُ سَـــلِّمْ عـــلـــيـــه وبـــارك

(١) الرواتك: التي تمشي وكأنّ برجليها قيدًا.
(٢) في الأصل: «غيض» والتصويب من الذيل والتكملة. والعيص: الأصل. والعيص الشابك: متصل القرابة.
(٣) في الأصل: «وكل»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الأصل: «يلب»، والتصويب من المصدر السابق.
(٥) السادك: اللازم.
(٦) في الأصل: «توشفتم» والتصويب من المصدر السابق.
(٧) العوانك: جمع عانك، والعانك من الرمل: ما في لونه حمرة، أو ما هو تعقّد.
(٨) في الأصل: «بالتغنّي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.

ويــا لَوْعــتــي سِــيــري إلــيــه بــرُقــعــتــي
وقُــصّــي شــجــونَــا مــن حــديــثــي هــنــالــكْ

حديث[1] الأشجان شجون، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جُون، فازِعني[2] سَمْعَك أبثُّك بثّي واكتئابي، وأعِزني[3] نظرة في كتابي؛ لتعلم ما بي، فعندي ضَرْبُ الأسى جِناية[4]، وعلى وِردي أطال باغي الأسى حماية[5]، وعَبْرتي أبْكَتْ من القَطْر سِجامَه، وزَفْرتي أذْكَتْ من الجَمْر ضِرامَه، ومني تعلّمَتْ ذاتُ الهَديل كيف تنوح، وعنّي أخذت ذات الحسن[6] كيف تغدو والهةً وتروح، فما مذعورةٌ راعها القنّاص، وعَلِقَ بواحدها حَبْلُ الجهالة[7] فأعْوَزه الخلاص، فهي تتلفَّت إليه والمخافةُ خلفها وأمامها، وتتلهف عليه فتكاد تواقع فيه حِمامها، بأخْفَق ضلوعًا، وأشْفَق رُوعًا، وأضيق مجالًا، وأوسع أوجالًا، وأشْغَل بالًا، وأشعل بلبالًا، بل ما طلاها، وقد رآها، ترمي[8] طَلاها، فوقف[9] حتى كاد يشركها في الحَيْن، ويحصل من الشَّرْك تحت جناحين. ثم أفلت وهو يشكُّ في الإفلات، ويشكو وِخدته في الفَلوات[10]، بأزْهَبَ نفسًا، وأجْنب أُنْسًا، وألهب حشًا، وأغلب توحُّشًا، وأضيع بالمومات، وأضْرَعَ لغير الأمّات، مُنّي وقد وافى النبأُ العظيم، ونُثِرَ الهُدى بكفّ الرَّدى شمله[11] النظيم، وأصبح يعقوب الأحزان وهو كَظيم. وقيل: أُصيبت الدنيا بحبشتها[12] وحسنها، والدِّيانة بمُحَسِّنها وأبي حُسْنها، فحقٌّ على القلوب انفِطارها، وعلى العيون أن تَهْمي قطارها، وعلى الصَّبر أن يمزِّق جِلبابه، وعلى الصَّدر أن يغلق في وجه السُّلُوّ بابه. أَنَعْيُ[13] الجليل السَّعْي، ورزيَّة الجميل السَّجية، ووفاة الكريم الصفات، وفقد الصَّميم المجد، وذهاب السَّمْح الوهّاب، وقبض روحاني الأرض، وانعدام معنى الناس، وانهدام مَغْشى[14] الإيناس، وانكساف[15] شمس العِلْم، وانتِساف قُدْس الحِلْم. يا له حادثًا، جمع قديمًا من الكروب وحادثًا، ومصابًا جرَّع أوصابًا، وأضحى

(١) من هنا حتى آخر الترجمة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١١٤ ـ ١٢٠).
(٢) في الذيل والتكملة: «فأصِخ لي أبثك...». (٣) في المصدر السابق: «أو أعِزني».
(٤) في المصدر السابق: «خيامه». (٥) في المصدر السابق: «حيامه».
(٦) في المصدر السابق: «الحنين». (٧) في المصدر السابق: «الحبالة».
(٨) في الذيل والتكملة: «تدمى». والطَّلا: ابن الظبية أو البقرة.
(٩) كلمة «فوقف» ساقطة في الذيل والتكملة. (١٠) في الذيل والتكملة: «بالفلاة».
(١١) في المصدر السابق: «سلكه»، وهو أحسن للسياق.
(١٢) في المصدر السابق: «بحسنتها». (١٣) في المصدر السابق: «لنعي».
(١٤) في المصدر السابق: «مغنى».
(١٥) في الأصل: «وانكشاف» والتصويب من المصدر السابق.

كلٌّ به مُصابًا. لا جَرَم أني شربت من كأسه مُسْتَفْظَعَها[١]، وشرقت بها وبماءِ[٢] دمعي الذي ارفضَّ معها، فغالت خَلَدي، وغَالَبَتْ جَلَدي، حتى غبْتُ عنِّي، ولم أذر بآلامي التي تُعَنِّي. ثم أَفَقْتُ من سُكْري، ونفقتُ[٣] مبدِّد فكري، فراجعني التَّذكار والتَّهمام، وطاوعني شجونًا[٤] يتعاطاه الحِمام، فبكيت حتى خشيت أن يُغْشيني، وغشيت إذ غشِيَني من ذلك أليم[٥] ما غشِيَني، وظَلت ألقى[٦] انبجاسًا للتَّرح يلقيني، فتارة يُعنيني، وتارة يُبْقيني، فلو أن اختدامي، والتَّدامي، وجَفْني الدَّامي، اطَّلَعَتْ على بعضه الخنساءُ، لقالت: هذه عَزْمَةُ حزنٍ لا يستطيعها النِّساءُ. ذلك بأن قِسْمة المراثي كقسمة الميراث، وللذُّكران المزيَّة، كان للسُّرور أو للرَّزيَّة، على الإناث، هذا لو وازن مبكيٌّ مبكيًا، ووارى ترابيٌّ فلكيًا، إنا[٧] لنبكي نور عِلْمٍ وهي تبكي ظُلْمة جهل، وندبتي بجبل يُدعى بسَهْل، كان[٨] يتفجَّر منه الأنهار، وينهال جانبه من خشية الله أو ينهار، في مثله ولا أُريد بالمثل سواه، فما كان في أبناءِ الجنس مَنْ ساواه. يَحْسُنُ الجزعُ من كل مؤمن تقي، ويقال للمتجلد: لا تُنْزَعُ الرَّحمةُ إلَّا من شقي، فكل جَفْن بعده جاف، فصاحبه جِلف أوصاف[٩]، وكل فؤاد لم تصدع[١٠] له صفاته، ولم تتغيّر لفقده صفاته، فمتحَقِّقٌ عند العلماءِ[١١] معلوم، أنه معدود في الحجارة أو معدوم. فيا ليت شِعْري يوم وُدِّع للتَّرحال، ودعا حاديه بشدِّ[١٢] الرِّحال، كيف كان حاضرُوه في تلك الحال، هل استطاعوا معه صبرًا، وأطاعوا لتَلْبِيته[١٣] أمرًا؟ أو ضعف احتمالهم، وقوي في مفارقة النفوس اغتمالهم؟ ويا ليت شِعري إذ أفادوا الماء طهارة زائدة بغسل جلاله! هل حنَّطوه في غير ثنائه أو كفَّنوه في غير خِلاله؟ ويا ليت شعري إذا استقلّ به نعشه لأشْرَف، ترفرف عليه المَلائكة ويظلِّله الرُّفرف! هل رأوا قبله حَمْل[١٤] الأطواد، على الأعواد؟ وسير الكواكب، في مثل تلك المواكب؟ فيأنسُوا بالإلف، ويرفعوا منكم الطَّرف، ويدعوا لفيض من أثر ذلك الظَّرف؟ ويا ليت شعري إذ ودَّعوا[١٥] درَّة الوجود، صدفة اللَّحد المَجُود، لِمَ آثروا الثَّرى على نفوسهم، ورضوا الأرض مَغْربًا

---

(١) في الأصل: «مستفضها» والتصويب من المصدر السابق.

(٢) في المصدر السابق: «وبدمعي».

(٣) في المصدر السابق: «ولفقت».

(٤) في المصدر السابق: «شجو لا تتعاطاه».

(٥) في المصدر السابق: «اليَمّ».

(٦) في المصدر السابق: «لقّى أينما شاء الترح».

(٧) في الذيل والتكملة: «أنا أبكي».

(٨) في المصدر السابق: «كانت تتفجّر».

(٩) في المصدر السابق: «أو جاف».

(١٠) في المصدر السابق: «تنصدع».

(١١) في المصدر السابق: «العقلاء».

(١٢) في المصدر السابق: «لشدِّ».

(١٣) في المصدر السابق: «لتثبيته».

(١٤) في الأصل: «حملة الأطوار»، والتصويب من المصدر السابق.

(١٥) في المصدر السابق: «أودعوا».

لأنوار شُموسهم؟ فهلا حَفَروا له بين أَحْناءِ الضلوع، وجعلوا الصفيح صريح الحبِّ والولوع، فيكونوا قد فازوا بقربه، وجازوا فخْرًا خُيِّر لتُرْبه؟ ويا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك، ولم يهتدوا هذه المسالك! هل قضوا حقَّ الحزن، وسَقَوا جوانب الضَّريح من عَبراتهم بأمثال المُزْن؟ وهل اتصفوا بصفة الأسف، أو قنعوا منها بأن وصفوها؟ وهل تلافوا بقايا الأنفس، بعد المفقود الأنْفَس، وأتلفوها[١]؟: [الطويل]

فكلُّ أسًى لا تَذْهَبُ النفس عنده فما هو إلّا من قبيل التصنُّعِ

يا قدَّسَ الله مثوى ذلك المتوفَّى، وما أظنّ الجَزَع تَمَّم[٢] حقّه ووفَّى. ولو درى الزمن[٣] وبنوه، قَدْرَ من فقدوه، لوجدوا المفاجىء[٤] الفاجع أضعاف ما وجدوه، فقد فقدوا واحدًا جامعًا للعوالم، وماجدًا رافعًا لأعلام المعالي والمعالم، ومُفَدًّى ثَقُل له في الفدا، ونفوس الأوِدَّاء والأعدا، ومُبْكًى ما قامت على مثله النَّوائح، ولا حَسُنَتْ إلّا فيه المراثي كما حسنت من قبل فيه المدائح. رحمة الله عليه ورضوانه، وريحان الجِنان يُحَيِّيه به رضوانه. من لي بلسان يقضي حقّ نَدْبته، وجَنان يقضي بما فيه إلى جُثَّته[٥] وتُربته، وقد نَبَّهني[٦] حزني عليه وبلَّدني، وتملَّكني حصر الحسرة عليه وتعبَّدني. وأين يقع مُهَلْهل البديه، مما يخفيه مُهَلْهل الثُّكل ويُبْديه؟ يمينًا لو لَبَثْتُ في كهف الرويَّة ثلاثمائة سنين، واستمددْتُ سواد ألسنة الفصحاءُ اللسنين، ما كنت في تأْبين ذلك الفصل المُبين من المُحْسنين، إلّا أني أتيتُ بالطريف[٧] من بيانه [المُغْلَم المطارف][٨] والتَّليد، ورثيت رُشْد كماله برثائه كمالَ ابن رشد أبي الوليد، فأنشدت بنيه قوله فيه[٩]: [الطويل]

أخلّاي، إني من دموعي بزاخر بعيدٍ عن الشَّطين منه غريقُهُ
وما كان ظنّي قَبْلَ فَقْدِ أبيكُمُ بأنَّ مُصابًا مثلَ هذا أُطِيقُهُ
ولم أذرِ من أشقى الثلاثةِ بعده أأبناؤه أم دَهْرُه أم صديقُه؟

ثم استوفيت تلك الأبيات والرسالة، وأجريت بتَرْجِيعها من دم الكَبِد ونجيعها عَبراتي المُسالة، فحينئذ كنت أوفِّي المصاب واجبه، وأَشْفِي صدورًا صديَّة شجيَّة

(١) في الأصل: «وأتلفوه»، والتصويب من المصدر السابق.
(٢) في الذيل والتكملة: «عَمَّ».
(٣) في المصدر نفسه: «الزمان».
(٤) في المصدر نفسه: «للفاجي».
(٥) في المصدر نفسه: «جَنَنه».
(٦) في المصدر نفسه: «بَلَّهني».
(٧) في المصدر نفسه: «بالطارف».
(٨) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصدر السابق.
(٩) تقدمت هذه الأبيات.

وقلوبًا واجِفَة واجبة. ولو أن ما رثى به نفسه الكريمة من نثر إساءَته[١]، حين رأى الحين مغتصبًا[٢] حشاشَة مكرماته، أثار كامن وجدي بألفاظه المُبْكية، ومعانيه التي تحلُّ من مزاد العيون الأوكية، لا هبَّ لي رَنْدا[٣]، وأعقبني صفاة تَنْدى، وأطمعني في أن يعود بكائي زبَدًا. فقد بلغني أنه لمّا[٤] وقف على ثنيَّة المنيَّة، وعرف قرب انتقال السَّاكن من البَنِيَّة، جمع بنات فكره، كما جمع شيبة الحَمْد بنات خِدْره، وقال: يا بنياتي، قد آن ليومي أن يأتي، فهل لكنْ أن ترينني[٥]؟ فوضعْنَ أكبادهن على الوشيج[٦]، ورفَعْن أصواتهن بالنَّشِيج، وأقبلْن[٧] يُرجِّعن الأناشيد، ويفجعن القريب والبعيد، حتى أومأ إليهنَّ، بأن قضين ما عليهنّ، فيا إخوتاه[٨]، ومثلي بهذا النداءِ نُخي وتاه: أسهموا أخاكم في ميراث تلكم الكَلِم، واحموا[٩] فؤادًا بالمُلِمِّ المؤلم قد كَلِم، ولا تقولوا يكفيه ميراث الأحزان، فتبخسوا وحاشاكم في الميزان، فإني وإن تناولتها باليدين، وغلبت عليها فإني صاحب الفريضة[١٠] والدَّين، فإني لحظِّي من ميراث الحكمة سائل، ومع أنَّ لي حقًّا فلي ذمم ووسائل، فابعثوا إليَّ ما يُطارحني في أشجاني، وأقف على رسمه فأقول شَجاني، ولا أطلب من كلام ذلكم الإمام، العزيز فَقْدُه على الإسلام، قوله في التصبير، على الرزءِ الكبير، ووصاته، لئلّا يُلْزمني ولست بالمستطيع إصغاءً للمطيع لأمْره[١١] وإنصاته، فإن امتثلت، أصبت قتلي بما نثلت، وإن عصيت، أبعدت نفسي من رضاه وأقصيت، ولي في استصحاب حالي أمل، وما لم يرد خطاب لم يلزم عمل. على أني وإن صاب وابل دمعي وصب، وأصبحت بذكر المصاب الكلفَ الصَّبّ، فلا أقول إلّا ما يُرْضي الربّ، فإني[١٢] أبكي عالمًا كبيرًا، وعَلَمًا شهيرًا، تسعدني في بكائه المِلّة، وتنجدني بوَجْده[١٣] فأنا الكاتب وهي المُمِلّة. وأما أنتم أيها الإخوة الفضلاءُ، والصفوة الكرماءُ، فقد تلقيتم وَصْلته[١٤] المباركة شفاها، وداوى صدوركم بكلامه النافع وشفاها، فلا يسعكم إلّا الامتثال، والصبر الذي تُضرب به الأمثال، فعزاءً عزاءً، وانتماءً إلى التأسّي واعتزاءً، وإن فَضَل رزءً

---

(١) في الذيل والتكملة: «من كلماته».
(٢) في المصدر السابق: «مُقْتضيًا».
(٣) في المصدر السابق: «لأنقب لي زندا».
(٤) في الذيل والتكملة: «حين».
(٥) في المصدر نفسه: «ترثينني».
(٦) في الأصل: «الوشج» والتصويب من المصدر السابق.
(٧) في المصدر السابق: «وانبرين».
(٨) في المصدر السابق: «خوفاه».
(٩) في المصدر السابق: «وارحموا».
(١٠) في المصدر السابق: «الفريضين».
(١١) في المصدر السابق: «لأوامره».
(١٢) في المصدر السابق: «فأنا».
(١٣) في المصدر السابق: «بوجدها».
(١٤) في المصدر السابق: «وصاياه».

أرزاء، وكان جزءٌ منه يعدل[١] أجزاء، فعلى قَدْرها تُصاب العلياءُ، وأشدّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأولياء. ذلك لِتُبيِّن[٢] فضيلة الرِّضا والتسليم، وتتعيَّن صفات[٣] من يأتي الله بالقلب السَّليم، ويعلم كيف يخلف[٤] الكريم للكريم، وكيف يحلّ الأجر العظيم، وهب الله لكم في مصابكم صبرًا على قدره، وسَكَبَ دِيم مغفرته على مثوى فقيدكم وقَبْره، وطيِّب بعَرْف روضات الجنّات جَنَبات قصره، ونفعه بما كان أوْدَعه من أسرار العلوم في صدره، وخلَّفه منكم بكل سَرِيٍّ بحلَّة المجد من كل نديّ[٥] بصدره.

قلت: ذكر الشيخ ابن الخطيب في الأصل في هذه الترجمة «الأعيان والوزراءِ»، ستة من أهل هذا البيت، كلّهم يسمون بهذا الاسم، عدا واحدًا، فإنه سمي بسعيد، وذاك مما يدلّ على كثرة النباهة والأصالة والوجاهة، رحمهم الله.

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد ابن عبد السلام الحميري الكَلاعي[٦]

بلنسي الأصل، يكنى أبا الربيع، ويُعرف بابن سالم.

حاله: كان[٧] بقيَّة الأكابر من أهل العلم بصُقْع الأندلس الشَّرقي، حافظًا للحديث، مُبَرِّزًا في نقده، تامَّ المعرفة بطرقه، ضابطًا لأحكام أسانيده، ذاكرًا لرجاله[٨]، ريَّانَ من الأدب، كاتبًا بليغًا. خطب[٩] بجامع بلنسية واستُقْضِي، وعُرف بالعدل والجلالة، وكان مع ذلك من أُولي الحزم والبسالة، والإقدام والجزالة

(١) في الذيل والتكملة: «يعادل». (٢) في المصدر نفسه: «لتتبيَّن».
(٣) في المصدر نفسه: «صفة».
(٤) كلمة «يخلف» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٥) كلمة «نديّ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٦) ترجمة سليمان بن موسى في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٣) والتكملة (ج ٤ ص ١٠٠) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٨٠) والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٠٢) والمغرب (ج ٢ ص ٣١٦) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ٢٩٨) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ١٦٤) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٢) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٩١) والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ١٤٤) والديباج المذهب (ص ١٢٢) والروض المعطار (ص ٤١) والوفيات (ص ٣١٣) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٧٣) و(ج ٥ ص ٢٦٠) و(ج ٦ ص ٩٧، ٢٢٩) و(ج ٧ ص ٢٢٢).
(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٥) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٣١).
(٨) في الذيل والتكملة: «لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم».
(٩) في النفح: «خطب ببلنسية».

والشهامة، يحضر الغزوات، ويباشر بنفسه القتال، ويُبْلى البلاءَ الحسن، آخرها الغزاة التي استشهد فيها.

مشيخته: روى[١] عن أبي القاسم بن حُبيش وأكثر عنه، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي عبد الله بن حُميد، وأبي بكر بن الجدّ، وأبي محمد بن سِيد بُونة، وأبي بكر بن مُغاور، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفَرَس، وأبي بكر بن أبي جمرة، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي خالد بن رَفاعة، وأبي جعفر بن حكَم، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي عبد الله بن نوح، وأبي الحجاج بن أبي محمد بن أيوب، وأبي بكر عتيق بن علي العبدري، وأبي محمد عبد الوهاب بن عبد الصمد بن عتَّاب الصّدفي، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن سَمْحون، وأبي الحسن عبد الرحمٰن بن أحمد بن ربيع الأشعري، وأبي زكريا الأصْبهاني، وأبي بكر أُسامة بن سليم، وأبي محمد عبد الحق الأزدي، وأبي محمد الشاذلي، وأبي الطاهر بن عوف، وأبي عبد الله الحضرمي، وجماعة غير هؤلاءِ من أهل المشرق والمغرب.

مَن روى عنه: روى[٢] عنه أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر[٣]، وعبد الله بن حزب الله، وأبو جعفر بن علي، وابن غالب[٤]، وأبو زكريا بن العباس، وأبو الحسن طاهر بن علي، وأبو الحسين عبد الملك بن مُفوز، وابن الأبّار، وابن الجنّان، وابن الموّاق، وأبو العباس بن هرقد، وابن الغمّاز، وأبو عمرو بن سالم، وأبو محمد بن بَرْطُلة، وأبو الحسن الرعيني، وأبو جعفر الطّنجالي، وأبو الحجاج بن حَكم، وأبو علي بن الناظر.

تصانيفه: منها[٥] «مصباح الظُّلَم» في الحديث، و«الأربعون حديثًا[٦] عن أربعين شيخًا لأربعين من الصحابة[٧]»، و«الأربعون السباعية[٨]»، و«السباعيات من حديث الصدفي[٩]»، و«حِلْية الأمالي، في المراقبات[١٠] العوالي»، و«تُحْفة الوداد، ونجعة

---

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٣ ـ ٨٤).
(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٤ ـ ٨٥). (٣) في الذيل والتكملة: «عمرو».
(٤) في المصدر نفسه: «وأبو جعفر بن علي بن غالب».
(٥) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٥ ـ ٨٦) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٣١).
(٦) كلمة «حديثًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٧) في الذيل والتكملة: «الصحابة في أربعين معنى».
(٨) في المصدر نفسه: «السباعية من حديث السلفي».
(٩) في المصدر نفسه: «أبي علي الصدفي».
(١٠) في الذيل والتكملة: «الموافقات». وفي النفح: «الموافقات والعوالي».

الرُّوّاد[١]»، و«المُسلسلات والإنشادات[٢]»، و«كتاب الاكْتِفاءِ في[٣] مغازي رسول الله، ومغازي الثلاثة الخلفاءِ»، و«ميدان السابقين، وحِلْية[٤] الصَّادقين المصدِّقين» في غرض كتاب الاسْتِيعاب، ولم يكمله، و«المُعْجم ممن[٥] وافَقَت كُنْيته زوجه من الصحابة»، و«الإعلام بأخبار البخاري الإمام»، و«المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حُبَيش»، و«برنامج رواياته»[٦]. و«جَنْي الرطب في سني الخطب»، و«نكتة الأمثال ونَفْثة السِّحْر الحلال»، و«جهد النصيح، في معارضة المعرّي في خطبة الفصيح»، و«الامتثال لمثال المنبهج[٧] في ابتداع الحكم واختراع الأمثال»، و«مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل»، و«مجاز فُتْيا اللَّحْن للّاحن الممتحن»، يشتمل على مائة مسألة ملغَّزة، و«نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم»، و«الصحف المنشرة، في القطع المعشَّرة»، و«ديوان رسائله»، سفر متوسط، و«ديوان شعره»، سفر[٨].

شعره: من شعره ما كتب به إلى أبي بحر صفوان بن إدريس، عقب انفصاله من بَلَنْسية عام سبعة وثمانين وخمسمائة[٩]: [الطويل]

أَحِنُّ إلى نَجْدٍ ومَنْ حَلَّ في نَجْدِ
وماذا الذي يُغْني حَنِينيَ أو يُجْدي؟
وقد أوطنوها وادِعِينَ وخَلَّفوا
مُحِبَّهُمْ رهن الصَّبابة والوَجْدِ
تَبَيَّنَ بالبَيْن اشتياقي إليهمُ
ووجْدي فساوى ما أُجِنُّ[١٠] الذي يُبْدي[١١]
وضاقت على الأرض حتى كأنها
وشاحٌ بِخَصْرٍ أو سوارٌ على زَنْدِ

(١) في الذيل والتكملة: «وتحفة الرواد، في العوالي البدلية الإسناد». وفي نفح الطيب: «وتحفة الورّاد...».
(٢) في الذيل والتكملة: «والمسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشاءات».
(٣) في الذيل والتكملة: «وكتاب الاكتفا بما تضمنه من مغازي...».
(٤) في المصدرين: «وحلية».
(٥) في المصدرين: «فيمن وافقت كنيته كنية زوجه...».
(٦) في الذيل والتكملة: «مروياته».
(٧) في المصدرين: «المبهج».
(٨) في المصدرين: «سُفَيْر».
(٩) القصيدة في نفح الطيب (ج ٦ ص ٢٣٢).
(١٠) أجنّ: أُخفي.
(١١) في النفح: «أبدي».

إلـى الله أشـكـو مـا ألاقـي مـن الـجـوى
وبـعـض الـذي لاقـيـتُـه مـن جـوًى يُـرْدي[١]
فـراقُ أخـلَّاءٍ وصَـدُّ أَحِـبَّـةٍ
كـأنَّ صـروفَ الـدهـر كـانـت عـلى وَعْـدِ
فـيـا سَـرْحَـتَـيْ نَـجْـدٍ، نـداءُ مُـتَـيَّـم
لـه أبـدًا شـوقٌ إلـى سَـرْحَـتَـيْ نَـجْـدِ
ظَـمِـئْتُ، فـهـل طَـلٌّ يُـبَـرِّدُ لـوعـتـي؟
ضَـحَّـيْـتُ[٢]، فـهـل ظِـلٌّ يُـسَـكِّـن مِـنْ وَجْـدِ؟
ويـا زمـنًـا قـد مـرَّ[٣] غَـيْـرَ مُـذَمَّـم
لـعـلَّ الأُنْـسَ قـد تَـصَـرَّم مِـنْ رَدّ
لـيـالـيَ نَـجْـنـي الأُنْـسَ مـن شـجـر الـمـنـى
ونَـقْـطُـفُ زَهْـرَ الـوصـل مـن شـجـر الـصَّـدّ
وسَـقْـيًـا لإخـوانٍ بـأكْـنـاف حـائـل[٤]
كـرامُ الـسَّـجـايـا لا يـحـولـون عـن عـهـد
وكـم لـي بـنـجـد مـن سَـرِيٍّ مُـمَـجَّـد
ولا كـابـن إدريـسٍ، أخـي الـبِـشْـر والـجَـدّ[٥]
أخـو هـمّـةٍ كـالـزُّهـر فـي بُـعْـدِ نَـيْـلها
وذو خُـلُـقٍ كـالـزَّهْـر غِـبَّ الـحَـيـا الـعِـدّ[٦]
تَـجَـمَّـعَـتِ الأضـدادُ فـيـه حـمـيـدةً
فـمـن خُـلق سَـبـطٍ ومـن حـسـبٍ جَـعْـد
أيـا راحـلًا أودى بـصَـبْـري رحـيـلُه
وفـلَّل مـن عـزمـي وثَـلَّم مـن حَـدّي[٧]

(١) في الأصل: «يُرْدِ» بدون ياء، والتصويب من النفح.
(٢) ضَحَّيْتُ: أصابتني الشمس عند الصباح. (٣) في النفح: «بان».
(٤) في النفح: «حاجر». (٥) في النفح: «والمجد».
(٦) غِبُّ الحيا: بَعْدَ الحيا، والحَيا: المطَر. والعِدّ: الجاري الذي لا ينقطع.
(٧) في الأصل: «حَدّ» بدون ياء، والتصويب من النفح.

أتعلم ما يلقى الفؤاد لِبُعدكم؟
ألا مُذ نأيتم لا يُعيد ولا يُبدي[١]

فيا ليت شعري! هل تعود لنا المُنى؟
وعيشٌ كما نَمْنَمْتُ حاشِيَتَيْ بُرْد؟

عسى الله أن يُدْني السرورَ بقربكم
فيبدو بنا الشَّمْلُ[٢] منتظم العِقْدِ

ومن شعره في النسيب وفقد الشباب[٣]: [الطويل]

تـوالـت[٤] ليالٍ للغواية جُونُ
ووافى صباحٌ للرَّشاد مُبينُ

ركابُ شبابٍ أزْمَعَتْ عنك رحْلةً
وجيش مَشِيْبٍ[٥] جَهَّزَتْهُ مَنُونُ

ولا أكذبُ الرحمٰنَ فيما أُجِنُّه[٦]
وكيف وما[٧] يخفى عليه جَنينُ[٨]؟

ومن لم يَخَلْ أنّ الرِّياءِ يَشِينُه
فمن مذهبي أن الرِّياءَ يَشينُ

لقد رِيعَ قَلْبي للشَّباب وفَقْدِهِ
كما ريعَ بالعِقْد[٩] الفقيد ضَنينُ[١٠]

وآلمني وَخْطُ المشيب بلِمَّتي
فَخُطَّتْ بقلبي للشجون فنونُ

وليلٌ[١١] شبابي كان أنْضرَ مَنْظرا
وآنَقَ مهما لاحَظَتْهُ عُيون

فآها[١٢] على عيشٍ تَكَدَّرَ صَفْوُه
وأُنْسٍ خلا منه صَفًا وحُجُون

ويا وَيْحَ فَوْدي أو فؤاديَ كلّما
تَزَيَّدَ شيْبي كيف بَعْدُ يكون؟

حرامٌ على قلبي سُكُونٌ بِغرَّة[١٣]
وكيف مَعَ الشَّيب المُمِضِّ[١٤] سكون؟

وقالوا: شبابُ المرءِ شُعْبَةُ جَنَّةٍ
فما لي عراني للمشيب[١٥] جُنون؟

---

(١) في الأصل: «يُبْدِ» بدون ياء، والتصويب من النفح.
(٢) في النفح: «فيبدو، ومنّا الشَّمْلُ...».
(٣) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٣٠).
(٤) في النفح: «تَوَلَّتْ».
(٥) في الأصل: «شيب»، والتصويب من المصدرين.
(٦) أُجِنُّه: أُخفيه.
(٧) في النفح: «لا».
(٨) الجنين: المخفيّ.
(٩) في المصدرين: «بالعِلْق».
(١٠) الضنين: «البخيل».
(١١) في الأصل: «دليل»، والتصويب من المصدرين.
(١٢) في الذيل والتكملة: «فآهٍ».
(١٣) في المصدر نفسه: «يقرّه».
(١٤) المُمِضُّ: المؤلم.
(١٥) في الذيل والتكملة: «بالمشيب».

وقالوا شجاكَ الشيبُ[1] حِدثان ما أتى ... ولم يعلموا أنَّ الحديثَ شجونُ[2]

وقال في الاستعانة والتوكل عليه[3]: [الطويل]

أمَوْلى الموالي ليس غَيْرُكَ لي مولى ... وما[4] أحدٌ يا رَبِّ منك بذا أوْلى
تَبارَكَ وَجْهٌ وُجِّهَتْ نحوه المنى ... فأوْزَعَها شكرًا وأوْسَعَها طَوْلا
وما هو إلّا وَجْهُكَ الدائمُ الذي ... أقلُّ حِلى عليائِهِ يُخرِسُ القَوْلا
تَبَرَّأْتُ من حَوْلي إليك وقُوَّتي ... فكنْ قُوتي في مَطْلبي وكُنِ الحَوْلا[5]
وهَبْ لي الرضا مالي سوى ذاك مُبْتَغًى ... ولا لقيتْ نفسي على نَيْله[6] الهَوْلا

وقال[7]: [الطويل]

مَضتْ ليَ سبعٌ[8] بَعْدَ عشرينَ[9] حجّةً ... ولي حركاتٌ بَعْدَها وسكونُ
فيا ليت شعري كيف[10] أو أين أو متى ... يكون الذي لا بُدَّ أنْ سيكونُ؟

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه: المسؤول من السادة العلماءِ أئمة الدين، وهُداة المسلمين، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه في هذا الاستدعاءِ، وهم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف بهاءُ الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي الأجل أبي عبد الرحمٰن بن علي البَيْساني، ولولديه أبي عبد الله، محمد، وأبي عبد الله الحسين وولده عبد الرحيم، ولأولاد ولده أبي الفتح حسن، وأبوي محمد عبد الرحمٰن ويوسف، ولمماليكه سنقر وأخيه الصغير وسِنْجر التركيون[11]، وأفيد وأقسر الروميان[12]، ولكمال بن يوسف بن نصر بن ساري الطباخ، وللوجيه أبي الفخر بن بركات بن ظافر بن عساكر. ولأبي الحسن بن عبد الوهاب بن وزدان، ولأبي البقاءِ

---

(١) كلمة «الشيب» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(٢) أخذه من المثل: «الحديث ذو شجون»، أي ذو فنون وأغراض. مجمع الأمثال (ج ١ ص ١٩٧) ولسان العرب (شجن).
(٣) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٧) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٣٠ - ٢٣١).
(٤) في الذيل والتكملة: «وهل». (٥) الحَوْل: القوة.
(٦) في الأصل: «نيلها»، والتصويب من المصدرين.
(٧) البيتان في نفح الطيب (ج ٥ ص ٢٦٠). وذكرهما المقري في نفح الطيب (ج ٦ ص ٩٧) وقال: «والصواب أنهما لغيره».
(٨) في النفح: «ست».
(٩) في النفح: «سبعين». وجاء في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٨٩) أن منتهى عمره سبعون سنة.
(١٠) في النفح: «أين أو كيف...». (١١) الصواب نحويًا أن نقول: «التركيين».
(١٢) الصواب نحويًا أن نقول: «الروميّيْن».

خالد بن يوسف الشّاذلي ولولده محمد، ولمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي ولولده، ولعبد العظيم بن عبد الله المندري ولولده أبي بكر، ولأبي الحسن بن عبد الله العطّار جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها، وما لهم من نظم ونثر، وإن رأوا تعيين موالدهم ومشايخهم وإثبات أبيات يخفّ موقعها ثراه من الزلل، ومما يخالف الحق، فعلوا مأجورين. وكتب في العشر الأُخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وستمائة.

فكتب مجيزًا بما نصه: قال سليمان بن موسى بن سالم الكَلاعي، وكتب بيده تجاوز الله عنه، وأقام بالعفو من أوده: إني لمّا وقفت على هذا الاستدعاءِ، أجاب الله في مستدعيه المسمى فيه صالح الدعاءِ، اقتضى حق المسؤول له، الوزير الأجل، العالم الأشرف الأفضل بهاءُ الدين أبو العباس ابن القاضي الأجل، الفاضل العلم الأوحد، ندرة الزمان، ولسان الدهر، وقِسُّ البيان، أبو[1] علي عبد الرحيم بن علي، أعلى الله قَدْره ورفعه، ووسم سلفه الكريم ونفعه، تأكيد الإسعاف، بحكم الإنصاف، له ولكل مَن سمي معه، فأطلقت الإذن لجميعهم، على تباعد أفكارهم وتدانيها، وتباين أقدارهم وتساويها، من أب سَنيّ، وذرّية عريقة في النَّسب العلي، ومماليك له تميّزوا بالنسب المولوي، وسُمِّين بعدهم، اعتلقوا من الرغبة في نقل العلم بالحَبْل المتين والسبب القوي. والله بالغ بجميعهم من تدارك الآمال أبْعد الشَّأو القَصِي، ويجريهم من مساعدة الإمكان، ومسالمة الزمان، على المنهج المرضي، والسنن السَّوي، أن يحدِّثوا بكل ما اشتملت عليه روايتي، ونظمته عنايتي، من مشهور الدواوين، ومنثور الأجزاءِ المنقولة عن ثقات الرَّاوين، وغير ذلك من المجموعات في أي علم كان من علوم الدين، وكل ما يتعلق بها من قرب أو بعد مما يقع عليه التَّعيين، وبما يصح عندهم نسبته إليّ من مجموع جَمَعْتُه، ومنظوم نَظَمْتُه، أو نثر صَنَعْتُه. الإباحة العامة على ذلك آتية، ومقاصد الإسعاف لرغباتهم فيه مطاوعة وموافية، فليرووا عني من ذلك مُوفَّقين، ما شاءوا أن يرووه، وليَلْتَزموا في تحصيله أولًا وأدائه ثانيًا أوفى ما التزمه العلماءُ واشترطوه. ومن جلّه شيوخي وصدورهم الذين سمعت منهم، وأخذت بكل وجوه الأخذ عنهم، القاضي الإمام الخطيب العلّامة أبو القاسم عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حُبَيش، آخر أئمة المحدثين بالمغرب، رضي الله عنهم. والإمام الحافظ الصدر الكبير أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيىٰ بن فرج بن الجِدِّ الفهري. والفقيه المشاور القاضي المسند أبو عبد الله محمد بن أبي الطيب.

(١) في الأصل: «أبي».

والفقيه الحافظ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي. والقاضي الخطيب النحوي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حُميد. والأُستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جُمهور القيسي. والشيخ الراوية الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد بن عصام العبدري. والشيخ الصالح أبو جعفر أحمد بن حكم القيسي الحصّار الخطيب بجامع غرناطة. والفقيه القاضي الأجزل أبو العباس يحيىٰ بن عبد الرحمـٰن بن الحاج. والقاضي الفقيه الحسيب أبو بكر بن أبي جمرة. والقاضي أبو بكر بن مغمور. والقاضي المسند أبو الحسين عبد الرحمـٰن بن ربيع الأشعري. وسوى هؤلاءِ ممن سمعْنا منه كثيرًا، وكلهم أجازني روايته وما سمعه. وقرأت على الخطيب أبي القاسم بن حبيش غير هذا وسمعت كثيرًا، وتوفي، رحمه الله، بمرسية في الرابع عشر لصفر لسنة أربع وثمانين وخمسمائة. ومولده سنة أربع وخمسمائة، على ما أخبرني به، رحمه الله ورضي عنه. ومما أخذته عن الحافظ أبي بكر بن الجدّ بإشبيلية بلده، مُوَطَّأُ مالك، رواية يحيىٰ بن يحيىٰ القرطبي، أخبرني به عن أبي بحر سُفيان بن العاصي الأسدي الحافظ، سماعًا بأسانيده المعلومة. وتوفي الحافظ أبو بكر سنة ست وثمانين. وقرأت على الفقيه أبي عبد الله بن زرقون أيضًا موطّأ مالك، وحدَّثني به عن أبي عبد الله الخولاني إجازة، قال: سمعته على أبي عمرو عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي؛ عن أبي عيسى يحيىٰ بن عبد الله بن أبي عيسى، عن أبيه عبيد الله بن يحيىٰ الليثي، عن أبيه عن مالك بن أنس، رضي الله عن جميعهم. ولا يوجد اليوم بأندلسنا ومَغْربنا بأعلى من هذه الأسانيد. وممن كتب لي بالإجازة من ثغر الإسكندرية الإمام الحافظ مُفْتي الديار المصرية ورئيسها أبو الطاهر بن عوف، والفقيه الحاكم أبو عبد الله بن الحضرمي، والفقيه المدرس أبو القاسم بن فِيرُّه، وغيرهم، نفعنا الله بهم، ووفقنا للاقتداءِ بصالح مذهبهم. وأما المولد الذي وقع السؤال عنه، فإني ولدت على ما أخبرني أبواي، رحمهما الله، بقاعدة مرسية، مستهل رمضان المعظم سنة خمس وستين وخمسمائة[1]. ومما يليق أن يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخنا[2] الفقيه أبو بكر عبد الرحمـٰن بن محمد بن مغاور، رحمه الله، في منزله بشاطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة، وهو بقيَّة مشيخة الكتَّاب بالأندلس لنفسه، مما أعدّه ليكتب على قبره: [الخفيف]

أيـهـا الـواقـفُ اعـتـبـارًا بـقـبْـري ... استمعْ فيه قولَ عَظْمي الرميمِ

أوْدَعوني بَطْنَ الضريح وخافوا ... مـن ذنـوب كـلُومـهـا بـأديـمِ

---

(١) في فوات الوفيات: ولد سنة ٥٥٥ هـ.

(٢) في الأصل: «شيخًا».

قُلْتُ: لا تجزعوا عليَّ فإنّي حَسَنُ الظَّنِّ بالرؤوف الرحيمِ

ودعوني بما اكتسبْتُ رهينًا غَلِقَ الرَّهْن عند مولًى كريم

انتهى. وكتب هذا بخطه في مدينة بلنسية، حماها الله، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، في الموفي عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وستمائة. والحمد لله رب العالمين.

وفاته: كان أبدًا يقول: إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره، فكان كذلك، واستشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أُنيشة[١] على نحو سبعة أميال منها؛ لم يزل متقدمًا أمام الصفوف زحفًا إلى الكفار، مقبلًا على العدو، ينادي بالمنهزمين من الجنْد: أعن الجَنّة[٢] تفرّون؟ حتى قُتل صابرًا مُحْتسبًا، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة.

ورثاه أبو عبد الله بن الأبّار، رحمه الله، بقوله[٣]: [الطويل]

ألمَّا بأشلاءِ العُلى والمكارمِ تُقَدُّ بأطْرافِ القَنا والصَّوارمِ

وعُوجا عليها مأربًا وحفاوةً[٤] مصارعَ غُصَّتْ[٥] بالطُّلا والجماجمِ

نُحَيِّي[٦] وجوهًا في الجَنان[٧] وجيهةً بما لَقِيتْ[٨] حُمْرًا وجوهَ الملاحمِ

---

(١) أنيشة أو أنيجة: موضع على مقربة من بلنسية، فيه كانت الوقيعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى، استشهد فيها أبو الربيع الكلاعي، وكانت هذه الوقيعة سنة ٦٣٤ هـ. الروض المعطار (ص ٤١).

(٢) قوله: «أعن الجنة» ساقط في الأصول، وقد أضفناه من بعض مصادر ترجمته.

(٣) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٩٠ - ٩٥). وورد منها في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٣ - ١٥٧) ثمانية وخمسون بيتًا. وفي نفح الطيب (ج ٦ ص ٢٢٩) الأبيات الأربعة الأوائل. وفي الروض المعطار (ص ٤١) ثلاثة أبيات.

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «ومفازة».

(٥) في نفح الطيب: «خُصَّتْ».

(٦) في الأصل: «تُحَيّ» والتصويب من المصادر.

(٧) في تاريخ قضاة الأندلس: «الحنان» بالحاء المهملة.

(٨) في المصدر نفسه: «بقيتْ».

وأجـسـادَ إيـمـانٍ كـسـاهـا نَـجِـيـعُـهـا[1]
مـجـاسِـدَ[2] مِـنْ نَـسْـجِ[3] الـظُّـبـى والـلَّهـاذم[4]

مُـكَـرَّمَـةً حـتـى عـن الـدَّفْـن فـي الـثـرى
ومـا يُـكْـرِمُ الـرحـمـٰنُ غَـيْـرَ الأكـارم

هُـمُ الـقـومُ راحـوا لـلـشـهـادة فـاغْـتَـدَوْا[5]
ومـا لـهـمُ فـي فـوزهـمْ مـن مُـقـاوم

تـسـاقَـوْا كـؤوسَ الـموتِ فـي حَـوْمَـةِ الـوغـى
فـمـالـتْ بـهـمْ مَـيْـلَ الـغُـصـونِ الـنَّـواعـم

مَـضَـوْا فـي سـبـيـل الله قِـدْمًـا كـأنـمـا
يـطـيـرونَ مـن أقـدامـهـمْ بـقـوادم

يَـرَوْنَ جـوارَ الله أكـبـرَ مَـغْـنَـمٍ
كـذاك جِـوارُ الله أسْـنـى الـمـغـانـم

عـظـائـمُ نـالـوهـا[6] فـخـاضـوا لِنَـيْـلِهـا
ولا رَوْعَ يـثـنـيـهـمْ صـدورَ الـعـظـائـم

وهـانَ عـلـيـهـمْ أن تـكـونَ لُحُـودُهُـمْ
مُـتُـونَ الـرَّوابـي أو بـطـونَ الـتَّـهـائـم

ألا بـأبـي تـلـك الـوجـوهُ سـواهـمًـا
وإن كُـنَّ عـنـد الله غـيـرَ سَـوَاهِـم

عـفـا حُـسْـنُـهـا إلّا بـقـايـا مـبـاسِـمٍ[7]
يـعـزُّ عـلـيـنـا وَطْـؤهـا بـالـمـنـاسِـم

وسُـؤْرَ أسـاريـرٍ تُـنـيـرُ طـلاقـةً
فـتـكْـسِـفُ أنـوارَ الـنـجـوم الـعَـواتـم

---

(١) في المصدر نفسه: «نَجيفُها».
(٢) في الأصل: «بحاسد»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من المصادر.
(٣) في الأصول: «نسيج» والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس ونفح الطيب. وفي الذيل والتكملة: «حَوْك».
(٤) اللهاذم: جمع لَهْذم وهو الحادّ القاطع من الأسنّة.
(٥) في تاريخ قضاة الأندلس: «واغْتَدَوْا». (٦) في الذيل والتكملة: «راموها».
(٧) في تاريخ قضاة الأندلس: «مياسم».

لئنْ وكَفَتْ فيها الدموع[١] سحائبا
فَعَنْ بارقاتٍ لُحْنَ فيها لِشائم
ويا بأبي تلك الجسوم نَواحِلًا
بإجْرائها نحو الأُجُورِ الجسائم
تَغَلْغَلَ فيها كلُّ أسْمَرَ ذابلٍ
فَجُدِّلَ[٢] منها كلُّ أبيضَ ناعم
فلا يُبْعِدِ الله الذين تقرَّبوا
إليه بإهداءِ النفوس الكرائم
مواقف أبْرارٍ قَضَوْا من جهادهمْ
حقوقًا عليهمْ كالفُرُوض اللَّوازم
أُصِيبوا وكانوا في العِبادة أُسْوَةً
شبابًا وشِيبًا بالغواشي[٣] الغواشِم
فعاملُ رُمْحٍ دُقَّ في صَدْرِ عاملٍ
وقائِمُ سيفٍ قُدَّ في رأس قائمِ
ويا رُبَّ صَوَّامِ الهواجرِ واصلٍ
هنالك مَضْرُومَ الحياةِ بصارم
ومنقذِ عانٍ في الأداهم راسفٍ
يَنُوءُ برِجْلَيْ راسفٍ في الأداهِم
أضاعَهُمُ يَوْمَ الخميس حِفاظُهُمْ
وكَرُّهُمُ في المأزقِ المُتلاحم
سقى الله أشْلاءً بسَفْحِ أنِيشةٍ
سَوافِحُ تُزجيها ثِقالُ الغمائم
وصَلّى عليها أنفُسًا طاب ذِكْرُها
فَطَيَّبَ[٤] أنفاسَ الرِّياح النَّواسم

(١) في تاريخ قضاة الأندلس ونفح الطيب: «العيون».
(٢) في تاريخ قضاة الأندلس: «فَجَذَّلَ».
(٣) في الذيل والتكملة: «بالعواشي» بالعين المهملة.
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «بطَيِّبِ».

لـقـد صَـبَـرُوا فـيـهـا كـرامًـا وصـابـروا
فـلا غَـرْوَ أنْ فـازوا بـصَـفْـو الـمـكـارم
ومـا بـذلـوا إلّا نـفـوسًـا كـريـمـة[١]
تَـحِـنُّ إلـى الأُخْـرى حـنـيـنَ الـرَّوائـم[٢]
ولا فـارقـوا[٣] والـمـوتُ يُـتْـلِعُ جِـيـدَهُ
فـحيـثُ[٤] الـتـقـى الـجَـمْـعـانِ صِـدْقَ الـعـزائـم
بـعـيـشـك طـارِحْـنـي الـحـديـثَ عـن الـتـي
أُراجـعُ فـيـهـا بـالـدمـوع الـسَّـواجـم[٥]
ومـا هـي إلّا غـاديـاتُ فـجـائـع
تُـعَـبِّـرُ عـنـهـا رائـحـاتُ مـآتـم
جـلائـلُ دقَّ الـصَّـبْـرُ فـيـهـا فـلم نُـطِـقْ[٦]
سـوى غَـضّ أجـفـانٍ وغَـضٍّ[٧] أبـاهِـم
أبِـيـتُ لـهـا تـحـت الـظـلام كـأنّـنـي
رَمِـيُّ نـصـالٍ أو لَـدِيـغُ أراقـم
أُغـازلُ مـن بَـرْحِ الأسـى غـيـرَ بـارحٍ
وأزْجُـر[٨] مـن سـأم[٩] الـبـكـا غـيـر سـائـم
وأعْـقِـدُ بـالـنـجـم الـمُـشَـرِّق نـاظـري
فَـيَـغْـرُب عـنـي سـاهـرًا غـيـر نـائـم
وأشـكـو إلـى الأيـام سُـوءَ صَـنـيـعـهـا
ولـكـنـهـا شَـكْـوى إلـى غـيـر راحـم

---

(١) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «نفيسة».
(٢) الروائم: جمع الرائمة وهي الناقة العاطفة على ولدها اللازمته.
(٣) في تاريخ قضاة الأندلس: «ولا فرّقوا».
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «بحيث».
(٥) رواية عجز البيت في تاريخ قضاة الأندلس هي:
تـعبِّر عـنـهـا رائـحـاتُ مـآتـم
(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «نُطِق». (٧) في الذيل والتكملة: «وعَضٍّ».
(٨) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «وأصْحَبُ».
(٩) في تاريخ قضاة الأندلس: «سام»، وفي الذيل والتكملة: «سامي».

وهـيـهـاتَ هـيـهـاتَ الـعـزاءُ ودونـه
قَـواصِـمُ شـتَّـى أُرْدِفَـتْ بِـقَـواصـم
ولـو بَـرَّدَ الـسُّـلْوانُ حَـرَّ جـوانـحـي
لآثَـرْتُ عـن طـوعٍ سُـلُوَّ الـبـهـائـم
ومـن لـي بـسُـلْوانٍ يـحـلُّ مُـنَـفِّـرًا
بـجـاثٍ مـن الأرزاءِ حـولـيَ جـاثِـم
وبَـيْـنَ الـثَّـنـايـا والـمَـخـارم رِمَّـةٌ
سَـرَى فـي الـثَّـنـايـا طِـيـبُـهـا والـمـخـارم
بَـكَـتْـهـا الـمَـعـالـي والـمـعـالِمُ جَـهْـدَهـا
فَـمَـنْ[1] لِلْمـعـالـي بَـعْـدَهـا والـمـعـالِمِ؟
سـعـيـدُ صـعـيـدٍ لـم تَـرُمْـهُ قـرارةٌ
وأعْـظِـمْ بـهـا وَسْـطَ الـعِـظـام الـرَّمـائـم
كـأن دمًـا أذكـى أديـمَ تُـرابِـهـا
وقـد مـازجَـتْـه الـرِّيـحُ مِـسْـكَ الـلَّطـائـم
يـشـقُّ عـلـى الإسـلام إسـلامُ مِـثْـلِهـا
إلـى خـامـعـاتٍ بـالـفَـلا وقَـشـاعـم
كـأنْ لـم تَـبِـتْ تَـغْـشـى[2] الـسُّـراةُ[3] قِـبـابَـهـا
ويَـرْعـى حِـمـاهـا الـصَّـيـدُ رَعْـيَ الـسَّـوائـم
سـفَـحْـتُ عـلـيـهـا الـدَّمْـعَ أحْـمَـرَ وارسًـا
كـمـا تَـنْـثُـر[4] الـيـاقـوت أيـدي الـنَّـواظِـم
وسـامَـرْتُ فـيـهـا الـبـاكـيـاتِ نـوادبًـا
يُـؤَرِّقْـنَ تـحـت الـلـيـل وُرْقَ الـحـمـائـم
وقـاسَـمْـتُ فـي حَـمْـلِ الـرَّزيَّـة أهـلـهـا[5]
ولـيـس قَـسِـيـمُ الـبـرِّ غَـيْـرَ الـمُـقـاسـم

(١) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «فَلَهْفَ المعالي».
(٢) في الذيل والتكملة: «يغشى».
(٣) في الأصل: «للسراة» والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة.
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «نثر». (٥) في المصدر نفسه: «قومها».

فوا أَسفًا[1] للدِّين أعْضَلَ[2] داؤه
وآيَسَ من أُسٍّ[3] لمسراه حاسم
ويا أسفًا[4] للعِلْم أقْوَتْ[5] ربُوعُه
وأصبح مهدودَ[6] الذُّرى والدَّعائم
قضى حاملُ الآثار[7] من آلِ يعرب
وحامي هُدى المختار من آل هاشم
خبا الكوكبُ الوَقَّادُ إذ مَتَعَ الضُّحى
ليخبط[8] في ليلٍ من الجهل فاحم
وخانَتْ[9] مساعي السَّامعين حديثَه
كما شاءَ يومَ الحادث المتفاقم
فأيُّ بهاءٍ غارَ ليس بِطالع
وأيّ سَناءٍ غاب ليس بقادِم
سلامٌ على الدُّنيا إذا لم يَلُحْ بها
مُحَيَّا سليمانِ بنِ موسى بن سالم
وهل في حياتي مُتْعَةٌ بعد موته
وقد أسلمتني للدَّواهي الدَّواهم؟
فهأناذا في حَرْبِ[10] دهرٍ مُحارِبٍ
وكنتُ به في أمْنِ دَهْرٍ مُسالم
أخو العِزَّة القَعْساءِ كَهْلًا ويافعا
وأكفاؤه ما بين راضٍ وراغم

(١) في الذيل والتكملة: «فوا أسفي». (٢) في تاريخ قضاة الأندلس: «أعظم».
(٣) في المصدر نفسه: «من أسد». وفي الذيل والتكملة: «من حاسٍ».
(٤) في الذيل والتكملة: «ويا أسفي». وفي تاريخ قضاة الأندلس: «ووا أسفا».
(٥) في تاريخ قضاة الأندلس: «أذوَتْ». (٦) في المصدر نفسه: «ممدود».
(٧) في الذيل والتكملة: «الآداب».
(٨) في الأصل: «ليخبطه»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. وفي الذيل والتكملة: «لنخبط».
(٩) في الأصل: «وخابت»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(١٠) في الذيل والتكملة: «خوف».

تَــفَــرَّد بــالــعــلــيــاءِ عِــلْمًــا وســؤددًا
وحَسْبُكَ من عالٍ على الشُّهْبِ عالِم

مُعرَّسُهُ فوق السُّهى[1] ومَقِيلُه
ومَوْرِده قَبْلَ النُّسور الجَواثِم[2]

بَعِيدٌ مَداهُ لا يُشَقُّ غُبارُهُ
إذا فاهَ فاضَ السِّحْرُ ضَرْبَةَ لازمِ

يُفَوِّضُ منه كلُّ نادٍ ومنبر
إلى ناجحٍ مَسْعاهُ في كلِّ ناجم

متى صادم[3] الخَطْبَ المُلِمَّ بِخُطْبَةٍ[4]
كفى صادمًا منه بأكبرِ صادم

له مَنْطِقٌ سَهْلُ النَّواحي قريبُها
فإنْ رُمْتَهُ ألْفَيْتَ صَعْبَ الشَّكائم

وسِحْرُ بيانٍ فاتَ كُلَّ مُفَوَّهٍ
فباتَ عليه قارعًا سِنَّ نادم

وما الروْضُ حَلَّاه بجوهره النَّدى
ولا البُرْدُ وَشَّتْه[5] أكُفُّ الرَّواقم

بأبْدَعَ حُسْنًا في[6] صحائِفِهِ التي
تُسَيِّرُها أقلامه[7] في الأقالم

يمانٍ كَلاعيٌّ نَماه إلى العلا
تمامٌ حَواه قَبْلَ عَقْدِ التَّمائم

يروقُ رُواقَ الملك في كلِّ مَشْهدٍ
ويَحْسُنُ وسْمًا في وجوه المواسم

---

(١) في المصدر نفسه: «السما».
(٢) في المصدر نفسه: «الحوائم».
(٣) في الذيل والتكملة: «صَدَمَ».
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «بِخَطْبه».
(٥) في الأصل: «وشّقه»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة.
(٦) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «من».
(٧) في تاريخ قضاة الأندلس: «أخلاقه».

ويكثر أعلامَ البَسِيطةِ وحده
كمالَ مِثالٍ[1] أو جمالَ مَقاوم
لعًا لزمانٍ عاثرٍ من خلاله[2]
بواقٍ[3] من الجلّى أُصِيبَ بواقم
مُنادٍ إلى دار السلام مُنادمٌ
بها الحورَ، واهًا للمُنادي المُنادم
أتاه رَداهُ مُقبِلًا غيرَ مُدبِرِ
لِيَحظى بإقبالٍ من الله دائم
إمامًا لدينٍ أو قِوامًا لدولةٍ
تولّى ولم تُلحِقْه لَوْمَةُ لائم
فإنْ[4] عابه حُسّادُه شَرَقًا به
فلن تَعْدَمَ الحسناءُ ذامًا بذائم[5]
فيا أيها المخدومُ سَامي[6] محلّه
فِدًى لك من ساداتنا كلُّ خادم
ويا أيها المختومُ بالفوز سَعْيُهُ
ألا إنما الأعمالُ حُسْنُ الخواتم
هنيئًا لك الحُسْنى من الله إنها
لكلّ تَقيٍّ خِيمُهُ، غَيْرِ خائم
تَبوّأتَ جنّاتِ النعيم ولم تَزَلْ
نَزيلَ الثُّريّا قبلها والنعائم[7]
ولم تألُ عيشًا راضيًا أو شهادة
تَرى ما عداها في عِداد المآتم

(١) في الذيل والتكملة: «معالٍ».
(٢) في الذيل والتكملة: «جلاله».
(٣) في الأصل: «براق»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) في الذيل والتكملة: «وإنْ».
(٥) في المصدر نفسه: «الذائم».
(٦) في المصدر نفسه: «عالي».
(٧) في تاريخ قضاة الأندلس: «والنواعم».

لَعَمْري[١] ما يَبْلى بلاؤك في العِدا
وقد جَرَّتِ[٢] الأبطالُ ذَيْلَ[٣] الهزائمِ
وتالله[٤] لا يَنْسى مقامُك في الوَغى
سوى جاحدٍ نورَ الغزالةِ كاتِم
لقيتَ الرَّدى في الرَّوْع جَذْلانَ باسمًا
فَبُورِكْتَ من جذلانَ في الرَّوع باسِم
وحُمْتَ على الفِرْدوس حتى وَرَدْتَه
ففُزتَ بأشْتاتِ المنى فَوْزَ غانم
أجِدَّكَ لا تُثْني عِنانًا لأوْبةٍ
أُداوي بها بَرْحَ الغليل المُداوم
ولا أنتَ بعد اليوم واعدَ هَبَّةٍ
من النوم تَخْدُوني إلى حال حالم
لَسَرْعانَ ما قَوَّضْتَ رَحْلكَ ظاعنًا
وسِرْتَ على غير النواجي[٥] الرَّواسم
وخَلَّفْتَ من يرجو دفاعك يائسًا
من النَّصْر أثناء الخطوب الصَّوائم[٦]
كأنّيَ للأشجانِ فوقَ هواجر
بما عادني من عادياتِ هَواجم
عَدِمْتُك مفقودًا[٧] يعزُّ نظيرُه
فيا عِزَّ مَغْدومٍ ويا هُونَ عادم

(١) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «لعمرك».
(٢) في الأصل: «جَرّب»، والتصويب من المصدرين السابقين.
(٣) في الأصل: «ذبْل»، والتصويب من المصدرين السابقين.
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «وبالله».
(٥) في الأصل: «النواحي»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الأصل: «الصرايم»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٧) في تاريخ قضاة الأندلس والذيل والتكملة: «موجودًا».

ورُمْتُكَ مطلوبًا فأغيا منالُهُ
وكيف بما أغيا[١] منالًا لرائم؟
وإني لَمَخزونُ الفُؤادِ صديعُهُ
خلافًا لسالٍ قلبه منك سالم
وعندي إلى لقياك شوقٌ مبرِّحٌ
طوانيَ من حامي الجوى فوق جاحم
وفي خَلَدي واللهِ ثُكْلُكَ خالدٌ
ألِيَّةَ بَرٍّ لا أَلِيَّةَ آثم
ولو أنَّ في قلبي مكانًا لسَلْوةٍ
سَلَوْتُ ولكنْ لا سُلُوَّ لهائم
ظَلَمْتُكَ أن لم أقضِ نعماك حَقَّها
ومثليَ في أمثالها غيرُ ظالم
يطالبني فيك الوفاءُ بغاية
سَمَوْتُ لها حِفظًا لتلك المراسم
فأبكي لشلوٍ بالعراءِ كما بكى
زيادٌ لِقَبْرٍ بين بُصْرى وجاسم[٢]
وأعْبُدُ أنْ يمتاز دونيَ عَبْدَةٌ
بِعَلْياءَ في تأبينِ قَيْسِ بن عاصم[٣]
وهذي المراثي قد وَفَيْتُ بِرَسْمِها
مُسَهِّمَةً جَهْدَ الوفيِّ المُساهِم

---

(١) في الذيل والتكملة: «أعني».

(٢) بُضرى: قصبة كورة حوران. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٤١). وجاسم: قرية تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ. معجم البلدان (ج ٢ ص ٩٤). وزياد: هو النابغة الذبياني. وهنا يشير إلى قول النابغة الذبياني من قصيدة رثاء في النعمان بن الحارث بن أبي شمّر الغساني [الطويل]:
سقى الغيثُ قَبْرًا بين بُصْرى وجاسمٍ ... بغيثٍ، مِنَ الوَسْمِيِّ، قطرٌ ووابلُ
ديوان النابغة الذبياني (ص ٢١٢).

(٣) هو عَبْدة بن الطبيب، الذي رثى قيس بن عاصم، بقصيدة ميمية، يقول فيها [الطويل]:
فلم يَكُ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قوم تَهَدَّما
الشعر والشعراء (ص ٦١٢). وروى أبو الفرج هذا البيت في الأغاني (ج ٢١ ص ٣١) باختلاف يسير عمّا هنا وقال: هو أرثى بيتٍ قالته العرب.

فَـمَـدَّ إلـيـهـا رافـعًـا يَـدَ قـابـلٍ
أكَـبَّ عـليـهـا خـافـضًـا فَـمَ لاثِـمِ[١]

ومن القضاة في هذا الحرف

سلمون بن علي بن عبد الله بن سَلْمون الكناني[٢]

من أهل غرناطة، يُكنى أبا القاسم، ويُدعى باسم جده سَلْمون، وقد مرَّ ذكر أبيه وأخيه.

حاله: من أهل العلم والهُدى الحسن والوقار، قديم العدالة، متعدِّد الولاية، مضطلع بالأحكام، عارف بالشروط، صَدْرُ وقته في ذلك، وسابق حَلْبته إلى الرواية والمشاركة والتَّبجُّح في بيت الخير والحشمة وفضل الأُبوة والأُخوة. قلَّ في الأندلس مكانٌ شذَّ عن ولايته، وناب عن القضاة بالحضرة، فَحُمِدَ نفاذُه، وحَسُنَتْ سيرته. ثم وُلِّي مستبدًّا في الدولة الباغية، وخاض في بعض أهوائها، بما جرَّ عليه عَتَبًا، فعقبه الإعتاب عن كَثَب.

تواليفه: ألَّف في الوثائق المرتبطة بالأحكام كتابًا مفيدًا، نسبه بعض معاصريه إلى أنَّه قَيَّده عن شيخه أبي جعفر بن فَرْكون، ودوّن مشيخته.

مشيخته: أجازه[٣] الراوية المعمر أبو محمد بن هارون الطائي، والشيخ المسن أبو جعفر أحمد بن عيسى بن عياش المالقي، والشيخ الأديب أبو الحَكم ابن المرحِّل، والعدل أبو بكر بن إسحٰق التجيبي، والقاضي أبو العباس بن الغمّاز، والفرضي أبو إسحٰق التِّلمساني، وأبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف، والمحدِّث أبو محمد الخلاسي، والراوية أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم بن حيَّان القيسي، والوزير أبو محمد بن سِماك، والشيخ المدرِّس بالديار المصرية أبو محمد الدِّمياطي، والمقرىء الرَّاوية أبو عبد الله بن عيَّاش، وأبو الحسن بن مضاء، والمحدِّث أبو عبد الله بن النجار، وأبو زكريا بن عبد الله بن محرز، والمقرىء أبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة السَّفاقُسي، والشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن القرشي العوني، وأبو القاسم الأيسر الجذامي، وشهاب الدين الأبرقوسي،

---

(١) في تاريخ قضاة الأندلس: «وكَبَّ عليها حافظًا يَدَ لاثم».

(٢) ترجمة سلمون بن علي الكناني في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٦) والديباج المذهب (ص ١٢٥).

(٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

والعدل أبو فارس الهواري، وأبو الكرم الحميري، وأبو الفدا بن المعلم، والشريف أبو الحسن القرافي، وأبو عبد الله بن رحيمة، والشيخ أبو عبد الله بن اللبيدي، وأبو الحسن بن عطية البودري، وأبو محمد بن سعيد المسرّاتي، وأبو عبد الله بن عبد الحميد، والخطيب أبو الحسن بن السفّاح الرُّندي، وأبو محمد بن عطية، والوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، والعدل أبو الحسن بن مَسْتقور، والخطيب أبو عبد الله بن شعيب، والشريف أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف، والأُستاذ أبو بكر بن عبيدة. وقرأ على الأُستاذ أبي جعفر بن الزبير، وبرنامج رواياته نبيه.

مولده(١): عام خمسة وثمانين وستمائة(٢).

ومن المحدّثين والفقهاء
وسائر الطلبة النجباء بين أصلي وغيره:

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني(٣)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عثمان.

حاله: هذا الرجل من أهل الذكاءِ والمعرفة والإدراك، يقوم على الكتاب العزيز حِفْظًا وتدريسًا، ويشارك في فنون؛ من أُصول وفقه وحساب وتعديل، ومعرفة بالإلمامات الشُّعاعية. يكتب خطًّا حسنًا، وينظم الشعر، ويحفظ الكثير من النُّتف والأخبار، مقتصد، منقبض عن الناس، مشتغل بشأنه، قيد الكثير، يسير إليَّ لزمانةٍ أصابتْ أُختها، بما يدل على نشاطه وهمته.

مشيخته: قرأ على الأُستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزي، ورحل إلى العُدْوة، فلقي بفاس وتلمسان جُمْلة، كالأُستاذ أبي إسحٰق السّلاوي التلمساني، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمٰن المكناسي من أهل فاس، والحاج ابن سبيع، وغيرهم. واستدعيته لتأديب ولدي، أسعدهم الله، فبلوت منه على السنين، نَضْحًا وسلامة ودينًا وعفَّة.

---

(١) في الأصل: «مولد».
(٢) في تاريخ قضاة الأندلس: «ولد بغرناطة في صفر عام ٦٨٨». وأضاف أنه توفي عام ٧٦٧ هـ.
(٣) ترجمة ابن سعيد الغساني في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩).

شعره: جرى ذكره[١] في «الإكليل الزاهر» بما نصُّه[٢]: ممن[٣] يتشوّق إلى المعارف[٤] والمقالات، ويتشوَّف[٥] إلى الحقائق والمجالات[٦]، ويشتمل على نفْس رقيقة، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة، ويعاني من الشِّعر ما يشهد بنُبْله، ويُستظرف[٧] من مثله. فمن شعره قوله: [الكامل]

لمَّا نأوا في الظَّاعنين وساروا ... أضحتْ قلوب العاشقين تَحارُ
تركوهُمْ في ظُلْمةٍ وتَوَحُّشٍ ... ما انجابتِ الأضواءُ والأنوارُ
ذهبوا فأبْقَوا كلَّ عقل ذاهلا ... ولكل قلب بالنُّزوح مطار
ظَعَنوا وقد فَتَنوا الورى بجمالهمْ ... عَبَثوا بأفئدة الأنام وحارُوا[٨]
ما ضَرَّهُمْ قبل[٩] النَّوى لو ودَّعوا ... ما ضَرَّهُمْ لو أعْلَموا إذ سارُوا[١٠]
فقلوبُنا من بَعْدهمْ في فجْعة ... ودموعُنا من بعدهمْ أمطارُ
يا دار، أين أحبَّتي ووصالنا؟ ... أين الذي كُنَّا به يا دارُ؟
كنا نذيع به عَبير حديثنا ... وكلامُنا الألطافُ والأشعار
والطَّيْرُ تَتْلُو فَوقنا نَغَماتها ... والدهر يسمح والمُدام تُدار
ولطالما بِتْنَا وبات رقيبُنا ... في غفلة قُضِيَتْ بها الأوطار
هل نحن في[١١] زمنٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... نلْنا به[١٢] النُّعْمى ونحن صغار؟
فلا تذْر على الوصال وابْكِيَنْ[١٣] ... ما دامتِ الآصالُ والأسْحارُ

ومن المقطوعات: [الطويل]

وكم عذَلوني في هواه وما رأوا ... مُحَيّاه حتى عاينوه وسلَّموا
وقالوا: نَعَمْ هذا الكمال حقيقةً ... فحطُّوا وجاءُوا صاغرين وسلَّموا

وكتب إليَّ صحبة كتاب أعرْتُه إياه، عقب الفراغ من مطالعته: [السريع]

هذا كتابٌ كلُّه[١٤] مُعْجَمٌ ... أفْحَمني مَعْناه إفحاما

---

(١) في الأصل: «ذكر».
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩).
(٣) في النفح: «هو ممن».
(٤) في النفح: «المعرفة».
(٥) في النفح: «ويتّسق».
(٦) في النفح: «والمحالات».
(٧) في الأصل: «ويستطرف»، والتصويب من النفح.
(٨) في الأصل: «وحارُ»، بضمة فوق الراء.
(٩) في الأصل: «قبيل»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٠) في الأصل: «سارُ» بضمة فوق الراء.
(١١) قوله: «نحن في» ساقط في الأصل.
(١٢) في الأصل: «بها».
(١٣) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى معًا.
(١٤) في الأصل: «كلّ»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

أغـجَـمَـه مُـنْـشِـئُه أوّلا وزاده الـنَّـاسـخ إعـجـامـا
أسـقـط مـن إجـمـالـه جـمـلةً وزاد فـي الـتـفـصـيـل أقـسـامـا
وغـيَّـر الألـفـاظَ عـن وَضْـعِـهـا وصَـيَّـر الإيـجـادَ إعـدامـا
فـلـيـس فـي إصـلاحـه حـيـلةٌ تُـرْجـى ولـو قـوبـل أعـوامـا

نثره: كتب إليّ شافعًا في الولد، وأنا واجد عليه: من حلَّ محلَّ السيد نادرة الزمان، وسابق حَلْبة البيان، في رسوخ العلم، والسُّمو في درجة الحلم، وأرْضَعَتْه الحِكَمُ دَرَّتها، وقَلَّدَتْهُ المعارفُ دُرَرها، وجلَت عليه بِدَرِها، وجلبت إليه بذرها، كان بالحنوّ والرأفة خليقًا، وأن يهبَّ نسيمه لدنًا رفيقًا، وأن يتعاهد بالعطف غرسًا في زاكي تربته ظلي، وإلى مَحْتده المنجب وفضله المنجب انتمى، فيلحفه من الرحمة جناحًا، ويطلع عليه في ليل الوحْشة المؤلمة من نور صفحه عن حفوته مصباحًا، والذنب إذا لم يكن عقوقًا ولا سوءَ أدب، وكان في المماليك والقيم المالية مُغْتفر عند الأكابر مثله من ذوي الرتب، وقد بلغ في الاعتراف غاية المدى، وانْدَمل الجُرح الذي أصابته المُدى، البون واضح في المقاييس، بين المرؤوس والرئيس، وشتَّان بين الزيف والجوهر النفيس. ومع أن الولد كمد فهو للنفس ريحانة، وفي فصِّ خاتم الإنسان جُمانة، وقد نال منه هذا الإمضاءُ، والصارم يتخذ فيزيد منه المضاءُ، وهو يرتجي كل ساعة أن يفد عليه البَشير برضاك فيستأْنف جهورًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، والله يبقيك والوزارة ترفل منك في مظهر حُلَل، ويريك في نفسك وبَنيك غاية الأمل.

مولده: التاسع لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستمائة، وهو الآن على حاله الموصوفة.

ومن الكتاب والشعراءِ

سهل بن طلحة

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان ظريفًا، عنده مشاركة في الطَّلب. مدح ولي العهد أبا عبد الله بن الغالب بالله بشِعرٍ وسط، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها: [الكامل]

أنـا لـلغـرام ولـلـهـوى مـدفـوع فـمتى الـسُّلُوُّ ووَصْلُها مـمـنوعُ؟

يقول أيضًا منها بعد كثير:

يـا حَـبّـذا دارٌ لـزيـنـب بـالـلّوى حيث الفؤاد على الهوى مطبوعُ

يا حاديَ العيسِ التفتْ نحو اللِّوى ... إنـي بـسـكـان الـلِّوى مَـفْـجـوعُ
وعِـجِ الـمَـطِـيَّ بـلَعْـلعٍ وبـرامةٍ[١] ... فـهـنـاك قـلـبٌ لـلشَّـجِـيِّ مَـرُوعُ
أطـــلالُ آرامٍ وبِـــيـــضٍ خُـــرَّدٌ ... هـنَّ الأهـلَّة بـالـجـيـوب طُـلوع
في ظَـبْـيةٍ مِـنْ بـيـنـهـنَّ تَـصُـدُّني ... حُـسْـنًـا ولـي أبـدًا إلـيـه نُـزوع
حـوراءُ جـائـرةٌ عـلـيَّ بـحـكـمـهـا ... ظُـلْـمًـا وإنّـيَ مُـذْعِـنٌ وسـمـيـع
تَـفْـنَـى الليالي والزمان وأنْقَضِي ... كـمـدًا ولا نـبـأٌ لـهـا مـسـمـوع
يا[٢] ليت! هل دَهْرٌ يعودُ بوصلها ... فيكون للعيش الخصيب رجوع؟
وتـعـود أيـام الـسُّـرور كـمـثـل مـا ... قـد عـاد روح حـيـاتـهـا والـروع؟
فـقـدوم مـولانـا الأمـيـر مـحـمـد[٣] ... خـيـر الـمـلوك ومـن لـه الـتَّـرفـيـع

وفاته: كان حَيًّا سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني[٤]

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن سالم.

حاله: قال الأُستاذ أبو جعفر بن الزُّبير: كان أديبًا مُقَيِّدًا، كتب بخطِّه كثيرًا، وانتسخ أجزاءً عدَّة، واجتهد وأكثر، وكان مُتَبذِّلًا في لباسه، متواضعًا، مقتصدًا، مليح المُجالسة، حسن العشرة، جليل الأخلاق، فاضل الطبع.

مشيخته: روى[٥] عن الحافظ أبي عبد الله بن الفخّار، وأبي زيد[٦] السهيلي، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي جعفر بن حكَم، وأبي بكر بن الجَدّ، وأبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي محمد بن عبيد الله. وشارك في كثير من شيوخه أبا محمد القرطبي، وكان يناهضه.

دخوله غرناطة: دخلها وأقام بها وأخذ عن شيوخها وتردّد إليها.

شعره: قال في رُمْح: [الوافر]

أنـا الـرُّمْـحُ الـمُـعَـدُّ إلى الـنـوائـبْ ... فصاحِبْني تَجِدْني خَيْرَ صاحبْ

(١) لعلع ورامة: موضعان.
(٢) في الأصل: «فيا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) هو سلطان غرناطة أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٤٢).
(٤) ترجمة سالم بن صالح الهمداني في التكملة (ج ٤ ص ١٢٣).
(٥) قارن بالتكملة (ج ٤ ص ١٢٣).
(٦) في التكملة: «وأبي القاسم السهيلي».

لئن فَخَرَ اليَراعُ بكَتْبِ خطٍّ فإنَّ الخَطَّ[١] فَخْرٌ بالكتائبْ

ومما كتب له ابن خميس قوله: [الوافر]

إلٰهي قد عَصَيْنا منك ربًّا تَعالى[٢] أن يُقابلَ بالمعاصي

فكيف خلوصُنا من هَوْل يوم تَشِيب لهوله سُودُ النَّواصي؟

وجلب شعرًا كثيرًا دون شُهرته، وما ذكر به. وتوفي بمالقة ليلة الاثنين لثماني[٣] عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين وستمائة[٤].

حرف الهاء من الملوك والأمراء

هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله[٥]

أخو المُرتَضى المتقدم الذِّكر[٦]، يكنى أبا بكر، ويلقّب بالمُعْتَد بالله، الخليفة بقرطبة.

صفته: أبيض أصْهب، إلى الأدمة، سَبْط الشعر، أَخْنَس، خفيف العارض واللّحية، حسن الجسم، إلى قصر، أُمُّه أم ولد تسمّى عاتبًا.

حاله: بويع له بالثَّغر[٧]، فقرطبة أيام استقراره بحصن ألبُنْت[٨]، عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفِهْري. قال ابن حيان، ثالبًا إياه على عادته[٩]: قُلّد الأمر في سنّ الشيخوخة، وكان معروفًا بالشّطارة في شبابه، وأقلع[١٠] فَرُجي فلاحُه. وقال: دخل

(١) في الأصل: «فلخطّي»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تعلّى».

(٣) في الأصل: «لثمانِ»، بدون ياء، وهو خطأ نحوي.

(٤) كذا قال ابن الأبار في التكملة. وأضاف: «وقد نيّف على الستين».

(٥) ترجمة هشام بن محمد، المعتدّ بالله، في جمهرة أنساب العرب (ص ١٠١) وجذوة المقتبس (ص ٢٧) وبغية الملتمس (ص ٣٤) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٣٠) والمغرب (ج ١ ص ٥٥) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٤٥) والمعجب (ص ١٠٩) ونفح الطيب (ج ١ ص ٢٨٩). واسمه فيها جميعًا: «هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمٰن...».

(٦) تقدمت ترجمة عبد الرحمٰن بن محمد، الملقب بالمرتضى، في الجزء الثالث من الإحاطة.

(٧) بويع في ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ، وله من العمر أربع وخمسون سنة. المعجب (ص ١٠٩) والمغرب (ج ١ ص ٥٥).

(٨) أَلْبُنْت، بالإسبانية Alpuente: بلد بالأندلس من ناحية بلنسية. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٩٨).

(٩) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٤٧). (١٠) في البيان المغرب: «فأقلع مع شَيْبه...».

قرطبة[١] في زيٍّ تقتحمه العين، وَهْنًا وقلّة، عديم[٢] رواءٍ وبهجة، وعَددٍ وعُدَّة، فوق فرسٍ دون مراكب الملوك، بحِلية مختصرة، سادلًا سَمْل غفارة على ما تحتها من كسوة رثّة، قُدّامه سبع جنائب[٣] من خيل العامريين دون عَلَم ولا مضطرد، يسير هَوْنًا والناس ينظرون إليه، ويصيحون بالدُّعاءِ في وجهه. فدخل القصر، وقلّد حَكَما المعروف بالقزاز الأعمال والأمر، وأطلق يده في المال، وهو الذي يقول فيه الشاعر[٤]: [مخلع البسيط]

هَبْكَ كما تَدَّعي وزيرا ... وزيرُ مَنْ أَنتَ يا وزيرُ؟

والله ما للأمير مَغْنًى ... فكيف مَنْ وَزَّرَ[٥] الأميرُ؟

وضَعُفَ[٦] أمرُه، وآثر الناس الوثوب على وزيره، فأوقع به طائفة من الجند، وثارت العامة بهشام فخُلع في خبر طويل، ودخل غرناطة مع أخيه المرتضى، ولحق يوم هزيمته بظاهرها، بحصن ألْبُنْت إلى أن بويع له بقرطبة يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وأربعمائة.

محنته: ثارت العامة به بقرطبة كما تقدم، ملتفَّةً على أُمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، يوم الثلاثاءِ الثاني عشر لذي حجة من سنة اثنتين وأربعمائة، بسوءِ تدبير وزيره، وبادر الاعتصام بعِلْية القصر، وأُنزل منها إلى ساباط الجامع بالأمان، فيمن تألّف إليه من ولده وحريمه، فحدّث بعض سَدَنة الجامع أنّ أوّل ما سأل الشيوخ، إحضار كسيرة من خبز يسدُّ جوع طُفَيلة له كان قد احتضنها، ساترًا لها بكمه من قَرّ ليلته تلك، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به، فأبكى من كلّمه اعتبارًا بعادية الدهر. وأُخرج إلى حصن ابن الشرف إلى أن هلك.

وفاته: في صفر ثمان وعشرين وأربعمائة[٧]. وسنُّه نحو أربعٍ[٨] وستين سنة. وكان آخر ملوك[٩] بني أُمية بالأندلس.

---

(١) دخل قرطبة في الثامن من ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ. المعجب (ص ١١٠).
(٢) في البيان المغرب: «وعدم».
(٣) في الأصل: «خبايب»، والتصويب من البيان المغرب.
(٤) البيتان في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٤٧).
(٥) في الأصل: «وزير»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا، والتصويب من البيان المغرب.
(٦) قارنْ بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٤٨).
(٧) في المعجب (ص ١١٠): «مات في سنة ٤٢٧، ولا عقب له».
(٨) في الأصل: «أربعة» وهو خطأ نحوي.
(٩) يريد: آخر خلفاء بني أمية.

ومن ترجمة الأعيان والكبرا والأماثل والوزرا

هاشم بن أبي رجاء الإلبيري

الوزير، يكنى أبا خالد.

حاله: كان من عظماءِ أهل إلبيرة وحِلْيتهم، وهو الذي عاد الفقيهَ الزاهدَ أبا إسحٰق بن مسعود الإلبيري[(١)] في مرضه، وعَذَله على رداءَة مسْكنه، وقال له: لو سكنْتَ دارًا خيرًا من هذه لكانت أولى لك، فأجابه، رحمه الله، بقوله[(٢)]: [مخلع البسيط]

قالوا: ألا تَسْتَجِيدُ بيتًا ... تَعْجَبُ من حُسْنه البيوت؟

فقلتُ: ما ذاكُمُ صوابٌ ... حِفْشٌ[(٣)] كثيرٌ لمن يموت

لولا شِتاءٌ ولَفْحُ قَيْظٍ ... وخوفُ لصٍّ وحِفْظُ قوت

ونِسْوةٌ يَبْتغين كِنًّا[(٤)] ... بَنَيْتُ بُنيانَ عَنْكَبُوت

وأيّ مَغْنًى لحسن مَغْنًى ... ليس لسكّانه ثُبوت

ما وَعَظَ[(٥)] القَبْرُ لو عَقَلْنا ... موعظةَ الناطقِ[(٦)] الصموت

يُومِي إلى مُمْتطي الحنايا ... ما لكَ عن مضجعي عَميت؟

نسيتَ يومي وطول نومي ... وسوف تَنْسى كما نسيت

وشُدْتَ يا هادمي قصورًا ... نَعِمْتَ فيهنّ كيف شيت

معتنقًا للحسان فيها ... مُسْتَنْشقًا مِسْكها الفَتِيت

تسحب ذيل الصِّبا وتلهو ... بآنساتٍ يَقُلْن هِيت

---

(١) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي، المتوفى في نحو الستين والأربعمائة. وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ١٣٢) وبغية الملتمس (ص ٢٢٥) والتكملة (ج ١ ص ١١٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣١).

(٢) الأبيات الأربعة الأوائل فقط في المغرب (ج ٢ ص ١٣٣).

(٣) في الأصل: «حقير»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المغرب. والحِفْش: بيت صغير جدًا.

(٤) في المغرب: «سِتْرًا».

(٥) في الأصل: «لوعظ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «للناطق»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فاذكُرْ سُهادي قبل التَّنادي[١] واسْهَدْ له قبل أن يفوت
فَعَنْ قريبٍ يكون ظَعْني سَخِطْتَ يا صاح أم رضيت

حرف الياء

الملوك والأمراء

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي[٢]

أمير المسلمين بالأندلس، أبو الحجَّاج.

حاله وصفته: كان[٣] أبيض أزهر، أيِّدًا، برَّاق الثنايا، أنجل، رَجِل الشَّعْر أسوده، كثُّ اللحية، تقع العين منه على بدر تمام، يفضل الناس بحُسْن المرأى وجمال الهيئة كما يفضلهم مقامًا ورتبة، عذب اللسان، وافر العقل، عظيم الهيبة، إلى ثقوب الذهن، وبُعْد الغُور، والتفطُّن للمعاريض، والتَّبريز في كثير من الصنائع العملية، مائلًا إلى الهدنة، مُزجيًا للأُمور، كَلِفًا بالمباني والأثواب، جمَّاعة للحلي والذَّخيرة، مستميلًا لمعاصريه من الملوك. تولّى الملك بعد أخيه بوادي السَّقائين من ظاهر الخضراءِ، ضحوة يوم الأربعاءِ الثالث عشر من ذي الحجة عام ثلاثة[٤] وثلاثين وسبعمائة، وسنُّه إذ ذاك خمسة عشر عامًا وثمانية أشهر. واستقلَّ[٥] بالملك، واضطلع بالأعباءِ، وتملَّأَ الهدنة ما شاءَ. وعظُم مرانه لمباشرة الألقاب، ومطالعة الرسم، فجاءَ نسيج وحده، ثم عانى شدائد العدو، فكرُم يوم الوقيعة العظمى بظاهر طريف موقعه[٦]، وحُمِد بَعْدُ في منازلة الطَّاغية عند الجثوم على الجزيرة[٧] صبرُه، وأجاز البحر في شأنها، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطَّاها أجله، وأوهن حبْلها[٨] سعدُه. ولما نفذ فيها[٩] القَدَر، وأشفَت الأندلس، سدَّد الله أمور[١٠] المسلمين بها على يده،

(١) صدر هذا البيت مختل الوزن.
(٢) ترجمة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري في اللمحة البدرية (ص ١٠٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٧٤).
(٣) النص في اللمحة البدرية (ص ١٠٢ ـ ١١٢) وبعضه في نفح الطيب (ج ٧ ص ٧٤ ـ ٧٥).
(٤) كذا في نفح الطيب. وفي اللمحة البدرية: «أربعة».
(٥) في اللمحة البدرية: «واستقلّ بَعْدُ بالملك». (٦) في اللمحة: «موقفه».
(٧) في اللمحة: «البلاد». (٨) في اللمحة: «حَيْلها».
(٩) في المصدر نفسه: «في الجزيرة».
(١٠) في المصدر نفسه: «الأمور وامتسك الإسلام على يده».

وراخى مُخَنَّق الشِّدة بسعيه، فعرفت الملوك رجاحته، وأثنت على قصده، إلى حين وفاته[١].

أمه: أُم ولد تسمى بهارًا، طِرْفٌ في الخير والصون والرجاحة.

ولده: كان له ثلاثة من الولد، كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده، وتِلْوه أخوه إسماعيل[٢] المستقر في كنَفِه، محجورًا عليه التصرف إلى أعمال التدبير، وثالثهم اسمه قيس، شقيق إسماعيل.

وزراء دولته: تولّى وزارته لأول أمره، كبيرُ الأكرة ونبيه الدهَّاقين[٣]، من مُنْتَجعي المَدَر بحضرته، أبو إسحٰق بن عبد البر، لمخيَّلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده، سدًّا لحال بها على عَوَز طريقه إلى حضرته، إلى ثالث شهر المحرم من العام. وأنِفَ الخاصة والنبهاء رياسته، فطلبوا من السلطان إعاضته، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي النعيم رضوان[٤]، مظنَّة التَّسديد، ومحطِّ الإنفاق، فاتصل نظرُه مستبدًا عليه، في تنفيذ الأمور، وتقديم الولاة والعمال، وجواب المخاطبات، وتدبير الرعايا، وقَوْد الجيوش. ثم نَكَبه[٥]، وأحاط به مكروهًا، مجهول السبب، ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام[٦] أربعين وسبعمائة.

وتولّى الوزارة بعده، ابنُ عمة أبيه القائد[٧] أبو الحسن علي بن مؤْل بن يحيىٰ بن مؤْل الأمي، ابن عم وزير أخيه، رجل جَهْوري حازم؛ مُؤثر للغلظة على الشَّفقة[٨]، ولم يَنْشب أن كفَّ استبداده، فانكدر نجم سعادتهم، والتأَثَّ حاله، ولزمته شكاية سدِكت فاستنقذته[٩]. وأقام لرسم[١٠] الوزارة كاتبه شيخنا نسيجَ وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام[١١] تسعة وأربعين وسبعمائة. وهلك، رحمه الله، فأُجري لي الرَّسم، وعَصَّب لي تلك المثابة، مُضاعف الجراية، معزَّزة بولاية القيادة.

---

(١) في المصدر نفسه: «وفاته على أزكى عمله».
(٢) في اللمحة: «إسماعيل محجوره، وثالثهم...».
(٣) في اللمحة: «المشيخة».
(٤) كلمة «رضوان» ساقطة في اللمحة البدرية، وقد أشار محقق الإحاطة الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى أنه أضافها زيادة في التعريف.
(٥) في اللمحة: «ثم قبض عليه ليلة السبت...».
(٦) في اللمحة: «العام».
(٧) في اللمحة: «أبيه السلطان أبي الوليد القائد أبو الحسن...».
(٨) قوله: «على الشفقة» ساقط في اللمحة.
(٩) في اللمحة: «استنفدته».
(١٠) في اللمحة: «رسم الوزارة بكاتبه».
(١١) في اللمحة: «من عام».

كتّابه: تولّى كتابته كاتب أخيه وأبيه، شيخنا المذكور إلى حين وفاته. وقلّدني كتابة سرّه مثنّاة بمزيد قربه، مظفَّرة برسم وزارته.

قضاته: تولّى(١) أحكام القضاءِ، قاضي أخيه الصَّدر البقِيَّة، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن بكر(٢) إلى يوم الوقيعة الكبرى بطريف، وفُقد في مصافِّه، وتحت لوائه(٣). وتولى(٤) القضاءَ الفقيه المُفتي البقيَّة أبو عبد الله محمد بن عيَّاش(٥)، من أهل مالقة أيامًا، ثم طلب الإعفاء، فأُسعف عن أيام تقارب أسبوعًا، ووُلّي مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن بُرطال من أهل مالقة، فسدّد الخُطَّة، وأجرى الأحكام، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة. وقُدِّم(٦) عوضًا عنه، الفقيه الشريف الصَّدر الفاضل أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السَّبتي المولد والمنشأ(٧)، الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه، النازع إلى إيالتهم النصرية، معدودًا في مفاخر أيامها، مشارًا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها؛ ثم عزله لغير جُرمة تذكر، إلَّا ما لا ينكر وقوعه، مما تجره تَبِعات الأحكام. ووُلّي الخطة شيخنا نسيج وحده الرُّحلة البقية أبا البركات بن الحاج، شيخ الصُّقع، وصدر الجلَّة. واستمرّ قاضيًا إلى... (٨) وأربعين وسبعمائة. ثم أعاد إليها القاضي المفوض هونه، الشريف الفاضل، أبا القاسم، إلى يوم وفاته.

رئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي:

تولّى ذلك لأول الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق، قريع دهره في النكراءِ والدهاءِ، المسلّم له في الرتبة، عِتاقةً ورأيًا وثباتًا، إلى أن نكبه، وقبض عليه وعلى إخوته، يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الأول، عام أحد وأربعين وسبعمائة. وأقام شيخًا ورئيسًا، دائلَهم وابنَ عمّهم، المتلقِّف لكرة عزّهم يحيىٰ بن عمر بن رحُو، ولي ذلك بنفسه ونديمه ومبرز خصاله إلى تمام مدته.

من كان على عهده من الملوك:

وأولا بفاس دار الملك بالمغرب، السلطان المتناهي الجلالة، أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. وجاز على عهده إلى الأندلس، إثر صلاة

---

(١) في اللمحة: «تولى له».
(٢) في اللمحة: «بكر الأشعري».
(٣) في اللمحة: «لواء جهاده».
(٤) في اللمحة: «وولي».
(٥) في اللمحة: «محمد بن محمد بن عياش».
(٦) في اللمحة: «وقدّم للقضاء عوضه».
(٧) في اللمحة: «والنشأة».
(٨) بياض في الأصول.

يوم الجمعة تاسع عشر[١] صفر، من عام أحد وأربعين وسبعمائة، بعد أن أوقع بأُسطول الروم، المُسْتَدعى من أقطارهم، وقيعة كبيرة شهيرة، استولى فيها من المتاع والسلاح والأجفان، على ما قدم[٢] به العهد، واستقر بالخضراءِ في جيوش[٣] وافرة، وكان جوازه، في مائة وأربعين جَفْنًا غَزَوِيًا. وبادر إلى لقائه، واجتمع به في وجوه الأندلسيين وأعيان طبقاتهم بظاهر الجزيرة الخضراءِ، في اليوم الموفي عشرين من الشهر المذكور[٤]. ونازل إثر انقضاءِ المولد النَّبوي، مدينة طريف، ونصب عليها المجانيق، وأخذ بمخنَّقها، واستحثَّ من بها من المحصورين طاغيةَ الروم[٥]، فبادر يقتاد[٦] جيشًا يجرّ[٧] الشَّجر والمَدرَ. وكانت المناجزة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من العام. ومُحِّص[٨] المسلمون بوقيعة هائلة، أتت[٩] على النفوس والأموال والكِراع، وهلك فيها بمَضْرب المُلْك جملة من العَقائل الكرام، فعظمت الأُحدوثة، وجلَّت المصيبة، وأسرع اللَّحاق بالمغرب مفلولًا في سبيل الله، مُحْتسبًا يروم الكرَّة. وكان ما هو معلوم من إمعانه في حدود الشَّرق، عند إحكام المهادنة بالأندلس، وتوغُّله في بلاد إفريقية، وجَرَيان حكم الله عليه بالهزيمة، ظاهر القيروان التي لم ينتشله الدهر بعدها، وعَلِقت آمال الخلق بولده، مستحق الملك، من بين سائر إخوته، وهلك على تَفِئة لحاقه[١٠] بأحواز مراكش، ليلة الأربعاءِ السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعمائة، فاختار الله له ما عنده[١١]، بعد أن بلغ من بُعْد الصيت، وتعظيم الملوك له، وشهرة الذكر، ما لم يبلغه سواه.

ونحن نجلب دليلًا على فضله، والإشادة بفخره، نسخة العقد الذي تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية، صحبة الرَّبعة الكريمة بخطه، وذلك قبّة من مائة بنيقة، وفيها أربعة أبواب، وقبّة أُخرى من ستة وثلاثين بنيقة؛ داخلها حلة محلوقة ووجهها حرير أبيض، وركيزها أبنوس وعاج مرصع، والأهار فضة مذهبة، والشرائط حرير. وضربت القبّتان بالصفصيف، وحلّ فيها جميع الهدية. وصُفِّفَتْ جميع الدواب

---

(١) في اللمحة: «تاسع شهر صفر».
(٢) في اللمحة: «بَعُدَ».
(٣) في اللمحة: «جيش وافر».
(٤) كلمة «المذكور» ساقطة في اللمحة.
(٥) في اللمحة: «الروم بمصرهم».
(٦) في اللمحة: «يقود».
(٧) في اللمحة: «يسوق».
(٨) في اللمحة: «ومحّص الله المسلمين بالوقيعة الشهيرة».
(٩) من هنا حتى قوله: «وجلّت المصيبة» ساقط في اللمحة.
(١٠) في اللمحة: «التحاقه».
(١١) في اللمحة: «اختار الله له ما لديه». ومن هنا حتى قوله: «من نسخ كتابه بأوثق الأسباب» ساقط في اللمحة البدرية.

بجهازاتها أمام القبة، من الخيل ثلاثمائة، وخمسة وثلاثون من البغل بين ذكور وأُناث، ومن الجمال سبعمائة، إلا أنها لم تصفَّفْ، بل أُعدّت لحمل الهدية، ومن البُزاة الأحرار أربعة وثلاثون، ومن أحجار الياقوت مائتان وخمسة وعشرون، ومن قطب الزمرد مائة وثمانية وعشرون، ومن حبوب الجوهر الفاخر أكثره، ثلاثة آلاف وأربعة وستون. ومن أحجار الزبرجد ثمانية وعشرون، ومن المهنّدات بحلية الذهب عشرة، ومن أزواج مهاميز الذهب عشرة، ومن أزواج الأركب عشرة؛ واحد كله ذهب، وثلاثة كلها فضة، وستة من حبحبة مذهبة على الحديد، واثنان من اللضمات من ذهب، وشاشية مذهبة، وحلل: ثلاث عشرة، وعشر كلل ومخاد حلة. وتوق ذهب: مائتان، واشتراق ذهب: عشرون. وقدود: ستة وأربعون. وفرش جلَّة. وعشر علامات مُعَشَّشة. وعشر وقايات مذهَّبة. وثلاثون من وجوه اللُّحُف حرير وذهب. ومائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة. وحيطيان أحدهما حلة والآخر طوق. وثلاثة وعشرون شُقة من الرهاز. واثنان من هنابل الحلة. وعشرة براقع للخيل، منها ثمانية من الحلة. ومن أسلة الخيل ثلاثون، وثلاثة طنافس من الحرير. وهنابل حرير: اثنان. وعشرة هنابل من الحرير والصوف. وهنابل وانشريشية وزمورية: مائة وسبعة. وأربعة آلاف من الجلد التركي والأغماتي. ومن دَرَق اللَّمط المثمنة مائتان. ومن الأكْسِية المحررة أربعة وعشرون. ومن البرانس المحررة ثمانية. ومن الأحارم ما بين محررة وصوف عشرون. ومن أزواج المحفف خمسون. وعشر لزمات من الفضة. وست عشرة شُقة من الملف. وأما أزودة الحجاج فأعطى للحرة المكرمة أخته، أعزّها الله، ثلاثة آلاف دنير من الذهب، ومائتي كسوة برسم العرب. ولمن سافر معها ستمائة وسبعين. ولأبي إسحٰق بن أبي يحيىٰ ثلاثمائة من الذهب وكسوة رفيعة. ولعريفه يحيىٰ السويدي ألف دنير من الذهب. إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان والخدام، ولرسوم التحبيس على قراءِ الرابعة الكريمة، ستة عشر ألفًا وخمسمائة دنير. انتهى.

وكان هذا السلطان، رحمه الله، ممَّن دوَّخ الأقطار، وجاهد الكفار، ووطىء بالأساطيل خدود البحار، والتمس ما عند الله من الثواب، وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب، إلى أن[1] استوسق الأمر لولده، أمير المؤمنين بالمغرب وما إليه، فارس المكني بأبي عنان، الملقب[2] بالمتوكل على الله. فقام بالأمر أحمد قيام.

(١) في اللمحة: «واستوسق الأمر لولده أمير المسلمين».
(٢) في اللمحة: «المتلقب من ألقاب الخلافة بالمتوكل».

وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات. وسفَّرني[١] إليه لأول الأمر، مُعَزِّيًا[٢] بأبيه، ومُهنِّئًا بما صار إليه من ملكه، واستصحبت إليه كتابًا من إنشائي، نجليه بحول الله، تجميمًا لمن يقف على هذه الأخبار، وإن اقتحمتها ثبج الإكثار، وهو:

المقام الذي رسخت منه في مقامَيْ الصَّبر والشكر قدم، فلا يغيره وجود لا يروعه عدم، وصدقت منه في كتاب المجد عزمة لم يختلجها وَهَن ولا ندم، حتى تصرفت بحكم معاليه، أيام دهره ولياليه، هو ولدان وهذه خدم. مقام محل أخينا الذي إن جاشت النوائب، وسعها صدره، أو عظمت المواهب، ترفع عنها قدره، أو أظلمت الكروب جلاها بَدْرُه. أو تألبت الخطوب هزمها صبره، أو أظلَّت سحائب النعم أسْدَرها حمد الله وشكره، أو عرضت عقود الحمد في أسواق المجد أغلاها فجره، أو راقت حلل الصنائع طرَّزها ذكره، أو طبَّقت سيوف الناس أغمدها صفحه، وسلَّها قهره. السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد كلما بكت عين، مجموع الشَّمل كلما أزِف بَيْن، وارِيَ الزَّند إذا اقتضى دين، محمي الذِّمار بانفساح الأعمار كلما أغار على الأحياءِ حين. ولا زال يقيد منه شكر الله نعمًا ما في وعدها ليّ ولا في قولها مين، ويلبس منها حللًا تقواه في عواتقها زين. مساهمة في كل خَطْب غَمَّ، أو فضل من الله عمّ، ومقاسمة في كل ما ألَمَّ. وتهنئة بالملك الذي خَلَصَ وتَمَّ، فلان.

أما بعد حمد الله الذي جعل الصَّبر في الحوادث حصنًا منيعًا، والشكر يستدعي المزيد من النعم سريعًا، فمتى أُعْملت للصبر دعوة كان بها الأجر سميعًا، ومتى رُفعت من الشكر رُقعة كان المزيد عليها توقيعًا، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بوَّأنا من السعادة جنابًا مَريعًا، وبين له حدود أوامره ونواهيه فطُوبى لمن كان مُطيعًا، وكان لنا في الدنيا هاديًا ونجده في الآخرة شَفِيعًا، والرضا عن آله وصحبه الذين كانوا على العُداة قَيْظًا وللعُفاة ربيعًا، فحلُّوا من الاقتداءِ به فيما ساء وسرَّ وأحْلَى وأمرَّ مقامًا رفيعًا. وخفض عليهم مضاضَة فقده، مثابرتهم على ضمِّ شمل المسلمين من بعده، اقتداءً بقوله سبحانه: واعتصموا بحبل الله جميعًا. والدُّعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذي يشكر منه الجياد والبيضُ الحدادُ صنيعًا، وتشرح منه ألسنُ الأقلام تهذيبًا وتَقْريعًا، والصبر الذي زُرافات الأجر قَطيعًا فقطيعًا. فإنا كتبناه

---

(١) في اللمحة: «وسَفَرَت إليه عنه، واتصلت أيامه إلى آخر مدته».

(٢) من هنا حتى قوله: «فيمن عندنا، فعينًا فلانًا»، ساقط في اللمحة البدرية.

إليكم، كتب الله لكم من حظوظ الخير أوفرها عددًا، وأقطعكم من خُطَط السَّعد أبعدها مدًا. وأتْبَعكم من كتائب العز أطولها يدًا، وخوَّلكم من بَسْطة المُلْك ما لا يبيد أبدًا، وألهمكم من الصبر لما تقدِّمُونه فتجدونه غدًا. من حمراءِ غرناطة، حرسها الله، وعندنا من الاعتداد في الله أسبابٌ وثيقة، وأنسابُ صدق في بحبوحة الخُلوص عريقة، ومن الثناءِ عليكم حدائقُ روضٍ لا تحاكيها حديقة، ومن المساهمة لكم في شتَّى الأحوال مقاصدُ لا تلتبس منها طَريقة، ومن السُّرور بما سناه الله لكم نعمٌ بِشُكر الله عزَّ وجلَّ خليقة.

وإلى هذا، أيَّدكم الله بنصره، وحَكم لمقامكم بشدِّ أزرِه، وإعلاءِ أمره، فإنَّنا وَرَد علينا الخبر الذي قَبَض وبسط، وجار وأقْسَط، وبخَس ووفى، وأمْرض وشفى، وأضحى وظلَّل، وتجهَّم وتَهلَّل، وأمَرَّ وأحلَى وأساءَ ثم أحْسَن، وبشَّر بعد ما أحْزَن، خبرُ وفاة والدكم، محلِّ أبينا، السلطان العظيم القدر، الكبير الخَطَر، قدَّس الله طاهِرَ تُربته، وكرَّم لَحْده، كما أحيا بكم معالم مجده. فيا له من سَهْم رمى أغراض القلوب فأثْبتها، وطرق مجتمعات الآمال فشتَّتها. ونعى إلى المجد إنسان عيْنه وعَيْن إنسانه، وإلى المُلْك هُيولى أركانه، وإلى الدين تَرْجَمة ديوانه، وإلى الفضل عميد إيوانه. حادثٌ نبَّه العيون من سِنَة غرُورها، وذكَّر النفوس بَهْم أمورها. وأشْرَق المحاجر بماءِ دموعها، وأضرم الجوانح بنار ولُوعها. وبيَّن أن سَراب الآمال سراب، وأنَّ الذي فوق التُّراب تراب. فمن تأمل الدنيا وطباعها، والأيام وإسراعها، والحوادث وقِراعها، بدا له الحقُّ من المَيْن، واستغنى عن الأثر بالعين. فشأْنها أن لا تفترَّ عن سهم تُسَدِّده إلى غرض، وصحَّةٍ تعقُبها بمرض، وجوهر ترميه بعرَض. وداءِ للموت قديم، وقُرْبُه لا يُبْقي عليه أديم، وكأْسُه يشربها مُوسرٌ وعَديم. دبَّت إلى كسرى الفُرْس عقاربه، فلم تمنعه أساوِرتُه ولا مرازِبُه. وقصر قيصَر على حكمه فكدَّرت مشاربه، وأتْبر سيف بن ذي يَزن عمدانه فلم ترعه مضاربه، وأردى تُبَّعًا فلم يكن في أتباعه مَن يحاربه. لم تدافع عنهم الجنود المجنَّدة، ولا الصِّفاح المهنَّدة، ولا الدُّروع المحكمة، ولا النِّياب المغْلمة. ولا الجياد الجُرد المسوَّمة، ولا الرِّماح المثقَّفة المُقَومة. كلٌّ قدَّم على ما قدَّم. وجَّد إلى ما أعدَّ. جعلنا الله ممن يَسَّر لسفره زادًا، وقدَّم بين يديه رِباطًا شافعًا لديه وجهادًا. ووثَّر لنفسه بمناصحة الله والمؤمنين في أعلى عليين مهادًا، وطوَّق المسلمين عدلًا وفضلًا وإمدادًا. غير أن هذا الفاجىءَ الذي فجع، ومنع القلوب أن تقرَّ والعين أن تَهجع، غمرته البُشْرى، وغلَبته المسرَّةُ الكبرى، وعارضته من بقايكم الآية المحْكمة الأخرى، فاضمحلَّ من بعد الرُّسوخ، وصار ليله في حُكْم المَنْسُوخ. ما كان من اسْتخلاصكم الملك الذي أنتم أهله، واحْتيازكم المجد الذي أشْرقَ بكم

محلُّه. وكيف بِسَهْم أخطأ ذاتكم الشريفة، أن يقال فيه: أَصْمى وأَجْهَز، والأمل بعد بقائكم أن يقال فيه: تعذَّر أو أعْوز. إنما الآمال ببقائكم للملإ مَنُوطة، وسعادة الإسلام بحياتكم المتَّصلة مشروطة.

ومنها: فأي تَرَح يبقى بعد هذا الفَرح، وأي كسل يَنْشأُ بعد هذا المَرح. إنْ أَفَل البدرُ، فقد تبلَّج الفجرُ، أو غاض النِّيل فقد فاض البحر. وإن مال فَلَكُ الملك فقد عاد إلى مَداره، وإنْ أذنَب الدَّهر فقد أحسن ما شاء في اعتذاره. إنما هذا الخطب وهنٌ أعْقَبه ضوءُ النهار، وسطعت بعده أشعةُ الأنوار، وصِمْصامةٌ أُغمدت وسُلَّ من بعدها ذو الفقار.

ومنها: وإنَّنا لما. . .[١] عن حقِّه ورصدنا طالعه في أُفقه قابلنا الواقع بالتَّسليم، والمنْحة الرَّادفة بالشكر العظيم، وأنِسْنا في غمام الهُدنة ربَّ هذا الإقليم. وقلنا استقرّ الحق ووضحت الطرق، وهوى الرَّائد وصدق البرق، وتقرَّرت القاعدة وارتفع الفرق، واستبشر بإبْلال المغرب أخوه الشَّرق. وثابت آمال أُولي الجهاد إلى اقتحام فُرضة المجاز، وأُولي الحج إلى مرافقه ركب الحجاز، وآن للدنيا أن تلبس الحُلَى العجيبة بعد الابتزاز. والحمد لله الذي زيَّن بكم أُفق الملك، وكيَّف بسَعْدكم نظم ذلك السِّلك. وهنَّأ الله إيالتكم العباد والبلاد، والحجَّ والجهاد. وصدَّق الظنون الذي في مقامكم الذي جاز في المكارم الآماد. بادرنا، أيَّدكم الله، من برِّكم إلى غرضين، وقمنا من حقِّ عزائكم وهنائكم بواجبين مُفْتَرضين وشرعنا ومن لَدَينا أن نباشر بالنفوس هذين القَصْدين. إلَّا أننا عاقنا عن ذلك ما اتصل بنا من العدُوِّ الذي بلينا بجواره، ورُمِينا بمصابرة تيَّاره، وإلَّا فهذا الغرض قد كنَّا لا نرى فيه بإجراءِ الاستنابة، ولا نُحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة. فليَصِل الفضل جلالُكم، ويقبل العُذْر كمالُكم. وإذا كان الاستخلاف مما تحتمله العبادة، ولا ينكره عند الضرورة العُرْف والعادة، فأَحْرى الأُخوة والودادة، والفضل والمجادة. فتخيرنا جهدنا، واصطفينا لباب اللُّباب فيمن عنادنا، فعينَّا فلانًا.

واتصلت أيامه إلى آخر مدته.

وبمدينة[٢] تِلِمْسان: عبد الرحمٰن بن موسى بن عثمان بن يَغْمَراسِن بن زيّان، يكنى أبا تاشفين. وقد تقدم[٣] ذكره، وهو الذي انقضى ملك بني زيّان على يده[٤].

---

(١) بياض في الأصول.

(٢) في اللمحة البدرية: «وبتلمسان».

(٣) في اللمحة: «مرّ».

(٤) في اللمحة: «على يده لأول مدته».

تولّى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم، وتهنّأه إلى أن تأكّدت الوَحْشة بينه وبين السلطان ملك المغرب، فتحرّك لمنازلته، وأخذ بكَظْمه(١)، وحصره سِنين ثلاثًا، واقتحم عليه مَلْعب البلدة ليلة سبع وعشرين من رمضان عام سبعة(٢) وثلاثين وسبعمائة. وفي غرّة شوال منها، دخل(٣) البلد من أقطاره عَنْوة، ووقف هو وكبير ولده برحبة قصره، قد نَزَعا لام الحرب المانِعة من عمل السلاح استعجالًا للمنِيَّة ورغبة في الإجهاز، وقاما مقام الثّبات والصبر والاستجماع، إلى أن كُوثِرا وأُثْخنا، وعاجلتهما(٤) منِيَّةُ العزِّ قبل شدِّ الوِثاق، وإمكان الشّمات، واستولى على الملك(٥) مَلك المغرب. وفي ذلك قلت من الرَّجز المسمى بقطع السلوك في الدول الإسلامية، مما يخص(٦) ملوك تلمسان، ثم أميرها عبد الرحمٰن هذا(٧): [الرجز]

وحلّ فيها عابدُ الرحمٰنِ — فاغترَّ بالدنيا وبالزمانِ
وسار فيها مطلق العِنانِ — من مظهر سام إلى جِنانِ
كم زخرفت(٨) علْياه من بُنيانِ — آثاره تُنْبي عن العِيان
وصرف العزمَ إلى بجايهْ — فعظمت في قومها النِّكايهْ
حتى ما إذا مدّة الملك انقضتْ — وأوْجُه الأيام عنهم أعرضتْ
وحقَّ حقُّ الدهر فيها ووَجبْ — وكتب الله عليها ما كتبْ
حثَّ إليها السيرَ مَلكُ المغربِ — يا لك من مُمارس مُجَرِّبِ
فغلب القومَ بغير عهدِ — بعد حصارٍ دائم وجَهْدِ
فأقفرتْ من ملكهم أوطانُه — سبحان مَن لا ينقضي سلطانُه

ثم نشأت لهم بارقة، لم تكد تَقِد حتى خَبَتْ(٩)، عندما جَرتْ على السلطان أبي الحسن الهزيمة بالقيروان؛ وانبتَّ عن أرضه، وصُرفت البيعة في الأقطار إلى ولده، وارتحل إلى طلب منصور ابن أخيه، المنتزي(١٠) بمدينة فاس، فدخلوا تلمسان، وقبضوا على القائم بأمرها، وقدّموا على أنفسهم عثمان بن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن يَغمراسِن، المتقدم الذكر في رسم عثمان، وذلك في الثامن والعشرين لجمادى الآخرة

(١) في اللمحة: «بمخنقه».
(٢) في اللمحة: «ثمانية».
(٣) في اللمحة: «دخل عليه المدينة عنوة».
(٤) في اللمحة: «فعاجلتهما ميتة العزّ».
(٥) في اللمحة: «على ملك بني زيان ملك المغرب، واندرج فيه إلى هذا العهد».
(٦) في اللمحة: «يختص».
(٧) في اللمحة: «الرحمٰن ما نصّه».
(٨) في الأصل: «زخرف» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية.
(٩) قوله: «لم تكد. . . خَبَتْ» ساقط في اللمحة البدرية.
(١٠) في اللمحة: «الداعي لنفسه بمدينة. . .».

من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. واستمرت أيامه أثناء الفتنة وارتاش، وأقام رسم الإمرة، وجدَّد مُلْك قومه. واستمرت حاله إلى أن أوقع بهم ملك[١] المغرب، أمير المسلمين أبو عنان الوقيعة المصطلمة[٢] التي خضدت الشوكة، واستأصلت الشأفة. وتحصّل عثمان في قبضته. ثم ألحقت النكبةُ به أخاه[٣]، فكانت سبيلهما في القتل صبرًا عِبرة، وذلك في وسط ربيع الأول من عام التاريخ.

وبتونس: الأمير أبو يحيىٰ أبو بكر ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحٰق ابن الأمير أبي زكريا[٤]، إلى أن هلك. وولي الأمر[٥] ولده عمر، ثم ولده أحمد، ثم عاد الأمر إلى عمر. ثم استولى ملك المغرب السلطان أبو الحسن على ملكهم. ثم ضُمَّ نَشْرُهم بعد نكبته وخروجه عن وطنهم على أبي إسحٰق بن أبي بكر.

ومن ملوك النصارى بقَشْتالة: ألفنش[٦] بن هِرَنْدُه بن دون جانْجُه بن ألفنش المستولي على قرطبة، ابن هِرَنْدُه المستولي على إشبيلية، إلى عدد جمّ. وكان[٧] طاغية مرهوبًا، وملكًا مجدودًا. هبَّت له الريح، وعظمت به إلى المسلمين النكاية. وتملَّك الخضراءَ بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة الكبرى[٨] العظمى بطَرِيف. ثم نازل جبل الفتح، وكاد يستولي[٩] على هذه الجزيرة، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفيِّ لطفه، لا إلٰه إلّا هو. فهلك بظاهره في محلَّته حَتْف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمائة، فتنفس المُخنَّق، وانجلت الغُمَّة، وانسدل السِّتر. كنت منفردًا بالسلطان، رحمه الله، وقد غلب اليأس، وتُوُقِّعت الفضيحة، أؤنِسُه بعجائب الفرج بعد الشدة، وأُقوي بصيرته في التماس لطف الله، وهو يرى الفرج بعيدًا، ويتوقع من الأمر عظيمًا. ووَرَد الخبر بمهلكه، فاستحالت الحال إلى ضدها من السُّرور والاستبشار، والحمد لله على نعمه. وفي ذلك قلت[١٠]: [الطويل]

ألا حدِّثاني[١١] فهي أم الغرائب   وما حاضرٌ في وصفها مثل غائبِ

(١) في اللمحة: «بهم السلطان أبو عنان...». (٢) في اللمحة: «المستأصلة».
(٣) في اللمحة: «أخاه أبا ثابت».
(٤) في اللمحة: «زكريا بن يحيىٰ بن عبد الواحد بن أبي حفص إلى أن هلك».
(٥) كلمة «الأمر» ساقطة في اللمحة. (٦) في اللمحة: «ألفونش».
(٧) في اللمحة: «وكان هذا الطاغية». (٨) كلمة «الكبرى» ساقطة في اللمحة.
(٩) في اللمحة: «يستولي على الأندلس».
(١٠) في اللمحة: «وفي ذلك قلت من كلمة استعجلتها في مخاطبة السلطان، رحمه الله تعالى، وأولها».
(١١) في اللمحة: «حدثاها».

ولا تُخْلِيا منها على خَطَر[١] السُّرى سروج المذاكي أو ظهور النّجائب[٢]
أيوسُف، إنَّ الدهر أصبح واقفا على بابك المأمول موقف تائبِ
دعاؤك أمضى من مُهَنَّدة الظُّبا وسَعْدُك أقضَى من سُعود الكواكب
سيوفك في أغمادها مطمئنة ولكنَّ سيفَ الله دامي[٣] المضارب
فثِق بالذي أزعاك أمر عباده وسَلْ فضله فالله أكرم واهب
لقد طوّق الأذفنش سَعْدُك خزيةً تجدُّ على مرِّ العصور الذواهب
وفِّيت وخان العهد في غير طائل وصدَّق أطماع الظنون الكواذب
هوى في مجال العجب غير مُقَصِّر وهل نهض العُجْب المخل براكب؟
وغالَب أمر الله جلّ جلاله ولم يَدْرِ أنَّ الله أغلبُ غالب
ولله في طيِّ الوجود كتائبُ تدقُّ وتَخْفى عن عيون الكتائب
تُغير على الأنفاس في كل ساعة وتكمن حتى في مياه المشارب
فمن قارع في قومه سنَّ نادم ومن لاطم في رَبْعه خدَّ نادِب
مصائب أشجى وَقْعُها مُهَجَ العِدا وكم نِعمٌ في طيّ تلك المصائب
شواظٌ أراد الله إطفاءَ ناره وقد نَفَج الإسلام من كل جانب
وإن لم يصب منه السلاح فإنَّما أُصيب بسهم من دُعائك صائب
ولله من أَلْطافه في عباده خزائنُ ما ضاقت لمطلب طالب
فمنهما غَرَسْتَ الصبْر في تُربة الرضا بأحكامه فَلْتَجن حسن العواقب
ولا تعدَّ الأمر البعيد وقوعه فإن الليالي أُمَّهات العجائب

وهي[٤] طويلة سهلة؛ على ضعف كان ارتكابه مقصودًا في أمداحه.

وببرجلونة[٥]: السلطان بِطْرُه المتقدم ذكره في اسم أخيه.

ومن الأحداث[٦] في أيامه الوقيعة الكبرى بظاهر طريف، يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى، من عام أحد وأربعين وسبعمائة، وما اتصل بذلك من منازل الطاغية

(١) في الأصل: «قطْر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.
(٢) عند الانتهاء من رواية هذا البيت جاء في اللمحة البدرية: «ومنها في وصف الكائنة»، وأورد الأبيات التالية.
(٣) في اللمحة: «ماضي».
(٤) قوله: «وهي... في أمداحه» غير وارد في اللمحة البدرية.
(٥) برجلونة: هي نفسها برشلونة.
(٦) قارن باللمحة البدرية (ص ١٠٩ ـ ١١٠).

أَلْهَنْشُه قلعة يحصب الماسة الجوار من حضرته، واستيلائه عليها، وعلى باغة. ثم منازلة الجزيرة الخضراءِ عشرين شهرًا، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه. ثم استقرّ منازلًا إياها إلى أن فاز بها قِداحه، والأمر لله العلي الكبير، في قَصَص يطول ذكره، تضمن ذلك «طُرْفة العصر» من تأليفنا. ثم تهنأ السلم، والتحف جناح العافية والإمنة برهة، رحمه الله.

وفاته[١]: وما استكمل أيام حياته، وبلغ مداه، أتمّ ما كان شبابًا واعتدالًا وحسنًا وفخامة وعزًّا، حتى أتاه أمر الله من حيث لا يحْتَسب، وهجم[٢] عليه يوم عيد الفطر، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، في الركعة الأخيرة، رجل من عِداد الممرورين[٣]، رمى بنفسه عليه، وطعنه بخنجر كان قد أعدَّه[٤]، وأغرى بعلاجه، وصاح، وقُطعت الصلاة، وقُبض عليه، واسْتُفهم، فتكلم بكلام مُخَلَّط، واحتُمل إلى منزله، على فَوْت لم يستقر به، إلّا وقد قضى، رحمه الله ورضي عنه، وأُخرِج ذلك الخبيث[٥] للناس، وقتل وأُحرق بالنار، مبالغة في التشفي، ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره لصق والده[٦]، وولي أمره ابنه أبو عبد الله محمد، وبولغ في احتفال قبره، بما أشف على مَن تقدمه، وكتب عليه ما نصه:

«هذا قبر السلطان الشهيد، الذي كَرُمت أحسابُه وأعراقُه، وحاز الكمال خَلْقُه وأخلاقُه، وتحدَّث بفضله وحلمه شامُ المعمور وعراقُه، صاحبُ الآثار السَّنيَّة، والأيام الهَنيَّة، والأخلاق الرضِيَّة، والسير المَرْضيَّة. الإمام الأعلى، والشِّهاب الأجلى، حُسام الملة، علم الملوك الجِلَّة، الذي ظهرت عليه عناية ربِّه، وصُنع الله له في سَلْمه وحَرْبه. قطب الرَّجاحة والوقار، وسلالة سيِّد الأنصار، حامي حمى الإسلام برأيه ورايته، المستولي في[٧] ميدان الفخر على غايته، الذي صحبته عناية الله في بداية أمره وغايته، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير، الإمام الشهير، أسَدِ دين الله، الذي أذْعَنَت الأعداءُ لقهره، ووَقفت الليالي[٨] والأيام عند نهيه وأمره. رافع ظلال العدل في الآفاق، حامي حِمى السُّنة بالسُمْر الطوال والبيض الرِّقاق، مخلّد صحف الذِّكر الخالد والعزِّ الباقي، الشَّهيد السعيد المقدس أبي الوليد، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات، ذي العز البعيد الغايات، والفخر الواضح الآيات، كبير الخلافة النصرية، وعماد الدولة الغالبِيَّة، المقدس

(١) قارن باللمحة البدرية (ص ١١٠).
(٢) في اللمحة: «فهجم».
(٣) في اللمحة: «رجل ممرور، ورمى نفسه».
(٤) في اللمحة: «اتخذه».
(٥) في اللمحة: «الممرور».
(٦) في اللمحة: «أبيه».
(٧) في اللمحة: «من».
(٨) في اللمحة: «الأيام والليالي».

المرحوم أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن نصر، تغمّده الله برحمة من عنده، وجعله في الجنّة جارًا لسَعْد بن عُبادة جدِّه، وجازى عن الإسلام والمسلمين حميد سعيه، وكريم قصده. قام بأمر المسلمين أحْمَدَ القيام، ومهَّد لهم الأمن من[١] ظهور الأيام، وجلَّى لهم وجه العناية مُشْرق القسام، وبذل فيهم من تواضعه وفضله كل واضح الأحكام، إلى أن قضى الله بحضور أجله، على خير عمله، وختم له بالسعادة، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هديَّة الشهادة. وقَبَضه ساجدًا خاشعًا، مُنيبًا إلى الله ضارعًا، مستغفرًا لذنبه، مطمئنًا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربِّه. على يد[٢] شقيٍّ قيَضه الله لسعادته، وجعله سببًا لنفوذ سابق مشيئته وإرادته، خفيَ مكانه لخمول قدره، وتمَّ بسببه أمرُ الله لحقارة أمره، وتمكّن له عند الاشتغال بعبادة الله، ما أضمره من غدره، وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد، غرة شوال، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، نفعه الله بالشهادة التي كرم منها الزمان والمكان، ووضح منها على قبول رضوان الله البيان، وحَشَره مع سلفه الأنصار الذين عزَّ بهم الإيمان، وحصل لهم من النار الأمان. وكانت ولايته الملك في غرة اليوم الرابع عشر لذي الحجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة. ومولده في الثامن والعشرين لربيع الآخر عام ثمانية عشر وسبعمائة. فسبحان مَن انفرد بالبقاءِ المحض، وحتَّم الفناءَ على أهل الأرض، ثم يجمعهم إلى يوم الجزاءِ والعرض، لا إلٰه إلا هو.

وفي الجهة الأخرى من[٣] النظم، وكلاهما من إملائي، ما نصه: [الطويل]

يحيّيك بالريحان والرُوح من قَبْرِ ... رضى الله عمَّن حلَّ فيك مدى الدَّهْرِ
إلى أن يقوم الناسُ تَغْنُو وجوهُهم ... إلى باعث الأموات في موقف الحَشْرِ
ولستَ بقَبْرٍ إنما أنت روضة ... مُنَعَّمة الريحان عاطرة النَّشْرِ
ولو أنني أنصفتك الحقّ لم أقُلْ ... سوى يا كِمام الزَّهر أو صدف الدُّرّ
ويا مَلْحَد التقوى ويا مَدْفَن الهُدى ... ويا مسقط العليا ويا مَغْرب البدر
لقد حطَّ فيك الرحلَ أيُّ خليفة ... أصيل[٤] المعالي غُرَّةٌ في بني نصر
لقد حلَّ فيك العزُّ والمجد والعلى ... وبدرُ الدُّجا والمُسْتجار لدى[٥] الدهر

(١) كلمة «من» غير واردة في اللمحة. (٢) في اللمحة: «يَدَيْ».
(٣) قوله: «من النظم... ما نصُّه» ساقط في اللمحة البدرية.
(٤) في الأصل: «أصل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية.
(٥) في اللمحة: «من الدهر».

ومَنْ كأبي الحجاج حامي حمى الهُدى؟ ومَنْ كأبي الحجاج ماحي دُجا الكُفْر؟
إمامُ الهُدى غيث النَّدى دافع العدا بعيد المدى في حَوْمة المجد والفخر
سلالة سَعْد الخَزْرج بن عُبادة وحسبك من بيت رفيع ومن قدْر
إذا ذُكر الإغضاءُ والحلم والتُّقى وحدَّثْتَ عن علياه حَدِّثْ عن البحر
تخوَّنه طرْفُ الزمان وهل ترى بقاءً لحيٍّ أو دوامًا على أمر؟
هو الدهرُ ذو وجهين يومٌ وليلةٌ ومَنْ كان ذا وجهين يُعتب في غدر
تولّى شهيدًا ساجدًا في صلاته أصيل التقى رَطْب اللسان من الذكر
وقد عرف الشَّهرُ المبارك حقَّ ما أفاض من النُّعمى ووفَّى من البرّ
وباكرَ عيدَ الفطر والحكمُ مُبْرَمٌ وليس سوى كأْس الشهادة من فِطر
أتيح له وهو العظيم مهابةً وقدرًا حقير الذَّات والخُلُق والقدر
شقيٌّ أتته[(١)] من لَدُنه سعادة ومُنكَر قوم جاءَ بالحادث النُّكر
وكم من عظيم قد أُصِيبَ بخامل وأسباب حكم الله جَلَّتْ عن الحصر
فهذا عليٌّ قد قضى بابن ملْجم وأوقع وحْشِي بحمزة ذي الفخر
نَعُدُّ الرِّماح المَشْرَفِيّةَ والقنا ويطرق أمر الله من حيث لا تدري
ومن كان بالدُّنيا الدَّنية واثقا على حالة يومًا فقد باءَ بالخُسْر
فيا مالك الملك الذي ليس ينقضي ويا من إليه الحكم في النهي والأمر
تغمَّد بستر العفو منك ذنوبنا فلسنا نُرَجِّي غير سِترك من سِتر
فما عندك اللهمّ خيرٌ ثوابُه وأبقى ودنيا المرءِ خدعة مغترّ

ومما رثي به قولي في غرض ناءٍ عن الجزالة، متحرّيًا اختيار ولده[(٢)]: [الكامل]

العُمْرُ يومٌ[(٣)] والمُنى أحلامُ ماذا عسى أن يستمرَّ منامُ[(٤)]
وإذا تحقّقنا لشيءٍ[(٥)] بَذاْةً فله بما تَقْضي العقولُ تمامُ
والنفسُ تجمعُ في مدى آمالها ركْضًا، وتأبى ذلك الأيام
مَن لم يُصَبْ في نفسه فمصابه بحبيبه نَفَذَتْ بذا الأحكام

---

(١) في الأصل: «أتت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية.
(٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٧٥ ـ ٧٨).
(٣) في النفح: «نوم». (٤) في النفح: «مُقام».
(٥) في الأصل: «الشيء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

بـعـد الـشـبـيـبـة كَـبْـرَةٌ ووراءهـا هَـوْمٌ[١] ومـن بـعـدِ الـحـيـاة حِـمـام
ولـحـكـمـةٍ ما أشرقت شُهْبُ الدُّجا وتـعـاقـبَ الإصـبـاحُ والإظـلام
دنـيـاك يـا هـذا مَـحَـلَّةُ نُـقْـلة ومُـنـاخُ رَكْـبٍ مـا لـديـه مـقـام
هـذا أمـيـرُ الـمـسـلـمـيـن ومَـنْ بـه وُجِـدَ الـسَّـمـاحُ وأُعْـدِمَ الإعـدام[٢]
سرُّ الإمـامـة[٣] والـخـلافـة يـوسـفٌ غـيـثُ الـمـلـوك ولـيـثُـهـا الـضِّـرْغـام
قَـصَـدتـه عـاديـةُ الـزمـان فـأقْـصَـدَتْ والـعِـزُّ سـامٍ والـخـمـيـسُ لُـهـامُ
فُـجِـعَـتْ بـه الـدنـيـا وكُـدِّرَ شِـرْبُـهـا وشـكـى الـعـراقُ مـصـابَـهُ والـشـامُ
أسفًا على الخُلق الجميل كأنه[٤] بـدرُ الـدُّجُـنَّـة قـد جـلاه تـمـام
أسـفـا عـلـى الـعـمـر الـجـديـد كـأنـه غـضٌّ[٥] الـحـديـقـة زَهْـرُهُ بَـسَّـام
أسفا على الخلق الرَّضيّ كأنها[٦] زهـرُ الـرِّيـاض هَـمـى عـلـيـه غـمـام
أسفا على الوجه الذي مهما[٧] بدا طـاشـتْ لـنـورِ جـمـالـه الأفْـهـام
يـا نـاصـرَ الـثَّـغْـر الـغـريـب وأهـلِهِ والأرضُ تـرجـفُ والـسـمـاءُ قَـتـام
يا صاحبَ الصَّدمات[٨] في جَنْح الدجا والـنـاسُ فـي فُـرش الـنـعـيـم نـيـام
يـا حـافـظَ الـحَـرَم الـذي بـظـلالـه سُـتِـرَ الأرامـلُ واكْـتَـسـى الأيـتـام
مـولاي، هـل لـكَ لـلقـصـورِ زيـارةٌ بـعـد انـتـزاحِ الـدارِ أو إلـمـام؟
مـولاي، هـل لـكَ لـلعـبـيـد تَـذَكُّرٌ؟ حـاشـاك أن تـنـسـى[٩] لـديـك ذِمـام
يـا واحـدَ الآحـادِ والـعَـلَـمُ الـذي خَـفَـقَـتْ بـعـزّةِ نَـصْـرِهِ[١٠] الأعـلام
وافـاك أمـرُ الله حـيـن تـكـامـلـتْ فـيـك الـنُّـهـى والـجـودُ والإقـدام
ورحـلْـتَ عـنّـا الـرَّكْـبَ خـيرَ خـلـيـفـةٍ أثـنـى عـلـيـكَ اللهُ والإسـلام
نـعـم الـطـريـقُ سَـلَـكْـتَ كـان رفـيـقَـهُ والـزَّادُ فـيـه تَـهَـجُّـدٌ وصـيـام
وكسفْتَ يا شمس المحاسن ضحوةً فـالـيـومُ كـيـلٌ[١١] والـضـيـاءُ ظـلام

---

(١) في النفح: «هَرَمٌ».
(٢) الإعدام: الفَقْر. لسان العرب (عدم).
(٣) في النفح: «الأمانة».
(٤) في النفح: «كأنما».
(٥) في النفح: «زَهْوٌ».
(٦) في النفح: «كأنه».
(٧) في الأصل: «الذي يهمي ندًى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «والصدقات».
(٩) في النفح: «يُنْسى».
(١٠) في الأصل: «بعزه نصرة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «ليل».

وسقاكَ[١] عيدُ الفِطْر كأسَ شهادةٍ ... فيها من الأجَلِ الوحيِّ[٢] مُدام
وخَتَمْتَ عُمْرَكَ بالصلاة فحبّذا ... عَمَلٌ كريمٌ سَعْيُهُ وختام[٣]
مولاي، كم هذا الرقاد؟ إلى متى ... بين الصَّفائح والتُّراب تنام؟
أعِدِ التحيّةَ واحتَسِبْها قُرْبة ... إن كان يمكنك الغداةَ كلام
تبكي عليكَ مصانعُ شَيَّدْتَها[٤] ... بيضٌ كما تبكي الهَديلَ حَمام
تبكي عليك مساجدٌ عَمَّرْتَها ... فالناسُ فيها سُجَّدٌ وقِيام
تبكي عليك خلائقٌ أمَّنْتَها ... بالسِّلم وهي كأنها أنعام
عاملْتَ وجه الله فيما رُمْتَهُ ... منها فلم يَبْعَدْ عليك مَرام
لو كنتَ تُفْدَى أو تُجارُ[٥] من الرَّدى ... بُذِلَتْ نفوسٌ من لَدُنْكَ كرام
لو كنتَ تُمْنَع بالصَّوارم والقَنا ... ما كان رُكْنُكَ بالغِلاب يُرام
لكنه أمرُ الإلهِ وما لنا ... إلّا رضًى بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفنا على الورى ... وقضاؤه جَفَّتْ به الأقلام
نَمْ في جوار الله مسرورًا بما ... قَدَّمْتَ يومَ تزلزلُ الأقدام
واعلمْ بأن سَليلَ ملك[٦] قد غدا ... في مستقرِّ عُلاك وهو إمام
سِتْرٌ[٧] تَكَنَّفَ منه مَنْ خلَّفته ... ظِلٌّ ظليلٌ فهو ليس يُضام
كنت الحسامَ وصِرْتَ في غمد الثّرى ... ولنصرِ ملكك سُلَّ منه حُسام
خلَّفْتَ أُمَّةَ أحمدٍ لمحمدٍ ... فقضتْ بسعد الأُمَّة الأحكام
فهو الخليفةُ للورى في عهده ... تُرعى العهودُ وتُوصَلُ الأرحام
أبقى رسومَكَ كلَّها محفوظةً ... لم يَنتَثِرْ منها عليك نظام
العدلُ والشِّيَمُ الكريمةُ والتُّقى ... والدَّار والألقابُ والخُدَّام
حسبي بأن أغشى[٨] ضريحَكَ لاثمًا ... وأقولَ والدمعُ السَّفوحُ سِجام

---

(١) في الأصل: «سقاك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «الحرمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. والأجل الوحيّ: الموت السريع.
(٣) يريد أن يقول: كريم سعيه وختامه.
(٤) في الأصل: «شهدتها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «تجاز» والتصويب من النفح. (٦) في النفح: «ملكك».
(٧) في الأصل: «بستر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) في الأصل: «أخشى»، ولا معنى له، والتصويب من النفح.

يا مدفنَ التَّقوى ويا مَثْوى الهدى — مِنِّي عليك تحيةٌ وسلام
أخفيتُ من حزني عليك وفي الحشا — نارٌ لها بين الضلوع ضِرام
ولو أنني أدَّيتُ حَقَّكَ لم يكن — لي بعد فقدكَ في الوجود مُقام
وإذا الفتى أدَّى الذي في وُسْعه — وأتى بجَهْدِ ما عليه مَلام

وكتبت في بعض المعاهد التي كان يأنس بها رحمة الله عليه[1]: [السريع]

غِبْتَ فلا عَيْنٌ ولا مَخْبَرٌ — ولا انتظارٌ منكَ مرقوبُ
يا يوسفٌ، أنتَ لنا يوسفٌ — وكلُّنا في الحزن يعقوبُ

يوسف بن عبد الرحمٰن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقْبة ابن نافع الفِهْري[2]

أوليته: كان عبد الرحمٰن أحد زعماءِ العرب بالأندلس، وكان ممن ثار منها من أصحاب بَلْج[3] عصبيَّةً لقتله، فخرج عن الأندلس إلى إفريقية، وجدُّه عُقْبة بن نافع، هو الذي اختطَّ قَيْرُوانها أيام مُعَاوية بن أبي سفيان. قال عيسى بن أحمد: وهرب ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مغاضبًا له، أيام بشر بن صَفْوان الكلبي، فهوى الأندلس واستوطنها، فساد بها ثم تأمَّر فيها.

حاله: كان شريفًا جليلًا، حازمًا عاقلًا، اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قُرشي، بعد موت أميرهم ثَوابة بن سلامة، ورضي به الخِيار من مُضر واليمن، فدانت له الأندلس تسع سنين وتسعة أشهر، وكان آخر الأُمراءِ[4] بالأندلس، وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية. وأشرك الصُّميل[5] بن حاتم في أمره، فتُركت لذلك نسبة الأمر له، وكانت الحرب التي لم يُعْرف بالمشرق والمغرب أشدَّ جلادًا ولا أصبر رجالًا منها، واعتزلها يوسف تحرُّفًا، وقام بأمرها الصُّميل، وانهزم اليمانيون واستلحموا ملحمة عظيمة، واستوسق الأمر ليوسف. وغزا جِلِّيقية فعظم في عَدوِّها

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٧٨) و(ج ٩ ص ١٨٩).

(٢) ترجمة يوسف الفهري في البيان المغرب (ج ٢ ص ٣٥) وجذوة المقتبس (ص ٨) وبغية الملتمس (ص ١٢) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٣٤٧) وكتاب العبر لابن خلدون (م ٤ ص ٢٦١) ونفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٨، ٢٤١، ٢٧٩، ٢٨٨) و(ج ٤ ص ٢٠).

(٣) هو بَلْج بن بِشْر القشيري، وقد ولي الأندلس مدة أحد عشر شهرًا، فمات سنة ١٢٤ هـ.

(٤) المراد: آخر الولاة بالأندلس.

(٥) هو الصُّميل بن حاتم، إذ كان له الرسم، وكان ليوسف الفهري الاسم.

أثره. ولما تمَّ له الأمر طرقه ما تقدم به الإلماع، من عبور صقر بني أمية عبد الرحمٰن الداخل في خبر طويل. والتقى بظاهر قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة في ذي الحجة، وانهزم يوسف بن عبد الرحمٰن والصُّميل، ولحقا بإلبيرة. وأتبعهما عبد الرحمٰن بن معاوية، فنازله، وقد تحصن بمعقل إلبيرة حصن غرناطة، وترددت بينهما الرُّسل في طلب المهادنة والبقاءِ على الصلح. وتخلّى يوسف عن الدعوة، واستقرّ سكناه بقرطبة، وذلك في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة، وأقبل معه في عسكره إلى قرطبة. وذُكر أنه تمثّل عند دخوله عسكر عبد الرحمٰن ببيت جرور ابن ابنة النعمان[١]: [الطويل]

فبيْنا[٢] نسوسُ الأمْرَ[٣] والأمْرُ أمْرُنا   إذا نحن فيهمْ سوقةٌ نُتَنَصَّفُ
فَتَبًّا لدنيا لا يدومُ نعيمُها   تُقلَّبُ ساعاتٍ بنا وتُصَرِّفُ

واستقرّ بقرطبة دهرًا، ثم بدا له في الخلاف. ولحق بأحواز طليطلة، وأعاد عهد الفتنة، فاغتاله مملوكان له، وقتلاه، رحمه الله، في سنة اثنتين وأربعين ومائة. وأخبار يوسف بن عبد الرحمٰن معروفة، وهو محسوب من الأمراءِ الأُصلاءِ بغرناطة، إذ كانت له قبل الإمارة بها ضياع يتردّد إليها.

ومن غير الأصليين

يحيىٰ بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عزَفة اللخمي

الرئيس أبو زكريا وأبو عمرو ابن الرئيس أبي طالب ابن الرئيس أبي القاسم. كنّاه أبوه أبا عمرو، وغلبت عليه الكنية المعروفة.

حاله: كان قيّمًا على طريقة أصحاب الحديث، رواية وضبطًا وتقييدًا وتخريجًا، مع براعة خط، وطرْف ضبط، شاعرًا مُجيدًا مطبوعًا، ذا فكاهة وحُسْن مجالسة. رأس بسَبْتة، بعد إجازته البحر من الأندلس والاحتلال بفاس، نائبًا عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق، لأمر مَتَّ به إليه قبل استقلاله، ليس هذا موضع ذكره. ثم استبدَّ بها مخالفًا عليه، لأمر يطول شرحه، أجرى فيه مُوَفَّى الجانب من الخلع، باسلًا مقدامًا، سَكون الطائر، مثقَّفًا بخلال رئاسته، ضامًا لأطرافها. ونازله

(١) ورد فقط البيت الأول في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٣٥٠).
(٢) في الحلة السيراء: «بينا». (٣) في المصدر نفسه: «الناس».

جيش المغرب، وبيد أميره ولده أبو القاسم مُرْتَهنًا، فأُتيح له ظفرٌ أجلى ليلة غربيات المحلّة، والأثر فيها، واستخلاص ولده.

مشيخته: أخذ عن جماعة من أهل بلده وغيرهم، قراءة وسماعًا وإجازة. فممن أخذ عنه من أهل بلده سَبتة، أبو إسحٰق الغافقي، وأبو عبد الله بن رُشيد، وأبو الظفر المنورقي، وأبو القاسم البلفيقي، وأبو علي الحسن بن طاهر الحسيني، وأبو إسحٰق التّلمساني، وأبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري، وأبو القاسم بن الشّاط. وبغرناطة لما قدم عليها، مُغَرَّبًا عن وطنه، عند تصيُّره إلى الإيالة النَّصرية من أيديهم، وسكناه بها، عن أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وأبي جعفر بن الزبير، وأبي محمد بن المؤذن، وأبي الحسن بن مَسْتقور، وغيرهم. ومن أهل ألمرية أبو عبد الله محمد بن الصايغ، وأبو عبد الله بن شعيب. ومن أهل مالقة الولي أبو عبد الله بن الطّنجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو الحسن بن منظور، وأبو الحسن بن مصامد. ومن أهل الخضراءِ، أبو جعفر بن خميس. ومن أهل بلّش أبو عبد الله بن الكماد. ومن أهل أُرْجِبة[1] أبو زكريا البُرشاني. ومن أهل بجاية أبو علي ناصر الدين المِشْدالي، وأبو عبد الله بن غربوز. ومن أهل فاس أبو عبد الله الموِمناني. ومن أهل تِيزى أبو عبد الله محمد القيسي. وكتب له بالإجازة طائفة كبيرة من أهل المشرق، منهم قطب الدين القسطلاني.

شعره: قال لي شيخنا أبو البركات: سألتُه، وأنا معه واقفٌ بسور قصبة سَبْتة، أن يجيزني ويكتب لي من شعره، فكتب لي قطيعات منها في تهنئة السلطان أبي الجيوش يوم ولايته: [الكامل]

الآن عاد إلى الإمامة نُورُها ... وارتاح منبرُها وهَشَّ سريرُها
وبدا لنا من بعد طول قطوبها ... منها التهلُّل واستبانَ سرورها
وَضَعَتْ أزمَّتها بكفّ خليفة ... هو أصْلُها الأولى بها ونصيرها
مِنْ مَعْشَرٍ عَرَفَتْ بطونُ أكُفِّهِمْ ... بَذْلَ النّدى واللّاثمين ظهورها
خِرْصانُهُمْ ووجوهُهُمْ في ظلمة الـ ... ـنَّقْع المُثار نجومُها وبدورها
وَسَعَ الرعايا منه عَدْلُه ... لم يزل إليه قلوبهمْ ويَصُورها[2]
حتى اغتدتْ بالحب فيه صدورُها ... مَلأى وأخْلَصَ في الولاءِ ضميرها

---

(١) أُرجبة: بالإسبانيّة Orgiva، وهي بلدة تقع جنوب شرقي غرناطة.

(٢) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

رام العُداةُ لمجده كَيْدًا فلمْ تنجحْ مساعتُها وساءَ مصيرُها
وكذاك فِعْلُ اللهِ فيمن كاده جهلًا وغَرَّتْهُ المُنى وغرورها
مولاي، إنّا عصبةٌ معروفة بالحبِّ فيك صغيرها وكبيرها
جئنا نُقضّي من حقوقك واجبا نُشدي المدائحَ[1] تارةً ونبيرها
ولقد خدمْتُ مقامكمْ من قبلها بفرائدٍ حَسْنا يعزُّ نظيرها
فاجذبْ بضَبْعي من حضيضِ مزارتي مَنْ[2] عَرَّسَتْ وعلى يديك مسيرها
وافْتِكّني من أسْر فَرْط خصاصة عنفتْ فلم يقصدْ سواك أسيرُها
لا زلْتَ للإسلام تحمي أمّةً دانته مما يتّقي ويجيرها
وبقيتَ في عزّ وسَعْدٍ شامل حتى يحين من الرفات نُشُورها

وفي الإلغاز بالأقلام والمِخبرة: [الوافر]

وسِرْب ضَمَّهُمْ دَسْتٌ ستيرُ شبابٌ ليس يفزعهمْ قَتيرُ
قد اختصروا فلم يُفْرَشْ سآد لمجلسهمْ ولم يُنْصب سريرُ
لهمْ كأس إذا دارتْ عليهمْ فقد أزِفَ التَّرَحُّلُ والمسير
وأفْشَوا سِرَّ ساقيهمْ[3] بلفظ مُبين ليس يفهمه البَصير
وهَزَّتْ من رؤوسهمُ نشاطا وعند الصَّحْو يَغروهُمْ فتور
فِصاحٌ إنْ تُحَلِّلْهُمْ وإلّا فشأنُهُمُ التَّلعْثُمُ والقصور
صلاب حين تعجمهمْ ولكن إذا طعنوا فَدَمْعُهُمُ غزير
لهمْ عقل يلوم على القوافي لذلك[4] نومُهُمْ أبدًا كثير
طويلُهُم يطولُ العُمْرُ منه أخا نَغْبٍ ويخترم القصير
وهُمْ لم يُشْفَ يومًا[5] بغير القطع عضوهُمُ الكبير
فقل لي: من هُمُ، لا زلْتَ فَرْدًا دياجي المشكلات به تسير

نكبته: تنظر في العبادلة في اسم أبيه[6].

مولده: سنة سبع وسبعين وستمائة.

وفاته: عام تسعة عشر وسبعمائة، في شعبان، رحمه الله.

---

(١) في الأصل: «بالمدائح»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) كلمة «من» ساقطة في الأصل.
(٣) في الأصل: «سياقهم»، وكذا يختل الوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «لذاك»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) صدر هذا البيت مختل الوزن.
(٦) تقدمت ترجمة أبيه عبد الله بن محمد بن أبي عزفة اللخمي في الجزء الثالث من الإحاطة.

يحيىٰ بن علي بن غانية الصحراوي، الأمير أبو زكريا(١)

حاله: كان بطلًا شهمًا حازمًا، كثير الدهاءِ والإقدام، والمعرفة بالحروب، مُجْمَعًا على تقدمه. نشأ في صحبة الأمير بقرطبة محمد ابن الحاج اللَّمتوني وولّاه مدينة إسْتجة، فهي أول ولايته. وليها يحيىٰ، وتزوج محمد بن الحاج أُمّه غانية بعد أبيه وكفله، وأقام معه بقرطبة، إلى أن كان من محمد ابن الحاج ما كان من مداخلة أشياخ مَسُّوفَة على خلع محمد بن يوسف بن تاشفين عن الأمر، وصرف البَيْعة إلى يحيىٰ الحفيد، الوالي في ذلك العهد بمدينة فاس، ولم يتمَّ له الأمر، فأجْلي عن نكبته. وانفصل يحيىٰ بن غانية عن جماعته، وأقام متصرِّفًا في الحروب، معروف الحق والغِناءِ، إلى أن اشتهرت بسالته وديانته، ورغب يدِيِّر بن وَرَقا، صاحب بلنسية، من السلطان في توجيهه إليه، ليستعين به على مدافعة العَدوِّ، فأُجيب إلى ذلك. فوصل يحيىٰ بلنسية، وأقام بها ذابًّا عن المسلمين، إلى أن توفي يَدِّير بن ورقا، فولّاه علي بن يوسف إياها وشرق الأندلس، فظهر غناؤه وجهاده، وهزم الله بها ابن رُذْمير الطّاغية منازلًا إفراغة على يده، فطار ذكره، وعظُم صيته، واشتهر سَعْدُه، وأسُل عن البيضة دفاعه.

أخبار عزمه: حكي عنه أنه تزوج في فُتوَّته امرأة من قومه شريفة جميلة، وقرَّ بها عينًا، ثم تركها وطلّقها، فسئل عن ذلك، فقال: والله ما فارقتها عن خِلَّة تُذَمّ، ولكن خِفت أن أشْتغل بها عن الجهاد. ولم يزل يدافع النصارى عن المسلمين بالأندلس، فهزم ابن رذمير، وأقْلع محلاتهم عن مدينة الأشبونة، واستمسك به حال الأندلس. ووُلِّي قرطبة وما إليها من قبل تاشُفِين بن علي بن يوسف، عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة، فاستقامت الأُمور بحسن سيرته، وظهور سعده، إلى صفر من عام تسعة وثلاثين. وكانت ثورة ابن قَسِي باكورة الفتنة. ولما خرج إلى لَبْلة، ثار ابن حَمْدين بقرطبة دار مُلْكه في رمضان من العام، واستباح قَصْره، وانطلقت الأيدي على قومه، وتمّ له الأمر. وبلغ يحيىٰ الخبر، فرجع أدراجه إلى إشبيلية، فثار به أهلها، وناصبوه الحرب وأصابوه بجراحة، فلجأ إلى حصن مرجانة، فأقام به يصابر الهول، ويرقّع القُنَن. ثم تحرّك إليه جيش ابن حمدين، وكانت بينهما وقيعة انهزم فيها ابن حمدين، واستولى ابن غانية على قرطبة، في شعبان من عام أربعين، وتحصّن ابن حمدين بأنْدُوجر ممتنعًا بها. ونهض يحيىٰ إلى منازلته، فاستعان ابن حمدين بملك

---

(١) ترجمة يحيىٰ بن غانية في المعجب (ص ٣٤٣) وصفحات متفرقة من المغرب ونفح الطيب.

قشتالة، وأطمعه في قرطبة، فتحرّك إلى نُصرته. ولما وصل أندوجر، أغْذَر يحيىٰ في الدفاع والمصابرة، ثم انصرف بالجيش إلى قرطبة، وأخذ العدُوُّ في آثارهم، صحبة مستغيثه ابن حمدين. فنازل قرطبة، وامتنع ابن غانية بالقصر ومائليه من المدينة. وأدخل ابن حمدين النصارى قرطبة في عاشر ذي الحجة من عام أربعين، فاستباحوا المسجد، وأخذوا ما كان به من النواقيس[1]، ومزقوا مصاحفه، ومنها زعموا مصحف عثمان، وأنزلوا المنار من الصَّومعة، وكان كله فِضَّة، وحُرِقت الأسواق، وأفسدت المدينة، وظهر من صبر ابن غانية، وشدَّة بأسه، وصدق دفاعه، ما أيْأس منه. وكان من قَدَر الله، أن بَلَغ طاغية الروم يوم دخولهم قرطبة، اجتياز الموحِّدين إلى الأندلس، فأجال طاغيتهم قِداح الرأي، فاقتضى أن يهادن ابن غانية، ويتركه بقرطبة في نحر عدوِّه من الموحدين، سدّا بينهم وبين بلاده. فعُقدت الشروط، ونزل إليه ابن غانية فعاقده، واستحضر له أهل قرطبة، وقال لهم: أنا قد فعلت معكم من الخير، ما لم يفعله مَنْ قبلي، غلبتكم في بلدكم وتركتكم رعيَّة لي، وقد ولَّيت عليكم يحيىٰ بن غانية، فاسمعوا له وأطيعوا. قال المؤرخ: وفَخَر الطاغية في ذلك اليوم بقومه، وقال: ولا يُريبنكم أن تكونوا تحت يدي ونظري، فعندي كتابُ نبيكم إلى جَدِّي. حدَّث ابن أُم العماد أبو الحسن، قال: حضرتُ، وأُحضر حقٌّ من ذهَب، فُتح وأخرج منه كتابٌ من رسول الله ﷺ، إلى قيصر ملك الروم، وهو جدُّه بزَعْمه. والكتاب بخط علي بن أبي طالب. قال أبو الحسن: قرأته من أوله إلى آخره، كما جاءَ في حديث البخاري. وانصرف إلى بلاده، وانصرف ابن حَمْدين، فكان هلاكه بمالقة، بعد اضطراب كثير. واستقرّ ابن غانية بقرطبة الغادر به أهلها، فشرع في بنيان القصبة وسدِّ عوْرتها، وسام أهلها الخسف وسوءَ العذاب، ووالى إغْرامهم، واستعجل أمرهم، واتصل سَلْمه مع العدو إلى تمام أحد وأربعين وخمسمائة، وقد تملك الموحدون إشبيلية وما إليها. وضيَّق عليه النصارى في طلب الإتاوة، واشتطُّوا عليه في طلب ما بيده، ونزل طاغيتهم أندوجر وبه رجل يعرف بالعربي، واستدعى ابن غانية، فلمّا تحصَّل بمحلّته، طلبه بالتخلّي عن بيّاسة وأُبّدة، فكان ذلك. وتشاغل الموحدون بأمر ثائر نازعهم بالمغرب، فكَلِب العدو على الأندلس، فنازل الأشْبُونة وشَنْترين، وألمرية وطُرْطُوشة ولاردة وإفراغة، وطمع في استئصال بلاد الإسلام، فداخل ابن غانية سرًا منْ بإشبيلية من الموحِّدين، ووصله كتاب خليفتهم بما أحبَّ، وتحرك الطاغية في جيوش لا تُرام. وطالب ابن غانية بالخروج عن جيّان وتسليمها إليه، وكاده، حسبما تقدم في اسم

(١) المراد بالنواقيس مصابيح المسجد المغطاة بأغطية نحاسية تشبه النواقيس. من تعليق الأستاذ محمد عبد الله عنان، الإحاطة (ج ٤ ص ٣٤٦) حاشية رقم ١.

عبد الملك بن سعيد. ونهض بعد هذه الكائنة إلى غرناطة، وهي آخر ما تبقى للمرابطين من القواعد ليجمع بها أعيان لَمْتُونة ومسُّوفة، في شأن صرف الأمر إلى الموحدين.

وفاته: ولما وصل الأمير يحيىٰ بن غانية إلى غرناطة أقام بها شهرين، وتوفي عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، ودفن بداخل القصبة في المسجد الصغير، المتصل بقصر باديس بن حَبُّوس(١)، مجاورًا له في مدفنه، وعليه في لوح من الرخام تاريخ وفاته، والناس يقصدوه للتبرك به.

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن ابن منصور بن مصالة بن أمية بن وايامى الصنهاجي ثم اللمتوني(٢)

يكنى أبا يعقوب ويلقب بأمير المسلمين.

أوليته: ذكروا أن يحيىٰ بن إبراهيم بن توقورت حجّ، وهو كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعمائة، واجتاز على القيروان وهي موفورة بالعلماءِ، وتعرّف بالفقيه أبي عُمران الفاسي، ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه، ليعلِّم قومه ويفقههم، فخاطب له فقيهًا من فقهاءِ المغرب الأقصى اسمه واجاج، واختار له واجاج عبد الله بن ياسين القائم بدولتهم، البادي نَظْم نَشْرهم، وتأليف كلمتهم، فاجتمع عليه سبعون شيخًا من نبهائهم ليعلمهم، فانقادوا له انقيادًا كبيرًا، وتناسل الناس، فضخم العدد، وغزا معهم قبائل الصحراءِ. ثم التأَثَتْ حاله معهم، فصرفوه، وانتهبوا كتبه، فلجأ إلى أمير لمتونة يحيىٰ بن عمر بن تلايكان اللمتوني، فقبله، وأعاد حاله، وثابت طاعته، فأمضى القتل على مَن اختلف عليه. وكان يحيىٰ بن عمر يمتثل أمر عبد الله امتثالًا عظيمًا. ثم خرج بهم إلى سجلماسة، فتملّكوها، وتملّكوا الجبل. ثم ظهروا على المغرب، ثم قُتل الأمير يحيىٰ بن عمر، فقدَّم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدَزعة، ونهد به، فتملّك

(١) في الأصل: «حيوس» بالياء.

(٢) ترجمة يوسف بن تاشفين وأخباره في وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٦٩) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٦٢١) و(ج ١٠ ص ٤١٧) وجذوة الاقتباس (ص ٣٤٢) وتاريخ ابن الوردي (ج ٢ ص ٣) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ١٠٢) ونخبة الدهر (ص ٢٣٦) وبغية الرواد (ج ١ ص ٨٦) والحلل الموشية (ص ٥٩) والبيان المغرب (ج ٤ ص ١١١) والمعجب (ص ٢٢٦) والروض المعطار (ص ٢٨٧، مادة الزلاقة) وكتاب العبر (م ٦ ص ٣٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٥).

جبال المصامدة، واحتلّ بأغمات وَريكة واستوطنها. ولعبد الله أخبار غريبة وشذوذ في الأحكام، الله أعلم بصحتها. وقَتَل عبد الله بن ياسين برغواطة. ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثأره، وأثخن القتل فيهم، وقدّم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم على عسكر كبير، فيهم أشياخ لمتونة، وقبائل البرابرة والمصامدة، واجتاز على بلاد المغرب، فدانت له. وطرق الأمير أبا بكر خبرٌ من قومه من الصحراءِ انزعج له، فولّى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب، وترك معه الثلث من لمتونة، إخوانه، وأوصاه، وطلّق زوجته زينب، وأمره بتزوُّجها؛ لما بلاه من يُمنها، فبَنى يوسف مدينة مراكش وحصّنها، وتحبَّب إلى الناس، واستكثر من الجنود والقوة، وجَبى الأموال، واستبدَّ بالأمر. ورجع الأمير أبو بكر من الصحراءِ سنة خمس وستين وأربعمائة، فألفى يوسف مستبدًّا بأمره، فسالمه، وانخلعَ له عن المُلك، ورجع إلى صحرائه، فكان بها تَصِله هدايا يوسف إلى أن قتله السُّودان. واستولى يوسف على المغرب كله، ثم أجاز البحر إلى الأندلس، فهزَم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلّاقة، وخلع أُمراءَ الطّوائف، وتملّك البلاد إلى حين وفاته.

حاله: قال أبو بكر بن محمد بن يحيىٰ الصيرفي: كان، رحمه الله، خائفًا لربِّه، كتومًا لسرّه، كثير الدعاءِ والاستخارة، مقبلًا على الصلاة، مديمًا للاستغفار، أكثرُ عِقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه الاعتقالُ الطويل، والقَيْدُ الثَّقيل، والضرب المُبرّح، إلّا مَن انتزى أو شقّ العصا، فالسيف أحْسَم لانتشار الداءِ. يُواصل الفقهاءَ، ويعظّم العلماءَ، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها بآرائهم، ويقضي على نفسه وغيره بفتْياهم، ويحضُّ على العدل، ويَصْدع بالحق، ويعضِّد الشَّرع، ويخزِم في المال، ويُولَع بالاقتصاد في الملبس والمطعم والمسكن، إلى أن لقي الله، مجدًّا في الأُمور، مُلْقنًا للصواب، مستحبًّا حال الجد، مؤدّيًا إلى الرعايا حقّها، من الذَّب عنها، والغَلْظة على عدوها، وإفاضة الأمن والعدل فيها. يرى صور الأشياءِ على حقيقتها، تسمّى بأمير المسلمين لما احتل الأندلس وأوقع بالروم، وكان قَبْلُ يُدْعى الأمير يوسف، وقامت الخطبة فيها جميعًا باسمه، وبالعُدْوة، بعد الخليفة العباسي. وكان درهمه فضّة، ودُنيْره تِبْرٌ محض، في إحدى صفحتي الدُّنير «لا إلـٰه إلا الله، محمد رسول الله»، وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وفي الداير: «ومَن يتَّبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». وفي الصفحة الأُخرى: «الإمام عبد الله أمير المسلمين»، وفي الداير: تاريخ ضربه وموضع سِكّته، وفي جهتي الدرهم ما حمله من ذلك.

بعض أخباره: في سنة سبعين وأربعمائة وردت عليه كتب الأندلس، يبثُّون حالهم، ويحرّكونه إلى نصرهم. وفي سنة اثنتين بعدها ورد عليه عبد الرحمٰن بن أسباط من ألمرية يشرح حال الأندلس. وفي سنة خمس وسبعين بعدها وجّه إلى شراءِ العدَد فيها واستكثر منها. وفي سنة ستٍّ بعدها فتح مدينة سَبْتة ودخلها عَنْوة على الثّائر بها سَقُوت البَرْغُواطي. وفي سنة ثمان اتصل به تملُّك طاغية قشتالة مدينة طُليطُلة، وجاز إليه المعتمد بن عباد بنفسه، وفاوضه واستدعاه لنُصرة المسلمين، وخرج إليه عن الجزيرة الخضراءِ. وعلم بذلك الأدفنش، فاخترق بلاد المسلمين معرضًا عن رؤساءِ الطوائف، لا يرضى أخذ الجِزْية منهم، حتى انتهى إلى الخضراءِ، ومثل على شاطىءِ البحر، وأمر أن يُكتب إلى الأمير يوسف بن تاشفين، والموج يضرب أرساغ فرسه، بما نسخته:

«من أمير الملتين أذفونش بن فردلند إلى الأمير يوسف بن تاشفين. أمّا بعد، فلا خفاءَ على ذي عينين أنك أمير الملّة المسلمة، كما أنا أمير الملّة النصرانية. ولم يَخْفَ عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التّخاذل، والتواكل، وإهمال الرعية، والإخلاد إلى الراحة، وأنا أسومهم سوءَ الخَسْف، وأضرب الدِّيار، وأهتِك الأستار، وأقتل الشبّان، وأسبي الولدان، ولا عذر لك في التّخلُّف عن نُصرتهم، إن أمكنتك قُدرة. هذا وأنتم تعتقدون أن الله، تبارك وتعالى، فرض على كل منكم، قتال عشرة منّا، ثم خفَّف عنكم فجعل على كل واحد منكم قتال اثنين منّا، فإنّ قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار، ونحن نعتقد أن الله أظْهَرنا بكم، وأعاننا عليكم، إذ لا تقدرون دفاعًا، ولا تستطيعون امتناعًا. وبلغنا عنك أنك في الاحتفال على نيّة الإقبال، فلا أدري إن كان الحين يبطىءُ بك أمام التكذيب لما أُنزل عليك. فإن كنت لا تستطيع الجواز فابعثْ إليَّ ما عندك من المراكب لأجوز إليك، وأُناجزك في أحبّ البقاع، فإنْ غلبتني، فتلك غنيمة جاءَت إليك، ونعمة مَثَلَت بين يديك. وإن غلبْتُك، كانت لي اليَدُ العليا، واستكملْتُ الإمارة. والله يتمُّ الإرادة».

فأمر يوسف بن تاشفين أن يُكتب في ظهر كتابه: «جوابك يا أذفونش، ما تراه، لا ما تسمعه إن شاءَ الله». وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب[1]: [الطويل]

ولا كُتْبَ إلّا المَشْرفيَّةُ والقَنا[2] ولا رُسُلٌ إلّا الخميسُ العَرَمْرَمُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٠٩). وقد ورد هذا البيت في وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٧٥) استشهد به الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي في سنة ٥٩٠ هـ، ردًا على كتاب الأذفونش صاحب طليطلة وغرب جزيرة الأندلس.

(٢) في الديوان ووفيات الأعيان: «عنده».

وعبر البحر، وقد استجاش أهل الأندلس. وكان اللقاءُ يوم الجمعة منتصف[١] رجب من عام تسعة وسبعين وأربعمائة. ووقعت حرب مُرَّة، اختلط فيها الفريقان، بحيث اقتحم الطاغية محلة المسلمين، وصدم يسارةَ جيوش الأندلس، واقتحم المرابطون محلَّته للحين. ثم برز الجميع إلى مأْزق، تعارفت فيه الوجوه، فأبْلَوْا بلاءً عظيمًا، وأجْلَت عن هزيمة العدو، واستئصال شأفته. وأفلت أذفونش في فَلِّ قليل، قد أصابته جراحة، وأعزَّ الله المسلمين ونصرهم نصرًا لا كفاءَ له، وأكثر شعراءُ المعتمد القول في ذلك، فمن ذلك قول عبد المجيد بن عبدون من قصيدة: [الوافر]

فأين العُجْبُ يا أذْفُونشُ هلّا … تَجَنَّبْتَ المَشِيخَةَ يا غلامُ؟

سَتَشْمُلُكَ[٢] النساءُ ولا رجال … فَحَدِّثْ ما وراءَكَ يا عصامُ[٣]

أقَمْتَ لدى الوغى سوقًا فَخُذْها … مناجزةً وهَوْنٌ لا تنامُ

فإن شئت اللُّجين فثَمَّ سامُ … وإن شئت النُّضار فثَمَّ حامُ

رأيت الضَّرب تَطْيِيبًا فَصَلِّبْ … فأنتَ على صَليبك لا تُلامُ

أقام رجالك الأشقون كلَّا … وهل جسدٌ بلا رأس ينام؟

رَفَعْنا هامهمْ في كلِّ جذْع … كما ارتفعتْ على الأيْك الحَمام

سَيَعْبُدُ بَعْدَها الظَّلْماءَ لمَّا … أُتيح له بجانبها اكتِتام

ولا ينفكُّ كالخفَّاش يُغْضي … إذا ما لم يباشره الظلام

نَضا إذ راعه واجتاب ليلا … يودُّ لَوَ انَّ طول الليل عام

سيبقى حَسْرَةً ويبيدُ إن لم … أبادَتْنا القَناة أو الحُسام

---

(١) كذا في أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٢). وقد اختلفت الرواية الإسلامية في تحديد تاريخ تلك الموقعة، فاتفق صاحب الحلل الموشية وابن الأبار وابن دحية وابن أبي زرع وابن أبي دينار، على أنها كانت يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة ٤٧٩ هـ. الحلل الموشية (ص ٤٠ ـ ٤١) والتكملة (ج ١ ص ٢٣) والمطرب (ص ١١٩) والأنيس المطرب (ص ٩٦ ـ ٩٧) والمؤنس (ص ١٠٨). وذهب ابن خلكان مذهب ابن الخطيب في أنها كانت يوم الجمعة الخامس عشر من رجب من العام المذكور. وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٨٩) و(ج ٤ ص ٢٨١) و(ج ٥ ص ٤٧٤).

(٢) في الأصل: «شَمَلك»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

(٣) أخذه من المثل: «ما وراءك يا عصامُ»، يضرب في الاستخبار. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣٦٢).

وعاد إلى العُدْوة. ثم أجاز البحر ثانية إلى منازلة حصن لِيِّيط[١]، وفسد ما بينه وبين أُمراءِ الأندلس، وعاد إلى العدوة، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، عاملًا على خَلْعهم، فتملَّك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور، ودخل القصر بالقصبة العليا منها، واستحسنه، وأمر بحفظه ومواصلة مرمَّته، وطاف بكل مكان منه. ثم تملَّك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها، في أخبار يطول اقتضاؤها، والبقاءُ لله.

وفاته: توفي، رحمه الله، بمدينة مراكُش يوم الاثنين مستهل محرم سنة خمسمائة. وممن رثاه أبو بكر بن سوّار من قصيدة أنشدها على قبره: [الكامل]

ملك الملوك، وما تَرَكْتَ لعامل ... عملًا من التَّقْوى يُشارَكُ فيهِ
يا يوسفٌ، ما أنت إلّا يوسف ... والكلُّ يعقوبٌ بما يطويهِ
اسْمَعْ، أمير المؤمنين، وناصر الـ ... ـدين الذي بنفوسنا نَفْديهِ
جوزيت خيرًا عن رعيتك التي ... لم ترض فيها غير ما يُرْضيه
أمّا مساعيك الكرام فإنها ... خرجت عن التَّكييف والتَّشبيه
في كل عام غزوةٌ مبرورة ... تُرْدي عديد الروم أو تُفْنيه
تَصِلُ الجهادَ إلى الجهاد موفَّقا ... حَتَمَ القضاءُ بكل ما تَقْضيه
ويجيءُ ما دَبَّرْته كمجيئه ... فكأنَّ كلَّ مُغَيَّب تَدْريه
متواضعًا لله مظهرُ دينه ... في كل ما تُبْديه أو تُخْفيه
ولقد مَلَكْتَ بحقِّك الدنيا وكم ... مَلَكَ الملوكُ الأمْرَ بالتَّمْويه
لو رامتِ الأيامُ أن تُحْصي الذي ... فَعَلَتْ سيوفُك لم تكدْ تُحْصيه
إنا لمفجوعون منك بواحد ... جُمِعَتْ خصال الخير أجمع فيه
وإذا سمعْتَ حمامة في أيكة ... تبكي الهديل فإنها ترثيه
ومَضى[٢] قد استرعى رعيَّة أُمّه ... فأقام فيهمْ حقَّ مُسْترعيه
إذا هِزَبْرُ الغابِ صَرَّى شِبْلَهُ ... في الغاب كان الشِّبْل شِبْه أبيه
وإذا عليٌّ كان وارث مُلْكه ... فالسَّهْمُ يُلْقى في يَدَي باريه

---

(١) اختلف المؤرخون الذين تحدّثوا عن حصار هذا الحصن في كتابة اسمه، فرسموه: «أليبط»، و«أليط»، و«ليط»، و«الليط» و«لَبِّيط» و«يلبط» و«بلبيط» و«لِيِّيط». راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٠٤).

(٢) في الأصل: «وميضٌ»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر[١]

ولي عهد أبيه أمير المسلمين، الغالب بالله.

حاله: كان أميرًا جليلًا حصيفًا فاضلًا، ظاهر النبل، محبًّا في العلم. . .[٢] من فنونه. مال إلى التعاليم والنجوم، أفرط في الاستغراق في ذلك، ونمى إلى أبيه، فأنكره، وقصد يومًا منزله لأجل ذلك، ودخل المجلس، وبه مجلّدات كثيرة، وقال: ما هذه يا يوسف؟ فقال، سَتْرًا لغرضه المتوقَّع فيه نكير أبيه: يا مولاي، هي كتب أدب، فقال السلطان، وقد قنع منه بذلك: يا ولدي، ما أخذناها، يعني السلطنة، إلّا بقلّة الأدب، تورية حسنة، إشارة إلى الثورة على ملوك كانوا تحت إيالتهم، فغرب في حسن النادرة، وكان قد ولّاه عهده بعد أخيه، لو أمهلته المنية.

وفاته: توفي يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين وستمائة.

يوسف بن عبد المؤمن بن علي[٣]

الخليفة أبو يعقوب الوالي بعد أبيه.

حاله: كان فاضلًا كاملًا عدلًا ورعًا جزلًا، حافظًا للقرآن بشرحه، عالمًا بحديث رسول الله ﷺ، خَطَئِه وصحيحه، آية الموحِّدين في الإعطاء والمواساة، راغبًا في العمارة، مثابرًا على الجهاد، مشِيعًا للعدل. أصلح العُدْوة وأمَّنها، وأنَس شاردها، وحصّن جزيرة الأندلس ببعوثه لها، فقمعوا عاصيها، وافْترعوا بالفتح أقاصيها، وأحسن لأجنادها، وأمدّهم من الخيل بالمُبين من أعدادها، رحمه الله.

ولده: ثمانية عشر، أكبرهم يعقوب ولي عهده، نَجْمُ بني عبد المؤمن وجَوْهرتُهم.

حاجبه: أبو حفص شقيقه.

وزراؤه: إدريس بن جامع، ثم أبو بكر بن يوسف الكومي.

---

(١) ترجمة يوسف بن الغالب بالله محمد بن يوسف النصري في اللمحة البدرية (ص ٤٤).

(٢) بياض في الأصول.

(٣) ترجمة يوسف بن عبد المؤمن الموحدي في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٨٣) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٨٦) والحلل الموشية (ص ١١٩) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦٩) وكتاب العبر لابن خلدون (م ٦ ص ٥٧٩) وتاريخ المن بالإمامة (ص ٢٢٨) والكامل في التاريخ (ج ١١ ص ٥٠٥) والمعجب (ص ٣٠٨).

قُضاته: حجاج بن يوسف بن عُمران، وابن مَضاء.

كتَّابه: أبو الحسن بن عيَّاش القرطبي، وأبو العباس بن طاهر بن مَخْشَرة.

بعض أخباره: في أيامه استوصلت دولة ابن مَرْدَنيش، بعد حروب مُبيرة، ودوَّخ إفريقية، وردَّ أهل باجَة إلى وطنهم، بعد تملُّك العدوّ إياه، وجبرهم جَدًا واستنقاذًا، وفتح حصن بلج.

وفاته: في الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة، بظاهر شنترين من سهم أصابه في خِبائه، وهو محاصر لها، فقضى عليه، وكُتِم موته، حتى اشتهر بعد رحيله. ذكر ذلك أبو الحسن بن أبي محمد الشَّريشي، فكانت خلافته اثنين وعشرين عامًا، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعمره سبع وأربعون سنة.

مولده: في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ودخل غرناطة لأول مرة، ووجب ذكره فيمن حلَّ بها.

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو[١]

أمير المسلمين بالمغرب، يكنى أبا يعقوب.

أوّليته: معروفة مذ وقع الإلماع بذلك في اسم أمير المسلمين أبيه.

حاله: كان ملكًا عالي الهمة، بعيد الصيت، مرهوب الشَّبا، رابط الجأش، صعب الشَّكيمة، على عهده اعتُلي الملك، وناشب القبيل، واستوسق الأمر. جاز إلى الأندلس مع والده، ودوَّخ بين يديه بلاد الروم، ووقف بظاهر قرطبة وإشبيلية، وحضر الوقِيعة بذنونه[٢]، وجَرَت بينه وبين سلطان الأندلس، على عهده، مُنافرات أجْلَت أخيرًا عن لحاق السلطان به مُسْتَعتِبًا، واستقرَّ آخرًا محاصرًا لتلمسان، غازيًا لبني زيَّان الأُمراءِ بها، وابتنى مدينة سمّاها تلمسان الجديدة، وأقام محاصرًا لها، مُضَيِّقًا على أهلها نحوًا من ثمانية أعوام، وعظَّمَتْه الملوك شرقًا وغربًا، ووردت عليه الرُّسل والهدايا من كل جهة، وهابه الأقارب والأَباعد.

---

(١) ترجمة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق في اللمحة البدرية (ص ٦٤) والحلل الموشية (ص ١٣٣) والأعلام (ج ٨ ص ٢٥٨).

(٢) ذنونه: كذا ورد اسمه في الرواية الإسلامية، واسمه في الرواية الإسبانية هو: دون نونيو دي لارا، Don Niño De Lara.

وفاته: ولما أراد الله إنفاذ حكمه فيه، قيِّض له عبْدًا خصِيًّا حَبَشيًّا، أسِفَه بقتل أخ له أو نسيب، في باب خيانة عثر له عليها، فاقْتَحم عليه دار الملك على حين غفْلة، فدجَّاه بسكين أعدَّه لذلك، وضجَّ القصر، وخرج وبالسلطان رمق، ثم توفي من الغد، أو قريبًا منه، في أوائل ذي قعدة من عام ستة وسبعمائة، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا، وانتقل إلى مدفن سلفه بسلا، وقبره بها. وركب قاتِلُه فرسًا أزْعجها ركضًا، يروم النجاة واللِّحاق بالبلد المحصور، وسبقه الصِّياح، فَسُدّ بعض الأبواب التي أمل النجاة منها، وقُتل وأُلحق به كثير من جنسه.

وجرى ذكره في الرَّجز المتضمن دول الملوك[1] من تأليفنا، بما نصُّه: [الرجز]

حتى إذا الله إليه قَيَّضَهْ ... قام ابنه يوسفُ فيها عَوَّضَهْ
وَهْوَ الهمامُ المَلِكُ الكبيرُ ... فابتهج المِنْبرُ والسَّريرُ
وضخم الملكُ وذاعَ الصِّيتُ ... بملْكه وانتظمَ الشَّتِيتُ
وساعد السَّعْدُ وأغضى الدَّهْرُ ... وخَلُص السِّرُّ له والجَهْرُ
وأُمِلَ الجودُ وخِيفَ الباسُ ... واستَشْعَر الخِشْية منه الناسُ
ثم تقضَّى معظم الزمانِ ... مواصلًا حَضْرَ بني زيَّانِ
حتى أَهَلَّ تلمسانَ للفرجْ ... ونشقوا من جانب اللطف الفرجْ
لما توفي درج السعد درجْ ... فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرجْ

ونزل بظاهر غرناطة وببعض مروجها بقرية أشقطمر، في بعض غزوات أبيه إلى قرطبة، وتقدّم السلطان إليهم من البرّ والقرى، ما كثر الإخبار به والتعجب منه، ووجَّه إليهم ولده وولي عهده.

يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة ابن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة بن مَرِين[2]

من قبيلة زَناتة، أمير المسلمين، المُكْنى بأبي يوسف، الملقَّب بالمنصور، رحمه الله.

---

(١) المراد كتاب «رقم الحلل، في نظم الدول»، وهو كتاب للسان الدين ابن الخطيب.
(٢) ترجمة يعقوب بن عبد الحق المريني في اللمحة البدرية (ص ٤٢) والحلل الموشية (ص ١٢٩) والأعلام (ج ٨ ص ١٩٩).

أوليته: ظهر بالمغرب أبوه الأمير عبد الحق، وقد اضطربت دولة الموحّدين، والتَاَثَ أمرهم، ومَرَجت عرب رياح؛ لعجز الدولة عن كفّ عدوانهم، فخرج الأمير عبد الحق في بحبوحة قومه من الصحراءِ، ودعا إلى نفسه، واستخلص الملك بسيفه، عام عشرة وستمائة، وكان على ما يكون عليه مِثْله، ممن جعله الله جُرْثومة مُلْك وخَدَم دولة، من الصِّدْق والدَّهاءِ والشجاعة. ورأى في نومه كأنَّ شُعَلًا أربع من نار، خرَجْن منه، فَعَلَوْنَ في جوّ المغرب، ثم احْتَوين على جميع أقطاره، فكان تأويلها تملُّك بنيه الأربعة بعده، والله يُؤتي مُلْكه من يشاءُ. وكان له من الولد إدريس، وعثمان، وعبد الله، ومحمد، وأبو يحيىٰ، وأبو يوسف، ويعقوب هذا. ولمّا هلك هو وابنه إدريس في وقِيعة رِياح، وَلي أمره عثمان ولده، ثم ولي بعده أخوه محمد، ثم ولي بعده أبو يحيىٰ أخوهما. وفي أيامه اتَّسق الملك، وضَخُم الأمر، وافتتحت البلاد. ولمّا هلك حَتْفَ أنْفه بفاس في رجب من عام ستة وخمسين وستمائة، قام بالملك أخوه يعقوب المترجم به، وأرَّث المُلْك بنيه.

حاله: كان ديِّنًا فاضلًا حييًّا، جوادًا سَمْحًا، شجاعًا، محبًّا في الصالحين، منقادًا إلى الخير، حريصًا على الجهاد. أجاز ولده في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة إلى الأندلس، ثم عبر بنفسه في سِرار صفر من العام بعده، فاحتلّ بظاهر إشبيلية، وكَسَر جيش الرُّوم المنعقد على زعيمهم المسمّى ذُنُونه، بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام. ثم عبر ثانيًا، مغتنمًا ما نشأ بين الروم من الفُرْقة، فغزا مدينة قرطبة، وصار أمر العدو في أطواق الفُرُنْتيرة، بحيث لا يوجد في بطن القتيل منها إلّا العشب أزلًا ومسْغَبة، لانتشار الغارات، وانتساف الأقوات، وحديث الفتنة. وسببها ما كان من تصيُّر مالقة إليه، من أيدي المنتزين عليها من بني إشقيلولة، ثم عودتها إلى سلطان الأندلس، من أيدي رجاله، شيوخ بني مُحَلَّى، ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين، واحتلّ بظاهر غرناطة، في بعض هذه الغزوات، فنزل بقرية إسقطمر من مَرْجها، واحتفل السلطان، رحمه الله، في برّه، وأجْزَل نَزله، وتوجيه ولده إليه. وذكر سيرته شاعرُهم أبو فارس عزُّوز في أُرجوزته، فقال: [الرجز]

سيرةُ يعقوب بن عبد الحَقّ ... قد حاز فيها قَصَبات السَّبْقِ
بُغْيَتان، يقرأ الكتابْ ... وتَذَكُّر العلوم والآدابْ
يقوم للكتاب ثُلْثَ الليلِ ... وما له عن وِرْدِه من سبيلِ
حتى إذا الصباحُ لاح وارتفعْ ... قام وصلّى للإله وركعْ
وضَجَّ بالتَّسْبيح والتَّقْديسِ ... حتى يتمّ الحِزْبُ في التَّغْليسِ

يقرأ أولًا كتاب السِّيَرِ ... والقَصَص الآتي بكلّ خَبَرِ
ثم فُتُوح الشَّام باجتهاد ... وبعده المشهور بالإنجاد
سؤاله تعجز عنه الطَّلبة ... ومن لديه من أجلّ الكَتَبة
يعقد الكَتْب إلى وقت الضُّحى ... ثم يصلّيها كفعل الصُّلحا
ويأمر الكُتَّاب بالأوامر ... في باطنٍ من سرّه وظاهر
ويدخل الأشياخُ من مَرِين ... للرأي والتدبير والتَّزيين
مجلسهُ ليس به فُجور ... ولا فتًى في قوله يَجُور
كأنهم مثلُ النجوم الزُّهر ... وبينهم يعقوب مثل البَدْر
قد أشبر الوقار والسكينة ... وحلّ في مكانةٍ مَكينة
حتى إذا ما جاز وقت الظهر ... قام إلى بيت للنَّدى والفَخْر
يبقى إلى وقت صلاة العَصْر ... يأتي إلى بيتْ العُلى والأمر
ويَنْصِف المظلوم ممن ظلمهْ ... ولم يَزل إلى صلاة العَتْمهْ
ثم يؤمُّ بَيْتة الكريما ... ويترك الوزير والخَديما
ثم ينام تارةً، وتارةْ ... يدبِّر الأُمور بالإدارةْ
ما إن ينام الليل إلّا ساهرا ... ينوي الجهاد باطنًا وظاهرا
فهل سمعتم مثل هذه السِّيرةْ ... وهذه المآثر الأثيرةْ
لملكٍ كان من الملوك ... أو مالكٍ في الدهر أو مملوك
كذاك كان فِعْلُه قديما ... بذاك نال المُلْك والتَّعظيما

ومن الرَّجز المسمى بقَطْع السُّلوك[1] من تأليفنا، في ذكره، قولي: [الرجز]

تَبَوّا[2] هذا الأمْرَ عَبْدُ الحَقّ ... أكرم من نال العُلى بِحَقّ
واستخلص الملك بحدّ المرهف ... لسن مجدٍ عظيم الشرف
وكان سلطانًا عظيم الجود ... وصَدقت رؤياه في الوجود
فأعلى الأيام نورُ سَعده ... ونالها أبناؤه من بعده
عثمان ثم بعده محمد ... ثم أبو يحيئ الحمام الأسْعَد
تمهّد الملك له لما هَلَكْ ... وسلك السَّعْد به حيث سَلَكْ

---

(١) هو كتاب «رقم الحلل، في نظم الدول» للسان الدين ابن الخطيب.
(٢) في الأصل: «تبوّأ»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا الهمزة وأبقينا على الألف.

وفُـتِـحَـتْ فـاسُ عـلى يـديـه | والـمـلك الـعـليُّ حـلَّه لـديـه
وكـان ذا فـضـل وهـدًى وورع | قـد رسَمَ الـملك فـيهم واخـترع
ثـم أتَـتْ وفـاتـه الـمـشـهـوره | فـولِّي الـمـنـصـور تـلك الـصُّـوره
وهـو أبـو يـوسـف غَـلَّاب الـعِـدا | وواحـدُ الأمـلاك بـأسًـا ونـدى
مُـمَـهِّـد الـمـلك ومُـوري الـزَّنْـد | وبـاسـط الـعـدل ومُـولـي الـرِّفْـد
مُـدَّت إلـى نُـصْـرتـه الأكُـفُّ | والـروم فـي الـعُـدوان لا تَـكُـفُّ
فـاقـتـحـم الـبـحـر سريـعًـا وعَـبَـرْ | ودافـع الأعـداءَ فـيـهـا وصَـبَـرْ
ووقـعـت فـي عـهـده أمـور | وفـتـنـةٌ ضـاقـت لـهـا الـصُّـدور
وآلَتْ الـحـال إلـى الـتِـئـام | فـمـا أُضِـيـعـت حُـرمـة الإسـلام
حـتـى إذا الله إلـيـه قَـبَـضَـهْ | قـام ابـنُـه يـوسـف فـيـهـا عِـوَضَـهْ

وفاته: توفي في شهر المحرم عام خمسة وثمانين وستمائة، بالجزيرة الخضراءِ ودُفن بها. ثم احتُمل بَعْدُ إلى سَلا، فدفن بالجبانة المعروفة هنالك لملوك من بني مرين. ومحلُّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف، تغمّده الله برحمته.

الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

يحيىٰ بن رحو بن تاشفين بن معطي بن شريفين

أقرب القبائل المرينية إلى قَبيل سلطانهم من بني حَمامة. خدم جدُّه بتونس، ثم بالأندلس، يكنى أبا زكريا، شيخ القَبيلِ الزّناتي، ومحراب رأيهم، وقُطْب رَحى حماتهم.

حاله: كان هذا الشيخ وحيدَ دهره، وفريدَ وقته، وشامةَ أهل جِلْدته، في النُّبل والفَطانة، والإدراك والرَّجاحة، شديد الهزل مع البأو، والممالقة مع التَّيقُّور، والمهاترة مع الحشمة، عارفًا بأخلاق الملوك وشروط جُلَسائها، حسن التوصُّل إليها، والتأتّي لأغراضها، بعيد الغَوْر، كثير النُّكراءِ، لطيف الحيلة، عارفًا بسياسة الوطن، قَيُومًا على أخلاق أهله، عديم الرِّضا بسير الملوك وإن أعلقوا بالعروة الوثقى يده ويسَّروا على عبور عقبة الصِّراط عونه، وأقْطَعوه الجنَّة وحده، طَنازًا[1] بهم، مُغْريًا خائنةَ الأعين بتصرُّفاتهم، مقتحمًا حِمى اغتيابهم، قد اتخذ ذلك سجيَّة أُقْطعته جانب القَطِيعة برهة،

(١) طنازًا بهم: استهزاء بهم.

فارتكب لها الأداهم مدّة، جمّاعة للمال، ذائدًا عنه بعصا التّقتير، وربما غَمَس فيه إبرةَ للصدقة وسامًا بينه وبين الوزير، مُكْفِي السماء على الأرض برأيه المستعين على الفتكة وما وراءَها، بمنيع موالاتهم، وبانيه يوم مكاشفة الملإِ إياه بالنُفرة، وكان قُطْب الرّحى للقوم في الوجهة إلى الأمير عبد الحليم، ومقيمُ رسمه. وانصرف إلى جهة مرّاكُش عند الهزيمة عليه، فاتّصل بعميدها عامر بن محمد بن علي الهِنْتاتي، وجَرت عليه خطوب، وعاثت في الكثير من نعمته أكفُّ التّمزيق، ديْدَن الدهر، في الأموال المُحتجنة، والنقود المُكْتنزَة، واستقرّ أخيرًا بسجلماسة، في مظاهرة الأمير عبد الحليم المذكور، وبها هلك. وكان على إزرائه ولَسْب لِسانه، واخز تلال حيَّةِ حدَّته، ناصح الرأي لمن استنصحه، قوّامًا فيه بالقسط، ولو على نفسه والوالدين والأقربين، فضيلة عُرف فيها شأوه، مقيمًا لكثير من الرُسوم الحَسْبِية.

دخوله غرناطة: قدم غرناطة في جمادى من عام تسعة وخمسين وسبعمائة في غرض الرِّسالة، ووصل صحبته قاضي الجماعة بالمغرب أبو عبد الله المقَّري، وكان من امتِساكه بالأندلس، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الاستمتاع بنُبْله.

وفاته: توفي قتيلًا في الهزيمة على الأمير عبد الحليم بظاهر سجلماسة في ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة.

يحيىٰ بن طلحة بن محلّى البطوي، الوزير أبو زكريا

حاله: كان مجموعًا رائعًا، حُسْنَ شكل وجمال رواءٍ، ونصاعة ظَرْف، واستجادة مَرْكب وبزَّة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، دربًا على الخدمة، جلِدًا على الوقوف والملازمة، مُجْدي الجاه، تلمُّ به نوبة تواضع، يتشبَّث به الفقراءُ وأولي الكُدْية، فَكِه المجلس، محبًا في الأدب، أَلِفًا للظرفاءِ، عاملًا على حسن الذِّكر وطيب الأحدوثة. تولَّى الوزارة للسلطان أبي الحسن، ونشأ في حِجر أبيه، ماتًّا إليهم بالخؤولة القديمة، فتملأ ما شاءَ من قرب ومزيَّة، وباشر حصار الجبل لمّا نازله الطاغية؛ لقرب عهد بفتحه، فأبلى وحَسُن أثره. نشأ بالأندلس، وسكن وادي آش وغرناطة، واستحقّ الذكر لذلك.

شعره: وكان ينظم الشعر، فمن ذلك قوله في مُزْدوجة في غرض الفخر: [الرجز]

أنــا ابــن طــلحــةٍ ولا أُبــالــي   لَيْثُ السُّرى في الحرب والنزال
يحيــىٰ حياة البِيض والعَوالي   مــبــيــدٌ كــلَّ بــطــلٍ مــغــتــال

إن سمعوا باسمي في مجال — يلقوا بأيديهم إلى النّكال
أستَنْزِل القرن لدى الصِّيال — وأكسر النَّصل على النِّصال
من أمَلي التفريق للأموال — والجمع بين الأقوال والفِعال
والشِّعر إن تسمعه من مقال — تعلم بأن السِّحْر في أقوال
أُوشِج الغريب فالأمثال — وأُقْرن الأشباه بالأمثال
وأُفضِّل المرجان باللآل — وأذكر الأيام والليال
فَمَنْ أبو أُمية الهلال — ومَنْ وحيدُ عصره المِيكال
هذا ولي في غير ذا معال — بها أعالي الدَّهْر من أعال
كما لحَسَب الصَّميم والمعال — والمَحْتِد الضَّخم الحفيل الحال
وكَرَم الأعمام والأخوال — والصَّون والعفاف والأفضال
فمن يُساجلني فَذَا سِجال — ومن يُناضلني فذا نِضال

وفاته: توفي في أواخر عام خمسة وثلاثين وسبعمائة؛ أصابه سهْمُ نفْطٍ رُمي به من سور تلمسان أيام الحصار، فقضى عليه، نفعه الله.

يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم ابن الحكيم اللخمي

أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم وكبيرهُ، يكنى أبا بكر، رُنْدي الأصل. قد مرَّ شيءٌ من ذكر أوّليته. دخل غرناطة مرات، وافدًا وزائرًا، وساكنًا ومغرَّبًا.

حاله: كان وزيرًا جليلًا، وقورًا عفيفًا، سرِيًّا فاضلًا، رَحْب الجانب، كثير الأمل، جمّ المعروف، شَهير المحل، عريض الجاه، صريح الطُّعمة، من أقطاب أرباب النعم، ومُنْتَجعي الفِلاحة بالأندلس. استبدَّ ببلده برهة، بإسناد ذلك إليه وإلى أخيه، من السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب ملك المغرب، الصائر إليه أمره عند نبذها مغاضبًا، ثم أصاره إلى إيالة السلطان، ثاني الملوك من بني نصر، على يدي أخيه كاتبه ووزير ولده.

محنته ووفاته: ولمّا تقلّد أخوه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الأمر، سما جاهُه، وعظم قدره، وتعدَّد أمله، إلى أن تعدَّى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه، فطاح في سبيله نَشَبُه، وذهب في حادثه الشنيع مكْسبُه. واستقرَّ مُغرَّبًا بمدينة فاس، تحت سِتر وجراية، وبها أدْرَكته وفاته في أوائل شوال من عام عشرة وسبعمائة.

يحيىٰ بن عمر بن رحُّو بن عبد الله بن عبد الحق

جَدُّ الملوك من بني مَرِين، يكنى أبا زكريا، شيخ الغزاة، ورئيس جميع القبائل بالأندلس.

أوليته: قد تقدمت الإشارة إلى أوَّلية هذا البيت، ونحن نُلْمع بسبب انْتِباذهم عن قومهم، وهو ما كان من قتل أخي جَدِّهم، يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق، ابن أخي السلطان أبي يوسف، إذ كان ثائرًا مُضعبًا، مظنَّة للملك، ومحلًّا للآمال، فنافسه وليُّ العهد وأوقع به، فوقع بينهم الشَّتات، وفرّ شيوخ هذا البيت وأتباعهم إلى تِلمسان، ثم اجتازوا إلى الأندلس، منهم مَن آثر الجهاد، أو نبا به ذلك الوطن، أو شرَّده الخوف، أو أحطب به الاستدعاءُ. فمنهم موسى وعمران والعباس، أبناءُ رحُّو بن عبد الله، وعثمان بن إدريس، وغيرهم، فبدت فيهم الشياخة، وصحبهم التَّقديم، وأقامت فيهم الخُطَّة، وتردَّدت بينهم الولاية.

حاله: هذا الشيخ مُسْتحقّ الرُّتبة، أهلٌ لهذه الرئاسة، بأْسًا ونجدة، وعِتقًا وأصالة، ودهاءً ومعرفة، طِرْفٌ في الإدراك، عامل على الحُظوة، مستديمٌ للنعم، طيِّب بالخدمة، كثير المزاولة والحنكة، شديد التَّيقظ، عظيم الملاحظة، مُسْتَغْرق الفكرة في ترتيب الأُمور الدنيوية، بحَّاث عن الأخبار، ملتمس للعُيون، حسن الجوار، مبذول النَّصفة، بقيةُ بيته بالعُدْوتين وشيخ رجاله. له الإمامة والتَّبريز في معرفة لسانهم، وما يتعلّق به من شِعْرٍ ومُثُل وحكمة وخَبر، لو عرضت عليه رِمَم من عَبَر مهم لأثْبتَها، فضلًا عن غير ذلك، نسَّابة بطونهم وشِعابهم، وعلَّامة سِيَرهم، وعوائدهم، ألمعيٌّ، ذكي، حافظ للكثير من الحكم والتواريخ، محفوظ الشَّيبة من العِصمة، طاهر الصون والعفَّة، مشهور الشَّهامة والنَّجدة، معتدل السَّخاء، يضع الهناءَ مواضع النُّصب فلا يُخدع عن جِدته، ولا يُطمع في غفلته، ولا ينازع فيما استحقّه من مزيَّته، خدم الملوك، وخبر السِّير، فترك الأخبار لعلمه، وعَضَل عقله بتجربته.

تولّى رئاسة القَبيل وسَط صَفَر من عام سبعة وعشرين وسبعمائة، معوَّضًا به عن شيخ الغُزاة عثمان بن أبي العلاءِ، فتنعَّم البيت، وخدن الشُّهرة، عندما أظلم ما بينه وبين ابن المحروق مدبِّر الدولة، ودافعه بالجيش في ملْقى حَرانه، من أحواز حِصْن أندرش مرات، تناصف الحرب فيها، وربما ندر الفَلْج في بعضها، واستمرّت حاله إلى سابع محرم من عام تسعة وعشرين وسبعمائة، وأُعيد عثمان بن أبي العلاء إلى رتبته على تَفِئة مهلك ابن المحروق، وانتقل هو إلى مكانه بوادي آش في قومه،

تحت حفظٍ ومبرّة. ثم دالت له الدولة، وعادت إلى ولده الكُرة، يوم القبض على نظرائه وقرابته، مُتْرَفي حظوته، ولد الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاءِ، عند إيقاع الفتكة بهم يوم السبت التاسع والعشرين لربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمائة. واستمرّت له الولاية، وألقت عصاها كَلِفَة منه بالكفؤ الذي سلَّم له المنازع، إلى أن قبض سلطانه، رحمه الله، فجرى ولده على وتيرة أبيه، ووفَّى له صاع وفائه، فجدَّد ولايته، وشدا حسَّه، ونوَّه رتبته، وصدر له يوم بيعته منشور كريم من إنشائي نصُّه:

«هذا ظهير كريم منزلتُه في الظهائر الكريمة منزلة المعتمد في الظُّهر الكرام، أطْلَع وجه التعظيم سافر القسام، وعقد راية العزِّ السامي الأعلام، وجدَّد كريم المتات وقديم الذِّمام، وانتضى للدفاع عن حَوْزة الدين حُسامًا يقرّ بمضائه صدر الحُسام، فأعلن تجديده بشدِّ أزر المُلك ومُناصحة الإسلام، وأعرب عن الاعتناءِ الذي لا تخلق جديده أيدي الليالي والأيام. أمر به الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجَّاج، ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيّد الله أمره وأعزّ نصره، لوليّه الذي هو عِماد سلطانه، وواحد خُلصائه، وسَيْف جهاده، ورأس أُولي الدفاع عن بلاده، وعِقد ملكه، ووُسْطى سِلْكه، الشيخ الجليل الكبير الشهير، الأعزِّ الأسْنَى، الصدر الأسْمَى، الأحفل، الأسْعد، الأطهر، الأظهر، الكذا، أبي زكريا ابن الشيخ الكذا، أبي علي ابن الشيخ الكذا، أبي زيد رحُو بن عبد الله بن عبد الحق، زاد الله قَدْرَه علُوًّا، ومجده سموًّا، وجهاده ثناءً متلوًّا.

لمّا كان محلّه من مقامه، المحل الذي تتقاصر عنه أبصار الأطماع فترتَدُّ حاسرة، وكان للدولة يدًا باطشة، ومُقلة باصرة، فهو ملاك أمورها واردةً أو صادرةً، وسيف جِهادها الذي أصبحت بمضائه ظافرة، وعلى أعدائها ظاهرة، وكان له الصِّيت البعيد، والذكر الحميد، والرأي السديد، والحَسَب الذي يليق به التمجيد، والقدر الذي سما منه الجِيد، وعَرَفه القريب والبعيد، والجهاد الذي صدق به في قواعده الاجتهاد والتَّقْليد، فإن أقام جيشًا أبْعد غارته، وإن دبَّر أمرًا أحكم إدارته، مستظهرًا بالجلال الذي لبس شارته. فهو واحدُ الزمان، والعُدَّة الرفيعة من عُدد الإيمان، ومن له بذاته وسلفه علو الشّأن، وسمو المكان، والحسب الوثيق البُنْيان، ولبيته الكريم بيت بني رحُو السَّابقة في ولاية هذه الأوطان، والمدافعة عن حوزة المُلك وحِمى السلطان. إن فوخروا صدعوا بالمكارم المعْلُومة، ومتُّوا إلى ملك المغرب ببنوة العُمومة، وتزيَّنوا من حُلى الغرب بالتيجان المنظومة. فهم سيوف الدين، وأبطال الميادين، وأُسود العَرين، ونجوم سماءِ بني مَرين. وكان سلفه الكريم، رضي الله

عنه، يستضيءُ من رأيه بالشّهاب الثاقب، ويحلُّه من بِساط تقريبه أعلى المراتب، ويستوضح ببركته جميع المذاهب، ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العَدوِّ الكاذب، ويرى أنه عزُّ دولته، وسيف صوْلته، وذخيرة فخره، وسِياج أمره. جدّد له هذا الرُّتب تجديدًا صيَّر الغاية منها ابتداءً، واستأنف به إعلاءً، ولم يدَّخر عنه حُظْوة ولا اعتناءً. وحين صيَّر الله إليه مُلْك المولى أبيه بمظاهرته، وقلَّده قلادة الملك بأصيل اجتهاده، وحميد سعيه، بعد أن سبق الأُلوف إلى الأخذ بثاره، وعاجلت البَطْشة الكبرى يد ابْتِداره، وأردى بنفسه الشَّقي الذي سعى في تبديد شمل الإسلام وإطفاءِ أنواره، على تعدُّد الملك يومئذ وتوفر أنصاره، فاستقرّ الملك في قراره، وانسحب السِّتر على محلّه وامتدّ ظل الحفظ على داره، عرَف وسيلة من المقام الذي قامه، والوفاء الذي رفع أعلامه، وألقى إليه في أهم الأُمور بالمقاليد، وألزمه ملازمة الحضور بمجلسه السَّعيد، وشدِيد الاغتباط على قربه مُسْتَنْجحًا منه بالرأي السَّديد، ومُسْتَنَدًا من وُدِّه إلى الركن الشَّديد، وأقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عِماد قومه فهو فيهم يَعْسوب الكَتِيبة ووُسْطى العقد الفريد، وفَذْلكة الحِساب وبيت القَصيد، فدوَّاره منهم للشريد، مأوى الطَّارف والتليد، الكفيل بالحسنى والمزيد. يقف ببابه أُمراؤهم، وتنعقد في مجلسه آراؤهم، ويركض خلفه كبراؤهم، مجدِّدًا من ذلك ما عقده سلفه من تقديمه، وأوجبه مزيَّة حديثه وقديمه. فهو شيخ الغُزاة على اختلاف قبائلهم، وتشعُّب وسائلهم، تتفاضل درجات القبول عليهم بتعريفه، وتَشْرُف أقدارهم لديه بتشريفه، وتثبت واجباتهم بتقديره، وينالهم المزيد بتحقيقه للغناءِ منهم وتقريره، فهو بعده، أيّده الله، قبْلَة آمالهم، وميزان أعمالهم، والأُفق الذي يصوب من سحاب قَطْره غمام نَوالهم، واليد التي تستمنح عادة أطمعتهم وأموالهم. فليتولَّ ذلك عظيمَ القدر، منشرحَ الصدر، حالّاً من دائرة جمعهم محلَّ القلب من الصدر، متألِّقًا في هالتها تألُّق البدر، صادعًا بينهم باللُّغات الزَّناتية التي تدل على الأصالة العريقة والنِّجار الحُرّ. وهو إن شاءَ الله الحُسام الذي لا ينبه على الضريبة، ولا يزيده حُسنًا جلب الحُليّ العجيبة، حتى يشكر الله والمسلمون اغتباط مقامه بمثله، ويزري برُّه به على من أسرَّ برَّه من قبله، ويجني الملكُ ثمرة تقريبه من محلّه. ومن وقف على الظهير الكريم من الغزاة آساد الكفاح، ومتقلدي السيوف ومعتلقي الرماح، كُماة الهيجاءِ وحُماة البِطاح، حيث كانوا من مُوسطة أو ثغر، ومن أُقيم في رسم من الجهاد أو أمر، أن يعلموا قدر هذه الغاية المُشْرقة، واليد المطلقة، والحُظوة المتألِّقة، فتكون أيديهم فيما قُلّدوه ردًّا ليده، وعزائمهم متوجّهة إلى مقصده، فقصده، فقدره فوق الأقدار، وأمره الذي ناب أمره مقابل الابتدار، على توالي الأيام وتعاقب الأعصار. وكتب في كذا...

مولده: ولد بظاهر تلمسان، عند لحاق أبيه، رحمه الله، بسلطانها عام أحد وتسعين وستمائة، تلقَّيته من لفظه.

ومن «المُسْتدرك»: وتمادت ولايته إلى الأوائل من شهر رمضان عام اثنين وستين وسبعمائة، فلمّا تصيّرت إلى قِدار ناقتها، محمد بن إسماعيل بن نصر، عَزَله، وهمَّ به، فغرَّبه إلى بلد الروم، فرارًا أرَّق به البسالة والصبر، وتبعه الجيش، فأُصيب بجراحة، ورد من صامتِه، وجَلَى عن نفسه، فتخلصه عزمه ومضاؤه، واستقرَّ عند طاغية الروم، فأولاه من الجميل ما يفوت الوصف، واجتاز العُدْوة، فعُرِف بها حقُّه، وعادت رتبة هذا الرجل، بعد أن ردَّ الله على سلطانها ملكه، إلى أحسن أحوالها من الجاه والحظوة، وانطلاق اليد. والسلطان مع ذلك مُنْطوٍ له على الضِّغن لأُمور؛ منها غَمْسُ اليد في أمر عمِّه، وقعوده عنه، وهو أحوج ما كان لنصره، وانزحاله عنه في الشِّدة، عندما جمعه المنزل الخَشِن، فسحب عليه أذيال النكبة لابنه عثمان، مُترفي مرقب الظهور في عودته، والمستأثر بجواره، والمحكَّم في أمره، فتُقُبِّض عليهما، وعلى مَن لهما، مخالفًا للوقت فيهما، إذ كان متوافرًا على الحلم لِحدْثان العودة، وجِدة الإيالة، صبيحة يوم الاثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة وستين وسبعمائة، فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان، والتُقِطوا من بين قَبيلهم، ودهمهم الرجال، آخذين بحجزهم وأيديهم إلى دور الثقاف. ثم أُركبوا الأداهم، وانتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرِّقة بقصبة المُنكَّب، واقتضى نظر السلطان جلاً المترجم به وأولاده من مَرْسى المنكَّب، ونُقل ولده الأكبر إلى ألمريَّة حسبما مرَّ في اسمه، فلينظر هنالك. واستقرّ إلى هذا العهد، بعد قُفوله من الحجِّ بمدينة فاس، فلقي بها برًّا وعناية، ولحق ولداه بالأندلس، وهما بها، تحت جراية وولاية.

يوسف بن هلال(١)

صِهْر الأمير أبي عبد الله بن سعد(٢).

حاله: كان(٣) شجاعًا حازمًا، أحظاه الأمير المذكور وصاهره، وجعل لِنَظَره حِصْن مطرنيش(٤) ومواضع كثيرة. وفَسُدَتْ طاعته إياه، فقبض عليه ونَكَبه وعذَّبه،

(١) ترجمة يوسف بن هلال في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦٠، ٢٦٢).
(٢) هو محمد بن سعد بن مردنيش، صاحب بلنسية وأطرافها، وقد توفي سنة ٥٦٧ هـ. ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في المجلد الثاني من الإحاطة.
(٣) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦٢).
(٤) في أعمال الأعلام: «مُطْريشة».

واستخلص ما كان لنظره وتركه. فأعمل الحيلة، ولحق بِمُورَتَلَّة فثار بها، وعاقد صاحبَ بَرْجِلونة[١] على تصيير ما يملكه إليه. فأعانه بجيش[٢] من النصارى، ولم يزل يضرب ويُوالي الضَّرْب على بلنسية ويُشْجي أهْلَها، وتملَّك الصَّخْرة والصُّخَيْرة وغيرهما. واتفق أنَّ خيلًا جهّزها ابن سعد للضرب عليه، عثرت بجملته متوجهًا إلى شَنْتَ بيطر[٣]، فَقَبض عليه، وقُيِّدَ أسيرًا، فنهض به للحين إلى مُورَتَلّة وطلبه بإخلائها، فأبى، فأمر ابن مَرْدنيش بإخراج عَيْنه اليُمْنى، فأُخْرِجَتْ بعود. ثم قُرِّب من الحصن[٤] وطلبه بإخلائها، فدعا بِزَوْجه وطَلَبها بإخلاءِ الحِصْن، وإلّا فَتُخْرج عينه الأُخرى، فحُمل على التكذيب، ولم يُجِبْه أحدٌ، فأُخْرِجَتْ للحين عَيْنُه الأُخرى، وسِيقَ إلى شاطبة، فبقي[٥] إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ودخل غرناطة، وباشر منازلتها مع الأمير صهره، فاستحق الذكر لذلك.

ومن القضاة الأصليين وغيرهم

يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ بن كثير بن وسلاسن ابن سمال بن مهايا المصمودي

أوليته وحاله: دخل أبو عيسى يحيىٰ بن كثير[٦] الأندلس مع طارق بن زياد، وقيل له اللَّيثي؛ لأنه أسلم على يد رجل اسمه يزيد بن عامر الليثي، فنسب إليه، وقيل: إنهم نزلوا بنزل اللَّيْث، فنسبوا إليه. يُكنى يحيىٰ هذا[٧]، أبا عيسى، وكان جليل القدر، عالي الدرجة في القضاءِ، وُلِّي قضاءَ إلبيرة وبجّانة مدة، وولي قضاءَ جيّان وطليطلة، ثم عزل عن طليطلة، وأُضيفت إليه كورة إلبيرة مع جيّان. ثم استعفى عن جيّان وبقي يلي قضاءَ إلبيرة، وكان لا يرى القُنوت في الصلاة، ولا يَقْنُت في مسجده البتَّة.

مشيخته: روى عن أبي الحسن النحاس، وسمع الموطأ من حديث اللَّيث وغيره من عمّ أبيه عبيد الله بن يحيىٰ.

مولده: في ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومايتين.

---

(١) برجلونة: هي نفسها برشلونة.
(٢) في أعمال الأعلام: «بخيل».
(٣) في المصدر نفسه: «شَنْطَبِيطُور».
(٤) هو حصن مُورَتَلّة كما في المصدر السابق.
(٥) في المصدر السابق: «فبقي بها إلى...».
(٦) ترجمة يحيىٰ بن كثير الليثي في التكملة (ج ٤ ص ١٦٠).
(٧) يريد يحيىٰ بن عبد الله المصمودي، المترجم له.

وفاته: توفي ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء، ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر، لثمانٍ خلت من رجب عام سبعة وستين وثلاثمائة.

يحيىٰ بن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن ربيع الأشعري(١)

يكنى أبا عامر.

حاله: العالم الجليل، المحدِّث الحافظ، واحد عصره، وفريد دهره، كان، رحمه الله، عَلَمًا من أعلام الأندلس، ناصرًا لأهل السنة، رادعًا لأهل الأهواءِ، متكلّمًا دقيق النظر، سديدَ البحث، سهل المناظرة، شديد التَّواضع، كثير الإنصاف، مع هيبة ووقار وسكينة. ولِّي قضاءَ الجماعة بقرطبة ثم بغرناطة(٢)، وأقْرأَ بغرناطة لأكابر علمائها ونبهائها الحديث والأصلين وغير ذلك، بالمسجد الجامع منها وبغيره.

مشيخته: حدّث(٣) عن والده العالم المحدّث أبي الحسن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن ربيع، وعن الشيخ الأُستاذ الخطيب أبي جعفر أحمد بن يحيىٰ الحميري، وعن الراوية المحدّث أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكوال، وعن الحافظ المسن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيىٰ بن الجَدِّ الفهري، والقاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، والزاهد الورع أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي، عرف بابن الشيخ، وأبي زكريا يحيىٰ بن عبد الرحمـٰن بن عبد المنعم الإصبهاني الواعظ، والفقيه القاضي أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي.

وفاته: بمالقة سنة سبع وثلاثين وستمائة(٤).

يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ بن زكريا الأنصاري

أوليته: تقدمت في اسم عمّه أبي إسحـٰق، فلينظر هنالك.

حاله: من أهل العدالة والزَّكاء والسَّلف في الخطط الشرعية، سَكُون، متفنِّن في العلوم الشرعية من فقه وأحكام، وله التقدم في الوقت في علم الفرائض والحساب. حَبَس على الزاوية التي اتَّخذتُها بالحضرة موضوعات في ذلك الغرض نبيهة، لم يَقْصُر

(١) ترجمة يحيىٰ بن عبد الرحمـٰن الأشعري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٩).
(٢) نقله الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر، إلى قضاء الجماعة بحضرته من غرناطة. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٩).
(٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٩).
(٤) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٩): «توفي في شهر ربيع الأول من عام ٦٣٩».

فيها عن الإجادة. وتولّى قضاءَ مواضع من الأندلس، ثم استُعمل في النِّيابة عن قاضي الحضرة العلية، وهو الآن قاض بمدينة وادي آش، وخطيب بمسجدها الأعظم، تنتابه الطَّلبة للأخذ عنه، والقراءَة عليه.

مشيخته: روى مع الجملة ممن هو في نمطه، وأخذ بالإجازة عن الشيخ الأُستاذ الصالح أبي إسحٰق بن أبي العاصي، والخطيب أبي علي القرشي، وعن الفقيه الخطيب أبي عبد الله البيّاني، وعن الأُستاذ شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخّار، وأخذ عن والده وعمه أبي إسحٰق. وأجازه الشيخ القاضي الخطيب أبو البركات ابن الحاج، والخطيب الصالح أبو محمد بن سَلْمُون، والكاتب الجليل أبو بكر بن شِبرين، ورئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيَّاب، وقاضي الجماعة أبو القاسم الشريف، والخطيب أبو عبد الله القرشي، وهو الآن بالحال المذكورة.

يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد ابن أبي الأحوص القرشي الفهري

يكنى أبا المجد، ويعرف بابن الأحوص.

حاله: كان من أهل العلم والعدالة والنزاهة. وُلِّي كثيرًا من القواعد، فظهر من قصده الحق، وتحرّيه سبيل الصواب، ما يُؤثر عن الجلَّة.

مشيخته: قرأ على والده وروى عنه، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه، فأجازه الراوية أبو يحيىٰ بن الفَرَس، وأبو عمر بن حوط الله، وأبو القاسم بن ربيع، وأبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي، وأبو الوليد العطار، والخطيب أبو إسحٰق الأوسي القرطبي، والقاضي أبو الخطاب بن خليل، وأبو جعفر الطبَّاع، وغيرهم.

قال القاضي أبو المجد شيخنا، رحمه الله: أنشدني أبو علي الحسن قال: أنشدني الخطيب أبو الربيع بن سالم قال: أنشدنا أبو عمرو السِّفاقي قال: أنشدنا أبو نعيم الحافظ قال: أنشدنا عبد الله بن جعفر الجابري قال: أنشدنا ابن المعتز: [الطويل]

أَلم تَرَ أنَّ الدَّهرَ يَوْمٌ وليلةٌ ... يَكُرَّانِ من سَبْتٍ عليك إلى سَبْتِ؟
فَقُلْ لجديدِ العَيْش: لا بُدَّ من بِلًى ... وقُلْ لاجتماع الشَّمْل: لا بُدَّ مِنْ شَتّ

وبالسند المذكور إلى أبي الربيع بن سالم قال: أنشدنا أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونة قال: أنشدنا أبو بكر غالب بن عطية الحافظ

لنفسه: [الطويل]

جَفَوْتُ أُناسًا كنتُ إلْفًا لوصلهمْ[١] ... وما بالجَفا عند الضرورة مِنْ ناسِ
بَلَوْتُ فلم أُحْمَدْ فأصبحْتُ يائسا ... ولا شيءَ أشفى للنفوس من الياسِ
فلا تَعْذِلوني في انقِباضي فإنني ... وجدْتُ جميع الشَّرِّ في خِلْطة الناسِ

وفاته: في اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة وسبعمائة.

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد ابن أحمد الجذامي المنتشاقري[٢]

من أهل رندة، يكنى أبا الحجاج.

حاله: هذا الرجل حسن اللقاءِ، طِرْفٌ في التخلّق والدماثة، وحسن العشرة، أديب ذاكر للأخبار، طُلَعَةٌ، يكتب ويشعر، سيال الطبع مَعِينه. ولِّي القضاءَ ببلده رُندة، ثم بمَرْبلَّة. وورد غرناطة في جملة وفود من بلده وعلى انفراد منهم.

وجرى ذكره في «التاج المحلّى» بما نصُّه[٣]: حسنة الدهر الكثير العيوب، وتَوْبةُ الزمان الجمِّ الذنوب، ما شئت من بِشرٍ[٤] يتألّق، وأدب تتعطّر به النَّسمات وتتخلّق، ونفس كريمة الشمائل والضرائب، وقريحة يقطف بَحْرُها بدرر[٥] الغرائب، إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها، وتَثْني النفوس عن اغْترارها، ولسان يبوح بأشواقه، وجفْن يسخو بدُرَر آماقه، وحرص على لقاءِ كل ذي علم وأدب، وممن[٦] يَمُتُّ إلى أهل الدِّيانة والعبادة بسبب، سبق بقُطْرة الحَلْبة، وفَرَعَ[٧] من الأدب الهَضْبة، ورفع الراية، وبلغ في الإحسان الغاية، فطارت قصائده كل المطار، وتغنّى بها راكب الفُلْك وحادي القِطار. وتقلّد خُطّة القضاءِ ببلده، وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، وحُسْن مَقْصِده. وله شيمةٌ في الوفاء تعلّم

(١) في الأصل: «إلف وصلهم»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «المنتشافري»، والتصويب من نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧١). والمنتشاقري: نسبة إلى منتشاقر Monte Sacro في مقاطعة أكشونبة. وترجمة يوسف بن موسى المنتشاقري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧١، ٢٧٤) والكتيبة الكامنة (ص ١١٩) وجاء فيه: «المنتشافري».
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٤).
(٤) في النفح: «من أدب يتألق، وفضل تَتَعطّر...».
(٥) في الأصل: «بدور» والتصويب من النفح. (٦) في النفح: «ومن».
(٧) فَرَعَ الهضبة: علاها ووصل إلى قمتها. لسان العرب (فرع).

منها الآس[١]، ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الأكواس[٢]. وقد أثبتُّ من كلامه ما تتحلّى به ترائب[٣] المهارق، ويجعل طِيبَه فوق المفارق. وكنت أتشوَّقُ إلى لقائه، فلقيته بالمحلّة من ظاهر[٤] جبل الفتح لُقْيا لم تبلّ صدًا، ولا شَفَتْ كمدًا، وتعذّر بعد ذلك لقاؤه فخاطبْتُه بقولي[٥]: [الطويل]

حَمَدْتُ[٦] على فرْط المشقّةِ رحلةً أتاحتْ لعينيَّ اجتلاءَ مُحَيّاكا
وقد كنتُ في التّذكار بالبعد[٧] قانعا وبالريح أن هَبَّتْ بعاطرِ ريّاكا
فَجلّت[٨] ليَ النُّعمى بما أنْعَمَتْ به عليَّ فحيّاها الإلٰه وحَيّاكا

أيها[٩] الصَّدْر الذي بمخاطبته يُبْأى[١٠] ويُتَشَرَّف، والعلَم الذي بالإضافة إليه يُتَعَرَّف، والروضُ الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضّة يُتْحَف. دُمْتَ تتزاحم على موارد ثنائك الألسن، وتروي[١١] للرواة ما يصحّ من أنبائك ويَحْسُن، طالما مالت إليك النفوسُ منّا وجَنَحَتْ، وزَجَرت الطائر الميمون من رُقاعك كلّما سَنَحَتْ. فالآن اتّضح البيان، وصدّق الأثر العِيان. ولقد كنّا للمُقام بهذه الرِّحال نَرْتَمض[١٢]، ويَجِنُّ الظّلام فلا نَغْتَمض، هذا يُقْلِقُه إصْفار كِيسه، وذا يتوجّع لِبُعْدِ أنِيسه، وهذا تروِّعه الأهوال، وتضجره بتقلُّباتها الأحوال. فمن أنّةٍ لا تنفع، وشكوى إلى الله تعالى تُرْفع. فلمّا ورد بقدومك البَشير، وأشار إلى ثَنِيَّة[١٣] طلوعك المشير، تشوَّفت النفوس الصَّدِيّة[١٤] إلى جلائها وصِقالها، والعقُول إلى حلِّ عِقالها[١٥]، والألسن المعجمة[١٦] إلى فَضْل مقالها. ثم إنَّ الدهر راجَع التفاته، واسْتَدْرك ما فاته، فلم يسمح من لقائك

---

(١) في النفح: «الأس».
(٢) في المصدر نفسه: «الأكؤس».
(٣) في النفح: «مراتب».
(٤) كلمة «ظاهر» غير واردة في النفح.
(٥) في النفح: «فخاطبْتُه بهذه الرقعة». والأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٠) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٣).
(٦) في الكتيبة: «حفظْتُ».
(٧) في المصدرين: «بالتذكار في البعد...».
(٨) في الكتيبة: «فجاءت». وفي النفح: «فحلّتْ».
(٩) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤).
(١٠) في النفح: «يباهى».
(١١) في النفح: «ويروي الرواة من أنبائك ما يصحُّ ويَحْسُنُ».
(١٢) نرتمض: نحترق. لسان العرب (رمض).
(١٣) أصل الثنيّة المكان الصاعد في الجبل. لسان العرب (ثنا).
(١٤) الصَّديّة: العَطْشى. لسان العرب (صدى).
(١٥) العِقال في الأصل ما تربط به الدابة. لسان العرب (عقل)
(١٦) في النفح: «والأنفس المُفْحَمة».

إلّا بلَمْحة، ولا بعث من نَسِيم روضك بغير نَفْحة، فما زاد أنْ هَيَّجَ الأشواق فالتهبت، وشَنَّ غاراتها على الجوانح فانتهبت، وأعلَّ القلوب وأمْرَضها، ورمى ثَغْرة الصَّبْر فأصاب غَرضَها. فإن رأيت أن تنفِّس عن نَفْسٍ شدَّ الشوق مُخَنَّقَها، وكدَّر مشاربَ أُنسِها وأذهب رَوْنقها، وتُتْحِف من آدابك بدُرَر تُقْتنى، وروضة طيِّبة الجَنى، فلَيْسَت ببدع في شِيمك، ولا شاذَّة في باب كرمك. ولولا شاغل لا يَبْرح، وعوائق أكثرها لا يُشْرح، لنافستُ هذه السِّحاءَة[١] في القدوم عليك، والمثُول بين يديك، فتشوُّفي[٢] إلى اجتلاءِ أنوارك شديد، وتَشَيُّعي فيك[٣] على إبلاءِ الزمان جَديد. فراجعني بقوله[٤]: [الطويل]

حَباكَ فؤادي نيلَ بُشْرى وأحْياكا[٥] … وَجِيْدٌ بـآدابٍ نـفـائـسَ حَـيَّـاكـا
بـدائـعُ أبـداهـا بـديـعُ زمـانِـهِ … فطاب بها يا عاطرَ الرّوض رَيَّاكا
أمُـهْـدِيَـهـا أودعـتَ قـلـبـي عـلاقـةً … وإن لم يزل[٦] مُغْرًى قديمًا بعَلْياكا
إذا ما أشار العصرُ نحو فرنْدِه[٧] … فـإيَّـاك أعـنـي[٨] بـالإشـارة إيَّـاكـا
لَأَتْحفني لُقياكَ أسمى[٩] مؤمِّلي … وهل تُحْفَةٌ في الدهر إلَّا بلُقْياكا؟
وأعْـقَـبْـتَ إتحـافـي فرائـدَكَ الـتـي … وجُـوبُ ثـنـاهـا يـا لِـسـانـيَ أغْـيـاكـا

خصصتني[١٠] أيها الحبر[١١] المخصوص بمآثرَ أغيا عَدُّها وحَصْرُها، ومكارم طَيَّبَ أرواحَ الأزاهر عِطْرُها، وسارت الركبان بثنائها، وشملت الخواطر محبة علائها، بفرائدك الأنيقة، وفوائدك المزرية جَمالًا على أزهار الحديقة، ومعارفك التي زكتْ حقًّا وحقيقة، وهَدَت الضالَّ عن سبيل الأدب مَهْيَعه[١٢] وطريقَه، وسَبْقُ تحفتك عندي أعلى التحف[١٣]، وهو مأمول لقائك، والتمتّع بالتماح سَناك الباهر وسنائك، على حين امتدت لذلك[١٤] اللقاءِ أشواقي، وعظم من فوت استنارتي بنور محيّاك إشفاقي،

---

(١) السحاءة: ما يكتب عليه من ورق وغيره. (٢) في النفح: «فتشوقي».
(٣) في النفح: «وتشيعي إلى إبلاء. . .».
(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٠) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧١).
(٥) في الكتيبة: «فأحياكا». (٦) في الكتيبة: «أزل».
(٧) في المصدرين: «فريده». (٨) في المصدرين: «يَغْني».
(٩) في المصدرين: «أسنى».
(١٠) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢).
(١١) كلمة «الحبر» غير واردة في النفح.
(١٢) المَهْيَعُ: الطريق الواسع الواضح. لسان العرب (هيع).
(١٣) في النفح: «أعلى التحف عندي». (١٤) في النفح: «لذلكم».

وتردّد لَهَجي بما يبلغني من معاليك ومعانيك، وما شاده فكرك الوقّاد من مبانيك، وما أَهَلَّتْ به بلاغتك من دارسه، وما أَضْفَتْ[١] على الزمان من رائق مَلابسه، وما جمعت من أَشْتَاته، وأحيت من أمواته، وأيقظت من سِناته[٢]، وما جاد به الزمان مِنْ حَسَناته. فلتَرداد هذه المحاسن من أنبائك، وتصرُّف الألسنة بثنائك، علقت النفسُ من هواها بأشدّ عَلاقة، وجَنحت إلى لقائك جُنوح والهةٍ مُشْتاقة، والحوادث الجارية تَصْرِفُها، والعوائق الحادثة كلما عَطَفت بأملها[٣] إليه لا تتحفها به ولا تَعْطفها، إلى أن ساعد الوقت، وأسْعَد البخت، بلقياكم[٤] هذه السفرة الجِهادية، وجاد إسعاف الإسعاد من أمنيتي بأسنى هديّة، فلقيتكم لُقيا خَجَل، ولمحت أنواركم لمحةً على وَجَل، ومهجتي[٥] في محاسنكم الرائقة، ومعاليكم الفائقة، على ما يعلمه ربّنا عزَّ وجلَّ. وتذكرت عند لقائكم المأمول، إنشاءَ قائل يقول: [البسيط]

كانت محادثة[٦] الركبان تخبرُ عن ... محمدِ بن خطيب[٧] بأطيب الخبرِ

حتى التقينا فلا والله ما سمعتْ ... أذني بأحسنَ ممّا قد رأى بصري

قسما[٨] لعمري أقوله وأعتقده، وأعتدُّه وأعتمده، فلقد بهَرت منك المحاسن، وفُقْتَ من يُحاسن، وقَصُر عن شأوك كلُّ بليغ لَسِن، وسبقتْ فِطْنتُك النّارية النُّوريّة بلاغة كلِّ فَطِن، وشهد لك الزمن[٩] أنك وحيدُه، ورئيس عصبته الأدبية وفريده. فبورك لك فيما أُنِلْت من الفضائل، وأُوتيت من آيات المعارف التي بها نور الغزالة هائل[١٠]، ولا زلت مُرقّى[١١] في مراتب المعالي، موقّى صروف الأيام والليالي.

ومن شعره يمدح الجهة النَّبوية، مُصَدِّرًا بالنسيب لبسط الخواطر النَّفْسانية[١٢]: [الكامل]

لما تناهى الصَّبُّ في تشويقه ... دُرَرُ الدموع اغْتاضها بعَقِيقِهِ

---

(١) في النفح: «وما أضفيت».
(٢) السِّنات: جمع سِنة وهي النوم. لسان العرب (وسن).
(٣) في النفح: «أملها».
(٤) في النفح: «بلقائكم في هذه...».
(٥) في المصدر نفسه: «ومحجتي».
(٦) في المصدر نفسه: «مساءلة».
(٧) في النفح: «الخطيب».
(٨) في النفح: «قسمٌ».
(٩) في النفح: «الزمان».
(١٠) في النفح: «ضائل».
(١١) في النفح: «تَرَقّى».
(١٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨). وورد منها فقط البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ١٢١).

مُتَلَهِّفٌ وفؤادُهُ مُتَلَهِّبٌ ... كيف البقاءُ[1] مع احتدام حَرِيقِهِ؟
مُتَمَوِّجٌ بَحْرُ الدموع بخدِّه[2] ... أنّى خلاصٌ يُرْتجى لغريقه
متجرِّعٌ صابَ[3] النَّوى من هاجرٍ ... ما إن يحنُّ للاعِجاتِ مَشُوقِهِ
يَسْبي الخواطرَ حُسْنُهُ ببديعِهِ ... يُضْبي النُّفوسَ جمالُهُ بأنيقه
قَيْدُ النواظر إذ يلوحُ لرامقٍ ... لا تَنْثني[4] الأحداقُ عن تَحْديقه
للبدر لَمْحَتُهُ كبِشْرِ ضيائه ... للمِسْكِ نَفْحته كنَشْرِ فَتِيقه[5]
سَكِرَتْ خواطرُ لامِحِيهِ كأنَّهم ... شربوا من الصَّهْباء[6] كأسَ رحيقه
عطشوا لثَغْرٍ لا سبيلَ لريقه ... إلّا كلَمْحِهِمُ لِلَمْعِ بَريقه
ما ضَرَّ مولًى عاشقُوه عبيدُهُ ... لو رَقَّ إشفاقًا لحالِ رقيقه
عنه اصطباري ما أنا بِمُطِيعه ... مثلُ السُّلُوِّ ولا أنا بِمُطِيقه
سَجْعُ الحمامِ يشُوق تَرْجيعَ الهوى ... فأثار شَجْوَ مشوقه بِمَشُوقه
وبكتْ هديلًا راعها تفريقه ... ويحقُّ أن يبكي أخُو تفريقه
وبكاءُ أمثالي أحَقُّ[7] لأنني ... لم أقضِ للمولى أكِيدَ حقُوقه
وغَفَلْتُ في زمن الشباب المنقضي ... أقْبِحْ بنسخ برورِهِ بعقُوقه
وبدا المشيبُ وفيه زَجْرُ ذوي النُّهى ... لو كنتُ مزدجرًا لِشَيْمِ[8] بروقِهِ
حَسْبي ندامةُ آسفٍ مِمّا جنى ... يصلُ النَّشيجَ[9] لوزره بشهيقِهِ
ويَرُمّ[10] ما خَرِمَ الهوى زمنَ الصِّبا ... ويرُومُ من مولاه رَتْقَ فُتوقه
ويردِّدُ الشكوى لديه تذلُّلًا ... عَلَّ الرِّضا يُحْييه[11] دركُ لحوقه
فَيصحُّ من سُكْر التَّصابي صَحْوه[12] ... نَسْخًا لحكم صَبُوحه بغَبُوقه[13]

(١) في النفح: «البقا».
(٢) في الأصل: «بنجده» والتصويب من النفح.
(٣) الصاب: شجر مرّ.
(٤) في الأصل: «لا تنشني»، والتصويب من النفح.
(٥) الفتيق: المسك تُستخرج رائحتُه بضمّ شيء إليه. لسان العرب (فتق).
(٦) في الأصل: «الصّبا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «حقّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) الشَّيم: مصدر «شام»؛ يقال: شام البرقَ إذا نظر أين يقع مطره. لسان العرب (شيم).
(٩) النشيج: الصوت في الصدر. لسان العرب (نشج).
(١٠) في النفح: «ويروم».
(١١) في الأصل: «يحبيه»، والتصويب من النفح.
(١٢) في النفح: «سكره».
(١٣) في النفح: «وغبوقه».

لو كنتَ يمَّمتُ التُّقى وصحبْتَه ... وسلكْتُ إيثارًا سَواءَ طريقه[١]
لأفَذتُ منه فوائدًا وفرائدًا ... عُرضتْ تُسام لرابحٍ في سوقه
لله أربابُ القلوبِ فإنهم ... مِنْ حِزْبِ مَنْ نال الرِّضا وفريقه
قاموا وقد نام الأنام فنورهم ... هَتَكَ الدُّجا بضيائه وشُرُوقه
وتأنسوا بحبيبهم فلهم به ... بِشْرٌ لصدقِ الفضلِ في تحقيقه
قَصَّرْتُ عنهم عندما سبقوا المدى ... ولسابقٍ فَضْلٌ على مَسْبوقه
لولا رجاءُ تَلمُّحي[٢] من نورهم ... يحيي الفؤادَ بسيره وطرُوقه
وتأرُّجٌ يُستافُ من أرواحهم ... سَبَبُ انتعاش الرُّوح طيبُ خَلُوقه[٣]
لَفُتِنْتُ[٤] من جَرّا[٥] جرائريَ[٦] التي ... من خوفها قلبي حليف خفوقه
ومعي رجاءُ توسُّلٍ أعْدَدْتُه ... ذخرًا لصدمات الزمان وضِيقه
حُبِّي ومَدْحي أحمد الهادي الذي ... فوزُ الأنامِ يَصِحُّ في تصديقه
أسْمَى الورى في منصِبٍ وبِمَنْسبٍ ... من هاشم زاكي النِّجار عريقه
الحَقُّ أظهره عقيبَ خفائِهِ ... والدِّينُ نظَّمَهُ لدى تفريقه
ونفى هُداه ضلالةَ من جائرٍ ... مستوثقٍ بنعوته ولعوقه[٧]
سبحان مُرْسِله إلينا رحمةً ... يَهْدي ويُهْدى الفَضْلُ من توفيقِهِ
والمعجزاتُ بَدَتْ بصدقِ رسوله ... وحقيقِهِ بالمأثرات خليقِهِ
كالظَّبْي في تكْليمه والجِذْع في ... تَحْنِينه والبدر في تَشْقيقه
والنَّارِ إذ خمدتْ بنورِ ولادةٍ[٨] ... وأُجاجِ ماءٍ قد حَلا من ريقه
والزَّاد قَلَّ فزاد من بركاته ... فكفى الجيوشَ بتَمْرِهِ وسَويقه
ونُبوعُ ماءِ الكَفِّ من آياته ... وسلامُ أحجارٍ غَدَتْ بطريقه
والنخلُ لمَّا أنْ دعاه مشى له ... ذا سرعةٍ بعروقه وعذوقه[٩]
والأرضُ عايَنَها وقد زُوِيَتْ له ... فقَريبُ ما فيها رأى كسَحِيقه[١٠]

---

(١) سواءُ الطريق: نهجه المستقيم. (٢) في النفح: «تَلَمُّح».
(٣) يُستاف: يشمّ. الخَلُوق: الطِّيب. (٤) في النفح: «العنيت».
(٥) في الأصل: «جَرّاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) الجرائر: جمع جريرة وهي الجرم والذَّنْب. (٧) في النفح: «مستوثق بِيَعُوثه ويَعُوقِهِ».
(٨) في الأصل: «ولاده» والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «بعذوقه وعروقه». والعذوق: جمع عذق وهو الغصن. لسان العرب (عذق).
(١٠) السحيق: البعيد.

وكذا ذراعُ الشَّاةِ قد نطقتْ له نُطْقَ اللسان فَصيحِهِ وذَليقِهِ
ورمى عِداه بكفّ حصبا[1] فانثنتْ هربًا كمذعورِ الجَنان فَرُوقِهِ[2]
وعليه آيات الكتاب تَنَزَّلَتْ تُتْلى بعُلْو جلاله وبُسُوقِهِ
فأذيقُ[3] من كأس المحبّة صِرْفها سبحانَ ساقيهِ بها ومُذِيقه
حاز السَّناءَ وناله بعُرُوجه جاز السماءَ طِباقَها بخروقه
ولَكَم له من آيةٍ مِنْ ربِّه ورعايةٍ[4] وعنايةٍ بحقوقه
يا خيرةَ الأرسال عند إلٰهه يا مُحْرِزَ العَلْيا على مخلوقه
عَلَّقْتُ آمالي بجاهك عدَّةً والقصدُ ليس يخيبُ في تَعْليقه
ووثقْتُ[5] من حبل اعتمادي عُمْدةً لتمسُّكي بقَويِّهِ ووَثيقه
ولئن غدوْتُ أخِيذَ ذنبي إنني أرجو بقصدك أن أُرى كطليقه
وكسادُ سُوقي مذ لجأت لبابكم[6] يقضي حصولَ نفوذه ونفوقه
ويحِنُّ قلبي وهو في تَغريبه لمزاره لِرُباكَ[7] في تشريقِهِ
وتزيد لوعته متى حَثَّ السُّرى حادٍ حدا بجمالِهِ وبِنُوقِهِ
وأرى قَشِيبَ العمر أمْسَى باليًا ومرورَ دهري جدَّ في تمزيقه
وأخاف أن أقضي ولم أقضِ المُنى بنفوذِ سَهْمِ مَنِيَّتي ومُرُوقه
فمتى أحطُّ على اللِّوى رَحْلي وقد بَلَغَتْ ركابي لِلْحِمى وعقِيقه
وأُمَرِّغُ الخدَّين في تُرْبِ غدا كالمِسْكِ في أرَجِ شَذا مَنْشُوقه
وأُعيد إنشادي وإنشائي[8] الثَّنا ببديعِ نظمِ قريحتي ورقِيقه
حتى أُميل العاشقين تَطَرُّبًا كالغُصْن مَرَّ صَبًا على مَمْشُوقه
وتَحِيَّةُ التسليم أبلغُ شافعي[9] وثَنا المديحِ حديثِهِ وعتيقِه
ولذي الفخار وذي العلى[10] ووزيره صِدِّيقه وأخي الهدى فارُوقِه
مني السلامُ عليهمُ كالزُّهْر في تأْليفها والزَّهْرِ في تأليفه[11]

(١) في الأصل: «حصباء»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) الفَرُوق: الجبان. لسان العرب (فرق).
(٣) في النفح: «وأذيق».
(٤) في النفح: «وعنايةٍ ورعايةٍ».
(٥) في المصدر نفسه: «وعَلِقْتُ».
(٦) في الأصل: «إلى بابكم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «لربّاك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «إنشائي وإنشادي».
(٩) في النفح: «شافع».
(١٠) في النفح: «الحلى».
(١١) في النفح: «في تأنيقه».

قال: وكتب بذلك إليّ في جملة من شعره[١]: [الطويل]

هواكمْ بقلبي ما[٢] لأحكامه[٣] نسخُ ومن أجله جَفْني بمدمعه يَسْخُو[٤]
ومن نشأتي ما إن صَحَتْ منه نَشْوتي سواءٌ به عصر المشيبِ[٥] أو الشَّرْخُ
عليه حياتي مذ تمادتْ وميتَتي وبَعْثي إذا بالصُّور يتّفق النَّفْخ
ولي خَلَدٌ[٦] أضحى قَنيصَ غرامِهِ ولا شَرَكٌ يُدْني إليه ولا فَخُّ
قتلْتُ سُلُوّي حين أحييتُ لوعتي وما اجتيحَ[٧] بالإقرار في حالتي لَطْخ[٨]
وناصحُ[٩] كتمي إذ زكت بَيّناته يجولُ عليه من دموع الأسى نَضْخُ
وأرجو بتحقيقي[١٠] هواكم بأن أفِي فعهدٌ[١١] ولا نقضٌ[١٢] وعقدٌ ولا فَسْخُ
وما الحبُّ إلّا ما استقلّ ثبوتُهُ لمبناهُ رصٌّ في الجوانح[١٣] أو رَسْخُ
إذا مسلكٌ لم يستقمْ[١٤] بطريقه سلكْتُ اعتدالًا مثل ما يَسْلك الرُّخُّ
بدا لضميري من سناكم تَلَمُّحٌ فَبَخٌّ لعقلٍ لم يَطِرْ عندها بَخُّ
على عَوْدِ ذاك اللّمْح ما زلْتُ نادبًا كما تندبُ الورقاء[١٥] فارَقَها الفَرْخُ
يَدي بأياديكم وقلبيَ شاغلٌ فمن فِكرتي نَسْجٌ ومن أَنْملي نَسْخُ

ومن شعره أيضًا قوله في غرض يظهر منه[١٦]: [الطويل]

إليكَ تحنُّ النُّجْبُ والنُّجباءُ فهمْ وَهْيَ في أشواقهم شُركاءُ

---

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩).
(٢) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(٣) في الكتيبة: «لِمُحْكَمِهِ».
(٤) في الأصل: «يسخ» والتصويب من المصدرين.
(٥) في الكتيبة: «الشباب». (٦) في الكتيبة: «جَلَدٌ».
(٧) في الكتيبة: «وما احتيج للإقرار».
(٨) بعد هذا البيت جاء في نفح الطيب البيت التالي:
وأَغْدو إلى سُغْدى بكَرْخِ علاقتي وقَصْديَ قَصْدي ليس سَغْدي ولا الكَرْخُ
(٩) في الكتيبة: «وما صَحَّ جسمي إذ زكتْ. . .».
(١٠) في الأصل: «بتحقيق»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١١) في الكتيبة: «بعهدٍ».
(١٢) في الأصل: «نقص»، والتصويب من المصدرين.
(١٣) في الكتيبة: «في الجوانب». (١٤) في المصدر نفسه: «لم تستقم».
(١٥) في الأصل: «الورق» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٦) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠). وورد منها فقط البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ١٢١).

تَخُبُّ بركّابٍ تحبُّ وصولها لأرضٍ بها بادٍ سنًى وسناءُ
فأنفاسُها ما إن تني صُعداؤها وأنفاسهمْ[1] من فوقها سعداءُ
هُمُ عالجوا إذ عَجّل السَّيرُ داءَهم وأشباهُ مثلي مُذْنَفُون بِطاءُ
فعدتُ ودوني للحبيب تَرَحَّلوا وما قاعدٌ والراحلون سواءُ
له وعليه حبُّ قلبي وأدمعي وقد صَحَّ لي حبٌّ وسَحَّ بكاءُ
بطيبةَ هل أرضى وتبدو سماؤها؟ وإن تكُ أرضًا فالحبيبُ سماءُ
شَذا نَفْحِها واللَّمْحُ منها كأنه ذَكاءُ عبيرٍ والضّياءُ ذُكاءُ[2]
فيا حاديًا غنِّي وللرَّكْبِ حاديًا عنائيَ[3] بَعْدَ البُعْدِ عنكَ عناءُ
بِسَلْعٍ فَسَلْ عمّا أُقاسي من الهوى وسَلْ بقِباءٍ إذ يلوح قباءُ
وفي عالجٍ منّي بقلبيَ لاعجٌ[4] فهل لي علاجٌ عنده وشفاءُ؟
وفي الرقمتين أرْقُمِ الشوق لاذعٌ ودرياقُهُ أن لو يُباح لِقاءُ
أماكِنُ تمكين وأرضٌ بها الرضى وأرجاءُ فيها للمشوقِ رجاءُ

ومن المقطوعات قوله[5]: [الكامل]

أدبُ الفتى في أن يُرى مُتَيَقِّظًا لأوامرٍ مِنْ ربِّه ونواهِ
فإذا[6] تَمَسَّكَ بالهوى يهوي به والحَبْلُ[7] منه لمن تَيَقَّنَ واهِ

ومن ذلك[8]: [المنسرح]

يا مَنْ بدُنياهُ ظَلَّ في لُجَجٍ حَقِّقْ بأنَّ النَّجاةَ في الشاطي[9]
تطمعُ في إرْثِكَ الفَلاحَ وقد أضَعْتَ ما قبله مِنَ اَشْراط
كنْ حذرًا في الذي طمعْتَ به من حَجْبِ نقصٍ وحَجْبِ إسْقاط

وقال[10]: [الطويل]

تُرى شعرُوا أني غَبطتُ نُسَيْمَةً ذَكَتْ بتلاقي الرَّوضِ غِبَّ الغمائمِ

---

(١) في النفح: «وأنفسهمْ». (٢) ذُكاء: اسم للشمس. محيط المحيط (ذكا).
(٣) في الأصل: «عنانيَ»، والتصويب من النفح. (٤) في النفح: «لاذع».
(٥) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٠).
(٦) في الكتيبة: «وإذا». (٧) في الكتيبة: «فالحبلُ».
(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٠).
(٩) في الأصل: «الشاط» والتصويب من المصدرين.
(١٠) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٠).

كما قابلتْ زَهْرَ الرياض وقَبَّلَتْ ... ثُغورَ أقاحيه بلا لومِ لائمِ

وقال[١]: [الكامل]

وَرَدَ المشيبُ مُبَيِّضا بوُروده ... ما كان من شَعْرِ الشَّبيبةِ حالكا
يا ليته لو كان بَيَّضَ بالتُّقى ... ما سَوَّرَتْه[٢] مآثمٌ من حالكا
إنَّ المشيبَ غدا رداءً للرَّدى ... فإذا عَلاك أجَدَّ في تِرْحالكا[٣]

وأنشدني صاحبُنا القاضي أبو الحسن، قال: مما أنشدني الشيخ أبو الحجاج لنفسه[٤]: [الخفيف]

لوعةُ الحُبِّ في فؤادي تَعاصَتْ ... أن تُداوى ولو أتى ألفُ راقِ[٥]
كيف يَبْرا[٦] من عِلَّةٍ وعليها ... زائدٌ عِلَّةُ النَّوى والفِراق؟
فانسِكابُ الدموعِ جارٍ فجارٍ ... والتهابُ الضُّلوعِ راقٍ فَراق

نبذة من أخباره: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال حاكيًا عنه: ومن غريب ما حدَّثني به، قال: كنت[٧] جالسًا بين يدي[٨] الخطيب أبي القاسم التاكرُونّي صبيحة يوم بمسجد مالقة الأعظم[٩]، فقال لنا في أثناءِ حديثه: رأيت البارحة في عالم النَّوم كأنّ أبا عبد الله الجِلياني يأتيني ببيتي شعر في يده وهما: [الخفيف]

كلُّ علْمٍ يكون للمرْءِ شُغْلًا ... بسِوى الحقِّ قادحٌ في رشادِهْ
فإذا كان فيه للهِ[١٠] حظٌّ ... فهو مِمّا يُعِدُّه لمعادِهْ

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجِلياني، والبيتان عنده[١١]، فعرضهما على الشيخ، وأخبره[١٢] أنه صنعهما البارحة، فقال له

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٠). (٢) في النفح: «سَوَّدَتْه».
(٣) التِّرحال هنا بمعنى الانتقال إلى العالم الآخر.
(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨١).
(٥) الراقي: الذي يستعمل الرقية لمداواة المرضى. لسان العرب (رقى).
(٦) في الأصل: «يبرأ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. وفي الكتيبة: «بُرْئي».
(٧) النص والبيتان التاليان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨١).
(٨) في الأصل: «أيدي» والتصويب من النفح.
(٩) كلمة «الأعظم» غير واردة في النفح.
(١٠) في الأصل: «فإذا كان لله فيه حظ...»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «معه». (١٢) في النفح: «فأخبره».

كل من في المجلس: أخبرنا بهذا[١] الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب. وقد وقعت الإشارة لذلك في اسم الشيخ.

مشيخته: منقول من خطّه في ثَبتٍ أجاز فيه أولادي، أسعدهم الله، بعد خطابة بليغة. قال: فمن شيوخي الذين رويتُ عنهم، واسْتَزْفَدْتُ البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنن أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزُّبير، والشيخ الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، والقاضي العدل أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن برطال، والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله الطّنجالي، والراوية المسنّ أبو عمرو محمد بن عبد الرحمٰن الرندي الطنجي، والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شَالة، والخطيبان الأُستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رُشيد الفهري، وأبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عيسى الحِميَري، والشيخ الصالح أبو الحسين عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور، والخطيب الصالح العلّامة المصنف أبو جعفر بن الزيات، والفقيه القاضي أبو جعفر بن عبد الوهاب، والشيخ الراوية المحدّث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي، والعدل أبو الحسن علي بن محمد الطائي ابن مستقور، والخطيب الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيري، والقاضي العدل الحاج أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي، والشيخ الراوية الحاج الرّحال الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي الأقشري، والقاضي الحسيب أبو عبد الله محمد بن عِياض بن محمد بن عياض، والقاضي أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي، والأُستاذ أبو إسحٰق الغافقي، والإمام أبو القاسمي بن الشّاط، والخطيب القاضي أبو عبد الله القرطبي، والراوية أبو القاسم البِلفيقي، والمحدّث أبو القاسم التجيبي، والخطيب أبو عبد الله الغماري، والإمام الكبير ناصر الدين المِشْدالي، والفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي، عرف بالمسفر من أهل بجاية، وقاضي القضاة بتونس أبو إسحٰق بن عبد الرفيع، والعلّامة أبو عبد الله بن راشد، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون، والعلّامة الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذامي. قال: وكلهم أجازني عامة ما يرويه، وكان ممن لقيته، وقرأت عليه، إلّا المدرّس أبا الحسن بن شالة، فوقع لي شك في إجازته.

(١) في المصدر نفسه: «بهما».

تواليفه: قال: وممّا يسّر الله تعالى فيه من التأليف، كتاب «ملاذ المستعيذ[١]، وعياذ المستعين، في بعض خصائص سيد المرسلين، في الأحاديث الأربعين المروية على آياتٍ من الذكر الحكيم والنور المبين». وكتاب «تخصيص القرب، وتحصيل الأرب»، و«قبول الرأي الرشيد، في تخميس الوترَيات النبويات[٢] لابن رشيد». و«انتشاق النّسمات النّجدية، واتّساق النزعات الجدّية». و«غُرَر الأماني المُسْفرات، في نظم المُكَفِّرات». و«النّفحات الرُّندية، واللّمحات الزّندية»، وهو مجموع شعري. و«حقائق بركات المنام، في مرأى المصطفى خير الأنام». و«الاسْتِشفاءُ بالعدّة، والاسْتِشفاع[٣] بالعمدة، في تخميس[٤] القصيدة النبوية المسماة بالبُرْدة». و«توجُّع الرائي، في تنوّع المراثي». و«اعتلاق المسائل[٥]، بأفضل الوسائل». و«لمح البهيج، ونفح الأريج»، في ترجيز[٦] ما لولي الله أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، رضي الله عنه، من عبارات حكمة وإشارات صوفية. و«تجريد[٧] رؤوس مسائل البيان والتحصيل، لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل». وفهرسة روايتي. ورجز في[٨] ذكر مشيخة[٩] شيخنا الراوية أبي عمر الطّنجي، رحمه الله، وإسناده. قال: وممّا كنت شَرعْت فيه ولم يتّفق تمامه، كتاب سميته «عواطف الأعتاب، في لطائف أسباب المتاب». ومما بيدي الآن جمعه وهو إن شاءَ الله على التمام، أربعون حديثًا متصلة الإسناد، أول حديث منها في الخوف، والثاني في الرجاءِ، بلواحق تتبعها، وسميته «أرج الأزجاءِ، في مزج الخوف والرجاءِ». والله يصفح عنا، ويغفر زلّاتِنا، وأن لا يجعل ما نتولاه من ذلك حجة علينا، وأن نكون ممن مُنح مقولًا، ومنع معقولًا، ويختم لنا بخواتم السُّعداءِ من عباده، وممن وفّق وهَدى إلى سبيل رشاده.

وفاته: كان حيًا عام أحد وستين وسبعمائة.

---

(١) ورد اسم الكتاب في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨١) هكذا: «ملاذ المستعين، في بعض خصائص سيّد المرسلين».

(٢) في النفح: «النبوية».

(٣) في الأصل: «والاستشعاع»، والتصويب من النفح.

(٤) في النفح: «في تخميس البردة».

(٥) في النفح: «السائل».

(٦) في النفح: «ترجيز كلام الشيخ أبي مدين من عبارات حكمية...».

(٧) في النفح: «وكتاب تجريد...».

(٨) كلمة «في» غير واردة في النفح.

(٩) في النفح: «مشايخ أبي عمر...».

ومن المقرئين

يحيىٰ بن أحمد بن هذيل التجيبي(١)

يكنى أبا زكريا، شيخنا أبو زكريا بن هُذيل، رحمه الله، أرجِدوني(٢) الأصل، ينسب إلى سَلَفِه أملاك ومعاهد كولابج هذيل، مما يدل على أصالة.

حاله: كان آخر حَمَلة الفنون العَقْلية بالأندلس، وخاتمة العلماءِ بها، من طبٍّ وهندسة وهيئة وحساب وأُصول وأدب، إلى إمتاع المحاضرة، وحسن المجالسة، وعموم الفائدة، وحسن العهد، وسلامة الصَّدر، وحفظ الغيب، والبراءة من التصنُّع والسَّمت، مؤثرًا للخمول، غير مبالٍ بالناس، مشغولًا بخاصَّة نفسه. خدم أخيرًا باب السلطان بصناعة الطِّب، وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرىءُ الأُصول والفرائض والطب.

عمن أخذ: قرأ على جملة من شيوخ وقته، كالأُستاذ أبي بكر بن الفخار، أخذ عنه العربية والأدب. وقرأ الطب على أبي عبد الله الأركُشي، وأبي زكريا القصري، وجملة من الإسلاميين بالعُدْوة. وقرأ كراسة الإمام فخر الدين الرازي، المسماة بالآيات البيِّنات، على الأُستاذ أبي القاسم بن جابر. ونظر الأُصول على الأُستاذ النظّار أبي القاسم بن الشَّاط. وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد. والحساب والهندسة والأُصول وكثيرًا من عمليات الحساب وجَبْره ومقابلته والنجوم، على الأُستاذ أبي عبد الله بن الرَّقام، ولازمه كثيرًا.

تواليفه: وله تصانيف وأوضاع منها، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل. ومنها شرحه لكرَّاسة الفَخْر، وهو غريب المأخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماءِ والمتأخرين من المنطقيين. وكتابه المسمى بـ «الاختيار والاعتبار في الطِّب». وكتابه المسمى بـ «التذكرة في الطبِّ».

شعره: وجرى ذكره في التاج المحلّى بما نصه(٣): دُرَّة بين الناس مُغْفَلة، وخِزانة على كل فائدة مُقفلة، وهدية من الدهر الضَّنين لبنيه مُحْتَفلة. أبْدَعُ من رتَّب

(١) ترجمة يحيىٰ بن أحمد بن هذيل في نثير فرائد الجمان (ص ٣٢٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤١٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢) والكتيبة الكامنة (ص ٧٣) وفيه أن الترجمة وردت خطأ تحت اسم: ابن شقرال.

(٢) نسبة إلى بلدة أرجدونة أو أرشدونة Archidona.

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢).

التعاليم وعلّمها، وركّض في الألواح قلمها، وأتقن من صور الهيئة ومثّلها، وأسس قواعد البراهين وأثّلها، وأعرف من زاول شِكاية، ودفع عن جسم نِكاية، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم، والوصول من المجهول إلى المعلوم، والمحاضرة المستفزّة للحلوم، والدُّعابة التي ما خلع[١] العِذار فيها بالمَلُوم. فما شِئت من نفسٍ عذْبة الشِّيَم، وأخلاق كالزهر من بعد الدِّيم، ومحاضرة تُتْحف المجالس والمحاضر، ومذاكرة يروق النواظر[٢] زهرها الناضر. وله أدبٌ ذهب في الإجادة كل مَذْهب، وارتدى من البلاغة بكل رداءٍ مُذْهَب، والأدب نقطة من حَوْضه، وزهرة من زهرات روْضه، وسيمرُّ له في هذا الديوان، ما يُبهر العقول، ويحاسَنُ برُوائه ورائق بهائه الفِرَنْدُ المصقول.

فمن ذلك ما خرَّجته من ديوان شعره المسمّى بـ «السُّليمانيات والعربيات[٣]» من النَّسيب[٤]: [الطويل]

ألا أستودعَ الرحمنُ بدرًا مكمّلًا ... بفاسٍ من الدرب الطويل مطالعُهْ
وفي[٥] فَلَكِ الأزرار يطلعُ[٦] سَعْدُه ... وفي أُفُق الأكباد تُلْفى مواقعُهْ
يُصَيِّرُ مرآه مُنَجِّمُ مُقْلتي ... فتصدقُ في قَطْع الرجاءِ قواطعُهْ
تجسَّم من نور[٧] الملاحة خدُّه ... وماءُ الحَيا فيه تَرَجْرَجَ مائعُهْ
تَلَوَّن كالحرباءِ في خَجَلاته ... فيحمرُّ قانيه ويبيضُّ ناصعُهْ
إذا اهتزَّ غنَّى حَلْيُه فوق نَحْره ... كغُصْن النَّقا غَنَّتْ عليه سواجعُهْ
يذكر حَتْف الصَّبِّ عاملُ قَدِّه[٨] ... وتقْطف[٩] من واو العِذار توابعُهْ
أعدَّ الورى[١٠] سيفًا كسيف لِحاظه ... فهذا هو الماضي وذاك يُضارعُهْ[١١]

---

(١) في النفح: «خالعٌ».
(٢) في النفح: «في النواظر».
(٣) في النفح: «العزفيّات».
(٤) في النفح: «قوله» مكان «من النسيب». والقصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٧٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢ ـ ٣٣).
(٥) في النفح: «ففي».
(٦) في الكتيبة: «مَطْلَعُ».
(٧) في النفح: «ماء».
(٨) في الأصل: «قدره» والتصويب من المصدرين.
(٩) في المصدرين: «وتعطف».
(١٠) في الأصل: «للورى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١١) في الكتيبة: «مضارعه».

ومن أُخرى في النَّسيب، وتضمَّنت التَّورية الحسنة[١]: [الطويل]

وصالُك هذا أم تحيّةُ بارقِ؟ وهَجْرُكَ أم ليلُ السَّليم[٢] لتائقِ؟
أُناديك والأشواقُ تُرْكِضُ حجرها[٣] بصفحة خدِّي من دموعٍ سوابق
أبارقَ ثَغْرٍ من عُذَيْبِ رُضابِهِ قَضَتْ مهجتي بين العُذيب وبارق

ومنها[٤]:

فلا تُتعبنْ ريحَ الصَّبا في رسالةٍ ولا تُخجلِ الطَّيْفَ الذي هو[٥] طارقي
متى طمعتْ عيني الكرى بعد بُعْدكم فإني في دعوى الهوى غيرُ صادقِ

قوله: «أبارق ثغر من عذيب رضابه» ينظر إلى قول ابن النبيه في مثل ذلك: [الكامل]

يلوي على زرد العذار دلاله كم فتنة بين اللُّوى وزرُودِ

ومن قصيدة ثبتت في السليمانيات[٦]: [الطويل]

بدا بدر تِمّ فوقه الليل عَسْعَسا وجنَّة أُنس في صباحٍ تَنَفَّسا
حوى النجمَ قِرْطًا والدَّراري مُقَلَّدا وأسْبَلَ من مِسْكِ الذوائب حِنْدِسا
كأنَّ سَنا الإصباح رام يزورنا وخاف العيونَ الرامقات فَغَلَّسا
أتى يحمل التوراةَ ظَبْيًا مُزَنَّرا لطيفَ التثني أشنَبَ الثَّغر ألْعسا
وقابل أحبارَ اليهود بوجهه فبارك ربِّي[٧] عليه وقدَّسا

ومنها، وتماجن ما شاءَ، غفر الله له:

رويتُ ولوعي من[٨] ضلوعي مُسَلْسلا فأصبحتُ في علم الغرام مُدَرِّسا
نفى النومَ عني كي أكونَ مسهدا فأصبحتُ في صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعي ويأوي إلى قلبي مثيلًا[٩] ومكنسا

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٧٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٣).
(٢) في الأصل: «السلم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٣) في الكتيبة: «حُمْرُها».
(٤) هذان البيتان لم يردا في الكتيبة الكامنة.
(٥) في النفح: «كان».
(٦) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٣ ـ ٣٤).
(٧) في النفح: «مولانا».
(٨) في النفح: «عن».
(٩) في النفح: «مقيلًا».

طَغى وَرْدُ خدَّيه بجنَّات صُدْغه ... فأضعفه بالآس نَبْتًا وما أسا

قوله: طغى ورد خديه، البيت، محال على معنى فِلاحي، إذ من أقوالهم: أنّ الآس، إذا اغترس بين شجر الورد، أضعفته بالخاصية.

وقال أيضًا من قصيدة مهيارية[(١)]: [الرمل]

نام طفلُ النَّبت في حِجْر النُّعامى ... لاهتزازِ الطَّلِّ[(٢)] في مَهْدِ الخُزامى
وسقَى الوسْمِيُّ أغصانَ النَّقا ... فَهوَتْ تلثمُ أفواهَ النَّدامى
كَحَّلَ الفَجْرُ لهمْ جَفْنَ الدُّجى ... وغدا في وجْنة الصُّبْح لِثاما
تحسبُ البَدْرَ مُحَيًّا ثَمِلٍ ... قد سَقَتْه راحةُ الصبح مُداما
حوله الزهر[(٣)] كؤوسٌ قد غدت ... مِسْكةُ الليل عليهنَّ ختاما
يا عليلَ الريح[(٤)] رِفقًا علّني ... أُشْفَ بالسُّقم الذي حُزتَ سُقاما
وابْلِغَنْ[(٥)] شوقي عُرَيبًا[(٦)] باللِّوى ... هِمْتُ في أرض بها حَلُّوا غراما
فَرَشُوا فيها من الدُّرِّ حصًى ... ضربوا فيها من المِسْك خِياما
كنت أشفي غلّةً مِنْ صَدِّكمْ[(٧)] ... لو أذِنْتُمْ لجُفُوني أن تَناما
واستفَدْتُ[(٨)] الرَّوحَ من ريح الصَّبا ... لو أتَتْ تحمل من سلْمَى سلاما
نشأتْ للصَّبِّ منها زَفْرَةٌ ... تَسْكُبُ الدَّمْعَ على الرَّبع سِجاما
طَرِبَ البرقُ مع القلبِ بها ... وبها الأنّاتُ طارَحْنَ الحِماما
طللٌ لا تستفي[(٩)] الأذن به ... وهو للعينين قد ألْقى كلاما
ترك السَّاكنُ لي من وصْلِه ... ضَمَّةَ الجُدران لَثْمًا والتزاما[(١٠)]
نزعاتٌ من سليمانَ بها ... فَهِمَ القلبُ معانيها فَهاما
شادِنٌ يَرْعى حشاشات الحَشا ... حَسْبُ حظِّي منه أن أرعى الذِّماما

---

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٧٤ ـ ٧٥) ونثير فرائد الجمان (ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٤ ـ ٣٥).
(٢) في نثير فرائد الجمان والكتيبة الكامنة: «الظلّ».
(٣) في المصدرين المذكورين: «الشُّهب». (٤) في الكتيبة: «الروح».
(٥) في النفح: «أبْلِغَنْ». (٦) عريب: حيّ من اليمن.
(٧) في الكتيبة: «من طيفكم». وفي نثير فرائد الجمان: «كنت أشري زورة من طيفكم».
(٨) في النثير: «واستعذْتُ».
(٩) في الأصل: «تستشفى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(١٠) هذا البيت والبيتان التاليان غير واردة في نثير فريد الجمان.

وقال من قصيدة أولها في غرض النسيب[١]: [الطويل]

أأرجو أمانًا منك واللحظُ غادرُ ... ويثبتُ عقلي[٢] فيك والطَّرفُ ساحرُ؟
أعَدَّ سليمانُ أليمَ عذابِهِ ... لهدهُدِ[٣] قلبي فهو للبين صائرُ[٤]
أشاهدُ منه الحُسْنَ في كل نظرةٍ ... وناظرُ أفكاري بِمَغْناه[٥] ناظرُ
دعَتْ للهوى أنصارُ سحرِ جُفونِهِ ... فقلبي له عن طِيبِ نفسٍ مُهاجرُ
إذا شقَّ عن بَدْرِ الدُّجى أُفْقَ زِرِّه[٦] ... فإني بتمويه العواذل كافر
وفي حَرَم السُّلْوان طافَتْ[٧] خواطري ... وقلبي لما في وجْنتيه مُجاور
وقد ينزعُ القلبُ المُبَلّى[٨] لسَلْوةٍ ... كما اهتزَّ من قطْر الغمامة طائر
يقابلُ أغراضي بضِدٍّ مُرادِها ... ولم يَدْرِ أنّ الضِّدَّ للضِّدِّ قاهر
ونارُ اشتياقي صَعَّدَتْ مُزْنَ أدمعي ... فمُضْمَرُ سرِّي فوق خدِّي ظاهر
وقد كنتُ باكي العين والبَيْنُ غائبٌ ... فقلْ ليَ كيف[٩] الدمع والبَيْنُ حاضر
وليس النَّوى بالطبع مُرًّا وإنما ... لكثرةِ ما شُقَّتْ عليه المرائرُ

ومنها في وصف ليلة[١٠]:

وزنجيَّة فات الكؤوس بنحْرها ... قلائدُ ياقوت عليها الجواهرُ
ولا عيب فيها غير أنّ ذُبالها ... يُقَطِّبُ فتبدو للكؤوس[١١] سرائر
تجنَّبْتُ فيها نَيْل كل صغيرة ... وقد غفرتْ فيها لديّ الكبائرُ

ومن السُّليمانيات من قصيدة[١٢]: [الكامل]

يا بارقًا، قاد الخيالَ فأوْمَضا ... اقصِدْ بطيفك مُذْنَفًا قد غمّضا
ذاك الذي قد كنتَ تعهدُ نائمًا ... بالسُّهْد من بعدِ الأحبَّة عوِّضا

---

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٧٥ ـ ٧٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٥ ـ ٣٦).
(٢) في الكتيبة: «قلبي». (٣) في النفح: «لطائر».
(٤) في الكتيبة: «صابر». (٥) في الكتيبة: «لمعناه».
(٦) في الأصل: «ذرّه» والتصويب من المصدرين.
(٧) في النفح: «طابث». (٨) في الكتيبة: «الشجي».
(٩) في الأصل: «فقل لي كيف حال الدمع...» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. وفي الكتيبة الكامنة: «فقلْ كيف حال الدمع...».
(١٠) هذه الأبيات غير واردة في الكتيبة والنفح.
(١١) في الأصل: «الكؤوس» وهكذا ينكسر الوزن.
(١٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٦).

لا تَحْسبَنّي مُعْرضًا عن طيفه / لكنْ منامي عن جُفوني أعْرضا
عجِبَ الوشاةُ لمهجتي أن لم تَذُبْ / يوم النَّوى وتشكّكَتْ فيما مضى

ومـنـهـا:

خفيتْ لهم من سِرِّ صبري آيةٌ / ما فَهَّمَتْ إلّا سليمانَ الرِّضا
لله دَرُّك ناهجًا سُبُلَ الهوى / فلمثله أمرُ الهوى قد فُوِّضا
أمَّنتَ نملًا فوق خدِّك سارحا / وسَلَلْتَ سيفًا من جُفُونك مُنْتَضى

ومن الأمداح قوله من قصيدة[1]: [الطويل]

حريصٌ على جَرِّ الذوائب والقنا / إذا كَعَّتِ[2] الأبطالُ والجَوُّ عابسُ
وتعتنق الأبطال لولا سقوطها / لقلْتُ لتوديعٍ أتَتْه الفوارسُ
إذا اختطفتهم كَفُّه فسروجهمْ / مجالٌ وهم في راحتيه فرائسُ

وقال يمدح السلطان أمير المسلمين أبا الوليد بن[3] نصر عند قدومه من فتح أشكر[4] من قصيدة أولها[5]: [الطويل]

بحيثُ البنودُ الحمرُ والأَسَدُ الوَرْدُ / كتائبُ، سكّانُ[6] السماءِ لها جُنْدُ
وتحت لواءِ النصر مَلْكٌ هو الورى[7] / تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو
تأمَّنَتِ الأرواحُ في ظِلِّ بَنْدِهِ / كأنَّ جَناحَ الروح[8] من فوقه بَنْدُ
فلو رام إدراكَ النجوم لَنالَها / ولو هَمَّ لانْقَادتْ له[9] السِّنْدُ والهِنْد

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٦).
(٢) كَعَّتِ الأبطال: جبنت وضعفت. لسان العرب (كعع).
(٣) كلمة «بن» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفح. وأبو الوليد بن نصر هو سلطان غرناطة إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف الأنصاري الخزرجي، وقد حكم من عام ٧١٣ إلى عام ٧٢٥ هـ. اللمحة البدرية (ص ٧٨ ـ ٩٠).
(٤) أشكر، بالإسبانية Huescar: بلدة أندلسية تقع شمال مدينة بسطة.
(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٧٧ ـ ٧٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٦ ـ ٣٧).
(٦) سكان السماء: هم الملائكة.
(٧) رواية صدر البيت في الكتيبة الكامنة هي:
وتحت لواء الشرع مَلْكٌ هو الهدى
(٨) الروح: جبريل عليه السلام.
(٩) في الأصل: «إليه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

بعينيَ بَحرُ النَّقع تحت أسِنَّةٍ تُنمْنمه وَهْنًا كما نُمْنم البردُ
سماءُ عجاجٍ والأسِنَّةُ[1] شُهبها ووقْعُ القنا رَعْدٌ إذا برق الهند

وفي وصف آلة النِّفط:

وظنُّوا بأنَّ الرعد والصَّعْقَ في السما فحاقَ بهمْ من دونها الصَّعْقُ والرعد
عجائبُ[2] أشكالٍ سما هِرْمسٌ بها مُهَنْدَمةٌ[3] تأتي الجبالَ فتَنْهدُّ
ألا إنَّها الدنيا تُريكَ عجائبًا وما في القوى منها فلا بُدَّ أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولّاه جحدرية أولها[4]: [الطويل]

تباعد عني منزلٌ وحبيبُ وهاج اشتياقي والمزارُ قريبُ
وإني على قرب الحبيب مع النوى يكاد إذا اشتدَّ الأنينُ يجيبُ
لقد بَعُدَتْ عني ديارٌ قريبةٌ عجبْتُ لجارِ الجَنْبِ وهو غريب

ومنها:

أُعاشر قومًا[5] ما تقرُّ نفوسهم فللْهَمِّ فيها عند ذاك ضروبُ
إذا شعروا من جارهم بتأوُّهٍ أجابته منهم زَفْرَةٌ ونَحِيب
فلا ذاك يشكو هَمَّ هذا تأسُّفًا لكلِّ امرىءٍ مما دهاه نصيب
كأني في غاب الليوثِ مُسلَّمًا[6] يروِّعني منها الغداة وثوب
تَحَكَّمَ فينا[7] الدهرُ والعقلُ حاضر بكلِّ قياسٍ والأديبُ أريب[8]
ولو مال بالجهَّال مَيْلَتَهُ بنا لَجاءَ بعذرٍ، إنَّ ذا لَعَجِيبُ
رفيقٌ بمن لا ينثني عن جريمة بَطُوشٌ بمن ما أوْبَقَتْهُ[9] ذنوب
وتُطْمِعُنا[10] منه بوارقُ خُلَّبٍ نقول[11]: عساه يزعَوي ويتوب[12]
إذا ما تشبَّثنا بأذيال بُرْده دهَتْنا إذا جرَّ الذيول[13] خطوب
أدار علينا صولجانًا ولم يكن سوى أنه بالحادثات لَعُوبُ

(١) في الكتيبة: «والقوانس».
(٢) في اللمحة: «غرائب».
(٣) في النفح: «مُهَنْدَسَةٌ».
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧).
(٥) في النفح: «أقوامًا تقرُّ».
(٦) في النفح: «مسالمٌ».
(٧) في النفح: «فيها».
(٨) في النفح: «أديبُ».
(٩) أوبقته: أهلكته. لسان العرب (وبق).
(١٠) في النفح: «ويطمعنا».
(١١) في النفح: «تقول».
(١٢) في النفح: «فيؤوب».
(١٣) في النفح: «الخطوب».

ومنـــهـــا:

أيا دهر، إني قد سئمتُ تهدُّفي | أجِرْني فإنَّ السَّهْمَ منك مصيبُ
إذا خفق البرقُ الطروقُ أجابه | فؤادي ودمعُ المقلتين سَكُوب
وإن طلع الكَفُّ الخضيب بسحره[1] | فدمعي بحنَّاءِ الدماءِ خضيب
تُذَكِّرني الأسحارُ دارًا أَلِفتُها | فيشتدُّ حُزني والحَمامُ طروب
إذا عَلِقَتْ نفسي بِلَيْتَ وربما | تكاد تفيضُ أو تكادُ تذوب
دعوتك ربِّي والدعاءُ ضَراعَةٌ | وأنت تُناجَى بالدعا فتجيب
لئن كان عُقْبى الصبر فوزًا وغبطةً | فإني على الصبر الجميل دَرُوب

وبعثتُ إليه هدية من البادية، فقال يصف منها ديكًا، وكتب بذلك، رحمة الله عليه[2]: [المنسرح]

أيا صديقًا جعلتهُ سَنَدا | فراح فيما أحَبَّه وغَدا
طلبتُ منكم صُرَيْدِكًا[3] خَنِثًا | وجّهتموني[4] مكانه لُبَدا
صَيَّرَ مني مؤرخًا ولكم | ظللتُ في علمه من البُلَدا
قلتُ له: آدمٌ أتعرفُهُ؟ | قال: حَفِيدي بعصرنا وُلِدا
نوحٌ وطوفانُه رأيتَهما؟ | قال: عَلَوْنا لفيضه[5] أُحُدا
فقلت: هل لي بجرهم خَبَرٌ؟ | فقال: قومي وجيرتي السُّعَدا
فقلت: قحطانُ هل مررتَ به؟ | قال: نَفَثْنا بِبُرْدِهِ العُقَدا
فقلت: صفْ لي سَبا وساكنها | فعند هذا تَنَفَّسَ الصُّعَدا
وقال[6]: كم لي بِدُجْنهم سَحَرًا | من صرخةٍ لي وللنؤوم[7] هدا
فقلت: هاروت هل سمعت به؟ | فقال: ريشي لِسحره[8] نَفِدا
فقلت: كسرى وآل شرعته؟ | فقال: كنّا بجيشه وَفَدا
وَلَّوْا وصاروا وها أنا لبدٌ[9]؟ | فهل رأيتم من فوقهم أحدا؟

---

(١) في النفح: «سحيرة».
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨).
(٣) في النفح: «سُرَيدكًا».
(٤) في المصدر نفسه: «وجئتم لي».
(٥) في النفح: «بفيضه».
(٦) في النفح: «فقال».
(٧) في الأصل: «وللنوم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «السهمه».
(٩) لبد: آخر نسور لقمان، وهو مضرب المثل في التعمير وطول البقاء.

ديكٌ إذا ما انثنى لفكرته ... رأى وجودًا[(١)] طرائقا قِدَدا[(٢)]

يرفل في طيلسانه وَلِهًا ... قد صَيَّر الدهرُ لونَه كمِدا

إذا دَجا الليلُ غابَ هيكله ... كأنَّ حِبرًا عليه قد جَمدا

كأنما جُلَّنار لحيته ... بُرْجان حازا عن الهواءِ مَدَا

كأنّ حصنًا علا بهامَتِهِ ... أعدَّه للقتال فيه عدا

يرنو بياقُوتتَيْن لواحظه ... كأنما اللحظُ منهُ قد رَمِدا

كأنَّ منجالتي ذؤابته[(٣)] ... قوسُ سماءٍ[(٤)] من أجله بعدا

وعَوْسَجٌ مَدَّ من مخالبه ... طغَى بها في نقاره وعَدا

فذاك ديكٌ جلَّتْ محاسنه ... له صراخٌ بين الدُّيوك غدا[(٥)]

يطلبني بالذي فعلْتُ به ... فكم فَلَلْنا بلبَّتَيْه مُدى

وَجَّهْتَه محنة لآكله ... والله ما كان ذاك منِّي[(٦)] سدى

ولم نزل بَعْدُ نستعدي عليه بإقراره بقتله، ونطلبه بالقود عند تصرفه في[(٧)] العمل، فيوجه الدِّيَة لنا في ذلك رسائل.

ومن شعره في غرض الحسن بن هانىء[(٨)]: [الطويل]

طَرَقْنا دُيورَ القوم وَهْنًا وتَغْليسا ... وقد شَرَّفوا الناسوتَ إذ عَبدوا عيسى

وقد رفعوا الإنجيلَ فوق رؤوسهم ... وقد قَدَّسوا الروحَ المُقَدَّس تقديسا

فما استيقظوا إلَّا لِصَكَّةِ بابهمْ ... فأدهشَ رُهْبانًا وروَّع قِسِّيسا

وقام بها البطريقُ يسعى مُلَبِّيا ... وقد لَيَّنَ[(٩)] الناقوسَ رفْقا[(١٠)] وتأنيسا

---

(١) في الأصل: «الوجود» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٢) القِدَدُ: جمع قدّة وهي الفرقة من الناس. لسان العرب (قدد). وفي التنزيل الكريم: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾. سورة الجن ٧٢، الآية ١١.

(٣) في النفح: «ذوائبه».

(٤) في الأصل: «قوسٌ سما»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) في النفح: «بدا».

(٦) في النفح: «منك».

(٧) في النفح: «بالعمل».

(٨) في النفح: «في غرض أبي نواس». والأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٧٩ ـ ٨٠) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠ ـ ٤١).

(٩) في الكتيبة: «أَصْمَتَ».

(١٠) في النفح: «رِفعًا».

فقلنا له: آمنًا[١] فإنًا عصابة ... أتينا لتَثليثٍ وإن شِئت تَسْديسا[٢]
وما قَصْدُنا إلّا الكؤوسَ وإنما ... لَحَنًا له في القول خُبْثًا وتدليسا[٣]
فَفُتِّحَتِ الأبوابُ بالرحب منهمُ ... وعَرَّسَ طلابُ المُدامة تَغريسا[٤]
فلما رأى زقّي[٥] أمامي ومزهري ... دعاني: أتأنيسا[٦] لحنت وتَلْبيسا؟
وقام إلى دَنٍّ يفضُّ ختامه ... فَكَبَّسَ أجرام الغياهب تكبيسا[٧]
وطاف بها رطبُ البنان مُزَنَّرٌ ... فأبصرْتُ عبدًا صَيَّرَ الحُرَّ مرؤوسا
سُلافًا حواها القارُ لبسًا فخلْتُها ... مثالًا من الياقوت في الحبْر مغموسا[٨]
إلى أن سَطا بالقوم سُلطانُ نومهمْ ... ورأسُ قتيل[٩] الشمع نُكّس تنكيسا
وَثَبْتُ إليه بالعناق فقال لي: ... بحقِّ الهوى هَبْ لي من الضَّمّ تَنفيسا
كتبتُ بدمع العين صفحةَ خَدِّه ... فطلَّسَ حبرَ الشعر كُتْبِيَ تطليسا
فبئسَ الذي احتلْنا وكدنا عليهمُ ... وبئس الذي قد أضمروا قبل ذا بِيسا
فبتنا يرانا الله شرَّ عصابةٍ ... نطيعُ[١٠] بعصيان الشريعة إبليسا

وقال بديهة في غزالة من النحاس على بِرْكة في محل طلب منه ذلك فيه[١١]: [الكامل]

عَنَّتْ لنا من وحشٍ وَجْرَةَ ظَبْيةٌ ... جاءَتْ لورد الماءِ مِلْءَ عِنانها
وأظنُّها إذا حَدَّدَتْ آذانها ... رِيعتْ بِنا فتوقفتْ بمكانها
حَيَّتْ بقرنيْ رأسها إذ لم نجد[١٢] ... يوم اللقاءِ تحية[١٣] ببنانها
حَنَّتْ على النّدمان من إفلاسهم ... فرمتْ قَضِيب لُجَيْنها لِحَنانها
لله دَرُّ غزالةٍ أبدتْ لنا ... دُرَّ الحِباب تَصُوغُه بلسانها

(١) في المصدرين: «أمَنًا».
(٢) التثليث: شرب ثلاث كؤوس. والتسديس: شرب ست كؤوس.
(٣) يقول: إننا أوهمناه بالتورية في التثليث، ونحن قصدنا أن نشرب ثلاثًا أو ستًا.
(٤) التعريس: النزول آخر الليل. لسان العرب (عرس).
(٥) في النفح: «رقّي».
(٦) في الكتيبة: «تأنيسًا».
(٧) في الكتيبة الكامنة: «... فغضّ ختامه فكيّس... تكييسًا».
(٨) في المصدر نفسه: «ملبوسًا».
(٩) في الأصل: «قبيل» والتصويب من المصدرين.
(١٠) في الكتيبة: «تطيع».
(١١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤١).
(١٢) في النفح: «تجدْ».
(١٣) في النفح: «تحيفة».

وفاته: فُلِج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله، ووجوب حقّه، وقد كانت زوجُه توفيت، وصَحِبه عليها وجدٌ شديد، وحُزنٌ مُلازم، فلمّا ثقُل، وقرُبت وفاته، استدعاني، وقد كان لسانُه لا يُبين القول، وأملى عليّ فيما وصاني به من مُهم أمره[١]: [الطويل]

إذا متُّ فادْفنّي حِذاءَ حليلتي ... يُخالطُ عظمي في التُّراب عظامَها
ولا تَدْفِنَنّي في البقِيع فإنَّني ... أُريد إلى يوم الحساب التزامها
ورَتِّبْ ضريحي كيفما شاءَ الهوى ... تكون أمامي أو أكون أمامها
لعل إلـٰه العَرْش يجبرُ صَدْعتي ... فَيُغْلي مُقامي عنده ومُقامها

وفاته: ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، ودفَنْتُه عصره بباب إلبيرة حِذاءَ حَلِيلته كما عَهِد، رحمة الله عليه.

يحيىٰ بن عبد الكريم الشنتوفي

من أهل الجزيرة الخضراءِ.

حاله: كان كاتبًا ثرثارًا، أديبًا لَوْذعيًا، كثير النظم والنثر. كتب عن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب[٢]، وابنه أبي يعقوب، واحتلّ معهما[٣] بظاهر غرناطة.

كتابته: كتب عن المذكور عند نزوله غازيًا ومجاهدًا بظاهر شَرِيش ما نصُّه: أخونا الذي يسير بما يخلّده بطون أوراق الدفاتر، من مأثور حميد المآثر، ويتلقّى ما يرِد عليه من قِبَلِنا من منشور حِزْب البشائر، بمعاشر القبائل والعشائر، ويفوّق ما قَبسته المنن لأقلام وأفواه المحابر، في مراقب مراقي المنابر، ويجمع لما وَشَّته سحائب الخواطر، من روْضات السِّجلّات في النوادي والمحاضر، الأمير الكذا، أدام الله اهتزازه للأنباءِ السارّة وارتياحه، ونَعَّم بها أرواحه، ووصل بكل أرِجٍ من نسيم الجَذَل، ومُبْهِج من وسيم الأمل، غذْوَه ورواحَه، وأحبَّ به أرواحَه. سلام كريم عليكم، ورحمة الله وبركاته. من أخيكم الذي لا يَتِمُّ بِشره إلّا بأخْذِكم منه بأوْفى حظّ، وأوفر نصيب، ومُصافيكم الذي لا يَكْمُل سروره، ويجمُل حُبوره، حتى يكون لكم فيه سهم

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤١).
(٢) هو الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٨٣، ١٣٠).
(٣) في الأصل: «معهم».

مُصِيب، ومَرْعى خصيب، الأمير يوسف ابن أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن عبد الحق.

أمَّا بعد حمد الله، مُحِقّ الحقّ بتَصعيده فوق النُّجوم ومُعْليه، ومُبْطل الباطل بتصريبه تحت النجوم ومُذليه، ومُطَهِّر الأرض من نجس دنَس الكفر وأوْلِيه، ضَرْبًا بالمُرْهفات صَبْرًا وطعنًا بالمُشْفَعات دِراكًا، وجاعل بلاد الشِّرْك الأسار عُبَّاد الإفك، بما نظمهم من سِلك المُلْك، وبدَّدهم من هَتْك السِّتر، بالفَتْك والسَّفْك، حبائل لا يخرجون منها وأشراكًا، وخاذل من زلَّت عن السُّور قَدَمُه، وخرجت من الدُّور ذِمَمه، بأنْ يُراق دمه، ويُعْدم وجوده وقِدَمه، بلوغًا لأمان أماني الإيمان وإدراكًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، ناظم فرائد الفرائد، ومُنَضِّد عوائد المواعد، بالظَّفر المنتظر بكل جاحد مُعاند، قلائد لا تنتثر وأسلاكًا ـ وسالك مسالك الغزوات، وناسِك مناسِك الخَلَوات، ومُدْرك مدارك قبول الدَّعوات، إفْناءً لأعداءِ الله وإهْلاكًا، والرضا على آله وصحبه، المُرتَدِين بمننه، المُهتدين بسُنَنِه، في إباحة حَرَم الحرُم، وإزاحة ظُلم الظُّلم، حنادس وأحلاكًا، القارعين بأسيافهم أصْلاب كِلاب الصُّلْبان تباكًا، والقارعين أبواب ثَواب الرحمٰن نُسَّاكًا، وموالاة الدُّعاءِ لسيدنا ومولانا الوالد، بتَخْليد السَّعْد المُساعد، وإدارة الإرادة بِعَضُد من النَّصْر وساعد، مقادير كما يشاءُ وأفلاكًا، وممالآت آياته آيات، هذه الرَّايات، بإدراك نهايات الغايات، في اشتِباه أشياءِ ذوي الشَّايات، فلا تذر في الأرض كُفْرًا ولا تدع فيها إشراكًا. فكتبناه، كتب الله لإخائكم الكريم أرْفَع الدرجات عُلًا وأتمَّها تعظيمًا، وفضلكم مع القعود عن الشهود بالنِّية التي لها أكرم ورود، وأصدق وفود، أجرًا عظيمًا. من منزلنا بمخنَّق شَريش حيث الكَتائب الهائلة هالة بدرها البادية الخُسوف، والحُماة الكماة أكمام زهرها الدَّاني القُطوف، وسِوار مِعْصمها النائي عن العصمة مجرَّدات صفوف صنُوف السيوف. فالشِّفار بالأحداق كالأشفار بالأحداق إدارتها، الطَّاقة بحيزومها نِطاقًا، والفتح قد لاحت مخَايِلُه، وباحت مقاوِلُه، والكُفْر فلَّت مَناصِله وعُرِفت مَقاتِله، والمُتْرف يتمنى أن يلقاه قاتلُه، فلا يقاتله فَرَقًا، لا يجدون له فِراقًا فواقًا، فحماتُها العُتاة لا يرون إلّا سماءَ نقْع الكِفاح، لَمِعًا متلاقيًا وائتلافًا، وكُماتها لا يشربون إلَّا من تحت دمِهم المُطهِّر بنَجسه وجه الأرض، المعدي به هريقُه من فيح حتْفهم يوم العَرْض، المودي بإراقته واجب الفرْض، إعدادًا لامتثال الأمر الإلٰهي واعتناقًا.

ومن هذا الكتاب وهو طويل: ووَصَلْنا والخيل تَمْرح في أعَنَّتها تصلُّفًا، وتختال في مَشْيها تغطْرُفًا، وتعضُّ على لُجُمها تحدُّقًا وتحرُّفًا، كأنها لم تَرْم قُصارى قُصور النصارى، دون تصور عنها، أغراضًا وأهدافًا، ودون معاهدة الغُيون وَصْف

الواصف، ولأقلّ مما احتوى عليه هذا الفتح تهتزُّ المعاطف، إذ الإيمان اهتزَّ إعطافًا، وتوشح به عطافًا. وهل الكَتْبُ وإن طال، نبذة من نُبَذ الفُتوح، وفَلْذة من كبِد النَّصر المَمْنُوح، وزهرةٌ من غُصن النَّدى المَروح، أدنينا لإخائكم الكريم منه اقتطافًا، والسلام.

شعره: [البسيط]

ما لي وللصبر عني دونكمْ حَجَبا ... وطالما هزَّني أُنْسِي لكمْ طَرَبا
فحين شبَّ النوى في أضلعي لَهَبَا ... هزَزْتُ سيف اصْطِباري بعدكمْ فَنَبا
وقلت للقلب يَسْلو بعدكمْ فأبى
غِبْتُمْ فغاب لذيذُ الأُنْس والوَسَنِ ... وخانَنِي جَلَدي فيكمْ فأرّقني
ذِكْرى ليالِيَنا في غَفْلَة الزمنِ ... فارقتمُوني وطيبُ العيش فارقني
وصرْتُ من بعدكمْ حيرانَ مُكْتَئِبا
مَنْ لي بقُرْبِكُمُ في حِفْظ عَهْدكُمُ ... فكم ظَفِرْتُ به أيام وُدُّكُمُ
وكم جرى دمع أجفاني لفقْدكُمُ ... فلو بكيتُ دمًا من بُعدكُمُ
لم أقْضِ من حقِّ ذاك القُرْب ما وَجَبا
لله أيامُنا ما كان أجْمَلَها ... أعْزَتْ[1] بآخِرها شُكْرًا وأولها
من حُسْنها لم أزلْ أصْبُو بها وَلَهًا ... يا صاح، صَبْرًا على الأيام إنَّ لها
على تصاريفها من أمْرها عَجَبا
صَبْرًا على زمن يبديك شيمته ... اقبلْ مساءَته واحْمدْ مَسَرَّته
فما عسى يَبْلُغُ الإنسانُ مُنْيَته ... ومن كَرِهْتُ ومَنْ أحْبَبْتُ صُحْبَتَه
لا بُدّ أن يَفْقِد الإنسان من صَحِبا

قلت[2]: عجبا من الشيخ ابن الخطيب، رحمه الله، في ذكره هذا المترجم به في ترجمة المُقْرئين، مع تَحْليته له، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة والشِّعر، بل وإثباته له كتابته، وشعره، فكان حقُّه أن يكون في ترجمة الكتّاب والشعراءِ بعد هذه الترجمة.

---

(١) في الأصل: «أوْزَعَتْ»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٢) من هنا حتى آخر الترجمة ليس لابن الخطيب، وقد يكون للناسخ.

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم ابن علي الفهري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحجاج، ويعرف بالسّاحلي[١].

حاله: من «العائد»[٢]: صَدْرٌ[٣] في حَمَلة القرآن، على وَتِيرة الفضلاءِ وسَنَن الصالحين، من لِين الجانب، والعُكوف على الخير، وبذل المعروف، وحسن المشاركة، والخُفُوف إلى الشَّفاعة. أبَّ الأُمراءَ، وحَظِي بتَسْويدهم، وناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من حمرائهم[٤]، وكان إمامًا به، ذا هُدًى وسكينة ووقار. وحجَّ، ولقي المشايخ[٥]، واعتنق الرواية والتَّقييد، فانتُفع بلقائه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ العلّامة أبي جعفر ابن الزبير ببلده، وعلى الشيخ الخطيب الصوفي أبي الحسن ابن فضيلة، وعلى الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والمحدِّث الرَّحال أبي عبد الله بن رُشيد. وأخذ في رحلته عن جُملة، كالخطيب الراوية أبي عبد الله محمد بن محمد بن فُرتون، وناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي، والأُستاذ أبي عبد الله بن جعفر اليحصبي، وقاضي الجماعة ببجاية الإمام أبي عبد الله بن يحيىٰ الزواوي، والفقيه المحدِّث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي. وأجازه سوى مَن تقدَّم ذكره من أهل المشرق، عبد الغفار بن محمد الكلابي، وحسن بن عمر بن علي الكردي، وعَتِيق بن عبد الرحمٰن بن أبي الفتح العمري، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، وعمر بن أبي بكر الوادي آشي، وصالح بن عباس بن صالح بن أبي الفوارس الأسْعد الصدفي، وأحمد بن محمد بن علي الكناني، ومحمد بن أحمد، وأحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن الحباب، وأُمّ الخير ابنة شرف الدين ابن الطباخ الصُّوفي. وقرأ ببلده غرناطة على الأُستاذ أبي جعفر الطبَّاع، والشيخ أبي الحسن معن بن مؤمن، وأبي محمد النبغدي، وأبي الحسن البلوطي.

أنشدنا، قال: كتب إليَّ شيخنا محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعاءِ الذي أجازني، ولمن سمَّى فيه[٦]: [الطويل]

أجَـزْتُ لـهـمْ أبـقـاهُـمُ اللهُ كـلّمـا ... رَوَيْتُ عـن الأشياخ في سالـف الـدَّهْـرِ

---

(١) ترجمة أبي الحجاج الساحلي في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٠).

(٢) هو كتاب «عائد الصلة» لابن الخطيب، والنص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٠ ـ ٢١).

(٣) في النفح: «صدر من صدور حملة...». (٤) المراد قصر الحمراء بغرناطة.

(٥) في النفح: «الأشياخ». (٦) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢١).

وما سَمِعَتْ أُذْناي عن كلّ عالِمٍ ... وما جاد مِنْ نَظْمي وما راق مِنْ نثري[1]

على شَرْطِ أصحابِ الحديث وضَبْطِهِمْ ... بَريٌّ من[2] التَّصحيف عارٍ من[2] النُّكْر

وجَدِّي رشيقٌ شاعَ في الغَرْب ذِكْرُهُ ... وفي الشَّرْق أيضًا فاذرِ إن كنت لا تَدْري[3]

ولي مَوْلدٌ مِنْ بَعْدِ عشرين حجَّةً ... ثمانٍ على السِّتِّ المئين[4] ابتدا عمري[5]

وبالله توفيقي عليه توكُّلي ... له الحمد في الحالين[6] في العُسْر واليُسْر

حدَّثني شيخنا أبو بكر بن الحكيم، قال: أصابتني حُمًّى، فلمّا انصرفت عني، تركت في شفتي بُثُورًا علي، فزارني الفقيه أبو الحجاج السَّاحلي، فأنشدني[7]: [السريع]

حاشاك أن تَمْرَضَ حاشاكا ... قد اشتكى قلبي لشَكْواكا

إن كنت محمومًا ضعيفَ القوى ... فإنَّني أحْسِدُ حُمَّاكا

ما رَضِيَتْ حُمَّاك إذ باشرت ... جِسْمَكَ حتى قَبَّلَتْ فاكا

مولده: عام سبعة وستين وستمائة[8].

وفاته: توفي، رحمه الله، بالحمراءِ العليَّة، في السابع والعشرين لشهر رمضان من عام اثنين وخمسين وسبعمائة.

ومن الكتّاب والشعراء بين أصلي وغيره:

يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأنصاري[9]

يكنى أبا بكر، ويُعرف بابن الصَّيرفي، من أهل غرناطة.

---

(١) في الأصل: «نَثْرِ» والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «عن».

(٣) في الأصل: «تدر» والتصويب من النفح.

(٤) في الأصل: «المُبين»، والتصويب من النفح.

(٥) في الأصل: «عمرِ»، والتصويب من النفح.

(٦) في الأصل: «الحالتين»، وهكذا ينكسر الوزن، وقد صوبناه من النفح.

(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢١).

(٨) في النفح: «ومولد أبي الحجاج المذكور سنة ٦٦٢، وتوفي سنة ٧٠٢».

(٩) ترجمة ابن الصيرفي في التكملة (ج ٤ ص ١٧٣) والمغرب (ج ٢ ص ١١٨) وبغية الوعاة (ص ٤١٦) والبيان المغرب (ج ٤ ص ٩١، ٩٥) وجيش التوشيح (ص ١٢٠) وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥٧) وهدية العارفين (ص ٥٢٠) والأعلام للزركلي (ج ٨ ص ١٦٤).

حاله: كان نسيج وحده في البلاغة والجَزالة، والتّبريز في أُسلوب التاريخ، والتملؤ من الأدب، والمعرفة باللغة والخَبَر. قال أبو القاسم[1]: من أهل المعرفة بالأدب والعربية والفقه والتاريخ، ومن الكتاب المجيدين والشعراءِ المطبوعين المكثرين. كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين[2]، وله فيه نظم حسن.

مشيخته: قرأ على شيوخ بلده، وأخذ عن العالم الحافظ أبي بكر بن العربي ونمطه.

تواليفه: ألّف في تاريخ الأندلس كتابًا سماه «الأنوار الجَلية، في أخبار الدولة المرابطيَّة» ضمّنه العُجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة. ثم وصله إلى قرب وفاته، وكتابًا آخر سمّاه «تقصّي الأنباءِ وسياسة الرؤساءِ».

شعره: قال: أنشدتُ الأميرَ تاشفين في هلاك ابن رُذْمير: [البسيط]

أشكو الغَليل بحيث المشْربُ الخضْرُ ... حسبي وإلّا فوزدٌ ما له صَدَرُ
تجهَّمَتْ لي وجوهُ الصبرِ مُنْكرة ... ولاحظتني عيونٌ حَشْوُها حَذَرُ
إني لأجْزَع من ذاك الوعيد وفي ... ملقى الأسنَّة منّا مَعْشَرٌ صبرُوا[3]
فلَّتْ سلاحي الليالي أيُّ ظالمة ... ولو أعادَتْ شبابي كنتُ أنْتصرُ
مُشَيِّعًا كنت ما استصحبْتُ من أمل ... كما يُشَيِّع سهمُ النّازع الوَتِرُ
فها أنا وعزيز في نامِسَة ... تسود في عينه الأوْضاح والغُرَرُ
يا حيّ عذرةَ، فُتياكُمْ بنازلة ... لم تنفصل يَمَنٌ عنها ولا مُضَرُ
ما الحكمُ عندكُمْ إذ نحن في حُرم ... على جِنايةِ رامٍ سَهْمُه النَّظَرُ
أرعاني الشُّهب في أحشاءِ لَيْلتها ... حمل من الصُّبح أرجوه وأنتظر
يفترُّ عن بُرد من حوله لَهَبٌ ... أو عن نبات أقاح أرضُه سَقَر
وبين أجفانه نهيف الأمير أبي ... محمد تاشُفين أو هو القَدَر
سيفٌ به ثُلّ عرش الروم واطّادَتْ ... قواعد المُلْك واستولى به الظَّفَرُ
وأدرك الدين بالثّأرِ المُنِيم على ... رغم وجاءَتْ صُروف الدهر تَعْتذر
مُنًى تُنال وأيامٌ مُفَضَّضة ... مُذْهَبات العشايا لَيْلُها سَحَر

---

(١) قارن ببغية الوعاة (ص ٤١٦).
(٢) هو الأمير أبو محمد تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، حكم الأندلس سنة ٥٣٧ هـ. وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة.
(٣) في الأصل: «صبر».

وفي الذُّؤابة من صنهاجة مَلِكٌ ... أغرُّ أبلَجُ يُسْتَسقى به المَطر
مؤيدٌ من أمير المسلمين له هوًى ... ورأيٌ ومن سيرٍ له سِير
أنحى على الجَور يمحو رَسْم أخرُفه ... حتى استجار بأحداق المَهَى الحَوَرُ
يا تاشُفين، أما تنفكُّ بادرة ... من راحَتَيْك المنايا الحُمْر تَبْتَدر؟
وكم ترنَّح في رَوْضٍ جَداوله ... بيضُ السيوف وملتفٌّ لِلْقَنا شجر
هي التَّرايك فوق الهام لا حَبَبٌ ... والسَّابغات على الأعْطاف لا القَدَر
لك الكتائب ملءُ البيد غازيةٌ ... إذا أتت زمرٌ منها مضت زُمَر
على ساكبها للنَّقْع أرْدِية من ... تحتها جِلَّق من تحتها زُبر
تدبُّ منها إلى الأعداءِ سابلة ... عقاربُ ما لها إلَّا القَنا إبَر
بعثتها أُسْدًا شتَّى إذا مَرجت ... جِنَّ الوغا انقضَّ منها أنجمٌ زهر
يا أيها الملك الأعلى الذي سَجدت ... لسيْفه الهام في الهَيْجاءِ والقُصُرُ
أعِزْ حِرار ضُلوعي بَرْدَ ما نهلت ... خيلُ الزُّبير ونار الحرب تَسْتعرُ
حيث الغُبار دخانٌ والظُّبا لهبٌ ... والأسِنَّة في هام العِدا شَرَرُ
والنَّقْع يطفو وبيضُ الهند راسية ... إن الصواعق يوم الغَيْم تَنْكدر
أعْطى الزبيرُ فتى العلياءِ صارمَه ... لكن بسَعْدك ما لم يُعْطِه عُمَرُ
ولَّته أظْهُرَها الأبطال خاضعة ... تَكْبُو وتصفعها الهندِيَّة البُتُر
بحر من الخلق المَسْرود مُلتَطمٌ ... يسيل من كل سيف نحوه نَصَرُ
أمّ ابنُ الزبير ابنَ رُذمير بداهية ... عضَّت ومسَّك من أظْفاره ظَفَرُ
لقد نفحت من التِّيجان في محم ... وأين من فَتَكات الضَّيغم النَّمر؟
لقد نجوْتَ طليق الركض في وَهَن ... من الأسنَّة حتى جاءَك القَدَرُ
خلعْتَ دِرعا واعتَضْتَ الظَّلام بها ... وخاض بحرُ الوَغا مَرْكُوبَك الخَطَرُ

ومنها:

ما بال إنجيلك المتروك ما ذمرت ... نفوس قومك منه الآي والسُّورُ
أهديتها غير مشكور مُضمَّرة ... ملءَ الأعنَّة منها الزَّهْو والأسَرُ
وظلّ طفل من البولاد دانية ... سمراء[1] تُرْضِعه اللبَّات والثُّغَرُ

(١) في الأصل: «سمرا»، وكذا ينكسر الوزن.

وعابسٌ للمنايا[(١)] وهي ضاحكة … من خَدِّه بثغورٍ زانها أشر
وكل حارسة في الرَّوع لابسها … منسوجةٌ من عيون ما لها نَظَرُ
أعدت للحرب إنذارًا سخوت بها … على الرِّجال التي منها لها وزر
قَضَتك من جِمير صيدٌ غطارفة … فضُّ الرجاحة عوضُ الدهر ينحبر
ملثَّمون حياءً كلّما سَفَرت لهم … وجوه المنايا في الوَغا سَفروا
جادوا بطعنٍ كأسماع المحاص … إلى ضرب كما فَغَرت أفواهها الحُمُر
وحُذتَ عنها محيًّا مُرَوَّعة … فضتَ بما مَجَّ في أحشائك الذُّعر
فَرَّتْ إلى حتفها من حتفها فمضتْ … والموتُ يطْرُدُها والموتُ ينتظرُ
قالوا: نجا بذماء[(٢)] النَّفْس منك فما … نجا وقد بَقَرَتْه الحيَّةُ الذَّكَرُ
توزَّعَتْ نَفَسًا على حشِيَّتها … من[(٣)] للوساوسِ يَحْدُو جيشَها السَّهَرُ؟
نصرٌ عزيز وفتحٌ ليس يَعْدله … فتحٌ ولله فيه الحَمْد والشكر
فاهنأْ به ابنَ أمير المسلمين وَدُمْ … للمُلْك ما قامت الآصال والبُكر
واهنأْ بعيدك وافخرْ شانئيك به … فإنَّها نُسُك الأسياف لا الجزر
جاوزتْ بحرك تغشاني مواهبُه … فمن بذاك ونَظْمي هذه الدُّرر

وأنشد أيضًا من شعره قوله، رحمة الله عليه: [الخفيف]

رَكِبَتْ خَيْلَها جيوشُ الضَّلالِ … وسَرَتْ من رِماحها بذُبالِ
ملقياتٌ دُروعَها لا لوقتٍ … فيه تَنْضُو الجلود رقْش الصِّلال
حثَّ في إثرها الأمير بعُقْبا … نِ جيادٌ هَوَتْ بأُسْدِ رجال
في صُقَيل البُريك تُحدِث للشمـ … ـسِ بعكس الشُّعاع حُمَّى اشتعال
لاث بالريح عِمَّةً من غُبار … ومشى للحديد في أذيال
كلّما جرَّها على الصَّلْد أبقت … كخطوط الصِّلال فوق الرمال
لَبِست أمرها على الرُّوم حتى … فَجِئَتْها كعادة الآجال
أبْدَلت هامها قِصار قُدُود … بِطَوال من الرِّماح الطوال
والذي فرَّ عن سيوفك أوْدَى … بقَنا الرُّعب في ثنايا الجبال
كنتَ فيها وأنت في كل حرب … مُغْمد النَّصل في طِلَى الأبطال

---

(١) في الأصل: «وعابسُ المنايا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «بذما»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «طَنبا»، وكذا ينكسر الوزن.

يطلع البدر منك حاجِبَ شمس ويُرى الليث في إهاب هِلال
يا لصَنهاجة وحولك منهمْ خيرُ جيش عليهمُ خيرُ والِ
ملكٌ ليس يركب الدهر إلّا كلّ عالي الركاب عالي القَذال
ما عرا الجَذْبُ أو علاه[1] الخَطْبُ سال غَيْثًا ولاح بَدْرُ كمال
وخفيفٌ على أمور خِفاف وثقيلٌ على أُمور ثِقال
لاعَب المِعْطفين بالحمد زَهْوًا شيمةَ الرُمح هزَّةٌ في اعتدال
مُسْتَرِقُ النفوس خوفًا وحسنا إنما السيف هَيْبَةٌ في جمال
شيمٌ كالغمام يَنْشُر في الرو ضِ بأندابه صِغار اللآل
وسجايا تفتَّحَتْ زهراتٍ وخلالٌ تسدُّ كل اختلال
أنت يا تاشُفين والله واقٍ لك شخص العُلا ونفسُ الكمال
ليس آمالُ مَنْ على الأرض إلّا أن تُرى وأنت غاية الآمال
وهنيًّا بأن نَهضتَ وأقبلْـ ـتَ عزيزَ النُهوض والإقبال
وعلى الكفر منك حرٌّ مُجير وعلى الدِّين منك بَرْدُ ظِلال
يا فتى والزمان نُعمَى وبؤسٌ شرُّ حالٍ أفضَتْ إلى خَيْر حال
وبما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فُرجةٌ كحلِّ العِقال
رُبَّ أشياء ليس يبلغ منها كُنْهَ ما في النُفوس بالأقوال
غير أن الكلام إنْ جلَّ قدرا وعلا كنتَ فوقه في الفِعال

ومن شعره، وقد بيَّت العدوّ محلّة الأمير تاشفين، ويذكر حسن ثباته، وقد أسلمه قومه، وهي من القصائد المفيدة، المبدية في الإحسان المعيدة[2]: [الكامل]

يا أيها الملك[3] الذي يتقنَّع[4] من منكم البطل الهمام الأزوعُ[5]؟

---

(١) في الأصل: «علا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) وردت هذه القصيدة في الحلل الموشية (ص ٩٣ ـ ٩٦)، وقال صاحب الحلل الموشية إن الفقيه الكاتب أبا زكريا بن العربي هو الذي هنّأ تاشفين بالسلامة بهذه القصيدة العينية. وجاء في البيان المغرب (ج ٤ ص ٩١) أن أبا بكر يحيىٰ بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصيرفي، هو الذي قال في تاشفين، عندما استقرّ بقرطبة، قصيدة طويلة ذكر فيها بلاءه في الحروب، وذكر فقط بعضًا من مطلع القصيدة وهو: «كم يبكي الهمام الأروعُ». والقصيدة وردت أيضًا في جيش التوشيح (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥).

(٣) في جيش التوشيح: «الملأ».

(٤) في الحلل الموشية: «يتوقّع».

(٥) في الحلل الموشية وجيش التوشيح: «الأورع».

ومن الذي غدر العدوُّ به دجًى ... فانفضَّ كلٌّ وهو لا يتزعزعُ؟
تمضي الفوارس والطعان يصدُّها ... عنه ويزجرها[١] الوفاءُ فترجعُ
والليل من وضح التَّرائك والظُّبا[٢] ... صبح على هام الكماة ممنَّعُ[٣]
عن أربعين ثَنتْ أعنَّتها دُجًى ... ألفان ألفٌ حاسر ومُقنَّعُ
لولا رجال كالجبال تعرَّضت ... ما كان ذاك السيل مما يُرْدع[٤]
يتقحَّمون على الرماح كأنهم ... إبلٌ[٥] عطاش والأسنة تكرع[٦]
ومن الدُّجى لهم[٧] على قمم الرُّبى ... وذؤابة بين الظُّبا تتقطَّع
نَصَرتْ ظلام الكُفْر ظُلمة ليلة ... لم يدر فيها الفجر أين المطلع[٨]
لولا ثبوتك تاشُفِين لغادرت ... أُخرى الليالي وهَيْبَةٌ لا تُرقَع
فَثَبَتَّ والأقدامُ تزلق والرَّدى[٩] ... حول السُّرادق والأسِنَّة تقرع
لا تَغْظُمَنَّ[١٠] على الأمير فإنها ... خِدَع الحروب وكل حرب تَخْدع[١١]
ولكل يوم حَنْكة وتمرُّس ... وتجارب في مثل نفسك تَنْجع
يا أشجع الشجعان[١٢] ليلة أمْسِه ... اليوم[١٣] أنت على التجارب أشجع
أهديك من أدب الوَغا حِكما بها ... كانت ملوك الحرب مثلك تُولع
لا أنَّني أدرى بها لكنها ... ذكرى تخُصُّ المؤمنين وتَنْفع
اخترْ من الخلق المضاعفة التي ... وصَّى بها صُنْع السَّوابغ تُبَّع[١٤]

(١) في الحلل الموشية: «ويدمرها». وفي جيش التوشيح: «ويدعوها».
(٢) في الحلل: «والليل مرضج الترايك بينهم». وفي جيش التوشيح: «بينهم» بدل «والظُّبا».
(٣) في المصدرين: «ملمّع». (٤) في الحلل: «يودّع».
(٥) في الحلل: «أبطل». (٦) في المصدرين: «مكرع».
(٧) في الجيش: «لمم».
(٨) هذا البيت والبيت التالي ساقطان في المصدرين.
(٩) في الجيش: «بالردى».
(١٠) في الحلل: «لا يعظمن». وفي الجيش: «ولا يعظمن» وهكذا ينكسر الوزن.
(١١) في الحلل: «يخدع». (١٢) في المصدرين: «الأبطال».
(١٣) في الجيش: «واليوم».
(١٤) هذا البيت والأبيات الخمسة التالية ساقطة في المصدرين. ومعنى هذا البيت أخذه من قول أبي ذويب الهُذَلي [الكامل]:
وعليهما مَسْرودتانِ قضاهما ... داودُ، أو صَنَعُ السَّوابغ تُبَّعُ
وتُبَّع: هو تُبَّع الحميري الذي اشتهر بصناعة الدروع. راجع ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٩٢).

والهند وانى للرفيق[١] فإنه | أمضى على حلْق الدلاص وأقطع
ومن الرواجل ما إذا زَعْزَعْتَهُ | أعطاك هزَّة مِعطفيه الأشجع
ومن الجياد الجُرْد كلّ مُضَمَّر | تُشجى بأربعه الرياح الأربع
والصَّمَّة البطل الذي لا يلتوي | منه الصَّليب ولا يلين الأخْدَع
وكذاك قذرٌ في العدو حزامة | فالنَّبع بالنَّبع المُثقَّف يَقرع
خندقٌ عليك إذا اضطربت[٢] محلّة | سيَّان تَتْبع ظافرًا[٣] أو تتْبَع
واجعل ببابك في الثُّقات ومن له | قلبٌ على هول الحروب مُشَيَّع[٤]
وتوقَّ من كذِب الطلائع إنَّه | لا رأي للمكذوب[٥] فيما[٦] يصْنعُ
فإذا احترست بذاك لم يَكُ للعدا | في فرصةٍ أو في انتهازٍ مطمعُ
حارب بمن يخشى[٧] عقابك بالذي | يخشى[٧] ومن في جُود كفِّك يَطْمع
قبل التَّناوش عبِّ جيشك مُفْحصا[٨] | حيث التمكُّن والمجال الأوسع
إياك تَعْبئة الجيوش مضيِّقا | والخيل تَفْحص بالرجال وتَمْرع[٩]
حصِّن حواشيها وكن في قلبها | واجعلْ أمامك منهمْ من يُشْجع
والبس لُبوسًا لا يكون مشهَّرا | فيكون نحوك للعدوّ تطلُّعُ
واحتلْ لتوقعَ في مُضايقة الوَغى | خِدَعًا ترويها وأنت مُوَسّع[١٠]
واحذرْ كمين الرُّوم عند لقائها | واخفضْ[١١] كمينك خَلفها إذ تدفع
لا تُبْقِين[١٢] النهر خلفك عندما | تلقى العدوّ فأمرُه[١٣] متوقَّع
واجعل[١٤] مناجَزة العدوّ عشيَّة | ووراءَك[١٥] الصدف[١٦] الذي هو أمْنَع

(١) في الأصل: «الرفيق» وهكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الجيش: «ضربت».
(٣) في المصدرين: «ظاهرًا».
(٤) هذا البيت ساقط في المصدرين.
(٥) في الحلل الموشية: «للكذاب».
(٦) في الأصل: «فيها» والتصويب من المصدرين.
(٧) في الحلل: «تخشى».
(٨) في الحلل: «مفصحًا». وفي الجيش: «مفسحًا».
(٩) في الجيش: «وتمزع».
(١٠) في الجيش: «واحْلِ التوقع في مدافعة... توقَّ بها وأنت...».
(١١) في الأصل: «واقض» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٢) في الحلل: «لا تلقين».
(١٣) في جيش التوشيح: «فَشَرُّه».
(١٤) في الحلل: «اجعلْ».
(١٥) في الأصل: «ووراء»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٦) في جيش التوشيح: «الهدف».

واضْـدِمْـه أول وهـلة لا تَـرْتَـدع ... بعد التقدم فالنُّكول[١] يُضَعْضع
وإذا تكـاثـفـت[٢] الـرجـال بـمـعـركٍ ... ضَـنْـكٍ فـأطـراف الـرِّمـاح تـوسـع
حتى إذا اسْتَغْصت[٣] عليك ولم يكن ... إلّا شِـمـاسٌ دائـمٌ وتـمـنُّـع
ورأيـت نـار الـحـرب تُـضـرم بـالـظُّـبا ... ودخـانـهـا[٤] فـوق الأسِـنَّـة يَـسْـطـع[٥]
ومـضـت تـؤذّن بـالـصُّـمـيـل جـيـادها ... والـهـام تَـسْـجُـد والـصَّـوارم تـركـع[٦]
والـرمـح يُـثـنـي مـعـطـفـيـه كـأنـه ... فـي الـرّاح لا عِـلْـق الـفـوارس يـكـرع
والـريـح تـنـشـأ سَـجْـسَـجًـا هـفّـافـة ... وهـي الـسَّـكـيـنـة عـن يـمـيـنـك تـوضـع
أقْـصِ[٧] الـكـمـيـنَ عـلـى الـعـدوّ فـإنـه ... يـعـطـيـك مـن أكـتـافـه مـا يـمـنـع
وإذا هَـزمْـتَ عِـداك فـاحـذرْ كـرَّهـا ... واضـربْ وجـوه كُـمـاتـهـا إذ تـرجـع
وهـي الـحـروب قُـوى الـنُّـفـوس وحـزبـهـا ... مـن قـوّة الأبـدان فـيـهـا أنـفـع
ثـم انْـتَـهِـضْ بـجـمـيـع من[٨] أخْـمَـدْتـه[٩] ... حـتـى يـكـون لـك الـمَـحَـلُّ الأرفـع
وبـذاك[١٠] تَـغْـتِـبُ إن تـولّتْ عـصـبـة ... كـانـت تُـرفِّـه لـلـوغَـى[١١] وتُـرفِّـع
مـن مـعْـشَـرٍ إعـراض وجـهـك عـنـهـم ... فـعـلُ الـجـمـيـل وسُـخْـطـك الـمـتـوقَّـع
يـكـبـو[١٢] الـجـواد وكـل حَـبْـر[١٣] عـالـم ... يـهْـفـو وتَـنْـبُـو الـمُـرْهـفـات الـقُـطّـع
أنّـى قَـرَعْـتُـم[١٤] يـا بـنـي صَـنْـهـاجـةٍ ... وإلـيـكُـمُ فـي الـرَّوع كـان الـمَـفْـزِع؟
مـا أنـتـمُ إلّا أُسـودُ خـفـيَّـةٍ[١٥] ... كـلٌّ بـكـلِّ عـظـيـمـةٍ تُـسْـتَـطـلع[١٦]

(١) في الحلل: «فالنكوس تضعضع». وفي الجيش: «فالنكوص. . .».
(٢) في الحلل: «تكثفت». وفي الجيش: «تكثفه».
(٣) في الحلل: «صعبت». (٤) في المصدرين: «ودخانه».
(٥) في الجيش: «. . . فوق الدجنّة يطلع».
(٦) هذا البيت والأبيات الخمسة التالية ساقطة في المصدرين.
(٧) في الأصل: «أقْصِرْ» وهكذا ينكسر الوزن. (٨) في الحلل: «ما».
(٩) في الجيش: «ثم اتَّئِد بجميع من أحملته. . .».
(١٠) في الحلل: «إياك». وفي الجيش: «ونراك».
(١١) في الأصل: «الوغى»، وهكذا ينكسر الوزن. وفي الحلل: «توفه للوعاد وتدفع». وفي الجيش: «ترفع للدعاء وترفع».
(١٢) في المصدرين: «تكبو الجياد». (١٣) في الجيش: «حرّ».
(١٤) في الحلل: «فزعتم». وفي الجيش: «نزعتم».
(١٥) في الجيش: «حقيقة».
(١٦) في الحلل: «مستطلع». وفي الجيش: «يتطلع».

ما بال سيدكم تَوَرَّط[١]؟ لم يكن ... لكمُ التفاتٌ نحوه وتَجَمُّعُ
إنسانُ عينٍ لم يصبْه[٢] منكمُ ... جَفْنٌ وقَلْبٌ أسْلَمَتْه الأضلع
تلك التي جرَّت عليكم خُطَّةً ... شنعاءَ وهي على رجال أشْنَعُ
أو ما ليوسفَ جَدِّه مِننٌ[٣] على ... كلٍّ وفضل سابق لا يُدْفَع[٤]؟
أو ما لوالده عليَّ[٥] نعمة ... وبكل جيدٍ رِبْقَةٌ لا تُخلع؟
ولكم بمجلس تاشُفِين كرامةٌ ... وشفيعُكم فيما يشاءُ مُشَفَّع
ألا رعيتُم ذاك وأحسابكم ... وأنِفْتُم من قالةٍ تُستشنَع
أبطأتم عن تاشفين ولم يزل ... إحسانه لجميعكم[٦] يتسرَّع
رُدَّت مكارمه لكم وتوطَّأت ... أكنافُه إنَّ الكريم سُمَيْدَعُ
خاف العِدى لكن عليكم مُشْفِقا[٧] ... فهجعتم[٨] وجفونه لا تَهْجع
ومن العجائب أنه مع[٩] سنّه ... أدرَى وأشهر[١٠] في الخطوب[١١] وأضلع
ولقد[١٢] عفا والعفو منه سجيَّةٌ ... ولسطوةٍ لو شاءَ فيكم مَوْضع
يا تاشفين، أقِمْ[١٣] لجيشك عُذْره ... فالليل[١٤] والقَدَر الذي لا يُدْفع
هجم العدوّ دُجًى فَرَوَّع مُقبلًا ... ومضى يُهَينم[١٥] وهو منكَ مروَّع
لا يزدهي إلّا سواك بها ولا ... إلّا لغيرك بالسِّنان يُقَنِّع[١٦]
لمّا سَدَدْتَ له الثَّنيَّةَ لم يكن ... إلّا على ظهر المَنِيَّة مَهْيع
وكذاك للعِيرات[١٧] إقدامٌ على ... أُسْدِ العَرين الوُرْدِ ممّا يجزع

---

(١) في الحلل: «تظلّم».
(٢) في الحلل: «لم تصبه منكم جفر». وفي الجيش: «لم يصنه...».
(٣) في المصدرين: «منّ».
(٤) في الأصل: «يرفع» والتصويب من المصدرين.
(٥) في الجيش: «عليكم».
(٦) في الحلل: «بجميعكم».
(٧) في الحلل: «مشفق».
(٨) في الجيش: «بحقوقكم».
(٩) في الجيش: «من».
(١٠) في المصدرين: «وأشهم».
(١١) في الحلل: «في الحرب».
(١٢) في الحلل: «وعفا».
(١٣) في الجيش: «لهم بجيشك غدرة...».
(١٤) في المصدرين: «بالليل».
(١٥) في الأصل: «يهيم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٦) في الأصل: «يقنقع»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(١٧) في الأصل: «للعير»، وهكذا ينكسر الوزن. والعيرات: جمع عِير وهي القافلة أو الإبل تحمل الميرة. محيط المحيط (عير).

ولقد تقفّاها الزبيرُ وقد نَجَتْ ... إلّا فلولًا إنّ[١] منه المَصْرع
وغدا يعاقب والنفوس حميَّة ... والسُّمْر هيمٌ والصَّوارم جُوَّع
أغطِش سلاحك ثم أوْرِدها الوَغا ... كيما يلذُّ لها ويصفو المَشْرع
كم وقعةٍ لك في ديارهم انثنت ... عنها أعزّتُها تُذَلّ وتَخْضع
النِّعمة العظمى سلامتك التي ... فيها من الظَّفَر الرِّضى والمَقْنَع
لا ضيَّع الرحمٰن سَعْيك إنه ... سعيٌ به الإسلام ليس يُضَيَّع
نستحفظ[٢] الرحمٰن منك وديعةً ... فهو الحفيظ لكلّ ما يُسْتَودع

وفاته: بغرناطة في حدود السبعين وخمسمائة[٣].

ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير
وهو الثاني عشر المفتتح بالترجمة بعد
يحيىٰ بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي[٤]

أصله من تُطيلة، وهو غرناطي، يكنى أبا بكر.

حاله: قال أبو القاسم المَلّاحي: أديبٌ[٥] زمانه، وواحد أقرانه، سيال القريحة، بارع الأدب، رائق الشعر، عَلَم في النحو واللغة والتاريخ والعَروض وأخبار الأُمم، لحق بالفحول المتقدِّمين، وأعجزت براعته براعة[٦] المتأخرين، وشعره مُدَوّن، جرى[٧] في ذلك كلّه طلِق الجُموح. ثم انقبض وعكف على قراءة القرآن، وقيام الليل، وسرد الصوم، وصُنع[٨] المُعَشَّرات في شرف النبيّ عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في الأصل: «وإنّ»، وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في الحلل: «نستودع».

(٣) في التكملة (ج ٤ ص ١٧٣): توفي بأريولة من أعمال مرسية سنة ٥٥٧ هـ، وهو ابن تسعين سنة أو نحوها. وفي بغية الوعاة (ص ٤١٦): «مات في حدود السبعين وخمسمائة، أو قبل ذلك عن سنّ عالية».

(٤) ترجمة يحيىٰ بن محمد الهذلي في التكملة (ج ٤ ص ١٨٨) وبغية الوعاة (ص ٤١٢). وجاء في التكملة أنه «يحيىٰ بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام الهذلي». وجاء في بغية الوعاة: «يحيىٰ بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الأصل الغرناطي».

(٥) قارن ببغية الوعاة (ص ٤١٢ ـ ٤١٣). (٦) كلمة «براعة» ساقطة في بغية الوعاة.

(٧) في البغية: «جريء».

(٨) في البغية: «والنظم في مدح النبيّ ﷺ، والزهد وأمور الآخرة...».

وأشعاره كثيرة، من الزهد والتذكير للآخرة، والتَّجريد من الدنيا، حتى جُمع له من ذلك ديوان كبير.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة: [الطويل]

أذوبُ حياءً إنْ تَذَكَّرْتُ زلَّتي ... وحِلْمُك حتى ما أقلَّ نواظري

وأسكُتُ مغلوبًا وأطْرقُ خَجْلةً ... على مثل أطراف القنا والتَّواتُرِ

تعود بصفْحٍ إثْرَ صفحٍ تكرُّما ... على الذنب بعد الذنب يا خيْرَ غافر

وتَلْحَظُني بالعفو أثناءَ زلَّتي ... وتنظر مني في خلال جَرائر

وحقّ هواك المُسْتَكِنِّ بأضْلُعي ... وما لك عندي من خَفيٍّ ضمائر

لما قُمْتُ بالمغشار من عُشْر عشرة ... ولو جئتُ فيه بالنجوم الزَّواهر

فيا أيها المولى الصَّفوح ومن به ... تَنُوءُ احتمالاتي بأعْباءِ شاكر

أنِلْنيَ مِنْ بَرْد اليقين صبابةً ... ألفُّ بها حدَّ الهوى والهواجر

وخِلْتُ الدُّجى عُذْرًا أهاب[1] سُرى العدا ... إليَّ تُغَطِّيني بسود الغدائر

وخافتْ على عيني من السُّهْد والبكا ... فذرَّت بقايا الكُحْل من جَفْن ساهر

وقال رادًّا على ابن رُشْد حين ردَّ على أبي حامد في كتابه المسمى «تهافت التهافت»: [الطويل]

كلامُ ابنِ رُشْدٍ لا يَبينُ رشادُه ... هو اللَّيلُ يَغشى الناظرينَ سوادُهُ

ولا سيما نَقْضُ التهافتِ إنه ... تَضَمَّنَ برسامًا يعزُّ اعتقادُهُ

كما اطَّرَدَ[2] المحمومُ في هذيانه ... يَفوهُ بما يُمْلي عليه احْتِدادُه

أتى فيه بالبَهْت الصَّريح مغالطا ... فما غَيَّرَ البَحْرَ الخِضَمَّ ثمادُه

وحاول إخفاءَ الغزالة بالسُّها ... فأَخْفَقَ مَسْعاه وردَّ اعتقادُه

دلائلُ تُعْطيك النَّقيضين بالسَّوى ... وأكثر ما لا يستحيل عناده

إذا أوضح المطلوب منها وضدَّه ... يبين على قربٍ وبان انفراده

وأنت بعيد الفكر عن تُرَّهاته ... فمعظمها رأيٌ يقلُّ سدادُه

---

(١) في الأصل: «هابت»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «لطرد»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومـن شـعـره[١]:

إليك بسطت الكفّ في فحمة الدجى نـداءُ[٢] غـريـق فـي الـذنـوب عـريـقِ
رجاك ضميري كي تخلّص جُمْلتي فـكـم مـن فـريـقٍ شـافـعٍ لـفـريـقِ

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عبد الله، وحدَّث عن الأُستاذ أبي الحسن جابر بن محمد التميمي، وعن الأُستاذ المُقرىء ببلنسية أبي محمد عبد الله بن سعدون التميمي الضرير، عن أبي داود المقرىء. وقرأ أيضًا على الخطيب أبي عبد الله محمد بن عروس، وعلى القاضي العالم أبي الوليد بن رشد.

مولده: فجر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لمحرم تسعة وخمسين وخمسمائة.

وفاته: بغرناطة عام تسعة وعشرين وستمائة.

يحيىٰ بن بقي[٣]

من أهل وادي آش[٤].

حاله: بارع الأدب، سيَّال القريحة، كثير الشعر جيِّده في جميع أنواعه. وكان مع ذلك موصوفًا بغفلة.

شعره[٥]: [الكامل]

بـأبـي غـزالٌ غـازَلَتْـهُ مُـقْـلتـي بـيـن الـعُـذَيـب وبـيـن شَـطَّيْ بـارقِ

---

(١) البيتان في بغية الوعاة (ص ٤١٣). (٢) في البغية: «فداء».

(٣) يكنى أبا بكر، وقد اختلف في اسم أبيه، وترجمته في الذخيرة (ق ٢ ص ٦١٥) وقلائد العقيان (ص ٢٧٨) ومعجم الأدباء (ج ٥ ص ٦٢٦) والتكملة (ج ٤ ص ١٧١) والمغرب (ج ٢ ص ١٩) وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ١٣٠) والمطرب (ص ١٩٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ١٣٤) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٧) وأخبار وتراجم أندلسية (ص ٥٠) وجيش التوشيح (ص ٢) ودار الطراز (ص ١٩٦) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٧) و(ج ٦ ص ١٤) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ١٦٧) ومعجم السفر (ص ١٥١).

(٤) كما اختلف في اسم أبيه، اختلف في البلد الذي هو منه؛ ففي الذخيرة والمغرب: طليطلي. وفي معجم الأدباء ووفيات الأعيان: قرطبي. وفي التكملة: من أهل قُرْتَشَ من أحواز شقورة. وفي المطرب: من شعراء الجزيرة. وفي معجم السفر وأخبار وتراجم أندلسية: سرقسطي. وفي المقتضب من كتاب تحفة القادم: إشبيلي.

(٥) القصيدة في وفيات الأعيان (ج ٥ ص ١٦٨) ومعجم الأدباء (ج ٥ ص ٦٢٧) والمطرب (ص ١٩٨) والمغرب (ج ٢ ص ٢١) وقلائد العقيان (ص ٢٧٨) والمقتضب (ص ١٣٧) والذخيرة (ق ٢ ص ٦٣٦) والفلاكة (ص ١٣٥) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٨٤) و(ج ٦ ص ١٥).

وسأَلْتُ منه قُبْلَةً[١] تَشفي الجَوى ... فأجابني[٢] عنها[٣] بوعدٍ صادق
وأتيت منزله وقد هَجع العِدا ... أُسْري إليه كالخيال الطَّارق
بِتْنا ونحن من الدُّجى في لُجَّة[٤] ... ومن النجوم الزُّهر تحت سُرادق
عاطَيْتُه والليلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ ... صَهْباءَ[٥] كالمِسْك العتيق[٦] لناشق
حتى إذا مالتْ[٧] به سِنَةُ الكرى ... باعَدْتُه[٨] شيئًا[٩] وكان معانِقي
أبْعَدْتُه[١٠] من أضلُع تَشْتاقُه ... كي لا ينامَ على وِسادٍ خافقِ
وضَمَمْتُه ضَمَّ الكميِّ لسيفه ... وذؤابتاه حمائلٌ في عاتِقي
لمّا رأيتُ الليلَ ولَّى[١١] عمره ... قد شاب في لِمَمٍ له ومَفارِق
وَدَّعْتُ مَنْ أهوى وقُلْتُ تأسُّفا[١٢]: ... أعْزِزْ عليَّ بأن أراكَ مُفارِقي

وفاته: توفي بمدينة وادي آش سنة أربعين وخمسمائة[١٣].

يحيىٰ بن عبد الجليل بن عبد الرحمـٰن بن مُجْبر[١٤] الفهري

فُرْتشي[١٥]، وقال صفوان: إنه بَلّشي[١٦]، يكنى أبا بكر.

---

(١) في وفيات الأعيان: «زيارة».
(٢) في الأصل: «فأجاب»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من وفيات الأعيان.
(٣) في وفيات الأعيان: «منها».
(٤) في المصدر نفسه: «خيمة».
(٥) في الأصل: «صبا»، والتصويب من المصادر.
(٦) في وفيات الأعيان والمطرب والنفح: «الفتيق». وفي الذخيرة: «الذكيّ».
(٧) في الأصل: «حتى إذا ما مالت...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٨) في وفيات الأعيان والقلائد والفلاكة والمطرب والنفح: «زَحزَحْتُه».
(٩) في وفيات الأعيان: «عين». وفي المطرب: «رِفقًا».
(١٠) في المغرب والمطرب والفلاكة: «باعَدْتُه عن...». وفي الذخيرة: «زَحزَحْتُه عن...».
(١١) في وفيات الأعيان: «آخِرَ».
(١٢) في معجم الأدباء: «مشيّعًا».
(١٣) في التكملة: «توفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة».
(١٤) في الأصل: «ابن مجير» بالياء المثناة، وقد صَوَّبْناه كما جاء في المصادر التي ترجمت له وهي: بغية الملتمس (ص ٥٠٨) والتكملة (ج ٤ ص ١٨٣) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٨٠) وزاد المسافر (ص ٩) وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٢٧٥) والبيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٣) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٩) و(ج ٥ ص ٣٠٠) و(ج ٦ ص ١٠٦، ١٤٨). وفي الحلل الموشية (ص ١٠٩) وكشف الظنون (ص ٨٦٨): «ابن مجير» بالياء المثناة.
(١٥) في الأصل: «فرنشي»، والتصويب من التكملة. وفُرْتَشي: نسبة إلى فُرْتَش وهي من أحواز شقورة.
(١٦) في الأصل: «بليي»، والتصويب من زاد المسافر والتكملة. وبَلّشي: نسبة إلى بَلّش.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان[١] في وقته شاعر المغرب، لم يكن يجري أحد مجراه من فحول الشعراء. يعترف له بذلك أكابر الأُدباءِ، وتشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالًا، وبَعُدَت على قربها مَنالًا. وشعره كثير مدوَّن، ويشتمل على أكثر من سبعة[٢] آلاف بيت وأربعمائة بيت. امتدح الأُمراء والرؤساءَ، وكتب عن بعضهم، وحظي عندهم حُظوة تامة، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد[٣]، وله فيه أمداح كثيرة. وبعد موته انتقل إلى إشبيلية، وبملازمته للأمير المذكور، وكونه في جملته، استحقّ الذكر فيمن حلّ بغرناطة. ومن أثَرته لدى ملوك مراكش، أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن[٤] يهنّئه بفتح من قصيدة[٥]: [الخفيف]

إنَّ خير الفتوح ما جاءَ[٦] عَفْوًا ... مثل ما يخطبُ البليغُ[٧] ارتجالا

قالوا: وكان أبو العباس الجراوي الأعمى الشاعر حاضرًا، فقطع عليه؛ لحسادة وجدها، فقال: يا سيدنا، اهتدم فيه بيت ابن[٨] وضّاح: [الرجز]

خَيْرُ شرابٍ ما جاءَ[٩] عَفْوًا ... كأنه خُطْبَةٌ ارتجالا[١٠]

فبدر المنصور، وهو حينئذٍ وزير أبيه، وسنُّه في حدود العشرين من عمره، فقال: إن كان قد اهتدمه، فقد استحقَّه لنقله إياه من معنًى خسيس إلى معنى شريف، فَسُرَّ أبوه لجوابه، وعجب منه الحاضرون.

ومَرَّ المنصور أيام إمرته بأونبة[١١] من أرض شِلْب، ووقف على قبر أبي محمد بن حزم، وقال: عجبًا لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم. ثم قال: كلُّ

---

(١) قارنْ بنفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٩). (٢) في النفح: «تسعة».

(٣) هو محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش، أمير بلنسية وشرق الأندلس، توفي سنة ٥٦٧ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٤) حكم يوسف بن عبد المؤمن الموحدي المغرب والأندلس، وتوفي سنة ٥٥٨ هـ. ولم يكن، هو ومن جاء بعده، ملوكًا، بل خلفاء. ترجمته في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٨٣) والحلل الموشية (ص ١١٩).

(٥) البيت في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٩).

(٦) في الأصل: «جاءت»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٧) في النفح: «الخطيب». (٨) كلمة «ابن» ساقطة في النفح.

(٩) في النفح: «كان».

(١٠) في الأصل: «ارتجال»، على أساس مضاف إلى «خطبة»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١١) في الأصل: «بلوقية»، والتصويب من النفح. وأونبة Huelva: مدينة تبعد عن لبلة ستة فراسخ. الروض المعطار (ص ٦٣).

العلماءِ عيال على ابن حزم. ثم رفع رأسه، وقال: كما أنّ الشعراءَ عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجير.

شعره: من شعره يصف الخيل العتاق من قصيدة في مدح المنصور[(١)]: [الطويل]

له خُطَّتِ[(٢)] الخيلُ العِتاقُ كأنها ... نشاوى تهادتْ[(٣)] تَطْلُبُ العَزْفَ[(٤)] والقَصْفا
عرائسُ أغنَتْها الحجولُ عن الحِلى ... فلم تَبْغِ خلْخالًا ولا التمستْ وقفا
فَمِنْ يَقَقٍ[(٥)] كالطِّرْس تحسبُ أنه ... وإنْ جرَّدوه في مُلاءَته التَّفًّا
وأبْلقَ أعطى الليلَ نِصْفَ إهابه ... وغارَ عليه الصبحُ فاختَبس النِّصْفا
وَوَرْدٍ تَغَشَّى جِلْدَهُ شَفَقُ الدُّجى ... فإذا حازه حلَّى[(٦)] له الذَّيْلَ والعُرْفا
وأشْقَرَ مَجَّ الراحَ صِرْفًا أديمه ... وأصْفَرَ لم يسمخ بها جلده صِرفا
وأشْهَبَ فِضِّيِّ الأديم مُدَنَّرٍ ... عليه خُطوطٌ غيرُ مُفْهِمةٍ حَرْفا
كما خطر[(٧)] الزاهي بِمُهْرَقِ كاتبٍ ... يجرُّ[(٨)] عليه ذيله وهو ما جَفّا[(٩)]
تهبُّ على الأعداءِ منها عواصف ... سَتَنْسِفُ[(١٠)] أرضَ المشركين بها نَسْفا
ترى كلَّ طِرْفٍ[(١١)] كالغزال فتمتري ... أظَبْيًا[(١٢)] ترى تحت العَجاجة أم طِرْفا؟
وقد كان في البَيْداءِ يألفُ سِرْبَه ... فَرَبَّته مُهرًا وهي تَحْسَبُه خِشْفا
تناوله لفظُ الجواد لأنه ... متى[(١٣)] ما أرَدْتَ الجَرْيَ أعطاكه ضعْفا

(١) هو المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي، الذي حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب. قسم الموحدين (ص ١٧٠). والقصيدة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠).
(٢) في النفح: «له حَلْبَةُ الخيل...».
(٣) في النفح: «تهاوتْ».
(٤) في الأصل: «العَرْف» والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «يفق»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح. واليقق: الشديد البياض.
(٦) في النفح: «دلَّى».
(٧) في النفح: «خَطَّطَ».
(٨) في النفح: «فَجَرّ».
(٩) في الأصل: «جرفا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(١٠) في الأصل: «تنسف»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) الطِّرْف: الكريم من الخيل.
(١٢) في الأصل: «أطيبًا» والتصويب من النفح.
(١٣) في النفح: «على».

ولمّا(١) اتخذ المنصورُ ستارة المقصورة بجامعه(٢)، وكانت مدبرة على انتصابها إذا استقرّ المنصورُ ووزراؤه بمُصَلّاه، واختفائها إذا انفصلوا عنها، أنشد في ذلك الشعراءُ، فقال ابن مجبر(٣) من قصيدة أولها: [الكامل]

أعْلَمْتَني أُلْقي عصا التَّسيارِ ... في بلدةٍ ليستْ بدارِ قرارِ

ومنها في وصف المقصورة(٤):

طَوْرًا تكون بمن حَوَتْهُ محيطَةً ... فكأنها سورٌ مِنَ الأسْوارِ
وتكون حينًا(٥) عنهمُ مَخْبُوَّة(٦) ... فكأنها سِرٌّ من الأسرارِ
وكأنما(٧) عَلِمَتْ مقاديرَ الوَرى ... فتَصَرَّفَتْ لهمُ على مِقْدار
فإذا أحَسَّتْ بالإمام(٨) يزورُها ... في قَوْمِهِ قامتْ إلى الزُّوّار

ويكفي من شعر ابن مُجْبر هذا القدر العجيب، رحمه الله.

مَن روى عنه: حدَّث عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جُمهور، وأبو الحسن بن الفضل، وأبو عبد الله بن عيّاش، وأبو علي الشُّلوبين، وأبو القاسم بن أحمد بن حسان، وأبو المتوكل الهيثم، وجماعة.

وفاته: توفي بمراكش سنة ثمان وثمانين وخمسمائة(٩)، وسنُّه ثلاث وخمسون سنة.

يوسف بن محمد بن محمد اليَحْصُبي اللوشي، أبو عمر(١٠)

حاله: من كتاب ابن مسعدة(١١): خطيب الإمامة السَّعيدة النَّصرية الغالبية، وصاحب قلمها الأعلى. كان شيخًا جليلًا، فقيهًا، بارع الكتابة، ماهر الخُطَّة، خطيبًا

(١) النص مع الشعر في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢١٠).
(٢) في النفح: «المنصور مقصورة الجامع بمراكش».
(٣) قوله: «ابن مجبر» ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفح.
(٤) الأبيات أيضًا في الحلل الموشية (ص ١٠٩).
(٥) في الحلل الموشية: «طورًا». (٦) في النفح: «محبوّة».
(٧) في النفح: «وكأنها». (٨) في الحلل الموشية: «بالأمير».
(٩) في وفيات الأعيان: توفي سنة ٥٨٧ هـ. وفي التكملة: توفي سنة ٥٨٨ هـ، وقيل: ٥٨٧ هـ.
(١٠) كان يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي كاتبًا لسلطان الأندلس الغالب بالله أبي عبد الله محمد بن يوسف. اللمحة البدرية (ص ٤٥).
(١١) هو أحمد بن محمد بن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة ٦٩٩ هـ، وكتابه الذي يشير إليه ابن الخطيب ألّفه ابن مسعدة في تاريخ قومه وقرابته، كما في ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة.

مِضقعًا، منقطع القرين في عصره، منفردًا عن النَّظير في مِصْره، عزيزًا، أنوفًا، فاضلًا، صالحًا، خيِّرًا، شريف النفس، منقبضًا، وقورًا، صموتًا، حسن المعاشرة، طيب المحادثة.

مشيخته: حدَّث عن والده الشيخ الراوية أبي عبد الله، وعن الأُستاذ ابن يربوع. ولقي بإشبيلية الأُستاذ أبا الحسن الدبَّاج، ورئيس النحاة أبا علي الشُّلوبين، وغيرهما.

شعره: ومن شعره، وإن كان غير كثير، قوله: [الخفيف]

شَرِّدِ النومَ عن جفونكَ وانْظُرْ … كلْمةً توقظُ النفوسَ النِّياما
فَحَرامٌ على أمْرىءٍ يشاهدُ … حكمة الله أن يلذَّ المناما

وقوله: [الرمل]

ليس للمرءِ اختيارٌ في الذي … يَتَمنَّى مِنْ حِراكٍ وسكونْ
إنَّما الأمْرُ لِرَبٍّ واحدٍ … إنْ يَشا[1] قال له: كُنْ فيكونْ

وفاته: توفي في المحرم من عام ستين وستمائة، ودفن بمقبرة باب إلبيرة. وحضر جنازته الخاصة والعامة، السلطان فمن دونه، وكلٌّ ترحَّم عليه، وتفجّع له. حدّثني حافده شيخنا، قال: أخرج الغالب بالله، يوم وفاته، جبَّة له، لِبسَته مرفوعة، من ملفّ أبيض اللون، مخشوشنة، زعم أنها من قديم مكسبه من ثمن مغنم نالَهُ، قبل تصيُّر الملك إليه، أمر بِبَيْعها، وتجهيزِه من ثمنها، ففعل، وفي هذا ما لا ما مزيد عليه من الصِّحة والسلامة، وجميل العهد، رحم الله جميعهم.

يوسف بن علي الطرطوشي، يكنى أبا الحجاج[2]

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل الفضل والتواضع، وحسن العشرة، مليح الدُّعابة، عذب الفكاهة، مُدِلًا على الأدب جدِّه وهَزْله، حسن الخط، سلس الكتابة، جيِّد الشعر، له مشاركة في الفقه وقيام على الفرائض. كتب بالدار السلطانية، وامتدح الملوك بها، ثم توجّه إلى العُدْوة، فصحب خُطة القضاء عمره، مشكور السيرة، محفوفًا بالمبرَّة.

(١) في الأصل: «يشاء» وهكذا ينكسر الوزن.
(٢) ترجمة أبي الحجاج الطرطوشي في الدرر الكامنة (ج ٥ ص ٢٤٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩).

وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصُّه[١]: روضُ أدبٍ لا تعرف الذُّواءَ[٢] أزهارُه، ومجموعُ فضلٍ لا تَخْفى آثارُه، كان في فنون الأدب مُطْلَقَ الأعِنّة، وفي معاركه ماضي الظُّبا والأسِنّة. فإنْ هَزَلَ، وإلى تلك الطريقة اعْتَزَلَ، أبْرَمَ من الغزل[٣] ما غزل، وبذل من دنان راحته ما بذل[٤]. وإن صرف إلى المُغْرب[٥] غَرْبَ[٦] لسانه، وأعاره لمحة من إحسانه، أطاعه عاصِيه، واستجمعت لديه أقاصيه. وَرَدَ على الحضرة الأندلسية والدنيا شابّة، وريح القبول هابّة، فاجتلى محاسن أوطانها، وكتب عن سلطانها. ثم كَرَّ إلى وطنه[٧] وعطف، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف. وتوفي عن سنّ عالية، وبرود من العمر بالية[٨].

ومن شعره أيام حلوله بهذه البلاد، قوله يمدح الوزير ابن الحكيم، ويلمّ بذكر السِّلْم في أيامه: [البسيط]

رضاكُمُ إن مَنَنْتُمْ خَيْرُ مرهوبِ ... وما سوى هجركمْ عندي بموهوبِ
لَكُمْ كما شئتُمُ العُتْبى وعَتْبكُمُ ... مقابلُ الرضى من غير تثريبِ
مُنُوا بلحظ رضًى لي ساعة فعسى ... أنال منه لدهري طبَّ مطبوب
فكم أثارتْ لي الأيام وابتسمت ... ثغور سعْدي بتقريب فتقريب
قد كُنَّ بيضًا رعابيبًا بقربكمُ ... والآن يوصفْن بالسُّود الغرابيب
آهًا لدهر تقضَّى لي ببابكمُ ... مرتَّبٌ للأماني أيَّ ترتيب
ما كان إلّا كأحلامٍ سُرِرْتُ بها ... فواصلتْ حالَ تقْويضٍ بتَطنيبِ
يا ليت شعري هل تقْضى بعودته ... فأقْدر الحُسْن منه بعد تَجْريبِ؟

ومنها:

يا أيها السيد الأعلى الذي يَدُهُ ... حازَتْ نَدى السُّحْبِ مسكوبًا بمسْكوبِ
فلو سألْنا بلاد الله عن كَرَمٍ ... فيها لِكَفّيه والأنواء منسوب
لقُلْن: إن كان جودٌ لا يضاف لذي الـ ... ـوزارتين فجودٌ غير محسوب

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩).
(٢) في الأصل: «الدواة» والتصويب من النفح. والذُّواء: الذبول. لسان العرب (ذوى).
(٣) في الأصل: «في الغزال»، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «وبزل من دنان راحه ما بزل». (٥) في النفح: «المغرب».
(٦) غَرْبُ اللسان: صرامته، وغَرْبُ السيف: حَدّه. لسان العرب (غرب).
(٧) في النفح: «أوطانه». (٨) في النفح: «غالية».

فالعُود جنسٌ ولكنْ في إضافته ... لِلهنْد يختصُّ عود الهند بالطِّيب
من سيِّد لا يُوفِّي الحَمْدُ واجبه ... ولو تواصل مكتوبًا بمكتوب
له المحامد لا تُحصى ولا عجب ... فَرَمْلُ عالجَ[١] شيٌّ غير محسوب
تناولَ الشَّرَفَ الأقصى بعزمةِ ذي ... ظنّ نبيل الأماني غير مكذوب
وواصلَ المَجْد من آياته شرفا ... بمجده وَصْلُ أنبوبٍ بأُنبوب
وجاءَ مكتسبًا أغلَى ذخائره ... والمجد ما بين موروث ومكْسُوب
رِدْءُ الخليفةِ لا يرتاح من نَصَبٍ ... في بَذْل نُصْح لحفظ قائم[٢] مَنْصوب
موفّقُ الرأي مأمون النَّقيبة في ... تدبير ذي حُنْكةٍ صَحَّتْ وتدريب
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف ... فشأنه بين مَرْهوب ومرْغوب

ومنها:

يا أوْحَد العصر في فَضْلٍ وفي كَرَم ... خصالُ قاطعِ دَهْرٍ[٣] في التَّجاريب
أعِذْ فُدِيتَ لأمري مُنْعمًا نظرًا ... يَنَلْ به همُّ حالي بعض تشبيب
لولا ارتكاب حَسُودِ الأمر[٤] في ضرري ... ما كان ظَهْرُ النَّوى عندي بمركوب
هذا زماني ومنك الأمن حاربني ... حتى أراني في حالات مَخْرُوب
فامنُنْ بتفريج كَرْبي بالرضا فإذا ... رَضِيت لم أكُ من شيءٍ بمكْروب
إن لم أذُق من رضاكم ما ألَذُّ به ... فلا حياةٌ بمأكول ومشروب

ومن شعره: [المتقارب]

بذكرك تُشرح آي العلا ... وتسند أخباره في الصحيحِ
بأُفقك يشرق بَدْرُ السَّنا ... وباسمك يحْسُن نَظْمُ المديحِ
وما يحْسنُ العِقْد إلّا إذا ... تَحَلَّتْ به ذاتُ وَجْهٍ مليحِ

وفاته: كان حيًّا عام أحد وأربعين وسبعمائة.

(١) عالج: موضع سمّي بذلك تشبيهًا به بالبعير العالج، وهو رملة بالبادية مسمّاة بهذا الاسم. معجم البلدان (ج ٤ ص ٦٩).
(٢) كلمة «قائم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «دهره»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «حسودي لأمر»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

ومن ترجمة المحدِّثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء:

يحيىٰ بن محمد بن عبد العزيز بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويعرف بالعشَّاب، ويعرف بالبُرْشاني[(١)].

حاله: كان هذا الشيخ من أهل الخير، كثير التؤدة والصمت، معرضًا عمّا لا يعنيه. رحل إلى الحج، وأقام هنالك سنين، وقفل منها فخطب بأُرجبة[(٢)]. وأخذ ببلاد المشرق عن قطب الدين القَسْطلّاني، وأبي الفضل ابن خطيب المري، وزين الدين أبي بكر محمد بن إسماعيل الأنماطي. ولقي أبا علي بن الأخوص بالأندلس ولم يأخذ عنه. أنشدني شيخنا أبو البركات، قال: أنشدني الشيخ أبو بكر البُرشاني، وقد لقيته بأُرجبة، قال: أنشدنا الإمام أبو عبد الله بن النعمان عن قطب الدين: [الطويل]

إذا كان أُنسي في لزوميَ وَحْدَتي ... وقَلْبيَ مِنْ كلِّ البريَّة خالِ
فما ضَرَّني مَنْ كان للدَّهر[(٣)] قاليًا ... وما سَرَّني من كان فيَّ مُوال

ومن العمال

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصاري النَّجاري

قال القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن مُمْليه: والذي رفع إليَّ هذا النسب للركانة هو صاحبنا الفقيه أبو القاسم ولده، ورَفْعُ هذا النسب بحاله من التكرار دليل على أصالته.

حاله: من أهل الخير والخُصوصية، وحُسن الرُّواءِ والوقار والحياءِ والمودّة. نبيه القَدْر، معروف الأمانة، صَدْرٌ في أهل العقد والحل ببلده، بيته بيت صون وخير واستعمال، ولو لم يكن من بركات هذا الرجل وآثار فضله إلّا ابنه صدر الفضلاءِ وبقية

---

(١) البرشاني: نسبة إلى بُرْشانة Purchena، وهي من مدن ألمرية.

(٢) أرجبة: بالإسبانية Orjiva، وهي من مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٥٣).

(٣) في الأصل: «لي الدّهر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الخواص أبو القاسم لكفاه. تولّى قيادة الديوان بمالقة بلده، أرفع الخطط الشرعية العملية، فحمدت سيرته.

وفاته: وفاته بمالقة في ...[١] وعلى قبره مكتوب من نظم ولده: [الطويل]

إلاهي، خدِّي في التراب تذلّلا بَسَطْتُ، عسى رحماكَ يُحيا بها الروحُ
وجاوزْتُ أجْداثَ الممالك خاضعًا وقلبيَ مَصْدُوع ودمعيَ مسفوحُ
ووَجَّهتُ وَجْهي نحو جُودك ضارعًا لعلَّ الرضى من جنب حلمك ممنوحُ
أتيت فقيرًا والذنوب تَؤدني وفي القلب من خوف الجرائم تبريح
ولم أعتمذ إلّا الرَّجاءَ[٢] وسيلةً وإخلاص إيمانٍ به الصَّدْرُ مَشْرُوح
وأنت غنيٌّ عن عذابي وعالم بفَقْري وباب العفو عندك مفتوح
فَهَبْ ليَ عَفْوًا من لَدُنْكَ ورحمةً يكون بها من ربْقة الذنب تسْريح
وصَلِّ على المختار ما هَمَعَ الحَيا وما طَلَعَتْ شَمسٌ وما هَبَّتِ الريحْ

ومن ترجمة الزهاد والصلحاء

يحيىٰ بن إبراهيم بن يحيىٰ البرغواطي[٣]

من أهل أنفا، من بيت عمال يعرفون ببني التُّرجمان، أولي شهرة وشدَّة على الناس وضغط. وكان من الحظوة وضدّها بباب سلطانهم ديدن الجُباة. غُرِّب[٤] عنهم وانقطع إلى لقاءِ الصالحين وصحبة الفقراءِ المتجرِّدين، وقدم على الأندلس عابدًا، كثير العمل، على حداثة سنّه، ونزل برباط السُّودان، من خارج مالقة، واشتهر، وانثال عليه الناس. ثم راض طول ذلك الاجتهاد، وأنس بمداخلة الناس.

حاله: هذا[٥] الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة اللسان، مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم، متكلّم[٦] في مشكلات أقوالهم، قائم على كثير من أخبارهم، يستظهر حفظ جزءي إسماعيل الهروي المسمى بـ«منازل السائرين إلى الحق»، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض. عديم النظير في ذلك

---

(١) بياض في الأصول. (٢) في الأصل: «الرجا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) ترجمة يحيىٰ البرغواطي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٧).
(٤) من هنا حتى كلمة «المتجرّدين» في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٧)، وجاء فيه: «عزف» بدل «غُرِّب».
(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨) والمقري ينقل بتصرف.
(٦) في النفح: «يتكلّم في مشكلاتهم».

كله، مليح الملبس، مترفّعٌ عن الكُذْية، عزيز النفس، قليل الإطراءِ، حسن الحديث، عذب التّجاوز فيه، على سنن من السّذاجة والسّلامة والرجولة والحمل، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعُذْوتين. وعلى ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاضطلاع[١]، وترك السَّمْت، واطّراح[٢] التغافل، وولوعه بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه، مرشّحًا ذلك بالجدل[٣] المبرم، ذاهبًا أقصى مذاهب القِحة، كثير الفَلَتات. نالته بسبب هذه البليّة محن كثيرة، أفلت منها بجريعة الذقن، ووسم بالوَهَن[٤] في دينه، مع صحة العقل. وكان الآن عامرًا للرّباط المنسوب إلى اللّجام، على رسوم الشياخة، وعدم التابع، مهجور الفِناءِ.

مشيخته: زعم أنه حجَّ، ولقي جلّة، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان المالقي، ولقاؤه إياه وصحبته معروف بالأندلس، وغير ذلك مما يدّعيه متعدّد الأسماءِ.

تواليفه: قَيّدَ[٥] الكثيرَ من الأجزاءِ، منها في نِسْبة الذنب إلى الذاكر جزءٌ نبيل غريب المأخذ، وفيما[٦] أشكل من كتاب أبي محمد ابن الشيخ. وصنّف كتابًا كبير الحجم في الاعتقاد[٧]، جَلَبَ فيه كثيرًا من الأقوال والحكايات[٨]، رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله[٩] بن المقّري ما يدلّ على استحسانه. وطلب[١٠] مني الكَتْبَ عليه بمثل ذلك، فكتبت له ببعض ورقاته[١١]، إثارة لضجره، واستدعاءً لفكاهة انزعاجه، ما نصُّه: وقفت من الكتاب المنسوب لأبي[١٢] زكريا البرغواطي، على برسام[١٣] محموم، واختلاط مَذْموم، وانتساب زنْج في رُوم، وكان حقّه أن يتهيَّب طريقًا لم يسلكْها، ويتجنّب عقيلة[١٤] لم يملكها، إذ المذكور لم يتلقَّ شيئًا من علم الأصول، ولا نظر في الإعراب في فصل من الفصول. إنما

---

(١) في النفح: «الاصطلاح».
(٢) في الأصل: «واضطراح»، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «بالجد» والتصويب من النفح. والجدل المبرم: المضجر. لسان العرب (برم).
(٤) في النفح: «بالرهق».
(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٨).
(٦) في النفح: «ومنها فيما».
(٧) في المصدر نفسه: «الاعتقادات».
(٨) في المصدر نفسه: «كثيرًا من الحكايات».
(٩) في النفح: «أبي عبد الله المقري».
(١٠) النص مع الشعر في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠).
(١١) في النفح: «أوراقه».
(١٢) في النفح: «لصاحبنا أبي زكريا...».
(١٣) البرسام في الأصل التهاب يصيب غشاء الرئة ويسمّى ذات الجنب، وهو هنا بمعنى الهذيان؛ لأن من لوازم البرسام أن يهذي صاحبه نتيجة ارتفاع حرارته. لسان العرب (برسم).
(١٤) في الأصل: «غفلة»، والتصويب من النفح.

هي قِحَة[١] وخلاف، وتهاوُن بالمعارف واستخفاف، غير أنه يحفظ في طريق القوم كلّ نادرة، وفيه رجولة[٢] ظاهرة، وعنده طلاقة لسان، وكفاية قلّما تتأتّى لإنسان. فإلى الله نَسأل[٣] أن يعرِّفنا بمقادير[٤] الأشياءِ، ويجعلنا بمعْزِل عن الأغبياءِ. وقد قلت مرتجلًا عند[٥] أول نظرة، واجتزأْت[٦] بقليل من كثرة: [الخفيف]

كـلُّ جـارٍ لـغـايـةٍ مَـرْجُـوَّهْ ... فهو عندي لم يَعْدُ حَدَّ[٧] الفُتُوَّهْ
وأراكَ اقـتـحـمْـتَ لـئـلّا بَـهـيـمًـا ... مُـولـجًـا مـنـك نـاقـةً فـي كُـوَّهْ[٨]
لا اتِّبـاعًـا ولا اختـراعًـا أرتْـنـا[٩] ... إذ نـظـرنـا عـروسَـكَ الـمَـجْـلُوَّهْ
كـلُّ مـا قُـلْـتُـهُ فـقـد قـالـه الـنـا ... سُ مـقـالًا آيـاتُـهُ مَـتْـلُوَّهْ
لم تزدْ غيرَ أن أبَحْتَ حمى الإعـ ... ـرابِ فـي كـلّ لـفـظـةٍ مَـقْـرُوَّهْ
نـسـألُ[١٠] الله فكـرةً تـلزم الـعـقـ ... ـل إلى حِشمةٍ تحوط[١١] المُرُوَّهْ
وعـزيـزٌ عليَّ أن كنتَ[١٢] يحيـىٰ ... ثم لم تأخذِ[١٣] الكتابَ بِقُوَّهْ[١٤]

ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجِدّ والقِحة، والجهالة والمجانة، قوله لبعض خدّام باب السلطان، وقد ضُويق في شيءٍ أضْجَره منقولًا من خطِّه، بعد ردّ كثير منه إلى الإعراب:

الله نـور السمـٰوات من غيـر نـار ولا غيرهـا، والسلطـان ظـلالُه وسـراجُه في الأرض، ولكل منهما فراشٌ مما يليق به ويُتهافت عليه، فهو تعالى مُحْرقٌ فراشه بذاته، مغرقُهم بصفاته، وسراجِه وظلّه. وهو السلطان محرق فراشه بناره، مُغْرقُهم بزَيْته ونواله. ففِراشُ الله ينقسم إلى حامِدين، ومُسبِّحين، ومُسْتغفرين، وأُمناءَ وشاخِصين. وفراشُ السلطان ينقسمون إلى أقسام، لا ينفكُّ أحدهم عنها. وهم وزَغة ابن وزغة، وكلب ابن كلب، وكلب مطلقًا، وعارٌ ابن عار، وملعون ابن ملعون، وقط

---

(١) القِحَةُ: الجفاء. لسان العرب (وقح).
(٢) في النفح: «رجولية».
(٣) في النفح: «نضرع».
(٤) في النفح: «مقادير».
(٥) في النفح: «من».
(٦) في النفح: «واجتزاءً».
(٧) في النفح: «حَقّ».
(٨) في الأصل: «كوّبه»؛ والتصويب من النفح. والكُوّة: الخرق في الحائط.
(٩) في النفح: «أتَتْنا».
(١٠) في الأصل: «نسل» والتصويب من النفح.
(١١) في الأصل: «تحوطها»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٢) في الأصل: «كب»، والتصويب من النفح.
(١٣) في الأصل: «نأخذ»، والتصويب من النفح.
(١٤) يشير هنا إلى قوله تعالى في شأن يحيىٰ بن زكريا: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾. سورة مريم ١٩، الآية ١٢.

ابن قط، ومُحق. فأما الوزغة، فهو المحرق في زَيْت نواله، المشغول بذلك عما يليق بصاحب النِّعمة من النصح وبذل الجهد. والكلب ابن الكلب، هو الكيِّسُ المتحرِّز في تَهَافته من إحراق وإغراق، يُعْطي بعض الحق، ويأخذ بعضه. وأما الكلب مطلقًا، فهو الواجد والمشرِّد للسفهاءِ عن الباب المعظَّم لقليل النِّعمة. وأما العارُ ابن عار، فهو المتعاطي في تَهافته ما فوق الطَّوق، ولهذا امتاز هذا الاسم بالرئاسة عند العامة، إذا مرَّ بهم جِلْفٌ أو مُتَعاط، يقولون: هذا العار بن عار، يحسب نفسه رئيسًا، وذلك بقرب المناسبة، فهو موضوع لبعض الرئاسة، كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة. وأما الملعون ابن الملعون، فهو الغالط المُعاند، المشارك لربِّه، المنعم عليه في كبريائه وسلطانه. وأمّا القُطُّ، فهو الفقير مثلي، المُسْتَغنى عنه، بكونه لا تُخصُّ به رتبة، فتارة في حِجْر الملك، وتارة في السِّنداس، وتارة في أعلى المراتب، وتارة مُحْسنٌ، وتارة مُسيءٌ، تُغْفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هو من الطوافين، مُتطير بقَتْله وإهانته، تيَّاه في بعض الأحيان لعزَّة يجدها في نفسه، من حُرْمة أبقاها الشارع له، وكل ذلك لا يخفى. وأما الفراش المُحق، فهو عند الدُّول نوعان، تارة يكون ظاهرًا وحظُّه مسح المصباح، وإصلاح فَتيله، وتصفية زيته، وستْر دخانه، ومُسايَسة ما أعْوَز من المطلوب منه. ووجود هذا شديد الملازمة ظاهرًا. وأما المُحِقُّ الباطن، فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع، فتستقبله الخَلْقُ لتعظيمه وتركه لما هو بسبيله، فيكون وسيلةً بينهم وبين ربِّهم، وخَليفته الذي هو مصباحهم، فإذا أراد الله بهلاك الدولة، وإطفاءِ مصباحها تولَّى ذلك أهل البطالة والجهالة، فكان الأمر كما رأيتم، والكلُّ يعمل على شاكِلَته.

وأفضى به الهوى وتسور حمى السياسة، والإغياءُ في ميدان القِحة إلى مصرع السوءِ، فَجُلِد جَلْدًا عنيفًا بين يدي السلطان، كان سبب وفاته في المُطْبِق، وذلك في شهر المحرم من عام ثمانية وستين وسبعمائة، وقانا الله المَعَرّات، وجَنَّبنا سُبُلَ المضرَّات، وفي كثرة تبجُّحه باصطلاح المنطق قيل: [الطويل]

لقد كان يحيىٰ منطقيًا مُجادلا ... تجارى سيلَ[1] الهوى وتهوَّرا
غدا مطلق التقوى وراح مكمَّما ... وأصبح من فوق الجدار مُسوَّرا
فما نال من معنى اصطلاح أداره ... سوى أنْ بَدا في نفسه وتصوَّرا

تجاوز الله عنّا وعنه.

(١) في الأصل: «تجارى في سبل» وهكذا ينكسر الوزن، فاقتضى التصويب.

بقية السفر الثاني عشر
من كتاب الإحاطة
مشتملة على ترجمة ابن الخطيب
مكتوبة بقلمه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا

يقول[١] مؤلف هذا الديوان، تغمّد الله خَطَله في ساعاتٍ أضاعها، وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدل بها اللّهْو لما باعها:

أمّا بعد حمد الله الذي يغفر الخَطِيَّة، ويَحُثُّ من النَّفْس اللّجوج المَطِيَّة، فيُحرّكُ[٢] ركابها البَطِيَّة، والصلاة[٣] على سيدنا ومولانا محمد مُيَسِّر سبل الخير القاصدة[٤] الوطيّة، والرضا عن آله وصحبه منتهى القصد[٥] ومُناخ الطِّيَّة[٦]، فإني لمّا فرغت من تأليف هذا الكتاب الذي حمل عليه فضلُ النشاط، مع الالتزام لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط، والتفتُّ إليه فراقني منه صِوان دُرَر، ومَطْلَع غُرر، قد تخلّدت مآثرهم بعد[٧] ذهاب أعيانهم، وانتشرت مفاخرهم بعد انطواءِ زَمانهم، نافَسْتُهُم في اقتحام تلك الأبواب، ولباس تلك الأثواب، وقنعْتُ باجتماع الشَّمْل بهم ولو في الكِتاب. وحرصت على أن أنال منهم قُرْبًا، وأخذْتُ من[٨] أعقابهم أدبًا وحُبًّا، وكما قال[٩]: ساقي القوم آخرُهُم شُرْبًا، فأجريت نفسي مجراهم في التَّعريف، وحَذَوْتُ بها حَذْوهم في باب النَّسب والتَّصْريف، بقصد التشريف، والله لا يعدمني

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٦ ـ ١٠).
(٢) في النفح: «فتحرّكَ ركائبها البَطِيّة». والبطيّة: أصلها: البطيئة، فسهّل الهمزة بقلبها ياء، ثم أدغم الياء في الياء.
(٣) في النفح: «والصلاة والسلام على...».
(٤) كلمة «القاصدة» ساقطة في النفح. والوطيّة: الممهّدة الميسّرة، وأصلها: «الوطيئة».
(٥) في النفح: «الفضل».
(٦) الطيّة: النيّة والقصد. محيط المحيط (طوى).
(٧) في النفح: «مع».
(٨) كلمة «من» ساقطة في النفح.
(٩) في النفح: «وكما قيل».

وإيَّاهم واقفًا يترحَّم، وركابَ الاسْتِغْفار بمَنْكَبيه[١] يَزْحم، عندما ارتفعت وظائف الأعمال، وانقطعت من التَّكَسُّبات حبال الآمال، ولم يبق إلّا رحمة الله التي تَنْتاش[٢] النفوسَ وتخلِّصُها، وتُعينها بِمِيْسَم السَّعادة وتخصصها، جعلنا الله ممّن حَسُنَ ذكْره، ووقف على التماس ما لديه فكره، بمنِّه.

المؤلف[٣]: محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السَّلْماني. قُرْطبي الأصل، ثم طُلَيْطُليّه، ثم لَوْشِيّه، ثم غَرْناطيّه. يكنى أبا عبد الله، ويلقَّب من الألقاب المشرقية بلسان الدين.

أوَّليَّتي: يُعْرف بيتُنا في القديم ببني وزير[٤]، ثم حديثًا[٥] بلوشة ببني الخطيب. انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية، كيحيىٰ بن يحيىٰ الليثي وأمثاله، عند وَقْعة الرَّبَض الشهيرة[٦] إلى طُلَيْطُلة، ثم تسرَّبوا محوِّمين على وطنهم، قبل استيلاءِ الطاغية عليها[٧]، فاستقرَّ منهم بالموسطة الأندلسية جملة من النبهاءِ، تضمّن منهم ذكر خلف[٨]، كعبد الرحمٰن قاضي كورة باغة، وسعيد المستوطن بلوشة، الخطيب بها، المقرون اسمه بالتَّسويد عند أهلها، جاريًا مجرى التسمية بالمركَّب[٩]، تضمن ذلك تاريخ الغافقي وغيره. وتناسل[١٠] عَقِبُهم بها، وسكن بعضهم بمنتفَريو[١١]، مملكين إياها، مختطين قبل[١٢] التحصين والمنَعة، فنسبوا إليها. وكان سعيد هذا، من أهل العلم، والخير والصلاح، والدِّين والفضل، وزكاءِ الطعمة[١٣]. وقفني الشيخ المسنُّ

---

(١) في المصدر نفسه: «بمنكبه».
(٢) تنتاش: تُنقذ. لسان العرب (ندش).
(٣) كلمة «المؤلف» ساقطة في النفح.
(٤) في النفح: «بوزير».
(٥) في الأصل: «حديثنا»، والتصويب من النفح.
(٦) وقعة الربض تطلق على الثورة التي قام بها أهل قرطبة بتحريض من الفقهاء ضد الحكم بن هشام، بقصد خلعه، وذلك في رمضان سنة ٢٠٢ هـ، وقد بدأت في الربض الجنوبي لقرطبة في الناحية المسماة، «شَقُنْدة». وكان الربض متصلًا بقصر الحكم، وقد استطاع الحكم سحق الثورة ومطاردة الثوار وصلب الكثير منهم على شاطىء النهر وهدم ديارهم ومساجدهم. وفرَّ الكثير من أعيان قرطبة وتفرّقوا في مختلف القواعد، وسارت طائفة كبيرة منهم إلى المشرق، ولذلك سمّي الحكم بالربضي. جذوة المقتبس (ص ١٠) وبغية الملتمس (ص ١٤). وقد تحدث ابن الخطيب عن هذه الوقعة في الجزء الثالث في ترجمة والده عبد الله بن سعيد السلماني.
(٧) في النفح: «عليه».
(٨) في النفح: «خلق».
(٩) في النفح: «بالمركب في تاريخ...».
(١٠) في النفح: «وسكن».
(١١) في النفح: «منتقرير». ومنتفريو، بالإسبانيّة: Monteferio، وهو اسم موضع، ومعناه: الجبل البارد.
(١٢) في النفح: «مختطين جبل التحصّن...».
(١٣) في النفح: «وذكاء الفطنة. أوقفني الوزير...».

الوزير أبو الحكم بن محمد المنتفريدي[١]، رحمه الله، وهو بقية هذا البيت وإخباريه، على جدار برج ببعض رُبى أملاكنا بلَوْشة، تطأه الطريق المارة من إغرناطة[٢] إلى إشبيلية، وقال: كان جدُّك يُربع[٣] بهذا المكان فصولًا من العام[٤]، ويَجْهر بقراءَة[٥] القرآن، فيستوقف الرِّفق[٦] المدلجة، الحنينُ إلى نَغَمَته، والخشوع لِصدقه[٧]، فتُعرِّس رِحَالها لصَقَ جداره، وتُريح ظهرها مَوْهِنًا، إلى أن يأتي على وِرْدِه. وتوفي، وقد أُصيب بأهله وحرمته[٨]، عندما تغلب العدوّ على بلده عَنْوة في خبر طويل. وقفت على مكتُوبات من المتوكل على الله، محمد بن يوسف بن هود، أمير المسلمين بالأندلس، [القائم بها بدعوة الأئمة من ولد العباس، رضي الله عنهم، ومن ولده أبي بكر الواثق بالله ولي عهده،][٩] في غرض إعانته، والشَّفاعة إلى الملِكة زوج سلطان قشتالة، بما يدلّ على نباهة قديم[١٠] ويُفِيد إثارة عِبْرة، واستقالة عثرة.

وتخلَّف ولده عبد الله، جاريًا مجراه في التجلّة[١١]، والتَّمعش من حُرِّ النَّشَب، والتزيِّي بالانقباض، والتحلِّي بالنزاهة، إلى أن توفي، وتخلّف ولده سعيد[١٢] جدُّنا الأقرب، وكان صدْرًا خيِّرًا، مستوليًا على خلال حميدة، من خطٍّ وتلاوة وفِقْه، وحساب، وأدب، نافس جيرته من[١٣] بني الطَّنجالي الهاشميين، وتحوَّل إلى غرناطة، عندما شعر بعملهم على الثورة، واستِطلاعهم إلى النَّزْوة التي خَضَدت الشوكة، واسْتَأْصلت منهم الشَّأفة، وصاهر بها الأعيان من بني أضْحى بن عبد اللطيف الهمْداني، أشراف جُنْد حُمْص، الداخلين إلى الجزيرة في طليعة بَلْج بن بشْر القشيري، ولحقه من جرَّاءِ منافسيه، لما جاهروا السلطان بالخُلْعان، اعتقالٌ أعْتَبه السلطان بعده وأحظاه على تفتته، وولَّاه الأعمال النَّبيهة، والخُطط الرَّفيعة. حَدَّثني من أثقه[١٤]، قال: عزم السلطان أن يُقْعد جَدَّك أُستاذًا لولده، فأَنِفَتْ من ذلك أُمُّ الولد، إشفاقًا عليه من فظاظة كانت فيه. ثم صاهر القُوَّاد من بني الجَعْدالة على أُمِّ أبي، وتمُتُّ[١٥] إلى زوج السلطان ببُنُوَّة الخؤولة، فنبُه القدر، وانفسحت الحُظْوة، وانتاب البيت[١٦] الرؤساءُ والقرابة. وكان على قوَّة شكِيمته، وصلابة مَكْسِرة، مُؤْثرًا للخمول،

---

(١) في النفح: «المنتقريري».
(٢) في النفح: «غرناطة».
(٣) في النفح: «يذيع».
(٤) في النفح: «من العلم».
(٥) في النفح: «بتلاوة».
(٦) في النفح: «الرفاق».
(٧) في النفح: «إلى صدقه».
(٨) في النفح: «وحرمه».
(٩) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(١٠) في النفح: «على نباهته قديمًا».
(١١) في النفح: «التجلّد».
(١٢) في النفح: «سعيدًا».
(١٣) كلمة «من» ساقطة في النفح.
(١٤) في النفح: «أثق به».
(١٥) في النفح: «ومَتَّتْ».
(١٦) في النفح: «وانثال على البيت».

محبًا في الخير. حدَّثني أبي عن أُمِّه، قالت: قلّما تهنَّأنا نحن وأبوك طعامًا حافلًا لإيثاره به مَنْ كان يَكْمِن بمسجد جِواره، من أهل الحاجة، وأحلاف الضرورة، يهجم علينا منهم بكل وارش[(١)]، يجعل يده ثُني يده[(٢)]، ويُشركه في أُكيلته، ملتذًا بموقعها من فؤاده. توفي[(٣)] في ربيع الآخر من عام ثلاثة[(٤)] وثمانين وستمائة، صَهَرَتْه الشمسُ مُستَسْقيًا في بعض المُحول، وقد اسْتَغرق في ضَراعته، فدلَّت الحَتْف على نفسه. وتخلّف والدي، نابتًا في التّرف نَبت العُلّيق، يكنفه رَعْيُ أيِّم[(٥)]، تجرُّ ذيل النعمة[(٦)]، وتحنو منه على واحد تحذر عليه الحولى من ولد الذر[(٧)]، فَفاتَه لِتَرَفه حظٌّ كبير من الاجتهاد. وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبي الحسن البلُّوطي، والمقرىء أبي عبد الله بن مستقور[(٨)]، وأبي إسحٰق بن زورال، وخاتمة الجلّة أبي جعفر بن الزُّبير، وكان يفضِّله. وشارك[(٩)] أهل عصره في الرِّواية المستدعاة عن أعلام المشرق، كجار الله أبي اليُمن وغيره. وانتقل إلى لَوْشة بلد سَلَفه، مقيمًا للرسم[(١٠)]، مخصوصًا بلقب الوزارة، مرَتَّبًا بعادة التَّرف[(١١)]، إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد، متخطِّيًا إلى الحضرة، هاويًا إلى مُلْك البَيْضة[(١٢)]، وأجزل نُزْله، وعضَّد أمره، وأدخله بلده، لدواع يطول استقصاؤها. ولمّا تمَّ له الأمر، صَحِبه[(١٣)] إلى دار ملكه، مستأثرًا بشِقْص[(١٤)] عريض من دُنياه. وكان من رجال الكمال، طَلْقَ الوجه، أنيق المجلس، حُلو النادرة، مستوليًا على كثير من الخَصْل، متجنِّدًا مع الظرف، تضمّن كتاب «التّاج المحلّى» و«الإحاطة» جزءًا رائعًا[(١٥)] من شعره، وفُقد في الكائنة العظمى بطريف، يوم الاثنين السابع[(١٦)] من جمادى الأُولى عام[(١٧)] أحد وأربعين وسبعمائة، ثابت الجأش، غير جَزُوع ولا هيَّابة. حدَّث[(١٨)] الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة، الفقيه أبو

---

(١) في النفح: «وارد».

(٢) في المصدر نفسه: «ويجعل يده مع يده».

(٣) في المصدر نفسه: «وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث...».

(٤) في الأصل: «ثلاث»، وهو خطأ نحوي.

(٥) في النفح: «أمّ».

(٦) في النفح: «نعمة».

(٧) في النفح: «تحذر عليه النسيم إذا سرى، ففاته...».

(٨) في النفح: «بن سمغور، وأبي جعفر بن الزبير خاتمة الجلّة، وكان يفضّله...».

(٩) من هنا حتى قوله: «أبي اليمن وغيره» ساقط في النفح.

(١٠) قوله: «مقيمًا للرسم» ساقط في النفح.

(١١) قوله: «مرتبًا بعادة الترف» ساقط من النفح.

(١٢) في النفح: «البيضة، فعضّد أمره وأدخله بلده...».

(١٣) في النفح: «صحب ركابه إلى...».

(١٤) الشُّقْص، بكسر الشين وسكون القاف: النصيب. القاموس المحيط (شقص).

(١٥) في النفح: «رائقًا».

(١٦) في النفح: «سابع».

(١٧) في النفح: «سنة إحدى...».

(١٨) في النفح: «حدّثني».

عبد الله بن اللوشي، قال: كبا بأخيك الطِّرْف يومئذ[١]، وقد غَشي العدو، وجَنَحْتُ إلى إردافه، فانحدر إليه والدُكَ وصرفني، وقال: أنا أوْلَى به، فكان آخر العهد بهما[٢].

وخَلِفني[٣] عالي الدرجة، شهير الخُطَّة، مشمولاً بالقبول، مكنوفًا بالعناية، «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها». فقلّدني السلطان كتابة سرّه، ولمّا يجتمع الشباب، ويُستكمل[٤] السِّن، معزَّزة بالقيادة، ورسوم الوزارة، واستعملني في السِّفارة إلى الملوك، واستَنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيْفه، وائتمنني على صِوان ذخيرته[٥] وبيت ماله، وسجوف حُرَمه، ومَعْقِل امتناعه. ومن فصول مَنْشُورِه: «وأطْلَقْنا يده على كل ما جعل الله لنا النَّظر فيه». ولما هلك، قدَّس الله روحه، ضاعف ولدُه، مولاي رضي الله عنه، حُظْوتي، وأغلى مجلسي، وقصَر المشُورة على نُصْحي، إلى أن كانت عليه الكائنة، فاقتدى فيَّ، أخوه المتغلب على الأمر[٦]، فسجل الاختصاص، وعقد القلادة، ثم قطع الإبقاءَ، وعكس الاختصاص، وحلَّ القلادة، لمَّا حمله أُولو[٧] الشحناءِ من أعوان ثورته على القَبْض عليَّ، فكان ذلك، وقُبض[٨] عليّ، ونُكث ما أُبرم من أمانيّ، واعتُقلت بحال ترفيه. وبعد أن كُبسَت المنازلُ والدُّور، واستُكْثر من الحرس، وخُتم على الأعلاق، وأُبرِد[٩] إلى ما نأى[١٠]، فاستؤصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ولا ربّات الأمثال، في تبحُّر الغلَّة، وفَراهة الحيوان، وغِبْطة العقار، ونظافة الآلات، ورِفعة الثياب، واستِجادة العُدَّة، ووفور الكُتب، إلى الآنية والخرثى[١١]، والفرش، والماعون، والزجاج، والمُحْكم[١٢] والطِّيب، والذَّخيرة، والمضارب، والأقْبية[١٣]. واكتُسحت السَّائمة، وثِيران الحرث، وظَهْر الحُمولة[١٤]، وقوام الفِلاحة، وأذْواد[١٥] الخيل، فأخذ الجميع[١٦]

(١) كلمة «يومئذ» ساقطة في النفح. والطِّرف، بكسر الطاء وسكون الراء: الكريم من الخيل. لسان العرب (طرف).

(٢) لهنا ينتهي النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٦ ـ ١٠).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٧٠ ـ ٧٣).

(٤) في النفح: «ويجتمع».

(٥) في النفح: «حضرته».

(٦) في النفح: «الأمر به».

(٧) في النفح: «أهل الشحناء من أهل أعوان...».

(٨) في النفح: «وتقبّض».

(٩) أُبرد: أرسل البريد.

(١٠) في النفح: «ناء».

(١١) كلمة «والخرثى» ساقطة من النفح.

(١٢) كلمة «والمُحْكم» ساقطة في النفح.

(١٣) في النفح: «والأبنية».

(١٤) ظهر الحمولة: الدواب التي يحمل عليها.

(١٥) في النفح: «والخيل».

(١٦) في النفح: «ذلك».

البيع، وتناهَبَتْها الأسواق، وصاحبها البَخْس، ورزأتْها الخونة، وشمِل الخاصة والأقارب الطَّلب، واستُخْلصت[١] القُرى والجنَّات[٢]، وأُعملت الحيل، ودُسَّت الإخافة، وطُوِّقت الذنوب، وأمدَّ الله بالصبر[٣]، وأنزل السكينة، وانصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى، وتعلَّقت الآمال به، وطبقت نكبة مُصْحفيَّة[٤]، مطلوبها الذَّات، وسببُ[٥] إفاتَتِها المال، حسبما قلت عند إقالة العثرة، والخلاص من الهفوة: [الطويل]

تَخَلَّصْتُ منها نكبة مُصْحَفِيَّة لفقدانيَ المنصورَ من آلِ عامرِ

ووصلت الشَّفاعة فيَّ مُكْتتبةً بخطِّ ملك المغرب، وجعل خلاصي شرطًا في العُقْدة، ومسالمة الدولة، فانتقلت صُحبة سلطاني المَكْفور الحقِّ إلى المغرب. وبالغ ملكُه في بِرِّي، واغيًا في حُلَّة رغيي منزلًا رحْبًا، وعيشًا حفْضًا، وإقطاعًا جمًّا، وجراية ما وراءَها مرمى، وجعلني بمجلسه صدْرًا. ثم أسعف قَصْدي في تهنيءِ[٦] الخَلْوة بمدينة سلا، مُنَوَّه الصُّكوك، مُهنَّأ القَرار، مُتفقَّدًا باللُّهى والخِلَع، مُخَوَّل العَقار، موفور الحاشية، مُخَلَّى بيني وبين إصلاح مَعادي، إلى أن ردَّ الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج مُلْكه، وصيَّر إليه حقَّه، وصرف إليه كرسيه، فطالبَني بوعدٍ ضربتُه، وعهد[٧] في القدوم عليه بولده أحكمتُه، ولم يُوسعني عُذْرًا، ولا فسح في التَّرك مجالًا. فقدمتُ عليه بولده، في اليوم الأغَرِّ المحجَّل، وقد ساءَه بإمساكه رهينة ظنُّه[٨]، ونغَّص مسرَّة الفَتْح بعده، على حال من التقشُّف، والرغبة[٩] عمّا بيده، وعزْف عن الطمع في الكسب[١٠] وزهد في الرِّفد[١١]، حسبما قلت، في بعض المقطوعات في مخاطبته، شكر الله عني فضله: [الكامل]

قـالـوا لـخـدمـتـه دعـاك مـحـمـدٌ فكرِهْتها[١٢] وزهدْتُ في التَّنويهِ

فـأجـبـتـهـم أنـا والـمُـهـيـمـنِ كـارهٌ في خدمة المولى محبٌّ فيهِ

---

(١) استخلصت: أضيفت إلى مستخلص السلطان أو الأملاك الملكية الخاصة.

(٢) كلمة «والجنّات» ساقطة في النفح.

(٣) في النفح: «بالعون».

(٤) نسبة إلى جعفر بن محمد المصحفي، حاجب الحكم المستنصر، وقد نكبه المنصور محمد بن أبي عامر.

(٥) في النفح: «وسببها المال».

(٦) في النفح: «تهيؤ».

(٧) في النفح: «وعمل».

(٨) في النفح: «ضدّه».

(٩) في النفح: «والزهد فيما بيده».

(١٠) في النفح: «في ملكه».

(١١) في النفح: «رِفْده».

(١٢) في النفح: «فأنفتها».

عاهدت الله على ذلك، وشرحت صدري إلى[١] الوفاءِ به، وجَنحْتُ إلى الانفصال لبيت الله الحرام نَشِيدة أملي، ومَرْمَى نِيَّتي، فعَلِق بي عُلوق الكَزمة، وصارَفني بدار العِبرة، وخرج لي عن الضرورة، وأراني أنَّ مُؤازرته أبرُّ القُرْبة[٢]، وراكنني إلى عهدٍ بخطه، فسح لعامين أمد الثّواء، واقْتَدى بشُعَيْب صلوات الله عليه، في خَطْب[٣] الزيادة، وعلى تلك النّسبة، وأشهد مَنْ حَضر من العِلْية. ثم رَمَى إليَّ بعد ذلك مقاليد رأيه، وحكم عذْلي[٤] في اختبارات عقله، وغطَّى على[٥] جَفائي بحِلْمه، وحثا في وجوه شهواته بتُراب زَجْري، ووَقَف القبولَ على وغْظي، واستَنْزل[٦] هواي في التحوُّل، نابيًا[٧] عن قصدي، واعترف بقبول نُصحي، فاستعنْتُ الله عليه، وعاملت وجهه فيه، من غير تلبُّسٍ بخديعة[٨]، ولا تشَبُّثٍ بولاية، مقتصرًا على الكفاية، حذرًا من النَّقد، خامل المرْكب، معتمدًا على المَنسأة[٩]، مُستمتعًا بِخَلَق النَّعْل، راضيًا بغير النَّبيه من الثَّوب، مُشْفقًا من موافقة الغُرور، هاجرًا للزخرف[١٠]، صادعًا بالحقِّ في أسواق الباطل، كافًّا عن السُّخال[١١] براثِن السباع، مفوِّتًا للأُصول في سبيل الصَّدقة. ثم صرفتُ الفِكر إلى بناءِ الزاوية والمدرسة والتربة، بكر الحَسَنات بهذه الخِطَّة، بل بالجزيرة فيما سلف من المدَّة، فتأتى بمنّة الله من صلاح السلطان، وعفاف الحاشية، ونشر[١٢] الأمن، ورَوْم الثغور، وتَثْمير الجِباية، وإنصاف الحُماة والمُقاتلة، ومُقارعة الملوك المجاورة في إيثار المصلحة الدِّينية، والصَّدْع فوق المنابر، ضمانًا عن السلطان بتِرْياق سُمِّ الثورة، وإصلاح بواطن الخاصَّة والعامَّة ما الله المُجازي عليه، والمُعوِّض من سَهَرِ خلَعتُه على أعطافه، وكدٍّ أعملته من جرَّائه، وخَطر اقْتحمته من أجله، لا للثَّريد الأعْفر، ولا للجُرُد تمْرَح في الأرْسان، ولا للبِدَر تثقل الأكْتاد[١٣]، فهو الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أُنثى، سبحانه إليه الرُّجعى، والآخرة والأُولى. ومع ذلك فقد عادت هَيْفُ إلى أديانها من الاستِهْداف للشُّرور، والاستِعْراض للمحذور، والنَّظر الشَّزر المُنْبَعث من خُزْر العيون، شِيمةُ مَن ابتلاه الله بسياسة الدَّهماءِ،

---

(١) في النفح: «للوفاء».
(٢) في النفح: «القُرَب».
(٣) في النفح: «طلب».
(٤) في النفح: «عقلي».
(٥) في النفح: «من».
(٦) في النفح: «وصرف».
(٧) في النفح: «ثانيًا وقصدي».
(٨) في النفح: «بجراية».
(٩) المنسأة: العصا. لسان العرب (نسأ).
(١٠) في النفح: «هاجر الزخرف».
(١١) السُّخال: جمع سَخْلة وهي ولد الشاة. محيط المحيط (سخل).
(١٢) في النفح: «والأمن».
(١٣) في النفح: «للأكتاد». والأكتاد: جمع كتد وهو مجتمع الكتفين. لسان العرب (كتد).

ورعاية سَخَطَةِ أرزاق السماءِ، وقَتَلة الأنبياءِ، وعَبَدَة الأهواءِ، ممَّن لا يجعل لله إرادةً نافذة، ولا مشيئة سابغة، ولا يَقْبل مَعْذِرة، ولا يُجمِل في الطلب، ولا يتلبَّس مع الله بأدب. ربَّنا لا تُسلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يرحمنا، والحال إلى هذا العهد، وهو أول عام أحد وسبعين وسبعمائة[١]، على ما ذكرته، أداله الله بحال السَّلامة، وبفَيْأَةِ العافية، والتمتُّع بالعبادة، وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختار. وقال الشاعر[٢]: [مجزوء الكامل]

وعــليّ أن أســعــى ولــيـــ ـــس عــليّ إدراك الــنـجــاحِ

ولله فينا سرٌ[٣] غَيْب نحن صائرون إليه، ألْحَفَنا الله بلبَاس التَّقْوى، وختم لنا بالسَّعادة، وجعلنا في الآخرة من الفائزين. نَفَثْتُ عن بثٍّ، وتَأَوَّهتُ عن حُمَّى، ليُعْلم[٤] بَعْد المُنْقَلَب قصدي، ويَدُلُّ مُكتَتَبي على عِقْدي.

ذكر بعض ما صدر لي من التشريعات الملوكية أيام تأبُّشي بهذه الغرُور

من ذلك ظهيرٌ من مولاي السلطان أبي عبد الله، عندما صار له أمرُ والده المقدَّس أبي الحجاج، رحمة الله عليه، وقد ثبتُّ في المحمدين، في اسم السلطان، أيَّده الله، فلينظره هنالك من تشوُّف لاحتفاله واحتِفائه، وظاهر برِّه واعتنائه.

وكتب إليَّ مُخْبرًا بما فتح الله عليه، قبل الوصول إليه:

«من أمير المسلمين أبي عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيَّد الله أوامرهم، ونصر أجنادهم المظَفَّرة وعساكرهم، وخلَّد مفاخرهم الكريمة ومآثرهم.

«إلى وليِّنا في الله تعالى، الذي نعلم ما له في الإخلاص لجانبنا من حُسْن المذاهب، ونعتدُّ به اعتدادًا يتكفَّل بنجاح المقاصد والمآرب، وخلاصَتِنا، الذي نُثْني على مجده البعيد الغايات، في الشَّاهد والغائب، الفقيه، الوزير الجليل، الصَّدْر الأوْحد المثِيل، العالِم العلم الأوحد، الرَّفيع الشهير، الحسيب الأصيل، الماجد الأثيل الخطير، الخطيب البليغ الكبير، الأوحد، الحافِل الفاضل الكامل، إمام البُلَغاءِ، وصدْرُ الخطباءِ، وعلمُ العلماءِ، وكبير الرؤساءِ، الحبيب المُخْلص، الأودُّ الأصفىٰ،

(١) في النفح: «وهو منتصف عام خمسة وسبعين وسبعمائة».
(٢) قوله: «وقال الشاعر» ساقط من النفح. (٣) في النفح: «عِلْمُ غيب».
(٤) في النفح: «ليظهر».

أبي عبد الله ابن الوزير الفقيه الجليل، الأعزّ الأرفع، الماجد الأسمى، الصَّدْر الحافل، الفاضل الكامل، الأعلى الكبير، الخطير الأثير، الأزضى، المعظّم الموقَّر، المبرور المقدّس، المرحوم الشهيد، أبي محمد بن الخطيب، وصل الله سَعْده، وحرس مَجْده، سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله، وليِّ الحَمْد وأهله، وناصر الحقّ، ومُطْلع أنواره، من آفاق رحمته وفضله، وقاهر كل باغٍ، وخاذِله ومُذِلّه. والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد، صَفْوة أنبيائه، وخاتم رسله، المبتعث بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدِّين كلّه، نبي الرحمة، الذي ببركة محبَّتِه نِلْنا الأُمْنِية، في جمع الدِّين ونظم شَمْله، وبفضيلة جاهه عُذْنا إلى أرفع رُتْبة مُلْكِنا، وأعلى محلّه. والرضا على آله وصحبه، المقتدين بهدْيه في أمرهم كله. فكتَبْناه إليكم، كتب الله لكم، عزًّا لا يَبْلى جديدُه، وسَعْدًا لا ينقطع مَزيده. من حَمْرائنا بغرناطة، حرسها الله ومهّدها، ولا مُتَعرَّف بفضل الله سبحانه إلّا ما عوَّد من ألطافه الخَفِيَّة، وأسْدى من صنائعه السَّنِية، وعنايته التي كَفَلت ببلوغ الأُمْنِية. والحمد لله كثيرًا، كما ينبغي لجلاله، ويليق بصفات كماله، وعندنا من إجلالكم، ما يليق بكمالكم، ومن المعرفة بمقداركم، ما يُغرب عن حُسْن اعتقادنا في كريم نِجَارِكم، ومن قَدْر أحسابكم، ما يَلزَم بسببه تعظيم جَنَابكم. وإلى هذا وصل الله سَعْدَكم، وحَفِظ مجدكم، فإننا بحسب الوُدِّ الذي نصل لمعاليكم، والحب الذي نُضاعفه فيكم، خاطبناكم بهذا المكتوب بشرح ما منَّ الله علينا من الفَتْح العظيم الذي أشرقت به أقطار هذه البلاد، وما منَّ به من العودة إلى مُلْكنا المتوارث عن كرام الآباءِ والأجداد، وما أنْعَم به من قَهْر ذوي الشِّقاق والعناد. وذلك أنَّا، أعزّكم الله، طال علينا المقام برُندة، ولم نزل نوجه إلى أهل الحصون التي بغَرْبي مالقة وغيرهم، نقصُّ عليهم ما ألزمهم الله من الوَفاءِ ببَيْعَتِنا، ونحذّرهم عار النَّكْث لطاعتنا، إلى أن آنَ آوان الفَرَج، ونفذ قضاءُ الله وقدرُه، بالعودة إلى ما كنا تغلَّبنا عليه. فاقتضى نظرنا أن خرجنا إلى مالقة في مائتي فارس، فما وصَلْنا واديها، وعلم بنا أهلها، إلّا وخرج لنا جميعهم، ملبِّين بالبيعة، فرحين بقدومنا. وفي الحين بادرنا لقتال القَصَبة حتى استُخْلِصت وأُنْزِل من فيها بنواحيها. وليوم آخر، وصَلَتْنا بيْعات أهل الجهات التي تُواليها، من أنْتَقِيرة، ولوشة، وبَلِّش، وصالحة، وقُمارش، والحمَّة، وسائر الحصون الغرْبية، فلمّا وصل الخبر إلى الغادِر الخاسر، خاف وذَعِر، ورأى أن لا مَلْجأ له إلّا أن يفرَّ، فجمع شِرْذِمته، وألَّف حاشيته، وخرج عن الحمراءِ ليلًا في ليلة الخميس الماضي، قريبًا من التاريخ، هاربًا إلى أرض الكُفَّار. وفي صبيحة الليلة، وجَّه إلينا أهل حضرتنا، وتوجَّهت الأجناد إلى بَيْعَتِنا، وانصرفنا إلى دار مُلْكنا، وحَلَلْناها يوم

السبت الماضي، من غير حرب ولا قتال، بل بفضل الله تعالى، ذي العظمة والجلال. وعرَّفناكم بذلك، لتأخذوا بحظِّكم من هذه المَسَرَّة الكبْرى، إذ أنتم الحبيب الذي لا يُشَكُّ فيه، والخُلاصة، الذي نعلم صِدْق خلُوصه وتَصافيه، والله يصل سعودكم، ويحفظ وجودكم، والسلام الكريم عليكم، ورحمة الله وبركاته. وكتب في يوم الأربعاءِ الرابع والعشرين لجمادى الثانية، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة».

وعند استقراري لديه، وقُدومي عليه، أصدر لي هذا الظَّهير الكريم، بما يظهر من فصوله:

«هذا ظهير كريم، أقام مراسم الوفاءِ، وأحْيا معالم الحقّ الفَسِيحة الأرْجاءِ، وقَلَص ظلال الجُود المُتكاثفة الأفْياءِ، وجَلَى بأنوار الحق ظلم الظُّلم والاعتداءِ، وأدَّى الأمانة إلى أهلها إذ كانت مُتَعَيِّنة الأداءِ. أمر بتَسْويغ إنْعامه، وإبرام أحكامه، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أعْلَى الله مقامه وشكر إنْعامه، لوليِّ مقامه، ومحلّ إجْلاله وإعظامه، كبير دولته، وفَخْر مملكته، ومُشيِّد سلطانه، وعَيْن زمانه، ظهيرُه الذي ببركاته أُنجِحَتْ مقاصدُه، وحامل لواءِ وزارته الذي بيُمن رأْيه عَذُبت مصادِرُه ومَوارِدُه، الفقيه الأجلّ الوزير المثِيل، الماجد الأثِيل، الحسيب الأصيل، العالم العَلم، الطَّاهر الظَّاهر، العظيم المفاخر، الكريم المآثر، إمام البلاغة، وفارس البَراعة واليَراعة، فخر الرئاسة، ومُدبِّر فَلَك السِّياسة، الخطيب الحافل، الصَّدْر الفاضل الشَّمائل، الحبيب الخالص، الأوَدُّ الأصْفى، أبي عبد الله محمد ابن الوزير الجليل الأوحد الأعلى، الصدر الكبير الخطير الشهير الأسْنى، الحافل الفاضل، الظَّاهر الطاهر، السَّامي الأرْقَى، المعظَّم الموقر، الشهيد المقدّس السعيد، أبي محمد بن الخطيب، وَصَلَ الله سعادته، وحرس مجادته، وحَفِظَ رُتْبته الرَّفيعة ومكانته، وبلَّغه أمله الأرضى وإرادته. لما كان أبقاه الله مُدبّر ملك المولى أبيه، وظهيره الذي لم يزل يُدْنيه ويَصْطَفيه، وعِماده الذي ألْقى إليه مقاليد الملك، حين علم أنه صَدْر الأوْلياءِ وواسِطَة السِّلك، ووزيره الذي اعتمده بإدارة أمره، وركن إلى مناصحته في سِرِّه وجَهْره، وقلَّده نجَاد الوَزارتين، وحلَّاه بحلى الرِّئاستين، فاكتفى منه عن الأثر بالعين، ونشر له لواءَ الوِلايَتين، فتلقَّاه بيمينه، وقام مضطلعًا بأمره قيام الأسد دون عرينِه. وحين انعقد هذا الأمر العلي، قام بسياسة مُلْكه أحسن قيام وأوفاه، وأداره فأصاب في إدارته مرْمَى السَّداد الذي لم يوافقه إلّا إياه. واستولى في هذه الميادين على غاية الكمال، واضطلع بالرِّئاسة والسِّياسة اضطلاع أفذاذ الرجال. ولم يزل يدفع عن حِماه،

ويذُبُّ عن حوْزته بما يحبُّه الله ويرضاه، حتى انتظمت بالسُّعود أفلاكه المُنِيفة وأملاكه، ودارت بالتَّأييد أفلاكُه.

ولما كان الشَّقي الغادر الذي اغتصب الحقَّ، وطهر منه الطرق، قد جار على جانب المُعْتَمد به في ماله، وتعدَّى بالبغْي على حاله، ظُلْمًا وعدوانًا، وجورًا وطغيانًا، لم يُقَدِّم، أيَّده الله، عملًا، عند العودة إلى ملكه المؤيد، وسلطانه الأسعد، وفخره المجدَّد المؤيد، وأخذ الله تعالى له، من الظَّالم أعظم الثَّار، وأمدَّه بإعلامه وإظهاره بأعظم الأنصار، على أن صَرَف عليه جميع أملاكه التي خلصت له بالشَّرع مُوجباتها، ووضَعت في سبيل الاستحقاق بيِّناتها، مما كان الغادر قد غصَبه له وانتهبه، وقطع بالباطل عنه سَبَبه، ومكَّنه، أيَّده الله، منها باحتيازها، وتولَّى لنفسه إحرازها، وعاد بهذا التَّسويغ الملكي يوم عودتها إليه خيرًا من أمسه، هنَّأه الله الانتفاع بها في العمر الطويل، وحَفِظها عليه وعلى عقِبه، يتملَّكُها الجيلُ منهم بعد الجيل. وهي كذا وكذا، بداخل الحضرة وخارجها، وكذا وكذا من البلاد. سوَّغ إليه، أيَّده الله، ذلك تسْويغًا شرعيًّا، ورفع به عنه فيه الأغراض، رفعًا كُلِّيًّا أبَديًّا، وتَبرُّأً من حق يتعلَّق به، أو شُبْهة تَتَطَرَّق بسببه. فليتصرف، أعزَّه الله، في ذلك بما شاءَ من أنواع التصرفات، على ما توجبُه السُّنَّة الواضحة الآيات، من غير حجرٍ عليه، ولا تعقُّب لما لديه. وشمل حكمُ هذا التَّسويغ الجسيم، والإنعام العميم، جميع ما يُستغلّ على الأرض والجنَّات والكروم، والثَّمرات من العوائد المُسْتقبلة عليها، والغلَّات، شمولًا تامًا، مُطْلقًا عامًا، وأن يكون هذا ثابتًا صحيحًا، ومن الشَّكِّ مُزيحًا، وحكمه على الأيام، واتصال الشهور والأعوام، متصل الدوام. كتبنا خطَّ يدنا شاهدًا بإمضائه، وسجَّلنا الحكم باستقلاله واقْتِضائه. فليعلم ذلك مَن يقف عليه، ويعتبر ما لديه. وذلك في اليوم الثاني لرمضان المعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. صح هذا».

ولـمّا قضى الله بالانصراف إلى العدوة الغَرْبية، صدرت عن سلطانها أمير المسلمين أبي سالم[١] منشورات رفيعة منها، وقد تَشَوَّفْتُ إلى مطالعة بلاده الغرْبية، وجهاتها المَرَّاكُشيَّة، بقصد لقاءِ أهل الصلاح والعبادة، وزيارة مَلاحِد السَّادة، ما نصُّه:

«هذا ظهير كريم أشاد بالتَّنويه الفَسيح المجال، والإكرام السَّابغ الأذيال، وأعاد النعم بعد إبدائها عميمة النَّوال، ووارِفَة الظِّلال، وألقى في يد المُعْتَمد به صحيفة الاعتِناءِ حميدة المقال، مُقْتَضِبة ديوان الآمال، ورفع له لواءَ الفخر العزيز المنَال، على

(١) هو سلطان المغرب المستعين بالله إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن المريني.

النُّظراءِ والأمثال. حكم بإعماله، وإمضاءِ أمْرِه الكريم وامتِثاله، عبد الله المستعين بالله إبراهيم ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل الله رب العالمين، أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق. أيّد الله أمره، وأعزَّ نصره، للشيخ الفقيه الأجلّ، الأعزِّ الأسْنَى، الوزير الأمْجد الأنوه المحترم، الملحوظ، الأثير الأكْمل، السَّري الحظيّ الذكي الأخْلَص، أبي عبد الله ابن الشيخ، الوزير، الفقيه الأجلّ، الأعز الأسْنى الأمْجد، الحسيب الأصيل، الأنْوه الأنزه، الأثير الأكمل، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب، وَصَلَ الله حُظْوته، ووالى عزَّته. جدَّد له الحُظوة التي يُضْفى لباسُها، وصحح بنظر البرّ والإكرام قيامها وشيَّد بمباني الحِفاية التي مهَّد أساسها، لما وفد على بابه الكريم عائذًا بجواره، ومُلْقيًا في ساحة العزِّ المشيد عصًا تَسْيار ومُجْريًا في ميدان الثَّنا جِياد أفكاره، ومعتمدًا على نظرنا الجميل في بلوغ آماله وحصول أوْطاره، فسَحْنا له في ميدان البرّ والتَّرحيب فبلغ مداه، وآنَس في حضرتنا الكريمة أنوار العناية التي كانت هُداه، وأحْلَلْناه من بساطنا المحلّ الذي اشتمل به العزُّ وارْتَداه، وكَمل له الأمل ووفَّاه. وأذنَّا له تَفنُّنًا في إسداءِ النِّعم الثرة، وتلقِّي وفادته بوجوه القبُول والمبرَّة، في زيارة التُّربة المقدَّسة بشالة[1] المعظمة، حيث ضريح مولانا المقدّس، ومن مَعه من أسلافنا الكرام، نوَّر الله مثواهم، وجعل في الجنة مأواهم. وهذا الغرض الجميل، وإن عُدَّ من أنواع التكريم، والإحسان العميم، فهو السَّعي الذي تصرف إليه وجوه القبول والرضا والاهتمام، والرغبة التي يُضفى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام، والتقرُّب الذي تؤثره مهاد البرّ المُسْتدام، ولفاعله مزيَّة الاعتناءِ والتَّقديم، وجزاءُ القيام بخدمة سَلفِنا الكريم، وقد أذنَّا له في مشاهدة تلك الجهات من حَضْرتنا العليَّة إلى مرَّاكُش المحروسة للقاءِ الأعلام، واجتلاءِ المعاهد الكرام، والآثار الباقية على الأيام، كيف أحبَّ وعلى ما شاءَ من إراحةٍ أو إلمام، مُصْحبًا بمن يُنوِّه به في طريقه من الخُدَّام تنويهًا للكرامة وتعديدًا، وتجديدًا للعناية وتأكيدًا. فليعلم بذلك، ما له في بابنا الكريم من الاعتناءِ، وما اعتدنا لمحبي أسلافنا الكرام من الجزاءِ، ويجري في جميع مآربه وأحواله على النَّهج السواء، مراعَى حال إيابه إلى مقرّه من حضرتنا العليَّة، ومحلّه من بساطنا الأشرف، وعَرْضه أعمال القائمين ببرِّه، وأكرمنا بين أيدينا، فيجني المبادرة إلى توْفِية آماله، وثمرة أعماله، ويقابل القائم بمبرَّته، والله المستعان. وكتب بالمدينة البيضاءِ، مهَّدها الله، في الحادي

(١) شالة: ضاحية مدينة سلا. وقد ذكرها ابن الخطيب في مواضع متفرقة من كتابه «نفاضة الجراب».

والعشرين لربيع الثاني عام أحد وستين وسبعمائة: وليُعْتمد لوزيرنا الشيخ الأجلّ الحظي الأكمل أبو الحسن علي بن العباس، أكرمه الله، على أن يُدخله إلى المساكن العلية بقَصبة مراكُش، حرسها الله، ليشاهد الآثار السلطانية التي انتظمت في سِلْكنا، وعفّى عليها جديد ملكنا، فليُعلم ذلك، وليُعمل به، والله المستعان، وكتب في التاريخ المؤرخ به».

وجرَّ هذا الإنعام دُنيا عريضة، تفتَّقتْ فيها المواهب، ووضَحت من اشْتِهارها المذاهب، شكر الله نِعْمته، ووالى على تربته رحمته.

وصدر لي عن المُتصيِّر إليه أمره ما نصُّه، وهو بعضٌ من جُمْلة، ونوعٌ من أجْناس مُبرَّة:

«هذا ظهير كريم، نَظَم العناية ووَصَلها، وأجْمل الرعاية وفَصَّلها، وأحْرَز مواهب السعادة وحصَّلها، أمر بإبْرامِه، والوقوف عند أحكامه، عبد الله المتوكل على الله محمد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمين، ابن مولانا الأمير عبد الرحمٰن ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي يوسف بن عبد الحق، أيَّده الله ونصره، وسنَى له الفتح المبين ويسَّره، للشيخ الفقيه الأجلّ، الأسْنى الأعزِّ، الأحظى والأرفع، الأمجد الأسنى، الأنْوه الأزْكى، العالم العلمَ، الرئيس الأعْرف، المُتَفَنِّن الأبْرع، المُصَنِّف المفيد، الصَّدر الأحْفَل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجلّ، الأسنى الأغرّ، الأرفع الأمجد، الوجيه الأنوه، الأحفل، الأفضل، الحَسِيب الأصيل الأكمل، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب، أيّده الله بوجه القبول والإقبال، وأضْفى عليه ملابس الإنعام والإفضال، ورَعى له خِدْمة السَّلف الرفيع الجلال، وما تقرَّر من مقاصده الحسنة في خدمة أمْرنا العال، وأمر في جملة ما سوَّغ من الآلاءِ الوارِفة الظِّلال، الفَسِيحة المجال، بأن يُجدَّدَ له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها، المتضمنة تمشية خمسمائة من الفِضَّة العَشْرية في كل شهر، عن مرتَّبٍ له ولولده الذي لنظره، من مَجْبَى مدينة سلا، حرسها الله، في كل شهر، من حيث جَرتْ العادة أن يتمشى له، ورَفْع الاعتراض ببابها فيما يُجْلَب من الأُدْم والأقْوات على اختلافها، من حيوان وسواه، وفيما يستفيده خُدَّامه بخارجها وأحْوازِها من عِنَبٍ وقُطْن وكتَّان، وفاكهة وخُضَر وغير ذلك، فلا يُطْلب في شيءٍ من ذلك بمغْرَم ولا وظِيف، ولا يُتوجَّه فيه إليه بتكليف. يتَّصل له حكم ما ذُكر في كل عام، تجديدًا تامًا، واحترامًا عامًا، أعلن بتجديد الحُظْوة واتصالها، وإتمام النِّعمة

وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام، واتصال الأيام، وأن يُحْمل جانبه فيمن يُشْركه أو يخدمه مَحْمَل الرَّعي، والمحاشاة من السُّخرة متى عَرَضته، والوظائف إذا افتُرِضت، حتى يتَّصل له تالد العناية بالطَّارف، وتتضاعف أسباب المِنَن والعَوارف، بفضل الله، وتُحَرَّر له الأزواج التي يحرثها، تَبالَغَت من كل وجيبة، ويُحاش من كل مَغْرم أو ضَريبة، بالتحرير التّام، بحول الله وعونه. ومن وقَفَ على هذا الظهير الكريم، فليعمل بمُقْتضاه، وليمض ما أمضاه، إن شاءَ الله. وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وكتب في التاريخ».

وهذا ومثله، لولا أنه أُحظُوظ ربما انتفع العقب بوَضمِها، ورمى غرض الإغفال بسهمها، لم يُغْن بها، من يرى أن لا جذوى إلَّا في التقوى، وأنّ يد الله من هذه الأسباب الضَّعيفة أقوى.

وأما[١] ما رُفع إليَّ من الموضوعات العلمية، والوسائل الأدبية، والرسائل الإخوانية، لَمّا أقَامني الملك صَنَمًا يُعْبد[٢]، وجَبلًا[٣] إليه يُسْتند، صادرةً عن الأعلام، وحملة الأقلام، ورؤساءِ النّثار والنّظام[٤]، فَجَمٌّ يضيق عنه الإحصاءُ، ويعجز عن ضمِّ نَشْره الاسْتِقْصاء. فربما[٥] تَضمَّن هذا الكتاب ـ كتاب الإحاطة ـ هذا[٦] منه كثيرًا، منظومًا[٧] ونَثِيرًا، جرى في أثناءِ الأسماءِ، وانتمى إلى الإجادة أكبر الانْتِماء. غفر الله لي ولقائله، فما كان أوْلاني وإيّاه بسَتْرِ وِزْره[٨]، وإغراءِ الإضراب بغُروره، فأهْوِنْ بما لا ينفع، وإن ارتفع الكلم الطَّيِّب لا يُدفع[٩]، اللهمّ تجاوزْ عنّا بكرمك وفضلك[١٠].

المشيخة: قرأت[١١] كتاب الله، عزَّ وجلّ، على المُكتِّب، نسيج وَحْدِهِ، في تَحمُّل المُنَزَّل حَقَّ حمْله، تقوَى وصلاحًا، وخصوصِيَّةً وإتقانًا، ونغمة، وعناية

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٢) في النفح: «يعتمد». (٣) في النفح: «وخيالاً».

(٤) النثار: النثر. والنظام: الشِّعْر. لسان العرب (نثر) و(نظم).

(٥) في النفح: «وربما». (٦) كلمة «هذا» غير واردة في النفح.

(٧) في النفح: «ومنظومًا أثيرًا، ودرًّا نثيرًا، جرى...».

(٨) في النفح: «زوره».

(٩) في النفح: «لا يرفع». وقد أخذ المعنى من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ سورة فاطر ٣٥، الآية ١٠.

(١٠) في النفح: «بفضلك وكرمك».

(١١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ١٤٢ ـ ١٤٤).

وحفظًا، وتبحُّرًا في هذا الفن، واضطلاعًا بضرائبه[١]، واستيعابًا لِسَقَطات الأعلام، الأُستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العَوَّاد، كَتْبًا[٢] ثم حِفظًا، ثم تجويدًا، إلى[٣] مَقْرىء أبي عمرو، رحمة الله عليهما. ثم نَقَلَني إلى أُستاذ الجماعة، ومطيَّة الفنون، ومُفيد الطلبة، الشيخ الخطيب[٤] أبي الحسن[٥] القِيجاطي، فقرأت عليه القرآن والعربيَّة، وهو أول من انتَفَعْتُ به[٦]. وقرأت على الحسيب[٧] الصدر أبي القاسم بن جُزَي. ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير، على الشيخ الأُستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخَّار البيري، الإمام المُجْمَع على إمامته في فن العربية، المفتوح عليه من الله فيه[٨]، حفظًا، واضطلاعًا[٩]، ونقلًا وتوجيهًا، بما لا مَطْمَع فيه لسواه. وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنّن أبي عبد الله بن بكر، رحمه الله. وتأدّبْتُ بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى، الصالح الفاضل، أبي الحسن بن الجيَّاب. ورويت عن كثير[١٠] ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرِّواية، كالمحدّث أبي عبد الله بن جابر، وأخيه أبي جعفر، والقاضي الشهير[١١] بقيَّة السلف، شيخنا أبي البركات ابن الحاج، والشيخ المحدّث الصالح أبي محمد بن سَلْمُون، وأخيه القاضي أبي القاسم بن سلمون، وأبي عمرو ابن الأُستاذ أبي جعفر بن الزُّبير، وله رواية عالية. والأُستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيبش، والمحدّث الكاتب أبي الحسين[١٢] التِّلمساني، والشيخ الحاج أبي القاسم بن البناءِ، والعدل أبي محمد الزرقون[١٣]، يحمل[١٤] عن الإمام ابن دَقيق العِيد، والقائد الكاتب ابن ذي الوَزارتين أبي عبد[١٥] الله بن الحكيم، والقاضي المحدّث الأديب، جُمْلة الظَّرْف، أبي بكر بن شِبْرين، والشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك، والخطيب أبي جعفر الطَّنجالي، والقاضي أبي بكر بن مَنْظُور، والرَّاوية أبي عبد الله بن حزْب الله، كلّهم من مالَقة، والقاضي أبي عبد الله المقَّري التِّلِمْساني، والشَّريف أبي علي حسن بن يوسف،

(١) في النفح الجزء السابع: «بغرائبه» وفي الجزء الثامن: «لغرائبه».
(٢) في النفح: «تكتيبًا».
(٣) في النفح الجزء السابع: «على» وفي الجزء الثامن: «إلى مقرعات».
(٤) في النفح: «الخطيب المتفنن».
(٥) في النفح الجزء الثامن: «علي القيجاطي».
(٦) هنا ينتهي النص في نفح الطيب الجزء السابع.
(٧) في النفح: «على الخطيب الحسيب».
(٨) كلمة «فيه» ساقطة في النفح.
(٩) في النفح: «واطلاعًا».
(١٠) في النفح: «الكثير».
(١١) في النفح: «الشهير الشيخ بقيّة. . .».
(١٢) في النفح: «أبي الحسن التلمساني المسنّ والحاج أبي القاسم بن المهني المالقي، والعدل. . .».
(١٣) في النفح: «السعدي».
(١٤) في النفح: «تحمل».
(١٥) في النفح: «أبي بكر».

والخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق، كلّهم من تِلِمْسان. والمحدّث الفاضل الحسيب أبي[١] العباس بن يَزبُوع السَّبْتي[٢]، والرئيس أبي محمد الحضرمي السَّبْتي[٣]، والشيخ المقرىء أبي محمد بن أيوب المالَقي، آخر الرواة عن ابن أبي الأحْوَص، وأبي عثمان بن ليون من[٤] ألمرية، والقاضي أبي الحجاج المُنْتشاقري[٥] من أهل رُنْدة، وطائفة كبيرة من المعاصرين، ومن أهل العُدْوة الغربية والمشرق[٦]، الكثير بالإجازة. وأخذتُ الطبّ والتّعاليم[٧] وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هُذَيل[٨]، ولازمته. هذا على سبيل الإلمام[٩]. ولو تفرَّغت لذكرهم[١٠]، لخرج هذا التَّقْييد[١١] عمّا وُضع له.

التواليف: من ذلك[١٢]: «اللمحة البَدْرية، في الدولة النَّصرية»، والحُلَل المَرْقومة، و«مُثْلى الطَّريقة»، و«السِّحْر والشِّعر»، و«ريحانة الكُتَّاب» في أسفار ثمانية، وكتاب «المحبَّة» في سِفرين، و«الصَّيِّب والجهام» مجموع شعري، و«مِعْيَار الاخْتِيار»، و«مُفاضلة بين مالقة وسَلا». و«رِسالة الطّاعون»، و«المسائل الطبّية»، سِفْر. و«الرَّجز في عمل التّرياق». و«اليُوسِفي في الطِّب»، في سفرين. و«التَّاج المحَلَّى»، في سفر. و«نُفَاضة الجِراب»، في أربعة أسفار. و«البَيْزَرَة» في سفر. «والبَيْطَرة» في سفر، جامعٌ لما يُرجع إليها من محاسن الخَيْل، وغير ذلك. ورسالة «تَكْوين[١٣] الجَنين». و«الوُصُول، لِحفظ الصحة في الفُصول». و«رَجَز الطِّب». و«رَجَزُ الأغْذِية». و«رجزُ السِّياسة». وكتاب «الوَزارة»، و«مَقامة السِّياسة». وكتاب «الإحاطة» هذا في خمسة عشر سفرًا. إلى ما صدر مني في هذا العهد القريب، وهي «الغَيْرة، على أهل الحَيْرة»، و«حَمْل الجمهور، على السَّنن المشهور». و«الزُّبدة المَمْخُوضة»، و«الرَّميمة». و«الرَّد على أهل الإباحة»، و«سدُّ الذَّريعة، في تفضيل الشَّريعة». و«تقرير الشُّبه، وتحرير المُشَبَّه[١٤]». و«استنزال اللطف الموجود، في سر الوجود».

---

(١) في النفح: «أبو»، وهو خطأ نحوي.
(٢) كلمة «السبتي» غير واردة في النفح.
(٣) في النفح: «السبتين».
(٤) في النفح: «من أهل ألمرية».
(٥) في الأصل: «المنتشافري»، والتصويب من النفح، والمنتشاقري: نسبة إلى مُنْت شاقر Monte Sacro، وهو حصن مطل على سهل غرناطة.
(٦) في النفح: «والمشرق وإفريقية».
(٧) في النفح: «والتعاليم والمنطق».
(٨) في النفح: «مذيل».
(٩) في النفح: «الإلماع».
(١٠) في النفح: «لذكر أفذاذهم».
(١١) في النفح: «التأليف».
(١٢) نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٢٣).
(١٣) في النفح: «تكوّن».
(١٤) في النفح: «الشبه».

ومن التواليف الصادرة قديمًا[١]: «بُستان الدول»، وهو موضوع غريب، ما سُمِع بمثله، قلّ أن شذَّ عنه فنٌّ من الفنون، يشتمل على شَجراتٍ عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوَزارة، ثم شجرة الكِتابة، ثم شجرة القضاءِ والصلاة، ثم شجرة الشُرْطة والحِسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد، وهو فرعان، أُسْطُولٌ وخُيُولٌ. ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطِبَّاءِ، والمنجمين، والبيازرة[٢]، والبياطرة، والفلاحين، والندماءِ، والشَّطرنجيين، والشعراءِ والمُغَنِّين. ثم شجرة الرَّعايا. وتقسيم هذا كله غريب، يرجع إلى شُعَب وأُصول، وجراثيم وعُمُد، وقِشْر ولِحاءِ، وغصون، وأوراق، وزهرات مثمرات[٣] وغير مثمرات، مكتوب على كل جزءٍ من هذه الأجزاءِ[٤] اسم الفن المراد به. وبرنامجه صورة بستان، كمل منه نحو ثلاثين[٥] جزءًا تُقارب الأسفار، ثم قَطَع عنه الحادثُ على الدولة. و«أبيات الأبيات». و«فتات الخِوان، ولَقْط الصُّوان» في سفر، يتضمن المقطوعات. و«عائد الصلة» في سفرين، وصلت به «صلة» الأُستاذ أبي جعفر بن الزبير. و«تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات». و«جيش التَّوشيح». و«طُرْفة العصر، في دولة بني نصر»، ثلاثة أسفار. إلى غير ذلك، حتى في الموسيقا وسواها. هذرٌ كُثِّف به الحجاب، ولَعِبَ بالنفس الإعجاب، وضاع الزمان ولا تسل بين الرَّد والقبول والنفي والإيجاب. ولله درُّ القائل[٦]: [السريع]

والكونُ أشْراكُ نفوسِ الوَرى ... طُوبى لنفسٍ حرّةٍ فازتْ
إن لم تَحُزْ معرفةَ الله قد ... أورطها الشيءُ الذي حازتْ

وكلٌ مُيسَّرٌ لما خُلق له، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

هذا[٧]، وقد ذُكرت مؤلفات ابن الخطيب، التي أوردها في ختام ترجمته لنفسه، بصور مختلفة، وفقًا لتواريخ كتابتها، وقد أورد لنا المقري منها صورة رُتِّبت على نمط آخر، وبها زيادات لم ترد في نسخة الإسكوريال مما يدلّ على أن نسخة الإحاطة التي وردت بها، قد كتبت في وقت لاحق. وقد رأينا أن ننقلها فيما يلي:

(١) نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(٢) أراد بهم العلماء بالأدوية، كما يفهم من السياق.
(٣) في النفح: «مثمرة وغير مثمرة». (٤) في النفح: «الأجزاء بالصبغ اسم...».
(٥) في النفح: «نحو من ثلاثين سفرًا».
(٦) القائل هو ابن الخطيب نفسه، والبيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٢٢).
(٧) من هنا حتى قوله: «وديوان شعري في سفرين» ليس من أصل الإحاطة، وإنما هو، على الأرجح، من كلام الناسخ.

التواليف:[١] «التَّاج المحلّى، في مساجلة القِدْح المعلّى». و«الكتِيبة الكامنة، في أُدباءِ المائة الثامنة». و«الإكليل الزاهر، فيما فضل عند نظم التّاج من الجواهر». ثم «النّفاية[٢]، بعد الكفاية»، هذا في نحو «القلائد» و«المَطْمَحَين» لأبي نصر الفتح بن محمد. و«طرفة العصر، في دولة بني نصر»، في أسفار ثلاثة. و«بستان الدول» موضوع غريب ما سُمع بمثله... (الخ الأوصاف التي وردت في البيان السابق). وديوان شِعري في سفرين، سمّيته الصَّيِّب والجَهام، والماضي والكَهام». والنثر في غرض السُّلطانيات كثير. والكتاب المسمّى بـ«اليُوسفي في صناعة الطِّب» في سفرين كبيرين، كتاب ممتع، و«عائد الصِّلة»، وصلتُ به صلة الأُستاذ أبي جعفر ابن الزبير، في سفرين. وكتاب «الإحاطة بما تَيَسَّر من تاريخ غرناطة»، كتاب كبير في أسفار تِسعة، هذا متّصل بآخرها. و«تخليص الذهب، في اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة». و«جيش التَّوشيح» في سفرين. ومن بعد الانتقال إلى الأندلس، وما وقع من كياد الدولة: «نُفاضة الجراب في عِلالة الاغتراب»، موضوع جليل في أربعة أسفار. وكتاب «عَمَلُ مَنْ طَبَّ، لمن حَبَّ»، ومنزلته في الصناعة الطبية، بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية، لا نظير له. ومن الأراجيز المسمّاة بـ«رَقْم الحُلل في نظم الدول». والأُرجوزة المسماة بـ«الحُلل المرقومة، في اللمع المنظومة»، ألفيَّة من ألفِ بيت في أُصول الفقه. والأُرجوزة المسمّاة بـ«المعْلُومة»، معارضة للمقدمة المسمّاة بـ «المجهولة»، في العِلاج من الرأس إلى القدم، إذا أُضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي، كمُلَتْ بها الصِّناعة كمالًا لا يَشِينُه نقص. والأُرجوزة المسماة بـ«المُعْتَمدة، في الأغذية المفردة». والأرجوزة في «السياسة المدنية». إلى ما يشذّ عن الوصف، كالرجز «في عمل الترياق الفاروقي»، و«الكلام على الطاعون المعاصر»، و«الإشارة»، و«قطع السلوك»، و«مُثْلى الطريقة، في ذمّ الوثِيقة». حتى في الموسيقى[٣] والبَيْطرة والبيْزرة. هذرٌ[٤] به كَثُفَ الحجاب، ولعِب بالنفس الإعجاب[٥]، ولله دَرُّ القائل: الشعر السابق ذكره.

الشعر: من ذلك قولي في الجناب الكريم النّبوي، شرفه الله، وهو من أوليات نظمي في ذلك الغرض[٦]: [الكامل]

هل كنتَ تعلمُ في هبوب الريحِ نَفَسًا يؤجّجُ لاعجَ التَّبْريحِ؟

---

(١) نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(٢) في النفح: «النقاية».
(٣) في النفح: «المويسيقى».
(٤) في النفح: «هذر كثُف به الحجاب».
(٥) في النفح: «الإيجاب».
(٦) القصيدة في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٦٣ ـ ١٦٥).

أهْدَتْكَ من مَشْجِ[1] الحجاز تحيّةً … غاضت[2] لها عَرْضَ الفِجاجِ الفِيحِ
باللهِ قُلْ لي كيف نيرانُ الهوى … ما بين ريحِ بالفلاةِ[3] وشيحِ؟
وخضِيبَةِ المِنْقارِ تَحْسَبُ أنها … نهلتْ بموْرِدِ دمعيَ المَسْفُوحِ
باحتْ بما تُخْفي وناحتْ في الدُّجى … فرأيتُ في الآفاقِ دَعْوَةَ نُوحِ
نطقتْ، بما يخفيه قلبي، أدمعي … ولطالما صَمَتَتْ عن التَّصريحِ
عجبًا لأجفاني حَمَلْنَ شهادةً … عن خافتٍ بين الضلوع جَريحِ
ولقلّما كتبتْ رُواةُ مدامعي … في طُرَّتيها[4] حِلْيةَ التَّجريحِ
جاد[5] الحِمى بعدي وأجْراعَ الحمى … جَوْدٌ تكلُّ به متُونُ الريحِ
هُنَّ المنازلُ ما فؤادي بعدها … سالٍ، ولا وَجْدي بها بمريحِ
حسْبي وَلُوعًا أنْ أزورَ بفكرتي … زُوّارَها والجسمُ رَهْنُ نُزوحِ
فأبُثَّ فيها من حديثِ صبابتي … وأحثَّ فيها من جناحِ جُنوحي
ودُجُنَّةٍ كادتْ تضلُّ بني[6] السُّرى … لولا وَمِيضا بارقٍ وصَفيحِ
رعشتْ[7] كواكبُ جوِّها فكأنها … وَرِقٌ تُقَلِّبُها بنانُ شَحيحِ
صابرْتُ منها لُجَّةً مهما ارتمتْ … وطَمَتْ رميتُ عُبابَها بسَبُوحِ
حتى إذا الكَفُّ الخَضيبُ بأُفقها … مَسحتْ بوجهٍ للصباحِ صَبيحِ
شِمْتُ المنى وحمِدْتُ إدلاجَ السُّرى … وزجرتُ للآمالِ كلَّ سَنيحِ
فكأنما لَيْلي نَسيبُ قصيدتي … والصُّبْحُ فيه تخلُّصٌ[8] لمديحِ
لمّا حططْتُ لخيرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرى … بعِنانِ كلِّ مُوَلَّدٍ وصريحِ
رَحْمى إلٰه العرش بين عبادِهِ … وأمينِهِ الأرْضَى على ما يُوحِي
والآيةُ الكبرى التي أنوارُها … ضاءَتْ أشِعَّتُها بصفحة يُوحِ[9]
رَبُّ المقام[10] الصِّدق والآيِ التي … راقتْ بها أوراقُ كلِّ صحيحِ
كَهْفُ[11] الأنامِ إذا تفاقمَ مُعْضِلٌ … مَثَلوا بساحةِ بابِهِ المفتوحِ
يَرِدُونَ منه على مَثابةِ راحِمٍ … جَمِّ الهِباتِ عن الذنوب صَفوحِ

(١) في النفح: «شيح».
(٢) في النفح: «فاحت».
(٣) في النفح: «في الفلاة».
(٤) في النفح: «في صفحتيها».
(٥) في الأصل: «أجاد»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «بها السُّرى».
(٧) في الأصل: «وعشتْ» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «تخلّصي».
(٩) يوح: اسم الشمس. محيط المحيط (يوح).
(١٠) في النفح: «المقال».
(١١) في الأصل: «كيف»، والتصويب من النفح.

لَهفي على عُمْرٍ مضى أنضَيْتُهُ ... في ملعبٍ للتُّرُّهات فسيحِ[١]
يا زاجرَ الوَجْناءِ يَعتسفُ الفَلا ... والليلُ يَعثُرُ في فضول مُسُوح
يَصِلُ السُّرى سبْقًا إلى خير الورى ... والرَّكْبُ بين مُوَسَّدٍ وطريح
لي في حِمى ذاك الضَّريح لُبانةٌ ... إنْ أصبَحتْ لُبْنى[٢] أنا ابن ذَرِيح
وبمهبطِ الرُّوح الأمينِ أمانةٌ ... اليُمْنُ فيها والأمانُ لرُوحي
يا صفوةَ اللهِ المَكِينِ مكانُهُ ... يا خيرَ مؤتَمنٍ وخيرَ نصيح
أقْرَضْتُ فيك الله صِدْق محبّتي ... أيكونُ تَجري فيك غيرَ ربيح؟
حاشا وكلّا أن[٣] تخيبَ وسائِلي ... أو أن أرى مَسْعاي غير نَجيح
إنْ عاقَ عنك قبيحُ ما كَسَبَتْ يدي ... يومًا فَوَجْهُ العَفْوِ غيرُ قبيح
واخجلتا[٤] من حَلْبَة[٥] الفكر التي ... أغريْتُها بغراميَ المشروح
قَصَرَتْ خُطاها بعد ما ضمَّرْتُها ... من كلّ موفورِ الجِمام جَمُوح
مَدَحَتْكَ آياتُ الكتابِ فما عسى ... يُثْني على عَلْياكَ نظمُ مديحي[٦]
وإذا كتابُ الله أثنى مُفْصِحًا ... كان القُصُورُ قُصارَ كلّ فصيح
صلّى عليك الله[٧] ما هَبَّتْ صَبًا ... فَهَفَتْ بغصنٍ في الرِّياض مَرُوح
واستأثر الرحمنُ جَلّ جلالُه ... عن خَلْقِهِ بخفيِّ سِرِّ الروح

وأنشدتُ السلطانَ مَلِكَ المغرب ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة هذه القصيدة[٨]: [الطويل]

تألّقَ نَجْدِيًّا فأذكرني نَجْدا ... وهاج بي الشَّوقَ المُبَرِّحَ والوَجْدا
وَميضٌ رأى بُرْدَ الغمامةِ مَغْفِلا[٩] ... فَمَدَّ يَدًا بالتِّبْر أعلمتِ البَرْدا
تَبَسَّمَ في مَجْرِيَّة[١٠] قد تَجَهَّمَتْ ... فما بَذَلَتْ وَصْلًا ولا ضَرَبَتْ وَعْدا
وراودَ منها فاركًا قد تَنَعَّمَتْ ... فأهوى لها نَصْلًا وهَدَّدها رَعْدا

(١) أَنْضَيْتُه: اختَبَرْتُه. التُّرُّهات: الأباطيل، واحدها تُرَّهَة. محيط المحيط (نضا) و(تره).
(٢) لبنى: معشوقة ابن ذريح.
(٣) في الأصل: «أنت»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «واخجلتي». (٥) في الأصل: «جلبة»، والتصويب من النفح.
(٦) في الأصل: «مديح»، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «صلى الله عليك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) القصيدة في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٦٥ - ١٦٩).
(٩) في النفح: «مُغْفلًا». (١٠) في النفح: «بحريّة».

فَحُلَّتُها[١] الحمراءُ من شَفَقِ الضُّحى ... نَضاها وحَلَّ المُزْنُ من جيدها عِقْدا
لكَ الله مِنْ بَرْقٍ كأنَّ وَمِيضَهُ ... يَدُ الساهرِ المَقْرورِ قد قَدَحَتْ زَنْدا
تعلَّمَ من سكَّانه شِيَمَ النَّدى ... فغادر أجْراع الحِمى روضةً تَنْدى
وتوَّجَ من نُوَّارها قُنَنَ[٢] الرُّبا ... وختَّم من أزهارها القُضُبَ المُلْدا
لسُرْعانَ ما كانتْ مناسِفَ للصَّبا ... فقد ضحكتْ زَهرًا وقد خجلتْ وَرْدا
بلادٌ عهدنا في قرارتها الصِّبا ... يقلُّ لذاك العهد أن يألَفَ العهدا
إذا ما النَّسيمُ اعتلَّ في عَرَصاتها ... تناولَ فيها البانَ والشِّيحَ والرَّنْدا
فكم في مجاني وِردها من علاقةٍ ... إذا ما اسْتُثِيرتْ أرضها أنْبَتتْ وَجْدا
إذا استشعَرَتْها النَّفسُ عاهدتِ الجَوى ... إذا ما الْتَمَحَتْها العَينُ عاقدتِ السُّهْدا
ومن عاشقٍ حُرٌّ إذا ما استماله ... حديثُ الهوى العُذْرِيِّ صَيَّره عَبْدا
ومن ذابِلٍ يحكي المحبِّين رقَّةً ... فيثني إذا ما هَبَّ عَرْفُ الصَّبا قَدًّا
سقى الله نَجْدًا ما نضَحْتُ بذِكرها ... على كَبِدي إلَّا وَجَدْتُ لها بَرْدا
وآنسَ قلبي فهو لِلْعَهدِ حافظٌ ... وقَلَّ على الأيام مَنْ يحفظ العَهْدا
صبورٌ وإن لم يَبْقَ إلَّا ذبالةٌ ... إذا اسْتَقْبلتْ مسْرى الصَّبا اشْتَعَلتْ وَقْدا
صبورٌ إذا الشَّوقُ استجادَ كتيبةً ... تجوسُ خِلالَ الصَّبرِ كان لها بَنْدا
وقد كنتُ جَلْدًا قبل أنْ يُذْهِبَ النَّوى ... ذَمائي وأنْ يستأصِلَ العَظْمَ والجِلْدا
أَأَجْحدُ حَقَّ الحُبِّ والدمعُ شاهدٌ ... وقد وقع التَّسجيلُ من بعد ما أدَّى؟
تناثر في إثر الحُمُول[٣] فريدُهُ ... فللّه عينا من رأى الجوهرَ الفَرْدا
جَرى يَقَقًا في ملعبِ الخدِّ[٤] أشْهَبًا ... وأجْهَده ركضُ الأسى فجرى وَرْدا
ومُرْتَحلٍ أجريتُ دَمْعيَ خَلْفَهُ ... ليرجعه فاستَنَّ في إثْره قصدا
وقلتُ لقلبي: طِرْ إليه برُقْعتي ... فكان حَمامًا في المسير بها هَدًّا
سرقْتُ صُواعَ العزم يومَ فراقه ... فلجَّ ولم يرقبْ صُواعًا[٥] ولا وُدًّا
وكَحَّلْتُ عيني من غُبار طريقه ... فأعْقَبَها دمعًا وأوْرثَها سُهْدا
إلى الله كم أُهدى بِنَجْدٍ وحاجرٍ ... وأُكْنى بدَعْدٍ في غرامي أو سُعْدى

---

(١) في الأصل: «فخلتها»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) القُنَن: جمع قنة وهي أعلى مكان في الجبل، وأراد بها هنا: المرتفعات. لسان العرب (قنن).
(٣) الحُمُول: الهوادج أو الإبل عليها الهوادج، الواحد حِمْل، والمراد هنا الأحباب الذين على الهوادج.
(٤) في الأصل: «الجدّ»، والتصويب من النفح. (٥) في النفح: «سُواعًا».

وما هو إلّا الشَّوقُ ثارَ كمينُه فأذهل نفسًا لم تُبِنْ عنده قَصْدا
وما بيَ إلّا أن سَرى الركبُ مُوهنًا وأعمل في رَمْل الحِمى النَّصَّ والوَخْدا
وجاشَتْ جنود الصَّبْر والبَيْنِ والأسى لديَّ فكان الصَّبْرُ أضعَفَها جُنْدا
ورُمْتُ نهوضًا واعتزمْتُ مودِّعًا فصدَّني المقدورُ عن وجهتي صَدًّا
رقيقٌ بَدَتْ للمشترين عيوبُهُ ولم تُلْتَفَتْ دعواه فاسْتَوجبَ الرَّدَّا
تخلَّف عنِّي ركْبُ طِيبةَ عانيًا أما آنَ للعاني المُعَنَّى بأنْ يُفْدى؟
مُخَلَّفُ سِرْبي[1] قد أُصيبَ جناحُه وطِرْنَ فلم يَسْطع مَراحًا ولا مغْدى
نشدْتُكَ يا ركبَ الحجاز، تضاءَلت لك الأرضُ مهما اسْتَعرض السُّهبُ وامْتَدَّا
وجَمَّ لك المَرْعى وأذعنتِ الصُّوَى ولم تفتقدْ ظلًّا ظليلًا ولا وِرْدا
إذا أنتَ شافهْتَ الدِّيارَ بطيبَةَ وجئتَ بها القَبْرَ المُقَدَّس واللَّحْدا
وآنسْتَ نورًا من جَناب محمدٍ يُجَلِّي القلوبَ الغُلْفَ[2] والأعْيُنَ الرُّمْدا
فَنُبْ عن بعيدِ الدار في ذلك الحِمى وأَذْرِ به دَمْعًا وعَفِّرْ به خَدًّا
وقُلْ يا رسولَ الله عبدٌ تقاصرتْ خُطاه وأضحى من أحِبَّته فَرْدا
ولم يستطعْ من بَعْد ما بَعُدَ المدى سوى لوعةٍ تعتاد أو مِدْحةٍ تُهْدى
تداركْهُ يا غوثَ العِبادِ برحمةٍ فجودُكَ ما أجْدَى وكَفُّكَ ما أنْدَى
أجار بك اللهُ العِبادَ من الرَّدى وبَوَّأهم ظلًّا من الأمْن مُمْتَدَّا
حمَى دينُكَ الدُّنيا وأقْطَعَكَ الرِّضا وتَوَّجَكَ العليا وألْبَسَكَ الحَمْدا
وطَهَّر منكَ القلبَ لمّا اسْتَخَصَّه فَجَلَّلَهُ نورًا وأوْسَعَهُ رُشْدا
دعاهُ فما ولَّى هَداهُ فما غَوى سقاه فما يظما، جلاه فما يَصْدا
تَقَدَّمْتَ مُختارًا، تأخَّرْتَ مُبْعثًا فقد شَمَلَتْ علياؤك القَبْل والبَعْدا
وعلّةُ هذا الكونِ أنت، وكلُّ ما أعاد وأنت[3] القَصْدُ فيه وما أبْدى
وهل هو إلّا مظهرٌ أنتَ سِرُّهُ ليمتاز في الخَلْق المُكبُّ من الأهْدى
ففي عالمِ الأسرارِ ذاتُكَ تَجْتَلي ملامحَ نورٍ لاحَ للطُّور فانْهَدَّا
وفي عالمِ الحسن[4] اغتَدَيتَ مُبَوَّأً لِتَشفي مَنِ اسْتَشفى وتَهْدي من اسْتَهْدى
فما كنتَ لولا أن ثَبَتَّ[5] هدايةً من الله مثلَ الخلق رسمًا ولا حَدّا

(١) في النفح: «سِرْبٍ».
(٢) في الأصل: «الغلق»، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «فأنت».
(٤) في النفح: «الحِسِّ».
(٥) في الأصل: «بُثَّتْ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

فماذا[١] عسى يُثني عليك مُقصِّرٌ ... ولم يألُ فيك اللهُ[٢] شكرًا ولا حمدا
بماذا عسى يجزيك هاوٍ على شَفًا ... من النار قد أسكنتَه[٣] بعدها الخُلْدا
عليكَ صلاةُ الله يا خيرَ مُرسَلٍ ... وأكرمَ هادٍ أوضح الحقَّ والرُّشْدا[٤]
عليكَ صلاة الله يا كاشفَ العَمى ... ومُذهِبَ ليل الشِّرْكِ[٥] وهو قد أرْبَدَّا
إلى كم أراني في البطالةِ كانعًا ... وعمريَ قد ولّى، ووزريَ قد عدَّا
تقضَّى زماني في لَعَلَّ وفي عسى ... فلا عزمةٌ تمضي ولا لوعةٌ تهدا
حُسامُ جبانٍ كلّما شِيمَ نَصْلُهُ ... تراجَعَ بعد العَزْمِ والتزمَ الغِمْدا
ألا ليت شِعري هل أرانيَ ناهدًا ... أقودُ القلاصَ البُدْنَ والضَّامِرَ النَّهْدا
رضيع لبان الصدق فوق شِمِلَّةٍ[٦] ... مُضَمَّرةٍ وُسِّدْتُ من كورها[٧] مَهْدا
فَتُهدي بأشواقي السُّراةَ إذا سَرَتْ ... وتُحدي بأشعاري[٨] الرِّكابُ إذا تُحدى
إلى أن أحُطَّ الرَّحْلَ في تُربك الذي ... تَضَوَّعَ نَدًّا ما رأينا له نِدًّا
وأُطْفِئَ في تلك الموارد غُلّتي ... وأحسِبَ قُرْبًا مُهجةً شَكَتِ البُعْدا
بمَوْلِدك[٩] اهتَزَّ الوجودُ فأشرقتْ ... قصورٌ ببُصْرى ضاءَت الهَضْبَ والوَهْدا
ومن رُعْبه الأوثانُ خَرَّتْ مهابةً ... ومن هوْله إيوانُ كِسْرى قد انْهَدَّا
وغاض له الوادي وصبَّحَ عِزُّهُ ... بيوتًا لنارِ الفرسِ أعْدمها الوَقْدا
رَعى الله منها ليلةً أطْلع الهُدى ... على الأرض من آفاقها القمرَ السَّعْدا
وأقْرَضَ مُلْكًا قام فينا بحقِّها ... لقد أحْرَزَ الفخرَ المؤثَّلَ والمَجْدا
وحَيًّا على شطِّ الخليج محلَّةً ... يحالف من ينتابها العِيشَةَ الرَّغْدا
وجاد الغمامُ العِدُّ فيها خلائقًا ... مآثرهم لا تعرفُ الحَصْرَ والعدَّا
عليًّا وعثمانَ[١٠] ويعقوبَ، لا عدا ... رضى الله ذاك النَّجْلَ والأبَ والجِدَّا
حَمَوا وهُمُ في حَوْمة البأس والنَّدى ... فكانوا الغُيوثَ المُسْتَهِلَّةَ والأُسْدا
ولله ما قد خَلَّفوا من خليفةٍ ... حَوَى الإرْثَ عنهمْ والوصيَّةَ والعَهْدا

---

(١) في الأصل: «فما»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في النفح: «الذكرُ مدحًا ولا حَمْدًا».
(٣) في النفح: «أوْرَدْتَه».
(٤) هذا البيت ساقط في النفح.
(٥) في النفح: «الرَّوْع».
(٦) في الأصل: «شَمْله»، والتصويب من النفح. والشِّمِلَّة: الناقة السريعة. لسان العرب (شمل).
(٧) الكور: الرحل، يريد أنه جعل كورها مَهْدًا ينام عليه. لسان العرب (كور).
(٨) في الأصل: «بأشعار»، والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «لمولدك».
(١٠) في النفح: «وعثمانًا».

إذا ما أراد الصَّعْبَ أغرى بِنَيْلِهِ صدورَ العوالي والمُطَهَّمَةَ الجُرْدا
فكم مُعْتَدٍ أردى وكم تائهٍ هَدى وكم حِكْمةٍ أخفى وكم نِعْمةٍ أبْدى
أبا سالمٍ، دينُ الإلهِ بك اعْتَلَى أبا سالمٍ، ظِلُّ الإلهِ بك امْتَدَّا
فَدُمْ من دِفاعِ الله تحت وقايةٍ كفاك بها أن تَسْحَبَ الحلَقَ السَّرْدا
ودونَكها مِنِّي نتيجةَ فكرةٍ إذا اسْتَرْشَحَتْ للنظم كانت صَفًا صَلْدا
ولو تركت مني الليالي صُبابةً لأجْهَدْتُها ركْضًا وأرْهَقْتُها شَدّا
ولكنه جَهْدُ المُقِلِّ على النَّوى[1] وقد أوْضَحَ الأعْذارَ مَنْ بَلَغَ الجَهْدا

ومن ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان الغني بالله بمحضري بالمشور الحافل، المُتَّخذ بعد الرجوع إلى الأندلس، في بعض ليالي المولد الكريم، المنوَّه بوليمتها، وهي خاتمة النَّظم في هذا الغرض المقتضى الإلمام، بمدح السلطان، صرف الله وجوهنا إليه[2]: [الخفيف]

ما على القلبِ بَعْدكمْ[3] من جُناحِ أن يُرى طائرًا بغير جَناحِ
وعلى الشَّوق أن يَشُبَّ إذا هَبَّ بأنفاسكم نسيمُ الصباح
جيرةَ الحيِّ، والحديثُ شجونٌ[4] والليالي تلينُ بعد الجِماح
أتَرَوْنَ السُّلُوَّ خامرَ قلبي بَعْدكم[5] لا وفالقِ الإصباح
ولَوَ أني أُعْطى اقتراحي على الـ ـأيام ما كان بُعْدُكم باقتراحي[6]
ضايَقَتْني فيكم صروفُ الليالي واستدارتْ عليَّ دَوْرَ الوِشاح
وسَقَتْني كأسَ الفراق دِهاقًا في اغْتِباقٍ مُواصَلٍ باصْطِباح[7]
واستباحَتْ من جِدَّتي وفَتائي[8] حَرَمًا لم أخَلْه بالمُسْتَباح
قصفتْ صَعْدةَ انتصاري وفلَّتْ غَرْبَ عَزْمي المُعَدِّ يوم كفاحي[9]

---

(١) في النفح: «المُقِلّ بَلَغْتُهُ».
(٢) بعض هذه القصيدة في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٢٣).
(٣) في الأصل: «القلب من بعدكم»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) أخذه من المثل: «الحديث ذو شجون» أي ذو فنون وأغراض. مجمع الأمثال (ج ١ ص ١٩٧) ولسان العرب (شجن).
(٥) في الأصل: «بعذلكم»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في الأصل: «باقتراحٍ»، والتصويب من النفح.
(٧) في النفح: «واصطباح». والكأس الدهاق: الممتلئة. محيط المحيط (دهق).
(٨) في الأصل: «وقبائي»، والتصويب من النفح.
(٩) في الأصل: «كفاح».

لم تَدَعْ لي من السلاحِ سوى مَغْـ ـفَرِ شَيْبٍ أهوى به من سلاح
عاجلْتني به وفي الوقت فضلٌ لاهتزازي إلى الهوى وارتياح
فكأنَّ الشباب طيفُ خيال أو وَمِيضٌ قمَّا عُقيب التماح
ليل أُنسٍ دَجى وأقصره ليلٌ جاذبتْ بُرْدُه يمين صباح
صاحَ والوَجْدُ مَشربٌ والورى صَفْـ ـوانِ من مُنْتَشٍ[1] وآخرَ صاحِ
يا ترى والنفوسُ أسْرَى الأماني[2] ما لها عن وَثاقِها من سَراح
هل يُباحُ الورُودُ بعد ذيادٍ؟ أو يُتاحُ اللقاءُ بعد انْتِزاح؟
وإذا أعوز الجسومَ التّلاقي نابَ عنه تعارفُ الأرواح[3]
جاءَ عهد الهوى من السُّحب هام مستهلُّ الوميض ضافي المَناح
كلّما أخْضَل الرُّبُوع بكاءً ضحكت فوقها تُغورُ الأقاحي[4]
عادني من تذكُّر العيد عيدٌ كان منّي للعين عيد الأضاحي[5]
سُفِحَتْ فيه للدموعِ دمًا فهي فوق الخدود ذات انْسياح
ورِكابٌ سَرَوْا وقد شَمَل الليـ ـلُ بمَسْح الدُّجَى جميع النَّواحي[6]
وكأنَّ الظَّلام عَسْكر زنجٍ ونجوم الدُّجى نُصول الرِّماح
حَمَلَتْ منهُمُ ظهور المطايا أيَّ جدٍّ بَختٍ وعَزْمٍ صراح
ستروا الوَجْد وهو نارٌ وكان الـ ـسِتْر يُجدي لولا هُبوبُ الرِّياح
خلّفوني من بعدهمْ يائسَ الطَّرْ فِ ثقيلَ الخطا مهيضَ الجناح
وجدوها مثل القِسيِّ ضُمورا قد بَرَتْ منهُمُ سِهامُ قِداحي
وطوَوا طوع باعث الوجد والشَّو ق إلى الأبْطَحيِّ غير البِطاح
مصطفى الكون من ظهور النَّبِيِّـ ـنَ هُداة الأنام سُبُل الفَلاح
حُجَّة الله حكمةُ الله سرُّ الـ ـلَّه في كل غاية وافْتِتاح
حاشِرُ الخلق عاقِبُ الرُّسُل المُثْـ ـبِتُ بالله بعدهم والْمَاحي[7]
صاحبُ المعجزاتِ لا يَتَمارى الـ ـعَقْلُ في آيٍ للحسانِ صِحاحِ
من جَماد يَقرا وقَمْرٍ يُشَقُّ ومن الماءِ من بَنان الرَّاح

---

(١) في الأصل: «منتشرٍ»، وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في النفح: «أمانٍ».
(٣) لهنا فقط ورد في نفح الطيب، وجاء فيه: «وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ما ذكرته».
(٤) في الأصل: «الأقاحِ». (٥) في الأصل: «الأضاحِ».
(٦) في الأصل: «النواحِ». (٧) في الأصل: «والماحِ».

دعوة الأنبياءِ منتظر الكَوْ نِ ودَعْوى البشير باستفتاح
مظهِر الوَحْي مُطْلع الحقّ مَعْنَى الـ ـخلق فتحُ المُهيْمن الفتَّاحِ
أيُّ غَيْثٍ من رحمة الله هامٍ وسراج بِهَدْيِهِ وَضَّاح
ما الذي يشرح امرؤٌ في رسولٍ عاجلَ اللهُ صَدْرَهُ بانْشِراح؟
شَقَّه الروح ثم طَهَّر منه الـ ـقلْب من بَعْدُ بالبُرود القَراح
مَدَحتْكَ الرُّسْلُ أيا[1] خاتمَ الرُّسْـ ـلِ فمن لي بعدَها بامْتِداح؟
ولعَجْز النفوس عن دَرَك الحَقْ قِ وإيقافها وقوف افتِضاح
صلواتُ الإلـٰهِ يا نُكْتَةَ الكَوْ نِ على مَجْدِك اللُّباب القَراح
عددُ القُطْر والرِّمال وما عاقبٌ دَهْرَ غَدْوِهِ بِرَواح
وجزاك الإلـٰه أفضل ما يُجْـ ـزى كرامُ الأئمَّة النُّصَّاح
أَسَفِي كم أرى طريد ذنوب أوبقَتْني فليس لي من براح
قد غزَتْني الخطوب غزْو الأعادي وبرَتْني الهمومُ بَرْيَ القِداح
سبق الحكم واستقَلَّ وهل يُمْـ ـحى قضاءٌ[2] قد خُطَّ في الألواح؟
لا لدنيا جنَحْتُ أَلْهُو[3] فيها لا لدين خَلَصْتُ لا لِصَلاح
قاطعًا في الغُرور بُرْهة عُمْري خَسِرَتْ صَفْقَتي وخابَ قِداحي[4]
طمع الشَّيب باللِّجام المُحَلَّى حين أبديت أن يُرَدَّ جِماحي[5]
فأبتْ نفسيَ اللَّجُوج وجدَّتْ في سموٍّ إلى الهوى وطِماح
يا طبيبَ الذنوب تدبيرك النا جع في عِلَّتي ضَمِين النَّجاح
يا مُجَلِّي العَمى وكافي الدَّواهي ومداوي المَرْضى وآسِي الجراح
سُدَّ بابُ القبول دُوني وما لي يا غِياثي سِواك من مِفتاح
خصَّك الله بالكمال وزَنْد الـ ـكون لم تقترن بكفٍّ اقتداح
قبل أن يُوجد الوجود وأن يَنْـ ـحف بالنُّور ظُلمة الأشباح
وأضاءَت من بعد ميلادك الأرْ ضُ وهُزَّتْ له اهْتِزازَ ارتياحِ
فسرَى الخَصْب في الجُسوم الهزالى وجرى الرِّسْل في الضُّروع الشحاحِ
ولقد رُوعيتْ لديه حقوقٌ أقطَعَتْها العدا جناب اطِّراح

(١) في الأصل: «يا»، وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «قضًا»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «ألغُ»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «قداحِ». (٥) في الأصل: «جماحِ».

لمعالي محمد بن أبي الحَجْـ جاجِ لَيثُ العِدا وغَيثُ السَّماح
ناصرُ الحقِّ مُرسل النَّفع سُحْبا بين سُمْر القَنَا وبيض الصِّفاح
ومُريد الجياد أرض الأعادي وَهي مُختالةٌ لِفَرْط المراح
يَتلاعَبْن بالظِّلال عِرابًا غُذِّيت في الفَلا لِبان اللِّقاح
يا سراجَ النَّادي وحَتْفَ الأعادي وعمادَ الملك الكريم المنَّاح
جمع الله من حُلَى آل عبَّا س لعلياك في سبيل امْتِداح
بين رأيٍ مُوفَّقٍ واعتزام مُشْتَعين وصارمٍ سفَّاح
وخَفَضْتَ الجَناح في الأرض حتى لم تَدَعْ فوق ظَهْرَها من جُناح
أنت مصباحُها ونور دُجاها دافَع الله عنك من مِصباح
محّص الله منك ياقُوتَة المُلْـ كِ ويُنْبُوع العدل والإصلاح
بخطوب أرثَ حديثَ سليمـ ـنَ وجاءَت بالحادث المُجْتاح
بِيَدَيْ فاقِدِ الحجا هَلْهَلَ النَّسْـ ج أخِي جرأة وربِّ اجْتِراح
نال منها عُقْبى مُسيْلَمة الكذْ ذاب إذ عانَدَ الهوى وسِجاح
ثم ردَّ الأُمورَ ردًّا جميلا لك[1] مِنْ بَعْدِ فرقةٍ وانْتِزاح
فأْجْرِهِ في الوَرى الجميل وعامل منه كَنْز الغِنى ومَثْوى الرِّياح
واشْتَرِ الحَمْدَ بالمواهب واعْقِدْ عِقْدَها في مِطنَّة الأرياح
بركاتِ السَّماءِ تَبْتَدر الأر ضَ إذا استُودِعَتْ بذُور السَّماح
وتهنَّأْ منه[2] بُدنْيا سعيدًا جاءَ للمغْلُوات وِفْقَ اقتراح
وتَمَتَّعْ منه بهالةِ مُلْكٍ أطْلَعَتْ منك أيَّ بَدْرٍ لِياح
مَشْوَرُ[3] الرَّأي مجمعُ الحَفْلِ مَثْوى كلِّ ذمْرٍ[4] وسيِّدٍ جحْجاح
ومُقامُ السَّلام في مدة السِّلْـ مِ وغابُ الأُسُود يوم الكفاحِ
مُلْتَقى حِكْمَةٍ وملعبُ إلْها مِ ومَغْنى السُّرورِ والأفْراح
أين كسرى وأين إيوان كسرى؟ لَا يُغَلُّ[5] الخِضَمُّ بالضَّحْضاح[6]

---

(١) في الأصل: «لكن»، وهكذا ينكسر الوزن. (٢) كلمة «منه» ساقطة في الأصل.
(٣) في الأصل: «منشور»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «كل ذي ذمرٍ...»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «يُغَلِّس»، وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.
(٦) غَلَّ: جرى. والخِضَمّ: البحر الكثير الماء. والضَّحْضاح: الماء اليسير. يقول: إنّ البحر لا يجري بماء يسير. محيط المحيط (غلل) و(خضم) و(ضحضح).

أين نور الأبْدانِ مِنْ عُنْصر النا ... رِ إذا ما اعتبرْتَهُ يا صاح
بِنْيةٌ كان فضلها لك مَذْخو ... رًا كزهرِ الرِّياض في الأدواح
حين طاب الزَّمان واعتدل الفَصْـ ... ـلُ اسْتَجَدَّتْ وبادَرَتْ بافتتاح
هاكَها قد تتوَّجَتْ بالمعاني ... واكْتَسَتْ حُلَّة اللُّغات الفِصاح
حين غاض الشَّبابُ وارْتَجَعَ الفِكْـ ... ـرُ وضاقَ الخَطْوُ العريضُ السَّاح
جَهْدُ قلْبٍ لَفِقْتُ[1] بعد جهاد ... نقطةً من قُلَيْبه المُمْتاح
ومعاني البيان مَنَّ عِذاري ... لا يُبِخ[2] للشُّيوخ عَقْدَ نِكاح
مَعَ شيخٍ[3] سوى الرجوع إلى اللَّـ ... ـه ونَجْوى أهل التُّقى والصَّلاح
ولزومُ الباب الذي يَجْبُرُ الكَسْـ ... ـرَ وَوصْلُ السؤال والإلحاح
وعلى ذاك[4] فَهْيَ ساحرةُ الأحْـ ... ـداقِ تَسرْيِّ بكلِّ خُودٍ رداح
تنفثُ السِّحر في الجفون وتهدي ... طُرر الحُسْن في الوجوه المِلاح
دُمْت في عزَّة ورفعةِ قدْرٍ ... بين مَغْدًى موفَّقٍ ومَراح
ما تولَّت دُهْمِ الدُّجنَّة غذْوًا ... وجَرَتْ خلفهن شُهْبُ الصَّباح

ومن غرض الأمداح قولي في امتِداح سلطان المغرب أبي عنان، لما توجَّهتُ إليه رسولًا، مُحَمَّلًا مصالح البلاد والعِباد، واسْتَدْعى الشعر مني فقلت[5]: [الكامل]

أبْدى لداعي الفوزِ وَجْهَ مُنيبِ ... وأفاقَ مِنْ عذْلٍ ومن تأنِيبِ
كَلِفُ الجنانِ إذا جرى ذكْرُ الحِمى ... والبانِ حَنَّ له حنينَ النِّيبِ[6]
والنَّفْسُ لا تنفكُّ تَكْلِفُ بالهوى ... والشَّيبُ يلحظُها بعين رقيبِ
رَحلَ الصِّبا فَطَرَحْتُ في أعقابه ... ما كان من غَزَلٍ ومن تَشْبِيب
أترى التَّغزُّلَ بعد أن ظَعَنَ الصِّبا ... شأني الغَداةَ أو النَّسيبَ نسيبي[7]؟
أنَّى لمثلي بالهوى من بعد ما ... لِلْوخْط في الفَوْدينِ أيُّ دَبِيب
لبسَ البياضَ وحَلَّ ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ ... منِّي ووالى الوَعْظَ فِعْلَ خَطيب

---

(١) في الأصل: «لفَقْتُه»، وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «يُبْجِن»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «والشيخ»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «ذلك»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٥) القصيدة في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٦٩ ـ ١٧٤).
(٦) النِّيب: جمع ناب وهو الناقة المسنّة، وهي مضرب المثل في الحنين.
(٧) في الأصل: «نسيب»، والتصويب من النفح.

قد كان يَسْترني ظلامُ شَبِيبتي ... والآن يفضحني صباحُ مَشيبي[١]
وإذا الجديدانِ[٢] استجدًا أبْلَيا ... من لبسةِ[٣] الأعمارِ كلَّ قَشِيبِ
سَلْني عن الدهر الخؤونِ وأهلِهِ ... تَسَلِ المُهَلَّبَ عن حروبِ شَبِيب[٤]
مُتَقَلِّبُ الحالاتِ فاخْبُرْ تَقْلهُ ... مهما أعذتَ يدًا إلى تقليب
فَكِلِ الأُمورَ إذا اعْتَرَتْكَ لربِّها ... ما ضاقَ لُطْفُ الرَّبِّ عن مَرْبُوب
قد يَخْبَأُ المحبوبَ في مكروهها ... مَنْ يَخْبَأُ المكروهَ في المحبوب
واصْبِرْ على مَضَضِ الليالي إنها ... لَحَواملٌ سَيَلِدْنَ كلَّ عجيب
واقْنَعْ بِحَظٍّ لم تَنَلْهُ بحيلةٍ ... ما كلُّ رام سَهْمُهُ بمُصِيب
يقع الحريصُ على الرَّدى ولكم غدا ... تَرْكُ التَّسبُّب أنفعَ التَّسْبيب
مَنْ رامَ نيلَ الشيءِ قبل أوانه ... رامَ انتقالَ يَلَمْلَم[٥] وعَسِيب
فإذا جَعَلْتَ الصبرَ مفْزِعَ مُعْضِل ... عاجلْتَ عِلَّتَهُ بطبِّ طبيب
وإذا استعنْتَ على الزمان بفارس[٦] ... لَبَّى نداءَك منه خيرُ مُجيب
بخليفة الله الذي في كَفِّه ... غيثٌ يُرَوِّضُ ساحَ كلِّ جَديب
المُنْتَقى من طِينَةِ المَجْدِ الذي ... ما كان يومًا صِرْفُهُ بِمَشُوب
يرمي الصِّعابَ بِسَعْده[٧] فيقودها ... ذُلُلًا على حَسَبِ الهوى المرغوبِ
ويرى الحقائقَ من وراءِ حجابها ... لا فَرْقَ بين شهادةٍ ومَغِيب
من آلِ عبد الحقِّ حيث توشَّحَتْ ... شُعَبُ العُلى ورَبَتْ بأيِّ كَثِيب
أُسْدُ الشَّرى سُرُجُ الورى فمقامهم ... لله بين محاربِ وحُروب
إمّا دَعا الداعي وثَوَّبَ صارخا ... ثابُوا وأَمُّوا حَوْمَةَ التَّثويب
شهبٌ ثواقبُ والسماءُ[٨] عَجاجة ... مأثورها قد صحَّ بالتَّجريب
ما شئتَ في آفاقها من رامحٍ ... يبدو وكفٌّ بالنَّجِيع خَضِيبِ
عجِبَتْ سيوفُهُمُ لشدّة بأسهم ... فتبسَّمَتْ والجوُّ في تَقْطِيب

(١) في الأصل: «مشيب»، والتصويب من النفح.
(٢) الجديدان: الليل والنهار. القاموس المحيط (جدد).
(٣) في الأصل: «لبسته»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) المهلب: هو المهلب بن أبي صفرة، الذي قاتل الخوارج في عهد عبد الملك. وشبيب: هو أحد زعماء الخوارج.
(٥) في الأصل: «بلملم»، والتصويب من النفح. (٦) فارس: هو السلطان أبو عنان.
(٧) في النفح: «بصعبه». (٨) في النفح: «في سماءِ».

نُظموا بِلَبَّاتِ العُلا واسْتَوْسقوا كالرُّمْحِ أنْبُوبًا على أنْبُوب
تَرْوي العوالي في المعالي[١] عنهمُ أثرَ النَّدى المولودِ والمكسوب
عن[٢] كلِّ موثوقٍ به إسْنادُهُ بالقَطْعِ أو بالوَضْعِ غير مَعيب
فأبو عنانٍ عن عليٍّ نَصُّهُ للنَّقلِ عن عثمانَ عن يعقوب
جاءُوا كما اتَّسَقَ الحسابُ أصالةً وغدوا فَذالِكَ[٣] ذلكَ المكتوبِ
مُتَجَسِّدًا مِنْ جوهرِ النور الذي لم تُزمَ يومًا شَمْسُه بغروب
مُتألِّقًا من مطلعِ الحقِّ الذي هو نورُ أبصارٍ وسِرُّ قلوب
قُلْ للزمان وقد تَبَسَّمَ ضاحكًا مِنْ بَعْدِ طولِ تَجَهُّمٍ وقُطوب
هي دعوةُ الحَقِّ التي أوضاعُها جَمَعَتْ من الآثارِ كلَّ غريبِ
هي دعوةُ العدلِ الذي شمل الورى فالشَّاةُ لا تَخْشى اعتداءَ الذِّيب
لو أنَّ كِسْرى الفُرْسِ أدرك فارسًا ألقى إليه بتاجِهِ المَغْصُوب
لَمَّا حللْتُ بأرْضِهِ مُتَمَلِّيًا[٤] ما شِئْتَ من برٍّ ومن ترحيب
شَمَلَ الرِّضا فكأنَّ كلَّ أقاحةٍ تُومي بثغرٍ للسلام شَنِيب
وأتيتُ في بحر القِرى أُمَّ القرى حتى حَطَطْتُ بمرفإِ التقريب
فرأيتُ أمر[٥] الله من ظلِّ التُّقى والعدل تحت سُرادقٍ مَضْروب
ورأيتُ سيفَ الله مَطْرورَ الشَّبا[٦] يمضي القضاءُ بحدِّه المرهوب
وشهدتُ نور الحقِّ ليس بآفلٍ والدِّينَ والدُّنيا على تَرْتِيب
ووردْتُ بحرَ العلمِ يقذفُ مَوْجهُ للناس مِنْ دُرَرِ الهدى بِضُروب
لله مِنْ شِيَمٍ كأزهارِ الرُّبى غِبَّ انْثِيالِ العارضِ المسْكوب
وجمالِ مَرْأىً في رداءِ مَهابةٍ كالسيفِ مصقولِ الفِرِنْدِ مَهيب
يا جَنَّةً، فارقْتُ من غُرفاتها دارَ القرار بما اقْتَضَتْه ذنوبي[٧]

---

(١) في النفح: «والمعالي». (٢) في النفح: «من».
(٣) في الأصل: «فذلك» والتصويب من النفح. والفذالك: جمع فذلكة وهي محصّل الحساب. محيط المحيط (فذلك).
(٤) في النفح: «مستمليًا». (٥) في النفح: «أمْنَ الله في ظلِّ...».
(٦) المطرور: المشحوذ؛ يقال: طرّ السكين إذا شحذها وحدَّدها. والشبا: جمع شباة وهي الرمح. لسان العرب (طرر) و(شبا).
(٧) في الأصل: «ذنوب»، والتصويب من النفح.

أسفي على ما ضاع من حَظّي بها لا تنقضي تَرَحاتُهُ ونَحيبي[(١)]
إنْ أشْرَقَتْ شمسٌ شَرقَتْ بِعَبْرتي وتفيضُ في وقت الغروبِ غروبي[(٢)]
حتى لقد عَلِّمْتُ ساجعةَ الضُّحى شَجْوي وجانِحَةَ الأصيلِ شُحوبي[(٣)]
وشهادةُ الإخلاص توجبُ رَجْعتي لنعيمها من غير مسِّ لُغوب
يا ناصرَ الدين الحنيفِ، وأهْلهُ إنضاءُ مَسْغَبَةٍ وفَلُّ خطوب
حَقِّقْ ظُنونَ بنيهِ فيكَ فإنهمْ يَتَعَلَّلُونَ بوَعْدِكَ المرقوب
ضاقتْ مذاهبُ نَصْرهمْ فتعلَّقوا بجناب عِزٍّ مِنْ عُلاكَ رحيبِ
ودَجا ظلامُ الكُفْر في آفاقهم أوَلَيْسَ صُبْحُكَ مِنْهُمُ بقريب[(٤)]؟
فانظرْ بعينِ العِزَّ مِنْ ثَغْرٍ غَدا حَذَرَ العِدا يَرْنو بطرفِ مُريب
نادَتْكَ أنْدَلُسٌ ومَجْدُكَ ضامِنٌ أن لا تَخِيب لديك في مَطْلوب[(٥)]
غَصَبَ العدوُّ بلادَها وحُسامك الماضي الشَّبا مُسْتَرْجِعُ المَغْصُوبِ
أرها[(٦)] السَّوابحَ في المجاز حقيقةً من كلِّ قعدةِ مُحْرَبٍ وجَنيب
يَتَأوَّدُ الأسَلُ المُثَقَّفُ فَوْقَها وتُجيبُ صاهلةٌ رغاءَ نجيب[(٧)]
والنَّصْرُ يُضحكُ كلَّ مَبْسَمِ غرَّةٍ والفتح[(٨)] مَعْقُودٌ بكلِّ سَبِيب
والرُّومُ فازم بكلِّ نَجْمٍ ثاقبٍ يُذْكي بأرْبعِها شُواظَ لَهيب
بذمايل[(٩)] السُّلُبِ التي تركَتْ بني زيَّانَ بين مُجَدَّلٍ وسليب
وأضِفْ إلى لام الوغى ألِفَ القنا تَظْهَرْ لديك علامةُ التَّغليب
إن كنتَ تَعْجُمُ بالعزائم عُودَها عودُ الصَّليبِ اليومَ غيرُ صَليب
ولكَ الكتائبُ كالخمائلِ أطلعتْ زهرَ الأسنَّة فوق كلِّ قضِيب
فَمُرَنَّحُ العِطْفينِ لا من نشوةٍ ومُوَرَّدُ الخَدَّين غيرُ مُريبِ
يبْدو سَدادُ الرأي في راياتها وأمورها تجري على تَجْريب

---

(١) في الأصل: «ونحيب»، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «غروب»، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «شحوبِ»، والتصويب من النفح.
(٤) أخذ عجز البيت من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ سورة هود ١١، الآية ٨١.
(٥) في النفح: «أن لا يخيب لديك ذو مطلوب». (٦) في النفح: «أرضٍ».
(٧) الأسل: الرماح. المُثَقَّف: المُقَوَّم المعدّل. الصاهلة: الخيل. لسان العرب (أسل) و(ثقف) و(صهل).
(٨) في النفح: «واليُمْنُ». (٩) في النفح: «بذوابل».

وترى الطُّيورَ عصائبًا من فوقها لحلُولِ يوم في الضَّلال عَصِيب

هـذَّبتَـهـا بـالـعـرْض يُـذْكِـرُ يـومُـهُ عَرْضَ الورى للموعدِ المَكْتُوب

وهي الكتائب إن تُنوسيَ عَرْضُها كـانـت مُـدَوَّنَـةً بـلا تـهـذيـب[1]

حتى إذا فَرَضَ الجلادُ جلاده[2] ورأيتَ ريحَ النَّصر ذاتَ هُبوبِ

قَـدَّمْـتَ سـالِـبَـةَ الـعـدوّ وبـعـدهـا أُخرى بعزِّ النَّصْرِ ذاتَ وجُوبِ[3]

وإذا توسَّط نَصْلُ[4] سيفك عندها جُزْأَيْ قِياسِك فُزْتَ بالمطلوبِ

وتَـبَـرَّأَ الـشَّـيـطـانُ لـمّـا أنْ عـلا حِزْبُ الهدى من حزبه المغلوب

الأرضُ إرْثٌ والـمـطـامـعُ جَـمَّـةٌ كلٌّ يَهَشُّ إلى التماس نَصِيب

وخـلائـفُ الـتَّـقْـوى هُـمُ ورَّاثُـهـا فإليكها[5] بالحظِّ والتَّعْصيب

لـكـأنَّني بكَ قد تركتَ ربُوعَها قفرًا بكرِّ الغَزْو والتَّعقيب[6]

وأقـمْـتَ فـيـهـا مـأتَـمًـا لـكـنَّـه عِرْسٌ لـنـسـرٍ بـالـفَـلاة وذِيـب

وتـركْـتَ مُـفْـلِتَـهـا بقلبٍ واجبٍ رَهَبًا وخدٌّ بالأسى مَنْدوب[7]

تَـبْـكـي نـوادبُـهـا ويـنْـقـلْنَ الـخُـطـا من شِلْو طاغيةٍ لِشلْوِ صَليب[8]

جعلَ الإلـٰهُ البيْتَ منكَ مَثابَةً للعاكِفينَ وأنتَ خيرُ مُثيب

فـإذا ذكـرْتَ كـأنَّ هَـبَّـاتِ الـصَّـبـا قَضَتْ بمدْرجها لَطِيمةَ[9] طِيب

لولا ارتباطُ الكوْنِ بالمعنى الذي قَصُرَ الحِجا عن سِرِّه المحجوب

قُـلْـنـا لـعـالـمِـكَ الـذي شـرَّفـتـه حَسَدَ البَسِيطُ مزيَّةَ التركيب

ولأجلِ قُطْركَ شَمْسُها ونُجومُها عدلتْ عن التَّشريق للتَّغريب

تـبـدو بـمـطـلع أُفْـقِـهـا فِـضِّـيَّـةً وتغيبُ عندك[10] وهي في تَذْهيب

مـولايَ، أشـواقـي إلـيـكَ تَـهُـزُّني والنَّارُ تفضحُ عَرْفَ عُودِ الطِّيب

---

(١) يشير إلى المدونة في الفقه المالكي، وإلى تهذيب المدونة للبرادعي.

(٢) في النفح: «جداله».

(٣) ترتيب هذا البيت في نفح الطيب قبل البيت السابق. وفي هذا البيت إشارات إلى المصطلح المنطقي.

(٤) في النفح: «وصل».

(٥) في النفح: «وإليكها»، والتصويب من النفح.

(٦) التعقيب: العودة ثانية. لسان العرب (عقب).

(٧) واجب: خافق مضطرب. ومندوب: مجروح. لسان العرب (وجب) و(ندب).

(٨) في النفح: «سليب».

(٩) اللطيمة: وعاء الطيب أو قافلة تحمل طيوبًا. لسان العرب (لطم).

(١٠) في الأصل: «عنك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

بِحُلَى عُلاكَ أطلْتُها وأطَبْتُها ... ولكم مُطيلٍ وهو غيرُ مُطِيب
طالبتُ أفكاري بفرْض بديهها ... فَوَفَتْ بشرطِ الفَوْرِ والتَّرْتيبِ
مُتَنبِّىءٌ[1] أنا في حُلا تلك العُلا ... لكنَّ شِعري فيكَ شعرُ حبِيبِ
الطَّبْعُ[2] فحلٌ والقريحةُ حُرَّةٌ ... فاقْبَلْهُ بين نَجِيبةٍ ونَجِيب
لكنَّني سَهَّلْتُها وأذَلْتُها ... من كلِّ وَحْشِيّ بكلِّ رَبيب[3]
هابَتْ مقامكَ فاطَّبَيْتَ صعابها ... حتى غَدَتْ ذُلُلًا على التَّذريب
إن كنتُ قد قاربْتُ في تعديلها ... لا بُدَّ في التَّعديل من تقريب[4]
عُذْري لتقصيري وعجزي ناسخٌ ... ويجلُّ منكَ العفوُ عن تَثْريب
مَنْ لم يَدِنْ لله فيكَ بقُرْبةٍ ... هو من جنابِ الله غيرُ قريبِ
والله ما أخفيتُ حبَّك خيفةً ... إلّا وأنفاسي عليَّ تَشِي بي[5]

وقولي في امتداح سُلطاني لما احتفل لإعْذار[6] ولَدِه، واستَرْكب الفُرسان لمُزَاملة الهدف الخَشبي المُتَّخذ في الجو المسمّى بالطُّبلة، وأرسل جوارح الأَكْلُب الضخام، المُجْتلبة من أرض ألان، خلف فحول البقر الطَّاغية الشَّرس، تمسُكها من آذانها وأجْنابها، حتى تتمكن منها الرِّجال، وغير ذلك من أوضاع الإعْذار وجُزْئيَّاته. وهي آخر الشِّعر في هذا الغرض، لخجَل السلطان من تنزُّلي إلى ذلك، وترْفِيهي عنه تَجِلّة، أجلَّه الله، وكرَّمه لديه[7]: [الطويل]

شَحَطْتُ وَفَوْدُ الليلِ بانَ به الوَخْطُ[8] ... وعَسْكَرُهُ الزِّنجيُّ هَمَّ به القبْطُ
أتاه وليدُ الصُّبْح من بعد كَبْرةٍ ... أيُوْلَدُ أجْنَى[9] ناحِلُ الجسم مُشْمَطُّ؟
كأنَّ النجومَ الزُّهْرَ أعشارُ سَوْرَةٍ ... ومن خَطَراتِ الرَّجْمِ أثناءَها مَطُّ

---

(١) في الأصل: «متبِّئ»، والتصويب من النفح.
(٢) في النفح: «والطبع».
(٣) ترتيب هذا البيت في نفح الطيب بعد البيت التالي. والوحشي: أي اللفظ الوحشيّ. والربيب: المربوب، أي المألوف. لسان العرب (وحش) و(ربب).
(٤) التعديل والتقريب مصطلحا الحساب والفلك. (٥) هذا البيت ساقط في النفح.
(٦) الإعذار: مصدر أعذر؛ يقال عذر الغلامَ وأعذره إذا ختنه. محيط المحيط (عذر).
(٧) القصيدة في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٧٤ - ١٧٨).
(٨) شَحَطْتُ: نأيْتُ. والفَوْدُ: معظم شعر الرأس. والوَخْط: الشيب. لسان العرب (شحط) و(فود) و(وخط).
(٩) الأجنى والأجنأ: الأحدب؛ يقال: جنىء الرجل يجنأ إذا حَدِبَ، لغة في المهموز. محيط المحيط (جنىء) و(جنأ).

وقد وَرِدَتْ نهرَ المجرَّةِ سَخْرَةً غوائصَ فيه مثلما تَفْعَلُ البَطُّ
وقد جعلتْ تَفْلي بأنْمُلِها الدُّجى[١] ويُرسلُ[٢] منها في غدائِره مِشْطُ
يحفُّ[٣] عُبابُ الليل عنها جواهرَ[٤] فيكثر فيها النَّهْب لِلْحينِ واللَّقْطُ
فعادتْ[٥] خيالًا مثلها، غير أنّه من البثِّ والشكوى يَبينُ له لَغْطُ
سَرَتْ سَلْخَ شهرٍ في تَلَفُّتِ مقلةٍ على كثبٍ[٦] الأحلام تَسْمُو وتَنْحطُّ
لِيَ الله مِنْ نَفْسٍ شَعاعٍ ومُهْجةٍ إذا قُدِحَتْ لم يَخْبُ من زَنْدها سَقْط
ونُقْطةِ قلبٍ أصبحتْ مَنْشَأَ الهوى وعن نُقْطةٍ مَفْروضةٍ يَنْشأُ الخَطُّ[٧]
فأُقْسِمُ لولا زاجرُ الشَّيب والنُّهى ونَفْسٌ لغيرِ اللهِ ما خضعتْ قطُّ
لَرِيعَ لها الأخراسُ منّي بطارقٍ مفَارِقُهُ شَمْطٌ وأسيافُهُ شُمْط
تناقله كوماءُ[٨] ساميةُ الذُّرى ويَقْذِفُهُ شهمٌ من النِّيق مُنْحَطُّ
ولولا النُّهى لم تَسْتَبِنْ[٩] سُبُلُ الهدى وكاد وِزانُ الحَقِّ يُدْرِكُهُ الغِمْطُ
ولولا عَوادي الشَّيبِ لم يَبْرَحِ الهوى يُهيِّجه نوءٌ على الرَّمْل مُخْتَطُّ
ولولا أميرُ المسلمين محمدٌ لهالَتْ بحارُ الرَّوع واحتَجَبَ الشَّطُّ
ينوبُ عن الإصباح إنْ مَطَلَ الدُّجى ويَضْمَنُ سُقْيا السَّرْح إن عَظُمَ القَحْط
تُقِرُّ له الأملاكُ بالشِّيَمِ العُلا إذا بُذِلَ المعروفُ أو نُصِبَ القِسْط
أرادُوه فارتدُّوا وجارُوه فانْثَنوا وسامُوه في مَرْقى الجلالة فانحطُّوا[١٠]
تَشُرُّ[١١] على المُدّاح غُرُّ خِلالِه وما رسموا فوق الطُّروس وما خَطُّوا[١٢]
تَعَلَّمَ منه الدهرُ حالَيْه في الوَرى فآونةً يَسْخُو وآونةً يَسْطُو[١٣]

---

(١) في النفح: «الفلا».
(٢) في الأصل: «وترسلُ»، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «يشفُّ».
(٤) في النفح: «جواهرًا».
(٥) في النفح: «فسارتْ».
(٦) في النفح: «قَتَب».
(٧) يُظْهر ابن الخطيب شيئًا من معارفه في الهندسة، كما أظهر استخدامه لمعارفه في الشعر.
(٨) الكوماء: الناقة العالية السنام. لسان العرب (كوم).
(٩) في النفح: «تَسْتَهِنْ».
(١٠) في الأصل: «فانحطُّ»، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «تُبِرُّ».
(١٢) في الأصل: «وما خَطُّ»، والتصويب من النفح.
(١٣) في الأصل: «يَسْطُ»، والتصويب من النفح.

ويجمعُ[١] بين القبْض والبَسْط كَفُّه ... بحكمةِ مَنْ في كَفِّه القَبْضُ والبَسْطُ
خلائق قد طابَتْ مَذاقًا ونَفْحَةً ... كما مُزِجَتْ بالباردِ العَذْبِ إسْفَنْطُ[٢]
أسِبْطَ الإمام الغالبيِّ محمدٍ ... ويا فَخْرَ ملكٍ كنتَ أنت له سِبْطُ
وَقَتْكَ أواقي اللهِ مِنْ كلِّ غائلٍ ... فأيُّ سِلاحٍ ما المِجَنُّ وما اللَّمْطُ[٣]
لقد زلزلتْ منكَ العزائمُ دولةً ... أناخَتْ على الإسلام تَجْنِي وتَشْتَطُّ
إيالَةُ غَدْرٍ ضعضع[٤] اللهُ رُكْنَها ... ونادى بأهْلِها[٥] التَّبارُ فلم يُبْطُوا[٦]
على قَدَرٍ جلّى بكَ اللهُ بؤسها ... ولا يكملُ البُحْرانُ أو ينضجَ الخلط
وكانوا نعيمَ الجَنَّتَينِ تفيّأوا ... ولمَّا يَقَعْ منها النزولُ أو الهبْطُ[٧]
فقد عُوِّضوا بالأثلِ والخمطِ بعدها ... وهيهاتِ أينَ الأثلُ منهمْ[٨] أو الخمْط
فمن طائحٍ فوقَ العَراءِ مُجَدَّلٍ ... ومن راسفٍ في القَيْدِ أرْهَقَهُ الضغط
أنَمْتَ على مَهْدِ الأمانِ عيونَها ... فيُسْمَعُ من بعد السُّهاد لها غَطُّ
وصَمَّ صدى الدنيا فلمّا رَحِمْتَها ... تزاحَمَ مرتادٌ عليها ومُخْتَطُّ[٩]
وألْحفَ[١٠] منكَ اللهُ أُمَّةَ أحمدٍ ... أمانًا كما يضْفُو على الغادة المَرْطُ
وأحكمْتَ عَقْدَ السِّلم لم تَألُ بعده ... وجاءَ فصحَّ العقدُ واسْتوثقَ الرَّبْط
وأيْقَنَ مرتابٌ وأصحبَ نافرٌ ... وأذعنَ مُغتاصٌ وأقْصَرَ مُشْتَطُّ
ولله مَبْناكَ الذي معجزاتُهُ ... أبَتْ[١١] أن توافيها الشِّفاهُ أو الخطُّ
وأنَسَتْ غريبَ الدارِ مسْقطَ رأسه ... ومن دون فرْخيهِ القتادةُ والخَرْط[١٢]

---

(١) في الأصل: «وتجمّع»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «اسقَط»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح: والإسْفَنْط: اسم للخمر. محيط المحيط (سفنط).
(٣) المِجَنّ: التُّرس ونحوه: اللَّمْط: الدرق المنسوبة إلى لمطة إحدى قبائل المغرب، وهي جمع درقة، والدرقة هي الترس تصنع من جلود. لسان العرب (جنن) و(لمط).
(٤) في النفح: «ضَيَّعَ».
(٥) في النفح: «بأهليها».
(٦) في الأصل: «يَبْطُ»، والتصويب من النفح.
(٧) اعتمد هنا على قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ سورة سبأ ٣٤، الآية ١٥.
(٨) في النفح: «منها».
(٩) في الأصل: «ومختطّ» بالخاء المعجمة، والتصويب من النفح.
(١٠) في النفح: «وأتْحفَ».
(١١) في النفح: «سَمَتْ».
(١٢) القتادة: واحدة القتاد وهو شجر صلب له شوك كالإبر. وفي المثل: «من دونه خرط القتاد» أي إنّ خرط القتاد أسهل أو إنه لا يُنال إلّا بمشقة عظيمة. والخرط: نزع الشوك من الغصن باليد. =

تناسبتِ الأوضاعُ فيه[1] وأَحْكَمَتْ ... على قَدَرٍ حتى الأرائكُ والبُسْطُ
فجاءَ على وفق العُلا رائقُ الحلى ... كما سُمِّطَ المنظومُ أو نُظِمَ السِّمْط
ولله إعذارٌ دَعَوْتَ له الورى ... فهبُّوا لداعيه المَهيبِ وإن شَطُّوا
تقودهُمُ الزُّلفى ويدعوهُمُ الرِّضا ... ويحدوهُمُ الخصْبُ المضاعَفُ والغبْط
وأغرَيتَ بالبهْم العلاجَ تحفِّيًا ... فلم يُدَّخر الشيءُ الغريبُ ولا السِّمْطُ[2]
أتت صورًا[3] مغلُولة عن مِزاجها ... وأصل اختلاف الصُّورة المَزْجُ والخَلْطُ
قَضَيتَ بها دَيْنَ الزمانِ ولم يزل ... ألدَّ[4] كذوبَ الوعد يلوي ويَشْتَطُّ
وأرسلت يوم السَّبْق كلّ طِمِرَّةٍ ... كما تُرسل[5] المَلْمُومَة النَّارُ والنَّفْط
رَنَتْ عن كحيلٍ كالغزال إذا رنا ... وأوْفَتْ بهادٍ كالظَّليم إذا يَغطو[6]
وقامتْ على منحوتة من زبرجد ... تخطُّ على الصُّم الصِّلاب إذا تخطو
وكلُّ عتيق من تماثيل[7] رُومة ... تأنّق في استخطاطه القَسُّ والقُمْط
وطاعته نحر السُّكاك أعانها ... على الكَون عِرْقٌ واشجٌ ولحَا سِبْطُ
تَلَقَّف حيَّاتِ العَصى إذا هَوَتْ ... فثعبانُها لا يُسْتَتَم[8] له سَرْطُ
أزَرْتَ بها بحر الهواءِ سفينة ... على الجود[9] لا الجوديِّ كان لها حطٌّ
وطاردْتَ مِقدامَ الصُّوار[10] بجارح ... يُصابُ به منه الصِّماخ أو الإبْطُ
وجيء بشبْلِ الملكِ يُنجدُ عزمه ... عليه الحفاظُ الجَعْدُ والخلُقُ السِّبْط
سمحْتَ به لم ترعَ فرطَ ضَنانةٍ ... وفي مثلها من سُنَّة يُترك الفَرْطُ
فأقْدَمَ مختارًا وحَكَّمَ عاذِرًا ... ولم يشتمل مَسْكٌ عليه ولا ضَبْطُ
ولو غيرُ ذاتِ الله رامته نَضْنَضَتْ[11] ... قَنًا[12] كالأفاعي الرُّقْطِ أو دونها الرُّقْطُ
وأُسْدِ نزالٍ من ذؤابةِ خَزْرجٍ ... بهاليلُ لا رُومُ القديم ولا قِبْطُ
جلادهُمُ مثنى إذا اشتجر الوغى ... كأنَّ رعاءَ بالعضاه لها خَبْطُ

= محيط المحيط (قتد) و(خرط).
(١) في النفح: «فيك».
(٢) السِّمْط: الخفيف الجسم. لسان العرب (سمط).
(٣) في النفح: «صورة».
(٤) في النفح: «أكدّ».
(٥) في النفح: «قذف».
(٦) في الأصل: «يَعط»، والتصويب من النفح.
(٧) في النفح: «تماثل».
(٨) في النفح: «يستقيم».
(٩) في النفح: «الجوّ».
(١٠) الصُّوار: القطيع من البقر الوحشي.
(١١) في الأصل: «تَضَنَّضَتْ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٢) في الأصل: «قتلى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

كتائبُ أمثالُ الكتابِ تتاليًا فمن بيضها شكلٌ ومن سُمْرها نَقْطُ
دليلهُمُ القرآنُ يا حبَّذا الهدى ورهطُهُمُ الأنصارُ يا حبّذا الرَّهْطُ
وبيضٌ كأمثال البروقِ غمامُها إذا وشحتْ سُحبَ القِتام دمٌ عَبْطُ
ولكنه حُكْمٌ يُطاعُ وسنَّةٌ وأعمالُ برٍّ لا يليقُ بها الحبْطُ
وربَّة نَقْصٍ للكمال مآلُهُ ولا غَزْوَ فالأقلامُ يُصْلِحُها القَطُّ
فَهُنِّيتَهُ صُنْعًا ودُمْتَ مُمَلَّكًا عزيزًا تُشِيدُ المعْلُواتِ وتَخْتَطُّ
ودون الذي يُهدي ثناؤك في الورى من الطِّيب ما تُهْدي الأُلُوَّةُ والقُسْطُ[(١)]
رضيتَ ومَنْ لم يَرْضَ بالله حاكمًا ضلالًا فللَّه الرِّضا وله السُّخْطُ
حياتُكَ للإسلام شَرْطُ حياتِهِ ولا يوجدُ المشروطُ إن عُدِمَ الشَّرْطُ

ومن أغراض النسيب قولي في الأوليات والله ولي المغفرة[(٢)]: [الطويل]

تعلَّقته من دَوْحةِ الجُودِ والباس قضيبًا لعوبًا بالرَّجاءِ وباليأسِ
درُوبًا بتصريفِ[(٣)] اليراعة والقَنا طروبًا بحمل المَشْرَفِيَّة والكاسِ[(٤)]
يُذَكِّر[(٥)] فيه الصُّبْحُ عند انصِداعه جمالَ رُواءٍ في تأرّج أنفاس
ويبدو لعيني شَعْرُهُ وجبينُهُ إذا ما سَفَحْتُ الحبرَ في صَفْح قرطاس
أجالَ من الشوق المبرِّح غارةً على أربُع من جَنْي صبريَ أدراسِ
فظاهرت من سَرْد السَّقام ملامةً وأوجفْتُ من شفر الدموع بأمْراس
لكِ الله من رُبًى طواكِ على الظَّما ومن أملٍ لم أجْنِ منه سوى ياسِ
ومن قمرٍ سَعْدٍ عَشوْتُ لنوره فسعَّر أحشائي وصَعَّد أنفاسي[(٦)]
إذا ما شرغتَ اللَّحظ نحويَ عابسا أقول لِقَلْبي[(٧)] ضاع ما بين جُلّاسي[(٨)]
أيا عَبدَ شمس الحُسن هل لك قدرةٌ على سطوة السَّفاح من آل عباس؟
سجَمْتُ على هول الغرام بمهجة تعامتْ فلم تَذْر النَّعيم من الياس

---

(١) الأُلُوَّة: العود يُتَبَخَّر به. القُسْط: عود هندي. محيط المحيط (ألا) و(قسط).
(٢) في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٠٦) فقط الأبيات الأربعة الأوائل.
(٣) في النفح: «ضَروبًا بضربٍ لليراعة».
(٤) القنا: جمع قناة وهي الرمح. المشرفيّة: أي السيوف المشرفية، نسبة إلى مشارف الشام. لسان العرب (قنا) و(شرف).
(٥) في النفح: «يذكرنيه».
(٦) في الأصل: «أنفاسٍ».
(٧) في الأصل: «القلب»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٨) في الأصل: «جلّاسٍ».

تُوهِّج نارُ الخدِّ نارَ جوانحي ويَعيث وِسْواس الحلى بوسواس
يا قلبُ، صبرًا في الغرام وحِسْبَةً لمن تشكَّى بالدَّاءِ والممرض الآس
ومَطْلُولة الأعْطاف جَرَّتْ ذيولَها على مِسْكَةٍ من مسكة الغاسق القاسي
يحدِّق من أجفانه نَرْجِسُ الرُّبى وهَدَّد من آذانه وَرَقُ الآس
لعمرك ما أرى وقد ثقَّف النُّهى إذا التبس الحقّ المُبَيَّنُ باليأس
أتلك شمالٌ أم شمول مدارةٌ على كل غُصْن في الحديقة ميَّاس؟
لقد ضَعْضَعَتْ حلْمي ولم أرَ نَسْمةً تَضعْضع من هبّاتها جبلٌ راس
رعى الله أجْراع الحمى دار صَبْوتي ومَرْبَعُ آلامي ومعهدَ إيناسي
فما كان فيه الوصل إلّا عُلالة كنقْبةِ مُرْتاحٍ ونَهْبةِ خلّاس
وقالوا: أبِغْتَ العيش بعد فراقنا فَلَفَّفْتُ أذراني حياءً على الرّاس
ثِقُوا بوفائي ما استقلَّتْ جوارحي ورَعْي ذمامي ما تماسك إحْساسي
ولا تعذُرُوني إن نَسيت عهودكمْ وإن رَفَعَ اللهُ الجُناحَ عن الناس
فؤادي غنيٌّ بالوفاءِ وربما تُسجِّل في صبري وثيقةُ إفلاس
ليَ اللهُ من قَلْبٍ خَفوق معذَّبٍ يرى أنَّ ما بالموت في الحبِّ من باس
تجول بناتُ الفكر حول خياله كما حُفَّ جَوَّال الفراش بنبْراس
أُفوِّض للرحمٰن أمْريَ في الهوى وأُغْلق كفّي من حِماه بأمراس
وآمُلُ لُطْفَ الله فيه فإنه أبرُّ بميثاق وأوْفى بقِسْطاس

وقلت في النَّسيب كذلك: [الطويل]

أما وخيالٌ في المنام يزور وإن كان عندي أنَّ ذلك زُورُ
لقد ضِقْتُ ذَرْعًا بالشَّوى(١) بَعْدَ بُعْدكمْ على أنني للنائبات صَبُورُ
أُدافعُ في شوقي ووجَدْي كتائبًا تَزَلْزَلَ رَضْوى عندها وثبير(٢)
سرايا إذا ما الليلُ مَدَّ رواقَه على ساحة الصَّبْرِ الجميل تُغيرُ
بَرَى جسدي فيكُمْ غرامٌ ولوعةٌ إذا سَكَنَ الليلُ البهيمُ تَثُورُ
ولا أنني إذ(٣) ما اهتدى نحو مَضْجعي خيالُكُمْ بالليل حين يزورُ

---

(١) في الأصل: «بالشوق»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا. والشَّوى: الأمر الهَيِّن.
(٢) رَضْوى وثَبير: جبلان.
(٣) في الأصل: «ولا أنيني ما اهتدى...»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

ولو شئتُ في طيِّ الكتاب لَزُرْتُكُمْ ... ولـم تَـدْرِ عـنّـي أحْـرُفٌ وسـطـور؟
تَذَكَّرْتُ عَهْدًا طال بعد انصرامه ... عليه الأسى وانجابَ وَهْوَ قَصير
وقـد طَـلَعَـتْ لـلرّاح فـي ظـلـمـاتـه ... نـجـومٌ تـوالـي حَـثَّـهـن بـدور
وتبَنَّيْتُمُ الوصل في رَوْضة الرِّضا ... بَـلِيـلًا وأكـواس الـسـرور تَـدُور
وعهدًا بعَيْن الدمع[1] للدمع بعده ... مـوارد فـي آمـاقـنـا وبُـحـور
عهود مُنًى غُصّ الزمان بحُسْنها ... فـغـار عـلـيـهـا والـزمـان غَـيُـور
فها أنا أسْتَقْري الرياح إذا سَرَتْ ... لِيُخْبرني بالظّاعنين خبير
وإن خَطَّ وَجْدي من دموعي رسالة ... على صَفْح خَدّي فالنسيم سفير
أيا[2] رِحْلَة الصيف التي بجوانحي ... لـهـا لَهَبٌ لا يـنـقـضـي وسـعـيـر
أحْوَلَ مِنْكَ الشَّهْرُ حولًا على الورى ... وأضْبَحَتِ الأيامُ وَهْيَ شهور؟
ويا قَلْبُ، لا تَطْرَحْ سِلاحَك رهبةً ... فـهـل هـي إلّا أنَّـةٌ وزفـيـر؟
جَنَيْتُ النّوى لا عن مَلال ولا قِلًى ... فمثلي بموصول الملام جَدير
وجَرَّدْتُ عنّي لِبْسَة الوصل طائعا ... وكم شَرَقٌ بالماءِ وَهْوَ نَمير؟
أأحْمَدُ إنْ جلَّ الذي بي من الجوى ... وأصبحْتُ ما لي في هواك نَصير
فلست من اللُّطف الخفيِّ بيائس ... فكم من بُكاءٍ كان عنه سُرور
أتاني كتابٌ منك لا بل حديقةٌ ... تفيَّأْتُها والهَجْرُ منك هجير
وأرسلْتُ دمع العين حين قرأته ... فـمـنـهـا أمـامـي روضـة وغـدِير
تكلّفْتُ فيك الصَّبْرَ والصبر مُعْوِزٌ ... وهَوَّنْتُ فيك الخَطْبَ وهو عسير
ولُذْتُ إلى الآمال وَهْيَ سَفاهة ... ومِلْتُ إلى الأطماع وَهْيَ غرورُ
سأُلقي إلى أيدي الزمان مقادتي ... فـيـعـدل فـي أحـكـامـه ويَـجُـور
وإنّ الذي بالبُعْد أجْرى قضاءه ... على جَمْع شملي كيف شاءَ قَدِير
فـتُـدْرَك آمـالٌ وتُـقْـضـى مـآرب ... لـديـنـا وتُـشْـفـى بـالـلـقـاءِ صُـدور

---

(١) عين الدمع: من أهم متنزهات غرناطة، وهو عبارة عن جبل فيه الرياض والبساتين. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٣٨).
(٢) في الأصل: «يا»، وكذا ينكسر الوزن.

وقلت، وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة[١]: [الطويل]

عسى خَطْرَةٌ بالرَّكْبِ يا حاديَ العيسِ
على الهَضْبَةِ الشَّمّاءِ مِنْ قَصْرِ بادِيسِ[٢]
لنظفرَ من ذاك الزلالِ بعَلَّةٍ[٣]
ونَنْعَمَ في تلك الظِّلال بِتَغْرِيس
حبسْتُ بها ركْبي فُواقًا، وإنما
عقدْتُ على قلبي بها عَقْدَ تَحْبيس[٤]
وقد[٥] رَسَخَتْ آيُ الجوى في جوانحي
كما رسخ الإنجيلُ في قَلْب قِسِّيس
بميدان جَفْني للسُّهاد كَتِيبةٌ
تُغير على سَرْح الكَرَى في كرادِيس
وما بي إلَّا نَفْحَةٌ حاجِرِيَّةٌ[٦]
سَرَتْ والدُّجى ما بين وَهْنٍ وتَغْليس
ألا نَفَسٌ يا ريحُ من جانب اللِّوى[٧]
يُنفِّس[٨] من نار الجوى بعض تَنْفيس
ويا قَلْبُ، لا تُلْقِ السِّلاحَ فربما
تَعَذَّرَ في الدَّهْرِ اطِّرادُ المقاييس
وقد تُعْتِبُ الأيامُ بَعْدَ عِتابها
وقد يُعْقِبُ الله النَّعيمَ من البُوس

---

(١) القصيدة في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٩١ ـ ١٩٤).

(٢) هو قصر باديس بن حبوس الزيري، صاحب غرناطة في عهد ملوك الطوائف. ولي غرناطة من عام ٤٢٩ هـ إلى عام ٤٦٧ هـ. ترجمته في الذخيرة (ق ١ ص ٦٦٢) والمرقبة العليا (ص ٩١) واللمحة البدرية (ص ٣١). وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة.

(٣) في نثير فرائد الجمان: «بعذبه».

(٤) الفُواق: ما بين الدرّتين من حليب الإبل. التحبيس: الوقف الدائم. لسان العرب (فوق) و(حبس).

(٥) في النفح والأزهار: «لقد».

(٦) حاجرية: نسبة إلى حاجر وهو منزل للحاج بالبادية. محيط المحيط (حجر).

(٧) في النفح والأزهار: «الحمى».

(٨) في النفح والأزهار: «تَنَفَّسُ».

ولا تَخْشَيْ[١] لُجَّ الدمع، يا خطرة الكرى،
على[٢] الجَفْن بل قِيسي على صرح بلقِيس[٣]
تقولُ سُلَيْمى: ما لجسمكَ شاحبًا
مقالةَ تأنِيبٍ يُشابُ بتأنِيس
وقد كنتَ تَغطو كلّما هَبَّتِ الصَّبا
بريَّانَ في ماءِ الشبيبة مغْمُوس
ومَنْ رابحَ[٤] الأيامَ يا ابنة[٥] عامر
يجوب[٦] الفلا فُلَّت[٧] يداه بتفليس
فلا تحسبي والصِّدْقُ خيرُ سَجِيَّةٍ
ظهورَ النَّوى إلّا بطونَ النواميسِ

ومنها:

وقفراءُ أمّا رَكْبُها فمضلَّلٌ ... ومَرْبَعُها من آنسٍ غير مَأْنوسِ
خبطنا[٨] بها من هَضْبةٍ لقرارةٍ ... ضلالًا ومِلْنا من كِناس إلى خِيس[٩]
وقد غمر الآل الرِّحالَ كأنما ... تخبَّط منه في ضباب الدَّماميس[١٠]
إذا ما نهضنا من[١١] مَقِيل غزالةٍ ... نزلْنا فعرَّسْنا بساحة عِرِّيس[١٢]
أدرنا بها كأسًا دِهاقًا[١٣] من السُّرى ... أمَلْنا بها عند الصَّباح من الرُّوس
وحانةِ خمَّارٍ هَدانا لقصدها ... شَميمُ الحُمَيَّا واصطكاكُ النَّواقيس
تَطَلَّعَ ربَّانيُّها[١٤] من جدارِهِ[١٥] ... يُهَيْنِمُ في جُنْح الظلام بتَقْديس

---

(١) في الأصل وفي النفح: «ولا تَخْشَ» والتصويب من نثير فرائد الجمان وأزهار الرياض.
(٢) في النفح والأزهار: «إلى».
(٣) صَرْح بلقيس أو عَرْشها يضرب به المثل.
(٤) رابح الأيام: غالبها.
(٥) في الأزهار: «يا بنت».
(٦) في نثير فرائد الجمان ونفح الطيب: «بجوبِ».
(٧) في النفح والأزهار: «راحت». وفي النثير: «جاءتْ».
(٨) في النثير والأزهار: «سنخنا». وفي النفح: «سحبْنا».
(٩) الكناس: مسكن الظباء. الخيس: مسكن السباع: لسان العرب (كنس) و(خيس).
(١٠) هذا البيت ساقط في المصادر الثلاثة.
(١١) في المصادر الثلاثة: «عن».
(١٢) العِرِّيس: مأوى الأسد. لسان العرب (عرس).
(١٣) الكأس الدهاق: الممتلئة أو المتتابعة. لسان العرب (دهق).
(١٤) الربّانيّ: الحَبْر.
(١٥) في نثير فرائد الجمان: «من جراره».

بَكَرْنا[١] وقُلْنا إذ نزلْنا بحانه[٢] عن الصَّافنات الجُرْدِ والضُّمَّر العِيس:
أيا عابدَ النَّاسُوتِ، إنّا عصابةٌ أتَيْنا لتثْليثٍ، بلى، ولتَسْديس
وما قَصَدْنا إلّا المُقامَ بحانةٍ وكم أُلْبِسَ الحقُّ المُبينُ بتلْبيس
فأنْزَلَنا قَوْراءَ في[٣] جَنَباتها محاريبُ شتَّى لاختلاف النَّواميس
بَدَرْنا بها[٤] طينَ الخِتام بسَجْدَةٍ أردْنا بها تجديدَ حَسْرةِ إبليس[٥]
وطاف[٦] العَذارى بالمُدام كأنها[٧] قَطًا تتهادى في رِياش الطَّواويس
وصارَفْنا[٨] فيها نُضارًا بمثله كأنَّا مَلأْنا[٩] الكاسَ ليلًا من الكيس
وقُمْنا نَشاوى عندما مَتَعَ الضُّحى[١٠] كما نهضتْ غُلْبُ الأُسود من الخِيسِ
فقال: لبئسَ المسلمون ضيوفُنا أما وأبيكَ[١١] الخَبْر ما نحن بالبِيس
وهل في بني مَثْواكَ إلّا مُبرِّزٌ بحلْبةِ شُورى أو بحلْقَة تَدْريس؟
يحدِّق[١٢] تحت النَّقْع مُقْلَةَ ضاحكٍ إذا التقتِ[١٣] الأبطالُ عن مُقَلٍ شُوس[١٤]
إذا هَزَّ عسّال اليراعةِ فاتكًا أسال نجيعَ الحِبْر فوق القراطيس
سَبَيْنا عُقارَ الرُّوم في عقرِ حانها[١٥] بحيلة[١٦] تمويه وخِدْعةِ تَدْلِيس
لئن أنكرتْ شكلي فَفَضْليَ واضحٌ وهل جائزٌ في العقل إنكارُ مَحْسُوس؟
رسبت[١٧] بأقصى الغرْب ثَغْرَ[١٨] مظنَّةٍ وكم دُرَّة علياء في قاع قامُوس

---

(١) في النثير: «فكذنا».
(٢) في النثير والنفح: «بساحِهِ». وفي الأزهار: «بساحةٍ».
(٣) في النفح: «على».
(٤) في النثير: «وبها»، وهكذا ينكسر الوزن.
(٥) في هذا البيت يشير إلى ما كان من عصيان إبليس أمر ربّه من السجود لآدم عليه السلام؛ لأنه من طين. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ سورة الإسراء ١٧، الآية ٦١.
(٦) في المصادر الثلاثة: «ودار».
(٧) في النثير: «كأنما».
(٨) في النثير: «وصارَفْنناه». وصارفْنا: من الصرف وهو مبادلة المال بالمال. لسان العرب (صرف).
(٩) في النثير: «ملاة».
(١٠) متع الضحى: بلغ آخر غايته. لسان العرب (متع).
(١١) في النثير: «أما وإليك الخير».
(١٢) في المصادر الثلاثة: «يُقَلِّبُ».
(١٣) في النفح والأزهار: «الْتَفَتَ».
(١٤) المُقَلُ الشُّوس: التي تنظر تكبّرًا أو غيظًا. لسان العرب (شوس).
(١٥) في النفح: «دارها». وفي الأزهار: «خاننا».
(١٦) في النفح: «بحلْية».
(١٧) في النثير: «رسيت».
(١٨) في النثير: «ذُخْر».

وأغريت[١] سوسي بالعُذيب وهاجر[٢] على وطنٍ داني الجِوار من السُّوس[٣]

وقلت في أسلوب مهيار، رحمه الله: [الخفيف]

جُزْ على جَزْعِ للحِمى[٤] لا مَحالَهْ وتعرَّضْ لرائد الرحّالَهْ
وأَفِضْ[٥] في تِلال نجدٍ وقد جَمْـ ـمَ بها الحمْضُ واذكرن[٦] زابقًا لَهْ
وأدِرْ في قرارة الماءِ قد دا رَتْ على بَذْرها من الرِّيع هالَهْ
ربما يعجز القويُّ عن الأمْـ ـر فَيُرْضي الضَّعيف فيها احتِيالَهْ
فإذا ما استَجَدْتَ من خَبَر الحِـ ـمى يقينًا أو التَمَحْتَ جلاله
فاعْقِلِ الحرْفَ في ظلالٍ من البا نِ على الوَحْش في الهجِير مماله
واذْخُلِ الحيَّ عندما رَوَّح الرَّا عي وضَمَّ المساءُ[٧] فيه رِعالَهْ
لا تجاوز أطْناب خيمة ظمئًا[٨] فهاتيك القلوبَ حِبالَهْ
وَلْتَقُلْ إنْ أتَتْكَ تَسْأَلُ عن حا لي تَعَوَّضْتَها بحالكَ حالَهْ
ليس إلّا امْتِعاضة لغريب أثْخَنَتْهُ جفُونُكَ القَتَّالَهْ
سَيِّلَ[٩] الماءَ والمزادةُ مَلأى ثم ما نال غير نَفْسٍ مُسالَهْ
كيف لو جاءَ سائلًا منك رِسْلًا أو أتى يَختدي جواب رساله
قسمًا إنه أخي ضَنَيْنِ وهَبِ البأس شأْنُهُ والبَساله
بَكَتِ الوِرْقُ شَجْوه حين ناجا ها وأبْدى له الأَصِيلُ اعْتِلاله
نازحٌ زار من تبالةَ نَجْدًا أين ما بينه وبين تباله
أيها السَّابقُ العَنِيفُ ترى المهْـ ـر يُسَقّى يمينه وشماله
يرِد الحَوْض حوله كل أشقى كلّ حولٍ[١٠] يُلْقي عليه مُساله
فَكَراهُ إذا اسْتَحَمَّ غِرار وقِراه إذا ألَمَّ عِجاله

(١) في النثير: «وأغربت». (٢) في المصادر الثلاثة: «وبارق».
(٣) السوس: الطبيعة والأصل. لسان العرب (سوس). والعذيب. وهاجر: اسما مكان. وقد تقدم الحديث عنهما. والسوس: كورة بالمغرب مدينتها طنجة. الروض المعطار (ص ٣٢٩).
(٤) في الأصل: «الحمى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «وافضِ في تلاح نجد...»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٦) في الأصل: «واذكرْ»، وكذا ينكسر الوزن. (٧) في الأصل: «المِسا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٨) في الأصل: «ظميًا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٩) في الأصل: «سال»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(١٠) في الأصل: «حوله»، وكذا ينكسر الوزن.

فإذا السُّكنى[١] راحةٌ والأماني ... لـليـالـي شـرَّابـةٌ أكَّـالَه
لا تُحِلُّوا دم الغريب المُعنَّى ... وعلى الله في الجزاءِ الحِواله
وكسا من نَمارق السُّنْدُس المُخْـ ... ـضَرِّ ذِهْنًا يَحْيا به[٢] ورساله
يا لَقومي من ذِكْر تلك المغاني ... ما لِقلبي يهوى أنيني[٣] ما لَهْ
عَلِقَ البثُّ والصبابة فيها ... وبلي البخر عندها والملاله
كان لا يَرْتضي الحِياض لِوِرْد ... فَهُوَ اليومَ قانعٌ بِبَلالَهْ[٤]
هِمَّة تُزحم السِّماك وقَلْبٌ ... آثر اللَّبث في حضيض الإقاله
كان أولى له الإباية والعِزْ ... زُ، فيا بئس ما ارتضى لو إيالَه[٥]
والهوى مَرْكَبُ الهوان إذا هَمْـ ... ـلَج في ملعب الصِّبا والجهاله
ما الذي يجلب العذول لسمعي ... من حديث خَبا إليَّ خَباله
لا أُبالي بما يقول فهلَّا ... أقصَر العَذْل جاهدًا لا أبا له
أنا ما بي سوى لحاظِ فتاة ... خَتَلَتْني وأدبرَتْ مُختاله
بَسَمَتْ أُقْحُوانةً وتَثَنَّتْ ... بانَةً ثمّ لاحَظَتْني غزالَهْ
ورَمَتْني فَقُلْ لعرَّافِ نَجْدٍ ... إنْ تَخَلَّصْتَ إذْ[٦] فدونك ماله
أخْبِرِ الخابط المُدَوّم نشكو ... أظْهِرِ العِيسَ جُمْلَةً وفصاله
إنني قد نَزَعْتُ عن نَتَنِ الغَيْـ ... ـي ويا طالما انتحلْتُ مُحاله

ومن الفخر والتأبين، قلت مُتَشبِّعًا، علم الله بألّا أملك، وإنما هي أغراض الشعراءِ يُتَفَنَّن فيها، والله وليُّ التجاوز عن التجاوز: [الوافر]

لنا في الفخر سِيماتٌ[٧] مُطِلَّهْ ... تقومُ على دعاويها الأدِلَّهْ
وشمسُ الحَقِّ منظورٌ سَناها ... على الشبْه المخِيلَةِ المُخِلَّهْ
بني سَلْمانَ سَلْ عَنْهُمْ سَتَدْري ... على الأجيال منهمْ كلَّ جِلَّهْ

(١) في الأصل: «فالسُّكان»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «بالحيا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «أنين»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) البَلالة: قَدْر ما يُبَلُّ به الشيء، والمراد هنا: البقيّة.
(٥) في الأصل: «لولى آله»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) كلمة «إذ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.
(٧) في الأصل: «سيمة»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.

يمانيةُ المَناسي[١] والمَواضِي ... مفاخرُها رسُومٌ مُسْتَقِلَّهْ
فمن نار الوغى في كلِّ وادٍ ... ومن نار القِرى في كل حِلَّهْ
ومِنْ وصْلِ الخطاب بكل ناد ... ومِنْ فَضْل الثَّناءِ بكل مِلَّهْ
تَهِشُّ لنا البدور بكل خِدْرٍ ... وتهوانا الشُّموس بكل كِلَّهْ
ويُمْرِضنا العفافُ فكم عليلٍ ... وما غير الهوى والكَتْم عِلَّهْ
تحجّ بيوتنا القُصَّاد دأبًا ... فلا تنفكُّ طائفةٌ مُهِلَّهْ
بحيث البِيضُ ضامنة المساعي ... وحيثُ السُّمْر مُثْمِرَةٌ مُغِلَّهْ
فعند السلْم مخرمةٌ عكُوف ... وعند الحرب فاتِكة مُجِلَّه
وحيثُ الجُرْدُ للغارات تُرْدي ... فَتَتْرُكُها[٢] جواسِرَ مُشمعلَّه
ولم أر مِثْلَنا في الدهر قومًا ... رياحُ الجو تلْحف بالأجلَّه
وتضطبن الصواعق في غُمُود ... وتَقْتَنص البوارق بالأهلَّه
فتُطْعِمنا المجاني والرَّواسي ... وتُسْقِينا الغُيوث المُسْتهلَّه
وتفترش البطاحُ لنا الحشايا ... ولِلرَّايات أروقة مُظِلَّه
وتعرفُ من أغِرَّتنا الدَّياجي ... لعزِّ الله خاضعةً أذلَّهْ
أبا عَبْدَ الإلـه[٣]، فَدَتْكَ نَفسٌ ... على ما حُزتَ مِنْ فضلٍ مُدِلَّهْ
دَعَوْتُكَ مُسْتَجِدًا عَهْدَ أُنسٍ ... أبَلَّتْهُ الليالي المُسْتَمِلَّهْ
وقد ظعن الصِّبا إلَّا ادِّكار ... وقد ذهب الهوى إلَّا تعِلَّه
فساعِدْني عليه مِنِ اغْتِرابٍ ... له في مُهْجتي وَخْزُ الأخِلَّه
وماحِلْني[٤] بفخرك في صريح ... فكم تاجٍ هناك وكم تَجِلَّه
ودُمْتَ مُجَمِّعًا شَمْلَ المعالي ... ومقتادًا، أمِ الدُّنيا[٥] شملَّه؟

وقلت أرثي ثلاثة من الإخوان تقاربتْ وفياتهم، جمع الله الشَّمْل بهم في دار الرضوان والمغفرة بمنّه: [الطويل]

أسائلكُمْ، هل من خبيرٍ وسُلْوان[٦] ... ففي ليل هَمِّي ضاع أو سيل أجْفاني؟

---

(١) في الأصل: «المناسب»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «فتركها»، وكذا لا يستقيم الوزن.
(٣) في الأصل: «الله»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) ماحَلَهُ: ماكَرَهُ وكايده وعاداه.
(٥) في الأصل: «ومقتادَ أمْنِ الدُّنا...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) في الأصل: «سلوان»، وكذا ينكسر الوزن.

وهل عندكُمْ عِلْمٌ بصبريَ إنَّني ... فَقَدْتُ جميل الصَّبْر أوْجَعَ فُقْدانِ؟
يقولون: خَفِّضْ بعض ما بك من جوى ... يَهُون[١] على المرتاح ما لَقِي العاني
تضيقُ عليَّ الأرضُ وَهْيَ فسيحةٌ ... كما حال[٢] فوق الخَضر مَعْقِد هَيْمان
وما يَفْتَأُ الشَّوقُ المُقيمُ بأضلعي ... إذا مَرَّ[٣] عن طوق الصَّبابةِ أفناني
وليس مَشِيبًا ما ترون بِمَفْرقي ... ولكنْ خطوبٌ جمَّة ذاتُ ألوان
وأرَّقَ عَيْنَيَّ الأسى يبعثُ الأسى ... مطوَّقةٌ نامتْ على غُصُن البان
لمن دِمَنٌ يشكو العَفاءُ رسومَها ... كحظِّ زَبُور في مصاحِف رُهْبان
وقفتُ بها أذْرِي النَّجيعَ كأنما ... تُقَرِّي وشَكُّ البَيْن منِّي بقُرْبان
ديارُ الأُلى كانوا إذا أُفْقُ دَجا ... كواكبَ يجلو نورُها لَيْل أشجاني
هَوَتْ من سمائي بعد ما كنَّ زينةً ... ولَهْفي عليها من ثلاثة شُهْبان
رماني بيعقوبِ الزمانِ وبَعْدَهُ ... رماني بدِرْهامٍ[٤] يا لك سَهْمان
وإن كان ما بين الخطوب تفاضُلٌ ... فلا نالَ فَقْدي أحمد[٥] بن سليمان
كفانيَ أنْ أدرَجْتُ محض مَسَرَّتي ... وجُمْلة أُنْسي بين لَحْدٍ وأكفانِ
ووالله ما أنسانيَ الدَّهرُ أوَّلًا ... بثأرٍ ولا أُنسِيت بالثَّالث الثَّانِ
تَخَوَّنَهُمْ صَرْفُ الرَّدى فتحرَّموا ... كما انتثرت يومًا قلادةُ عِقْيان
فمن سابقٍ ولَّى على إثْر سابق ... كما اسْتَبَقَتْ غرُّ الجياد بميدان
بِنَفْسيَ من حَيَّيْتُه فاستخفَّ بي ... ولو أنه ردَّ التحية أحياني
وعَهْدي به مهما دَعَوْتُ وبينه ... وبيني العُلى والنِّيل والخيل لُبَان
دنا منزلًا منِّي وشطَّ مزارُه ... فيا من لِقلبي منه بالسَّاخط الدَّاني
ألا ليت عُمْري لم يُفِدْني زمانه ... مودَّةَ خلٍّ سار عنِّي وخِلَّان
فلو شعرتْ نفسي فإنِّي[٦] لشَاعِرٌ ... به يوم أرداني لشَمَّرْتُ أرداني
هو الموت يختار الخِيار ويَنْتَقي ... جنًى لبني الدُّنيا كما يفعل الجاني

(١) في الأصل: «هان»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «خُلق»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «مَرّت»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «بدرهم»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «فلا تَنَلْ فَقْدي بأحمد...»، وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «فإنني»، وكذا ينكسر الوزن.

فلا تُقْنِ ما يفنى تَعِشْ واذْعُ للحَشا[١] أبى الدهر أن يُلْقى على الدهر أَلْفان
صديق الفتى إنْ خَفَّق الحق روحه فكم نِسبة ما بين رُوحٍ وجُثمان
وما حال زَنْد لم يؤيد بساعد وما حال طَرْف قد أُصيب بإنسان
وهَبْني أمِنتُ الحادثات ولم يَرُع جناني وخَلَّاني الزمان وخِلَّائي
أليس إلى التَّحليل كلُّ مُرَكَّب مُقَدِّمةٌ لم يختلف عندها اثنان؟
يُدَبِّرُ لي الدهر المكيدة في المُنى فإن قلْتُ قضَّاني الخفوق تقاضاني
وليلٍ بقَبّابي محلَّة قلعة أهْدَرْتُه في ترضٍ على مان
أيعقوبُ، ما حُزْني عليك بمنقض ولا أُنسُ إنسان مُصابَك أنْساني
ولا حاليَ الحالي على البُعْد غرَّني ولا عَيْشيَ الهاني على النَّأْي ألْهاني
فمن لي بدمع في المحاجر مُهْتد عليك وقلبٍ في الحناجر حَيْران
نسبْتُ إلى ماءِ السماءِ مدامعي فأورث ولي[٢] فيها شَقائق نُعمان
إذا ما حَدَتْ ريحُ الزَّفير سحابها ثقالًا سَقى منها المعاهدَ عَهْدان
وقد دانَ قبل اليومِ دَمْعيَ خالصًا ولكنْ أمَلَّني[٣] على الدَّمْع إدماني
لقد كنتَ لي رُكْنًا شديدًا وساعدًا مديدًا ومذخورًا لسرِّي وإعلاني
كَسا لَحْدك الرَّيْحان والرُّوح والرَّحا فقد كنتَ رُوحي في الحياة وريحاني
وجادت على مَثْواك مُزْنَةُ رحمةٍ يحيِّيك منها كلُّ أوْطَفَ هتَّان
وما كان إبراهيمُ إلَّا حديقة من الفَضْل تُؤتي أُكْلُها كلَّ إنسان
أمينٌ على السِّرِّ المصون محافظٌ على كَتْمه إن شاق صَدْرٌ بكتمان
لئن بَلِيَتْ تلك المحاسنُ في الثَّرى فحزني جديدٌ ما استمرَّ الجَدِيدان
قِراه عليها مِنْ نعيم ونُضْرة ولَهْفي عليه من شَباب ورَيْعان
ذكَتْك وللأيام[٤] سلْمٌ وشَمْلُنا جميعٌ وطَرْفُ الدهر ليس بيَقْظان
وللنَّرجس المَطْلول تحديقُ أعْين وللآسةِ التي بها[٥] رِبذُ آذان
وللشمس ميلٌ للغروب مرنَّح تَرى راجِحَ[٦] الدُّنَيرِ في كَفِّ ميزان

---

(١) في الأصل: «الحشا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «لي»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «أمهلني»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «والأيام»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «النحاتى»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٦) في الأصل: «رُجحَ»، وكذا ينكسر الوزن.

بِـسـاط طـواه الـدهـر إلّا تـذكّـرًا كـمـا تَـنـقَـعُ الـرَّمـضـاءُ غُـلّةَ ظَـنّـان
وإن ذُكر الإخوان، مَنْ مِثْلُ أحمد؟ ألا كلُّ مَرْعًى تَغدُهُ غَيْرُ سَعْدان[1]
ذخـيـرةُ أيـامـي ووُسْـطـى قِـلادتـي ونُكْـتَـة إخلاصي وحكـمـة ديـوانـي
وثرّان ضَلْتُ[2] الفضل يوم استفادةٍ هَداني إلى نَهْج السَّبيل وهَاداني
شهيدٌ ذَرَتْ عيني عليه نَجيعَها كـأنَّـهُـمُ واروه مـا بـيـن أجْـفـان
أخِـلّاءُ كـانـوا فـي الـشَّـدائـد عُـدّة إذا أثمرتْ هوجُ الخطوب بخُطْبان
وقد[3] شَلَّهُمْ شَوى الرَّدى فتجمَّلُوا وحـلُّوا جِـوار الله أكْـرَم ضِـيـفـانِ
يـحـقُّ لـهـمْ أن يُـغْـبـطـوا إذ تـنـقـلوا إلى العالَم الباقي وللعالم[4] الفَاني
وما أكتب اللُّقْيا[5] وإن بَعُدَ المدى ويا قُرْب ما بين المُعَجَّل والْواني
سَكَنْتُمْ فَحَرَّكْتُمْ جحيمَ جَوانحي وغِبْتُمْ فأخْضَرْتُمْ لواعج أحزاني
ويـمَّـمْـتُـمْ دارَ الـنَّـعـيـم وإنَّـنـي لأشْقَى، فيا بُؤسي بسكّان نعْمان
ولـو أنّـني أعطيتُ نَفسيَ حَقَّها فـمـا أنـا لـلعَـهْـد الـكـريـم بـخَـوَّانِ
ولا عـارَ فـي وِرْد الـحِـمـام فـإنـه سبيلُ الوَرى ما بين شِيبٍ وشُبَّان
لَعَـمْـرُكَ مـا يـصـفـو الـزمـان لـوارِدٍ وإن طال ما أحْمى لظَى الحَرْب صَفّان
وقِسْ آتيًا من أمره بالذي مضى فَرُبَّ قياسٍ كان أجْلى[6] لبرهان
أما تَرَكَتْ كِسْرى كسيرًا صرُوفه ولان عـلـى صـولاتـه مَـلِكُ الـلان؟
ومَـدَّ إلـى سَـيـفٍ أكُـفَّ اعـتـدائـه فأخرجه بالرَّغم من غِمْد غُمْدان[7]؟
وهـل دافَـعَـتْ خَـطْـبًا تـوابـعُ تُـبَّـع وهـل درأَتْ كرْبًا سياسةُ ساسان؟
وكـان قـيـاد الـصَّـعْـب صَعْبًا مُمَنَّعًا فـألـقـى إلـى الـدُّنـيـا مـقـادة إذعـان
جَلَتْ لبني العباس وَجْهَ عُبوسها وقَـبْـلُ أمـدَّتْ سِـرْب أبـنـاءِ مَـرْوان
وكم أخْلَفَتْ شتَّى المُنى من خليفةٍ وأذْوَتْ ريـاح الـدهـر إذواءَ تـيـجـان
وغـادرتِ الـقَـصْـر الـمشِـيـد بـنـاؤه بـسِـنـداذَ قَـفْـرًا بَـلْـقـعًـا بـعـد عُـمْـران

---

(١) يشير هنا إلى المثل: «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان». والسَّعْدان: نبت ذو شوك ينبت في سهول الأرض، وهو أطيب مراعي الإبل ما دام رَطْبًا. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٧٥) ولسان العرب (سعد).

(٢) في الأصل: «ضَلَلْتُ»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) كلمة «قد» ساقطة في الأصل.

(٤) في الأصل: «والعالم»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «اللقا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «إجلاء»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) غُمْدان: قصر باليمن.

ولم تُبْق يومًا للخَوَرْنَقِ رونقًا ... ولا شَعَّبَتْ بالقتل من شُعْب بوَّان
وكم من أبيٍّ سامَهُ العُسْر دهره ... فأبْدَى له بَعْدَ الرِّضا وَجْهَ غضبان
ومحتقر ماضي الذُّبابين في الوغى ... سطا منه بالأنف الحميِّ ذبابان
وأيُّ سرورٍ لم يَعُدْ بمساءَةٍ ... وأيُّ كمالٍ لم يُعاقَبْ بنُقْصان
ومن باع ما يَبْقى بفانٍ فإنما ... تعجَّل في دُنياه صَفْقة خُسْران
خذوها على بُعْد النَّوى مِنْ مُسَهَّدٍ ... حليف أسًى ما في الجوانح لهفان
ووالله ما وفَّيتُ حقَّ مودة ... ولكنه وسْعي ومبْلغُ إمْكاني
ومهما تساوى طَيِّبٌ ومُقصِّرٌ ... بحال فحكم النُّطْق والصَّمْت سيّان
ولا لَوْمَ لي في العجز عن نيل فائت ... فإنَّ الذي أعيا البريَّة أعياني

ومن الاسترجاع والاعتبار، والتحزُّن لورطة الغفلة، وما توفيقي إلّا بالله، قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت: [الطويل]

جهادٌ هوًى لكنْ بغير ثوابِ ... وشَكْوى جَوًى لكنْ بغير جوابِ
وعُمْرٌ تَوَلّى في لَعَلَّ وفي عسَى ... ودَهْرٌ تَقَضَّى في نوًى وعتابِ
أما آنَ للمُنْبَتِّ في سُبُل الهوى ... بأنْ يهتدي يومًا سَبيلَ صوابِ؟
تأمَّلْتُها خَلْفي مراحلَ جُبْتُها ... يناهز فيها الأربعين حسابي
جرى بيَ طَرْفُ اللَّهو حتى شكا الوَجى(١) ... وأقْفَرَ مِنْ زاد النشاط جِرابي
وما حَصَلَتْ نَفْسي عليها بكامل ... ولا ظَفِرَتْ كَفِّي ببعض طِلاب
نَصِيبيَ منها حَسْرَةٌ كَوْنها مَضَتْ ... بغير زكاةٍ وَهْيَ مِثْلُ نِصاب

---

(١) الوَجى: وجع يأخذ الإنسان من المشي.

وما راعني والدهر رَبُّ وقائع
سجالٍ على أبنائه وغِلاب
سوى شعراتٍ لُحْنَ مِنْ فوق مَفْرِقي
قُذِفْنَ لشيطان الصِّبا بشهاب
أَبَخْن ذِماري وانتهبْنَ شبيبتي
أهُنَّ نصولٌ أم نصولُ خِطاب؟
وقد كنت يُهْدى الروضُ[1] طِيبَ شمائلي
ويمرحُ غُصْنُ البان بَيْنَ ثِيابي
فمذ كتب الوَخْطُ المُلِمُّ بعارضي
حروفًا أتى منها بمحض عِتاب
نسخْتُ بما قد خطَّه مُسْند الهوى
وكم سُنَّة منسوخة بكتاب
سلامي على تلك المعاهد إنها
مرابعُ أُلَّافي وعَهْدُ صِحابي
ويا آلَة العَهْدِ انْعَمي فلطالما
سَكَبْتُ على مَثْواك ماءَ شبابي
كأنِّي بذات الضَّال هاتيكَ[2] مِنْ فتًى
تَذَكَّر فيها اللَّهْوَ بَعْدَ ذهاب
تقول اذْكُريني[3] بعد ما بان حيرتي
وصوَّح روضي واقشعرَّ جنابي
وأصبحْتُ من بعد الأوانس كالدُّمى
يهول حُداة العيس جَوْب يباب
تغار الرياحُ السَّاجياتُ بطارقي
فما أن تُديم الرَّكض حول هِضابي

(١) في الأصل: «المروض»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) كلمة «هاتيك» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.
(٣) في الأصل: «اذكري»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا الكلام.

فإنْ سَجَّعَ الركبانُ فيّ بمدْحَةٍ
خَشى[١] في وجوه المادِحين تُرابي
ألم تَغلَموا أنّ الوفاءَ سجِيَّتي
إذا شَحَطَتْ داري وشطَّ ركابي؟
سقاك كدمعٍ[٢] أو لحودي وابلٌ
يقلّد نَخرَ الحوض دُرّ حباب
ولا بَرِحَتْ تهفو لعهدك للصَّبا[٣]
ويسحبُ فيه المُزن فضل سحاب
سوايَ يعادي[٤] الدَّهرَ أو يَستَفِزُّه
بيومِ فراقٍ أو بيومِ إياب
وغيري يُثَنّي الحوض ثَنْي عِنانه
إلى نيل رِفْدٍ والتماس ثواب
تملأْتُ بالدُّنيا الدنيَّة خبرةً
فأعْظَمَ ما بالنَّاس أيْسَرَ ما بي
وأيْقَنْتُ أنّ الله يمنع جاهدا
ويرزق أقواما بغير حِساب
فيا ذُلّ أُذْنٍ ضَمَّها أُذْنُ حاجبٍ
ويا هَونَ وَجْهٍ خَلْفَ سِدَّة باب
وقد كان هَمِّي أن تعاني مطيَّتي
ببعض نبات الليل خوْض عُبابي
وأُضحي ومحراب الدُّجى مُتَهَجِّدي
وأُمسِي وماءُ الرّافِدين شَرابي
وتَضْحَكُ من بغدادَ بِيضُ قِبابها
إذا ما تراءَت بالسَّواد قِبابي

(١) في الأصل: «حَثّ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. وحثى الترابَ على الميت: صبَّه عليه.
(٢) في الأصل: «كدمعي»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «الصِّبا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «يردع»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ولـكـنْ قـضـاءٌ يَـغْـلِـبُ الـعـزم حـكـمـهُ
ويـضـربُ مـن دون الـحِـجـا بِـحـجـاب
يـقـولـون لـي: حـتـى م تَـنْـدُبُ فـاسًـا
فقـلْـتُ، وحُـسْـن الـعـهـد لـيـس يُـعـابـي:
إذا أنـا لـم آسـف عـلى زمـن مـضـى
وعَـهْـدٍ تـقـضًّـى فـي صَـبًـا وتَـصـاب
فـلا نَـظَـمَـتْ دُرَّ الـقـريـض قـريـحـتـي
ولا كـانَـتْ الآداب أكـبـر دابـي[1]

وقلت أبياتًا تَبْرَزُ بها يدٌ مِنْ طاقٍ خَشَبِي، لتمام ساعةٍ من الليل، في نهاية الإحكام وحسن الشكل، يُنصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ المولد الكريم، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولي: [الكامل]

سَبَق القضاءُ وأُبرم المحتومُ ... والغيبُ عنّا سِرُّهُ مكتومُ
حال الزمانُ إذا اعتبرْتَ غريبة ... والحال في التحقيق ليس تدومُ
والليلُ سِلْكٌ دُرَّةٌ ساعاتُهُ ... إنْ حلّ مَعْقِده هوَى المنظومُ
أكْرِم برابعةٍ تَولَّتْ بَعْدَما ... ثَبَتَتْ لها في الصَّالحات رسوم
ولقد سَهِرْتُ مُفَكِّرًا والبَدْرُ في ... بَحْر السماءِ مع النجوم يَعُوم
فحسِبْتُ شكل البدر أبيض هائما ... فوقي يُحلِّق طيره ويحُوم

ومنها:

حَجَرٌ رماه المنجنيق فشأنُه ... متطأطئٌ متدافعٌ ملمومُ
ومن النجوم أسِنَّةٌ لجيوشها ... مِنْ كلّ مُطَّلع عليّ هَجوم
رَجَعَتْ إلى حربي وعمري مَعْقِل ... ومُخلَّصي من نابها معدوم
بَدَرَتْ لها شرفاتُ أسناني تهي ... وقُواي تفقد رَجْعة وتقوم
فصرخْتُ: يا وَيْلي أُصِيبَتْ غُرَّتي ... ماذا عسى هذا البناءُ يدوم
وإذا رمى فَلَكُ البروج مدينةً ... بالمنجنيق فَسُورُها المهْدُوم
ما دون وجه الحقّ إنْ حَقَّقْتَهُ ... يَفْنَى ويبقى الواحد القيُّوم

(١) أي: دأبي.

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها في غرض التَّورية[١]: [البسيط]

نـاديتُ دمعـيَ إذ جَدَّ الرَّحيلُ بهمْ — والقَلْبُ من فَرَق التَّوديع قد وَجَبا[٢]
سَقَطْتَ، يا دمعُ، من عيني غداةَ نأى — عنِّي الحبيبُ ولم تَقْضِ الذي وَجَبا

وقلت في التورية أيضًا[٣]: [الوافر]

كـتبْتُ بـدمعِ عيـني صَفْحَ خدِّي — وقد مَنَعَ الكَرى هَجْرُ الخَليلِ
ورابَ[٤] الحاضرينَ فقلت: هذا — كتابُ «العَينِ» يُنْسَبُ للْخليلِ

وقلت في التورية أيضًا[٥]: [الطويل]

ولـمَّا رأتْ عزمي حثيثًا على السُّرى — وقد رابَها صَبْري على موقف البَيْنِ
أتتْ بِصِحاحٍ[٦] الجَوهريِّ دموعُها — فعارضْتُ من دمعي بمُخْتَصَرِ العَيْنِ[٧]

وقلت في التورية أيضًا[٨]: [الخفيف]

مَضْجعي فيكَ عن قَتَادَةَ يروي — ورَوى عن أبي الزِّنادِ فُؤادي[٩]
وكذا النومُ شاعرٌ[١٠] فيكَ أمْسى — من دموعي يَهيمُ في كلِّ وادي

---

(١) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٤) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٣).
(٢) الفَرَقُ، بالفتح: الفزع. وَجَبَ القلبُ: خفق. لسان العرب (فرق) و(وجب).
(٣) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٥٠) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٤) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٧٩).
(٤) في الأصل: «ورأيتُ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٥) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٥٠) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٧٩) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٤).
(٦) في نثير فرائد الجمان: «بكتاب».
(٧) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ومختصره ألَّفه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي.
(٨) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٩) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٧٩) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥).
(٩) قتادة: هو قتادة بن دِعامة السدوسي البصري، المتوفى سنة ١١٧ هـ. ترجمته في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٥١١) وجمهرة أنساب العرب (ص ٣١٨). وأراد هنا القتاد وهو شجر صلب له شوك كالإبر. لسان العرب (قتد). وأبو زناد: هو عبد الله بن ذكوان. وأراد الزناد وهو العود الذي يقدح به النار. يقول: إن الرقاد ينبو عن مضجعه وإنّ قلبه مشتعل بنار المحبة.
(١٠) في نثير فرائد الجمان: «شاعرًا».

وقلت في التورية أيضًا[١]: [الخفيف]

حين ساروا عنّي وقد خَنَقَتْني ... عَبَراتٌ قد أغرَبَتْ عن وَلُوعِي[٢]
صِحْتُ من فيض العُذيب؟ فلمَّا ... لم أجدْ ناصرًا فَلَغتُ دموعي[٣]

وقلت في التورية أيضًا[٤]: [الخفيف]

قال لي والدموعُ تَنْهَلُ سُحْبًا ... في عِراضٍ[٥] من الخُدود مُحولِ:
بك ما بي، فقلتُ: مولايَ عافا ... كَ المُعافي من عَبْرتي ونُحولي[٦]
أنا جَفْني القَريحُ يروي عن الأعْـ ... ـمَشِ والجَفْنُ منك عن مَكْحُول[٧]

وقلت في التورية أيضًا: [الكامل]

مِكناسةٌ جُمِعَتْ بها زُمرُ العِدا ... فمدا بريد فيه ألفُ بريدِ
من واصل الجوع لا لرياضة ... أو لابس الصُّوف غيرُ مُريدِ
فإذا سَلَكْت طريقها مُتَصوِّفًا ... فابْنِ السُّلوك بها على التَّجريد

وقلت في التورية أيضًا ولها حكاية[٨]: [الخفيف]

قلتُ لمّا استقلَّ مولاي زَرْعي ... ورأى غَلَّةَ الطعام قَليلَهْ:
دِمْنَتي لانتجاعيَ الحرثَ كَلَّتْ ... فهيَ اليومَ دِمْنَةٌ وكَليلَهْ

وقلت في التورية أيضًا، وقد أهدى الوزير عمر بن عبد الله فرَسًا به جراد في عرقوبه: [البسيط]

أشكو إلى الله[٩] من أبناءِ يعقوب ... والوعدُ ما بين مَزموق ومَرْقُوبِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ص ٢١٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥).
(٢) في الأصل: «ولوعِ»، بدون ياء.
(٣) في الأصل: «دموعِ». وفي المصدرين: «صحتُ من ينصر الغريب فلمّا... بَلَغتُ دموعي». وفلع الدموع: شقّها وقطعها.
(٤) الأبيات في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥).
(٥) في النثير: «عِراص».
(٦) في النثير: «من عبرةٍ ونُحُول».
(٧) الأعمش: لقب سليمان بن مهران، المتوفّى سنة ١٤٨ هـ، وهو تابعي مشهور من رواة الحديث. ومكحول: هو مكحول بن أبي مسلم، المتوفّى سنة ١١٢ هـ؛ فقيه الشام ومن حفاظ الحديث.
(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥).
(٩) في الأصل: «أشكو إلى الله الصبر من...»، وكذا ينكسر الوزن، لذلك حذفنا كلمة «الصبر»=

زَرَعْتُ عُرقوبَ أرضي من شعيركُمُ　　جاءَ الجراد فأفْنَى زَرْعَ عَرْقوبِ

وقلت أيضًا، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد[١]: [الرمل]

جلسَ المولى لتسليمِ الوَرى　　ولفَضْل[٢] البرد في الجَوِّ احْتكامْ
فإذا ما سألوا عن يومنا　　قلتُ: هذا اليومُ بَرْدٌ وسلامْ

وقلت في التورية أيضًا في سَنةِ قَحْط: [الطويل]

سألْنا ربيعَ العام للعام رحمةً　　فَضَنَّ ولم يسمحْ بذرَّة إنعامِ
وقُلْنا، وقد رَدَّ الحياءُ وُجُوهَنا:　　قليل الحيا والله أصْبَحَ من عام[٣]

وقلت في التورية أيضًا وضمَّنته مثلًا[٤]: [الكامل]

لـمَّا رأوا كَلَفي به وَرَدوا[٥]　　قَدْرَ الذي في فيه من حُبِّ
قالوا الفتى حُلْوٌ فقلتُ: نعمْ[٦]　　طَلَعَتْ حلاوتُهُ على القلبِ[٧]

وقلت في ذلك والله وليُّ التَّجاوز: [الكامل]

أنا كافر وسواي فيه بعاذل　　لا يَستَبين الصِّدْق في آياتِهِ
ومُصدِّق بصحيفة الخدِّ الذي　　قد أعْجَبَ الكُفَّار حُسْنُ نباتِهِ

وقلت في التورية أيضًا[٨]: [مجزوء الكامل]

بأبي ظَبْي[٩] غزاني　　مستبيحًا شَرْح[١٠] صَدْري
فأنا اليوم شهيدُ الـ　　حبِّ من غزوة بَدْرِ

= التي لا تفيد المعنى بشيء.
(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥).
(٢) في المصدرين: «ولفصل».
(٣) في الأصل: «قليل الحياء والله أصبحت من عام»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٢).
(٥) في النفح: «ودروا مقدار ما لي فيه من حُبِّ».
(٦) في النفح: «الهم».
(٧) في النفح: «على قلبي».
(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥).
(٩) في المصدرين: «بَدْرٌ».
(١٠) في الأزهار: «سرح».

وقلت في التورية أيضًا على طريقة المشارقة[(١)]: [الكامل]

أشكو لمبْسِمه الحزينَ[(٢)] وقد حمى عـنّي لَمـاهُ الـمشتَهى ورحيقَهُ
يـا رِيقَـهُ حـيَّرتَـنـي ومَطَلْتَنـي مـا أنـتَ إلّا بـاردٌ يـا رِيـقَـهُ

وقلت في التورية فيمن ركب البحر وماد[(٣)]: [الكامل]

ركب السفينةَ واستقلّ بأُفْقها فكأنما رَكب الهلالَ الفَرْقَدُ
وشكوا إليه[(٤)] بمَيْده فأجبتُهُمْ لا غَرْو أنْ ماد القضيبُ الأمْلَدُ

وقلت في التورية أيضًا[(٥)]: [المجتث]

يـا مـالـكـي بـخـلالِ تُهدي إلى الفكر خَيْرَهْ[(٦)]
أضْـرَمْـتَ قـلبـيَ نـارًا يـا مـالـكُ بـنَ نُـوَيْـرَهْ[(٧)]

وقلت في التورية على عرف العامة[(٨)]: [السريع]

قلت وقد أُلبس جسمي الضّنا صِبْغة سُقْم أبدًا لا تحولْ[(٩)]
يا من رآني أُشْفِق[(١٠)] لما حلّ بي يُلْبس[(١١)] مخيوطٌ[(١٢)] على ذي النحول

وقلت في التورية، وقد دلّك السلطان يَدَيه بالحِنّاءِ: [المديد]

إن شمسَ الدِّين مخبر الملوكِ دُرَّة العِقْدِ ووُسْطى السُّلوكِ
دَلَّكَ الكَفَّ بحنَّاءٍ فقلنا أنت شمس الدِّين عند الدُّلوكِ

(١) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٥) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٦).
(٢) في المصدرين: «الحريق».
(٣) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٦) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٦).
(٤) في الأزهار: «إليّ بميدهم».
(٥) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٩) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٦).
(٦) في النثير والنفح: «إلى القلب خَيْرَهْ». وفي الأزهار: «حيره».
(٧) مالك بن نويرة من رؤساء بني يربوع من تميم، له ذكر في حروب الردّة. توفي سنة ١١٢ هـ. الشعر والشعراء (ص ٢٥٤).
(٨) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٥٠). (٩) في النثير: «لا يحولْ».
(١٠) في النثير: «اعجبْ».
(١١) في الأصل: «ويلبس»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النثير.
(١٢) في النثير: «محبوكٌ على ذا النحول».

وقلت من التورية في رثاءِ رجل اسمه الحسن[١]: [البسيط]

أشْكو إلى الله مِنْ بثّي ومِنْ شَجَني
لم أجنِ من شَجَني[٢] شيئًا[٣] سوى مِحَنِ
أصابتِ الحَسَنَ العَيْنُ التي رَشَقَتْ
وعادةُ العين لا تُضمي سوى الحَسَنِ

وقلت من التورية الغريبة، عندما خرج السلطان من المدينة البيضاءِ بفاس طالبًا حقّه، يريد الحمراءَ بغرناطة[٤]: [الطويل]

ولمّا حَثَثْتُ السَّيْرَ والله حاكم لملكك في الدنيا بعزّ وفي الأُخرى
حكى فَرَسَ الشِّطْرَنْجِ طَرْفُكَ لا يُرى يُنَقَّلُ من بيضاءَ إلّا إلى حَمْرا

وقلت في قرية شِخْت من بادية المنكّب، وتمكنت فيها التورية من وجهين: [المتقارب]

بات رفيقي لهمْ شختُ بشيبته عافها العيانُ
وقلت: ما هذه البوادي فقال لي: شِخْت يا فلانُ

وقلت في قريب منه[٥]: [الطويل]

تَعَجَّلْتُ وَخْطَ الشَّيبِ في زمنِ الصِّبا لخوضي غِمارَ الهَمِّ في طلب المَجْدِ
فمهما رأيتم شَيبةً فوق[٦] مَفرِقي فلا تنكروها إنها شَيبةُ الحَمْدِ

وقلت من التورية بالفقه، وقد صدَّرت بها كتابًا، مجيبًا به آخر تقدَّمه[٧]: [الكامل]

يا من تَقَلَّدَ للعلاءِ سُلوكا والفَضْلُ أضحى[٨] نَهْجَهُ مَسْلوكا
كاتَبْتَني متفضّلًا فملَكْتَني لا زلتُ منكَ مُكاتَبًا مَمْلُوكا

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨١). (٢) في النفح: «محنتي».
(٣) كلمة «شيئًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٦).
(٥) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٧٩) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٦).
(٦) في الأزهار: «في مفارقي».
(٧) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٦) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥).
(٨) في النفح: «صَيَّر».

وقلت من أبيات في التورية: [الطويل]

وما كان إلّا أن جنى الطَّرْف نظرة غدا القلب رهْنًا في عقوبة ذَنْبِهِ
وما الحقّ أن يأتي امرؤ بجريرة فيُؤخذ في أوْزارها جار جَنْبِهِ

وقلت في التورية[١]: [الكامل]

ما للسُّها[٢] بادي النُّحول كأنّه مُتَسَتِّرٌ تبدو مخايلُ خَوفِهِ؟
قالوا: عليلٌ[٣]، قلتُ: هذا ممكنٌ والله أعلم[٤] داؤه مِنْ جَوفِهِ

وقلت في التورية أيضًا[٥]: [الطويل]

أجاد يَراعُ الحُسْنِ خطَّ عِذارِهِ وأودعه السِّرَّ المصون الذي يَذْري[٦]
ولم يفتقرْ فيه لختْمٍ وطابعٍ فمَبْسِمُهُ أغناه عن طابعِ السِّرّ

وقلت في عين قرية البَذُول[٧]، وفيه التورية: [السريع]

قلت اعشقوا عين البذول التي في مثلها يُرفض قول العَذُولِ
فقلّ ما أبصرتُمُ مَنْظرا أملح من مَنْظر عَيْن البَذُولِ

وقلت أيضًا في التورية: [الطويل]

وظبي لأوضاع الجمال مدرِّسٌ عليم بأقسام المحاسن ماهرْ
أرى جيدَه نصَّ المحلّى وقررت ثناياه ما ضَمَّتْ صِحاح الجواهرْ

وقلت في التورية أيضًا، وفي إشارة إلى رجل يقصد الولائم من أجل بطنه، وشدّة نَهَمه[٨]: [السريع]

اذْمِمْ ذوي التَّطفيل مهما أتى وإنْ تكنْ أجملتهُمْ فاغْنِهِ
يمشي على رجليه مَعْ كونه[٩] من جِنس من يمشي على بَطْنِهِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨١) وجاء فيه أنه قالهما في السها من النجوم الجوفية.
(٢) في النفح: «قالوا السُّها».
(٣) في الأصل: «عليك». وفي النفح: «أتراه يشكو، قلتُ...».
(٤) في النفح: «والله يَعْلَمُ دارَهُ...».
(٥) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ص ٢١٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٧).
(٦) في الأصل: «تذر»، والتصويب من المصدرين.
(٧) قرية البذول: بالإسبانية: Padul، وتقع جنوبي مدينة غرناطة.
(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨١). (٩) في النفح: «مع أنه».

وقلت في التورية أيضًا، والتورية طبّية، وقد سهرتُ في طريق المنكّب برأس المزاد، وقد صدعتني وُعُورتُه: [الخفيف]

عند رأس المزاد عادني السُّهْـ دُ ولم تُغْنِ حيلتي واجتهادي
حسبي الله كيف يبرأ سريعا سَهَرٌ عن صِداع رأس الزادِ؟

وقلت في التورية بكتاب مُسْلم، من كتب الحديث[1]: [مجزوء الكامل]

ذَهَبَ[2] الألى كانوا نجو مًا للورى فالكونُ مُظْلِمْ
وتذاكر[3] الناسُ الحديـ ـثَ الحقَّ وافتُقِدَ المُعَلِّمْ
أنا كاتبُ السلطان ما طالعْتُ قَطُّ[4] كِتابَ مُسْلِمْ
إلّا سخامًا قادحًا في الدِّين واللهُ المُسَلِّمْ

وقلت في التورية النجومية في المدح[5]: [البسيط]

إن أبْهَمَ الخطبُ جلّى في دُجُنَّته رأيًا يُفَرِّقُ بين الغَيِّ والرّشَدِ
وإن عَتا[6] الدّهرُ أبْدَى من أسرَّته وكَفُّه هَدْيَ حَيران وَرِيَّ صَدِ
وإن نظرْتَ إلى لألاءِ غُرَّتِهِ يوم الهياج رأيتَ الشمسَ في الأسَدِ

وقلت من التورية في المدح: [الطويل]

تَخَوَّنَهُ صَرْفُ الزمان وهل ترى دوامًا لحالٍ أو بقاءً على أمْرِ؟
هو الدهر ذو وَجْهين يومٌ وليلةٌ ومن كان ذا وجهين مُعتَب في غَدْرِ

وقلت وقد جَمَدت رِجْلاي لشدة البرد بتاجِرة، موريًا بعرف العامة، إذ تقول لمن بولغ في نكاله، عملت إطرافه: [الطويل]

لقد جَمَدَتْ رجلاي تاجِرةُ الرَّدى فخفَّضْتُ من بأْيِ لديها وإشرافِ
وما أرتجي من بُقعة قد هَجَوْتها لقد ظَفِرَتْ بي فهي تعمل أطرافي[7]

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٠). (٢) في النفح: «أفَلَ».
(٣) في النفح: «وتناكر».
(٤) كلمة «قطّ» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفح.
(٥) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٤). (٦) في الأصل: «غنا»، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «أطراف».

وقلت في التورية لمن يدعى شمس الدين[١]: [الرمل]

قُلْ لشمس الدين: وُقِّيتَ الردى لم يدعْ سُقْمُكَ عندي جَلَدا
رَمِدَتْ عينُكَ هذا عَجَبٌ[٢] أوَعَينُ الشَّمسِ تَشكو الرَّمَدا؟

وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالية وأمانة، وطلب من السلطان خدمته[٣]: [الوافر]

حَلَفْتَ لهمْ بأنكَ ذو يسار وذو ثِقةٍ وبَرٌّ باليمينِ[٤]
ليَسْتَندوا إليكَ بحفظِ مالٍ فتأكلَ باليَسارِ وباليمينِ

ومن المقطوعات أيضًا:

في غرض المدح [الطويل]:

طوى البُعْد عن شوقٍ وحثَّ ركابه وأوشك في مغناك حطُّ رِحالِهِ
وممَّا شجاه البعد عنك وشَفَّه تَبَدِّى نحول السّقْم فوق هِلالِهِ

وكتبتُ في جواب للسلطان، وقد رحلتُ لتفقد الثُّغور، وكان من فصوله إليَّ تقرير التشوُّق إلى اللقاءِ: [الطويل]

تخالف جِنس الشَّوق والحُكْمُ واحدٌ
وكلُّ محبٍّ في الكمال مُشتاقُ
فمعنى اشتِياقِ الأرضِ للغَيْث حاجةٌ
ومَعنى اشتياقِ الغَيْثِ للأرض إشفاقُ

وخاطبتُ سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن، ولها حكاية، وأبو الحسن الصغير، رجل كبير من فقهائها: [الكامل]

قل للذي ذكر الهدى وعهودَه فبكى وأصبح مُشفقًا من فَقْدها
غَصَبَتْ حقوقَ الله جلّ جلالُه فقضى أبو الحسن الصغير بردِّها

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٠).
(٢) في الأصل: «عجيب»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٧).
(٤) في المصدرين: «في اليمين».

وقلت في غرض المدح، أُشير إلى الكفَّتين، والعدد المستخرج منهما للمجهول[١]: [البسيط]

لا عَذْلَ في الملْكِ إلّا وَهْوَ قد نَصَبَهْ وصَيَّرَ الخَلْقَ في مِيراثه[٢] عَصَبَهْ
والكَفَّتانِ ترى مِنْ كفِّه دُرَّةً[٣] تستخرج العددَ المجهولَ للطَّلَبَهْ

وقلت، وقد مررتُ بين يدي السلطان، في يوم شديد الهاجرة، وهو ينظر من طاق بقبَّة قصره، وأنا أروم تفقّد أملاكي بالفحص، وأنكر ذلك في شدة الحر: [الطويل]

إذا كان فوقي من نَداك غمامةٌ وحوليَ روحٌ من رضاك وريحانُ
فإنَّ سمومَ القَيْظ عندي نسمة وإنَّ مشيمَ القَفْرِ عنديَ بُستانُ

وقلت مشيرًا إلى الحديث في البحر[٤]: [المتقارب]

رأيتُ بكفِّكَ اعتبارا بأْسًا ونَدًى ما أن يبارى
فقلْتُ وقد عجِبْتُ منه[٥] يا بَحْرُ متى تعود نارا[٦]؟

وقلت وقد جعل السلطان في رأسه بيضة السلاح مصقولة: [الوافر]

يا إماما، أطال رَبّي علاهُ وهُماما بالفخر ما أوْلاهُ
أنت كالرُّمح في اعتدالٍ وطولٍ وانتخاب الحديد في أعلاهُ

وقلت في غرض الافتخار[٧]: [الكامل]

ما ضَرَّني أن لم أجيء[٨] متقدّمًا فالسَّبْقُ[٩] يُعْرَفُ آخرَ المضمارِ
ولئن غدا رَبْعُ البلاغةِ بَلْقَعًا[١٠] فلربَّ كنزٍ في أساسِ جِدار

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٥).
(٢) في النفح: «في ميزانه».
(٣) في النفح: «دُرْتا أن تخرج العدد...».
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٧).
(٥) في النفح: «منها».
(٦) في النفح: «تدعو نوارا».
(٧) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٧) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٤).
(٨) في الأزهار: «لم أكنْ».
(٩) في الأصل: «بالسبق»، والتصويب من الأزهار. وفي النفح: «السبقُ».
(١٠) البلقع: الأرض القفر. لسان العرب (بلقع).

وقلت وفيه الإشارة إلى الكاتب ابن الكواب[١]: [المتقارب]

بَـأَوْتَ عـلى زمـنـي هـمَّـةً فـأعْـتـبـنـي الـزمـنُ[٢] الـعـاتِـبُ
وشـرَّفـنـي الله فـي مـوْطـنـي وفـي بـيـتِـه يـشـرف الـكـاتـبُ

وقلت، وهو من التخلُّص المخترع، وقد جرى بعض ما مدح به الملوك من بني العباس: [البسيط]

أقـول والـلـيـل أعـيـاني تـطـاولـه وأوسع الـذّمّ والـتّـعـنـيت أسْـودُهُ
ما كان يَجْرُؤ ليلي أن يُطاولني شـعـارُكُـمْ يـا بـنـي الـعـبـاس أيّـدُهُ

وقلت وهو من بديع التخلص: [البسيط]

أقـول والـصـبـح لا تـبـدو مـخـايـلهُ وقد تَعَجَّبْتُ من سُهْدي ومن أرقي[٣]
كـأنـمـا الـلـيـل زنـجـي مـلابـسـه قـد زيِّـنـتْ بـلآلـىء أنـجـم الأُفـق
ونـام سُـكْـرًا فـلا شـيءٌ يُـنَـبِّـهـه لـمـا يـخـشـى حـراكًـا حُـمْـرة الـشّـفـق

وقلت من أبيات أمدح السلطان أبا الحجاج رحمه الله[٤]: [الكامل]

في مِصْرِ قلبي من خزائنِ يوسف حَـبٌّ وعِـيـرُ مـدامـعي تَـمْـتـارُهُ[٥]
حَلَّيتُ شِعري باسمه فكأنّه فـي كـل قَـطْـرٍ جِـلُّه[٦] ديـنـارُه

وخاطبت ولده، رضي الله عنه، معترفًا بحبّي فيه، وكَرْه الخدمة[٧]: [الكامل]

قـالـوا: لـخـدمـتـه دعـاك مـحـمـدٌ فـكـرِهْـتُـهـا وزَهِـدْتُ فـي الـتّـنـويـهِ
فـأجـبـتـهُـمْ أنـا والـمـهـيـمـنِ كـارهٌ فـي خـدمـة الـمـولى مُـحِـبٌّ فـيـهِ

وراجعته عن كتاب كتب لي بخطه، من فصوله الإنحاءُ على رداءَة الحبر: [الطويل]

إذا ما تجلّى النُّور في جنح ظلمة جلاها كما تجلو الدُّجى غرَّةُ الفجرِ
فلا تُنْكِرَنَّ الحِبْرَ إنْ حالَ لونُهُ فوجْهُكَ يَجْلُو ظُلْمَتَيْ اللّيل والحبْر

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٠).
(٢) في الأصل: «الزمان»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «أرقٍ».
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٧).
(٥) تمتاره: تأتيه بالميرة، والميرة: الطعام الذي يدّخره الإنسان. لسان العرب (مير).
(٦) في النفح: «حلّه» بالحاء المهملة.
(٧) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٧).

ومن مدح البلاد وفيه بيان سبب حبِّها قولي في غرناطة[١]: [الطويل]

أُحِبُّكِ يا مَغْنى الجلال[٢] بواجب
وأقطعُ في أوصافك الغُرِّ أوقاتي[٣]

تَقَسَّمَ منكِ التُّرْبَ قومي وجيرتي
ففي الظَّهْر أحيائي[٤] وبالبطْن[٥] أمواتي[٦]

وفي سَبْتَة المحروسة[٧]: [السريع]

حُيِّيْتَ يا مُخْتَطَّ سَبْتِ بنِ نوحْ ... بكلِّ مُزْنٍ يَغْتدي أو يَرُوحْ
وحمل الرَّيحانُ رِيحَ الصَّبا ... أمانةً فيك إلى كلِّ رُوحْ

ولينظر تمام هذه المقطوعة في اسم الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق في حرف الميم. وقلت في بنيونش[٨] من أحواز خارج سبتة المذكورة: [البسيط]

لله بَنْيُونَشٍ تَحكي منازلَها ... كواكبٌ أشرقتْ في جُنْحِ ظَلْماءِ
صَحَّ النسيم فما يعتلُّ من أحد ... إلّا النَّسيم وما يرتاع من داءِ
ومن كرامتها أنّ الشمال إذا ... رامتْ زيارتها تَمْشي على الماءِ

وفي مصر، وقد بيَّنْتُ مزيَّة مُحبِّيها على مَنْ دونهم:

سلمت لمصر في الهوى من بلد ... يُهْديه هواؤه لدى استنشاقِهِ
من يُنكر دعواي فقلْ عنيَّ له ... تكفي امرأةُ العزيزِ[٩] مِنْ عُشّاقِهِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ص ٢١٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٧).
(٢) في النفح: «أحيِّيك يا معنى الكمال». وفي الأزهار: «الكمال» بدل «الجلال».
(٣) في الأصل: «أوقاتٍ»، والتصويب من المصدرين.
(٤) في الأصل: «أحياءِ»، والتصويب من المصدرين.
(٥) في المصدرين: «وفي البطن».
(٦) في الأصل: «أمواتٍ»، والتصويب من المصدرين.
(٧) تقدم ذكر هذين البيتين في أول قصيدة من ٢٣ بيتًا في الجزء الثالث من الإحاطة في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، وذكرنا هناك أنهما وردا في نفاضة الجراب (ص ١٩٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦).
(٨) بنيونش أو بليونش: بالإسبانية Peñones، قرية كبيرة عند سبتة، على جبل طارق. الروض المعطار (ص ١٠٣).
(٩) العزيز: هو قطفير العزيز بمصر، وامرأته هي زليخا.

وفي غَرناطة(١): [الكامل]

بلدٌ تَحُفُّ به الرِّياضُ كأنه وَجْهٌ جميلٌ والرِّياضُ عِذارُهُ
وكأنما واديه مِعْصَمُ فِضَّةٍ ومِنَ الجسورِ المُحْكَماتِ سِوارُهُ

وفي رياض الكُدْية التي لولدي، أسعده الله، ولا نظير لها في جلالة القدر: [السريع]

حَدِّث عن الكُدْية مَنْ شِئْتَهُ يظنُّ إخبارَكَ تَصْحِيفا
فالعقلُ بالمعتاد مُسْتأنِسٌ إنْ ذَكَر الواصفُ موصوفا
والحَقُّ في أوصافها أنها خَرْقاءُ حُسْنٍ وَجَدَتْ صوفا

وفي جنّة أخيه المعروفة بجنان الورد: [الطويل]

إذا أُهْدِي الإنسانُ وَرْدَةَ جنَّةٍ تَهَلَّلَ من بَعْدِ العُبوس مُحيَّاهُ
وأمَّل أنْ يحيا لفصلٍ يعيدها فكيف بمن في جنة الورد مَثْواهُ

وفي جنّة أخيهما بالزَّاوية(٢): [السريع]

إنْ كانت الجنَّة موجودة في الأرض قُلْنا: جنَّةُ الزَّاويةْ
يا بُقْعَةً فاز بها المشتري فأُمُّ مَنْ خَلَّفَها هاويةْ

ومن أغراض النَّسيب قلت من قصيدة: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ عهدًا كان أحْلى من الكَرى وأقْصَرَ مِنْ إلمام طَيْفِ خيالِهِ
فيا ليت شِعْري مَنْ أتاح ليَ الجوى وعَذَّبَ بالي هل أمرُّ ببالِهِ؟

وقلت، وهو من التَّشْبيه العقيم: [الكامل]

أمُعَلِّلي بمطامعٍ مِنْ دونها جَوْبُ النفوس مفاوزَ الأعمارِ
تزداد أشواقي إذا يوم خلا كتَضاعُفِ الأعداد بالأسعارِ

(١) تقدم ذكر هذين البيتين في الجزء الأول من الإحاطة عند حديث ابن الخطيب عن قرى وجنّات وجهات مدينة غرناطة.

(٢) الزاوية: من متنزهات غرناطة المشهورة. المغرب (ج ٢ ص ١٠٣) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٣٩).

وقلت من أغراض المشارقة[١]: [المتقارب]

رموا بالسُّلُوِّ حليفَ الغرامِ وأدْمُعُهُ كالحَيا[٢] الهاطلِ
أعوذ بعزِّكَ يا سيدي لذلِّيَ من دعوةِ الباطلِ

وقلت من أبيات[٣]: [الكامل]

عذَّبْتَ قلبي بالهوى فقيامُهُ في نار هَجْرِك دائمًا وقُعُودُهُ
ولقد عَهِدْتُ القلبَ منك مُوَحِّدًا[٤] فعلامَ يُقْضى في العذاب خلودُهُ؟

وقلت في ذي ذؤابة سوداء: [الرمل]

يا غزالًا تَرك القلب المُبَلّى حين ولّى في ذُفُوف[٥] وكآبهْ
كيف يخشى القلب مني خفقانا ودواء المِسْك في تلك الذُّؤابهْ؟

وقلت في النسيب[٦]: [الكامل]

مَنْ لي بذكرى كلّما أوْجَبْتُها[٧] تمحو سُلُوِّيَ واشتياقي تثبتُ
وسحابُ دَمْعٍ كلّما اسْتَمطرته[٨] غيرَ القَتادِ بمضجعي لا تُنْبت[٩]

وقلت في النَّسيب أيضًا[١٠]: [الوافر]

أضاف إلى الجفون السودِ شَعْرًا كجنحِ الليلِ أو صَبْغِ المدادِ
فقلتُ: أميرُ هذا الحسن تَزْكُو الأ جورُ له بتَكْثيرِ السَّوادِ

وقلت في المعنى أيضًا: [السريع]

من لي به أسمرُ حُلْو اللَّما أهْيَفُ ماضي السِّحْر مرهوبُهُ
كالنحل في رقَّة خصْر وفي لسْعٍ متى شاء ومقلوبُهُ

---

(١) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٧).
(٢) في الأصل: «كالحياء»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٣) البيتان في نثير فرائد الجمان (ص ٢٤٨) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٣) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٣).
(٤) في الأصل: «مُوجدًا»، وكذا ينكسر الوزن. وفي المصادر الثلاثة: «القلب وهو موحِّدٌ».
(٥) الذفوف: السرعة. لسان العرب (ذفف).
(٦) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٨).
(٧) في النفح: «أوجستها».
(٨) في النفح: «أمطرته».
(٩) في النفح: «لا يُنْبتُ».
(١٠) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦).

وقلت في النسيب أيضًا[(١)]: [المنسرح]

أنْكَرتُ[(٢)] لمّا أطَلَّ عارِضُهُ فقال لي حين رابَهُ نظري
ألم تقل لي بأنني قَمَرٌ فانظرْ إلى وَبْرِ أرْنَبِ القَمَرِ

ومن أغراض التَّضمين قلت[(٣)]: [المديد]

لا تُهِجْ بالذِّكرِ من خَلَدي[(٤)] نارَ شوقٍ[(٥)] شَقَّ مُختَمَلُهْ
ويقولُ الناسُ في مَثَلٍ لا تُحَرِّكْ مَنْ دنا أجَلُهْ

وقلت من التضمين[(٦)]: [السريع]

يا مَنْ بأكنافِ فؤادي رُتَعْ[(٧)] قد ضاقَ بي في[(٨)] حُبِّك المُتَّسَعْ
ما فيكَ لي جَدْوى ولا أرْعَوي «شُحٌّ مطاعٌ وهوًى متَّبَعْ»

وقلت من التضمين [مجزوء الرجز]

قال جوادي عندما هَمَزْتُ همزًا أعْجَزَهْ
إلى متى تهمِزني وَيْلٌ لكلِّ هُمَزَهْ

وقلت[(٩)]: [الخفيف]

أصْبَحَ الخَدُّ منكَ جَنَّةَ عَدْنٍ مُجْتَلى أعينٍ وشَمَّ أنوفِ
ظَلَّلَتْنا[(١٠)] من الجفون سيوفٌ جنَّةُ الخُلْدِ تحتَ ظِلِّ السيوفِ

وقلت: [الوافر]

محاسنُك اغْتَدَتْ جَنّاتِ عَدْنٍ لمن يَزْتادُ إحسانًا وحُسْنا
فمهما حَلَّها إنسانُ عَيْنٍ فللإنسان فيها ما تَمَنَّى

وقلت في طول الليل: [الكامل]

ساورْتُ أسْوَدَ مِنْ ظلام دُجًى من باته فإلى الجحيم دُفِعْ
أنا لا أقول سَطا الصباحُ به لكنْ طغى ثُعْبانه فَرَبِعْ

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٨).
(٢) في الأصل: «أنكرته»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٣).
(٤) في النفح: «في كبدي».
(٥) في النفح: «وَجْدٍ».
(٦) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٨).
(٧) في النفح: «رَبَعْ».
(٨) في النفح: «عن».
(٩) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٧).
(١٠) في النفح: «ظَلَّلَتْهُ».

وقــلــت[1]: [الـخـفـيـف]

رُفِعَتْ قصةُ اشتياقي ليحيىٰ فزوى[2] الوَجْهَ رافضًا للفُتُوَّة
ورمى بالكتاب ضعْفَ ابتسالٍ[3] قُلْتُ: يحيىٰ، خُذِ الكتابَ بِقُوَّة

وقــلــت:[4] [الـخـفـيـف]

سار بي للأمير يشكو اعتراضا[5] يوسفٌ والشهودُ أبناءُ جِنْسِهْ
قال: ما تقولُ؟ قلتُ بَديهًا[6] لم أخَفْ من عِقابه أو حَبْسِهْ
حَصْحص الحقُّ يا خَوَنْدُ، فدعني أنا راوَدْتُ يوسفًا عن نَفْسِهْ

وقــلــت:[7] [الـبـسـيـط]

يا كوكب الحُسْن، يا مَعْنَاه، يا قَمَرَهْ يا روضَةُ المُتناهي الرَّبعِ يا ثَمَرَهْ
أمَرْتني بسلُوٍّ عنكَ مُمْتنعٍ «مأمورُ حُسْنكَ لمَّا يَقْضِ ما أمَرَهْ»

وقلت في ذلك أيضًا[8]: [السريع]

أفْقَدَ عَيْنَيَّ[9] لذيذَ الوَسَنْ من لم أزلْ فيه خَليعَ الرَّسَنْ
عِذارُهُ المِسْكيُّ في خَدِّه أنْبَتَهُ الله النَّباتَ الحَسَنْ

وقلت في العيْن الذي بحصن نارجة، وهو ينفع من مرض الحَصا: [الكامل]

انظرْ إليه شَبيهَ مُعْجزة العَصا ماءٌ[10] بتنقية المثانة خُصِّصا
فإذا الطبيبُ سقاه أسْرَعَ نُجْحُهُ وتُحَدِّثُ الماءُ[11] الزُّلال مع الحصا

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٢).
(٢) في الأصل: «فورّى»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. وزوى وجهه: أشاحه. لسان العرب (زوى).
(٣) في النفح: «اهتبالٍ».
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٩).
(٥) في النفح: «اعتراضي».
(٦) في النفح: «مجيبًا لم نخفْ من نكاله أو لحبسه».
(٧) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٨).
(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨١).
(٩) في النفح: «جَفْنَيَّ».
(١٠) في الأصل: «ماؤه»، وكذا ينكسر الوزن.
(١١) في الأصل: «بالماء»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وقلت في التَّضمين أيضًا: [الطويل]

يعاهدني دَمْعي على كَتْم سِرِّه ويَجْري إذا ذكْرٌ جوى ويمينُ
وذاك لأنّي من نَجيعي خَضَبْتُه وليس لمخْضُوب البنان يمينُ

ومن الأوصاف وما يرجع إليها

قلت في الليل: [الطويل]

تَلَوّى ظلام الليل بالصبح ظالما إلى أنْ تَبَدّى الضوءُ وانْقَشَع الحَلَكْ
كما سَرق العَبْد العَبُوس عمامةً فأخرجها من تحته حاكم الفَلَكْ

وقلت في المعنى: [الطويل]

أقول ووعد الصُّبْح يُمْطِله الدُّجى إلى أنْ تَبَدّى للعيون مُحيَّاه
كأنَّ الصباحَ الطُّلْقَ طفلٌ مُجَرَّدٌ تَلَقَّفه الثُّعْبانُ ثم تَبَنَّاه

وقلت فيه: [الرمل]

عَبَس الليل فلا صُبْحٌ يرى وهَوى النجم وغاب الفَرْقَدُ
وضَحِكْنا وحلَيْنا طرفا أفلا يضحك هذا الأسودُ؟

وقلت فيه: [المتقارب]

أيا ليلُ، أفْرَطْتَ في جَفْوتي وعَوَّدْتَني منك شَرَّ الخِلالِ
وما ليَ ذَنْبٌ ولكنْ سَخُفْتَ بقُرْطِ الثُّريّا وتاجِ الهلالِ

وقلت فيه: [الطويل]

أرِقْتُ وجُنْحُ الليلِ قَيْدٌ لِخُطْوَةٍ(١) فَلَهْفي على الجَفْن القَريح المُسَهَّدِ
وما بليتْ نَفْسٌ تُنَظِّرُ فيه(٢) بأوْحَشَ مِنْ عَبْدٍ عَبُوسٍ مُقَيَّدِ

وقلت فيه(٣): [الكامل]

يا ليلُ، طُلْتَ ولم تَجُدْ بتبسّمٍ وأرَيْتَني خُلَقَ العَبُوسِ النادمِ
هلّا رحمْتَ تَغَرُّبي وتَفَرُّقي لله ما أقْساك يا ابنَ الخادمِ!

---

(١) في الأصل: «خطوة»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «. . .نَفْسٌ أمرت تنظر فيه»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٣) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٧).

وقلت فيه: [الكامل]

حارَ الظلامُ عليَّ دورةَ كافرٍ فقصدْتُ قَصْدَ عبادةٍ وتلاوهْ
ولَوَ أنّني كابَرْتُه لم أستطعْ ما حال أبيض في بلادِ قهاوهْ

وقلت فيه: [السريع]

بليلِ كانونٍ عَرَفْتُ الجوى لولا ضياءُ كَفٍّ مِنْ ظُلْمِهِ
طال به نَفْحُ نسيم الصَّبا فاشتعل الإصباحُ في فَحْمِهِ

وقلت فيه: [الكامل]

وكأنَّ جُنْحَ الليل أسودُ سارقٌ سَرَق الصباح الطَّلْق ثوبًا أبيضا
ما زال يضرب بالبوارق ظهره حتى أقرَّ به فها هو قد أضا

وقلت فيه: [الكامل]

يا ليلةً ساهرْتُ طالعَ أُفْقها حتى تمايل غاربًا أو غاطسا
والصُّبْحُ من ريح الشمال بزَكْمة تركَتْه مِنْ بَعْدِ استكانٍ عاصفا

وقلت في ليلة انتُخب لها الكثير من الفواكه(١): [الطويل]

أيا ليلةً بالخَصْبِ لم تَألُ شهرةً كما اشتهرَتْ في فَضْلها ليلةُ القَدْرِ
فأمّن فيها اللّوزُ من غمّة النّوى(٢) وأصبحَ فيها التِّينُ مُنشَرَحَ الصَّدْرِ

وقلت في وصف السماءِ: [الكامل]

تتَعاور القطبان فيها(٣) رُقعة وكلاهما فيها لعوبٌ حاذقُ
الزُّهَرة الزَّهْراءُ قُرْبانٌ بها والبَدْرُ شاةٌ والنجوم بَيَاذِقُ

وقلت أصف فَرَسًا أُهْديته(٤): [الطويل]

إذا ما سرى ليلًا فبالنَّجم يَهْتدي ومهما انْتَمى يومًا فللبرق يَنْتَمي(٥)
يُصيخ إذا أصغى بمَسْمع كاهن ويَرْنُو إذا أوْمى بطرف مُنجِّمِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦).
(٢) في النفح: «فآمن قلبُ اللوز من علّة النوى».
(٣) في الأصل: «فها»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) ورد منها في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٤) فقط البيتان الثالث والرابع.
(٥) في الأصل: «ينتمِ».

فَبَوَّأْتُه مِنْ مهجتي مُتَبَوَّأً ... خَفِيًّا على سِرِّ الفؤاد المُكَتَّمِ
فيا(١) عجبًا مني وفَرْط تشيُّعي ... أهيمُ بوَجْدي فيه وهو ابنُ مُلْجَمِ

وقلت أصف سكِّين بَشر للسلطان أبي سالم ملك المغرب: [الطويل]

أرى سيف إبراهيمَ بيني وبينه ... مناسبةٌ عند اعتبار المناسبِ
أُزيل حروف الخطِّ عند التِباسها ... وتبْشُر حدَّاهُ حروف الكتائبِ

وقلت في سكِّين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج(٢): [الطويل]

ليَ الفَضلُ أنْ شاهَدْتني واخْتَبَرْتني(٣) ... على كل مصقول الغِرارين مُرْهَفِ
كفانيَ(٤) فَخراً أنْ تراني قائمًا ... بسُنَّة إبراهيمَ في كَفِّ يوسفِ

وقلت كذلك: [السريع]

إنْ شَهَرَتْ نَصْلي يدا يوسف ... ريعتْ لكفِّي مهجةُ اللَّيْثِ
ولحْتُ مثل البَرْقِ في كَفِّه ... لا يُنْكر البرق على الغيثِ

وقلت في بَرّادة كان يشرب فيها السلطان: [مجزوء الرمل]

عَلَم المملوك أعني ... يوسفَ المولى الْهُماما
الغمام الأرْضَ(٥) سقى ... وأنا أسْقي الغَماما

وقلت في طَيْفُور طعام أهديته: [الطويل]

تَعَلَّمَ طيفوري خلال سَمِيِّه ... وإنْ كان منسوبًا إلى غير بَسْطامِ
فجاء فقيرُ الوقتِ لابسَ خِرْقة ... وليس براضٍ غير صُحْبة صَوَّامِ
فَدَيْتُك لا تَرْدُدْه عنك مُخَيَّبا ... ودَرْسُكَ(٦)، يا مولاي، قِصَّةُ بِلْعامِ

---

(١) في النفح: «ويا».
(٢) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٩١)، ووردا في نثير فرائد الجمان (ص ٣١٨) منسوبين إلى إبراهيم بن عبد الله النميري، المعروف بابن الحاج.
(٣) في النفح: «ليَ الفخر إن أبصرْتني أو سمعْت بي».
(٤) في نثير فرائد الجمان: «وحسبي فضلًا أن...».
(٥) في الأصل: «الأرض»، وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن.
(٦) في الأصل: «ودرسه»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وقلت في روض[١]: [المجتث]

كـأنـمـا الـروضُ مَـلْكٌ   يـبـأى[٢] بـه جُـلَسـاهُ
يَـرْضـى الـنَّـديمُ فـمـهـما   سـقـى الـرِّيـاض كـسـاهُ

وقلت في مِرْوحة سلطانية[٣]: [الطويل]

كأنّي قرْص[٤] الشمس عند طلوعها   وقد قَدِمَتْ من قبلها نَسْمَةُ الفَجْرِ
وإلّا كـما هَـبَّـتْ بـمـخـتَـدمِ الـوَغـى   صبا[٥] النَّصْر لكنْ من بُنود بني[٦] نَصْرِ

وقلت في بحريٍّ يلعب على الشريط، مُنَوَّع الحركات: [المتقارب]

ويـجـري تـلاعـبٌ فـي شـريـط   وَحى الفِغْلِ متَّصل الصُّموتِ
تَـدَلّى وارتـقـى وسـمـا وأهـوى   فأعجب في التَّماسك والثُّبوتِ[٧]
فَـقُـلْ[٨]: إنْ يَـكُـنْ بَـشَـرًا سـويًّـا   فـفـيـه غـريـزةُ[٩] عـنـكـبـوتِ

وقلت في بَيْضة سلاح مصقولة اتخذت للسلطان: [المنسرح]

خُصِصْتُ بالحُسْن وانفردْتُ به   فَـجَلَّ قـدْري وقَـلَّ أشْـبـاهي[١٠]
كـأنّـنـي كـوكـبُ الـصـبـاحِ بَـدا   عـلـى جـبـيـنِ الـغَـنـيِّ بـاللهِ

وقلت في الدَّواة والقلم: [مجزوء الرمل]

مـا رأتْ عـيـنـي عـجـيـبًـا   كـيـراعـي فـي الـدَّواةِ
غـائـصًـا يَـسْـتَـخْـرِجُ الـدُّرْ   رَ بـبـحـرِ الـظُّـلـمـاتِ

وقـلـت كـذلـك: [الـمـجـتـث]

أقـلامُـنـا الـواسِـطـيَّـهْ   ذَوابـلٌ خَـطِّـيَّـهْ
مَـضْـرُوفَـةٌ لـجـهـادِ   وحِـكـمـةٍ وعـطـيَّـهْ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٧). (٢) في النفح: «باهى».
(٣) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨). (٤) في الأزهار: «قوس».
(٥) في الأزهار: «بنصرٍ».
(٦) كلمة «بني» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من أزهار الرياض.
(٧) هذا البيت مختل الوزن. (٨) في الأصل: «فقلنا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٩) في الأصل: «من عنكبوت»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(١٠) في الأصل: «أشباه»، بدون ياء.

وقلت في مَلْزم الكُتُب: [الكامل]

يـا حُـسْـنَـهُ مـن مَـلْزم آثـارُهُ ... لـذوي الـوِراقـة أحْـسَـنُ الآثـارِ
وكـأنـما الكرّاسُ طَرْفٌ أشْـهَـبُ ... شَـدُّوا على شَفَتَيه عُـودَ زِيار[1]
وكـأنـمـا قَـلَمُ الـكـتـابِ بـصَـفْـحِـه ... مَـكْـوَى وذاك الـنِّـفـط نفط الـنـار

وقلت في بَيْضة السلاح أيضًا: [الطويل]

إذا أنت لاحظْتَ السلاحَ وَجَدْتَني ... أُطـاولُه عِـزًّا وأفْـضُـلُه قَـدْرا
ويُلْبِسُني المولى الإمامُ محمدٌ ... فتُبْصر منه الشَّمس تَوَّجَتِ البَدْرا

وقـلـت فـي ذلـك: [الـطـويـل]

لحسن بني نَصْرٍ صَنَعْت محمدا ... فيُهديك مَعْنى العزِّ فَألِيَ والنَّصْرِ
عَلَوْتُ على بحر السماءِ حَبابةً ... ولا غَرْو أن يعلو الحَبابُ على البَحْرِ

وقلت في مرآة اتُّخِذَتْ للسلطان أيضًا: [الكامل]

لِمُـجَدِّدِ الـمُـلْكِ الـرَّفـيـعِ مـحـمّـدِ ... أُنشِئتِ فاعْجَبْ من غَرابةِ شانِ
تبدو مَظاهِري لها[2] فكأنَّني ... من باطن المولى الذي أنْشاني

وقلت في وصف قينَةٍ: [الطويل]

ومُرْضِعَة طفلًا من العُود ثَدْيَها ... ولا دُرَّ إلّا الدُّرّ مِنْ أدبٍ مَحْضِ
إذا لَمَسَتْهُ بـالـبـنـان تـخـالـهـا ... طبيبًا من الحُذّاق جَسَّ على نَبْضِ

وقلت أيضًا في البَذْر: [البسيط]

أقول والبَدْرُ يسمو في السما[3] صُعُدًا ... لصاحبي والدُّجى مُسْتقبلُ الفَجْرِ
انْظُرْهُ في كفَّة الـمـيـزان صـاعـدةً ... كـأنّـهـا ضـجّـة بـيـضـاء مـن حَـجَـرِ

وقلت متغَزِّلًا، والله وليُّ التَّجاوز: [الكامل]

قَلَمُ المحاسنِ خطَّ نورَ عِذارِهِ ... أو مِثْل حُلّته يُحاكُ بلا عَلَمْ
لا تَتَّقوا عينًا تُصيبُ جماله ... فـالله عَـوَّذه بـنـونِ والـقَـلَـمْ

---

(١) الزِّيار، بكسر الزاي: خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس ليذلّ فيتمكن من بيطرته.
(٢) في الأصل: «لأمور كأنني»، وكذا يختلّ الوزن والمعنى معًا.
(٣) في الأصل: «السماءِ» وكذا ينكسر الوزن.

وقلت في معنى غريب: [الكامل]

ولَرُبَّ رِزْقِ غَدٍ[1] لقيتُ مواجهًا كَـفَّـتْ أكُـفَّـهُـمُ وقـايـةُ واقِ
جاوزتُ والتفتوا إليَّ فَخِلْتُهُمْ جعلوا ذوابِلَهُمْ على الأعناقِ

وقلت في رُمَّانة: [البسيط]

رمَّانة راقَ منها منظرٌ عجيبٌ تُريكَ صُورتُها إبداعَ باريها
كأنما حَبُّها دُرٌّ وظاهرُها خَدٌّ ومن شَحْمها قطْنٌ يُواريها

وقلت مرتجلًا لمن طلب ذلك على ضفَّة الوادي الكبير: [المتقارب]

ومُنْتَقَشِ المَتْنِ كالْمبْرَدِ إذا هبَّ عَرْفُ النَّسيم النَّدِي
تدافَعَ مُسْتَرسلًا مائجًا كما اندفَع الدِّرْعُ من مِزْوَدِ

وقلت، وقد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك: [الخفيف]

وطَمُوح العُباب ضافي المَقِيل حَسِر الرُّوح عن حُسام صقيلِ
كَسُبَيْكِ اللُّجَيْنِ ذَهَّبَهُ الصا نعُ سُبْحانَهُ بشمسِ الأصيلِ

واسْتَزادوا من ذلك فقلت: [الطويل]

ومُدَّرِعٍ يَنْسابُ في مَنْبَتِ الخُوْط[2] يداعبُ[3] مَثْوى ظِلِّه كلُّ مَغْبُوطِ
أقام شُعاع الشمس يشغل فوقه فسالَ له ذَوْبُ اللُّجين من[4] البُوطِ

ثم قلت في ذلك: [السريع]

ثعبانُ نَهْرٍ راعَنا مَدُّهُ لمّا أتى يَنْسابُ من جِحْرِهِ
فاهْتَزَّتِ الأغصانُ مِنْ فوقه وصاحتِ الأطْيارُ في إثْرِه

ثم قلت في ذلك: [الكامل]

انظرْ إليه والأصيلُ مُوَرِّسٌ والشَّمْسُ تُرْسلُ من عنان مَسِيرِها
وكأنما هُوْ زئبقٌ مُتَرَجْرِجٌ ألْقَتْ عليه الشمسُ من إكسيرِها

---

(١) في الأصل: «غدًا».
(٢) الخُوط: الغصن الناعم.
(٣) في الأصل: «تعيا»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «في»، وكذا ينكسر الوزن.

ومن وصف المواضع قلت في تاجرة: [الطويل]

بتاجِرةٍ ريحٌ أزَاحَك بَرْدُها ... إلهٌ متى اسْتَرْحَمْتَهُ فَهْوَ يَرْحَمُ
رأتْ عَصَبي غزلًا وجسمي مرمّة ... فها هي تُسْدي كلَّ يوم وتُلْحِمُ

ومن ذلك أيضًا: [السريع]

يا بُقْعَةً بالحَمْدِ معروفةً ... تَحْذَرُها الشَّمْسُ فلا تُشْرِقُ
ترى عيون الماءِ عَمْشًا بها ... وأعْيُنُ النيرانِ لا تَنْطِقُ

ومن ذلك أيضًا: [الطويل]

جَفاكِ الحَيا من بقعةٍ ظِلْتُ عندها ... بلا جَلدٍ ممّا لقيتُ ولا جَلَدْ
فلو سامَتْها الشمسُ أرْعَدَ قرصُها ... ولثَّتْ فلم تسطعْ حراكًا من البَرَدْ

وقلت أصف جبل شُلَير[(١)]: [المتقارب]

شُلَيْرُ[(٢)]، لَعَمْري أساءَ[(٣)] الجِوارَ ... وسَدَّ عليَّ رحيبَ الفضا
هو الشيخُ أبْرَدُ شيءٍ يُرى ... إذا لَبِسَ البُرْنُسَ الأبْيَضا

وقلت أُخاطب بعض أصحابنا ممن يُخْضِبُ بياضَ شَيْبه من بعد الإنقاءِ: [الكامل]

وكريمةٍ شَهِدَ الخِضابُ شهادةً ... بِفُتُوِّها عند الأداءِ مُزَوَّرَهْ
مَرِضَ الفؤادُ وحُمَّ لأجْلِها ... فَجَعَلْتُ منها للعلاج مُزَوَّرَهْ

وقلت وقد اسْتَزاد الحاضرون من هذا المعنى: [الكامل]

عَهْدي بهاتيكَ الكريمةِ مُهْرَقٌ ... يَقَقٌ تُسَرُّ به العيونُ وتُغْبَطُ
أغْرَيْتُ أجْزاءَ المِدادِ بِظِلِّها ... وكذا المِدادُ على الطرُوس مُسَلَّطُ

وقلت في ذلك: [البسيط]

وخُضْتُها[(٤)] بعدما لاح المشيبُ وقد ... جَوَّزْتُ في العقل كَتْمَ الصُّبْح بالغَبَشِ
فاضَ البياضُ على رغْم السَّوادِ بها ... ويَرْشَحُ الدَّمْعُ تَحْتَ الكُحْل في العَمَشِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٣).
(٢) شلير: جبل شديد البرد، يغطيه الثلج شتاءً وصيفًا.
(٣) في الأصل: «أسا»، والتصويب من النفح. (٤) في الأصل: «خُضتُها»، وكذا ينكسر الوزن.

وقلت عند الرجوع من الرِّحْلة: [الطويل]

رَجَعْنا بفضلِ الله بَعْدَ اسْتِدارةٍ وَفَيْنا بها الأُنْسَ كَيْلَ اخْتيارِهِ
كما راجعَ البِرْكانُ مفروض نقطةٍ من السَّطْح، منها كان بَدْءُ مدارِهِ

وقلت في الغرض المذكور: [الطويل]

إلى العينِ[١] تَنْأَى الشُّهْبُ والشمسُ فِتْنَةٌ تلألأَ منّا البَرُّ والبَحْرُ ذو الموجِ
رَحَلْنا عن الأَوْج الرفيع نَحُلّها لَمِنْ[٢] أجْلِ شتَّى ثم عُدنا إلى الأَوْجِ

وقلت أُخاطب شيخنا أبا الحسن بن الجيّاب[٣]: [الكامل]

بين السِّهام وبين كُتْبِكَ نسبةٌ مهما يُصابُ من العَدُوِّ المَقْتَلُ
وإذا أردتَ لها زيادة نِسبة هذي وهذي في الكِنانة تُجْعَلُ

وقلت في البراغيث وفيها التَّجْنيس[٤]: [البسيط]

بِتْنا نكابدُ هَمَّ القَحْطِ ليلتنا وأَنْجَدَ السُّهْدُ والكَرْبُ البراغيثا[٥]
وكان[٦] يُحْمَلُ ما كنّا نُكابدُه من المَشَقَّةِ لو أنَّ البَرى غِيثا[٧]

وقلت في ذلك[٨]: [الطويل]

وقالوا: بَدَتْ منكمْ على الجلد حُمْرَةٌ فقلْنا[٩]: براغيثٌ لكمْ رَقَّطونا[١٠]
عَدَتْ نحونا ليلًا ومن بعد ذا امتدّت[١١] كما رَقَصَتْ في القَلْوِ بزر قَطُونا[١٢]

---

(١) في الأصل: «البصر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «من»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨).
(٤) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٩) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٩).
(٥) رواية البيت في نفح الطيب هي:

بِتْنا نطارح هَمَّ القَحط ليلتنا وأَيّد الهَمُّ والسُّهد البراغِيثا

(٦) في الأصل: «وكنّا نحمل»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الأزهار. وفي النفح: «وكان يحمدُ».
(٧) البرى: التراب. غِيثا: أصابه الغيث. (٨) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨).
(٩) في نفح الطيب: «فقلْتُ».
(١٠) رقّط: نقش، وهذا ما أحدثته البراغيث من نقط حمراء باللسع على جلده. لسان العرب (رقط).
(١١) في النفح: «اغتدتْ».
(١٢) في الأصل: «في القلوب زرقطونا»، ولا معنى له، والتصويب من النفح. والقَلْو: مصدر قلا الطعامَ إذا وضعه على النار. وبزر قَطُونا: نبات لا يجاوز الذراع، دقيق الأوراق والساق، يشبه به البراغيث. محيط المحيط (قلا) و(البزر قطونا).

وقلت في معنى غريب(١): [الكامل]

إنَّ اللّحاظ هي السُّيوفُ حقيقةً ومن استراب فحجَّتي تَكْفيهِ
لم يُدْعَ غِمْدُ السيف جَفْنا باطلًا إلّا لِشِبْهِ(٢) اللّحْظِ يُغْمَدُ فيهِ

وقلت فيما يظهر منها: [الوافر]

هَمَمْتُ لأنْ أُقبِّلَها بشَيْبتي فأبْدَتْ عند ذا سِمَةَ القُنوطِ
وقالتْ لي: رأيْتُك في حياتي جَعَلْتَ بجسمها(٣) قُطْنَ الحُنُوطِ

ومن الدُّعابة والفكاهة، قولي أُخاطب رجلًا منتفخًا بالجاه، يُعْطي أُموره فوق حقّها: [الكامل]

رِفْقًا بنفسك سيدي رِفْقا فالفَضْلُ أنْ تَبْرا(٤) وأن تَبْقى
أمَّا مَزاجُك فهو معتدلٌ لكنْ أظنُّ خَيالَك اسْتَسْقا

وقلت في الغرض المذكور: [الطويل]

رأيت بمخدومي انتفاخًا فرابني وباكرْتُ دكّانَ الطبيبِ كما وَجَبْ
فقال: وَقاكَ الله فيه فلا تَخَفْ عليه فهذا النَّفْخ ليس له سَبَبْ

وقلت على طريقة المشارقة: [مجزوء الرمل]

هَمَّ أن ينتفَ ذَقْني قُلْتُ: والاني بِفَضْلِهْ
لم أكُنْ أدخلُ إلّا آمِلًا(٥) جَنَّةَ وَصْلِهْ

وقلت على طريقتهم أيضًا: [مجزوء الرمل]

قلتُ لمّا سألوني بامتحاني واخْتباري
أنا من عاريَ كأس أنا من كأسيَ عارِ

(١) البيتان في الغزل، وهما في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٨) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٨).
(٢) في الأصل: «تشبّه»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٣) في الأصل: «بجسمي»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «تَبْرأ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «أَمْرَدَا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وقلت على طريقتهم أيضًا[1]: [الطويل]

وقالتْ: حَلَقْتُ الكُسَّ مني بِنَوْرَةٍ فقلْتُ لها اسْتَنْصَرْتِ مَنْ ليس يَنْصرُ
ألا فاخْبري[2] عنّي فَدَيْتُكِ واصْدقي محَلّق[3] ذاك الكُسّ أنّي مُقَصّرُ

وقلت في بعض الأصحاب، وقد أكثر من سرقة كتب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، رحمه الله[4]: [الطويل]

خليلَيَّ إن يُقْضِ[5] اجتماع بخالد فقولا له عنّي[6] ولن تَغْدُوا الحَقّا
سرقْتَ العِمادَ الأصفهانيَّ[7] بَرْقَه وكيف ترى في شاعرٍ يسرق[8] البَرْقا؟

وقلت، وقد أرْجَف قوم من الممرورين بظهور الخاتم: [الطويل]

وقالوا[9]: ظفرْنا في الزمان بخاتم قد اجتمعتْ أوصافُهُ الغُرُّ في شَخْصِ
فقلْتُ لهمْ: إنْ صَحَّ ما قد ذكرْتُمْ فلا بُدَّ أن يُحْتاج فيه إلى فَصِّ

وقلت، ونستغفر الله من السَّفاهة: [الكامل]

قالت: بعقلك فاحتفظْ كي لا تُرى تَبْكي بضرٍّ ليس يعرف كاشفا
واعْمَلْ فديت حساب سِحري وازعَوِي فأنا الذي أخرجْتُ[10] سرَّنا كاشفا

وقلت مطاوعًا إخوان الدُّعابة: [الكامل]

قالت: إذا اسْتَخبرْتُها عن زوجها هو يُقْرن الأزواج في الفدّانِ
قُلْتُ ابْلِغي عني السلام تحيَّةً عند المجيء لزوجك القرّانِ

وقلت وهي نزعة بيطارية[11]: [الطويل]

وذي زوجةٍ تشكو فقلْتُ له اسْقِها دواءً مِنَ الحُبِّ المُلَيِّن للبَطْنِ
فقال: أبَتْ شربَ الدواءِ بِطَبْعِها فقلتُ اسْقِها إن عافت الشربَ بالقرْنِ

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦). (٢) في النفح: «فابلغي».
(٣) في الأصل: «بحلق»، والتصويب من النفح. (٤) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٩).
(٥) في الأزهار: «يُلْفَ». (٦) في الأزهار: «قولاً».
(٧) في الأزهار: «الأصبهانيّ». (٨) في الأزهار: «سَرَقَ».
(٩) في الأصل: «وقالوا قد ظفرنا...»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا كلمة «قد».
(١٠) في الأصل: «على سرّنا»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، لذا حذفنا كلمة «على».
(١١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٢).

وقلت أُخاطب بعض الطلبة، وكُنْيةُ أبيه أبو الربيع، واتّهمتُه بأكل الحشيش: [الطويل]

إنني ابن سليمان وفي الفكر فترة ... تُخْبر أنَّ العقل جِدُّ مُغيَّبِ
فقلت: أظنُّ السَّيِّد اغتَمَّ عمَّةً ... ولكنها في الأصل من كُنْية الأبِ

وقلت على طريقة المشارقة والله وليُّ المغفرة[١]: [الخفيف]

قال لي عندما أتى بجدالٍ ... وشُكُوكٍ على أُصولِ الدِّينِ
ولساني يُبَدِّلُ الدَّالَ تاءً[٢] ... عاجزًا[٣] في الأمور عن تَبْيينِ
التمسْ مخرجًا يوافقُ قولي ... قلت: أحْسَنْتَ يا جلال[٤] التِّينِ

وقلت معارضًا أبياتًا مثلها لبعض المعاصرين: [الوافر]

بعثتُ له إذ اتبعنا عَصِيرا ... هَجَرْنا في تفقُّده البُيُوتا
لعلك يا حبيبَ القلب تأتي ... فتأكل عندنا عِنَبًا وتُوتَا

وقلت أُخاطب من أدل عليه، وما أولاني بذلك[٥]: [المتقارب]

إذا قُمْتَ قُلْ[٦] بعقِيب الكَرَى ... إلـٰهيَ أنتَ إلـٰهُ الوَرى
تباركْتَ أنشأتهم من تُراب ... وأنشأتني بينهمْ من خرا[٧]

وقلت وهي نزعة مشرقية[٨]: [الكامل]

يا قائدي نحو الغرام بِمُقْلَةٍ ... نَفَقَتْ حلاوتها بكلِّ فؤادي[٩]
ماذا جَنَيتَ عليَّ من مَضَضِ الهوى ... اللهُ يُنْصِفُ منك يا قَوَّادي[١٠]

وقلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السُّكر، ولحية التيس دواءٌ نافع للبطن: [الطويل]

رعى عارضي ظَبْيٌ شكى سقْم بطنه ... وقال، ولم تُرْشِدْ لحذْقٍ ولا كيسِ:
ألم تَرَ أنّي علّة البطن أشتكي ... وينفع من يشكو بها لحية التَّيس؟

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٠). (٢) في الأصل: «تا»، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «عاجزٌ».
(٤) في الأصل: «حلّال»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٤).
(٦) في الأصل: «قلت»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٧) كلمة «الخرا» عامية، وبالفصحى: «الخُرْء». (٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٦).
(٩) في الأصل: «فؤاد»، والتصويب من النفح. (١٠) في الأصل: «قوّاد»، والتصويب من النفح.

وقلت: [الخفيف]

حين لم أزجُ للخلاص سبيلا | دأبه بالصُدود في عشّاقِهِ
قيّض الله لِحيةً لخلاصي | قَبَضَتْ بالبنان فوق خِناقِهِ

وقلت في ذلك[1]: [الخفيف]

لم أجد فيه لين بَثّ لقلبي | وقبولًا لحُجّتي واعتذاري
ثَقَّلَ اللهُ ظهره بعِيالٍ | سَوَّدَ اللهُ وجهه بعِذارِ

وقلت في ذلك: [الكامل]

ناديت مبتهلًا وقد جنَّ الدُّجى | لمَّا بَرِمْتُ بردّه وبِنَجْهِهِ
يا ربِّ، واجعل لوْعتي في قلبه | يا ربِّ، واجعل لَمْحتي في وَجْهِهِ

وفي قريب من ذلك، والله العفوُّ الغفور: [الرمل]

لي حبيب لستُ أعصى أمره | لم أُطِق بعد وصالٍ هَجْرَهُ
يَدَّعي أني ثقيلٌ مُبْرَمٌ | أثقل الله بعَذْلي ظَهْرَهُ

وقلت في مجتمع فضلاء: [الطويل]

أقول وقد جاءَ الغلام بثَرْدة | بأمثالها يحيى السَّعيد ويَنْعمُ
بنيت على زرد ولقمني الفتى | كذلك ماعونُ البناءِ يُلقَّمُ

وقلت، والله ولي التجاوز، أُداعب بعضهم[1]: [السريع]

شيخُ رِباطٍ إن أتى شادِنٌ | خَلْوَته عند انسِدالِ الظلامْ
أدْلى وقد أبصره دَلْوه | وقال: يا بُشْرايَ، هذا غلامْ

وقلت مشيرًا إلى بعض طبقات الغِناءِ[1]: [الكامل]

ضرَط الفقيهُ فقلْتُ: ذاك غريبة | ما كان ذلك منه بالمعلومِ
فَرَنا[2] إليّ وقال: قد أطْرَفتكم[3] | من ضَرْطتي بغريبة المَزْموم

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٤). (٢) في النفح: «فدنا».
(٣) في النفح: «أصرفتكم».

وقلت أصف رجلًا خبيثًا غفر الله لي وله[١]: [الطويل]

وذي حِيَلٍ يُغيى التَّقِيَّةَ أمرُها[٢] مكايِدُهُ في لُجَّةِ الليلِ تَسْبَحُ
يدبُّ شُبولَ الليثِ والليثُ ساهرٌ ويَسْرِقُ نابَ الكلبِ والكلبُ يَنْبَحُ

وقلت في نزعات المشارقة[٣]: [الوافر]

أقولُ لعاذلي لمَّا نهاني وقد وجد الملامة[٤] إذ جَفاني
علمْتَ بأنه مُرُّ التَّجنِّي وفاتكَ أنه حُلْوُ اللسانِ

ومن أغراض الإشارات الصوفية وغيرها من الوَعْظ والجِدِّ والحِكَم، ولعلَّ ذلك ماحيًا لما تقدَّمه بفضل الله

قلت: وربما ثَبَتت في كتاب «المحبة» من تأليفي: [الطويل]

تَعَدَّدَتِ الألفاظُ واتَّحَدَ المَعْنى وأصبح فَرْدًا ما مَرَرْتُ به مَثْنى
وعادَتْ لعين الجمع وهي كثيرة محا كلَّ فرقٍ مُجْتَلى وَجْهك الأسْنى
تَعَبَّدَتِ الأفكارُ آثارَك العلْيا[٥] وقَيَّدَتِ الأبصارُ روضتَكَ الغنَّا
وقَصَّرَتِ الألفاظُ عن نيل غاية ببعض الذي أبْدَتْه ذاتُك من معْنى

وقلت[٦]: [الكامل]

لا تُنكروا[٧] إن كنتُ قد أحْبَبْتُكمْ أو أنني استولى عليَّ هواكُمُ
طوعًا وكرهًا ما تَرَوْنَ فإنني طُفْتُ الوجود فما وَجَدْتُ سواكُمُ

وقلت: [السريع]

والكونُ أشْراكُ نفوسِ الوَرى طوبى لنفسٍ حُرَّةٍ فازتْ
إن لم تَحُزْ معرفة الله قد أوْرَطها الشيءُ الذي حازتْ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٨٢). (٢) في النفح: «أَمْرُهُ».
(٣) البيتان في أزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٩). (٤) في الأزهار: «المقالة».
(٥) في الأصل: «العلا» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٨) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣١٠).
(٧) في الأصل: «لا يُنكر لي»، والتصويب من المصدرين.

وقلت أيضًا في المشيب وما في معناه(١): [الكامل]

أنّى لمثلي بالهوى مِنْ بعد ما ... للوَخْط بالفودين(٢) أيُّ دبيبِ
لبسَ البياضَ وحَلَّ ذِروةَ مِنبرٍ ... منّي ووالى الوَعْظَ فعلَ خطيبِ

وقلت في تعلُّل يناقض ذلك(٣): [الخفيف]

قلتُ للشَّيب: لا يَرِبْكَ جفائي ... في اختصاري لك البرورُ وَمَقْتِكْ
أنتَ بالعَتْبِ يا مَشِيبيَ أولى ... جئتني فجأةً(٤) وفي غير وَقْتِكْ

وقلت(٣): [الرمل]

طالَ حزني لنشاطٍ ذاهبٍ ... كنتُ أُسقى دائمًا من خانِهِ(٥)
وشبابٍ كانَ يَندى نَضرةً ... نَزَلَ الثلجُ على ريحانِهِ

ونظرت يومًا إلى ولدي فأعجبتني شيبته فقلت(٣): [الرمل]

سَرَقَ الدهرُ شبابي من يدي ... ففؤادي مُشْعَرٌ بالكَمَدِ
وحملْتُ(٦) الأمرَ إذ أبصرتُه ... باعَ ما أفقَدني من ولدي

وقلت وهو الحقُّ: [المنسرح]

انظُرْ لِخَضّابِ(٧) الشَّيْبِ قد نَصَلا ... ورائد العيش بَعْدَهُ انفَصلا
ومَطْلبي والذي كَلِفْتُ به ... قد رُمْتُ تحصيله فما حَصَلا
لا أمَلٌ مُسْعِفٌ ولا عملٌ ... ونحنُ(٨) في ذا والموتُ قد وَصَلا

وقلت: [الوافر]

قَحَطْنا ثم صاب الغيثُ رحمى ... فشكرًا يا حِمامُ، إذا غَطَطْتا(٩)
ويا غَيْثَ الرِّضا، عنّا انسِكابًا ... فأنت على الخَبِير به سقَطْتا

وقلت لمّا أخذت في طريقة أبي الفرج: [الطويل]

قعدْتُ لتَذْكيرٍ ولو كنتُ مُنصفًا ... لَذَكَّرْتُ نَفْسي فَهْيَ أحْوَجُ للذِّكْرى
إذا لم يكن مني لنفسيَ زاجرًا ... فيا ليت شِعْري كيف نفعل في أخرى

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٩). (٢) في النفح: «في الفودين».
(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٠). (٤) في النفح: «غَفْلَةً».
(٥) في النفح: «حانِهِ»، وكلاهما بمعنى. (٦) في النفح: «وحمدْتُ».
(٧) في الأصل: «خِضاب»، وكذا ينكسر الوزن. (٨) في الأصل: «نحن»، وكذا ينكسر الوزن.
(٩) في الأصل: «الغطتا»، وكذا يختل المعنى والوزن معًا.

وقلت، وأنا بسلا، وقد أحْسَسْت غفلة، والحال كلّه كذلك[١]: [الطويل]

أيا أهلَ هذا القُطْر، ساعَدَهُ القَطْرُ ... دُهِيتُ[٢] فدلّوني لمن يُرْفَعُ الأمْرُ؟
تشاغلْتُ بالدنيا ونِمْتُ مُفَرِّطا ... وفي شُغْلي أو نومتي سُرِق العُمْرُ

وقلت في مِنْكانة الرَّمْل وهو بديع: [البسيط]

مِنْكانة الرَّمْل فيها عِبْرة ونُهى ... وشاهدٌ أنَّ كلّا مُنْقَضٍ كَمَدا
لُبَابُ عُمْرِ الفتى يجري بجَرْيتها ... كأنما العُمْرُ لمّا أُطْلِقَتْ قُصِدا

ولما ارتجلت ذلك، استزاد الحاضرون فقلت[٣]: [البسيط]

تَأمَّلِ الرَّمْلَ في المِنْكان[٤] مُنطلقا ... يجري وقَدْرُه عُمْرًا منك مُنْتَهبا
والله لو كان وادي الرَّملْ يُنْجده ... ما طال[٥] طائلُه إلّا وقد ذهبا

وقلت في قريب منه: [الطويل]

حَمَى الفَلَك الدوَّار جَفْني عن الكَرَى ... لشتَّى همومٍ منه فِكْريَ يَجْنِيها
أراه رحى قينٍ وعُمْري صفيحة ... يكرُّ عليها بالمدار فيُفْنِيها

وقلت في الوصايا: [الوافر]

إذا ما النَّفْسُ مالَتْ نَحْوَ حُسْنٍ ... فقد خَطَرَتْ على خَطَرِ الوُلُوعِ
فإنْ أحَسَّتْ مَيْلَهُ[٦] أدْرَكَها ... فما بَعْدَ المَمِيل سوى الوقوعِ

وقلت في المعنى: [الرجز]

إذا صَرَفْتَ نحو وجهِ حَسَن ... طَرْفَك واستهداك للحين الطَّمَعْ
فلا تُمِلْ قلبك ما اسْطَعْتَ[٧] له ... فالقلبُ كالحائط إن مال وَقَعْ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٠) ونفاضة الجراب (ص ١٦٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٩٩).
(٢) في النفح: «بُليتُ».
(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٨) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٠٩).
(٤) في المصدرين: «المنجان».
(٥) في النفح: «ما طال كامله». وفي الأزهار: «ما كان كامله».
(٦) في الأصل: «بالمَيْل»، وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «ما استطعت»، وكذا ينكسر الوزن.

وقلت: [المتقارب]

أخي، لا تقل كذبًا إن نَطَقْتَ فللناس في الصِّدق فضلٌ وَضَحْ
وخِفْ إن كذبْتَ طُروّ افتضاح فما كَذِب الفَجْرُ إلّا افتضحْ

وقلت مُنْحيًا على عالم الكَوْن والفساد: [الكامل]

والله لو كانت حياتي في يدي مَعْ جَهْلِ وَعْدِ اللهِ أو لُقْياهُ
في خَفْض عيشٍ لا تكلّف منّة الـ إنسانِ مطعمه ولا سُقياهُ
ما كان هذا العالَم الجمُّ الأذى مما يؤمّل عاقل بُقْياه

وكتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينة سَبْتة[1]: [الوافر]

أقَمْنا بُرْهَةً ثم ارتحلْنا كذلك الدهرُ حالٌ بعد حالِ
وكلُّ بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكلُّ إقامةٍ فإلى ارْتحالِ
ومن سامَ الزمانَ بعام أمرٍ[2] فقد وقفَ الرجاءَ على المحالِ

ولنختمْ غرض هذه المقطوعات بقولي، ولا حول ولا قوة إلّا بالله[3]: [مجزوء الرمل]

عَدِّ عن كيتٍ وكيتِ ما عليها غيرُ مَيْتِ
كيف ترجو[4] حالة البقا ءِ[5] لمِصْباحٍ وزَيْتِ؟

ومن الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون، وقد طُمِس اليوم رسْمُها، قولي[6]:

رُبَّ ليلٍ ظفرْتُ بالبَدْرِ ونجومُ السماء لم تَدْرِ
حفظ اللهُ لَيْلَنا ورَعى أيُّ شملٍ من الهوى جَمَعا
غفلَ الدهرُ والرقيبُ معا

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٥٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣١٢).
(٢) في النفح: «الزمان دوامَ حال». وفي الأزهار: «دوام أَمْرِ».
(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩١) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣١٣).
(٤) في الأزهار: «تُرْجى». (٥) في المصدرين: «البُقْيا».
(٦) قال لسان الدين ابن الخطيب هذه الموشحة في مدح السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، وهي في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥).

ليتَ نهرَ النهارِ[١] لم يَجرِ حَكَم اللهُ لي على الفَجْرِ
عَلِّلِ النَّفْسَ يا أخا الطَّرَبِ[٢] بحديثٍ أحلى من الضَّرَبِ
في هوى مَنْ وِصالُهُ أرَبي[٣]

كلّما مَرَّ ذكْرُ مَن أذري[٤] قلْتُ: يا بَرْدَهُ على صَدْري
صاحِ لا تَهْتَمِمْ[٥] بأمرِ غَدِ وأجِزْ صِرْفَها يدًا بيدِ
بين نهرٍ وبُلْبلٍ غَرِدِ

وغصونٍ تميلُ[٦] من سُكْرِ أعلنتْ: يا غَمامُ[٧]، بالشُّكْرِ
يا مُرادي ومنتهى أملي هاتِها عَسْجَدِيَّةَ الحُلَلِ
حَلَّتِ الشمسُ مَنْزِلَ الحَمَلِ

وبرودُ[٨] الربيعِ في نَشْرِ والصَّبا عَنْبريةُ النَّشْرِ
غُرَّةُ الصبحِ هذه وضحتْ وقيانُ الغصونِ قد صَدَحَتْ
وكأنَّ الصَّبا إذا نَفَحَتْ

وهَفا[٩] طِيبُها عن الحَضْرِ مِدْحةً في عُلا بني نَصْرِ
هم ملوكُ الورى بلا ثُنْيا مَهَّدوا الدينَ زَيَّنُوا الدُّنيا
وحمى اللهُ منهم العَلْيا

بالإمامِ[١٠] المرفَّعِ الخَطْرِ والغمامِ المبارك القَطْرِ
إنما يوسفٌ إمامُ هَدى جاز في المَغْلُواتِ كلَّ مدى
قُلْ لدهرٍ بملكه سَعِدا

(١) في الأصل: «السّرّ»، والتصويب من المصدرين.
(٢) في المصدرين: «العربِ».
(٣) في الأصل: «أربُ»، والتصويب من المصدرين.
(٤) في المصدرين: «تدري».
(٥) في الأصل: «تهتم»، والتصويب من المصدرين.
(٦) في الأزهار: «تميد».
(٧) في الأصل: «الغمام»، والتصويب من المصدرين.
(٨) في الأصل: «ورذ»، والتصويب من النفح. وفي الأزهار: «وبنود».
(٩) في الأصل: «وسما»، والتصويب من المصدرين.
(١٠) في الأصل: «فالإمام»، والتصويب من المصدرين.

افتخرْ واجبًا[1] على الدهرِ كافتخار الربيعِ بالزَّهرِ
يا عمادَ العَلاءِ والمَجْدِ أَطْلَع العيدُ طالعَ السَّعْدِ
ووفى الفتح فيه بالوعْدِ
وتَجلَّتْ فيه على القَصْرِ[2] غُرَرٌ من طلائع النَّصْرِ
فَتَهَنَّأْ من حُسْنه البَهِجِ بحياة النفوسِ والمُهَجِ
واستَمِعْها ودَعْ مقالَ شَجِي
قَسَمًا بالهوى لِذي حِجْرِ ما لِلَيْلِ المَشُوقِ مِنْ فَجْرِ

ومن ذلك قولي أيضًا[3]:

زَمَنُ الأُنْسِ كُلَّما ولَّى رَدَّه مُعْوِزْ فاغتنمْ منك ريقَ العُمْرِ وهو مُسْتَوْفِزْ
اطْرُدِ الهَمَّ بابنةِ العِنَبِ وأَجِلْ غَيْمَ الثَّرى
عن شُمُوسٍ عَكَفْنَ في حُجُبِ عن عيونِ الوَرى
هي كَنْزٌ من خالصِ الذَّهَبِ حَلَّ عند العرا
كم فقيرٍ أتى على وَعْدٍ فيه يُسْتَنْجَزْ والوعيدُ الشديدُ معروفٌ للذي يَكْنِزْ
أَضْحَكَ الفَجْرُ مَبْسِمَ الشَّرْقِ فاستراب الظَّلامْ
وانتَضى الأُفْقُ صارمَ البَرْقِ من قِرابِ الغَمامْ
وتحلَّتْ ترائبُ الوُرْقِ دُرَّ زَهْرِ الكَمامْ
ولجيشِ الصباح في الأفق رايةٌ تُرْكَزْ وخيولُ السَّحابِ بالبَرْقِ أبدًا تَنْهَزْ[4]
وقُدودُ الغصونِ تَرْتاحُ لِلقاءِ النسيمِ
وشَميمُ الرياضِ نَفّاحُ كَثَناءِ الكريمِ
ومُحَيّا الصباحِ يَلْتاحُ في الجمال الوسيمِ
وخطيبُ الحَمامِ في الغُصْن مُسْهِبٌ مُوجِزْ يُنْكِر النَّوْمَ فهو بالعَتْب مُفْصِحٌ مُلْغِزْ
للهوى قُذْوَةٌ من الناسِ ذاتُ نَهْجٍ قويمِ
لا ترى في المُدامِ من باسِ وارتشافِ النديمِ
بحديثِ الغرامِ والكاسِ في الزَّمانِ القديمِ

(١) في المصدرين: «جملة».
(٢) في الأصل: «العصر»، والتصويب من المصدرين.
(٣) خرجة هذه الموشحة ساقطة، لم ترِدْ في أصول الإحاطة.
(٤) في الأصل: «تنهمر».

طَوِّزْ واصْفَحْ كلَّ ديوانٍ وبه طَرِّزْ ما لا تُجِزْ في شريعة الظَّرْفِ غير ما جَوَّزْ

قِفْ ركابَ المدائحِ الغُرِّ بأهل برِّ الهُدى

يوسفُ الملكُ نُخْبَةُ الأَمْرِ غَيْثُ أُفْقِ النَّدى

مَنْ لأسلافه بني نَصْرِ في جهادِ العِدى؟

وكتبت عن السلطان أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بن نصر، رحمه الله، إلى التُّربة المقدّسة، تُربة رسول الله ﷺ، وهي من أوليات ما صدر عني في هذه الأغراض[١]: [الطويل]

إذا فاتني ظِلُّ الحِمى ونَعِيمُهُ
فحَسْبُ[٢] فؤادي أن يَهُبَّ نسيمُهُ

ويُقْنِعُني أنّي به مُتَكَيِّفٌ[٣]
فزَمْزَمُهُ دَمْعي وجسمي حَطِيمُهُ[٤]

يعودُ فؤادي ذكْرُ مَنْ سَكَنَ الغَضا
فيُقْعِدُهُ فَوْقَ الغَضا[٥] ويُقِيمُهُ

ولم أرَ يومًا[٦] كالنسيم إذا سَرى
شفى سَقَمَ القلبِ المَشُوقِ سَقِيمُهُ[٧]

نُعَلِّلُ بالتِّذكار نَفْسًا مَشُوقَةً
يُديرُ عليها كأسَه ويُديمه[٨]

---

(١) القصيدة في ريحانة الكتاب (ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٧) وصبح الأعشى (ج ٦ ص ٤٥٨ ـ ٤٦٧) ونفاضة الجراب (ص ١٢٣ ـ ١٢٦) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٧٤ ـ ٧٦).

(٢) في ريحانة الكتاب وصبح الأعشى ونفاضة الجراب: «كفاني وحسبي أن...».

(٣) في النفح: «متكنّفٌ».

(٤) زمزم: بئر مكة يشرب منه الحجاج. الروض المعطار (ص ٢٩٢). والحطيم: بناء بمكة ما بين الكعبة وزمزم، وهو مستدير على شكل نصف دائرة. الروض المعطار (ص ١٩٥) وصبح الأعشى (ج ٦ ص ٤٥٨، حاشية ٤).

(٥) في ريحانة الكتاب: «القضا». (٦) في صبح الأعشى ونفح الطيب: «شيئًا».

(٧) هذا البيت والذي يليه غير واردين في نفاضة الجراب.

(٨) في صبح الأعشى ونفح الطيب: «نُدير... ونُديمه».

وما شَفَّني[(١)] بالغَوْرِ قَدٌّ مُرَنَّم[(٢)]
ولا شاقني مِنْ وَحْشِ[(٣)] وَجْرَةَ[(٤)] ريمُهُ
ولا سَهِرَتْ عيني لبرْقِ ثَنِيَّةٍ
مِنَ الثَّغْرِ يبدو مَوْهِنًا فأشيمُهُ[(٥)]
براني شوقٌ للنبيِّ محمدٍ
يَسُومُ فؤادي بَرْحُهُ[(٦)] ما يَسُومُهُ
ألا يا رسولَ الله، ناداكَ ضارعٌ
على البعد[(٧)] محفوظُ الودادِ سليمُه
مَشُوقٌ إذا ما الليلُ مَدَّ رِواقَه
تحث[(٨)] به تحتَ الظلام هُمُومُه
إذا ما حديثٌ عنك جاءتْ به الصَّبا
شَجاه مِنَ الشوقِ الحديث[(٩)] قَدِيمُه
أيَجْهَرُ بالنَّجْوى وأنتَ سَمِيعُها
ويَشْرَحُ ما يخفي وأنتَ عَليمُه[(١٠)]؟
وتُعْوِزُهُ السُّقْيا وأنتَ غِياثُهُ
وتُتْلِفُه البلوى وأنتَ رحيمُه[(١١)]؟
بنوركَ، نورِ اللهِ، قد أشرقَ الهدى
فأقمارُهُ وضَّاحةٌ ونجومُه

(١) في نفاضة الجراب: «وما هاجني».
(٢) في النفح: «مُرَنَّح». وفي صبح الأعشى: «رَنْدٌ مُرَنَّح».
(٣) في الأصل: «حَشّ»، والتصويب من المصادر.
(٤) في الأصل وفي الريحانة: «وَجْدَة»، ونحن فضّلنا ما جاء في صبح الأعشى ونفاضة الجراب ونفح الطيب.
(٥) في نفاضة الجراب: «فيشيمه».
(٦) في الريحانة: «بحدُّه».
(٧) في النفح: «على النأي».
(٨) في المصادر: «تَهِمُّ».
(٩) في نفاضة الجراب ونفح الطيب: «الحثيث».
(١٠) رواية البيت في نفاضة الجراب هي:
أيجهرُ بالشكوى وأنت سميعه؟ أَيُعْلِنُ بالنجوى وأنت عليمُه؟
(١١) في النفح: «وتتلفه الشكوى». وفي نفاضة الجراب: «أتعوزه السقيا... أتتلفه البلوى...».

لـكَ[١] انـهـلّ فَـضْـلُ اللهِ بـالأرْضِ[٢] سـاكـبًـا
فــأنــواؤه مُــلْتَــفَّــةٌ وغــيــومُــهُ[٣]
ومـن فـوقِ أطـبـاقِ الـسـمـاءِ بـك اقـتـدى
خـلـيـلُ الـذي أوطـاكَـهـا[٤] وكـلـيـمُـه[٥]
لـك الـخُـلُقُ الأرْضـى الـذي جَـلّ ذِكْـرُه[٦]
ومَـجْـدُكَ[٧] فـي الـذِّكْـر الـحـكـيـم[٨] عـظـيـمـه
يَـجِـلُّ مَـدى عَـلْـيـاكَ عـن مَـدْحِ مـادحٍ
فَـمُـوسِـرُ[٩] دُرِّ الـقـولِ فـيـكَ عـديـمُـه
ولـي، يـا رسـولَ الله، فـيـكَ وِراثـةٌ
ومَـجْـدُكَ لا يَـنْـسـى الـذِّمـامَ[١٠] كـريـمُـه
وعـنـدي إلـى أنـصـار دِيـنـك نِـسْـبَـةٌ
هـي الـفـخـرُ لا يَـخْـشـى انـتـقـالًا مُـقِـيـمُـه
وكـان بـوُدّي أن أزورَ مُـبَـوّأً
بـك افـتـخـرَتْ أطـلالُهُ ورسـومُـه
وقـد يُـجْـهِـدُ الإنـسـانُ طِـرْفَ اعـتـزامـه
ويُـعْـوِزُه مِـنْ بَـعْـدِ ذاك مَـرُومُـه
وعُـذْريَ فـي تَـسْـويـفِ عَـزْمـيَ ظـاهـرٌ
إذا ضـاق عُـذْرُ الـعَـزْم عَـمَّـنْ يـلومُـه
عَـدَتْـنـي بـأقـصـى الـغَـرْب عـن تُـرْبـك الـعِـدا[١١]
جـلالِقـةُ الـثَّـغْـر الـغـريـبِ ورُومُـه

---

(١) في صبح الأعشى: «بك». (٢) في المصدر نفسه: «في الأرض».
(٣) هذا البيت ساقط في ريحانة الكتاب. (٤) في ريحانة الكتاب: «أوطا لها».
(٥) أراد هنا خليل الله، وهو إبراهيم عليه السلام. وأراد بكليمه موسى عليه السلام، وهو كليم الله.
(٦) في صبح الأعشى ونفاضة الجراب: «الذي بان فضله».
(٧) في الريحانة وصبح الأعشى: «ومجد». (٨) في النفاضة: «العظيم».
(٩) في الريحانة: «فهو سرُّ»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٠) في الأصل: «الزمام»، والتصويب من المصادر.
(١١) رواية صدر البيت في نفاضة الجراب هي: وأُسْدُ جهادٍ أَذْعَنَتْ لسيوفهمْ.

أُجاهِدُ مِنهمْ في سبيلك أُمَّةً
هي البحرُ يُعْيي أمرُها مَنْ يَرُومُهُ
فلولا اعتناءٌ منك يا ملجأَ الوَرَى[١]
لَرِيعَ حِماهُ واسْتُبِيحَ حَرِيمُه
فلا تَقْطَعِ الحَبْلَ الذي قد وَصَلْتَه
فمجْدُكَ موفورُ النَّوالِ عَمِيمُه
وأنت لنا الغيثُ الذي نَسْتَدِرُّه
وأنتَ لنا الظِّلُّ الذي نَسْتَديمُه
ولمّا نأتْ داري وأعْوزَ مَطْمَعي
وأقْلَقني شوقٌ يُشَبُّ[٢] جَحِيمُه
بَعَثْتُ بها جُهْدَ المُقِلِّ مُعَوِّلًا
على مجدك الأعلى الذي جَلَّ خِيمُه
وَكَلْتُ بها هَمِّي وصِدْقَ قريحتي
فساعدها[٣] هاءُ الرَّوِيِّ وميمُه
فلا تَنْسَني يا خيرَ مَنْ وطِئَ الثَّرى
فمِثْلُكَ لا يُنْسَى لديه خديمُه
عليك صلاة الله ما ذَرَّ[٤] شارق
وما راق من وجه الصَّباح وسِيمُه

إلى[٥] رسول الحقِّ، إلى كافَّة الخَلْق، وغَمام الرحمة الصادق البَرْق، والحائز[٦] في ميدان اصْطفاءِ الرحمٰن قَصَبَ السَّبْق، خاتَم الأنبياءِ، وإمام ملائكة السماءِ، ومن وَجَبَتْ له النبوّة وآدمُ بين الطِّين والماءِ، شَفِيعِ أربابِ الذّنوب، وطَبِيبِ أدواءِ

(١) رواية صدر البيت في نفاضة الجراب هي: فلولاهمُ يا خيرَ مَن سكنَ الحِمى.
(٢) في صبح الأعشى: «تُشَبُّ».
(٣) في الريحانة: «فساعد في هاء...». وفي النفح: «فساعَدَني». وفي نفاضة الجراب: «وكلْتُ بها همّي وأغريتُ همّتي فساعدها هاء للروي...».
(٤) في الريحانة: «ما دَرّ» بالدال المهملة. وقوله: ما ذَرَّ شارق: أي عندما يطلع قرن الشمس.
(٥) الرسالة في ريحانة الكتاب (ج ١ ص ٥٧ ـ ٦٢) وصبح الأعشى (ج ٦ ص ٤٦١ ـ ٤٦٧) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٧٦ ـ ٨١).
(٦) في النفح: «الحائز».

القلوب، ووسيلة[١] الخلق إلى عَلّام الغُيوب، نبيِّ الهُدى الذي طَهَّرَ قلْبَه، وغُفِرَ ذَنْبُه، وخَتَمَ به الرسالةَ ربُّه، وجرى في النفوس مجرى الأنفاس حُبُّه، المُشَفَّع[٢] يومَ العَرْض، المحمودِ في ملإ السمٰوات[٣] والأرض، صاحبِ اللِّواءِ المَنْشورِ[٤]، والمؤتمن على سِرِّ الكتاب المَسْطور، ومُخْرج الناس من الظُّلُمات إلى النور، المؤيَّد بكفاية الله وعِصْمته، الموفورِ حَظُّه من عنايته ونعمته[٥]، الظِّلُّ الخفّاق على أُمَّته، مَنْ لو حازَتِ الشمسُ بعضَ كماله ما عَدِمَتْ إشراقًا، أو كانت للآباءِ رحمةُ قلبه ذابتْ نفوسُهم إشفاقًا، فائدةِ[٦] الكَوْنِ ومَعْناه، وسرِّ الوجود الذي بَهَرَ[٧] الوجودَ سَناه، وصفيِّ حضرةِ القُدْس الذي لا ينام قَلْبُه إذا نامتْ عيناه، البَشِير[٨] الذي سبقت له البُشْرى، ورأى من آيات ربِّه الكبرى، ونزل عليه[٩] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾[١٠]. الأنوار[١١] من عُنْصر[١٢] نوره مُسْتَمَدّة، والآثار[١٣] من آثاره مستجدّة. مَنْ طُويَ بِساطُ الوَحْي لِفَقْده، وسُدَّ باب النبوّة[١٤] والرسالة من بعده، وأُوتي جوامعَ الكلم فوقف[١٥] البلغاءُ حَسْرى دون حدِّه، الذي انتقلَ في الغُرَر الكريمة نُورُه، وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره، وطَفِقَتِ الملائكةُ تُحَيِّيه[١٦] وفودُها وتزوره. وأُخْبِرَتِ الكُتُبُ المنزّلة على الأنبياءِ بأسمائه وصفاته، فجاء بتصديق الخبر ظهوره[١٧] وأُخِذَ عهد الإيمان[١٨] به[١٩] على مَنِ اتصلتْ بمبعثه منهم أيامُ حياته، المَفْزَعُ الأَمْنَعُ يومَ الفَزَع الأكبر، والسَّنَدُ المُعْتَمَدُ عليه[٢٠] في أهوال المَحْشَر، ذو[٢١] المعجزات التي أَثْبَتَتْها المشاهدةُ والحِسُّ، وأقرَّ بها الجِنُّ والإنس، من جماد يتكلّم، وجِذْعٍ لفراقه يتألّم، وقمرٍ له يَنْشَقُّ، وشجر[٢٢] يشهد أنَّ ما جاءَ به هو الحقّ،

---

(١) في النفح: «والوسيلة إلى علام...».
(٢) في النفح: «الشفيع المُشَفَّع».
(٣) في الصبح والنفح: «السماء».
(٤) في الصبح والنفح: «المنشور يوم النُّشور».
(٥) في الصبح والريحانة: «وحرمته».
(٦) في الريحانة: «فآيتُه الكونُ».
(٧) في الريحانة: «يبهر».
(٨) في النفح: «البَيْرق».
(٩) في الصبح والريحانة: «فيه».
(١٠) سورة الإسراء ١٧، الآية ١.
(١١) في الصبح والنفح: «مَنِ الأنوارُ».
(١٢) العنصر هنا بمعنى الأصل.
(١٣) في المصادر الثلاثة: «والآثار تَخْلَقُ وآثاره مستجدة».
(١٤) في الصبح والنفح: «باب الرسالة والنبوّة».
(١٥) في المصادر الثلاثة: «فوقفت».
(١٦) في النفح: «تجيئه».
(١٧) جملة «فجاء بتصديق الخبر ظهوره» ساقطة في صبح الأعشى ونفح الطيب.
(١٨) في صبح الأعشى: «الأنبياء».
(١٩) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصادر الثلاثة.
(٢٠) كلمة «عليه» ساقطة في الريحانة.
(٢١) في الصبح: «ذي».
(٢٢) في الريحانة والنفح: «وحجر».

وشمسٍ بدعائه عن مسيرها تُحْبَس، وماءٍ من أصابعه الكريمة[١] يَنْبَجس[٢]، وغمامٍ باسْتِسْقائه يَصُوب، وركيّة[٣] بصق في أُجاجها[٤] فأصبح ماؤها وهو العَذْبُ المَشْروب، المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب، المسمّى بالحاشر[٥] العاقب[٦] ذو المجد البعيد المراقي[٧] والمَراقِب[٨]، أكرم من رُفِعتْ[٩] إليه وسيلةُ المُعْتَرف المُتغرب[١٠]، سيِّدُ الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي فاز بطاعته المُحْسنون، واسْتُنقِذَ بشفاعته المُذْنبون، وسَعِدَ باتباعه الذين[١١] لا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون، ﷺ، ما لَمَعَ بَرْقٌ، وهَمَعَ وَدْق[١٢]، وطلعت شمس، ونَسَخَ اليومُ أمس. مِنْ عَتِيق شفاعته، وعَبْدِ[١٣] طاعته، المعتصم بسببه، المؤمنِ بالله ثم به، المُسْتَشْفي بذكره كلّما تألّم، المفتتح بالصلاة عليه[١٤] كلما تكلّم، الذي[١٥] إنْ ذُكِرَ تَمَثَّل طلوعُه بين أصحابه وآلِه، وإن هَبَّ النسيمُ العاطرُ وَجَدَ فيه طِيبَ خِلاله، وإنْ سَمِعَ الأذانَ تَذَكّر صوتَ بِلالِه[١٦]، وإن ذُكِرَ القرآنُ اسْتَشْعَرَ[١٧] تَرَدُّدَ جبريلَ بين معاهِدِهِ وخِلاله[١٨]، لاثِم تُرْبه، ومؤمِّل قُرْبه، ورهينُ طاعته وحُبِّه، المتوسّل به إلى رضى الله ربِّه[١٩]، يوسف بن إسماعيل بن نصر[٢٠]. كتَبَه إليك يا رسول الله، والدَّمْعُ ماحٍ، وخَيْلُ الوَجْد ذاتُ جماحٍ، عن شوقٍ يزداد كلّما نقص الصَّبْر، وانكسار لا يُتاحُ له إلّا بدنوّ مَزاركَ الجَبْر، وكيف

(١) كلمة «الكريمة» ساقطة في المصادر الثلاثة.
(٢) في الصبح والنفح: «يتبجّس». وفي الريحانة: «ينفجر».
(٣) في الصبح والنفح: «وطويّ».
(٤) الأُجاج: الماء المالح.
(٥) في الريحانة: «بالحاسر».
(٦) في الأصل: «والعاقب»، والتصويب من النفح والصبح.
(٧) في الصبح والنفح: «المرامي».
(٨) في الريحانة: «والمراتب».
(٩) في الريحانة: «بُعثتْ».
(١٠) في الأصل: «والمغترب»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(١١) في الأصل: «الذي».
(١٢) هَمَعَ: سقط. والوَدْقُ: المطر.
(١٣) في الريحانة: «وعهد».
(١٤) كلمة «عليه» ساقطة في ريحانة الكتاب.
(١٥) في الريحانة: «الذي يمثل طلوعه...».
(١٦) هو أبو عبد الله بلال بن الحبشي، مؤذّن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت المال. توفي بدمشق سنة ٢٠ هـ. جمهرة أنساب العرب (ص ٢٦٤) ومروج الذهب (ج ٢ ص ٣٠٠) ولسان العرب (بلل).
(١٧) كلمة «استشعر» ساقطة في الريحانة.
(١٨) في الريحانة: «وجلاله» وفي الصبح: «وجِلاله».
(١٩) في الريحانة: «وربّه»، وهو خطأ مطبعي.
(٢٠) هو السلطان أبو الحجاج، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة. اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

لا يُغيي[١] مشوقَك الأمر، وتوطأ على كبده الجَمْر[٢]، وقد مَطَلَتِ الأيامُ بالقدوم على تُرْبتك[٣] المقدَّسة اللَّحد، ووُعِدتِ الآمالُ ودانت بإخلاف الوَعْد، وانصرفتِ الرِّفاقُ والعينُ بإثمد[٤] ضريحك ما اكتحلتْ، والركائبُ إليك ما ارْتحلتْ[٥]، والعزائم قالت وما فَعَلَتْ، والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تَسْرَحْ، وظهور[٦] الآمال عن ركوب[٧] العَجْز لم تَبْرَحْ. فيا لها من[٨] معاهدَ فاز مَنْ حَيَّاها، ومشاهدَ ما أعْطَرَ ريَّاها! بلادٌ نِيطَتْ بها عليك التَّمائم[٩]، وأشرقت بنورك منها النُّجودُ والتَّهائم. ونزل في حُجُراتها عليك المَلَك، وانجلى بضياءِ فُرْقانك فيها الحَلَك[١٠]، مدارسُ الآيات والسُّوَر، ومَطالعُ المُعجزات السَّافرة الغُرَر[١١]، حيث قُضيتِ الفروضُ وحُتمتْ، وافتُتحت سور[١٢] الوَحْي[١٣] وخُتمتْ، وابْتُدِئت[١٤] المِلَّةُ الحنيفيةُ وتُمِّمَتْ، ونُسخت الآيات وأُحْكِمتْ. أما والذي بعثك بالحقِّ هاديًا، وأطْلَعك للخَلْق نُورًا باديًا، لا يُطفىء غُلَّتي إلّا شِرْبُك، ولا يُسَكِّنُ لَوْعتي إلّا قُرْبُك، فما أسْعَدَ مَنْ أفاضَ مِنْ حَرَمِ اللهِ إلى حَرمِك، وأصبح بعد أداءِ ما فَرَضْتَ عن الله ضَيْفَ كَرَمك، وعَفَّر الخدَّ في معاهدك ومعاهد أُسْرَتك، وتردَّد ما بين دَارَيْ بعْثَتِك وهِجْرتك[١٥]. وإني لما عاقَتْني عن زيارتك العَوائق وإن كان شُغْلي عنك بك، وصدَّتني[١٦] الأعداءُ فيك عن وَصْل سببي بسببك، وأصبحتُ بين[١٧] بحرٍ تتلاطمُ أمواجُه، وعَدُوٍّ تتكاثَف أفواجُه، ويحجبُ الشمسَ عند الظَّهيرة عَجاجُه، في طائفة من المؤمنين بك وَطَّنوا على الصبر نفوسَهم، وجعلوا التوكُّلَ على الله وعليك لَبُوسهم[١٨]، ورفعوا إلى مُصارحتك رؤوسهم، واستَعْذبوا في مَرْضاة الله[١٩] ومَرْضاتك بُوسهم[٢٠]، يطيرون من هَيْعَةٍ إلى أخرى،

---

(١) في الصبح: «يُغنى مشوقُك بالأمر، ويوطىء...».
(٢) في الريحانة: «الحجر» وهو خطأ مطبعي. (٣) في النفح: «تربك».
(٤) في الريحانة: «بإثر». وفي الصبح والنفح: «بنور».
(٥) في الصبح والنفح: «رحلت». (٦) في الصبح والنفح: «وطيور».
(٧) في الصبح والنفح: «وُكُور». والوكور: جمع وَكْر وهو عشّ الطائر.
(٨) كلمة «من» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصادر الثلاثة.
(٩) التمائم: جمع تميمة وهي خرزة تُنظم في السَّيْر ثم تُعقد في العُنُق.
(١٠) الحلك: الظلام الشديد. (١١) في الأصل: «والغرر».
(١٢) في الصبح والنفح: «سورة». (١٣) في النفح: «الرحمٰن».
(١٤) في الريحانة: «وأبدئت».
(١٥) دار البعثة: مكة. ودار الهجرة: طيبة، أي المدينة المنورة.
(١٦) في الصبح والنفح: «وعَدَتْني». (١٧) في صبح الأعشى: «ما بين».
(١٨) اللَّبُوس: الدِّرْع، سميت بذلك لأنها تُلبس. (١٩) في النفح والصبح: «الله تعالى».
(٢٠) في الريحانة: «نفوسهم».

ويلتفتون[١] والمخاوف[٢] عن[٣] يُمْنى ويسْرى، ويُقارِعُون وهُمُ الفئةُ القليلةُ جموعًا كجموع قَيْصرَ وكِسْرى، لا يبلغون من عدوّ هو[٤] الذَّرُّ عند[٥] انتشاره، عُشْرَ[٦] مِعْشاره، قد باعوا من الله تعالى[٧] الحياة الدُّنيا؛ لأن تكون كلمةُ الله هي العُلْيا، فيا له من سِرْبٍ مَرُوع، وصريخٍ إلّا منك[٨] ممنوع، ودعاءٍ إلى الله[٩] وإليك مرفوع. وصِبْيَةٍ حُمْر الحواصل، تَخْفِقُ فوق أوكارها[١٠] أجْنحةُ المَناصل، والصليبُ قد تمطَّى يمدُّ[١١] ذراعيه، ورَفَعَتِ الأطماع بضَبْعيه، وقد حُجِبَتْ بالقَتام السماءُ، وتلاطمتْ أمواج الحديد، والبأس الشَّديد، فالتقى الماءُ، ولم يبق إلّا الذَّماءُ[١٢]. وعلى ذلك فما ضَعُفَتِ البصائرُ ولا ساءَت الظنون، وما وُعِدَ به الشهداءُ تَعْتَقِدُه القلوبُ حتى تكاد تشاهدُه[١٣] العُيون، إلى أن نَلْقاك[١٤] غدًا إن شاءَ الله وقد أبلينا العُذْر[١٥]، وأرغَمْنا الكُفْر، وأعْمَلْنا في سبيل الله وسبيلك البِيضَ والسُّمْر[١٦]، اسْتَنَبْتُ[١٧] رُقْعتي هذه لتطير إليك من شوقي[١٨] بجناحٍ خافق، وتشعر[١٩] نيّتي التي تصحبُها لرفيق مُوافق، فتؤدّي[٢٠] عن عبدك وتُبَلِّغ، وتُعفِّرُ الخدَّ في تُرْبك[٢١] وتُمرِّغ، وتطيِّب بريًّا[٢٢] معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوفَ الخشوع[٢٣] والخضوع تجاه تابوتك، وتقول بلسان التملُّق، عند التَّشَبُّث بأسبابك والتَّعلُّق، منكسرة الطَّرْف، حَذِرًا بَهْرَجُها[٢٤] من عدم الصَّرف: يا غياث الأمة، وغَمام الرحمة، ارحمْ غُرْبَتي وانقطاعي، وتَغَمَّدْ بِطَوْلك

---

(١) في الريحانة: «وينفلتون». وفي الصبح: «ويتلفتون».
(٢) في الريحانة: «والمحاربون». (٣) كلمة «عن» ساقطة في صبح الأعشى.
(٤) في الأصل: «وهم»، والتصويب من الريحانة والنفح. وفي الصبح: «من عدوّ كالذّرّ عند انتشاره...».
(٥) في الأصل: «من»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(٦) في الريحانة والصبح: «معْشار». (٧) كلمة «تعالى» ساقطة في الريحانة.
(٨) في الصبح: «عنك». وفي الريحانة: «وصريخ عنك...».
(٩) في الريحانة: «إليك وإلى الله مرفوع».
(١٠) في الأصل: «أكارها»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(١١) في النفح: «فمدّ». وفي الصبح: «ومَدّ». (١٢) الذَّماء: بقية الروح في الجسد.
(١٣) في الصبح: «تراه». (١٤) في الريحانة: «أتلقّاك».
(١٥) أبلينا العذر: أدّيناه وقدّمناه. (١٦) البيض: السيوف. والسُّمْر: الرماح.
(١٧) هنا جواب قوله السابق: «لمّا عاقتني عن زيارتك العوائق».
(١٨) قوله: «من شوقي» ساقط في الريحانة. (١٩) في النفح والصبح: «وتُسْعَد من نيتي...».
(٢٠) في الريحانة: «فيؤدي»، وكذا يستمر فيها الكلام بضمير الغائب.
(٢١) في الصبح: «تربتك».
(٢٢) في الأصل: «بريّاها»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(٢٣) في النفح: «الخضوع والخشوع». (٢٤) في الريحانة: «بمرجها».

قِصَرَ باعي، وقَوِّ على هيبتك خَوَرَ[١] طباعي. فكم جُزتُ من لُجٍّ مَهُول، وجُبْتُ من حُزُون وسُهول، وقابِلْ بالقَبُول نيابَتي، وعَجِّلْ بالرِّضا إجابتي. ومعلومٌ من كمال تلك الشِّيم، وسخاء[٢] تلك الدِّيم، أن لا يخيب[٣] قَصْدُ مَنْ حَطَّ بِفنائها، ولا يظمأُ واردٌ أكبَّ على إنائها[٤]. اللهمَّ، يا من جَعَلْتَهُ أوَّلَ الأنبياءِ بالمغنى وآخرَهُم بالصُّورة، وأعْطَيْتَهُ لواءَ الحمْد يسيرُ آدمُ فمن دونه تحت ظلاله المَنْشُورة، ومَلَّكْتَ أُمَّته ما زُوي له من زوايا البَسِيطة المَعمورة، وجَعَلْتَني من أُمّته المَجْبُولة على حُبِّه المَفْطورة[٥]، وشَوَّقْتَني إلى مَعاهده المبْرورة، ومشاهده المَزوُرة، ووَكَلْتَ لساني بالصلاة عليه، وقَلْبي بالحنين إليه، ورغَّبْتني في التماس[٦] ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابي، ولا تَحْرِمْني في[٧] حبّه أجْرَ ثوابي، وتداركْني بشفاعته يومَ أخْذِ كتابي. هذه يا رسول الله وسيلةُ مَنْ بَعُدَتْ دارُه، وشَطَّ مزارُه، ولم يُجْعل بيده اختياره. فإن لم تكن[٨] هذه[٩] للقبول أهلًا فأنت للإغضاءِ[١٠] والسمح[١١] أهل، وإن كانت ألفاظها وَعْرَةً فجنابُك للقاصدين سهل، وإذا[١٢] كان الحبُّ يُتوارث كما أخْبَرْت، والعُروق تَدُسُّ حسبما إليه أشرْت، فلي بانتسابي إلى سَعْدٍ[١٣] عميدِ أنصاركَ مزيَّة، ووسيلة أثيرةٌ حفيَّة[١٤]، فإن[١٥] لم يكن لي عملٌ ترتضيه[١٦] فلي نيَّة. فلا تَنْسَني ومَنْ بهذه الجزيرة التي افتتحت[١٧] بسيف كلمتك، على أيدي خيار[١٨] أُمَّتك، فإنما نحن بها[١٩] وديعةٌ تحت بعض أقفالك[٢٠]، نَعُوذُ بوجْه ربِّك من إغفالك، ونَسْتَنشق من ريح عنايتك نَفْحَة، ونَرْتقب من مُحَيًّا[٢١] قبولك لَمْحة، نُدافع بها عدوًّا طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابْتغى. فمواقف التَّمحيص قد أعْيَتْ مَنْ كَتَبَ وأرَّخ[٢٢]، والبحر قد

(١) الخَوَرُ: الضعف.
(٢) في النفح والصبح: «وسجايا تيك الديم».
(٣) في الصبح: «تخيِّب».
(٤) في الريحانة: «مائها».
(٥) في الريحانة: «على حبّه، المؤملة لقربه المفطورة...».
(٦) في الصبح والنفح: «بالتماس».
(٧) في النفح: «من حبه ثوابي».
(٨) في الصبح: «يكن». وضمير «تكن» يعود إلى «وسيلة»، ويعني بها الرسالة.
(٩) كلمة «هذه» ساقطة في الصبح والنفح.
(١٠) الإغضاء: من قوله: غضّ الطرف عن الخطإ.
(١١) في الصبح والنفح: «والسماح».
(١٢) في النفح: «وإن».
(١٣) المراد سعد بن عبادة.
(١٤) في الصبح: «خفيّة» بالخاء المعجمة.
(١٥) في المصدر السابق: «وإن».
(١٦) في الريحانة: «أرتضيه».
(١٧) في النفح والصبح: «الجزيرة المفتتحة».
(١٨) في الريحانة: «خير».
(١٩) كلمة «بها» ساقطة في الريحانة.
(٢٠) في الأصل: «أفضالك»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(٢١) في الصبح: «من نور محيّا».
(٢٢) في النفح والصبح: «وورّخ».

أَصْمَتَت[١] بواعث لُجَجِهِ من اسْتَصْرخ، والطَّاغيةُ في العدوان مُسْتَبصر، والعدوّ محلّقٌ والوَلِيُّ مُقَصِّر[٢]. وبجاهك نَسْتَدفع[٣] ما لا نُطيقُ، وبعنايتك نُعالج سَقيمَ الدِّين فَيُفيقُ، فلا تُفرِدْنا ولا تُهمِلْنا، وناد ربَّك فينا، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾[٤]، وطوائفُ أُمّتك حيث كانوا، عنايةٌ منك تكفيهم، وربُّك يقولُ لك[٥]، وقوله الحَقُّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٦]. والصلاة والسلام عليكَ يا خيرَ مَنْ طافَ وسَعى، وأجاب داعيًا إذا دعا، وصلّى الله[٧] على جميع أحزابك وآلِك، صلاةً[٨] تليق بجلالك، وتَحِقُّ[٩] لكمالك، وعلى ضَجِيعَيْك وصديقَيْك، وحبيبَيْكَ ورفيقيك، خليفتك في أُمَّتك[١٠]، وفارُوقك المُسْتَخْلَف بَعْدَه على مِلَّتك[١١]، وصِهْرك ذي النُّورين المخصوص ببرِّك ونِحْلتك[١٢]، وابنِ عَمِّك، سَيْفِكَ المسلولِ على حلتك، بَدْرِ سمائك ووالد أهِلَّتك. والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرًا أثيرًا[١٣]، ورحمة الله تعالى وبركاته. وكتب[١٤] بحضرة[١٥] جزيرة الأندلس غرناطة، صانها الله تعالى[١٦] ووَقاها، ودَفَعَ عنها ببركتك كَيْدَ عِداها.

وكتبت عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله[١٧] إلى ضريح رسول الله ﷺ، وضَمَّنتُ ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات السَّنِيَّات إليه

وفي أوائل عام أحد وسبعين وسبعمائة[١٨]: [الطويل]

دعاك بأقْصَى المَغْرِبينِ غريبُ ... وأنتَ على بُعْدِ المزار قريبُ
مُدِلٌّ بأسباب الرجاءِ وطَرْفُهُ ... غَضيضٌ على حُكْمِ الحياءِ مَهيب[١٩]

---

(١) في المصدرين السابقين: «أَصْمَتَ من استصرخ».
(٢) في الريحانة: «والمولى منصر». (٣) في النفح والصبح: «ندفع».
(٤) سورة البقرة ٢، الآية ٢٨٦. وجاء في ريحانة الكتاب: «ربّنا لا...».
(٥) كلمة «لك» ساقطة في ريحانة الكتاب. (٦) سورة الأنفال ٨، الآية ٣٣.
(٧) كلمة «الله» ساقطة في ريحانة الكتاب. (٨) في الريحانة: «وآلك بما يليق...».
(٩) في الريحانة: «ويحقّ». (١٠) في الريحانة: «ملّتك».
(١١) في الصبح والنفح: «جِلّتك». (١٢) في الريحانة: «وتجِلّتك».
(١٣) كلمة «أثيرًا» ساقطة في النفح. (١٤) كلمة «وكتب» غير واردة في صبح الأعشى.
(١٥) في الريحانة: «وكتب بجزيرة...»، وفي الصبح: «من حضرة...».
(١٦) كلمة «تعالى» ساقطة في ريحانة الكتاب.
(١٧) هو الغني بالله محمد بن أبي الحجاج يوسف النصري، ثامن سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٧٥٥ هـ إلى سنة ٧٩٣ هـ. اللمحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).
(١٨) القصيدة في ريحانة الكتاب (ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٥) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٨١ ـ ٨٤).
(١٩) في ريحانة الكتاب: «المحيّا ويهيب»، وكذا ينكسر الوزن. وفي النفح: «مريب».

يُكَلِّفُ قرصَ البذر حَمْلَ تحيّةٍ ... إذا ما هوى والشمس حين تَغِيبُ
ليَرْجِع[١] من تلك المعالم غذوةً ... وقد ذاعَ من وَرْدِ[٢] التحيّة طِيبُ
ويستودعُ[٣] الريحَ الشمالَ شمائلًا ... من الحُبِّ لم يَعْلَمْ بهنَّ رقيبُ
ويطلبُ في جَيْبِ الجُيُوب جوابها ... إذا ما أطَلَّتْ والصباحُ مُنيبُ[٤]
ويَسْتَفْهِمُ الكَفَّ الخَضِيبَ ودَمْعَهُ ... غرامًا بحنّاءِ النَّجيع خَضِيبُ
ويَتْبَعُ آثار المطيِّ مشيِّعًا[٥] ... وقد زَمْزَمَ الحادي وحَنَّ نَجِيبُ
إذا أَثَرُ الأخفافِ[٦] لاحتْ محاربا ... يخرُّ عليها راكعًا ويُنيب
ويلقي ركابَ الحجِّ وهي قوافل ... طِلاحٌ وقد لبّى النداءَ[٧] لبيب
فلا قولَ إلّا أنّةٌ وتَوَجُّعٌ ... ولا حولَ إلّا زَفْرةٌ ونحيب
غليلٌ ولكنْ من قَبُولك مَنْهلٌ ... عليلٌ ولكنْ مِنْ رضاك طَبِيب
ألا ليت شعري والأمانيُّ ضَلّةٌ ... وقد تُخطىءُ الآمال ثم تُصيب
أيُنْجِد نَجْدٌ بعد شطٍّ[٨] مزاره ... ويَكْثُبُ[٩] بعد البُعْد منه كَثِيبُ[١٠]؟
وهل ينقضي دَيْني[١١] فيسمح طائعًا[١٢] ... وأدعو بحظّي مُسْمِعًا فيجيب؟
ويا ليت شعري هل لِحَوْميَ موردٌ[١٣] ... لديك؟ وهل لي في رِضاك نصيب؟
ولكنّك المولى الجوادُ وجارهُ ... على أيِّ حالٍ كان ليس يَخِيب
وكيف يضيقُ الذَّرْعُ يومًا بقاصدٍ ... وذاك الجَنابُ المُسْتجارُ رَحِيب[١٤]؟
وما هاجني إلّا تألُّقُ بارقٍ ... يلوحُ بفَوْد الليلِ منه مَشِيب
ذكرتُ به رَكْبَ الحجاز وجيرةً ... أهابَ بها نحو الحبيب مُهيب

---

(١) في الريحانة: «لنرجع». وفي النفح: «لترجع».
(٢) في النفح: «رَدٍّ». (٣) في الريحانة: «ونستودع».
(٤) في النفح: «جنيب».
(٥) في الأصل: «تشيّعًا»، والتصويب من المصدرين.
(٦) في الريحانة: «إذا آثر الأحباب». (٧) في الريحانة: «للنداءِ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٨) في النفح: «شَحْط».
(٩) في الأصل: «ويكتب»، وكذا في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «كتيب»، والتصويب من المصدرين.
(١١) في المصدرين: «وهل أقتضي دهري». (١٢) في الريحانة: «طالعًا».
(١٣) المورد: مكان ورود الماء.
(١٤) في الأصل: «حبيب»، والتصويب من المصدرين.

فبتُّ وجَفْني مِنْ لآلىءِ دَمْعه غنيٌّ وصبري للشُّجون سليب[1]
تُرنّحني[2] الذكرى ويَهْفو بيَ الهوى كما مال غصنٌ في الرياض رطيب
وأحضرُ تعليلًا لشوقيَ بالمُنَى ويطرقُ وجدٌ غالِبٌ فأغيب
مُنايَ[3]، لو اَعْطِيتُ الأمانيَّ، زَوْرةٌ يُبَثُّ غرامٌ عندها ووَجِيب
فقولُ حبيبٍ إذ يقول تَشَوُّقًا عسى وطنٌ يدنو إليَّ حبيب
تَعَجَّبْتُ من سيفي وقد سابق القضا وقلبي فلم يَسْكُبْه منه مَذيب[4]
وأعجبُ[5] أن لا يُورق الرمحُ في يدي ومن فوقه غيثُ المَشُوق[6] سَكيب
فيا سَرْحَ ذاك[7] الحيِّ لو أخلف الحَيا لأغناك من صَوْبِ الدموع صَبيب
ويا هاجرَ الجَوِّ الجديب تلبُّثًا فعهديَ رَطبُ الجانبين خَصِيب
ويا قادحَ الزَّنْدِ الشَّحاحِ[8] ترفُّقًا عليكَ فشوقي الخارجيُّ شَبيب
أيا خاتمَ الرسلِ المكينِ مكانُهُ حديثُ الغريبِ الدَّار فيك غريبُ
فؤادي على جَمْر البعاد مُقلَّب يُماحُ عليه للدموع قَليبُ
فوالله ما يزدادُ إلَّا تَلَهُّبا[9] أَالبصرَتَ[10] ماءً ثار عنه لهيب؟
فليلتُه ليلُ السليم ويَوْمُه[11] إذا شُدَّ للشوق العِصاب عَصِيب
هواي[12] هُدًى فيك اهتديتُ بنوره ومُنْتَسَبي للصَّحْب منك نَسِيب
وحَسْبِيَ على[13] أنّي لصَحْبك مُنْتَمٍ وللخَزْرَجِيِّينَ الكرامِ نَسيب
عَدَتْ عن مغانيك المَشُوقة للعدا عَقاربُ لا يخفى لهنَّ دَبيب
حِراصٌ على إطفاءِ نورٍ قَدَحْتَه فمُسْتَلِبٌ من دونه[14] وسَليب

---

(١) السليب: المسلوب، يريد أن يقول: لا صبر له.
(٢) في الأصل: «تريحني»، وكذا في ريحانة الكتاب، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «مراميَ، لو أعطي...».
(٤) في الريحانة: «تعجبت من سبقي وقد جاوز الفضا...». وفي النفح: «... وقد جاور الغَظ بقلبي فلم يسبكه...».
(٥) في الريحانة: «وأعجبت». وفي النفح: «تعجَّبْتُ».
(٦) في الأصل: «المشوب»، والتصويب من المصدرين.
(٧) في الريحانة: «ذلك»، وكذا ينكسر الوزن.
(٨) في الأصل: «الشجاع»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «الشجاح».
(٩) في الريحانة: «تلهّفًا».
(١٠) في الريحانة: «لأَبْصَرْتَ».
(١١) في النفح: «ويومُها».
(١٢) في الريحانة: «هُداي هوى...».
(١٣) في الريحانة: «عُلا».
(١٤) في الريحانة: «من دونها».

تـمرُّ الـرياح الـغُـفْـلُ فـوق كـلومـهـم ... فَـتَـغْـبَـقُ مـن أنـفـاسـهـا وتَـطِـيـب
بنصرك[١] عنك الشُّغْلُ من غير منَّةٍ ... وهـل يـتـسـاوى مَـشْـهـدٌ ومَـغِـيـب؟
فإن صحَّ منك الحَظُّ طاوعت[٢] المُنى ... ويبعـدُ مَرْمى السَّهـم وهـو مُصيب
ولولاك لم يُعْجَم[٣] من الرُّوم عُودها ... فَعُـودُ الـصَّليبِ الأعـجمـيِّ صَـلـيب
وقـد كـانـت الأحـوالُ لـولا مـراغِـبُ ... ضُـمِنَت ووعدٌ بـالظُّنون[٤] تـرِيـب[٥]
مـنـابـرُ عـزٍّ أذَّنَ الـفَـتْـحُ فـوقـهـا ... وأفصحَ للعَضْب الطَّرير خطيب[٦]
نَـقُـودُ[٧] إلـى هـيـجـائـهـا كـلَّ صـائلٍ ... كـمـا ريعَ مَـكْـحُـولُ الـلِّـحـاظ رَبـيـب
ونجتابُ مِنْ سَرْدِ[٨] اليقين مدارعا ... يُـكَـفِّـتُـهـا[٩] مـن يَـجْـتَـنـي ويـثـيـب
إذا اضطرب[١٠] الخَطيُّ حول غديرِها ... يـروقُـك مـنـهـا لُـجَّـةٌ وقَـضـيـبُ
فـعـذْرًا وإغـضـاءً ولا تَـنْـسَ صـارخـا ... بـعـزِّك يـرجـو أن يـجـيـبَ مُـجـيـب
وجـاهـك بَـعْـدَ الله نـرجـو وإنَّـه ... لَحَـظٌّ مـليءٌ[١١] بـالـوفـاءِ رَغـيـب
عـلـيـك صـلاةُ الله مـا طَـيَّـبَ الـفَـضـا ... عـلـيـك مُـطـيـلٌ بـالـثَّـنـاءِ مُـطـيـب
ومـا اهـتـزَّ قَـدٌّ لـلـغـصـون مُـرَنَّـحٌ ... ومـا افـتـرَّ ثَـغْـرٌ لـلـبُـروق شَـنـيـب

إلى[١٢] حجّة الله تعالى المؤيد[١٣] ببراهين أنواره، وفائدة الكَوْن ونُكْتة أدْواره، وصفوة نوع البَشَر ومنتهى أطْواره. إلى المُجْتَبى وموجود الوجود لم يَغْنَ بمطلق الوجود عديمه، والمُصْطفى[١٤] من ذرِّية آدم قبل أن يَكْسُو العظام أدِيمه، المحتُوم في القِدم، وظلمات العَدَم، عند صِدْق القَدَم، تقديمه وتفضيله[١٥] إلى وديعة النُّور المُنْتقل في الجِباه الكريمة والغُرَر، وغمام الرحمة الهامِية الدِّرَر. إلى مختارِ الله المخصوص باجْتِبائه، وحبيبه الذي له المزيَّة على أحبّائه، من[١٦] ذرِّية أنبياءِ الله تعالى

(١) في النفح: «لنصرك».
(٢) في النفح: «طاوعني».
(٣) في الأصل: «تعجم»، وكذا في الريحانة، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «بالظهور».
(٥) تريب: تبعث على الريبة أي الشكّ.
(٦) العَضْب: السيف. الطرير: اللين المهزّ.
(٧) في الريحانة: «تقود».
(٨) في الريحانة: «سود».
(٩) في الريحانة: «يكيّفها». ويكفّتها: يضمّها.
(١٠) في الأصل: «إذا اضطرّت الخُطى...»، وكذا في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١١) في الريحانة: «حلّى».
(١٢) هذه الرسالة في ريحانة الكتاب (ج ١ ص ٦٥ ـ ٨٠) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٨٤ ـ ٩٩).
(١٣) في النفح: «المؤيدة».
(١٤) في النفح: «المصطفى».
(١٥) في النفح: «تفضيله وتقديمه».
(١٦) في النفح: «وذرّيّة».

آبائه. إلى الذي شَرَح صدره وَغَسَلَهُ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العِباد وأرْسله، وأتمَّ عليه إنعامه الذي أجْزَله، وأنْزَل عليه من النُور والهدى[١] ما أنْزَله. إلى بُشْرى المَسيح والذَّبيح، ومن لهم التَّجْر الرَّبيح، المنصور بالرُّعب والرِّيح، المخصوص بالنَّسب الصَّريح. إلى الذي جعله في المُحُول غمامًا، وللأنبياءِ إمامًا، وشقَّ صدره لتلقِّي روح أمره غُلامًا، وأعْلم به في التَّوراة والإنجيل إعْلامًا، وعلَّم المؤمنين صلاةً عليه وسلامًا. إلى الشَّفيع الذي لا تُرَدُّ في العُصاة شفاعتُه، والوجيه الذي قُرِنت بطاعة الله طاعتُه، والرؤوف الرَّحيم الذي خَلصت إلى الله في أهل الجرائم ضَراعته. صاحب الآيات التي لا يَسعُ ردُّها، والمعجزات التي أرْبَى على الألف عدُّها، فمن[٢] قمر شُقَّ[٣]، وجِذْع حنَّ له وحقَّ، وبنانٍ يتفجّر بالماءِ، فيقوم بريَّ الظمَاء، وطعام يُشْبعُ الجَمْع الكثير يسيرُه، وغمام يُظَلِّل به مقامه ومَسِيره[٤]، خطيب المقام المحمود إذا كان العَرْض، وأول من تَنْشَقُّ[٥] عنه الأرض، ووسيلة الله تعالى التي لولاها[٦] ما أُقْرِض القَرْض، ولا عُرِف النَّفْل[٧] والفَرْض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال، من ذي الجلال، الشاهدة بصدقه صحفُ الأنبياءِ وكتبِ الإرسال، وآياته التي أثلجت القلوب ببَرد اليقين السَّلسال، صلّى الله عليه وسلّم، ما ذرَّ شارق[٨]، وأومض بارق، وفرَّق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارقٌ، صلاةً تتأرّج عن[٩] شذى الزهر[١٠]، وتَنْبَلج عن سَنَا الكواكب الزُّهر، وتتردد بين السِّرّ والجَهْر، وتستغرق ساعات النهار[١١] وأيام الشهر، وتدوم بدوام الدهر، من عبدِ هُداه، ومُسْتقْرِي[١٢] مواقع نَداه، ومزاحم أبناءِ[١٣] أنصاره في مُنْتداه، وبعض سهامه المُفَوَّقة[١٤] إلى نحور عداه. مؤمِّل الْعِتْق من النَّار بشفاعته، ومُحرز طاعة الجبَّار بطاعته، الآمن باتصال رَغْبه من إهمال الله وإضاعته، متّخذ الصلاة عليه وسائل نجاة، وذخائر في الشدائد مُرْتجاة[١٥]، ومتاجر[١٦]

---

(١) في النفح: «من الهدى والنور».
(٢) في الأصل: «من» والتصويب من المصدرين.
(٣) في الريحانة: «يشق».
(٤) في الريحانة: «ومستقرّه».
(٥) في الريحانة: «تُشقّ».
(٦) كلمة «لولاها» ساقطة في الريحانة.
(٧) النَّفْل: ما تفعله مما لم تجب.
(٨) ما ذرَّ شارق: كلما طلعت الشمس.
(٩) في النفح: «على».
(١٠) في الأصل: «الدهر»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «اليوم».
(١٢) المستقري: المتتبّع.
(١٣) كلمة «أبناء» ساقطة في الريحانة.
(١٤) يقال: فوّق السَّهْمَ إذا وجّهه وصوّبه نحو الهدف.
(١٥) في الريحانة: «أيّ مرتجاة».
(١٦) في النفح: «متاجر».

بضائعها غير مُزْجاة[١]، الذي ملأ بحبّه جوانح صدره، وجعل فكره هالةً لبَدْره، وأوجب حقّه[٢] على قَدْر العَبْد لا على قَدْره، محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي نسيب سَعْد بن عُبادة من أصحابه، وبوارق سحابه، وسيوف نُصرته، وأقطاب دار هجرته، ظلّله الله يوم الفَزَع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان، كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان، وجعله من أهل السِّياحة في فضاءِ حُبّك والهَيْمان. كتبه إليك يا رسول الله واليراعُ يقتضي[٣] مقام الهيبة صُفْرة لونه، والمداد يكاد أن يحول سواد جَوْنه، وورقة[٤] الكتاب يخفق فؤادُها حرصًا على حفظ اسمك الكريم وصَوْنه، والدمعُ يقطر فَتُنْقَط به الحروف وتُفَصَّل الأُسطر، وتوهُّمُ المثولِ بمثواك المقدَّس لا يمرُّ بالخاطر سواه ولا يخطر، عن قلبٍ بالبعد عنك قَريح[٥]، وجَفْن بالبكاءِ جريح، وتأوُّه عن تَبْريح[٦]، كلّما هَبَّ[٧] من أرضك نسيم ريح. وانكسارٌ ليس له إلّا جَبْرك[٨]، واغتراب لا يُؤنِس فيه إلّا قُرْبك، وإن لم[٩] يُقْضَ فقبرك. وكيف لا يُسلم في مثلها الأسى، ويُوحش الصباح والمسا، ويَرْجُف جَبَل الصَّبْر بعد ما رَسى، لولا لعلّ وعَسى. فقد سارت الرُّكبان[١٠] إليك ولم يُقْضَ مسير، وحوَّمت الأسْرابُ عليك والجناح كَسِير، ووعدت الآمال فأخْلَفت، وحلَفت العزائم فلم تَفِ بما حلفت، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشَّرف الأثيل، إلّا على التَّمثيل، ولا من المعالم المتناهية[١١] التَّنوير، إلّا على التَّصوير، مَهْبط[١٢] وحي الله ومُتنزَّل أسمائه، ومتردَّد ملائكة سمائه، ومَرافق[١٣] أوليائه، وملاحد أصحاب خِيرَةِ أنبيائه، رزقني الله الرضا بقضائه، والصَّبْرَ على جاحِم البُعْد ورَمْضائه.

من حمراءِ غرناطة، حرسها الله تعالى، دارِ ملك الإسلام بالأندلس قاصية سَبْلك[١٤]، ومَسْلحة[١٥] رَجْلك يا رسول الله وخَيْلك، وأنأى مَطارح دعوتك

(١) غير مُزْجاة: أي لم يتمّ صلاحها. (٢) في الريحانة: «قَدْره».
(٣) في النفح: «تقتضي الهيبة صُفْرة...».
(٤) في الأصل: «ورقّة»، والتصويب من المصدرين.
(٥) القريح: الجريح. (٦) التبريح: الإجهاد.
(٧) في الأصل: «هبّتْ»، والتصويب من المصدرين.
(٨) الجَبْر: إصلاح العَظْم. (٩) كلمة «لم» ساقطة في النفح.
(١٠) في الريحانة: «الركاب». (١١) في المصدرين: «الملتمسة».
(١٢) في الأصل: «ومهبط»، والتصويب من المصدرين.
(١٣) في النفح: «ومدافن».
(١٤) في الأصل: «سُبُلك»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٥) في النفح: «ومسحبة».

ومساحِب ذَيْلك، حيث مصافُّ الجهاد في سبيل الله وسبِيلك، قد ظلَّلها القَتام، وشُهْبان الأسنَّة أطْلَعها[١] منه الإعتام، وأسواق بيعِ النفوس من الله قد تَعَدَّد بها[٢] الأيامَى[٣] والأيتام، حيث الجِراحُ قد تحلَّت بعسجد نَجيعها النحور، والشُّهداءُ تحفُّ بها الحُور، والأُمم الغريبة قد قَطَعَتْها[٤] عن المَدد البحُور، حيث المباسِم المُفْتَرَّة، تجلوها المصارع البَرَّة، فتحييها بالعَراءِ[٥] ثغورُ الأزاهر، وتَنْدِبها صَوادحُ الأدواح برنَّات تلك المزاهر[٦]، [وتحمل[٧] السحابُ أشلاءها المُعَطَّلَة من ظلِّها[٨] بالجواهر،][٩] حيث[١٠] الإسلامُ من عدوِّه المكايد بمنزلة قَطْرةٍ من عارضِ غَمام، وحَصاةٍ من ثَبِير[١١] أو شِمام[١٢]، وقد سُدَّت الطريق، وأسْلم الفراقُ الفريق[١٣]، وأُغِصَّ الريق، ويئس من الساحل الغريق، إلَّا أن الإسلام بهذه الجهة المتمسكة بحَبْل الله وحَبْلك، المهتدية بأدِلَّة سُبُلك، سالمٌ والحمد لله من الانْصِداع، محروسٌ بفضل الله من الابْتِداع، مفقودٌ من جَديد المِلَّة، معدومٌ فيه وجودُ الطوائف المُضِلَّة، إلَّا ما يخصُّ الكفر من هذه العِلَّة، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القِلَّة. ولهذه الأيام، يا رسول الله، أقام الله أَوَدَه[١٤] بَرًّا بوجهك الوجيه ورَعْيًا، وإنجازًا لوعدك[١٥] وسَعْيًا[١٦]، وهو الذي لا يخلف وَعْدًا ولا يخيب سَعْيًا، وفتح لنا فتوحًا[١٧] أشْعَرَتْنا برضاه عن وطننا الغريب، وبَشَّرَتْنا منه تعالى بتغمُّد[١٨] التقصير ورفع التَّثْريب[١٩]، ونَصَرنا وله المِنَّة على عَبَدةِ الصليب، وجعل لألِفنا الرُّدَيْنيَّ[٢٠]

(١) في الريحانة: «أطلعت».
(٢) في الريحانة: «لها».
(٣) الأيامى: جمع أيِّم وهي المرأة التي قتل زوجها.
(٤) في النفح: «قطعها».
(٥) في الريحانة: «بالعدا».
(٦) في الريحانة: «المزامر».
(٧) في الريحانة: «تُحَلّي».
(٨) في الريحانة: «طَلِّها».
(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصدرين.
(١٠) في النفح: «وحيث».
(١١) في الريحانة: «نثير». وثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. الروض المعطار (ص ١٤٩).
(١٢) في الريحانة: «سمام». وشمام: اسم جبل لباهلة، وهو جبل أشمّ طويل الرأس. معجم البلدان (ج ٣ ص ٣٦١).
(١٣) في الريحانة: «وأَسْلم للفراقِ الغريقَ».
(١٤) الأَوَد: الاعوجاج.
(١٥) في الريحانة: «بوعدك».
(١٦) كلمة «وسعيًا» ساقطة في النفح.
(١٧) في الريحانة: «فتوحات».
(١٨) في النفح: «بغفر».
(١٩) التثريب: اللوم والتقريع.
(٢٠) الردينيّ: أي الرماح المنسوبة إلى ردينة وهي امرأة من خطّ هجر كانت هي وزوجها سمهر يقوّمان الرماح.

ولامنا[١] السَّرْدي حكم التغليب. وإذا كانت الموالي التي طوّقت[٢] الأعناق مِنَنُها، وقرَّرت العوائد الحسنة[٣] سِيَرُها وسُنَنها، تبادر إليها نُوّابها الصُّرحاءُ[٤]، وخدّامها النُّصحاءُ، بالبشائر، والمسرّات التي تُشاع في العشائر، وتَجْلُو لديها نتائج أيديها، وغايات مَباديها، وتُتاحِفُها وتُهاديها، بمجاني جنّاتها وأزاهر غَواديها، وتُطْرِف مَحاضرها بطُرَفِ بَواديها، فبابُك يا رسول الله أوْلى بذلك وأحقُّ، ولك الحقُّ الحقّ، والحرّ منا عَبْدُك المُسْتَرَق، حسبما سَجّله الرّق. وفي رضاك من كل مَنْ يَلْتمس رضاه المُطْمع، ومَثْواك المَجْمَع، وملوك الإسلام في الحقيقة عبيدُ سُدَّتِك[٥] المُؤمَّلة، وخَوَلُ مَثابَتك[٦] المُحَسّنة بالحسنات المُجَمَّلة[٧]، وشُهبٌ تَغْشو[٨] إلى بدورك المُكَمَّلة، ومحضِ[٩] سيوفك المقلَّدة في سبيل الله المُحَمَّلة، وحُرْمة[١٠] مِهادك، وسِلاح جهادك، وبُروق عِهادك[١١]. وإنّ مكفول احترامك الذي لا يُخْفر، ورَبِيَّ إنعامك الذي لا يَكْفُر[١٢]، ومُلْتجِف جاهك[١٣] الذي يُمحى ذنبه بشفاعتك إن شاءَ الله ويُغفَر، يُطالع روضة الجنّة المفتَّحة أبوابُها بمَثْواك، ويفاتح صِوان[١٤] القُدس الذي أجنَّك[١٥] وحَواك، وينثر بضائع الصلاة عليك بين يدي الضَّريح الذي يَهْواك[١٦]، ويعرض جنًى ما غرسْتَ وبذرْتَ، ومِصداق ما بشَّرت به لمَّا بشَّرت وأنْذَرت، وما انتهى إليه طَلَقُ جهادك، ومَصَبُّ عِهادك[١٧]، لِتَقِرَّ عينُ نُصحك الذي[١٨] أنام العُيونَ السّاهرة هُجوعُها، وأشبَع البُطونَ وروّاها ظَمؤها من[١٩] الله وجُوعُها. وإن كانت الأُمور بمرأى من عَيْن عنايتك، وغَيْبُها متعرِّفٌ بين إفصاحك وكِنايتك[٢٠]. ومُجْمَلُه[٢١] يا رسول الله، صلِّى الله عليك، وبَلَّغ وسِيلَتي إليك، هو[٢٢] أنّ الله سبحانه لمّا عرَّفني لطفه الخَفِيّ في التَّمحيص، المُقْتَضِي عدم المحِيص، ثم في التَّخصيص، المُغْني بعيانه

---

(١) في الأصل: «ولأمُنا»، والتصويب من المصدرين. واللام السرديّ: الدروع.
(٢) في الريحانة: «طرقت».
(٣) في النفح: «الحسان».
(٤) في الريحانة: «الصُّرَما».
(٥) في الريحانة: «سيرتك».
(٦) الخَوَلُ: الخَدَم. المثابة: مكان الإقامة، أو المكان الذي يُثاب إليه أي يُرْجَع إليه.
(٧) في الريحانة: «المحملة».
(٨) في الريحانة: «تعشى».
(٩) في النفح: «وبعض».
(١٠) في المصدرين: «وحَرَسَة».
(١١) العِهاد: المطر.
(١٢) لا يكفر: لا يجحد.
(١٣) في الريحانة: «جهادك الدين بمجاذيته بشفاعتك...».
(١٤) الصِّوان: الوعاء الذي يُصان فيه.
(١٥) في الريحانة: «أحبّك». وأجنَّك: سترك.
(١٦) في المصدرين: «طَواك».
(١٧) في الريحانة: «عمادك».
(١٨) في النفح: «التي».
(١٩) في النفح: «في».
(٢٠) في الأصل: «وكتابتك»، والتصويب من المصدرين.
(٢١) في الريحانة: «ومحمّلة».
(٢٢) في الريحانة: «وهو».

عن التَّنصيص، ووُفِّقَ[١] ببركتك السَّارية رحماها[٢] في القلوب، ووسائل محبَّتك العائدة بنيل المطلوب، إلى استفادة عظة واعتبار، واغتنام إقبال بعد إدبار، ومَزيد استبصار، واستعانة بالله تعالى وانتِصار[٣]، فسكن هبُوبُ الكفر بعد إعْصار، وحُلَّ مُخَنَّق الإسلام بعد حِصار، وجَرَت على سُنن السُّنة بحسب الاستطاعة والمنَّة اليَسيرة، وجُبِرت بجاهك القلوب الكَسِيرة، وسُهِّلَت[٤] المآرب العسيرة، ورُفِع بيد العزَّة الضَّيم، وكُشف بنور البصيرة الغَيْم، وظهر القليلُ على الكثير، وباءَ الكفرُ بخُطَّة التَّعثير، واستوى الدِّينُ الحنيف على المهاد الوَثِير، فاهْتَبَلْنا يا رسول الله غُرَّة العدوِّ وانتهزْناها، وشِمْنا[٥] صوارم عزَّة الغدُوِّ[٦] وهَزَزْناها، وأزَحْنا[٧] عِلَل الجيوش وجَهَّزناها، فكان مما ساعد عليه القَدَر، والحظُّ[٨] المُبْتَدر، والوِرْد الذي حَسُنَ منه[٩] الصَّدَر، أننا عاجَلْنا مدينة بُرْغَة[١٠]، وقد جَرَّعت[١١] الأُخْتينْ؛ مالقة ورُندة، من مدائن دينك، وخزائن[١٢] ميادينك، أكواس[١٣] الفراق، وأذكرت مَثَل مَنْ بالعراق، وسدَّت طرق التَّزاور على[١٤] الطُّراق، وأسالت المسيلَ بالنَّجيع[١٥] المُراق، في مراصد المُراد والمَراق[١٦]، ومنعت المراسلة مع هَدْي[١٧] الحمام، لا بل مع طَيْف المنام عند الإلمام[١٨]، فيسَّر الله اقتحامها، وألْحَمت بيضُ الشِّفار في رؤوس[١٩] الكفار إلحامها، وأزال[٢٠] بَشْرُ السيوف من بين تلك الحروف إقْحامها، فانطلق المَسْرى، واسْتَبْشرت القواعدُ الحَسْرى، وعَدِمت بطريقها المُخيف مصارع الصَّرْعى ومثاقِف[٢١] الأسرى، والحمد لله على فتحه الأسْنَى ومَنْحِه الأسْرَى، ولا

---

(١) في الأصل: «ووفَّق»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «ووافق».

(٢) في النفح: «رحماتها». (٣) في الريحانة: «واستنصار».

(٤) في الريحانة: «ويُسِّرَتْ».

(٥) في الأصل: «وشَمَمْنا»، والتصويب من المصدرين.

(٦) في الأصل: «عزّ الله»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «عزّة العدو».

(٧) في الريحانة: «وأزَحْنا». (٨) في النفح: «والخطب».

(٩) في النفح: «حصل بعده».

(١٠) بُرْغة: بالإسبانية: Burgo، وهي مدينة تقع بين رندة ومالقة.

(١١) في الريحانة: «جَدَعَت». (١٢) في النفح: «مزابن».

(١٣) في النفح: «أكؤس». (١٤) في النفح: «عن».

(١٥) النجيع: الدم.

(١٦) في الريحانة: «والمذاق». والمراق: أصل القول: «المراقي» جمع مرقاة وهي السلّم ونحوه.

(١٧) في النفح: «هدير». (١٨) في الريحانة: «الإلهام».

(١٩) في النفح: «زرق». (٢٠) في الريحانة: «وأزالت».

(٢١) في الأصل: «ومناقف»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «ومثاقب».

إلـه إلّا[١] هو مُنَفِّلُ قَيْصر وكِسْرى، وفاتح مُغْلقاتهما[٢] المَنيعة قَسْرا، واستولى الإسلام منها على قرار جنَّات، وأمِّ بنات، وقاعدة حصون، وشجرة غُصون، طهّرت[٣] مساجدها المغتصبة المكرهة[٤]، وفُجع فيها[٥] الفيل الأفيل وأَبْرهة[٦]، وانطلقت بذكر الله الألسنة المِذْرهة[٧]، وفاز بسبق ميدانها الجِياد[٨] الفرهة. هذا وطاغية الرُّوم على توفُّر جموعه، وهَوْل مَرْئِيه ومسْموعه، قريبٌ جِواره، بحيث يتَّصل خُواره، [وقد حَرّكَ إليها الحنينُ جِواره.][٩] ثم نازل المسلمون بعدها شَجا الإسلام الذي أعْيا النِّطاسيَّ علاجُه، وكرك[١٠] هذا القطر الذي لا تُطاول[١١] أعلامه ولا تُصاول[١٢] أعْلاجه، ورِكاب الغارات التي تطوي المراحل إلى مُكايدة المسلمين طيّ البرود، وجُحْر الحيَّات التي لا تَخلع على اختلاف الفصول جلود الزُّرود، ومُنَغِّص الوُرود في العَذْب المَوْرود[١٣]، ومُقِضُّ المضاجع، وحِلم الهاجع، ومُجَهّز الخَطْب الفاجىء الفاجِع، ومُسْتَدرك فاتكة الراجع، قبل هُبوب الطائر السَّاجع، حصن آشِر[١٤]، حماه الله دُعاءً لا خبرًا، كما جعله للمتفكرين في قُدْرته مُعْتبرًا، فأحاطوا به إحاطة القِلادة بالجِيد، وأذلُّوا عزَّته بعزَّة ذي العرش المَجِيد، وحفَّت به الرايات يَسِمُها وَسْمُك، ويلوح في صفحاتها اسمُ الله تعالى واسْمُك، فلا ترى إلَّا نفوسًا تتزاحم على مَوارِد[١٥] الشهادة أسرابها، وليوثًا يَصْدُق طِعانها في الله وضرابُها[١٦]، وأرسل الله عليها رِجْزًا إسرائيليًا من جَراد السِّهام، تَشِذُّ آيته[١٧] عن الأفهام، وسدَّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستِغْلاق والاسْتِبهام،

(١) في الريحانة: «إلّا الله هو».
(٢) في الريحانة: «مغلقاتها».
(٣) في الأصل: «وطهرت»، والتصويب من المصدرين.
(٤) في الريحانة: «المكرّمة».
(٥) في النفح: «بحفظها».
(٦) في الريحانة: «الفيل إلّا فيل أبرهة».
(٧) في الريحانة: «المذرهة».
(٨) في الريحانة: «جياده». وفي النفح: «جيادك».
(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفح. وفي الريحانة: «وقد عرك إليها الحين حواره».
(١٠) في الريحانة: «وكر». والمراد هنا حصن الكرك، الذي كان له شأن ومنعة في الحروب الصليبية.
(١١) في الريحانة: «يطاول».
(١٢) في الأصل: «يصاول»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٣) في الريحانة: «البرود».
(١٤) حصن آشر: بالإسبانية Iznajar، ويقع على ضفة أحد روافد نهر شنيل.
(١٥) في النفح: «مورد».
(١٦) في النفح: «يصدق في الله تعالى ضِرابُها».
(١٧) في النفح: «آياته».

وقد عبثت جَوارح صخوره في قَنائص الهام، وأعيا صَعْبُه على الجيش اللُّهام، فأخذ مسائِغَهُ[١] النَّقضُ والنَّقبُ[٢]، ورَغا فوق أهله السَّقْب[٣]، ونُصبت المعارج والمَراقي، وقُرعت[٤] المناكب والتَّراقي، واغتنم الصَّادقون من[٥] الله الحظَّ الباقي، وقال الشهيد المسابق[٦]: يا فَوْزَ اسْتِباقي، ودُخل البلد فالتحم[٧] السَّيف، واسْتُلِبَ البَخت والزَّيْف، ثم استُخْلصت القصبة فعلت أعلامُك في أبراجها المُشَيَّدة، وظَفِر ناشدُ دينك منها بالنَّشيدة[٨]، وشكر الله في قصدها مساعيَ النصائح الرَّشيدة، وعمل ما يرضيك يا رسول الله في سَدِّ ثَلْمِها، وصَوْن مُسْتَلمها، ومُداواة ألمها، حرصًا على الاقتداءِ في مِثلها بأعمالك، والاهتداءِ بمِشْكاة كمالك، ورُتِّب فيها الحُماة تشْجي العدو، وتواصل[٩] في مَرْضاة الله تعالى ومَرْضاتك الرَّواح والغُدُوّ[١٠]. ثم كان الغزو إلى مدينة أُطْرِيرة[١١]، بنت حاضرة الكفر إشبيلية، التي أظلَّتها بالجناح السَّاتر، وأنامتها[١٢] في ضَمان الأمان للحُسام الباتر، وقد وتَر الإسلام من[١٣] هذه المُومِسة[١٤] البائسة بوَتر الواتر، وأُحْفظ منها بأذى[١٥] الوَقَاح المُهاتر، لما جَرَّته على أسْراه[١٦] من عمل الخاتِل الخاتر، حَسْبَ المنْقُول لا بل المُتَواتَر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تَشْكُ المطيُّ الروازح[١٧]، وصدق في[١٨] الجِدِّ جَدُّها المازِح، وخفقت فوق أوكارها أجنحةُ الأعلام، وغَشيتها[١٩] أفواجُ الملائكة الموسومة[٢٠] وظِلال[٢١] الغمام، وصابَت من السهام

---

(١) في الريحانة: «مسايفة».
(٢) في الريحانة: «والنهب».
(٣) في الأصل: «أهِلَّة الصَّقْب»، والتصويب من النفح، والسَّقْب: ولد الناقة، وهنا إشارة إلى ما حلَّ بقوم صالح عندما عقروا الناقة، فيقال في المثل: «رغا فوقهم السَّقْب». لسان العرب (سقب).
(٤) في الأصل: «وفرعت»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «وفرغت».
(٥) في النفح: «مع».
(٦) في النفح: «السابق».
(٧) في الريحانة: «فألحم».
(٨) النشيدة: الضالَّة التي تنشد أيّ طلب.
(٩) في النفح: «وتصل».
(١٠) في النفح: «برواحها الغُدُوّ».
(١١) أُطريرة: بالإسبانية Ultrera، وهي مدينة إلى الجنوب الشرقي من إشبيلية، على بعد ٣٩ كلم.
(١٢) في الأصل: «وأقامتها»، والتصويب من المصدرين.
(١٣) في الأصل: «في»، والتصويب من المصدرين.
(١٤) المومسة: المطروقة والمقصودة، وأراد بها مدينة أطريرة التي غزتها جحافل المسلمين ليحرروها.
(١٥) في الريحانة: «بادي».
(١٦) في الريحانة: «أسراره».
(١٧) في الريحانة: «الروادح».
(١٨) كلمة «في» ساقطة في الريحانة.
(١٩) في الأصل: «وعشيها»، والتصويب من المصدرين.
(٢٠) في الريحانة: «المُسَوَّمة».
(٢١) في الريحانة: «وظلَّل».

وَذقُ الرِّهام[١]، وكاد يَكْفي السماءَ[٢] على الأرض ارتجاج أطْوادها[٣] بكلمة الإسلام، وقد صَمَّ خاطِبُ عروس الشهادة عن الملام، وسمح بالعزيز المَصُون مُبايع[٤] الملك العلَّام، وتكلَّم لسانُ الحديد الصَّامت وصَمَت إلَّا بذكر الله لسانُ الكلام، ووفَّت[٥] الأوتار بالأوتار، ووصل بالخَطِّيِّ[٦] ذرعُ[٧] الأبيض البتَّار، وسُلِّطَت النار على أربابها، وأذن الله في تَبار تلك الأمة وتَبابها[٨]، فنزلوا[٩] على حكم السيف آلافًا، بعد أن أُتلفوا بالسلاح إتلافًا، واستَوْعَبَت[١٠] المُقاتلة أكْنافًا[١١]، وقُرِنوا في الجُدُل[١٢] أكتافًا أكتافًا، وحُملت العقائل والخَرائد، والوِلدان والولائد، إركابًا من فوق الظهور وإرْدافًا، وأقَلَّت منها أفلاك الحُمول بدورًا تُضيءُ من ليالي المحاق أسْدافًا[١٣]، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم، بما لا يُصوِّره حلم النَّائم، وتُركت العَوافي تتداعى إلى تلك الولائم، وتَفْتَنُّ[١٤] من مطاعمها في الملائم، وشُنَّت الغارات على حِمْص[١٥] فجلَّلت خارجها مغارًا، وكَسَتْ كبار الرُّوم بها صَغارًا، وأجحرت أبطالها إجحارًا[١٦]، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحَصْر استِبْحارًا، ولم يكن إلَّا أن عَدَل القَسم، واستقلَّ بالقفول[١٧] العزيز الرَّسم، ووضَح من التوفيق الوَسْم، فكانت الحركة إلى قاعدة[١٨] جيّان قيعة[١٩] الظلّ الأبرد، ونسيجة المنوال المفرد، وكِناس الغِيد الخُرَّد، وكُرْسيّ الإمارة، وبَحْر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهَتُون، وحزبُ التِّين والزيتون، حيث خندق الجنَّة المعروف[٢٠] تدنو لأهل النار مَجانِيه، وتُشرق بشواطىءِ الأنهار إشراق الأزهار زُهْرُ[٢١] مبانيه، والقلعة التي تَخَتَّمَتْ بنانُ شُرُفاتها بخواتم النّجوم،

---

(١) في الأصل: «الهام»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «الرغام».
(٢) في النفح: «السهام».
(٣) في الريحانة: «جوانحها».
(٤) في الريحانة: «فبايع».
(٥) في الريحانة: «ووقت».
(٦) في الريحانة: «بالخطا».
(٧) في الأصل: «درع»، والتصويب من المصدرين.
(٨) التَّبار والتَّباب: كلاهما بمعنى الهلاك.
(٩) في الريحانة: «ونزلوا».
(١٠) في النفح: «واستوعب». وفي الريحانة: «واستدعيت».
(١١) في الريحانة: «كثافًا».
(١٢) في الريحانة: «ونزلوا في الجول».
(١٣) الأسداف: جمع سدفة وهي الضوء.
(١٤) في الريحانة: «وتتفتّك».
(١٥) حمص: هي مدينة إشبيلية.
(١٦) في الأصل: «وأحجرت... إحجارًا»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٧) في الريحانة: «بالقبول».
(١٨) كلمة «قاعدة» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(١٩) في الريحانة: «قيمة».
(٢٠) كلمة «المعروف» ساقطة في النفح.
(٢١) في الريحانة: «وزهر».

وهَمَتْ من دون سحابها البيض سحائب الغيث السَّجُوم، والعقيلة التي أبْدَى الإسلام يوم طلاقها، وهُجوم فراقها، سِمَة الوُجوم لذلك الهجُوم فرمَتْها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادِعة، وأجابت مُنادي دعوتك الصَّادقة الصَّادعة، وحَبَتْها[١] بالفادِحة الفادِعة، فغَصَّتِ الرُّبى والوهاد بالتَّكبير والتَّهليل، وتجاوبت الخيلُ بالصَّهيل، وانهالت الجموعُ المجاهدة في الله تعالى انْهيالَ الكَثِيب المَهيل. وفهمت نفوسُ[٢] العباد المجاهدة في الله حقّ الجهاد معانيَ التَّيسير من ربِّها والتَّسهيل، وسفَرت الرايات عن المرْأى الجميل، وأزبَت المحلّات المسلمة[٣] على التأميل. ولمّا صَبحَتها النواصي[٤] المقبلة الغُرَر، والأعلام المُكتَتَبة الطُّرَر، برز حاميتها مُصْحِرين[٥]، وللحَوْزة[٦] المُسْتَباحة مُسْتنصرين، فكاثرهم[٧] من سَرْعان الأبطال رَجْل الدَّبى[٨]، ونَبتُ[٩] الوهاد والرُّبى، فأقْحموهم من وراءِ السُّور، وأسرعت أقلامُ الرِّماح في بَسْط عددهم المَكْسور، وتُركت صرعاهم ولائمَ للنُّسور. ثم اقتحموا رَبَضَ المدينة الأعظم فافْتَرعوه[١٠]، وجدَّلوا مَنْ دافع عن أسواره وصَرَعوه، وأكواس[١١] الحتوف جرَّعوه، ولم يتصل أُولى الناس بأُخراهم، ويحمد[١٢] بمخيَّم النصر العزيز سُراهم، حتى خَذَلَ الكفّار[١٣] الصبرُ وأسْلم الجَلَد، وأُنزل[١٤] على المسلمين النصر فَدُخل البلد، وطاح في السيل الجارف الوالد منه[١٥] والولد، وأُتْهم[١٦] المطرف منه[١٧] والمتلد، فكان هولًا بعيدَ الشَّناعة، وبَغْتًا[١٨] كقيام الساعة، أعْجَل المجانيق عن الركوع والسجود، والسلالم عن مُطاولة النُّجود، والأيدي عن ردم الخنادق والأغوار، والأكْبُشِ عن مناطحة الأسوار، والنُّفوط عن إصْعاق الفُجّار[١٩]، وعُمد الحديد، ومعاول[٢٠] البأس

(١) في الريحانة: «وحيَّتها بالفادحة البارعة».
(٢) في الريحانة: «النفوس المجاهدة».
(٣) في الريحانة: «المسلمات».
(٤) في الأصل: «النواحي»، والتصويب من المصدرين.
(٥) مصحرين: بارزين، ظاهرين.
(٦) في الأصل: «وللجوزة»، والتصويب من المصدرين.
(٧) في الريحانة: «وكاثرهم».
(٨) الرِّجْل: الجماعة. الدَّبى: أسراب الجراد.
(٩) في الريحانة: «وبنت».
(١٠) في الريحانة: «ففرعوه».
(١١) في النفح: «وأكؤس».
(١٢) في الأصل: «ويحمدوا»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «وكمل».
(١٣) في النفح: «الكافر».
(١٤) في المصدرين: «ونزل».
(١٥) كلمة «منه» ساقطة في الريحانة.
(١٦) في الريحانة: «والتهم».
(١٧) كلمة «منه» ساقطة في المصدرين.
(١٨) في الأصل: «وبغتًا»، والتصويب من المصدرين.
(١٩) في الريحانة: «الكفّار».
(٢٠) في الريحانة: «ومعاوز».

الشديد، عن نَقْب الأبراج ونقض الأحجار، فَهيلَتِ الكُثْبان، وأُبيد الشَّيبُ والشُّبّان، وكسِرت الصلبان، وفجع بهدم[1] الكنائس الرُّهبان، وأُهبِطت النَّواقيسُ من مَراقيها العالية، وصُروحها المُتعالية، وخُلعت ألسِنَتُها الكاذبة، ونُقل ما استطاعته الأيدي المُجاذبة[2]، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظُّهور، وجلَّل الإسلامَ شعارُ العزِّ[3] والظُّهور، بما خَلَتْ عن مثله سَوالف الدهور[4]، والأعوام والشهور، وأعرسَت الشهداءُ بالحور، ومنُّوا[5] النفوس المبيعة من الله بحلٍّ[6] الصدقات الصَّادقة[7] والمُهور. ومن بعد ذلك هُدم السور، ومُحيت من[8] مُخْتَطِّه[9] المحكم السطور، وكاد يسير ذلك الجبلُ الذي اقتعدته تلك[10] المدينة ويُدَكُّ ذلك الطُّور. ومن بعد ما خرب الوِجار، وعُقرت[11] الأشجار، عُفِّر[12] المنار، وسلِّطت على بنات التراب والماء[13] النَّار، وارتحل عنها المسلمون وقد عمَّتها المصائب، وأصْمَى لَبَّتَها[14] السَّهْمُ الصَّائب، وظلَّلَتْها[15] القشاعم العَصائب، فالذِّئاب في الليل البَهيم تَعسل[16]، والضِّباع من الحَدَبِ البعيد تَنْسل، وقد ضاقت الجُدُلُ عن المخانق، وبيع العَرضُ الثمين بالدَّانق، وسُبكت أسورة الأسوار، وسوِّيت الهضاب بالأغوار، واكتسحت الأحوازَ القاصيةَ سرايا الغِوار[17]، وحجبت بالدخان مطامع الأنوار، وتَخلَّفت قاعتها عِبْرةً للمُعْتبرين، وعِظَةً للناظرين، وآيةً للمُسْتبصرين، ونادى لسان الحميَّة، يا لَثارات الإسكندرية، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين، وأحقَّ الله الحَقَّ بكلماته وقطع دابر الكافرين.

---

(١) في الريحانة: «بهذا».
(٢) في الريحانة: «المتجاذبة».
(٣) في الريحانة: «الغزو».
(٤) في الريحانة: «سوالف الأعوام والشهور».
(٥) في الريحانة: «الشهداء من النفوس...». وفي النفح: «الشهداء ومن النفوس...».
(٦) في المصدرين: «نحلّ».
(٧) كلمة «الصادقة» ساقطة في النفح.
(٨) في النفح: «عن».
(٩) في النفح: «محيطه».
(١٠) كلمة «تلك» ساقطة في المصدرين.
(١١) في النفح: «عقرت».
(١٢) في الريحانة: «وعُقِر». وفي النفح: «وعُفِّر».
(١٣) في الأصل: «الماء»، والتصويب من المصدرين.
(١٤) أصمى: أصاب المقتل. اللَّبّة: مكان القلادة، وهو العنق.
(١٥) في النفح: «وجللتها». وفي الريحانة: «وظللها». والقشاعم: جمع قشعم وهو المسنّ من النسور.
(١٦) في الريحانة: «تعمل». والذئاب تعسل: تضطرب في عدوها.
(١٧) في النفح: «المغوار».

ثم كانت الحركة إلى أُختها الكبرى، ولِدَتها الحزينة عليها العَبْرى، مدينة أُبدة[١]، ذات[٢] العمران المُسْتَبحر، والرَّبَض الخَرق[٣] المُصْحر، والمباني الشُّمّ الأُنوف، وعقائل المصانع الجمَّة الحلي والشُّنوف، والغاب[٤] الأنوف، وبلد[٥] التَّجْر، والعسكر المَجْر، وأُفق الضَّلال الفاجر الكاذب[٦] على الله الكذبَ الفَجْر، فخذل[٧] الله حاميته[٨] التي يُعيي الحسبانَ عدُّها، وسَجَر[٩] بحورها التي لا يُرام مَدُّها، وحقَّت عليها كلمة الله[١٠] التي لا يُستطاع ردُّها. فَدُخِلَتْ لأول وَهْلة، واسْتُوعب جَمْعُها[١١] والمنَّة لله في نَهْلة، ولم يَكُ[١٢] للسيف من عطف[١٣] عليها ولا مُهْلة. ولما[١٤] تناولها العفاءُ والتَّخريب، واسْتَباحها[١٥] الفتح القريب، وأُسْنِدَ عن عَواليها حديثُ النَّصر الحَسن القريب[١٦]، وأُقْعِدَتْ أبراجُها من بعد القِيام والانْتِصاب، وأُضْرِعَتْ مسايفُها[١٧] لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظُم صيتُه، والعزِّ الذي سما طَرْفُه واشرأبَّ لِيتُه، والعزم[١٨] الذي حَمُدَ مَسْراه ومَبِيته، والحمد لله ناظم الأمر وقد رأب شَتِيته، وجابر الكَسْر وقد أفات الجَبْر مَفِيته. ثم كان الغزو إلى أُمِّ البلاد، ومَثْوى الطارف والتِّلاد، قرطبة، وما قرطبة[١٩]؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، والكرسي الذي بعصاه[٢٠] رُعي الهَمَل، والمِصْرُ الذي له في خطَّة المعمور النَّاقة والجمل، والأُفق الذي هو لشمس الخلافة العَبْشَمِيَّة[٢١] الحَمَل، فخيَّم الإسلام بِعَقْوَتها[٢٢] المُسْتباحة، وأجاز نهرها

(١) أبدة: بالإسبانية Ubeda، وتقع إلى الشمال الشرقي من جيان.
(٢) في الريحانة: «دار».
(٣) في الأصل: «الحزق»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «الحرى».
(٤) في الأصل: «وألعاب»، والتصويب من المصدرين.
(٥) في النفح: «بلدة».
(٦) في الريحانة: «الكذب على الله الكاذب الفجر».
(٧) في الريحانة: «فجدّل».
(٨) في النفح: «حاميتها».
(٩) في الريحانة: «وشجر».
(١٠) في الريحانة: «كلمة الإسلام فلا...».
(١١) في النفح: «جَمُها».
(١٢) في النفح: «ولم يكف».
(١٣) في الريحانة: «عضب».
(١٤) في المصدرين: «فلما».
(١٥) في الريحانة: «واجتاحها».
(١٦) في الأصل: «الغريب»، والتصويب من المصدرين.
(١٧) في الريحانة: «مسايغها».
(١٨) في الريحانة: «والقصر».
(١٩) في الريحانة: «وما أدراك ما قرطبة».
(٢٠) في الريحانة: «بفضله أزعي...».
(٢١) العبشمية: نسبة إلى عبد شمس.
(٢٢) في الأصل: «بعقرتها»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «بعنوتها». والعقوة: الساحة.

المُغيي على السِّباحة، وعمَّ دَوْحَها الأشِبَ[١] بوارًا، وأدار الكُماة[٢] بسُورها سِوارًا، وأخذ[٣] بِمُخَنَّقها حِصارًا، وأعمل النَّصر[٤] بشَجر نَصْلها اجتناءَ ما شاءَ واهْتِصارًا، وجدَّل من أبطالها من لم يرض انْجِحارًا[٥]، فأعمل إلى المسلمين إصحارًا[٦]، حتى فرع[٧] بعض جهاتها غِلابًا جِهارًا، ورُفعت الأعلام إعلامًا بعزِّ الإسلام وإظهارًا، فلولا استهلال الغَوادي، وإن أتى الوادي، لأفضتُ إلى فتح[٨] الفتوح تلك المبادي، ولَقَضى تَفَثه[٩] العاكفُ والبادي، فاقتضى الرأي ـ ولذَنْب الزَّمان[١٠] في اغْتصاب الكُفر إيَّاها مَتاب، تُعمل ببُشْراه بفضل الله[١١] أقْتاد وأقْتاب، ولكلِّ أجلٍ كِتاب ـ أن يُراض صَعْبها حتى يعود ذَلُولًا، وتُعَفَّى معاهدها الآهلة فَتُتْرَكُ طُلُولا. فإذا فجع الله بمارج النار طوائفها المارجة، وأباد بخارجها[١٢] الطائرة والدَّارجة، خَطَبَ السيفُ منها أُمَّ خارجة[١٣]. فعند ذلك أطلقنا بها ألْسِنة النار ومفارقُ الهضاب بالهشيم[١٤] قد شابَتْ، والغلَّات المُسْتَغَلَّة[١٥] قد دعاها[١٦] القَصْل[١٧] فما ارتابت، وكأنَّ صحيفة نهرها لما أُضْرمت النار حَفافي[١٨] ظهرها ذابت، وحيَّتهُ[١٩] فرَّت أمام الحريق فانسابت، وتخلَّفت لغمائم الدُّخان عمائم تلويها برؤوس الجبال أيدي الرياح، وتنشرها[٢٠] بعد الرُّكود أيدي الاجتياح. وأُغْريت[٢١] بأقطارها الشاسعة، وجهاتها

(١) في الريحانة: «الأشفّ». (٢) في المصدر نفسه: «المحلاّت».

(٣) في الأصل: «وأخذوا»، والتصويب من المصدرين.

(٤) في الأصل: «النصل»، والتصويب من المصدرين. والمراد أن النصر حطّم رماحها.

(٥) في الريحانة: «الحجار». (٦) في المصدر نفسه: «إحصارًا».

(٧) في النفح: «فرغ». (٨) في الريحانة: «فتوح».

(٩) في الأصل: «نَفْثه»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «تفثة». والتَّفَث في الحج: حلق الشعر وتقصيره وقصّ الأظفار وغير ذلك مما يفعله الحاج إذا حلَّ من إحرامه، والمراد أنه استوفى حجه، فكنى به ابن الخطيب عند بلوغ غاية الأرب.

(١٠) في الريحانة: «الزمن بفضل الله في...». (١١) قوله: «بفضل الله» ساقط في الريحانة.

(١٢) في الأصل: «نجارجها»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.

(١٣) أمّ خارجة: هي عَمْرة بنت سعد، كانت ذوّاقة تطلّق الرجل إذا جرّبته وتتزوج آخر، فتزوجت نيفًا وأربعين زوجًا، وولدت عامة قبائل العرب. وهنا يشبه قرطبة بها لتداول الغلبة عليها دهرًا بعد دهر.

(١٤) في الأصل: «الشّم»، والتصويب من المصدرين.

(١٥) في المصدرين: «المستغلات». (١٦) في المصدرين: «قد دعا بها».

(١٧) في الأصل: «الفضل»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «أهل الفضل». والقَصْل: ما عُزل من الحنطة إذا نُقّيت فَيُرْمى به أو يُداس ثانية.

(١٨) في الريحانة: «خفافي». وفي النفح: «في». (١٩) في الريحانة: «وحيّةٌ».

(٢٠) في الريحانة: «وتنثرها». (٢١) في الريحانة: «وأغرينا».

الواسعة، جنودُ الجوع، وتوعَّدت بالرجوع، فسُلب[١] أهلها لتوقع الهجوم مَنْزور الهجُوع، فأعلامُها خاشعة خاضعة، ووِلْدانُها لِثُدِيّ البؤس راضِعة، والله سبحانه يُوفِد بخبر فتحها القريب رِكابَ البُشرى، وينشر رحمته قِبَلنا نَشْرًا. [ولهذا العهد يا رسول الله صلّى الله عليك، وبلَّغ وسيلتي إليك، بلغ[٢] عن هذا القطر المُرْتَدي بجاهك الذي لا يُذَلُّ من ادَّرعه، ولا يضِلُّ بالسبيل[٣] الذي يشرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التَّماثيل ببيوت الله ونَصبها، فانجاب عنها بنورك الحَلَك، ودار بإدالتها إلى دعوتك الفَلَك، وعاد إلى مكاتبها القرآن الذي نزل به على قَلْبك الملك][٤]. ثم[٥] تنوعتْ يا رسول الله لهذا العهد أحوالُ العدوّ تنوُّعًا يوهم إفاقته من الغَمْرة[٦]، وكادت فتنته تُؤذن بخمود الجمْرة، وتُوَقُّعُ الواقع، وحُذِرَ ذلك السمّ الناقع، وخِيف الخَرْقُ الذي يَحار فيه الرَّاقع، فتعرَّفنا عوائد الله سبحانه ببركة هِدايتك، ومَوْصُول عنايتك، فأنْزل النصر والسَّكينة، ومكَّن العقائد المَكِينة، فثابت[٧] العزائم وهبَّت، واطّردت[٨] عوائد الإقدام واستَتَبَّت، وما راع العدوّ إلّا خيلُ الله تجوس خلاله، وشمس الحقّ تقلّص[٩] ظلاله، وهُداك الذي هديت[١٠] يُدْحِض ضَلاله.

ونازلنا حِصْنَيْ قنبيل والحوائر[١١]، وهما مَعْقلان متجاوران يُتناجى منهما السَّاكن سِرارًا، وقد اتَّخذا بين النَّجوم قَرارًا، وفَصل بينهما حُسام النهر يروق غِرارًا، والتفَّ معصمُه في حُلّة العَضب[١٢] وقد جعل الجِسْر سِوارًا، فخَذل الصَّليبُ بذلك الثَّغر مَنْ تولّاه، وارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، وتبرَّجت عروس الفتح المبين بمَجْلاه، والحمد لله على ما أوْلاه. ثم تحرَّكْنا على تَفيئة[١٣] تعدّي ثَغر الموسطة على عدوِّه المُساور في المضاجع، ومُصْبحه بالفاجئ الفاجع، فنازلنا حصن رُوطة الآخذ

(١) في الريحانة: «فسلبت». (٢) في الريحانة: «بلغ عزّ هذا...».
(٣) في الريحانة: «ولا يضلّ من اهتدى بالسبيل الذي شرعه».
(٤) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(٥) من هنا حتى قوله: «فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الأمة...» ساقط في الريحانة.
(٦) غَمْرة الشيء: شدّته. (٧) ثابت: عادت.
(٨) في الأصل: «واضطردت»، والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «توجب».
(١٠) في الأصل: «أهديت»، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «الحائر».
(١٢) في الأصل: «الخَضب»، والتصويب من النفح.
(١٣) في الأصل: «تفئة»، والتصويب من النفح. وقوله: على تفيئة: على أثر؛ يقال: دخل على تفيئة فلان: أي على أثره.

بالكَظْم، المعترض بالشَّجا اعتراضَ العَظْم، وقد شحنه العدوُ مددًا بئيسًا، ولم يَأْلُ اختياره رأيًا ولا رئيسًا[١]، فأعيا داؤه، واستقلّت بالمدافعة أعداؤه. ولما أتلع إليه جيدُ المَنْجنيق، وقد بَرك عليه بَرك[٢] الفَنيق، وشدَّ عصاب[٣] العزم[٤] الوثيق، لجأ أهلُه إلى التماس العهود والمواثيق، وقد غُصُّوا بالريق، وكاذ يذهب بأبصارهم لمعانُ البَريق، فسكّنّاه من حامية المجاهدين بمن يحمي ذماره، ويقرّر اعْتِماره، واستولى أهل الثغور إلى هذا الحد على معاقل كانت مُسْتَغلقة ففتحوها، وشرعوا أرشِية[٥] الرماح إلى قُلُب قلوبها فمتحوها[٦]. ولم تكد الجيوش المجاهدة تَنْفُضُ عن الأعراف مُتراكم الغُبار، وترخي عن آباط خَيْلها شدَّ حُزُم المَغار، حتى عاودت النفوسُ شوقَها، واسْتَتْبَعت ذَوْقَها، وخطبت التي لا فَوْقَها، وذهبت بها الآمالُ إلى الغاية القاصية، والمدارك المُتَصاعِبة على الأفكار المتعاصية، فقصدْنا الجزيرة الخضراءَ، باب هذا الوطن الذي منه طَرِقَ وادعُه، ومطلع الحقّ الذي صَدَع الباطلَ صادعُه، وثنيَّة الفتح التي[٧] بَرَقَ منها لامعُه، ومَسْربُ[٨] الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعُه، وفُرْضَة المجاز التي لا تُنكر، ومجمع البَحْرين في بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشَّطّان، [وتتقاطر ذوات الأشطان][٩]، ويتوازى الخطّان، ويكاد[١٠] أن تلتقي حَلَقتا البِطان. وقد كان الكفر قَدَّر قَدْر هذه الفُرضة التي طرق منها حِماه، ورماه الفتح الأول بما رماه، وعلم أن لا تتَّصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلَّا من تِلقائها، وأنه لا يعدم المكروه مع بقائها، فأجْلَب عليها برَجْله وخَيْله، وسدَّ أُفق البحر من أساطيله، ومراكب أباطيله، بِقِطَع لَيْله. وتداعى المسلمون بالعُدْوَتين إلى استِنْفاذها من لَهواته، أو إمساكها من دون مَهْواته، فعجز الحَوْل، ووقع بملكه إياها القول، واحْتَازها[١١] قَهْرًا، وقد صابرت الضِّيق ما يناهز ثلاثين شهرًا، وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم، واسودَّتِ الوجوه لخَبرها الهاجم، وبكَتْها حتى دموع الغَيْث السَّاجم[١٢]، وانقطع المدد إلَّا من رحمة من يُنَفِّس الكروب، ويُغْري بالإدالة الشُروقَ والغروب.

---

(١) في النفح: «تلبيسًا».
(٢) في النفح: «بروك».
(٣) في النفح: «عصام».
(٤) في النفح: «المنع».
(٥) الأرشية: جمع رشاء وهو حبل الدلو، شبّه به الرمحَ كناية عن طوله.
(٦) في الأصل: «ففتحوها»، والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «الذي»، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «ومشرف».
(٩) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(١٠) في النفح: «وكاد».
(١١) في الأصل: «واجتازها»، والتصويب من النفح. واحتازها: ضمَّها إلى نفسه.
(١٢) الساجم: المنصبّ.

ولمّا شككنا[١] بشَبا الله نَحْرها، وأغْصَصْنا بجيوش الماءِ وجيوش الأرض تكاثر نجوم السماءِ برَّها وبحرها، ونازلْناها نُذيقها شديدَ النِّزال، ونجحنا[٢] بصدق الوَعيد في غير[٣] سبيل الاعتزال، رأينا بأْوًا لا يُظاهَر[٤] إلّا بالله ولا يُطال، ومَنَعةً[٥] يتحاماها الأبطال، وجنابًا روَّضه الغيثُ الهطَّال. أمّا أسوارها[٦] فهي التي أخذت النَّجْد والغَوْر، واسْتَعْدَتْ بجدال[٧] الجِلاد عن البلاد فارتكبت الدَّوْر[٨]، تحوز بحرًا من الاعتمار[٩] ثانيًا، وتشكّك أن يكون الإنس لها بانيًا. وأمّا أبراجُها فصفوف وصنوف، تزيّن صفحات المَسايف[١٠] منها أُنوف، وآذان لها من دوافع الصخر شُنُوف[١١]. وأمّا خندقها فصخرٌ مَجْلوب، وسور مقلوب، فصَدَقها[١٢] المسلمون القتالَ بحسب محلِّها من نفوسهم، واقتران اغتصابها ببُوسهم، وأُفول شُموسِهم، فرشَقُوها من النبال بظلالٍ تحجب الشمس فلا يُشرق سَناها، وعرَّجوا في المراقي البعيدة يُفْرِعون مَبْناها، ونَقَبُوها[١٣] أنقابًا، وحَصَبُوها[١٤] عقابًا، ودخلوا مدينة إلِبَنَة[١٥] بنتَها غِلابًا، وأحْسَبوا السيوف استلالًا والأيدي اكتسابًا[١٦]، واستَوْعب القتل مقاتِلَتها السابغة الجُنَن[١٧]، البالغة المِنن، فأخذهم الهول المتفاقم، وجُدِّلوا كأنهم الأراقم، لم تفلت منهم عينٌ تطرف، ولا لسان يُلبِّي من يستطلع[١٨] الخبر أو يَسْتَشْرف. ثم سَمَت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى فداروا سوارًا[١٩] على سُورها، وتجاسروا على اقتحام أوْدِية الفناءِ

---

(١) في النفح: «شُكْنا». (٢) في النفح: «ونحجُها».
(٣) كلمة «غير» ساقطة في النفح.
(٤) البأو: الكبرياء. لا يظاهر: لا يغالب في القوة.
(٥) في النفح: «ممنّعة». (٦) في النفح: «أسواقها».
(٧) في النفح: «بخلاء».
(٨) أي أنها وقعت في قضية دَوْر (والدور من مصطلح المنطق) لما اسْتَعْدَتْ به من جدال المجادلة، وهنا يتضح التلاعب بمصطلح أهل المناظرة.
(٩) في النفح: «العمارة». (١٠) في النفح: «السائف».
(١١) الشُّنُوف: جمع شنف وهو حلية تلبس في الأذن.
(١٢) في الأصل: «وصدقها»، والتصويب من النفح.
(١٣) في النفح: «ونفوسها». (١٤) في النفح: «وحصونها».
(١٥) إلبنة: بالإسبانية: La Pena: مدينة أندلسية تقع قبالة الجزيرة الخضراء، وهي من توابعها.
(١٦) أحسبوا السيوف: زادوا عددها، وهنا يقابل بين الاحتساب الذي هو لوجه الله تعالى وبين الاكتساب.
(١٧) الجُنَن: جمع جُنّة وهي كل ما وَقى من سلاح.
(١٨) في الأصل: «يستطيع»، والتصويب من النفح.
(١٩) في الأصل: «سوارها»، والتصويب من النفح.

من فوق جُسورها، وأدنوا[١] إليها بالضُّروب، من حيل الحروب، بروجًا مَشِيدَة، ومجانيق توثّق حبالها منها نَشِيدة، وخَفَقتْ بنصر الله عَذَباتُ الأعلام، وأهدت الملائكة مَدَد الإسلام[٢]، فخذل الله كفّارها، وأكْهَم[٣] شِفارها، وقلّم بيد قدرته أظْفارها، فالتمسوا الأمان للخروج، ونزلوا عن[٤] مراقي العُروج، إلى الأباطح والمروج، من سمائها ذات البروج، فكان بروزُهم إلى العَراءِ من الأرض[٥]، تذكرةً بيوم العَرْض، وقد جلّل المقاتِلَةَ الصَّغار[٦]، وتعلّق بالأُمَّهات النَّشْء الصِّغار[٧]. وبودرت المدينة بالتَّطهير، ونطقت المآذن العالية بالأذان الشهير، والذِّكر الجهير، وطُرحت كبار[٨] التماثيل عن المسجد الكبير، وأزرى[٩] بألْسِنة النواقيس لسانُ التَّهليل والتَّكبير، وأُنزلت عن الصروح أجرامُها، يعيي الهِندامَ مَرامُها، وأُلْفي منبر الإسلام بها مَجْفوًّا فأنِست غُربته، وأُعِيد إليه قُرْبه وقُربته، وتلا واعظ الجمع المشهود، قول مُنجز الوعود، ومُورق العُود ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾[١٠] إلى آخرها[١١]، فكاد[١٢] الدَّمْعُ يُغْرق الآماق، والوجْدُ يستأصلُ الأزماق، وارتفعت الزَّعقات، وعَلَتْ الشَّهقات[١٣]، وجيءَ بأسْرَى المسلمين يَرْسُفُون في القُيُود الثِّقال، ويَنْسِلون من أجْداث[١٤] الاعتِقال، فَفُكَّتْ عن سُوقهم أساوِدُ[١٥] الحديد، وعن أعناقهم فَلَكَاتُ البأس الشَّديد، وظُلِّلوا بجناح اللُّطْف العريض المديد، وترتّبت في المقاعد الحامية، وأزهرت بذكر الله المآذن السَّامية، فعادت[١٦] المدينة لأحْسَن أحوالها، وسَكَنت من بعد أهوالها، وعادت الجالية إلى أموالها، ورجع إلى القطر شبابُه، ورُدَّ على دار

---

(١) في الأصل: «ودفَوا»، والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «السلام».
(٣) أكْهَم: أكَلَّ عن الضرب. (٤) في النفح: «على».
(٥) في النفح: «من العراء إلى الأرض».
(٦) في الأصل: «الصِّفار»، والتصويب من النفح.
(٧) في النفح: «وتعلق بالأمان النساء والصغار». (٨) في النفح: «كفّارها».
(٩) أزرى به: قلّل من شأنه وعابه.
(١٠) سورة هود ١١، الآيات: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.
(١١) قوله: «إلى آخرها» ساقط في النفح. (١٢) في النفح: «فكان».
(١٣) في النفح: «وارتفعت الرغبات، وعلت السبيات».
(١٤) في النفح: «أحداب». (١٥) في الأصل: «أساور»، والتصويب من النفح.
(١٦) في النفح: «وعادت».

هجرة[١] الإسلام بابُه، واتَّصلت بأهل لا إلـٰه إلّا الله أسبابُه، فهي اليوم في بلاد الإسلام قلادةُ النَّحر، وحاضِرةُ البَرِّ والبحر، أبقى الله عليها وعلى ما وراءَها من بيوت أُمَّتك، ودائع الله في ذِمَّتِك، [ظلال عنايتك الواقية، وأمْتَعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها][٢] بكلمة دينك الصَّالحة الباقِية، وسَدَل عليها أستار عِصْمَته الواقية. وعُذْنا والصلاة عليك شِعار البُروز والقُفول، وهِجِّيري الشُّروق والأُفول. والجهاد يا رسول الله الشأن المعتمَد، ما امتدَّ بالأجل الأمد، والمستعان الواحد[٣] الفرد الصمد[٤].

فوجبت مطالعةُ مقرِّك النبويّ بأحوال هذه الأمة المكفولة في حِجْرك، المُفَضَّلة بإرادة تَجْرك، المهتدية بأنوار فَجْرك. وهل هو إلَّا ثمرة[٥] سَعْيك، ونتائج رَعْيك، وبركة حُبِّك، ورضاك الكفيل برضا ربِّك، وغمام رَعْدك، وإنجاز وَعْدك، وشُعاعٌ من نور سَعْدك، وبَذْرٌ[٦] يُجْنى رَيْعه من بعدك، ونصْر رايَتك، وبرهان آيَتك[٧]، وأثر حِمايتك ورعايتك؟

واستَنْبتُ هذه الرسالة مائحةَ[٨] بَحْرِ النَّدى الممنوح[٩]، ومفاتِحةَ باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعةَ[١٠] المظاهرِ والصُّروح، ومُلْقِيةَ[١١] الرَّحْل بمتَنَزَّل الملائكة والرُّوح، لتمدَّ إلى قبولك[١٢] يَدَ استِمناح، وتطيرَ[١٣] إليك من الشَّوق الحَثِيث بجناح، ثم تقف بموقف الانْكِسار، وإن كان تَجْرُها آمنًا من الخَسار، وتُقْدم بأُنس القُربة[١٤]، وتحجم[١٥] بوَحْشة الغربة، وتتأخَّر بالهَيْبَة، وتُجْهش لطول الغيبة، وتقول ارْحَمْ بُعْدَ داري، وضعف اقْتداري، وانتزاح أوطاني، وخُلوَّ[١٦] أعطاني، وقلَّة زادي،

(١) كلمة «هجرة» ساقطة في النفح.
(٢) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(٣) كلمة «الواحد» ساقطة في النفح.
(٤) هنا نقص مقدار خمسة أسطر، ورد في النفح، وأوله: «ولهذا العهد يا رسول الله...».
(٥) في المصدرين: «ثمرات».
(٦) في الريحانة: «وبرٌّ رعى رعيه من بعدك».
(٧) قوله: «وبرهان آيتك» ساقط في الريحانة.
(٨) في الأصل: «ماتحة»، والتصويب من النفح. وفي الريحانة: «مانحة». ومائحة: طالبة؛ يقال: امتاح فلانًا إذا طلب منه.
(٩) في الريحانة: «الممنوع، ومفاتحته بإبداء الهدى...».
(١٠) في الريحانة: «وقارعة».
(١١) في الريحانة: «وباقية».
(١٢) في الريحانة: «قلبك».
(١٣) في الريحانة: «ويطير».
(١٤) كلمة «القربة» ساقطة في الريحانة.
(١٥) في الريحانة: «ويحجم بوحشة الغربة، ويحبس لطول الغيبة...».
(١٦) في الريحانة: «وعلق».

وفراغ مَزَادي، وتَقَبَّلْ وسيلة اعترافي، وتَغَمَّدْ هفوة[١] اقترافي، وعجِّلْ بالرضا انصراف متحملي لانصرافي[٢]. فكم جُبْتُ من بحر زاخر، وقَفْر بالرِّكاب ساخر، وحاشَ لله أن يخيب قاصِدُك، أو تتخطَّاني[٣] مقاصِدُك، أو تَطْرُدني موائِدك، أو تَضِيق عنِّي عوائِدُك، ثم تمدُّ مُقْتضية[٤] مزيد رَحْمتك، مُسْتدعيةً دُعاءَ مَنْ حضَر من أُمّتك. وأصْحَبْتُها يا رسول الله عَرَضًا من النَّواقيس التي كانت بهذه البلاد المُفْتَتَحة تُعَيِّن الإقامة والأذان، وتُسْمع الأسْماع الضَّالة والآذان، مِمّا قَبِلَ الحركة، وسالم المعركة، ومَكَّنَ من نقله الأيدي المُشْتركة، واستَحَقَّ بالقدُوم عليك، والإسلام بين يديك، السابقة في الأزل البَركة، وما سواها فكانت جبالًا عَجَزَ عن حَمْلها[٥] الهِنْدام[٦]، فَنَسخ وجودَها الإعدام. وهي يا رسول الله جنى من جنانك، ورُطَبٌ من أفْنانك، وأثرٌ ظهر عليها[٧] من مَسْحَة[٨] حنانك. هذه هي الحال[٩] والانتحال، والعائِقُ أن تشَدَّ إليك[١٠] الرِّحال، ويُغمل[١١] التَّرْحال، إلى أن نلقاك في عَرَصات[١٢] القيامة شَفِيعًا، ونحلَّ بجاهك إن شاءَ الله محلًا رفيعًا، ونُقَدَّم في زُمْرة الشُّهداء الدامية كُلُومهم من أجْلِك، الناهلة غللهم في سِجلِّك[١٣]، ونبتهل إلى الله الذي أطْلَعَك في سماءِ الهداية سِراجًا، وأعلى لك في السَّبع الطِّباق مِعْراجًا، وأمَّ الأنبياءِ منك بالنَّبي الخاتم، وقَفَّى على آثار نجومها المشْرقة بقَمَرك العَاتم، أن لا يَقْطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابَك، ولا يسدَّ في وجوهها أبْوابك، ويوفقها لاتِّباع هُداك، ويُثبِّت أقدامها على جهاد عِداك. وكيف تَعدم[١٤] تَرْفيها، أو تخشى[١٥] بَخْسًا وأنت مُوفيها؟ أو يعذِّبها الله وأنت فيها؟ وصلاة الله وسلامه تحطُّ بِفِنائك رِحالَ طِيبها، وتَهْدُر[١٦] في ناديك شَقاشِقَ خطيبها، ما أذْكر الصباحُ الطَّلْقُ هُداك، والغمامُ السَّكْبُ نَدَاك، وما حَنَّ مشتاقٌ يلثم[١٧] ضريحك، وفليت[١٨] نَسَمَات الأسحار عمَّا اسْتَرَقَتْ[١٩] من ريحك، وكتب في كذا[٢٠].

(١) في الريحانة: «صفوة».
(٢) في الريحانة: «لا انصرافي».
(٣) في الريحانة: «يتخطاي مُعاضدك».
(٤) في الريحانة: «تمد اليد مقتبضة من يد رحمتك».
(٥) في المصدرين: «نقلها».
(٦) الهندام: الآلات.
(٧) في النفح: «علينا».
(٨) في النفح: «مسح».
(٩) في الريحانة: «الحُلل».
(١٠) كلمة «إليك» ساقطة في الريحانة.
(١١) في الريحانة: «ويعجل».
(١٢) العَرَصات: جمع عَرْصة وهي ساحة الدار.
(١٣) في النفح: «مِنْ سَجْلك». والسَّجْل: الدلو.
(١٤) في الريحانة: «نعدم».
(١٥) في الريحانة: «نخشى».
(١٦) في الريحانة: «وتبذر».
(١٧) في الريحانة: «للثم». وفي النفح: «إلى لثم».
(١٨) في النفح: «وبليت».
(١٩) في الريحانة: «أشرقت من ضريحك».
(٢٠) قوله: «وكتب في كذا» ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصدرين.

وصدر عني قبل هذه الرسالة عن السلطان[١]، رضي الله عنه، رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس[٢] نصها[٣]:

الخلافة التي ارتفع في[٤] عقائد فَضْلها الأصيلِ القواعدِ الخِلافُ، واستقلَّتْ مَباني فَخْرِها الشائع وعِزِّها الذائع على ما أسَّسه الأسْلاف، ووَجَب لِحَقِّها الجازم وفَرْضها اللّازم الاعتراف، ووَسِعَت الآملين لها الجوانبُ الرَّحيبة والأكناف، فامتزاجُنا بعَلائها المُنيف وولائِها الشريف كما امتزج الماءُ والسُّلاف[٥]، وثناؤنا على مجدها الكريم وفضلها العميم كما تأرَّجَت الرياضُ الأفواف، لمّا زارها الغَمام الوكّاف، ودعاؤنا بطُول بقائها واتصال علائها يَسْمو به إلى قرع أبواب السَّمٰوات العُلا الاسْتِشْراف، وحِرْصُنا على تَوْفِية حقوقها العظيمة وفواضلها العَمِيمة لا تحصُره الحدودُ ولا تُدْركه الأوصاف، وإن عَذَرَ في التَّقصير عن نَيْل ذلك المرام الكبير الحَقُّ والإنصاف. خلافةُ وِجْهة تعظيمنا إذا توجَّهت الوجوه، ومَنْ نؤثره إذا هَمَّنا[٦] ما نرجوه، ونُفَدِّيه ونُبدِّيه إذا استُمْنِح المحبوب واستُدْفِع[٧] المكروه، السلطان الخليفة[٨]، الجليل، الكبير، الشهير، الإمام، الهمام، الأعلى، الأوحد، الأصْعد، الأسعد، الأسمى، الأعدل، الأفضل، الأسنى، الأطهر، الأظهر، الأرْضى، الأحفل، الأكمل، أمير المؤمنين أبي إسحٰق ابن الخليفة الإمام البَطَل الهمام، عين الأعيان، وواحد الزمان، الكبير، الشهير، الطّاهر، الظّاهر، الأوحد، الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأسمى، العادل، الحافل، الفاضل، المعظَّم، الموقَّر، الماجد،

---

(١) هو سلطان غرناطة، الغني بالله محمد بن أبي الحجاج يوسف النصري. حكم غرناطة من سنة ٧٥٥ هـ إلى سنة ٧٩٣ هـ. اللمحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).

(٢) صاحب تونس، المشار إليه هنا هو أبو إسحٰق المستنصر إبراهيم بن أبي بكر بن يحيىٰ الحفصي. تولّى خلافة تونس من سنة ٧٥١ هـ إلى سنة ٧٧٠ هـ. الأعلام (ج ١ ص ٣٤) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(٣) نص الرسالة في صبح الأعشى (ج ٦ ص ٥٣٥ ـ ٥٥٩) وريحانة الكتاب (ج ١ ص ١٧٩ ـ ٢٠٢). وجاء في الريحانة أن ابن الخطيب كتب هذه الرسالة في الثالث من شهر ربيع الآخر من عام ٧٧٠ هـ.

(٤) في الصبح: «عن».

(٥) السلاق: الخمر.

(٦) في الريحانة: «أهَمَّنا».

(٧) في الريحانة: «واسترفع».

(٨) اكتفى في الريحانة بتعريف موجز عن صاحب تونس بقوله: «الخليفة الكذا أبو إسحٰق ابن الخليفة الكذا أبي يحيىٰ أبي بكر ابن السلطان أبي زكريا ابن السلطان الكذا أبي إسحٰق ابن الخليفة المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص، أبقاه الله».

الكامل، الأرضى، المقدَّس، أمير المؤمنين أبي يحيىٰ أبي بكر، ابن السلطان الكبير، الجليل، الرَّفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر، المعظّم، المُوَقَّر، الأسمى، المقدّس، المرحوم أبي زكريا، ابن الخليفة الإمام، المجاهد، الهمام، الكبير[١]، الشهير، الخطير، بطل الميدان، مفخر الزمان، الطاهر الظاهر، الأمضى، المقدّس، الأرضى، أمير المؤمنين أبي إسحٰق، ابن الخليفة الهمام الإمام، ذي الشهرة الجامحة، والمَفاخر الواضحة، عَلَمُ الأعلام، فخر السيوف والأقلام، المعظَّم الممجَّد، المقدَّس، الأرضى، أمير المؤمنين، المسْتَنْصر بالله أبي عبد الله ابن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حَفْص، أبقاه الله. ومَقامه مقامُ إبراهيم رزْقًا وأمانًا، لا يخصُّ جَلْبُ الثمرات إليه وَقْتًا ولا يُعَيِّن زمانًا، وكان على من يَتَخَطَّف الناسَ مِنْ حوله مؤيَّدًا بالله مُعانًا، مُعَظِّمٌ قدره العالي على الأقدار، ومُقابل داعي حقِّه بالابتدار، المُثْنَى على معاليه المُخَلَّدة الآثار، في أَصْونةِ النِّظام والنِّثار، ثناءَ الرَّوضة المِعْطار على الأمطار، الداعي إلى الله بدوام[٢] بقائه في عزَّة[٣] مُنْسَدلة الأسْتار، وعِصمة[٤] ثابتة المَرْكز مستقيمةِ المَدار، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ونهايات الأعمار، بالزُّلْفى وعُقْبى الدَّار.

سلام كريم كما حملتْ نسماتُ الأسحار، أحاديثَ الأزهار، ورَوَتْ ثغورُ الأقاحي والبَهار، عن مسلسلات الأنهار، وتجلَّى على مِنَصَّة الاشتهار، وَجْهُ عروس النهار، يخصُّ خلافتكم الكريمة النِّجار، العزيزة الجار، ورحمة الله وبركاته. أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذي أخفى حكمتَه البالغة عن أذهان البَشَر، فعجزتْ عن قياسها، وجعل الأرواح كما وَرَد في الخبر[٥]، تَحنّ إلى أجناسها، مُنْجِد هذه المِلَّة، من أوليائه الجِلَّة، بمن يروض الآمال بعد شِماسها، ويُيَسِّر الأغراض قبل التماسها، ويُعْنى بتجديد المودَّات في ذاته، وابتغاءَ مَرْضاته، على حين إخلاق لباسها، الملك الحقّ واصل الأسباب بحوله بعد انْتِكاث[٦] أمْراسها، ومُغْني النفوس بطَوْله بعد إفلاسها، حَمْدًا يُدِرُّ أَخْلافَ النِّعم بعد إبْسَاسها، وينشر[٧] رِمَم الآمال من أرْماسها، ويُقَدِّس النفوسَ بصفات ملائكة السمٰوات بعد إبلاسها[٨].

---

(١) من هنا حتى قوله: «ابن الخليفة الهمام» ساقط في صبح الأعشى.
(٢) في الصبح: «بطول». وفي الريحانة: «إلى الله ببقائه».
(٣) في الصبح: «عصمة». (٤) في الصبح: «وعزّة».
(٥) في الصبح: «الخبر أجنادًا مجنّدة تحنّ...».
(٦) في الريحانة: «انتكاب». (٧) في الريحانة: «وينشر».
(٨) في الريحانة: «إيلاسها».

والصلاة[١] على سيدنا ومولانا محمدٍ رسولِهِ سراجِ الهداية ونِبراسها، عند اقتناءِ الأنوار واقتباسِها، مُطَهِّرِ الأرض من أوْضارها وأدْناسها، ومصطفى الله من بين ناسِها، وسيّدِ الرُّسُل الكِرام ما بين شِيثِها وإلْياسها، الآتي[٢] مُهَيْمِنا على آثارها في حين فَتْرتها ومن بعد نُصْرتها واستئناسها[٣]، مُرْغم الضَّراغم في أخْياسها[٤]، بعد افترارها وافْتِراسها، ومُعَفِّر أجرام الأصنام ومُصْمِت أجْراسها. والرِّضا عن آله وأصحابه[٥]، وعِتْرته وأحزابه، حماة شِرْعَته البيضاء وحُرَّاسها، ومُلَقِّحي غِراسها، ليوث الوَغَى عند احتدام مِراسها، ورهبان الدُّجى[٦] تتكفَّل مناجاة[٧] السَّميع العليم، في وَحْشة الليل البَهيم، بإيناسها، وتَفاوَح نواسمُ الأسْحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها، والدُّعاءُ لخلافتكم العليَّة المُسْتَنْصريَّة بالصَّنائع[٨] التي تُشَعْشِع أيدي[٩] العِزَّة القَعْساء من أكواسها، ولا زالت العِصْمةُ[١٠] الإلـٰهية كفيلةً باحترامها واحتراسها[١١]، وأنباءُ الفتوح المؤيدة بالملائكة والرُّوح ريحانَ جُلَّاسها، وآياتُ المفاخر التي ترك الأولُ للآخر مُكْتَتبةَ الأسطار[١٢] بأطْراسها، وميادينُ الوجود مَجالًا لجياد جُودها وباسها، والعِزُّ والعَدْلُ منسوبين لِفُسطاطها وقِسْطاسها، وصَفِيحةُ[١٣] النصر العزيز تَفيض كَفُّها المؤيدة بالله على رياسها، عند اهتياج أضدادها وشِرَّة[١٤] انتكاسها[١٥]، لانتهاب البلاد وانتهاسِها[١٦]، وهبوب رياح رياحها وتمرُّد مِرْداسها.

فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتائب نصره أمْدادًا تذْعن أعناق الأنام[١٧] لطاعة مَلِكِكم المنصور الأعلام عند إحساسها، وآتاكم من آيات العِنايات آيةً تَضْرِبُ الصَّخرةَ الصَّماءَ ممن عصاها بعصاها فتبادر بانبجاسها[١٨] - من حمراءِ غرناطة حرسها الله وأيامُ الإسلام بعناية الملك العَلَّام تحتفل وُفُودُ الملائكة الكِرام لولائمها وأعراسها، وطواعينُ الطِّعان في عَدُوِّ الدِّين المُعان تجدِّد عهدها[١٩] بعام عَمْواسها، والحمد لله

(١) في الصبح: «والصلاة والسلام على...». (٢) في الريحانة: «والآتي».
(٣) في الريحانة: «ومن بعد استياسها».
(٤) الضراغم: جمع ضَرْغم وضِرْغام، وهو الأسَد. والأخياس: جمع خِيس وهو غابة الأسد.
(٥) كلمة «وأصحابه» ساقطة في الريحانة. (٦) في الصبح: «الرجاء».
(٧) في الصبح: «بمناجاة». (٨) في الصبح: «بالسعادة».
(٩) كلمة «أيدي» ساقطة في الريحانة. (١٠) في الريحانة: «العزّة».
(١١) في الريحانة: «باحتراسها وامتراسها». (١٢) في الريحانة: «على الأسطار».
(١٣) في الريحانة: «وصحيفة». (١٤) في الريحانة: «وسرّة».
(١٥) في الصبح: «إنكاسها». (١٦) في الريحانة: «وانتهائها».
(١٧) في الريحانة: «الأيام». والأنام: الخَلْق. (١٨) في الريحانة: «بانبحاسها».
(١٩) في الريحانة: «عريدها».

حمدًا معادًا يُقيِّد[١] شَوارِدَ النِّعم ويستدرُّ مواهبَ الجود والكرم ويؤمِّن من انْتِكاب الجُدود وانْتِكاسها، وليُّ الآمال ومِكاسها. وخلافتكم هي المثابة التي يُزهَى الوجودُ بمحاسن مَجْدها زُهُوَّ الرياض بوَرْدها وآسِها، وتُسْتمدُّ أضواءُ الفضائل من مِقْباسها[٢]، وتَرْوي رواةُ الإفادة والإبادة[٣] غريبَ الوِجادة[٤] عن ضَحّاكها وعَبّاسها. وإلى هذا أعلى الله معارجَ قَدْركم وقد فعل، وأنطق بحُجَج فَخْركم[٥] من احتفى وانْتَعل، فإنه وصلنا كتابُكم الذي حَسِبْناه على صنائع الله لنا[٦] تميمةً لا تَلْقَع[٧] بعدها عَيْن، وجعلناه على حُلَل مواهبه قِلادةً لا يُحتاج معها زَيْن، ودعوناه من جَيْب الكنانة[٨] آيةً بيضاءَ الكتابة لم يبق معها شكٌّ ولا مَيْن[٩]، وقرأنا منه وثيقةَ وُدٍّ هُضِمَ فيها عن غريم الزمان دَيْن. ورأينا منه إنشاءَ، خَدَم اليراعُ بين يديه [وشّاء، واختزم[١٠] بهيمان عُقْدته][١١] مَشّاء، وسئل عن معانيه الاختراعُ فقال: إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءَ، فأهلًا به من عربي أبيّ[١٢] يصف السانح والبانَة، ويُبين فيُحْسِن[١٣] الإبانة، أدّى الأمانة، وسئل عن حَيِّه فانتمى[١٤] إلى كِنانة، وأفْصَحَ وهو لا يَنْبِس، وتَهلَّلَتْ قَسَماته وليل حِبْره يَعْبس، وكأنَّ خاتمة المُقْفَل على صِوانه، المُتْحف بباكر الوَرْد في غير أوانه، رَعُف من مِسْكِ عُنوانه. ولله من قلم دبَّج تلك الحُلل، ونَقَع بمجاجِ الدَّواة المسْتَمدّة من عين الحياة الغُلل. فلقد تخارق في الجود، مقتديًا بالخلافة التي خُلِّد فَخْرُها في الوجود، فجاد بسرِّ البيان ولُبابه، وسَمَح في سبيل الكرم حتى بماءِ شبابه، وجَمَح لفَرْط بشاشته وفهامَتِه، بعد شهادة السَّيف بشهامَتِه، فمشى من الترحيب في الطِّرْس الرَّحيب على أُمِّ هامَتِه.

وأكْرِمْ به من حكيم أفْصَحَ بمَلْغُوز الإكسير، في اللَّفظ اليَسير، وشَرَحَ بلسان الخَبير، سِرَّ صناعة التدبير، كأنما خَدَم الملكة السَّاحرة بتلك البلاد، قبل اشْتِجار[١٥] الجلاد، فآثرته بالطَّارف من سِحْرها والتِّلاد، أو عثر[١٦] بالمُعَلَّقة، وتِيك[١٧] القديمة

(١) في الصبح: «يُعيد».
(٢) في الريحانة: «مقياسها».
(٣) في الصبح: «والإجادة».
(٤) قوله: «غريب الوجادة» ساقط في الريحانة.
(٥) في الريحانة: «مجدكم».
(٦) كلمة «لنا» ساقطة في الريحانة.
(٧) في الريحانة: «لا تلتمع».
(٨) في الصبح: «الكناية».
(٩) المين: الكذب، والجمع مُيُون.
(١٠) في الصبح: «واخترع بهمْيان».
(١١) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(١٢) في الصبح: «أتى».
(١٣) في الصبح: «فبحُسْن».
(١٤) في الريحانة: «فانتهى».
(١٥) في الريحانة: «استنجاز».
(١٦) في الريحانة: «غير».
(١٧) في الريحانة: «وتلك».

المطلّقة، بدَفِينة[١] دار، أو كَنْزٍ تحت جدار، أو ظَفر لباني الحنايا، قبل أن تقطع[٢] به عن أمانيِّه المنايا، ببديعة[٣]، أو خَلْفَ جَرْجير الروم قبل منازَلة القُرُوم[٤] على وديعة[٥]، أو أسْهَمُه ابن أبي سَرْح، في نَشَبٍ للفتح وسَرْح، أو ختم[٦] له رُوحُ بن حاتم ببلوغ المَطْلَب، أو غَلَّب الحظوظ بخدمة آل الأغْلَب، أو خَصَّه زيادةُ الله بمزيد، أو شارَكَ الشِّيعةَ في أمر أبي يزيد[٧]، أو سار على منهاج في مناصحة بني صَنْهاج، وفضح بتخليد أمداحهم كلَّ هاج.

وأعْجِبْ له وقد عُزِّز منه مَثْنى البيان بثالث، فجلب سِحْر الأسماع واسترقاقَ الطِّباع بين مثانٍ للإبداع[٨] ومثالث. كيف اقْتَدر على هذا المَجِيد[٩]، وناصح مع التَّثْليب مَقامَ التَّوحيد؟ نستغفر الله وليَّ العون، على الصَّمْت[١٠] والصَّون، فالقلم هو المُوحِّد قبل الكَوْن، والمُتَّصِفُ من صفات السَّادة أُولي العبادة بضُمُور الجسم وصُفْرة اللون. إنما هي كرامة فارُوقيّة، وأثارة[١١] من حديث سارية وبقيَّة، سَفَرَ وَجْهُها في الأعقاب، بعد طول الانتقاب، وتداوُل الأحقاب، ولسانٌ مُناب عن كريم جَناب. وأصابةُ السَّهْم لِسواه مَحْسُوبة، وإلى الرَّامي الذي يُسَدِّده[١٢] منسوبة، ولا تُنكر على الغمام بارقة، ولا على المُتَحَقِّقين[١٣] بمقام التَّوحيد كرامة خارقة، فما شاءَه[١٤] الفضل من غرائب برٍّ وجَدَ، ومحاريب خُلُقٍ كريم رَكَع الشُّكْرُ فيها وسَجَد، حديقةُ بيانٍ استثارتْ نواسمَ الإبداع[١٥] من مَهَبِّها، واستزارتْ[١٦] غمائمَ الطِّباع من مَصَبِّها، فآتتْ أُكُلَها مرَّتين بإذن ربِّها، لا بل كتيبة عزٍّ طاعنتْ بِقَنا الألِفات سطورُها، فلا يرومها النَّقد ولا يَطُورها، ونزعت عن قِسيِّ النُّونات خطوطُها، واصطفَّت من بياض الطِّرْس وسواد النِّقْس[١٧] بُلْقٌ[١٨] تحوطُها. فما كأس المُدير على الغَدير، بين

(١) في الريحانة: «من قنية دار».
(٢) في الريحانة: «تنقطع».
(٣) في الريحانة: «ببديعه».
(٤) في الصبح: «القدوم».
(٥) في الريحانة: «وديعه».
(٦) في الصبح: «حتم».
(٧) في الأصل: «زيد»، والتصويب من المصدرين.
(٨) في المصدرين: «مثاني الإبداع».
(٩) في الصبح: «المُجيد».
(١٠) في الريحانة: «الصُمة».
(١١) في الريحانة: «وإشارة». والأثارة: البقيّة.
(١٢) في المصدرين: «سدّده».
(١٣) في الريحانة: «المحققين».
(١٤) في الريحانة: «شاء».
(١٥) في المصدر نفسه: «الإيداع».
(١٦) في الريحانة: «واستنارت».
(١٧) في الأصل: «النَّفس»، وكذا في الريحانة، والتصويب من الصبح. والنِّقْس: الحبر.
(١٨) في الريحانة: «فلق».

الخوَرنق[١] والسَّدير[٢]، تقامر[٣] بنَرْد الحُباب، عقولَ ذوي[٤] الألباب، وتُغْرِق كِسْرى في العُباب[٥]، وتُهْدي وهي الشَّمطاءُ نشاطَ الشباب. وقد أسْرَج ابنُ سُرَيح[٦] وألجَم، وأفصح الغريضُ[٧] بعد ما جَمْجَم، وأعرب النّايُ الأعْجَم، ووقَّع مَعْبد[٨] بالقضيب، وشَرَعتْ في حساب العُقد بنانُ الكفِّ الخَضِيب، وكأنَّ الأناملَ فوق مثالثِ العُود ومَثانيه، وعند إغراءِ الثَّقيل بثانيه، وإجابة صدى الغِناءِ بين مَغانيه. المَراوِدُ تَشْرع في الوَشْي، أو العناكِبُ تُسْرِعُ في المَشْي، فما المُخْبر[٩] بنيل الرَّغائب، أو قدوم الحبيب الغائب، لا بل إشارةُ البَشير، بكُمِّ المُشير على العَشير، بأجْلَبَ للسُّرور من زائره[١٠] المُتَلقَّى بالبُرُور، وأدْعى للحُبور من سَفيره المُبْهج للسُّفور[١١]. فلم نر مِثلَه من كتيبة كِتاب تُجنب الجُرْدَ تمرح في الأرسان، وتتشوّف مَجالَيْ ظهورها إلى عرائس الفُرسان، وتَهُزُّ معاطِفَ الارتياح من صَهيلها الصُّراح بالنَّغمات الحِسان. إذا أوجست[١٢] الصَّريخ نازَعَتْ[١٣] إثناءَ الأعنَّة، وكاثرتْ بأسنَّة آذانها مُشْرَعة الأسنَّة، فإن ادّعى الظَّليمُ إشكالَها[١٤] فهو ظالم، أو نازَعَها[١٥] الظَّبْيُ هوادِيَها وأكْفالَها فهو هاذٍ[١٦] أو حالم. وإن سئل الأصمعي[١٧] عن عُيوب الغُرَر والأوضاح، قال مشيرًا إلى وجوهها الصُّباح: جِلْدة بين العينِ والأنْف سالم من كلِّ عَبْل الشَّوى، مُسابقٌ للنَّجم إذا ما[١٨] هَوَى، سامي التَّليل، عريضٌ ما تحت الشَّليل، ممسوحةٌ[١٩] أعطافه بمنديل النَّسيم البَليل، من أحمرَ كالمُدام، تُجْلى على النُّدام عَقِبَ الفِدام، أُتْحِفَ لونُه بالوَرْد، في زمن البَرْد، وحُيِّي[٢٠] أُفُق مُحيَّاه

(١) الخَوَرْنق: قصر بظهر الحيرة. معجم البلدان (ج ٢ ص ٤٠١).

(٢) السَّدير: قصر قريب من الخورنق. معجم البلدان (ج ٣ ص ٢٠١).

(٣) في الريحانة: «تغامر».

(٤) في الريحانة: «أولي».

(٥) في الريحانة: «القِباب».

(٦) في الصبح: «ابن سريج».

(٧) في الأصل: «القريض»، وفي الريحانة: «للقريض»، والتصويب من الصبح. والغريض: هو أبو زيد عبد الملك، من أشهر المغنّين في صدر الإسلام. الأغاني (ج ٢ ص ٣١٨).

(٨) في الأصل: «وقع مُعيدًا»، والتصويب من الصبح. وفي الريحانة: «ووقع معبدًا».

(٩) في الريحانة: «وما المخبر». وفي الصبح: «وما الخبر».

(١٠) في الريحانة: «زائرة الملتقى».

(١١) في الأصل: «السفور»، والتصويب من المصدرين.

(١٢) في الصبح: «وجدت».

(١٣) في الريحانة: «بارحت».

(١٤) في الصبح: «أشكالها».

(١٥) في الريحانة: «نازع».

(١٦) في الريحانة: «هادٍ».

(١٧) كلمة «الأصمعي» ساقطة في الصبح.

(١٨) كلمة «ما» ساقطة في المصدرين.

(١٩) في الريحانة: «ممشوقة».

(٢٠) في الريحانة: «وحيًا».

بكوكب السَّعْد، وتشوّف الواصفون إلى عدّ محاسنه فأعْيَتْ على[١] العدّ، بَحْرٌ يساجل البَحْرَ عند المدّ، وريحٌ تباري الريح عند الشّدّ، بالذّراع الأشدّ، حَكَمَ له مُدَبّرُ فَلَكِ[٢] الكَفَل باعتدال فَضْل القَدّ، ومَيّزه قَدْرُه المُمَيّزُ يوم الاسْتِباق، بقصب السّباق، عند اعتبار الجدّ[٣]، وولّد مختطُّ غُرّته أشكال الجمال على الكمال بين البياض والحُمْرة ونقاءِ الخَدّ، وحَفِظَ روايةَ الخُلُق الوجيه، عن جدّه الوَجيه، ولا تُنْكر الرواية على الحافظ ابن الجدّ. وأشقرُ أبيٌّ[٤] الخَلْق، والوجه الطَّلْق، أن يُحقَّر كأنما صِيغ من العَسْجد، وطُرِف بالدُّرّ وأُنْعل بالزبَرْجد. ووُسم في الحديث بسمة اليُمْن والبَركة، واختصّ بفَلْج الخصام عند اشْتِجار[٥] المعركة، وانفرد بمُضاعف السِّهام، المنْكَسِرة على الهام، في الفرائض المُشْتركة، واتّصف[٦] فَلَكُ كَفَلِهِ بحرَكَتَيْ الإرادة والطَّبْع من أصناف الحركة. أصغى إلى السماءِ بأُذُن المُلْهَم، وأُغْري[٧] لسانُ الصَّهيل[٨] عند التباس معاني المُهمز[٩] والتّسهيل ببيان المُبْهم، وفُتنت العيونُ من ذَهَب جسمه ولُجَيْن نَجْمه بحبّ الدُّنَيّر[١٠] والدّرهم، فإن انقضّ فرجم، أو ريحٌ لمَّا[١١] هجم، وإن[١٢] اعترض فَشَفَق لاح به للنّجم نجم. وأصْفَر قيّد الأوابد الحُرّة، وأمْسك المحاسنَ وأطلقَ الغُرّة، وسئل من أنتَ في قُوّاد الكتائب، وأولي الأخبار العجائب، فقال: أنا المُهَلّب بن أبي صُفْرة، نَرْجِس هذه الألوان، في رياض الأكوان، تَحْيا به مُحيًّا[١٣] الحرب العَوان. أغار بنخوة الصّائل على مُعَصْفَرات الأصائل فارتداها، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الأمس فألحم[١٤] منها حُلّة وأسْداها، واسْتَعْدَتْ عليه مُلك[١٥] المحاسن فما أعداها، فهو أصيلٌ تمسّك بذيل الليل عُرْفُه وذيله، وكوكب يُطْلعه من القَتام ليلُه، فَيَحْسُده فَرْقَد الأفق وسُهَيله. وأشهب تغشى[١٦] من لونه مَفاضة[١٧]، وتَسَرْبَلَ منه لأمةً[١٨] فَضْفاضة، قد احتفل زَيْنُه، لمّا رُقِمَ بالنّبال لُجَيْنُه، فهو الأشْمَط، الذي حَقُّه لا

---

(١) في الريحانة: «عن».
(٢) في الريحانة: «الفلك باعتدال».
(٣) في الصبح: «الحدّ».
(٤) في الريحانة: «ذهبيّ».
(٥) في الريحانة: «استنجاز».
(٦) في الأصل: «واتصفت»، والتصويب من الصبح. وفي الريحانة: «واتصل».
(٧) في الصبح: «وأعرب».
(٨) في الريحانة: «الصميل».
(٩) في الصبح: «الهَمْز».
(١٠) في الصبح: «الدينار».
(١١) في الصبح: «لها».
(١٢) كلمة «وإن» ساقطة في الريحانة.
(١٣) في الصبح: «وجوه».
(١٤) في الريحانة: «فألجم».
(١٥) في الريحانة: «تلك».
(١٦) في الريحانة: «سَني».
(١٧) في الصبح: «مُضاضه».
(١٨) اللأمة: الدّرْع، والجمع لأم.

يُغْمَط، والدَّارع[١] المُسارع، والأعْزَلُ الذَّارع[٢]، وراقي الهِضاب الفارع، ومَكتوب الكتيبة البارع، وأكْرِمْ به من مُرتاضٍ سالك، ومُجتهدٍ على غايات السَّابقين الأوَّلين[٣] متهالك. وأشهبُ يَرْوي من الخليفة، ذي الشِّيَم المُنيفة، عن مالكٍ. وحُبارِيّ كلّما سابَقَ وبارى، استعار جناح الحُبارى[٤]، فإذا أعْمِلت هذه[٥] الحِسْبة، قِيل من هنا جاءَت النِّسبة، طرد النِّمِر لما عَظُم أمْرُه وأمر، فنُسخ وجوده بعدمه، وابتزَّه الفَرْوة مُلطَّخة[٦] بدمه. وكأنّ مُضاعف الوَرْد نُثِر عليه من طبقِه أو الفَلَك، لما ذهب الحَلك، مُزج فيه[٧] بياض صُبْحه بحُمْرة شَفقِه، وقرطاسيُّ حقّه لا يُجهل، متى ما ترقى العين فيه تسهل[٨]، إن نُزِعَ عنه جُلُّه، فهو نجمٌ كلُّه، انفرد بمادة الألوان، قبل أن تَشُوبها[٩] يَدُ الأكوان، وتمزجَها أقلامُ المَلَوان[١٠]، يتقدم منه الكتيبةَ[١١] لواءٌ ناصع، أو أبيضُ مماصع[١٢]، لَبِسَ وَقارَ المَشِيب[١٣]، في رَيْعان العُمْر القَشِيب، وأنْصَتَتِ الآذانُ من صَهِيله المُطيل المُطيب، لما ارتدى بالبياض إلى نَغْمة الخطيب، وإنْ تَعَتَّبَ منه للتأخير المُتَعتِّب[١٤]، قلنا: الواوُ لا تُرتِّب، ما بين فحل وحُرَّة، وبَهْرَمانة[١٥] ودُرَّة، وياللهِ من ابتسام غرَّة، ووضوح يُمْن في طُرَّة، وبهجةٍ للعين وقُرَّة. وإنْ وَلِعَ الناسُ بامتداح القديم، [وخصُّوا الحديث بفَرْي الأديم، وأوجب المتعصِّب وإن أبى المنصِب مزية[١٦] التَّقديم،][١٧] وطَمَحَ إلى رُتبة المخدوم طَرْفُ الخديم، وقورن المُثري بالعَديم، وبُخس في سوق الكَسَد[١٨] الكيل، ودَجا الليل، [وظهر في فَلَك الإنصاف الميل، لمّا تُذُوكرت الخَيْل،][١٩] فجيءَ بالوجيه والخطَّار، والذائد[٢٠] وذي الخِمار[٢١]، وداحسٍ والسَّكْب، والأَبْجَر[٢٢] وزاد الركب، والجَمُوح واليَحْموم،

---

(١) في الصبح: «والذراع».
(٢) في الصبح: «الدارع».
(٣) كلمة «الأولين» ساقطة في الريحانة.
(٤) في الريحانة: «الخبارى». والحبارى: طائر يقع على الذكر والأنثى.
(٥) كلمة «هذه» ساقطة في الريحانة.
(٦) في الصبح: «ثم لطّخه».
(٧) كلمة «فيه» ساقطة في الريحانة.
(٨) في الصبح: «تَشْهَل».
(٩) في الريحانة: «تثريها الأكوان وتمزقها أقلام الملوان، تتقدم...».
(١٠) المَلَوان: الليل والنهار.
(١١) في الريحانة: «الكتيبة المقفلة لواء...».
(١٢) يقال: ماصَعَ القوم: قاتلوا وجالدوا، وماصعَ فلانًا: ضربه بالسيف.
(١٣) في الريحانة: «الشيب».
(١٤) في الريحانة: «المُقَتِّب».
(١٥) البَهْرَمانة: العُصْفر.
(١٦) في الصبح: «مرتبة».
(١٧) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(١٨) في الصبح: «الحسد».
(١٩) ما بين قوسين ساقط في صبح الأعشى.
(٢٠) في الأصل: «والزائد»، والتصويب من المصدرين.
(٢١) الخِمار: اللثام.
(٢٢) في الريحانة: «والأبحر».

والكُمَيت ومَكْتُوم، والأعوج والحُلوان[١]، ولاحقٍ والغَضْبان، وعفزر[٢] والزَّعْفران، والمحَبَّر واللُّعاب، والأغرُّ والغُراب، وشُعْلة[٣] والعُقاب، والفَيَّاض واليَعْبوب، والمُذَهَّب واليَعْسُوب، والصَّمُوت[٤] والقَطِيب، وهَيْدب والصبيب، وأهْلُوب وهَدَّاج، والحَرُون وخرَّاج[٥]، وعَلْوى[٦] والجناح والأخوى ومُجاج[٧]، والعصا والنَّعامة، والبَلْقاءُ والحَمامة، وسَكَاب والجَرادة، وخَوْصاءُ[٨] والعَرادة. فكم[٩] بين الشَّاهد والغائب، والفُرُوض والرغائب، وفرقٌ ما بين الأثرِ والعِيان، غنيٌّ عن البيان، وشَتَّان ما بين الصَّريح والمُشْتَبه، ولله درُّ القائل في[١٠] مثلَها: «خُذْ ما تراه ودَعْ شيئًا سَمِعْتَ به». والنَّاسخ يختلف به الحكم، وسرُّ الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب[١١] الصُم البُكم[١٢]، إلّا ما ركبه نبيّ، أو كان له يوم الافتخار برهان خبيّ[١٣]، ومُفَضِّل ما سَمع على ما رأى غبيّ، فلو أنصِفَتْ محاسنُها التي وَصَفْتُ لأُقْضِمَتْ حَبُّ القلوب عَلَفًا، وأُوْرِدتْ ماء الشبيبة[١٤] نُطَفا، واتُّخذتْ لها من عُذُر الخدود الملاح عُذُر مَوْشِيَّة، وعُلِّلَتْ بصفير ألحان القِيان كلَّ عشيّة. وأُنعِلتْ[١٥] بالأهِلّة، وغُطِّيَتْ بالرياض بَدَلَ الأجِلَّة.

إلى الرَّقيق، الخليق بالحُسْن الحَقِيق، تسوقه إلى مَثْوى الرعاية روقة الفتيان رعاته، ويُهْدي[١٦] عقيقُها من سَبَجِه[١٧] أشكالًا تَشْهَدُ للمخترع سبحانه بإحكام مُخترعاته، وَقَّفَتْ ناظرَ الاستحسان لا يَريم، لمَّا بهره[١٨] منظرُها الكريم، وتخاملَ[١٩] الظَّليم، وتضاءَل الرِّيم، وأُخرس[٢٠] مُفَوَّه[٢١] اللسان، وهو[٢٢] بملكة التِّبيان[٢٣]، الحفيظ العليم. وناب لسانُ الحال عن لسان المَقال، عند الاعتقال، فقال يخاطب

---

(١) في الصبح: «وحُلْوان».
(٢) في الريحانة: «وعفروز». وفي الصبح: «وعفور».
(٣) في الريحانة: «وشُقْلة».
(٤) في المصدرين: «والصحون».
(٥) في الريحانة: «والحَرَاج».
(٦) في الريحانة: «وجَلْوى».
(٧) في الريحانة: «ومَحاح».
(٨) في الريحانة: «وخبوصًا». وفي الصبح: «وحوصاء».
(٩) في الريحانة: «وكم».
(١٠) قوله: «في مثلها» ساقط في الريحانة.
(١١) قوله: «بين هذه الدواب» ساقط في الريحانة.
(١٢) في الريحانة: «والبُكم».
(١٣) في الريحانة: «مرعيّ».
(١٤) في الصبح: «الشنينة».
(١٥) في الريحانة: «وأهلّت».
(١٦) في الريحانة: «وتهدى».
(١٧) في الريحانة: «سبحه».
(١٨) في الريحانة: «بهرها».
(١٩) في الريحانة: «وتحامل».
(٢٠) في الريحانة: «وأخرص».
(٢١) في الصبح: «مقولُه».
(٢٢) كلمة «وهو» ساقطة في الريحانة.
(٢٣) في الصبح: «بملكات البيان».

المقامَ الذي أطْلَعَتْ أزهارَها غمائمُ جُوده، واقتضتِ اختيارَها بَرَكةُ وجوده. لو علمْنا أيها المَلِكُ الأصيل، الذي كَرُم منه الإجمال والتَّفصيل، أنَّ الثناءَ يُوازيها، لَكِلْنا لك بكَيْلك، أو الشُّكْر يُعادلها ويُجازيها[١]، لَتَعَرَّضْنا بالوَشَل[٢] إلى نيل نَيلك، أو قُلْنا: هي[٣] التي أشار إليها مُسْتَصْرخ سَلَفِكَ المستنصر[٤] بقوله: «أدرك بخيلك»[٥] حين شَرِقَ بدمعه[٦] الشرق، وانهزم الجمعُ واستولى الفَرَق، واتسع فيه والحكم لله الخرق، ورأى أنَّ مقامَ التوحيد بالمظاهرة على التَّثْليث، وحزبه الخَبيث، هو الأولى والأحقّ. والآن قد أغنى الله بتلك النِّيَّة، عن إنجاد[٧] الطِّوال الرُّدَينيَّة، وبالدُّعاءِ من تلك المَثابة الدينيَّة، إلى ربِّ البَنيَّة، عن الأمداد السَّنيّة، والأجواد تخوض بَحْر الماءِ إلى بَحْر المَنِيَّة، وعن الجُرْد العربية في مَقاود الليوث الأبيَّة، فجدَّد[٨] برسم هذه الهديَّة، مراسم العهود الوُدِّية، والذِّمم المُوَحِّدية، لتكون علامة على الأصل، ومُكذِّبة لدعوى الوَقْف والفَصْل، وإشعارا بالأُلفة التي لا تزال أَلِفُها بحول الله[٩] أَلِفَ الوَصْل، ولامُها حرامًا على النَّصْل.

وحضر بين يدينا رسولُكُم فلان فقرَّر من فضلكم ما لا يُنْكره مَنْ عَرَف عُلُوَّ مقداركم، وأصالةَ داركم، وفَلَكَ إبداركم، وقُطْب مداركم، وأجْنَبْناه[١٠] عنه بجُهد ما كنّا لنقنع من جناه المُهْتَصر، بالمُقْتضب المختصر، ولا لنقابل[١١] طولَ طَوْله بالقِصر، لولا طروءُ الحَصَر. وقد كان بين الأسلاف رحمةُ الله عليهم ورضوانُه[١٢] وُدٌّ أُبرمتْ من أجل الله مَعاقِدُه، ووُثِّرت للخُلوص الجَليِّ النصوص مضاجِعُه القارّة ومَراقدُه،

---

(١) في الصبح: «أو يجازيها».

(٢) الوشل: الماء الكثير، والكثير من الدمع.

(٣) أي مدينة بلنسية الأندلسية.

(٤) هو الخليفة أبو زكريا يحيىٰ بن عبد الواحد بن أبي حفص، صاحب إفريقية، وقد استغاث به أمير بلنسية زيان بن مردنيش في أثناء حصار بلنسية من قبل ملك برشلونة، وأوفد إليه محمد بن عبد الله بن الأبار، مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للخليفة الحفصي، فقام بين يديه منشدًا قصيدته السينية التي بلغت ٦٧ بيتًا. أزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧).

(٥) هو مطلع سينية ابن الأبار، التي قالها يستصرخ فيها الخليفة الحفصي ويحضّه فيها على الإنجاد السريع، ومطلعها [البسيط]:

أَدْرِكْ بخيلك خيلِ اللهِ أندلسا ... إنَّ السبيلَ إلى مَنْجاتها درسا

أزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧).

(٦) في الصبح: «بدفعه».

(٧) في الريحانة: «واتخاذ».

(٨) في الصبح: «وجدّد».

(٩) قوله: «بحول الله» ساقط في الصبح.

(١٠) في الريحانة: «وأجبنا».

(١١) في الصبح: «نقابل».

(١٢) في الريحانة: «الأسلاف، رضوانُ الله عليهم، ودٌ...».

وتعاهدُ بالجميل تَوَجُّعَ لفَقْده فيما سلف[١] فاقده، أبى الله إلّا أن يكون لكم الفضلُ في تجديده، والعَطْفُ بتوكيده. ونحن الآن لا نَدْري أيّ مكارمكم نَذْكر[٢]، أو أيّ فواضلكم نَشْرح أو نشكر، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا[٣] فَتْح، أم هَدِيّتكم وفي وصفها للأقلام سَبْح، ولعدوّ الإسلام بحكمتها[٤] كَبْح. إنما نَكِلُ الشكر لمن يُوَفّي جزاءَ الأعمال البَرّة، ولا يَبْخَسُ مِثقال الذّرّة، ولا أدنى من مثقال الذّرة، ذي الرّحمة الثّرّة، والألطاف المتصلة المستمرة، لا إلٰه إلّا هو.

وإن تشوفتم إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكُفر[٥] الواهية بقدرة الله الواهنة، فنحن نُطْرفكم بِطُرَفها، [ونُطْلعكم على سبيل الإجمال بطَرَفها،][٦] وهو أننا لمّا أعادنا[٧] الله من التمحيص، إلى مثابة التخصيص، من بعد المَرام العويص، كَحَلْنا بتوفيق الله بَصَر البصيرة، ووقفْنا على سبيله مساعيَ الحياة القصيرة، ورأينا كما نُقِل إلينا، وكُرِّر على[٨] مَنْ قَبْلنا وعلينا، أن الدُّنيا وإن غَرَّ الغَرُور، وأنام على سُرُر الغفلة السُّرور، فلم ينفع الخُطور على أجداث الأحباب[٩] والمُرور، جسْرٌ يُعْبر، ومتاع لا يُغْبَط من حُبي به ولا يُجْبر[١٠]، إنما هو خبر به يُخْبر، [وأن الحَسْرة بمقدار[١١] ما على تركه تُجبر][٦]، وأن الأعمار أحلام، وأن الناس نِيام، وربما رحل الراحل عن الخان، وقد جلّله بالأذى والدُّخان، أو ترك به طِيبًا، وثناءً يقوم بعده للآتي خَطِيبًا، فجعلنا العدل في الأُمور مِلاكًا، والتفقُّد للثُّغور مِسْوَاكًا، وضجيع[١٢] المِهاد، حديثَ الجهاد، وأحكامَهُ مَناط الاجتهاد، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم﴾[١٣] دليل[١٤] الاستشهاد، وبادرنا رَمَق[١٥] الحصون المُضاعة وجُنحُ التّقية دامس، [وعَوْراتها[١٦] لا تردُّ يَدَ لامِس][١٧]، وساكنُها بائس، والأعْصَمُ في شَعَفاتها[١٨] من العِصْمة آيس[١٩]، فزيّنا[٢٠] بِبيض الشُّرُفات ثناياها، وأفْعَمْنا بالعَذْب

---

(١) قوله: «فيما سلف» ساقط في الصبح.

(٢) في الريحانة: «تُذْكر... تُشرح أو تُشكر».

(٣) في المصدرين: «هي عندنا في الحقيقة».

(٤) في المصدرين: «بحكمة حكمتها».

(٥) في الريحانة: «الكفر الواهنة، فنحن...».

(٦) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(٧) في الصبح: «أعاد».

(٨) كلمة «على» ساقطة في الريحانة.

(٩) كلمة «الأحباب» ساقطة في الريحانة.

(١٠) في الصبح: «ولا يحبر» بالحاء المهملة.

(١١) في الصبح: «بمقدارها».

(١٢) في الأصل: «وضجيج»، والتصويب من المصدرين.

(١٣) سورة الصف ٦١، الآية ١٠.

(١٤) في الصبح: «من حجج».

(١٥) في الصبح: «من».

(١٦) في الريحانة: «وعوراته».

(١٧) ما بين قوسين ساقط في الصبح.

(١٨) في الريحانة: «شعباتها».

(١٩) في الصبح: «يائس».

(٢٠) في الريحانة: «فرتبنا».

الفُرات رَكاياها، وغَشَّينا بالصَّفيح المُضاعَف أبوابها، واحْتَسَبنا عند مُوفيّ الأُجور ثوابها، وبَيَّضْنا بناصع الكِلْس أثوابها، فهي اليوم تُوهم حِسَّ[١] العِيان، أنها قِطَعٌ من بيض العنان، تكاد تَناولُ قُرَص البدر بالبَنان، متكفِّلةٌ للمؤمن من فَزَع[٢] الدنيا والآخرة بالأمان. وأقرضْنا الله قَرْضًا، وأوسعنا مدوَّنة الجيش عَرْضًا، وفرضْنا أنصافه مع الأهلَّة فَرْضًا، واستندْنا من التوكُّل على الله الغنيّ الحميد إلى ظِلّ لواءٍ، ونبذْنا إلى الطاغية عهده على سواءٍ، وقلْنا: ربِّ[٣] أنت العزيز، وكلُّ جَبَّار لعزِّك ذليل، وحِزْبك هو الكثير وما سواه فقليل، أنت الكافي، ووعْدُك الوَعْد الوافي، فأفِضْ علينا مَدارعَ الصابرين، واكتُبْنا من الفائزين، بحظوظ رضاك الظافرين، وثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القوم الكافرين.

فتحرَّكْنا أُولى الحركات، وفاتحةَ مُصْحف البركات، في خِفٍّ من الحُشُود، واقتصار على من[٤] بحضرتنا من العساكر المُظَفَّرة والجنود، إلى حصن أشِر[٥] البازي[٦] المُطِلّ، وركاب العدو الضَّالّ المُضِلّ، ومُهْدي نَفَثات الصِّلّ، على امتناعه وارتفاعه، وسموّ[٧] يَفاعه، وما بَذَلَ العدوُّ فيه من استعداده، وتوفير أسلحته وأزْواده، وانتخاب أنْجاده. فصَلَيْنا[٨] بنفسنا ناره، وزاحمْنا عليه الشُّهداءَ نُصابر أُواره، ونَلْقى بالجَوارح العزيزة سهامَه المسْمُومة وجلامِدَه[٩] المَلمومة وأحجارَه، حتى فرَغْنا بحول[١٠] مَنْ لا حول ولا قوة إلّا به أبراجَه المَنِيعة وأسواره، وكَفَفْنا عن البلاد والعباد[١١] أضراره، بعد أن اسْتَضَفْنا إليه حصن السّهلة[١٢] جارَه، ورحَلْنا عنه بعد أن شَحَنّاه رابطةً وحاميةً، وأزْوادًا[١٣] نامية، وعَمِلْنا بيدنا في رَمِّ ما ثَلم القتال، وبَقَر من بُطُون مُسابقة[١٤] الرجال، واقْتَدينا بنبيِّنا صلوات الله وسلامه عليه في الخَنْدق لَمَّا حمى ذلك المَجال، ووقع الارْتجازُ المنقولُ خبرُه والارْتِجال[١٥]، وما كان ليقرَّ الإسلام مع تَرْكه القَرار، وقد كُتِبَ الجوار، وتداعى الدَّعَرَةُ وتعاوى الشِّرار.

---

(١) في الريحانة: «حُسْن».

(٢) في الريحانة: «قرع».

(٣) في المصدرين: «ربّنا».

(٤) في الصبح: «ما».

(٥) في الصبح: «آش». وأشر Iznajor حصن يقع على ضفة نهر شنيل.

(٦) في الريحانة: «السامي».

(٧) في الريحانة: «وسمر».

(٨) في الريحانة: «فطبنا عليه بنفسنا».

(٩) في الريحانة: «وجلاسده الملومة».

(١٠) في الريحانة: «بحول الله، من...».

(١١) في المصدرين: «عن العباد والبلاد».

(١٢) السهلة: تسمى أيضًا شنتمرية الشرق، Santa María de Al barracín وهي مدينة وحصن، بين بلنسية وسرقسطة.

(١٣) في الريحانة: «وأوسعناه أزوادًا».

(١٤) في الصبح: «مسالحه».

(١٥) في الريحانة: «والارتحال» بالحاء المهملة.

وقد[١] كنا أغْزَينا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة[٢] بُرغة[٣] التي سَدَّت بين القاعدتين؛ رُنْدة ومالَقة[٤] الطريق، وألْبَسَتْ ذُلَّ الفراق ذلك الفَريق، ومَنَعَتْهما أن تُسيغا[٥] الرِّيق، فلا سبيل إلى الإلمام لِطَيْفِ المنام، إلّا[٦] في الأحلام، ولا رسالة إلّا في أجنحة هَديّ الحَمام، فيسَّر الله فَتْحَها، وعَجَّلَ مَنْحَها، بعد حرب انبتَّت فيها النُّحور، وتزيَّنَت الحُور، وتبع هذه الأمَّ بناتٌ شهيرة، وبُقَعٌ للزرع والضَّرْع خِيرة، فَشُفي الثَّغْرُ من بُوسه، وتهلَّل وَجْهُ الإسلام بتلك الناحية بعد عُبُوسه.

ثم أعْمَلْنا الحركة إلى مدينة الجزيرة[٧]، على بُعد المدى، وتَغَلْغُلها في[٨] بلاد العدا، واقتحام هَوْل الفَلا[٩] وغَوْل الرَّدى، مدينة تبنَّتها[١٠] حِمْص فأوسَعت الدَّار، وأغْلَت الشِّوار، وراعت الاستكثار، وبَسَطَت الاعْتِمار، رَجَّح إلينا قَصْدَها على البُعْد، والطريق الجَعْد، ما أشْقَت[١١] به المسلمين، من استئصال طائفة من أسْراهم مَرُّوا بها آمنين، وبطائِرِها[١٢] المَشْؤوم مُتَيَمِّنين، قد أنْهَكَهُم الاعتقال، والقُيُود الثِّقال، وأضْرعهم الإسار، وجَلَّلهم الانكِسار، فجدَّلُوهم في مَصرع واحد، وتركوهم عِبْرَةً للرائي والمُشاهد، وأهْدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثُكْل الواجد، وتِرَة[١٣] الماجِد، فكبسْناها كبسا، وفَجَأْناها بإلهام مَن لا يُضِلُّ ولا يَنسى، فَصَبَّحَتْها الخيل، ثم تلاحق الرَّجْل لما[١٤] جَنَّ الليل[١٥]، وحاقَ بها الوَيْل، فأُبيح منها الذِّمار[١٦]، وأخذها الدَّمار، ومُحِقَتْ من مَصانعها البيض[١٧] الأهلّة وخُسِفَت الأقمار، وشُفِيت من دماءِ أهْليها[١٨] الضُّلُوع الحِرار[١٩]، وسُلِّطَتْ على هياكلها النار، واسْتولى على الآلاف[٢٠] العديدة من سَبْيها الإسار، وانتهى إلى إشبيلية الثُّكْلى المَغار، فجلَّل وجوهَ مَنْ بها من

(١) في الصبح: «وكنّا أغزينا».
(٢) في الريحانة: «مدنية».
(٣) بُرْغة: بالإسبانية Burgo، وهي مدينة بين مالقة ورندة.
(٤) في الصبح: «مالقة ورندة».
(٥) في المصدرين: «أن يُسيغا».
(٦) كلمة «إلّا» ساقطة في الصبح.
(٧) في الريحانة: «أطْريرة». والمراد هنا: مدينة الجزيرة الخضراء القريبة من جبل طارق.
(٨) في الصبح: «وتعلّقها على...».
(٩) في الريحانة: «البلا».
(١٠) في الصبح: «بنتها». والمراد بحمص: إشبيلية.
(١١) في المصدرين: «أسفت».
(١٢) في الريحانة: «وبظاهرها».
(١٣) في الريحانة: «وثرّة».
(١٤) في المصدرين: «كما».
(١٥) في الريحانة: «السيل».
(١٦) الذِّمار: ما يلزمك حفظه وحمايته من عِرْض وحريم وناموس.
(١٧) البيض: السيوف.
(١٨) في المصدرين: «أهلها».
(١٩) في الريحانة: «الجرار»، بالجيم المعجمة. والحِرار: جمع حَرّى وهو الشديد العطش.
(٢٠) في الريحانة: «الآلات».

كبار النصرانية الصِّغار، واستولت الأيدي على ما لا يَسَعُه الوصف ولا يَقلُّه الأوقار. وعُدنا والأرض تموج سَبْيًا، لم تترك[١] بعِفِرِّين[٢] شِبْلًا ولا بَوْجرة[٣] ظَبْيًا، والعقائلُ حَسْرى، والعيونُ يَبْهَرُها[٤] الصُّنْع الأسْرَى، وصُبْح السُّرى قد حُمِدَ من[٥] بَعْد بُعد المَسْرى، فسبحان الذي أسْرَى، ولسانُ الحَمِيَّة يُنادي في تلك الكنائس المُخْزِية[٦] والنَّوادي: يا لَثارات الأسْرَى.

ولـم يكن إلَّا أن نُفِّلت[٧] الأنفال، ووُسِمَتْ بالإيضاح[٨] الأغفال، وتميَّزت الهَوادي والأكْفال، وكان إلى غزو مدينة جَيَّان الاحتفال، قُدْنا إليها الجُرْدَ تُلاعِبُ الظِّلال نَشاطًا، والأبطال تقتحم الأخطار رضًى بما عند الله واغتباطًا، والمهنَّدة الذَّلِق[٩] تسبق إلى الرِّقاب استلالًا واخْتِراطًا، والرُّدَيْنيَّة السُّمْر تسترط حيَّاتُها[١٠] النفوس استراطًا، [واستكثرنا من عُدَد القتال احتياطًا،][١١] وأزحْنا[١٢] العِلل عمَّن أراد جهادًا مُنجِيًا غُباره من دخان[١٣] جهنّم ورِباطًا، وناديْنا الجهادَ الجهادَ، يا أُمة [الجهاد راية][١٤] النبيّ الهاد، الجنَّة الجنَّة تحت ظِلال السيوف الحِداد، فَهَزَّ النداءُ إلى الله تعالى كلَّ عامر وغامر، وائتَمر الجمُّ من دعوة الحقِّ إلى أمْر آمر، وأتى الناس من الفُجُوج العَميقة رجالًا وعلى كلِّ ضامر، وكاثَرَت الرايات[١٥] أزهارَ البِطاح لونًا وعَدًّا، وسَدَّت الحشود مسالك الطرق[١٦] العريضة سَدًّا، ومُدَّ بَحْرُها الزاخرُ مدًّا، فلا يجدُ لها الناظرُ ولا المناظر حَدًّا. وهذه المدينة هي الأُمُّ الوَلُود، والجنَّة التي في النار لسكَّانها من الكُفَّار[١٧] الخُلُود، وكرسيُّ المُلْك، ومُجَنَّبته الوُسْطى من ذلك السِّلك[١٨]، باءَتْ بالمزايا العديدة ونجحتْ، وعند الوِزان بغيرها من أُمَّات البلاد[١٩] رَجحتْ، غابُ الأُسود، وجُحْر الحَيّات السُّود، ومَنْصِب التماثيل الهائلة، ومَغْلَق النواقيس الصَّائلة.

---

(١) في الصبح: «نترك».
(٢) عِفِرِّين: اسم بلد. معجم البلدان (ج ٤ ص ١٣٢).
(٣) وَجْرَة: بلدة بين مكة والبصرة، تبعد عن مكة أربعين ميلًا. معجم البلدان (ج ٥ ص ٣٦٢).
(٤) في الصبح: «تبهرها».
(٥) كلمة «من» ساقطة في الصبح.
(٦) في المصدرين: «المخرّبة».
(٧) في الريحانة: «نقلت».
(٨) في الأصل: «الأوضاخ»، والتصويب من الريحانة. وفي الصبح: «الأرضاخ».
(٩) في الصبح: «الزُّرْق».
(١٠) في الصبح: «حياة».
(١١) ما بين قوسين ساقط في الصبح.
(١٢) في الريحانة: «وأرخنا».
(١٣) في الريحانة: «نار».
(١٤) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(١٥) في الريحانة: «الرياض».
(١٦) في الصبح: «الطريق».
(١٧) قوله: «من الكفار» ساقط في الريحانة.
(١٨) في الصبح: «من الممالك».
(١٩) في الصبح: «البلدان».

وأدْنَينا إليها المراحل، وعَيَّنّا لبحار[١] المحلّات المستقلّات منها الساحل. ولمّا أكْثَبْنا[٢] جوارها، وكِدْنا نلمح[٣] نارَها، تحرَّكْنا ووِشاحُ الأُفُق المرقوم بزُهْر النجوم قد دار دائرُه، والليلُ من خوف الصَّباح على سَرْحه المُسْتباح قد شابت غدائرُه، والنَّسْرُ يُرَفْرِف باليُمْن طائرُه، والسِّماك الرامح[٤] يَثْأَر بعزِّ[٥] الإسلام ثائرُه، والنَّعائمُ راعِدةٌ فرائص الجَسَد، من خوف الأَسَد، والقوسُ يُرْسِلُ سَهْم السعادة، بوتر العادة، إلى أهداف[٦] النِّعم المُعادة، والجَوْزاءُ عابرةٌ نهرَ المَجَرَّة، والزُّهرة تَغارُ من الشِّعْرى العَبُور بالضَّرَّة، وعُطارد يُسْدِي في حبل[٧] الحروب، على البلد المحروب ويُلْحِم، ويناظر على أشكالها الهندسيّة[٨] فيُفْحِم، والأحمر يَبْهَر، والعَلَم الأبيضُ يَفري ويَنْهر، والمُشْتَري يُبْدي في فضل الجهاد ويُعيد، ويُزاحم في الحلقات[٩] على ما للسعادة من الصفات ويَزيد، وزُحَل عن الطالع مُنْزَحِل، [وعن العاشر مرتحل][١٠]، وفي زَلَق السُّقُوط وحِل، والبدرُ يُطارح حَجَر المَنْجنيق، كيف يَهْوي إلى النِّيق، ومطلعُ الشمس يَرْقُبُ، وجدارُ الأُفق يكاد بالعيون عنها يُنْقب.

ولمّا فشا سِرُّ الصباح، واهتزَّتْ أعطافُ الرّايات لتحيّات مُبَشِّرات الرِّياح، أَطْلَلْنا[١١] عليها إطْلالَ الأُسود على الفرائس، والفُحُول على العرائس، فنظرْنا منظرًا يَرُوع بأسًا ومَنَعة، ويروقُ وَضعًا وصَنْعة، تَلَفَّعت معاقلُه الشُّمُّ للسَّحاب ببرود، ووَرَدَتْ من غَدِير[١٢] المُزْن في بُرود، وأسرعت لاقتطاف[١٣] أزهار النجوم، والذِّراع بين النطاق مَعاصمُ رُود، وبلدًا[١٤] يُغْيي الماسِحَ والذارع[١٥]، وينتظم المحاني والأجارع. فقلْنا اللهمَّ نَفِّلْه أيدي عبادك[١٦]، وأرِنا فيه آيةً من آيات جهادك، فنزلْنا بساحتها العَريضة المُتُون، نزولَ الغيث الهَتُون، وتَيَمَّنّا من فَحْصها الأفْيَح بسورة التِّين والزيتون، متبرِّية[١٧] من أمان الرحمٰن للبلد المَفْتُون، وأعْجَلْنا الناسُ بحميَّة نفوسهم النَّفيسة، وسَجِيَّة شجاعتهم البئيسة، عن أن نُبَوِّىءَ للقتال المَقاعد، ونُدْني بإسماع

---

(١) في الصبح: «التجّار». وفي الريحانة: «ببحار».
(٢) في الريحانة: «اكتبسنا».
(٣) في الريحانة: «نلتمح».
(٤) في الريحانة: «الرمّاح».
(٥) في الصبح: «ثغر».
(٦) في الريحانة: «أهداب».
(٧) في الصبح: «حيل».
(٨) في الريحانة: «الهندميّة».
(٩) في الصبح: «الخلفات».
(١٠) ما بين قوسين ساقط في الصبح.
(١١) في الريحانة: «أَطْلَلْنا».
(١٢) في الريحانة: «عُذُر».
(١٣) في الصبح: «لاختطاف».
(١٤) في الريحانة: «وبلدٌ».
(١٥) في الريحانة: «والدارع، وينتظم المجاني والأجارح».
(١٦) في الريحانة: «عبادك وبلادك».
(١٧) في الصبح: «مترية».

شَهِير النَّفير منهم الأباعد، وقبل أن يلتقي الخديمُ بالمخدوم، ويركع المنجنيقُ ركعتي القُدوم، فدافعوا[١] من أصْحَر إليهم من الفرسان، وسبق إلى حَوْمة الميدان، حتى أحْجَروهم في البلد، وسلبوهم لِباسَ الجَلَد، في موقف يُذْهِلُ الوالدَ عن الولد، صابت[٢] السِّهامُ فيه غَمامًا، وطارَتْ كأسراب الحَمام تُهْدي حِمامًا، وأضْحَتِ القنا قِصَدًا، بعد أن كانت شِهابًا رصَدًا. وماجَ بحرُ القَتام بأمواج النُّصُول، وأخذ الأرضَ الرَّجَفانُ لزلْزال الصباح[٣] الموصول. فلا ترى إلَّا شهيدًا تُظَلِّلُ مَصْرَعَهُ الحُور، وصريعًا تَقْذف به إلى السَّاحل أمواج[٤] تلك البحور، ونواشِبَ تَبْأى بها الوجوهُ الوجيهةُ عند الله والنُّحور، فالمِقْضَبُ فَوْدُه يُخْضَبُ[٥] والأسْمَرُ غُصنُه سيُثْمر[٦]، والمِغْفَر حِماه يَخْفُر، وظهور القِسيِّ تُقْصَم[٧]، وعِصَم الجُنَد الكوافر تُفْصم. وورق[٨] اليَلَب في المُنْقَلب يَسْقط، والبُتّر تكتب[٩]، والسُّمْر تَنْقط، فاقتُحِمَ الرَّبضُ الأعظمُ لحينه، وأظهر الله لعيون المُبْصرين والمُسْتبصرين عِزَّةَ دينه، وتبرَّأ الشيطانُ من خَدِينه[١٠]، وبَهِت[١١] الكُفّار وخُذِلوا، وبكلِّ مَرْصَدٍ[١٢] جُدِّلوا، ثم دُخِلَ البلدُ بعده غِلابًا، وجُلِّل قَتْلًا واستلابًا، فلا تَسَلْ، إلَّا الظُّبا والأسَل، عن قيام ساعته، وهَوْل يومها وشناعته، وتخريب المباني والمباني، وغِنَى الأيدي من خزائن تلك المغاني، ونَقْل الوجود الأول إلى الوجود الثاني. وتَخارقَ السيفُ فجاءَ[١٣] بغير المعتاد، ونهلت القنا الرُّدينيّة من الدماءِ حتى كادت تُوْرِق كالأغصان المُغْتَرسة والأوتاد، وهَمَتْ أفلاكُ القِسيِّ وسَحَّت، وأرنَّتْ[١٤] حتى بُحَّت، ونَفِدت موادّها[١٥] فشحَّتْ، بما ألَحَّت، وسَدَّت المسالك جُثَثُ القتلى فمنعت العابر، واستأصل الله من عدُوِّه الشأفَةَ[١٦] وقَطَعَ الدَّابر، وأُزْلِفَ الشهيدُ وأُحْسِب الصابر، وسَبَقَتْ رُسُلُ الفتح الذي لم يُسْمَعْ بمثله في الزمن الغابر، تَنْقُل البُشْرى من أفواه المحابر، إلى آذان المنابر.

أقمْنا بها أيامًا نَعْقِر الأشجار، ونستأْصلُ بالتَّخريب الوِجار[١٧]، ولسان الانتقام من عَبَدة الأصنام، يُنادي يا لَثارات الإسكندرية تَشَفِّيًا من الفُجّار، ورعيًا لحقِّ الجار.

---

(١) في الصبح: «فدفعوا».

(٢) في الصبح: «صارت».

(٣) في الصبح: «الصِّياح».

(٤) كلمة «أمواج» ساقطة في الريحانة.

(٥) في الصبح: «يخضب».

(٦) في المصدرين: «يستثمر».

(٧) في الريحانة: «تُقْصم».

(٨) في الريحانة: «ودرق».

(٩) في الريحانة: «يكتب».

(١٠) الخدين: الخِذْن وهو الصاحب والصديق.

(١١) في الصبح: «ونُهِبَ».

(١٢) في الريحانة: «وكل مَصْرع».

(١٣) في الريحانة: «فجار».

(١٤) في الريحانة: «وأَرْبَتْ».

(١٥) في الأصل: «مواردها»، والتصويب من المصدرين.

(١٦) الشأفة: الأصل.

(١٧) الوِجار: جِحْر الضبع وغيره.

وقفلْنا وأجنحةُ الرايات برياح العنايات[١] خافقة، وأوفاق التوفيق الناشئة من خطوط الطريق موافقة[٢]، وأسواقُ العزِّ بالله نافقة، وحملاءُ الرفق مصاحبة والحمد لله مرافقة، وقد ضاقتْ ذُروعُ الجبال، عن أعناق الصُّهب السِّبال[٣]، ورُفِعَتْ على الأكفال، رُدَفاءُ[٤] كرائم الأنفال، وقُلْقِلَتْ من النواقيس أجرامُ الجِبال، بالهِنْدام والاحتيال، وهلك[٥] بمهلك هذه الأمِّ بناتٌ كُنَّ يَرْتَضِعْن ثُدِيَّها الحوافل، ويَسْتَوْثِرْن حِجْرَها الكافل، شَمِلَ التخريبُ أسوارَها، وعَجَّلَت النارُ بَوارَها[٦].

ثم تحرَّكْنا بعدها حركةَ الفتح، وأرسلْنا دلاءَ[٧] الأدلَّاءِ[٨] قبل المَتْح[٩]، فبشَّرت بالمَنْح. وقصدنا مدينة[١٠] أُبَدَة[١١] وهي ثانية الجناحين، وكُبْرى الأُخْتين، ومُساهِمةُ جيَّان في حين الحَيْن، مدينة أخذتْ عَرْض[١٢] الفضاءِ الأخرق، وتَمَشَّتْ في[١٣] أرباضها تمشِّي الكتابة الجامحة في المُهْرَق[١٤]، المشتملة على المَتاجر والمكاسب، والوَضْع المُتناسب، والفلح[١٥] المُغْيي رَيْعُه[١٦] عملَ الحاسب، وكُوارة[١٧] الدير[١٨] اللاسِب، المتعددة اليَعاسِب، فأناخ العَفاءُ بربوعها العامِرة، ودارتْ كؤوس عُقار الحُتوف ببنان السيوف على متديِّريها المعاقرة، وصَبَّحَتْها طلائعُ الفاقِرة، وأُغْرِيَتْ ببطون أسوارها عُوجُ المعاول الباقِرة، ودَخَلتْ مدينَتَها عَنْوةُ السيف، في أسرع من خَطْرة الطَّيف، ولا تسل[١٩] عن الكَيف. فلم يبلُغ العفاءُ من مدينة حافِلة، وعَقِيلةٍ في حُلَل المحاسن رافِلة، ما بلغ من هذه البائسة التي سَجَدَتْ لآلهة النيران أبراجُها، وتضاءَل بالرِّغام مِعْراجُها، وضَفَتْ على أعطافها ملابسُ الخِذْلان، وأقْفَرَ من كنائسها كِناس الغُزْلان.

---

(١) في الأصل: «العنانات»، والتصويب من المصدرين.
(٢) كلمة «موافقة» ساقطة في الريحانة.
(٣) في الريحانة: «الصّبّ السِّيال».
(٤) في الريحانة: «رِدْفًا».
(٥) في الريحانة: «وهلكت بهلاك».
(٦) في الريحانة: «بوادرها».
(٧) كلمة «دلاء» ساقطة في الريحانة.
(٨) في الصبح: «الإدلال».
(٩) في المصدرين: «المَنْح».
(١٠) في الأصل: «المدينة»، والتصويب من المصدرين.
(١١) أُبَدة: بالإسبانية Ubeda وهي من كورة جيان. معجم البلدان (ج ١ ص ٦٤).
(١٢) في الريحانة: «عريض».
(١٣) في المصدرين: «فيه».
(١٤) المُهْرَق: الصحيفة.
(١٥) في الصبح: «والفَلْج».
(١٦) في الريحانة: «عدّه على الحاسب».
(١٧) في الريحانة: «وكورة». والكُوارة: شيء يتخذ للنحل من القضبان.
(١٨) في الصبح: «الدَّبْر».
(١٩) في الصبح: «ولا تسألْ».

ثم تأهَّبْنا لغزو أُمّ القُرى الكافرة، وخزائن المزاين[١] الوافرة، ورَبَّةِ الشُّهْرة السافرة، والأنباءِ المسافرة، قرطبة، وما أدراك ما هِيه؟ ذاتُ الأرجاءِ الحالية الكاسِية، والأطْواد الرّاسخة الرّاسية، والمباني المُباهِية، والزّهراءِ الزاهية[٢]، والمحاسن غير المُتَناهية، حيث هالةُ بَدْر السماءِ قد اسْتَدارتْ من السُّور المَشِيد البِناءِ دارا[٣]، ونهر المجرّة من نهرها الفيّاض المسلول حُسامُه من غُمُود[٤] الغِياض قد لَصِق بها جارا، وفَلَكُ الدُّولاب المعتدلُ الانقلاب قد استقام مَدَارا، ورجَّع الحنينُ اشتياقًا إلى الحبيب الأوّل وادّكارا، حيث الطَّوْدُ كالتّاج يزدان بلُجَيْن العَذْب المُجاج فيُزْري بتاج كِسْرى ودَارا، حيث قِسيُّ الجُسُور المديرة[٥] كأنها عُوجُ المَطِيِّ الغريرة تَعْبُرُ النهرَ قطارا، حيث آثارُ العَامِريِّ المجاهد تَعْبَقُ بين تلك المعاهد شَذًى مِعْطارا، حيث كرائمُ السّحاب[٦] تزور[٧] عرائس الرّياض الحبايب فتحمل لها من الدُّر نِثارا، حيث شمُول الشَّمال[٨] تُدار على الأدواح بالغُدُوّ والرّواح فترى الغصون سُكارى، وما هي بسُكارى، حيث أيدي الافتتاح تَفْتَضُّ من شَقائق البِطاح أبْكارا، حيث ثُغُورُ الأقاح[٩] الباسم تُقبّلها بالسَّحَر زُوّار النّواسم فتخفق قلوبُ النجوم الغيارى، حيث المُصلّى العتيقُ قد رَحُبَ مجالًا وطال مَنارا، وأزرى ببلاط الوليد احتقارا، حيث الظُّهورُ المُثارة بسلاح الفلاح تجُبُّ عن مثل أسْنِمة المهارى، والبطونُ كأنها لتَذْميث الغمائم بُطونُ العَذارى، والأدواحُ العالية تخترقُ أعلامُها الهاديةُ بالجداول الخَيارى[١٠]. فما شئت من جوٍّ صقيل، ومُعرَّس للحُسْن[١١] ومَقيل، ومالكٍ للعقل وعَقيل، وخمائل كم فيها للبلابل من قالٍ وقيلٍ، وخَفِيف يُجاوَبُ بثقيل، وسنابلَ تَحكي من فوق سُوقها، وقُضُب بُسُوقها، الهمزات فوق الألِفات، والعصافير البديعة الصِّفات، فوق القُضُب المُؤتَلِفات، تميل لهبوب[١٢] الصَّبا والجَنوب، مالئة[١٣] الجيوب، بدُرَر الحُبُوب، وبطاح لا تعرف عين المَحْل، فتطلبه بالذَّحْل، ولا تَصْرِف[١٤] في خدمة بيض قِباب الأزهار، عند افتتاح السَّوْسَن والبَهار، غَيْرَ العُبْدان من سُودان النَّحل[١٥] وبحر الفلاحة

(١) في الريحانة: «المدائن».

(٢) في الريحانة: «المزاهية».

(٣) كلمة «دارًا» ساقطة في الصبح.

(٤) في الريحانة: «غُمُد الفيّاض».

(٥) في الريحانة: «المديدة».

(٦) في المصدرين: «السحائب».

(٧) في الريحانة: «تزوره».

(٨) في الريحانة: «الشمائل تدور».

(٩) في الريحانة: «ثغور الأقاصي البواسم تُقَلِّبُها...».

(١٠) في الصبح: «الخبارا». وفي الريحانة: «الحَيارا».

(١١) في الريحانة: «اللخنس».

(١٢) في الصبح: «بهبوب».

(١٣) في الصبح: «مائلة».

(١٤) في الريحانة: «ولا يصرف».

(١٥) في الصبح: «النّخل».

الذي لا يُدْرك ساحلُه، ولا يبلغ الطِّيَّة[١] البعيدة راحِلُه، إلى الوادي، وسَمَر النوادي، وقرار دموع الغوادي، المتجاسر على تخطِّيه عند تمطِّيه الجسر العادي، والوطن الذي ليس من عمرو ولا زيد، والفَرا الذي في جَوْفه كلُّ صَيْد[٢]، أقلَّ كرسيُّه خلافةَ الإسلام، وأغار[٣] بالرُّصافة والجِسْر دار السلام، وما عسى أن تُطْنِبَ في وصفه ألسنةُ الأقلام، أو تُعَبِّر به عن ذلك الكمال فُنون الكلام، فأعملنا إليها السُّرى والسَّير، وقُدنا إليها النخيلَ وقد عقد الله[٤] في نواصيها الخير.

ولمّا وَقَفْنا بظاهرها المُبْهت المُعْجب، واصْطَفَفْنا بخارجها المُنْبِت المُنْجب، والقلوب تلتمس الإعانة من مُنعم مُجْزل، وتستنزل مَدَدَ[٥] الملائكة من مُنْجدٍ مُنْزل، والركائبُ واقفةٌ من خَلْفنا بمَعْزلٍ، تتناشَدُ في معاهد الإسلام: «قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيب ومنزل[٦]» برز من حاميتها المُحامية، ووَقُود النار الحامية، وبقية السيف الوافرة على الحَصاد النامية، قِطَعُ الغمائم الهامية، وأمواجُ البحور الطامية، واستجَنَّتْ بظلال أبطال المَجال أعدادُ الرجال النَّاشِبة والرَّامية. وتصدَّى للنِّزال من صَنَادِيدها الصُّهْب السَّيال[٧] أمثالُ الهِضاب الراسية، يجنُّها[٨] جُنَنُ السَّوابغ الكاسية، وقوامِيسُها المُفادِية[٩] للصُّلْبان يوم بؤسها بنفوسها المُواسية، وخنازيرها التي عَدَتْها عن قَبُول حُجَج الله ورسوله سُتُور الظُّلَم الغاشية، وصُخورُ القلوب القاسية، فكان[١٠] بين الفريقين أمام جسْرها الذي فَرَقَ البحرَ، وحَلي بلُجَينه ولآلىء زَيْنه منها النَّحْر، حربٌ لم تَنْسجِ الأزمانُ[١١] على مِنْوالها، ولا أَتَتْ الأيامُ[١٢] الحَبالى بمثل أجِنَّة أهوالها، مَنْ قاسها بالفِجار أفَكَ وفَجَر، أو مَثَّلها بجَفر[١٣] الهِباءَة خرِفَ وهَجَر، ومَنْ شَبَّهها بحرب داحِس[١٤] والغَبْراءِ فما عَرَفَ الخبر، فليسألْ من جرَّب[١٥] وخبر. ومن

(١) في الريحانة: «القُبَّة».

(٢) في الريحانة: «الصيد».

(٣) في الصبح: «أعار» بالعين المهملة.

(٤) كلمة «الله» ساقطة في الريحانة.

(٥) كلمة «مدد» ساقطة في الريحانة.

(٦) هو صدر بيت لامرىء القيس، وعجزه: [الطويل]

بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُول وحَومَلِ

ديوان امرىء القيس (ص ٨).

(٧) في الصبح: «السِّبال».

(٨) في الصبح: «تجنُّها».

(٩) في الأصل: «المغادية»، والتصويب من المصدرين.

(١٠) في الريحانة: «وكان».

(١١) كلمة «الأزمان» ساقطة في الريحانة.

(١٢) في الريحانة: «الليالي».

(١٣) في الريحانة: «بحفر» بالحاء المهملة.

(١٤) في الريحانة: «بداحس».

(١٥) في الأصل: «عرَّف»، والتصويب من المصدرين.

نَظَّرَها بيوم شِعْب جَبَله، فهو ذو بَلَه، أو عادَلَها ببطن عاقِل، فهو[١] غير عاقل، أو احتجَّ بيوم ذي قار، فهو إلى المعرفة ذو افتِقار، أو ناضل بيوم الكَدِيد، فَسَهْمُه غير السديد. إنما كان مقامًا غير مُعْتاد، ومَرْعى نفوسٍ لم يَفِ بوصفه لسان مرتاد، وزلْزال جبال أَوْتاد، ومَتْلَفٌ مَذْخور لسلطان الشيطان وعَتاد، أُعْلِمَ فيه البطلُ الباسل، وتورَّد[٢] الأبيضُ الباتر وتأوَّد الأسْمَرُ العاسل، ودَوَّمَ الجَلْمَدُ المُتكاسل، وانبعثَ[٣] من حَدَب الحَنِيَّة إلى هدف الرَّمِيَّة الناشرُ الناسل، ورُويتْ لمُرْسَلات السِّهام المَراسل. ثم أفضى أمرُ الرِّماح إلى التَّشاجر والارتباك، ونَشِبَت[٤] الأسنَّة في الدُّروع نَشْب[٥] السَّمَك في الشِّباك، ثم اختلط المَرْعى بالهَمَل، وعُزل الرُّدَينيُّ عن العَمَل، وعادت السيوفُ من فوق المفارق تِيجانًا، بعد أن شَقَّتْ غُدُرَ السَّوابغ خلْجانًا، واتَّحدتْ جداولُ الدروع فصارت بحرًا، وكان التَّعانُقُ فلا ترى إلَّا نَحْرًا يلازم نحرًا، عِناق وَداع، وموقف شَمْل ذي انصداع، وإجابة منادٍ إلى فراق الأبَدِ وداع. واسْتَكشفتْ مآلَ[٦] الصبر الأنفسُ الشفَّافة، وهَبَّتْ بريح النصر الطلائعُ المُبشِّرة الهَفَّافة. ثم أمدَّ السيلُ ذلك العُباب، وصَقَل الاستبصارُ الألباب، واستخلَص العزمُ صَفْوة اللُّباب، وقال لسانُ النَّصر[٧] ادْخُلوا عليهم الباب، فأصبحتْ طوائفُ الكُفّار، حصائدَ مَناجِل الشِّفار، فمغافرهم[٨] قد رَضِيت حُرُماتها بالإخفار[٩]، ورؤوسهم مَخطوطةٌ في غير مَقام[١٠] الاستغفار، وعَلَتِ الراياتُ من فوق تلك الأبراج المُسْتَطْرَفة والأسوار[١١]، ورَفْرَف على المدينة جَناح البَوار[١٢]، لولا الانتهاءُ إلى الحَدِّ والمِقْدار، والوقوف عند اختفاءِ سرِّ الأقدار[١٣].

ثم عَبَرْنا نَهْرَها، وشَدَدْنا[١٤] بيدي[١٥] الله قَهْرها، وضَيَّقْنا حَصْرَها، [وأدرْنا بلآلىءِ القباب البيض خَصْرَها][١٦]، وأقمْنا بها أيامًا تَحُوم عِقْبان البُنُود على فَرِيستها حِيامًا وتَرْمي[١٧] الأدواح[١٨] بِبَوارها، ونُسَلِّط[١٩]

---

(١) في الصبح: «فغير».

(٢) في الريحانة: «وتردَّد».

(٣) في الريحانة: «وابتعث».

(٤) في الريحانة: «وتشبَّثت».

(٥) في الريحانة: «تشبُّث».

(٦) في الريحانة: «منال».

(٧) في الريحانة: «الصَّبْر».

(٨) في الصبح: «فمفارقهم».

(٩) في الصبح: «بالإعقار».

(١٠) في الصبح: «معالم».

(١١) في الريحانة: «الأسوار».

(١٢) البَوار: الهلاك.

(١٣) في الصبح: «المقدار».

(١٤) في الريحانة: «وسَدَّدْنا» بالسين المهملة.

(١٥) في المصدرين: «بأيدي».

(١٦) ما بين قوسين ساقط في الصبح.

(١٧) في الأصل: «وندمي»، والتصويب من الصبح. وفي الريحانة: «ونرمي».

(١٨) في الصبح: «الأرواح».

(١٩) في الصبح: «وتُسلِّط».

النيرانَ[١] على أقطارها، فلولا عائقُ[٢] المَطَر، لَحَصَلْنا من فتح ذلك الوَطن على الوَطَر، فرأينا أن نَرُوضَها بالاجتِثاث والانتِساف، ونُوالي على زُروعها ورُبوعها كرَّاتِ رياح الاعْتِساف، حتى يَتَهَيّأ للإسلام لَوْكُ طُعْمَتها، ويَتَهَنَّأ بفضل الله إرْث نِعْمَتِها. ثم كانت عن موقفها الإفاضةُ من[٣] بَعْد نَحْر النُّحور، وقَذْف جِمار الدَّمار على العدوّ المَذْحُور[٤]، وتدافعتْ خَلْفَنا السَّيقات المُتَّسِقات[٥] تَدافُعَ أمواجِ البُحور. وبعد أن أَلْحَحْنا على جَنَّاتها المُصْحِرة، وكُرومها المُسْتَبْحِرة[٦]، إلحاحَ الغريم، وعَوّضْناها المَنْظر الكريهَ من المَنْظر الكريم، وطاف عليها طائفٌ من ربّك[٧] فأصبحتْ كالصَّريم[٨]، وأغْرَيْنا حِلاقَ[٩] النار بحمَم الجحيم، وراكمْنا[١٠] في أجواف أجوائها غَمائم الدُّخان، تُذَكِّرُ طَيِّبَة البان، بيوم الغَمِيم، وأرسلْنا رياح الغارات لا[١١] تَذَرُ من شيءٍ أتَتْ عليه إلّا جَعَلَتْه كالرَّميم، واستقبلْنا الوادي يهول مَدًّا، ويَرُوع[١٢] سيفُه الصقيلُ حَدًّا[١٣]، فيسَّره[١٤] الله من بعد الإعواز، وانطلقتْ على الفُرْضَة بتلك الفرصة[١٥] أيدي الانتهاز، وسألنا من ساءَله أسدُ بنُ الفرات[١٦] فأفتى برُجْحان الجواز، فعمَّ الاكتساحُ والاسْتِباحُ جميعَ الأحْواز، فَأُدِيل المَصُون، وانْتُهبت القرى وهُدِّمت الحُصون، واجْتُثَّت الأُصولُ وحُطِّمت الغُصُون، ولم نرفع عنها إلى اليوم[١٧] غارةً تُصافحها بالبُوس، وتُطْلِعُ عليها غُرَرَها الضَّاحكةَ باليوم العَبُوس. فهي الآن مَجْرى السَّوابق ومَجَرُّ العوالي، على التَّوالي، والحَسَراتُ تتجدَّد في أطلالها البَوالي، وكأنّ بها قد صُرِعَتْ، وإلى الدَّعْوة المُحَمَّدية قد أسْرَعَتْ، بقُدْرة مَنْ أنزل القرآنَ على الجِبال فَخَشَعت[١٨]، من خَشْية الله وتَصَدَّعَتْ، وعِزَّة[١٩] من أذعنت الجبابرةُ لعزِّه وخَنَعَتْ. وعُدْنا والبُنودُ لا يَعْرف اللفُّ[٢٠] نَشْرُها، والوجوهُ المجاهدةُ

---

(١) في الريحانة: «النار».
(٢) في الريحانة: «عوائق».
(٣) كلمة «من» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(٤) في الريحانة: «المذعور».
(٥) في الصبح: «السابقات المستقلات».
(٦) في الصبح: «المشتجرة».
(٧) في الصبح: «ربّنا». وفي الريحانة: «ربّها».
(٨) الصريم: الأرض المحصود زَرْعُها.
(٩) في الريحانة: «خيلان».
(١٠) في الريحانة: «وراكنّا».
(١١) في الريحانة: «فما».
(١٢) في الريحانة: «ويردع».
(١٣) في الريحانة: «خدّا» بالخاء المعجمة.
(١٤) في الريحانة: «يَسَّره».
(١٥) في المصدرين: «العرضة».
(١٦) هو أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري، المتوفى سنة ٢١٣ هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة.
(١٧) في الأصل: «يوم»، والتصويب من المصدرين.
(١٨) في الصبح: «لَخَشَعَتْ».
(١٩) في الريحانة: «العزة».
(٢٠) في الريحانة: «الملف».

لا يخالطُ التَّقطُّب[١] بِشرُها، والأيدي بالعُرْوة الوُثْقى مُعْتَلقة، والألْسُنُ بِشُكْر نِعَم[٢] الله مُنْطَلِقة، والسيوفُ في مَضاجع الغُمُود قَلِقة، وسَرابِيلُ الدُّروع خَلِقة، والجيادُ من ردِّها إلى المَرابط والأواري[٣] رَدَّ العَواري حَنِقة، وبِعَبَراتِ الغَيْظ المَكْظُوم مُخْتَنِقة، تنظر إلينا نَظَر العاتب، وتعود من ميادين المراح والاخْتِيال تحت حُلَل السِّلاح عَوْدَ الصِّبيان إلى المكاتب، والطَّبْلُ بلسان العِزِّ هادِر، والعَزْمُ إلى مُنادي العَوْد الحَمِيد مُبادر، ووجودُ نوع الرِّماح من بعد ذلك الكِفاح نادِر، والقاسمُ[٤] تَرَتَّب بين يديه من السَّبْي النوادر، ووارِدُ مَناهِل[٥] الأجور غير المُحَلَّإ ولا المهْجور غير[٦] صادر، ومُناظِرُ الفضل الآتي عَقِبَ[٧] أخَيْه المتأتي[٨] على المطلوب المُواتي[٩] مُصادر، والله على تَيْسير الصِّعاب وتَخْويل المِنَن الرِّغاب قادر، لا إله إلّا هو فما أجْمل لنا صُنْعَه الخَفيّ، وأكْرَمَ بنا لُطْفَه الحَفِيّ، اللهمّ لا نُحصي ثناءً[١٠] عليك، ولا نَلْجأ منك إلّا إليك، ولا نَلْتَمس خيرَ الدنيا والآخرة إلّا لَدَيْك، فأعِذ علينا عوائدَ نَصْرك يا مُبْدي يا مُعِيد، وأعِنّا من وسائل شُكْرك على ما يَنْثال[١١] به المزيد، يا حيُّ يا قيُّوم يا فَعّالٌ[١٢] لما يريد.

وقارنَتْ رسالتُكم الميمونةُ لَدَيْنا حِذْق[١٣] فتح بَعُد[١٤] صيتُه، مُشْرَئِبٌّ لِيْتُه، وفَخْر من فوق النجوم العَوائم[١٥] مبيته، عَجِبْنا من تأتّي أمَلِه الشَّارد، وقُلْنا البركةُ في قُدوم الوارد. وهو أنَّ مَلِكَ النصارى[١٦] لاطَفَنا بجُمْلة من الحصُون كانت من مملكة[١٧] الإسلام قد غُصِبَتْ، والتَّماثيلُ فيها ببيوت الله قد نُصِبَتْ، أدالَها الله بمحاولتنا الطَّيِّبَ من الخَبِيث، والتَّوحيدَ من التَّثْليث، وعاد إليها الإسلامُ عوْدةَ الأب الغائب، إلى البَنات الحَبائب، يَسألُ عن شؤونها، ويمسح دموعَ[١٨] الرِّقّة عن جُفونها. وهي للرُّوم خُطَّة خَسْف قلَّ ما ارتكبوها فيما

(١) في الصبح: «التقطيب».
(٢) كلمة «نعم» ساقطة في الريحانة.
(٣) في الريحانة: «الأواري».
(٤) في الريحانة: «والمقاسم».
(٥) في الصبح: «منهل».
(٦) كلمة «غير» ساقطة في الصبح.
(٧) في الصبح: «عَقِبَهُ».
(٨) في الصبح: «الثاني». وفي الريحانة: «الشاني عن المطلوب».
(٩) في الريحانة: «الآتي».
(١٠) في الريحانة: «مَنًّا».
(١١) في المصدرين: «ننال».
(١٢) في الصبح: «فَعّالاً».
(١٣) في الصبح: «حَذَق».
(١٤) في المصدرين: «بَعيد».
(١٥) في الأصل: «العواتم»، والتصويب من المصدرين.
(١٦) في الريحانة: «الروم».
(١٧) في الريحانة: «ملكة».
(١٨) كلمة «دموع» ساقطة في الريحانة.

نعلمُ[(١)] من العهود، ونادرةٌ من نوادر الوجود، وإلى الله علينا وعليكم عوارف الجُود، وجعلنا في محارِيب الشكر من الرُّكَّع السُّجود.

عَرَّفْناكم بمجملات أُمور تحتها تفسير، ويُمْن من الله وتَيْسير، إذ اسْتِيفاءُ الجُزئيات عسير، لنُسِرَّكم بما مَنَحَ الله دينكم، ونُتوِّجَ بعزِّ المِلَّة الحنِيفية جَبِينَكم، ونَخْطُب بعده دعاءَكم وتأمِينكم، فإنّ دُعاءَ المؤمن لأخيه بظَهْر الغَيْب سلاحٌ ماضٍ، وكفيل بالمواهب[(٢)] المسؤولة من المُنْعِم الوهّاب[(٣)] مُتَقاض[(٤)]، وأنتم أولى مَنْ ساهم في بِرٍّ، وعاملَ الله بخلوص سِرٍّ، وأين يذهبُ الفضلُ عن بيتكم وهو صفة[(٥)] حَيِّكم، وتراث مَيْتكم، ولكم مزية القِدَم، ورسوخ القَدَم، والخلافةُ مَقَرُّها إيوانكم، وأصحاب الإمام مالك، رضي الله عنه، مُسْتَقَرُّها قَيْرَوَانكم[(٦)]، وهَجيرُ المنابر ذِكْرُ إمامكم، والتوحيدُ إعلامُ أعلامكم، والوقائع الشهيرةُ في الكُفْر منسوبةٌ إلى أيّامكم، والصحابةُ الكِرامُ فتَحَةُ أوْطانكم، وسُلالةُ الفاروق عليه السلام وشائج[(٧)] سُلْطانكم، ونحن نستكثر من بَرَكة خطابكم، ووُصْلة جنابكم، ولولا الأعذار لوالَيْنا بالمُتَزَيِّدات تعريفَ أبوابكم. والله، عزَّ وجلَّ، يتولّى عنّا من شُكْركم المحتوم، ما قَصَّر[(٨)] المكتوب منه[(٩)] عن المكتوم، ويُبْقيكم لإقامة الرُّسوم، ويُحِلُّ محبّتكم من القلوب مَحَلَّ الأرواح من الجُسوم، وهو سبحانه يَصِلُ سَعْدكم، ويَحْرس مَجْدَكم، [ويوالي نِعَمَه عندكم.][(١٠)] والسلام الكريم الطَّيِّب [الزاكي[(١١)] المبارك][(١٢)] البَّر العميم يخصّكم كثيرًا أثيرًا، ما أطْلع الصبْحُ[(١٣)] وَجْهًا منيرًا، بعد أن أرسل النَّسيمَ سفيرًا، وكان الومِيضُ الباسم لأكواس الغمائم على أزهار الكمائم مديرًا، ورحمة الله تعالى[(١٤)] وبركاته[(١٥)].

---

(١) في الريحانة: «يعلم».
(٢) في الريحانة: «للمواهب».
(٣) في الريحانة: «الواهب».
(٤) في الريحانة: «مُسْتفاض». وفي الصبح: «ميفاض».
(٥) في الريحانة: «صفات».
(٦) هي مدينة القيروان.
(٧) في الريحانة: «وشيجة».
(٨) في الأصل: «ما قصّر فيه المكتوب...»، والتصويب من المصدرين.
(٩) في الريحانة: «فيه».
(١٠) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(١١) في الريحانة: «الزكي».
(١٢) ما بين قوسين ساقط في الصبح.
(١٣) في الريحانة: «الصباح».
(١٤) كلمة: «تعالى» ساقطة في الريحانة.
(١٥) في الصبح: «وبركاته، إن شاء الله تعالى».

وصدر عني في مخاطبة الشيخ الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق جوابًا عن كتابه[١]: [الوافر]

ولَمّا أنْ نأتْ عنكمْ دِياري[٢] وحالَ البُعْدُ بينكمْ وبَيْني
بعثْتُ لكمْ سوادًا في بياضٍ لأنظُرَكُمْ بشيءٍ مثلِ عَيْني

بِمَ أُفاتحك يا سيدي، وأجلَّ عُدَدي؟ كيف أُهْدي سلامًا، فلا أحْذرُ ملامًا؟ أو أنتخبُ لك كلامًا، فلا أجدُ لِتَبِعَةِ التَّقصير في حقِّك الكبير إيلامًا؟ إن قلتُ: تحيَّة كِسْرى في الثَّناءِ وتُبَّع، فكلمةٌ في مَرْبع العُجْمة تَرْبَع، ولها المصيفُ فيه والمَرْبع، والجَميمُ والمَنْبَع، فَتَرْوى متى شاءَت وتشبع. وإن قلتُ: إذا العارض خَطر، ومهما هَمَى أو قَطَر، سلام الله يا مَطَر[٣]، فهو في الشريعة بَطَر، ومَرْكَبه[٤] خَطر، ولا يُرْعى به وطن ولا يُقْضى وَطَر. وإنما العِزق الأوْشَج، ولا يستوي البان والبنفسج، والعَوْسج والعَرْفَج[٥]: [الطويل]

سلامٌ وتسليمٌ وروحٌ ورحمةٌ عليك ومَمْدُودٌ من الظِّلِّ سَجْسَجُ

وما كان فضلكم[٦] ليمنعني الكفرانُ أن أشكره، ولا ليُنْسِيني الشيطان أن أذكره، فأتَّخذ في البحر سببًا[٧]، أو أسلك غير الوفاءِ مَذْهبًا، تأبى ذلك، والمنَّة لله تعالى، طباعٌ لها في مجال الرَّعْي باع، وتحقيق وإشْباع، وسَوَائم[٨] من الإنصاف لها مرعًى[٩] في رياض الاعتراف فلا يَطْرُقها ارتياع، ولا تخفيها سِباع. وكيف نجحد تلك الحقوق وهي شمسُ ظَهِيرة، وأذانٌ عَقيرة جَهيرة[١٠]، فوق مِئْذنة شهيرة، آدت الأكْتاد[١١] لها

(١) هذه الرسالة، بما فيها الشعر، وردت في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٣٦ ـ ١٤٠).
(٢) في النفح: «منكمْ ديارٌ».
(٣) أخذه من قول الأحوص بن عبد الله بن محمد [الوافر]:
سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها وليس عليكَ، يا مَطَرُ، السلامُ
طبقات الشعراء (ص ١٩٠).
(٤) في النفح: «وركبة».
(٥) البيت لابن الرومي من مرثية في يحيىٰ بن عمر العلوي، ومطلعها:
أمامك فانظرْ أيّ نهجيك تنهج طريقان شتّى مستقيمٌ وأعْوَجُ
(٦) في النفح: «فضلك».
(٧) أخذه من قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾. سورة الكهف ١٨، الآية ٦٣.
(٨) السوائم: جمع السائمة وهي ما يترك من الماشية والدواب ترعى ما تشاء.
(٩) في النفح: «الإنصاف، ترعى».
(١٠) العقيرة: صوت المغني والباكي والطارىء. والجهيرة: المرتفعة.
(١١) الأكتاد: جمع كتد وهو ما بين الكتفين.

ديونٌ تستغرقُ الذِّمم، وتستَرقُّ حتى الرِّمم، فإن قضيت في الحياة فهي الخُطَّة التي نَرْتَضيها، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد إلّا أن[١] يُنَفِّذ مراسمها ويُمْضيها، وإن قُطع الأجل فالغنيُّ الحميد من خَزَائنه التي لا تبيد يَقْضيها، ويُرْضي من يَقْتضيها. وحيًّا الله أيها العَلَمُ السَّامي الجلال زمنًا بمعرفتك المُبرَّة على الآمال أبرّ[٢] وأتْحَف، وإن أساءَ بفراقك وأجْحف، وأغرى بعد ما ألْحَف، وأظفر باليتيمة المذْخُورة للشدائد والمزاين[٣]، ثم أوْحش منها أصْونة هذه الخزائن، فآبَ حُنَيْنُ الأملِ بخُفَّيْه[٤]، وأصبح المُغْربُ غريبًا يُقَلِّب كَفَّيه، ونستغفر الله من هذه الغَفَلات، ونَسْتهديه دليلًا في مثل هذه الفَلَوات، وأي ذنب في الفِراق للزمن أو لِغُراب الدِّمَن، أو للرَّواحل المُدْلِجة ما بين الشَّام إلى اليمن، وما منها إلّا عبدٌ مقهور، وفي رِمَّة القدر مَبْهور، عِقْدٌ والحمد لله مشهور، وحجَّة لها على النفس اللوَّامة ظُهور. جعلنا الله ممَّن ذكر المُسَبِّب في الأسباب، وتذكَّر ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥] قبل غَلْق الرَّهْنِ وسدِّ الباب. وبالجملة فالفراق ذاتيٌّ، ووعده مأتيٌّ، فإن لم يَحن[٦] فكأنْ قَدْ، ما أقرب اليوم من الغد، والمرءُ في الوجود غريب، وكلُّ آتٍ قريب، وما من مقام إلا لِزيال من غير احتِيال، والأعمار مراحل والأيام أمْيال[٧]: [الوافر]

نَصِيبُكَ في حياتِكَ مِنْ حبيبِ ... نَصِيبُك في مَنامِكَ مِنْ خَيالِ

جعل الله الأدب مع الحقِّ شانَنا، وأبعد عنا الفَرَق[٨] الذي شانَنا، وإني لأُسِرُّ لسيدي بأن رَعى الله صَالح سَلَفِه، وتداركه بالتَّلافي في تَلَفِه، وخلَّص سعادته من كَلَفِه، وأحلَّه من الأمن في كَنَفِه، وعلى قَدْرها تُصاب العَلْياءُ، وأشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأولياءُ. هذا والخيرُ والشَّرُّ في هذه الدار، المؤسَّسة على الأكدار، ظِلَّان مُضْمَحلَّان، فإذا[٩] ارتفع، ما ضرَّ أو ما نَفَع، وفارق المكان، فكأنَّه ما كان، ومن كلمات المملوك البعيدة عن الشكوك، إلى أن يشاءُ ملك الملوك[١٠]:

خُذْ مِنْ زمانِكَ ما تَيَسَّرْ ... واتْرُكْ بِجَهْدِكَ ما تَعَسَّرْ

---

(١) في الأصل: «بأن»، والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «برّ».
(٣) المراد هنا أمور الزينة.
(٤) أخذه من المثل: «رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ»، يُضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة. مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٩٦).
(٥) سورة البقرة ٢، الآية ٢٦٩، سورة آل عمران ٣، الآية ٧.
(٦) في النفح: «يكن». (٧) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه (ص ٢٧١).
(٨) في النفح: «الفراق». (٩) في النفح: «فقد».
(١٠) الأبيات أيضًا في مشاهدات لسان الدين (ص ١١٥).

ولــربَّ مُــجــمــلِ حــالــةٍ ... تــرضــى بــه مــا لــم يُــفَــسَّــرْ
والــدهــر لــيــس بــدائــم ... لا بُــدَّ أن سَــيَــسُــوء إن سَــرْ
واكــتــمْ حــديــثَــكَ جــاهــدًا ... شَــمِــتَ الــمُــحَــدِّثُ أو تَــحَــسَّــرْ
والــنــاس آنــيــةُ الــزُّجــا ... ج إذا عَــثَــرْتَ بــه تَــكَــسَّــرْ
لا تُــعْــدم الــتَّــقْــوى فَــمَــنْ ... عَــدِم الــتُّــقى فــي الــنــاس أعْــسَرْ
وإذا امــرؤٌ خَــســِرَ الإلــٰـ ... ـهَ فــلــيــس خــلــقٌ مــنــه أخْــسَــرْ

وإنَّ لله في رَغْيِك لسِرًّا، ولُطْفًا مستمرًّا مستقرًّا، إذ ألقاك[١] بسرِّ الرّوع إلى الساحل، وأخذ[٢] بيدك من وَرْطة الواحل، وحرَّك منك عزيمة الرَّاحل، إلى المَلِك الحُلاحل[٣]، فأدالك[٤] من إبراهيمك سَمِيًّا، وعرفك بعد الوَليِّ وَسْمِيًّا، ونَقَلك من عنايةٍ إلى عناية، وهو الذي يقول وقوله الحقُّ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[٥] الآية. وقد وصل كتاب سيدي يَحْمَدُ ـ والحمد لله[٦] ـ العواقب، ويَصِف المراقي التي حلَّها والمراقب، وينشر المفاخر الحَفْصِيَّة والمناقب، ويذكر ما هيَّأه الله لديها من إقبال، ورَخاءِ بال، وخصِّيصَى[٧] اشتمال ونُشور[٨] آمال، وأنه اغْتبط وارْتَبط، وألقى العصا بعد ما خَبَط. ومثل تلك الخلافة العَلِيَّة مَنْ تَزِنُ الذوات، المخصوصة من الله بشريف[٩] الأدوات، بميزان تَمْيِيزها، وتفرِّق بين شَبَه المعادن وإبريزها، وشِبْهُ الشيءِ مَثَلٌ معروف[١٠]، ولقد أخطأ من قال: الناس ظروف، إنما هم شَجَراتُ مَرْبع في بُقْعة ماحِلة، وإبلٌ مائةٌ

---

(١) في النفح: «ألقاك اليَمُّ إلى الساحل». وهذا من قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي﴾. سورة طه ٢٠، الآية ٣٩.
(٢) في النفح: «فأخذ».
(٣) الحُلاحل: العظيم، السيد الشريف. يقول امرؤ القيس حين بلَغه أن بني أسد قتلت أباه: [الرجز]

الــقــاتــلــيــن الــمَــلِــكَ الــحُــلاحــلا

ديوان امرىء القيس (ص ١٣٤).
(٤) في الأصل: «فإذا لك»، والتصويب من النفح.
(٥) سورة البقرة ٢، الآية ١٠٦.
(٦) في النفح: «ولله الحمد».
(٧) في النفح: «خصِّيص».
(٨) في النفح: «ونشوة».
(٩) في النفح: «بتشريف».
(١٠) المثل هو: «شِبْهُ الشيء مُنْجَذِبٌ إليه»، وهو من قول المتنبي: [الوافر]

وشِبْهُ الــشــيء مُــنْــجَــذِبٌ إلــيــه ... وأشْــبَــهُــنــا بــدنــيــانــا الــطَّــغــامُ

ديوان المتنبي (ص ٩٧).

لا تجد فيها راحلة[١]، وما هو إلّا اتّفاق، ونجح لِلمُلك وإخفاق[٢]، وقلّما كَذَب إجماعٌ وإصفاق، والجليسُ الصالحُ لربِّ السِّياسة[٣] أملٌ مطلوب، وحظٌّ إليه مَجْلوب، وإن سُئل أطْرَف، وعَمَر الوقت ببضاعةٍ أشرَف، وسَرَقَ الطِّباع، ومدَّ في الحَسَنات الباع، وسلّى في الخطوب، وأضحك في اليوم القَطُوب، وهَدَى إلى أقوم الطُّرق، وأعان على نوائب الحقّ، وزرع له المودّة في قلوب الخَلْق، زاد الله سيدي لديها قُرْبًا أثيرًا، وجعل فيه للجميع خيرًا كثيرًا، بفضله وكرمه. ولعِلْمي بأنّه أبقاه الله يقبل نُصحي، ولا يرتاب في صدق صُبحي، أغبطه بِمَثْواه، وأنشده ما حضر من البديهة في مسارّة هُداه ونَجْواه: [الكامل]

بمقام إبراهيمَ عُذْ واصْرِفْ له فِكَرًا تؤرِّقُ عن بواعثَ تَعْتَري[٤]
فجوارُهُ حَرَمٌ وأنت حمامةٌ وَرْقاءُ والأغصانُ عودُ المنبرِ
فلقد أمِنْتَ من الزمان ورَيْبِهِ وهو المُرَوِّع للمُسيءِ وللبَري

وإن تشوَّف سيدي للحال[٥]، فلعَمْر وليّه لو كان المطلوب دُنيا لوجب وقوع الاجْتِزاءِ، ولاغْتَبط بما تحصَّل في هذه الجُزور، المبيعة في حانوت الزُّور، من السِّهام الوافرة الأجزاءِ، فالسلطان رعاه الله، يوجب ما فوق مزية التعليم، والولدُ، هداهُم الله، قد أخذوا بحظّ قلَّ أن ينالوه بغير هذا الإقليم، والخاصّة والعامة تُعامل بحسب ما بلَتْه من نُصح سليم، وتركٍ لما بالأيدي وتَسْليم، وتدبيرٍ عاد على عدُوِّهم[٦] بالعذاب الأليم، إلّا مَنْ أبدى السلامة وهو من إبْطان الحَسَدِ بحال السَّليم، ولا يُنكر ذلك في الحديث ولا في القديم. لكن[٧] النفس منصرفة عن هذا الغرض، ونافضةٌ[٨] يَدَها من العَرَض، قد فَوَّتت الحاصل، وَوَصَلت في الله القاطع وقَطَعت الواصل، وصَدَقت لما نَصَح الفودُ النَّاصل[٩]، وتأهَّبت للقاءِ الحِمام الواصل، وقلت: [المنسرح]

انظرْ خِضابَ الشَّبابِ قد نَصَلا[١٠] وزائرَ الأُنْس بَعْدَهُ انفَصلا

---

(١) الراحلة: الناقة الصالحة القويّة على الأسفار والأحمال، والجمع رواحل. وهذا من حديث شريف عن عبد الله بن عمر: «تجدون الناس كإبلٍ مائةٍ لا تجدُ فيها راحلة». لسان العرب (رحل).

(٢) في النفح: «وإحقاق».

(٣) في النفح: «سياسة».

(٤) في النفح: «تنبري».

(٥) كلمة «للحال» ساقطة في النفح.

(٦) في النفح: «عدوّها».

(٧) في النفح: «ولكن».

(٨) في النفح: «نافضة».

(٩) نصح: أخلص وصدق. والفود: مصدر فاد الرجل إذا مات. والناصل: المولّي.

(١٠) نَصَلَ خضابُ الشيب: ولّى. يقول: ذهب سواد الشعر وظهر الشيب فيه.

ومـطـلبـي والـذي كَـلِفْـتُ بـه حـاولْتُ تـحـصيلَه فـمـا حَـصَـلا
لا أمـلٌ مُـسْـعِـفٌ ولا عَـمَـلٌ ونحن[1] في ذا والموتُ قد وَصَلا

والوقت إلى الإمداد منكم بالدُّعاء في الأصائل والأسحار، إلى مُقِيل العِثار[2]، شديدُ الافتقار، والله عزّ وجلّ يَصِلُ لسيدي رَغْي جوانبه، ويتولّى تَيْسير آماله من فضله العَمِيم ومآربه، وأقرأ عليه من التَّحيَّات، المُحَمَّلة من فوق رحال الأريحيَّات، أزكاها، ما أوجع البَرْقُ الغمائمَ فأبْكاها، وحَسَد الروضُ جمالَ النُّجوم الزَّواهر فقاسها بمباسم الأزهار[3] وحَكاها، واضطبن[4] هَرِمُ اللَّيلِ عند المَيْل عصا الجَوْزاءِ وتوكَّاها، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وخاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من بحر ألمرية، واستقرّ ببسكرة عند الرئيس بها أبي العباس ابن مَزْنى صحبة رسالة خطّبها[5] أخوه أبو زكريا، وقد تقلّد كتابة الإنشاءِ لصاحب تِلِمْسان، ووصل الكَتْب[6] عنه من إنشائه[7]: [الطويل]

بـنـفـسـي ومـا نـفـسـي عـلـيَّ بـهَـيْـنَـةٍ فـيُـنْـزِلَنـي عـنـهـا الـمِـكـاسُ بـأثـمـانِ[8]
حبيبٌ نأى عنّي وصَمَّمَ لا يَني[9] وراشَ سهامَ البَيْنِ عَمْدًا فأصْماني[10]
وقد كان هَمُّ الشَّيْبِ، لا كان، كافيًا فـقـد آدنـي[11] لـمّـا تَـرَحَّـلَ هـمّـانِ

(١) في الأصل: «نحن في ذا الموت. . .»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) كلمة «العِثار» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٣) في الأصل: «بميسم الأزاهر»، والتصويب من النفح.
(٤) اضطبن العصا: وضعها تحت ضِبْنه ليتوكأ عليها، والضِّبْن: ما بين الكشح والإبْط.
(٥) في ريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٣٤): «خطّها».
(٦) في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٠٨): «الكتاب».
(٧) وردت هذه الرسالة، بما فيها الشعر، في ريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٣٤ ـ ١٤٠) والتعريف بابن خلدون (ص ١٠٤) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٠٨ ـ ١١٤).
(٨) هَيْنة: مخففة من «هَيِّنة». والمِكاسُ: المكايسة بين المتبايعين وذلك أن يطلب صاحب السلعة من المشتري سومًا فلا يزال المشتري يراجعه وينقص له مما طلب شيئًا فشيئًا حتى يقفا على ما يتراضيان عليه.
(٩) في الأصل: «وصَمَّ لأنني»، وكذا في الريحانة، وكذا لا يستقيم المعنى والوزن، والتصويب من النفح والتعريف.
(١٠) في الريحانة: «وأهمانِ».
(١١) في الأصل: «أدّني»، والتصويب من النفح والتعريف. وفي الريحانة: «عادني».

شَرَعْتُ له من دَمْعِ عينيَ مَوْردا فَكَدَّرَ[١] شِرْبي بالفِراق وأظماني[٢]
وأرْعَيْتُه من حُسْنِ عهدي حمِيمَهُ[٣] فأجْدَبَ آمالي وأوْحَشَ أزماني
حَلَفْتُ على ما عنده ليَ مِنْ رضَى قياسًا بما عندي فأحْنَثَ أيماني
وإنّي على ما نالني منه من قِلَى لأشتاقُ من لُقياه نُغْبَةَ ظمآنِ
سألتُ جنوني فيه تقريبَ عَرْشِهِ فقِسْتُ بجنِّ الشوقِ جِنَّ سليمان
إذا ما دعا داعٍ من القوم باسمه[٤] وَثَبْتُ وما استثبتُّ[٥] شِيمةَ هَيْمان
وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذِلٍ تحامَيْتُه حتى ارْعَوَى وتحاماني
ولا اسْتَشْعَرَتْ نفسي برحمة عابد[٦] تُظَلِّلُ يومًا مِثْلَهُ عَبْدَ رَحْمَان
ولا شَعَرَتْ من قبله بتشوّقٍ تخلَّل منها بين روح وجُثْمان

أمّا الشّوق فَحَدِّثْ عنه ولا حَرَج، وأمّا الصَّبْرُ فاسْأَلْ[٧] به أيّة دَرَج، بعد أن تجاوز اللّوى[٨] والمُنعَرَج، لكنَّ الشّدة تعشقُ الفَرَج، والمؤمن يَنْشَقُ من رَوح الله الأرَج، وأنّى بالصَّبْر على أبرّ الدِّبْر، لا بل الضرب الهبْر[٩]، ومطاولة اليوم والشّهر، تحت حكم القَهْر؟ وهل لِلْعَين أن تسلو سُلُوَّ المُقْصِر، عن إنسانها المُبْصر، أو تَذْهل ذهول الزّاهد، عن سرّها الرّائي[١٠] والمشاهد؟ وفي الجسد بَضْعَةٌ يصلح[١١] إذا صَلُحَتْ، فكيف حاله إذا رَحَلَتْ عنه ونَزَحَتْ، وإذا كان الفراق وهو الحِمام الأول، فعلامَ المُعوَّل؟ أعْيَتْ مُراوضَة الفراق، على الرَّاق، وكادت لوعة الاشْتِياق، أن تُفْضي إلى السِّياق[١٢]: [السريع]

تَرَكْتُموني بعد تَشْييعكمْ أُوسِعَ أمْرَ الصَّبر عصيانا
أقْرَعُ سِنّي ندمًا تارةً وأسْتَميحُ الدمعَ أحيانا

وربما تعلّلْتُ بغِشْيان المعاهد الخالية، وجَدَّدْتُ رسوم الأسَى بمباكرة الرسوم البالِية، أسألُ نونَ النّوى[١٣] عن أهْلِيه، ومِيمَ الموقد المهجور عن مُصْطَليه، وثاءَ

(١) في الريحانة: «وكَدَّر».
(٢) في الريحانة: «وأخمانِ».
(٣) في النفح: «جميمه» بالجيم المعجمة.
(٤) في الريحانة: «باسمى».
(٥) في الريحانة: «استتبْتُ».
(٦) في الريحانة: «عائد».
(٧) في النفح: «فَسَلْ».
(٨) في الأصل: «المدى»، والتصويب من المصادر.
(٩) الهبر: «الذي يهبر، أي يقطع.
(١٠) في الريحانة: «للراني».
(١١) في الريحانة: «تصلح».
(١٢) في الأصل: «السباق»، والتصويب من المصادر.
(١٣) في الريحانة: «الناي عن أهله».

الأثافي المثلَّثة عن منازل الموحِّدين، وأحارُ بين تلك الأطلال جِيرة المُلْحدين، لقد ضللْتُ إذًا وما أنا من المُهْتدين. كَلِفتُ لعَمْرُ الله، بسالٍ عن جفوني المؤرَقة، ونائم عن هُمومي المتجمِّعة[١] المتفرِّقة، ظَعَنَ عن مَلال[٢]، لا مُتبرِّمًا مني بشرِّ خِلال، وكدَّر الوصل بعد صفائه، وضرَّج النَّصل بعد عهد وفائه[٣]: [الطويل]

أقِلَّ اشتياقًا أيُّها القَلْبُ ربَّما[٤] رأيتك تُصْفي الوُدَّ مَنْ ليس جازيا[٥]

فها أنا أبكي عليه بدم أساله، وأنْهَل فيه أسًى له[٦]، وأُعلِّل بذكراه قلبًا صَدَعه، وأوْدَعَهُ من الوجد ما أوْدَعَه، لمّا خَدَعه، ثم قَلاه وودَّعه، وأنْشَقَ رَيَّاه أنفَ ارتياح قد جَدَعه، وأستَعْديه[٧] على ظُلم ابتدعه[٨]: [الطويل]

خَليليَّ، هل أبْصَرْتُما أو سَمِعْتُما[٩] قتيلًا بكى، من حُبِّ قاتِله، قَبْلي؟

فلولا عسى الرجاءَ ولعلَّه، لا بل شفاعة المحلِّ الذي حَلَّه، لَمَزَجْتُ الحَنِينَ بالعَتْب[١٠]، وبَثَثْتُ كتائبه[١١] كمُناءَ في شعاب الكَتْب، تهزُّ من الألِفات رماحًا خُزْرَ الأسنّة، وتوتِّرُ[١٢] من النُّونات أمثال القِسيِّ المُرِنَّة[١٣]، وتقود من مجموع الطِّرْس والنِّقس[١٤] بُلْقًا تَرْدي[١٥] في الأعِنّة. ولكنه أوى[١٦] إلى الحرم الأمين، وتفيَّأ ظِلال الجوار المُؤمَّن من معرَّة العِوار[١٧] عن الشمال واليمين، حَرَم الخِلال[١٨] المُزنيّة،

---

(١) في الريحانة: «المجتمعة». (٢) في الريحانة: «سِلال».
(٣) البيت للمتنبي قاله في مدح كافور بعد فراقه لسيف الدولة، وهو في ديوانه (ص ٤٧٣).
(٤) في التعريف: «إنما». (٥) في الديوان: «صافيًا».
(٦) في التعريف: «وأندب في ربع الفراق أسى له، وأشكو إليه حال قلب صدعه».
(٧) في النفح: «وأستعدي به».
(٨) البيت لجميل بثينة، وهو في ديوانه (ص ٣٧).
(٩) رواية صدر البيت في الديوان هي:

خليليَّ، فيما عِشْتما، هل رأيتُما؟

(١٠) في التعريف: «لنشرْتُ ألويةَ العَتْب». (١١) في الريحانة: «كتابه».
(١٢) في الأصل: «وتوثر»، وكذا في الريحانة، والتصويب من النفح والتعريف.
(١٣) المُرِنَّة: ذات الرنين.
(١٤) في الأصل: «والنفس»، وكذا في الريحانة والتعريف، والتصويب من النفح. وفي النفح: «من بياض الطِّرس وسواد النِّقس». والنِّقس: المداد.
(١٥) البُلْق: جمع أبلق وهو الخيل. تَرْدي: تمشي الرديان وهو نوع من المشي دون العَدْو.
(١٦) في الريحانة: «أذّى».
(١٧) في الأصل: «الغِوار» بالغين المعجمة، وكذلك جاء في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٨) في التعريف: «الحلال» بالحاء المهملة.

والظِّلال اليَزَنيّة، والهمم السَّنيَّة، والشِّيَم التي لا ترضى بالدُّون ولا بالدَّنِيَّة، حيث الرِّفْد الممنوح، والطِّير المَيامِنُ يُزْجَرُ لها السُّنُوح، والمَثْوى الذي إليه مهما تقارع الكرام على الضِّيفان حول جَوابي الجِفان المَيْل والجُنوح(١): [الكامل]

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شَمْس الضُّحى نُورًا ومن فَلَقِ الصباح عمودا

ومن حَلَّ بتلك المثابة فقد اطمأنَّ جَنْبُه، وتُغُمِّدَ بالعَفْو ذَنْبُه. ولله درُّ القائل(٢): [الكامل]

فوحَقِّهِ لقد انتدبْتُ لوصْفِه بالبُخْلِ لولا أنَّ حُمْصًا دارُهُ
بلدٌ متى أذْكُرْه تَهْتَجْ لوعتي وإذا قَدَحْتُ الزَّنْدَ طار شَرارُهُ

اللهمَّ غفْرًا، لا كُفْرًا(٣)، وأين قرارة النَّخيل، مِنْ مَثْوى الأقْلَف البَخيل، ومَكْذَبة المَخيل؟ وأين ثانيةُ هَجَر، من مُتَبَوَّإِ مَنْ أَلْحَدَ وفَجَر؟ [المتدارك]

من أنكر غَيْثًا منشؤه في الأرض فليس(٤) بمُخْلِفِها
فبنانُ بني مَزْنى مُزْنٌ تنهلُّ بِلُطْفِ مُصَرِّفِها
مُزْنٌ مذ حَلَّ ببَسْكَرَةٍ يومًا نَطَقَتْ بِمُصَحَّفِها(٥)
شَكَرَتْ حتى بعبارتها وبمَعْناها وبأحْرُفِها
ضَحِكَتْ بأبي العباس من الـ أيام ثَنايا زُخْرُفِها
وتَنكَّرَتِ الدنيا حتى عَرفَتْ منه بمُعَرِّفِها

بل نقول: يا مَحَلَّ الولد ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾(٦)، لقد حَلَّ بَيْنُك عُرى الجَلَد، وخُلِّد الشوقُ بعدك يا ابن خلدون في الصَّميم من الخَلَد. فحيًّا الله زمنًا شُفِيَتْ بِرُقى(٧) قُرْبِكَ زَمانَتُهُ، واجْتُلِيتْ في صَدَف مَجْدك جُمانَتُه(٨)، ويا مَنْ لمشوقٍ لم تُقْض من طول خُلَّتِك لُبانتُه، وأهلًا بروض أظلَّتْ أشتاتَ معارفك بانَتُه، فحمائمُه بعدك تَنْدُب(٩)، فيساعدها الجُنْدُبُ، ونَواسِمُه تَرِقُّ فتَتَغاشى(١٠)،

(١) في الريحانة: «الجفان الجنوح». والبيت لأبي تمام، وهو في ديوانه (ص ٨٠).
(٢) في النفح: «القائل حيث يقول».
(٣) قوله: «لا كفرًا» ساقط في التعريف والريحانة.
(٤) في الريحانة والنفح: «وليس». وفي التعريف: «ينوء».
(٥) ترتيب هذا البيت في النفح بعد الذي يليه. ومُصَحَّف كلمة «بَسْكرة»: «بشكره» أو «تشكره».
(٦) سورة البلد ٩٠، الآيتان ١، ٢.
(٧) في التعريف: «بقربك».
(٨) في التعريف: «جمانته، وقضيت في مَرْعى خلتك لبانته». واللبانة: الحاجة.
(٩) في الريحانة: «لا تندب».
(١٠) في الريحانة: «فتتعاشى»، بالعين المهملة.

وعِشيَّاته تَتَخافت وتتلاشى، [ومُزْنه باكٍ][١] وأذواحه[٢] [في ارتباك، وحمائِمه][٣] في مأتم ذي اشتباك، كأن لم تكن قَمَرَ[٤] هالاتِ قِبابه، ولم يكن[٥] أنسُك شارعَ بابه، إلى صَفْوة الظَّرْف ولُبابه، ولم يَسْبَحْ إنسانُ عينك في ماء شَبابه. فلهفي عليك من دُرَّة اخْتَلَسَتْها يَدُ النَّوى، ومَطَل برَدِّها الدهرُ ولَوى، ونَعَقَ الغرابُ ببينها في رُبوع الجَوى[٦]، ونطق بالزَّجْر فما نطق عن الهوى. وبأي شيءٍ يُعتاض[٧] منكِ أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرُك الفيَّاض، وفَهَقَتِ الحياض؟ ولا كان الشَّانىءُ المَشْنُوء[٨]، والجَربُ[٩] المَهْنُوء، من قِطْع ليلٍ أغار على الصُّبح فاحْتَمل، وشارك في الذَّمّ الناقةَ والجمل، واستأثر جُنحه ببدر النادي لما كَمَل. نُشر الشِّراع فَراع، وأعمل[١٠] الإسراع، كأنما هو تمساح النِّيل ضايق الأحباب في البُزْهة، واختطف لهم من الشَّطِّ نُزْهة العينِ وعين النُّزْهة. ولَجَّجَ[١١] بها والعيون تنظر، والغَمْر عن[١٢] الاتباع يحظر، فلم يُقْدَرْ إلَّا على الأسف، والْتِماح الأثر المُنْتَسف[١٣]، والرجوع بمَلْءِ العَيْبة من الخَيْبة، ووِقْرُ[١٤] الجَسْرة من الحَسْرة. إنما[١٥] نشكو[١٦] إلى الله البثَّ والحُزْن، ونستمطر من عَبَراتنا[١٧] المُزْن، وبسَيف الرجاءِ نَصُول، إذا شُرِعَتْ[١٨] لليأس أسِنَّةٌ ونصول[١٩]: [البسيط]

ما أقْدَرَ الله أن يُدْني على شَحَطٍ   مَنْ دارُهُ الحُزْنُ ممَّنْ دارُهُ صُولُ[٢٠]

فإن كان كَلْمُ[٢١] الفراق رَغِيبًا[٢٢]، لمَّا نويت مَغيبًا، وجلَّلت الوقت الهنيَّ تَشْغِيبًا، فلعلّ الملتقى يكون قريبًا، وحديثه يروي صحيحًا غريبًا. إيهِ شقَّة

---

(١) ما بين قوسين ساقط في التعريف.
(٢) في الريحانة والنفح: «ودوحه».
(٣) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(٤) في الريحانة: «قمرها».
(٥) في النفح: «يَكُ».
(٦) في التعريف: «الهدى». وفي الريحانة: «الهوى».
(٧) في النفح: «نعتاض».
(٨) في الريحانة: «المثنوء».
(٩) في الريحانة: «والجرف».
(١٠) في التعريف: «وواصل».
(١١) في الريحانة: «ونَجَّج».
(١٢) في الريحانة والنفح: «على».
(١٣) في النفح: «المنشف».
(١٤) الوِقْر: الحِمل. الجَسْرة: الناقة الضخمة.
(١٥) في النفح: «وإنما».
(١٦) في الريحانة: «أشكو».
(١٧) في النفح: «عبارتنا».
(١٨) في الأصل: «أشرعت»، والتصويب من المصادر.
(١٩) في الريحانة والنفح: «لليأس النصول». والبيت لحندج المري، وهو في معجم البلدان (ج ٣ ص ٤٣٥).
(٢٠) صُول: مدينة في بلاد الخزر. معجم البلدان (ج ٣ ص ٤٣٥).
(٢١) في الريحانة: «كَظْمُ». والكَلْم: الجرح.
(٢٢) الرغيب: الواسع.

النَّفس[١] كيف حال تلك الشَّمائل، المُزهرة الخمائل؟ والشِّيَم[٢]، الهامية الدِّيم، هل يمرُّ ببالها مَنْ راعَتْ بالبُعْد بالَه؟ وأُخمدت بعاصف البَيْن ذُباله[٣]؟ أو تَرْثي لشؤون شأنها سَكْبٌ لا يَفتر، وشوقٌ يبتُّ حبال الصَّبر ويَبْتُر، وضنًى تقصر عن حُلله الفاقعة صَنْعاءُ وتَسْتُر، والأمر أعظم والله يَسْتُر. وما الذي يُضيرُك؟ صِينَ من لَفْح السَّموم نَضِيرُك، بعد أن أضْرَمْتَ وأشْعَلْتَ وأوْقَدْتَ وجَعَلْت، وفَعَلت فَعْلتك التي فَعَلْت، أن تَترفَّق بذَماءٍ، أو تَرُدَّ بنُغْبة[٤] ماءٍ أرماقَ ظِماءٍ، وتَتَعاهد المعاهد بتَحيَّة يُشَمُّ عليها شَذا أنفاسك، أو تنظرُ إلينا على البعد بمُقْلة حَوْراءَ من بياض قِرطاسك، وسواد أنفاسك[٥]، فربما قَنِعت الأنفسُ المُحِبَّةُ بخيال زُور، وتَعلَّلت بنوالٍ مَنْزُور، ورَضِيت لمَّا لم تَصِدِ العَنْقاءَ بزَرْزور: [الكامل]

يا مَنْ تَرَحَّلَ والرياح[٦] لأجْلِهِ تَشْتاقُ[٧] إن هَبَّتْ شَذا ريَّاها
تُحْيي النفوس إذا بَعَثْت تحيةً فإذا عَزَمْتَ اقرأْ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾[٨]

ولئن أحْيَيْت بها فيما سَلَفَ نفوسًا تفديك، والله إلى الخير يُهْديك، فنحن نقول مَعْشر مُريديك[٩]: ثَنِّ ولا تجعلْها بيضة الدِّيك[١٠]، وعُذْرًا فإنِّي لم أجترئ[١١] على خطابك بالفِقَر الفقيرة، وأدللْتُ لدى حُجُراتك برفع العَقِيرة، عن[١٢] نَشاط بعثت[١٣] مَرْمُوسَه[١٤]، ولا اغتباط بالأدب تُغْري بسياستهِ سُوسَه، وانبساط أوْحى إليَّ على الفترة ناموسَه، وإنما هو اتفاق جَرَّته نَفْثة المَصْدور، وهِناءُ الجَرِبِ المَجْدور، وخارقُ

---

(١) في التعريف: «إيهٍ سيدي». وفي النفح: «إيهٍ ثقة النفس».
(٢) الشِّيَمُ: كل أرض لم يُحفَر فيها قَبْلُ، باقية على صلابتها.
(٣) الذُّبالة: فتيلة السراج. (٤) النُّغْبة: الجرعة من الماء.
(٥) في النفح: «من سواد أنفاسك، وبياض قرطاسك».
(٦) في الريحانة والنفح: «والنسيم».
(٧) في الأصل: «يشتاق»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(٨) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾. سورة المائدة ٥، الآية ٣٢.
(٩) في الأصل: «مودّيك»، وكذا في الريحانة والتعريف، والتصويب من النفح.
(١٠) أخذه من قول بشار بن برد [البسيط]:

قد زُرْتِنا مرةً في الدَّهر واحدةً ثَنِّي ولا تجعليها بيضة الدِّيكِ

ديوان بشار بن برد (ص ١٧٤).
(١١) في النفح: «أَجْتَرِ». (١٢) في النفح: «لا عن».
(١٣) في الريحانة: «بُعِثَ».
(١٤) في الأصل: «مرسومه»، والتصويب من المصادر.

لا مُخارق[١]، فثمَّ قياسُ فارِق، أو لحن غَنَّى به بعد البُعْد[٢] مُفارق[٣]. والذي[٤] هيَّأ هذا القَدَر وسَبَّبه، وسوّغ[٥] منه المكروه وحَبَّبه، ما اقتضاه الصِّنْوُ يحيىٰ، مَدَّ اللهُ حياته، وحَرَس من الحوادث ذاته ـ من خطاب ارتَشَف به لهذه القريحة بُلالَتها، بعد أن رضي عُلالَتَها، ورَشَّح إلى الصِّهْر الحضرمي سُلالتها، فلم يسع إلَّا إسعافه، بما أعافَه، فأمليتُ مُجيبًا، ما لا يُعَدُّ في يوم الرِّهان[٦] نجيبًا، وأسمعْتُ وَجيبًا، لمَّا ساجلْتُ بهذه التُّرهات سحرًا عجيبًا، حتى إذا[٧] أَلِفَ القلمُ العريان سَبْحَه، وجمح بِرْذَون[٨] الغرارة[٩] فلم أطِقْ كَبْحَه، لم أُفِقْ من غَمْرة غلْوِّه، وموقف مَتْلُوِّه، إلَّا وقد تحيَّز إلى فئتك[١٠] مغترًا، بل مُعترًا[١١]، واستقبلها ضاحكًا مُفْترًا، وهشَّ لها برًا، وإن كان لونُه من الوَجَل[١٢] مُصْفَرًا، وليس بأول من هجر، في التماس الوَصْل مِمَّن هَجَر، أو بعث التَّمْر إلى هَجَر، وأي نَسَب بيني اليوم وبين زُخْرف الكلام، وإجالة جياد الأقلام، في محاورة الأعلام، بعد أن حال الجَريض دون القريض[١٣]، وشُغِل المريضُ عن التَّعريض، واستولى[١٤] الكَسَل، ونصلت[١٥] الشعرات البيض، كأنَّها الأسَل[١٦]، تروع برقط الحيَّات، سِرْبَ الحياة، وتطرق بذوات[١٧] الغُرَر والشِّيات[١٨]، عند البَيات. والشَّيب الموت العاجل، وإذا ابيضَّ زَرْعٌ صَبَّحته المناجل، والمُعْتبر الآجل. وإذا اشتغل الشيخُ بغير مَعاده، حُكِمَ في الظاهر بإبعاده، وأسْرِه في مَلَكَة عادِه، فأغْضِ، أبقاك الله، واسمحْ، لمن قَصَّر عن المَطْمح، وبالعين الكَليلة فالْمَحْ، واغتنمْ لباسَ ثَوْب الثَّواب، واشْفِ بعضَ الجَوى بالجواب، تولَّاك الله

(١) في التعريف: «وأن تعلّل به مخارق».
(٢) في النفح: «الممات».
(٣) في الأصل: «مخارق»، والتصويب من النفح.
(٤) في الريحانة والنفح: «والذي سبّبه».
(٥) في التعريف: «وسَهّل».
(٦) في الريحانة: «يوم من الزمان».
(٧) كلمة «إذا» ساقطة في الريحانة.
(٨) البرذون: دابّة الحمل الثقيل.
(٩) في الأصل: «الغزارة»، وكذا في الريحانة، والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «لفئتك»، والتصويب من المصادر.
(١١) في الريحانة: «مفترًا بل مغترًا».
(١٢) في التعريف: «الخجل».
(١٣) في الريحانة: «جال الجريض ودون القريض». والجريض: الرِّيق الذي يُغَصُّ به، يقول: حال العائقُ دون قول الشعر. وقوله: «حال الجريض دون القريض» مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرًا حين لا ينفع. مجمع الأمثال (ج ١ ص ١٩١).
(١٤) في التعريف: «وغلب حتى الكسل».
(١٥) في الأصل: «ونسلت»، وكذلك في التعريف، والتصويب من النفح والريحانة.
(١٦) الأسل: الرماح، وقد يراد السبق، ليجمع بين العلم والسيف.
(١٧) في الريحانة: «ندوات».
(١٨) ذوات الغرر والشيات: هي الخيل.

فيما اسْتَضَفْتَ ومَلَكْت، ولا بعدت ولا هَلَكْت، وكان لك آيةً سَلَكْت، وَوسَمك من السعادة بأوضح السِّمات، وأتاح لقاءَك من قبل الممات. والسلام الكريم يَعْتمد جلال[١] ولدي، وساكن خَلَدي، بل أخي، وإن اتَّقيت[٢] عَتْبه وسيدي، ورحمة الله وبركاته. [من محبِّه المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب، وفي الرابع عشر من شهر ربيع الثاني، من عام سبعين وسبعمائة][٣].

وخاطبتُ الفقيه أبا زكريا بن خلدون، لما وُلّي الكتابة عن السلطان أبي حمُّو موسى بن زيَّان[٤]، واقترن بذلك نصرٌ وصُنْعٌ غَبَطْتُه به، وقصدتُ بذلك تَنْفيقه وإنهاضَه لديه[٥]:

نخصُّ الحبيب الذي هو في الاستظهار به أخٌ وفي الشَّفقة عليه وَلَد، والوليّ الذي ما بعد قُرْب مثله أمَل ولا على بُعْده جَلَد، والفاضل الذي لا يُخالف في فضله ساكنٌ ولا بَلَد، أبقاه الله وفاز فَوْزه وعصمتُه لها من توفيق الله سبحانه[٦] عَمَد، ومَوْرد سعادته المَسُوغ لعادته لا غَوْر ولا ثَمَد[٧]، ومدى إمداده من خزائن إلْهام الله وسَداده ليس له أمَد، وحِمى فرح قَلْبه بمواهب من[٨] ربِّه أن[٩] يطرقه كمد. تحية مُجِلِّه، من صميم قلبه بمحلِّه، المنشىءُ رواق الشَّفقة مرفوعًا بعمد المحبَّة والمِقَة[١٠] فوق ظَعْنه وحِلِّه، مؤثره ومُجِله، المعتني بدقِّ أمره وجِلِّه[١١]، ابن الخطيب[١٢]. من الحضرة الجهادية غرناطة صان الله خِلالها[١٣]، ووقى هجير هَجْر الغيوم ظِلالها، وعَمَرَ بأُسود الله أغْيالَها، كما أغْرَى بمن[١٤] كفر بالله صِيالها[١٥]. ولا زائد إلَّا مِنَنٌ من[١٦] الله تَصُوب، وقوة يُسْتَردُّ بها المغصوب، ويُخْفَض[١٧] الصَّليب المَنْصوب، والحمد لله

---

(١) في الريحانة: «خلال». وفي التعريف: «حلال».
(٢) في النفح: «وإن عتبته». (٣) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(٤) جاء في نفح الطيب (ج ٩ ص ١١٤) أنّ ابن زيان هذا هو سلطان تلمسان.
(٥) هذه الرسالة، بما فيها الشعر في ريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤٣) ونفح الطيب (ج ٩ ص ١١٤ ـ ١١٧).
(٦) كلمة «سبحانه» ساقطة في الريحانة. (٧) في الريحانة: «لعادته غمْر لا ثمد».
(٨) كلمة «من» ساقطة في الريحانة. (٩) في الريحانة: «لا».
(١٠) المِقَة: المحبة. لسان العرب (ومق).
(١١) بدقِّ أمره: أي دقيقه، وأراد: قليله. جِلُّه: أي جليله، وأراد: كثيره.
(١٢) في الريحانة: «وجلّه، فلان».
(١٣) في الأصل: «حُلالها»، والتصويب من المصدرين.
(١٤) في الريحانة: «مَنْ». (١٥) في الريحانة: «حيالها».
(١٦) كلمة «من» ساقطة في الريحانة. (١٧) في الريحانة: «وتُخْفِض».

الذي بحمده يُنال المطلوب، وبذكره تطمئِنُّ القلوب. ومودَّتُكم المودّة التي غَذَّتها ثُديُّ الخُلوص بلِبانها، وأحلّتها حَلائِلُ المحافظة بين أعْيُنها وأجفانها، ومَهّدت مَواتُّ أخواتها[١] الكبرى أساسَ بُنيانها، واستحقّت ميراثَها مع استصحاب حال الحياة، إن شاءَ الله، واتصال أزمانها، واقتضاءِ عهود الأيام بيُمْنها وأمانها. ولله دَرُّ القائل[٢]: [الطويل]

فـإن لـم يَـكُـنْـهـا أو تَـكُـنْـه فـإنَّـه أخُـوهـا غَـذَتْـهُ أُمُّـه بـلبـانـهـا

وصَل الله ذلك من أجْله وفي ذاته، وجعله وسيلةً إلى مَرْضاته، وقُرْبَةً تنفع عند اعتبار ما رُوعي من سُنَن الجبّار ومُفْتَرضاته. وقد وصل كتابكم الذي فاتح بالريحان والرَّوْح، وحلَّ من مرسوم الحياة[٣] محلّ البَسْملة من الّلوح، وأذِنَ لنوافح الثناءِ بالبَوْح[٤]، يشهد عَدْلُه بأنّ البيان يا آل خلدون سَكَن من[٥] مَثْواكم دارَ خُلود، وقدح زَنْدًا غير صَلُود، واستأثر من محابركم السيّالة وقُضُب أقلامكم[٦] الميّادة الميّالة بأبٍ مُنجب وأُمٍّ وَلُود، يقفو[٧] شانِيه غير المَشْنُوّ، وفصِيله غير الجَرِب ولا المَهْنُوّ، من الخطاب السلطاني سفينة مُنُوح[٨]، إن لم نَقُلْ سفينة نوح. ما شئت من آمال أزواج، وزُمَرٍ من الفضل وأفواج[٩]، وأمواج كَرَم تَطْفُو فوق أمواج، وفنون بَشائر، وإهْطاع[١٠] قبائل وعَشائر، وضَرب للمسرّات أعيا السّامر[١١]. فللّه هو[١٢] من قلم راعى نَسَبَ القَنا[١٣] فوصل الرَّحم، وأنجد الوشِيج المُلتَحم[١٤]، وساق بعصاه من البيان الذَّودَ المُزْدَحم، وأخاف مَنْ شَذَّ عن الطاعة مع الاستِطاعة فقال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[١٥]. ولو لم يُوجب الحَقَّ بَرْقُه ورَعْدُه، ووعيدُه ووعدُه، لأوْجَبه يُمْنُه[١٦] وسَعْدُه. فلقد ظهرت مخايلُ نُجحه، علاوة على نُصْحه، ووَضحت محاسنُ صُبْحه، في وحْشة الموقف الصَّعْب وقُبْحه، وصلَ الله له عوائد مَنْحه، وجعله إقليدا

(١) في الريحانة: «إخوتها».
(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ديوانه (ج ٢ ص ٣٧).
(٣) في الريحانة: «الحيا». وفي النفح: «الولاء». (٤) في الريحانة: «السّفا بالفَوح».
(٥) كلمة «من» ساقطة في الريحانة. (٦) في الريحانة: «رماحكم».
(٧) في الريحانة: «يقضو».
(٨) في الريحانة: «سُتُوح». والمُنُوح: جمع مَنْح وهو العطاء.
(٩) في الريحانة: «أفواج». (١٠) الإهطاع: الإسراع.
(١١) في النفح: «الشائر». (١٢) كلمة «هو» ساقطة في الريحانة.
(١٣) في الريحانة: «الغنى». (١٤) في النفح: «والملتحم».
(١٥) سورة هود ١١، الآية ٤٣.
(١٦) في الأصل: «بمنّه»، كذلك ورد في الريحانة، والتصويب من النفح.

كلما استقبل باب أمل وكَّله الله بفتحه. أمّا ما قرَّره ولاؤكم من حبٍّ زكا عن[١] حبَّة القلب حبُّه، وأنْبَته النبات الحسنَ ربُّه، وساعده من الغَمام سَكْبُه، ومن النَّسيم اللَّدن مَهَبُّه، فرسْمٌ ثبت عند الوليّ[٢] نظيرُه، من[٣] غير معارض يَضيره، وربما أزبى بتذييل مَزيد، وشهادة ثَابتٍ ويَزيد[٤]. ولِمَ لا يكون ذلك وللقلب على القَلْب شاهد؟ وكَوْنُها أجنادًا مُجَنَّدة لا يحتاج تقريره إلى ماهِد[٥]، أو جَهْد جاهد. ومودَّة الأُخُوَّة سبيلُها لاحِب، ودليلُها للدَّعوى[٦] الصادقة مُصاحب، إلى ما سبق من فضلٍ ولقاءٍ، ومُصاقبة[٧] سِقاءٍ واعتقاد، لا يُراعُ سِرْبُه بذئب انتقاد[٨]، واجتلاءِ شِهاب وقَّاد، لا يُحْوج إلى إيقاد. إنما عاق عن مُواصلة ذلك نَوًى شَطٌّ منها الشَّطَن، وتَشْذيب لم يَتَعَيَّن معه الوطن. فلمَّا تَعَيَّن[٩]، وكاد صبحُ[١٠] الحقّ أن يَتبَيَّن، عاد الوَمِيضُ دَيْجورًا، والثِّماد[١١] بَحْرًا مَسْجُورًا، إلى أن أعلق الله منكم اليدَ بالسَّبب الوثيق[١٢]، وأحلَّكم بمَنْجى نِيق[١٣]، لا يخاف من مَنْجنيق، وجعل يراعكم لسعادة مُوسى[١٤] معجزة تأْتي على الخَبر بالعِيان[١٥]، فتخُرُّ لثُعْبانها سَحَرةُ البيان: [المتقارب]

أيحيى، سقى، حيث لُحتَ، الحَيا[١٦] فَنِعْمَ الشِّعابُ ونِعْمَ الرُّكونْ[١٧]
وحَيَّا يراعك مِنْ آيةٍ فقد حرَّك القومَ بعد السُّكونْ
دَعَوْتَ لخدمة موسى عَصاه فجاءَت تَلَقَّفُ ما يأْفكُونْ
فأذْعَنَ مَنْ يَدَّعي السِّحر رَغْمًا وأسْلَمَ مِنْ أجْلِها المُشْرِكون

---

(١) في النفح: «على».
(٢) في الأصل: «المولى»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «ومن».
(٤) ثابت: هو ثابت البناني. ويزيد: هو يزيد بن الأسود، وهنا يشير إلى قول جميل [الطويل]:
إذا قلتُ: ما بي يا بثينةُ قاتلي من الحبِّ، قالت: ثابتٌ ويزيدُ
ديوان جميل بثينة (ص ١٥).
(٥) في الريحانة: «شاهد».
(٦) في النفح: «للدعوة».
(٧) في النفح: «ونظافة».
(٨) في الريحانة: «الانتقاد».
(٩) في الريحانة: «تعيّن تعيّن».
(١٠) في المصدرين: «وكاد الصبح أن...».
(١١) في الريحانة: «والمواد». والثِّماد: الماء القليل الذي يتجمّع في الشتاء.
(١٢) الوثيق: القويّ المتين.
(١٣) في الريحانة: «نبق». وفي النفح: «منجى نِيق». والمنجى: اسم مكان من نجا ينجو. والنِّيق: أعلى موضع في الجبل.
(١٤) موسى: هو أبو حَمّو، سلطان تلمسان.
(١٥) في الريحانة: «القيان».
(١٦) في الريحانة: «الحت الحِنا».
(١٧) في الريحانة: «الوكول».

وساعدكَ السَّعْدُ[١] فيما أردْتَ فكان كما ينبغي أن يكون

فأنتم[٢] أوْلى الأصدقاءِ بصلة السَّبب، ورَعْي الوسائل والقُرَب. أبقاكم الله وأيْدي الغِبْطة بكم عالية[٣]، وأحوال تلك[٤] الجهات بِدُرككم المهمات حالية، ودِيَمُ المسرّات من إنعامكم المُدِرّات[٥] على معهود المبرّات مُتَوالية[٦]. وأما ما تَشوَّفتم إليه من حال وَلِيِّكم فأملٌ مُتقلِّص الظِّل، وارتقابٌ لهجوم جَيْش الأجلِ المُطِلّ، ومُقام على مُساورة الصِّلّ، وعمل يُكذِّب الدعوى، وطُمأنينة تنتظر الغارة الشَّعْوا. ويدٌ بالمَذْخُور تُفتَح، وأُخرى تَجْهد وتَمْنح، ومرضٌ يزور فيَثْقُل، وضعفٌ عن الواجب يُعْقَل[٧] إلّا أنَّ اللطائف تَسْتَروح، والقلب من باب الرجاءِ لا يَبْرَح. وربما ظَفِر اليائس[٨]، ولم تطّرد[٩] المقايس[١٠]، تداركَنا الله بعفوه، وأوْرَدَنا من مَنْهل الرِّضا والقَبُول على صَفْوه، وأذن لهذا الخَرْق في رَفْوه. وأمّا ما طلبتم من انْتِساخ ديوان، وإعمال بنان في الإتْحاف بِبَيان، فتلك عُهُودٌ لديَّ مَهْجورة، ومعاهدُ[١١] لا مُتَعَهّدة ولا مَزُورة، شَغَل عن ذلك خَوْضٌ[١٢] يعلو لَجَبُه، وحوْضٌ[١٣] يُفْضى[١٤] من لَغَط المانح عَجَبُه، وهولُ جهادٍ تساوى جُمادَياه ورَجَبُه، ولولا[١٥] التماس أجْر، وتعلُّلٌ بربح تَجْر، لقلت: أهلًا بذات النَّحْيَيْن[١٦]. فلئن[١٧] شَكَتْ، وبذلت المَصُون بسبب ما أمْسَكت، فلقد ضحكَت في الباطن ضِعْف ما بَكَتْ. ونستغفر الله من سوءِ انْتِحال، وإيثار المِزاح بكلّ حال. وما الذي ينتظر مِثْلي ممّن عَرَف المآخذ والمتارك، وجَرَّب لما بَلا المبارك، وخَبَر مساءَة الدُّنيا الفارِك؟ هذا أيها الحبيبُ ما وَسِعه الوقتُ الضيق، وقد ذَهَب الشَّباب الرَّيِّق[١٨]. فلْيَسْمَح فيه معهودُ كمالك،

(١) في الريحانة: «الشعور».
(٢) في الريحانة: «وأنتم».
(٣) في الريحانة: «مالية».
(٤) في النفح: «تلكم».
(٥) في الريحانة: «المبرّات».
(٦) في الأصل: «المتوالية»، والتصويب من المصدرين.
(٧) يُعْقَل: يُمْنَعُ ويحجب.
(٨) في المصادر: «البائس».
(٩) في الأصل: «تضطرد»، والتصويب من المصادر.
(١٠) في الريحانة: «المقابس».
(١١) في الريحانة: «ومعاهدة».
(١٢) في النفح: «حوض».
(١٣) في النفح: «وحِرْص».
(١٤) في الريحانة: «يفضى».
(١٥) في المصادر: «فلولا».
(١٦) النَّحْي: الزِّقّ أو ما كان للسمن خاصة. ومن أمثالهم: «أَشْغَلُ من ذات النَّحْيين». وذات النحيين امرأة من بني تميم كانت تبيع السمن في الجاهلية، فأتاها خوّات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمنًا، وساومها فحلّت نَحْيًا ثم حلّت آخر، حتى شغل يديها فلم تقدر على دفعه فقضى ما أراد وهرب. وهذا المثل يضرب في كثرة العوائق. مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٧٦).
(١٧) في الريحانة: «فلهنّ».
(١٨) الشباب الرَّيِّق: أول الشباب.

جعل الله مُطاوعة آمالك، مطاوعةَ يمينك لشِمالك، ووطَّأ لك موطَّأ العِزِّ بباب كلِّ مالك، وقَرَن النُّجح بأعمالك، [وحَفِظك في نفسك وأهْلِك ومالِك، والسَّلام من فلان][1].

وكتبت إلى الأولاد وهم بالمنكَّب صُحبة السلطان، رضي الله عنه[2]: [مخلع البسيط]

يا ساكني مَزفا الشَّواني شوقيَ مِنْ بعدكمْ شَواني
ولاهِجٍ[3] الشَّوقِ قد هَواني من بعدكمْ فاقْتَضى[4] هَواني
كأنَّه مالكًا عِناني أُنموذجٌ من أبي عِنان
لقد كَفاني لقد كفاني باقي ذِمَّا ذاهب[5] كَفاني
مُنُّوا على الخَوْف بالأماني[6] فأنتمُ جُملةُ الأماني

إلى أيِّ كاهن أتَنافر، وفي أيِّ ملعب أتجاول وأتَظافر، وبين يَدَيْ أيِّ حاكم أتَظالم فلا أتَغافر، مع هذا الجَبَل، الذي هو في الشكل[7] جَمَل، حفَّ به من الثَّعب[8] هَمَل، سَنامه التّامك أجْرَد، وذَنَبُه الشابل[9] كأنه جملٌ يُطرد، وعُنقه إلى مورد البحر يتعرَّج ويتعرَّد، وكأنما البِنْية بأعلاه خِدْرُ فاتِنة، أو بَرْق غمامة هاتِنة، استأثر غير ما مرَّة بأُنسي، وصارت عينُه الحمئة مَغْرِب شَمْسِي، حتى كأن هذا الشَّكل من خِدْرٍ وبَعير، وإن كان مَجازٌ مُسْتعير، يتضمن[10] شكوى البَيْن، ويُفَرِّق بين المُحبَّيْن:

ما فـرَّق الأحبـاب بعـد الله إلَّا الإبـلْ
والناسُ يُلْحون[11] غراب البَيْن لما جهلْ
وما على ظهر غراب البينِ تُقْضى[12] الرَّحل
ولا إذا صاح غراب في الديار ارتحلْ
وما غرابُ البيت إلاَّ ناقةٌ أو جَمَلْ

(١) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(٢) رسالته هذه إلى أولاده بما فيها الشعر، في ريحانة الكتاب (ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١٢).
(٣) في الريحانة: «ولاعج».
(٤) في الريحانة: «واقتضى».
(٥) في الريحانة: «ناهبًا».
(٦) في الريحانة: «. . . على الشوق بالأمالي».
(٧) في الريحانة: «الحقيقة».
(٨) في الريحانة: «الذُّور».
(٩) في الريحانة: «وذنبه قد سال كأنه مطرد».
(١٠) في الريحانة: «ليتضمن».
(١١) في الأصل: «يلمون»، والتصويب من الريحانة.
(١٢) في الأصل: «تنضى»، والتصويب من الريحانة.

فأُقسم لولا أنَّ الله ذَكر الإبل في الكتاب الذي أُنزل، وأعْظَم الغاية[١] بها وأجْزَل، لسَلَلْتُ عليه سلاح الدُّعاءِ، وأغريت بهجره نفوس الرِّعاءِ. وقلت: أراني الله إكسارك من بَعير، فوق سَعير، ولا سمحت لك[٢] عقبة الأندر[٣] والسعير[٤]، ببُرّ ولا شَعير: [الوافر]

دعوتُ عليك لمَّا عِيل صَبْري وقلبي قائل يا ربِّ لا لا

نستغفر الله، وأيُّ ذنب لذي ذَنَب شائل، ولَيْثٍ مائل، بإزاءِ لُجٍّ هائل، يَتَعاوَره[٥] الوَعْدُ والوعيد، فلا يُبْدي ولا يُعيد، وتمرُّ الجمعة[٦] والعِيد، فلا يَسْتَدْبر[٧] ولا يَسْتَعِيد[٨]، إنما الذَّنب لدهرٍ يرى المجتمع فَيَغار، ويُشِنُّ منه على الشَّمل المَغار[٩]، ونفوس على هذا الغرض تُسانده[١٠]، وتُعينه ليبطُشَ ساعِده، وتُقاربه فيما يُريد فلا تُباعده: [الكامل]

ولقد علمْتَ فلا تكنْ مُتَجَنِّيا إنَّ الفِراقَ هو الحِمامُ الأولُ
حَسْبُ الأحِبَّة أن يُفَرِّق بينهمْ صَرْفُ الزمان[١١] فما لنا نَسْتَعْجلُ

لكن المحبُّ جَنِيب[١٢]، ولغرض المحبوب سَليب[١٣]: [الطويل]

ويحسُن قُبْح[١٤] الفعل إن جاءَ منكمُ كما طاب عَرْفُ العُود وَهْوَ دخانُ

وقد قَنَعْتُ برسالة تُبلِّغ الأنَّة، وتُدْخل بعد ذلك الصِّراط الجنَّة، ويُعَبِّر[١٥] لسانُها عن شوقي من دون عَقله، وتنظر عَيْني[١٦] من بياض طِرْسها وسَواد نَفْسها بمُقْله. وإن[١٧] كان الجواب، فهو الأجر والثَّواب، ولم أر مثل[١٨] شوقي من نارٍ تُخْمد بطِرسٍ يُلْقى على أُوارها، فيأمَنَ عادية جوارها. لكنها نارُ الخليل ربما تمسَّكت من

(١) في الريحانة: «العناية». (٢) كلمة «لك» ساقطة في الريحانة.
(٣) في الأصل: «إلّا ندر»، والتصويب من الريحانة.
(٤) في الريحانة: «والشعير بتبْن ولا شعير». (٥) في الريحانة: «يتعاوده».
(٦) في الأصل: «الجهة»، والتصويب من الريحانة.
(٧) في الريحانة: «يستزيد».
(٨) في الأصل: «يتعيَّد»، والتصويب من الريحانة.
(٩) في الريحانة: «العار». (١٠) في الريحانة: «تساعده».
(١١) في الريحانة: «رَبُّ المنون». (١٢) في الريحانة: «حبيب».
(١٣) في الريحانة: «مُنيب». (١٤) كلمة «قبح» ساقطة في الريحانة
(١٥) في الأصل: «وتغيّر»، والتصويب من الريحانة.
(١٦) في الأصل: «عني»، والتصويب من الريحانة.
(١٧) في الريحانة: «فإن». (١٨) في الريحانة: «قبل».

المعجزة بأثر، وعَثَرت على آثاره مع مَنْ عَثَر، جمع الله من الشَّمْل بكم ما انتثرْ، وأنسى بالعَيْن الأثر، وحرَس على الكل من مَسُوقٍ وسَائق[١]، ومُوحشٍ ورائق، سرَّ القلوب، ومناخ الجَوَى المَجْلُوب، ومَثارَ الأمل المطلوب. ولا زالت العِصْمة تَنْسَدل فوق مثواه قِبابُها، والسُّعود تحمل[٢] في أمْره العليِّ مِنانها[٣]. فالمحبوب إليه حَبيب وإن أساءَ، وأوْحَشَ الصباح والمساء: [البسيط]

إنْ كان ما ساءَني ممّا يسرُّكُمُ   فعذِّبوا فقد اسْتَعْذَبْتُ تَعْذيبي

والسلام عليكم ما حَنَّ مَشُوق، وتأوَّدَ لليراع في رياض الرِّقاع قَضيب[٤] مَمْشُوق، ورحمة الله وبركاته.

وأجاب عن ذلك الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك، كاتب الدولة، والوَلَدان عبد الله وعلي[٥]، بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها، فراجعت الثلاثة بما نصه[٦]: [مخلع البسيط]

أكْرِمْ بها من بناءِ بانِ[٧]   أرْسَخ في الفخر[٨] من أبانِ

أجْنا[٩] لديها الرِّضا حنان[١٠]   من المعاني جَنا جَناني

أيَّ جَبي[١١] للأكُفِّ دانِ[١٢]   ما للمُباري[١٣] به يدان

أُقْسم بالذِّكْر والمثانِ   ما لَكَ فيما سمعْتُ ثانِ

مُدامةٌ بَزَّتِ[١٤] الأواني   تشطُّ[١٥] للقول كلَّ وان[١٦]

تقول أوضاعُها الغواني[١٧]   بالعِلم عن زينة الغَوان

---

(١) في الريحانة: «من مشوق وشائق».
(٢) في الريحانة: «يُحْمد».
(٣) في الريحانة: «مثابها».
(٤) في الريحانة: «قصب».
(٥) هما ابنا لسان الدين ابن الخطيب.
(٦) النص شعرًا ونثرًا في ريحانة الكتاب (ج ٢ ص ٢١٢ ـ ٢١٥).
(٧) في الريحانة: «بنا بنان».
(٨) في الريحانة: «الفصل».
(٩) في الأصل: «أجبنا»، وكذا يختل المعنى والوزن معًا، والتصويب من الريحانة.
(١٠) في الأصل: «جنان»، والتصويب من الريحانة.
(١١) في الأصل: «أو جنًى»، والتصويب من الريحانة.
(١٢) في الريحانة: «وأن».
(١٣) في الأصل: «للمبارِّ»، والتصويب من الريحانة.
(١٤) في الأصل: «برّة»، والتصويب من الريحانة.
(١٥) في الريحانة: «تنشط».
(١٦) في الريحانة: «دان».
(١٧) في الأصل: «للّغو أن»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا، والتصويب من الريحانة.

يـا ربِّ، بـارِكْ لـمـن بـنـان[١] فـي الـفِـكْـر والـقَـلْب والـبَـنـانِ

هكذا هكذا، وبعَيْن الحَسُود القَذا، تُسْتَشار[٢] الدُّرر الكامِنة، وتُهاج القَرائح النّائمة، في حِجر[٣] الغَفْلة الآمنة، وتُقْتضى[٤] الدّيون من الطباع الضامِنة: [الرجز]

أُعِـيـذُهـا بـالـخَـمْـس مـن ولائـد قـد قُـلِّدَتْ بِـنُـخَـبِ الـقَـلائـد
أُعـيـذهـا بـالـخمـس من حَبايب يُـغَـذِّيـن بـالـمـراضِـع الأطـايـب
أُعـيـذهـا بـالـخـمـس مـن وجُـوه يَـصُـونـهـا الله مـن الـمـكـروه

ويا ماتِح[٥] قَلْب القلوب أرْوَيْتَ[٦]، وصَدَق ما نويْتَ، البيرُ بيرُك، ذو[٧] حَفَرْت وذو طَوَيْت، وما رَمَيْتَ إذ رميت، ولو علمنا السَّرائر، لأغْدَدْنا لهذا المَكِيل الغَرائر، ولو تحقَّقْنا إجابة السؤال، والنَّسيج على هذا المِنْوال، لفَسَخْنا الظروف لهذا النَّوال. ساجلْنا الغُيُوثَ فشَحَحْنا، وبارَزْنا اللُّيوث فافْتَضَحنا، وصلَّينا والحمد لله على السلامة بما قَدَحْنا، لا بل التَمَسْنا نَقْبة[٨]، فأقْطعْنا[٩] تَنوُّرًا، واقْتبَسْنا جَذْوَةً، فأقْبَسنا نورًا، وما كان عطاءُ ربِّك محظورًا[١٠]: [الكامل]

مَـلَكَ الـثـلاثُ الآنـسـاتُ عِـنـانـي وحَـلَلْنَ مـن قـلـبـي بـكـلِّ مـكـانِ
هذي الهلالُ وتلك بنتُ المشْتري حُسْنًا وهذي أُخت غُصْنِ البان

متى كان أُفُقُ المُنَكَّب، مَطْلعًا لهذا الكوكب، وأجَمَة ذلك[١١] الساحل الماحل، مُرْتَبعًا لهذا الدُّمْر الحَلاحل[١٢]، ومَوْرد الجَمَل البادي[١٣] الغُرِّ، مغاصًا[١٤] لمثل هذا الدُّرّ، إلَّا أنْ يكون كَنْزُ هذا المَرام، المُسْتَدعي لِلْكَلَفِ[١٥] والغَرام، من مُسْتودعات

---

(١) في الأصل: «بان»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الريحانة.
(٢) في الريحانة: «تتناثر».
(٣) قوله: «في حجر الغفلة» ساقط في الريحانة.
(٤) في الريحانة: «وتُقْضى».
(٥) في الريحانة: «يا مانح».
(٦) في الريحانة: «أوريت».
(٧) في الريحانة: «وذو».
(٨) في الأصل: «نغبه»، والتصويب من الريحانة.
(٩) في الريحانة: «وأقطعنا».
(١٠) قوله: «وما... محظورًا» ساقط في الريحانة. والبيتان لهارون الرشيد قالهما في ثلاث من محبوباته، وهما في الذخيرة (ق ١ ص ٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١١٨) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٩) وجذوة المقتبس (ص ٢٢).
(١١) في الريحانة: «تلك».
(١٢) في الريحانة: «الماحل، من معاهد الدُّمر الحلاحل».
(١٣) في الريحانة: «الجُمل البادية الغُرّ».
(١٤) في الريحانة: «مقاصًا».
(١٥) في الريحانة: «الكلف».

تلك الأهواءِ والأهرام، دفنه[١] الملك الغضّاب، بعد أن قُدِّسَت الأنصاب، وأخْفى[٢] الأثر فلا يُصاب، أو تكون الأنوار هنالك تتجسَّم، والحُظوظ تُعيَّن وتُقَسَّم، والحقائق تُحَدُّ وتُرْسم، أو تتوالد بتلك المغارات يُوسانيا ورُوسم. أنا ما[٣] ظَنَنْتُ بأن تثُور من أجم الأقلام أُسُود، وتعبث بالسُّويداوات من نتائج اليَراع والدواة لِحاظٌ سُود. من قال في الإنسان عالَمًا صغيرًا فقد ظَلَمه، كيف والله بالقَلَم علَّمه، ورفع في العوالم عَلَمه. لقد درَّت حَلَماتُ تلك الأقلام[٤] من رَسْل غزير، وما كان فحلُ تلك الأقلام بزِير، ولا سلْطان تلك الطِّباع المَدِيدة الباع ليسْتَظْهر بوزير. إنما هي مَشاكي كمال[٥] أوْقَدها الله وأسْرَجها، ومَلَكات في القوة رجَّحها[٦] مرجِّح القوة فأبْرَزَها إلى العقل وأخْرَجها. وأخْرِ بها أن تَحُطَّ بذرى[٧] المدارك الإلـٰهية رحالها، وتترك إلى الواجب الحقِّ مُحالها، فتتجاوز أوْحَالها، مستنيرة بما أُوحِي لها. إيه بَنِيَّة، أُقسم بربِّ البنيَّة، وقاسم الحُظْوة السنيَّة، لقد فزْتُ من نَجابتكم عند الْتِماح إجابتكم بالأُمْنِيَّة، فما أُبالي بعدها بالمَنِيَّة. وقاهُ الله عَيْن الكمال من كمال، صان سُرُوجَه من إهمال[٨]، واكْتَنَفه بالمزيد من غير[٩] يمينٍ وشَمال، كما سوَّغ الفقير مثلي إلى فَقْرها زكاة جَمالٍ[١٠]، لا زكاة جِمال. ولعمري، وما عُمْري عليَّ بهيِّن، ولا الحِلْف في مقْطع الحقِّ بمتعيِّن، لقد أخْقب[١١] منها إليَّ ثلاث كتائب، قادها النَّصر جَنائب، ألِفاتُها العَصِي، ونُوناتُها القِسيُّ، وغاياتها المرام القَصِيُّ[١٢]، ورقُومها الحَلَق[١٣]، وجيادُها قد فشا فيها البَلَق، بحيث لا استظهار للشيخ إلّا بشُعب سِذر[١٤]، ولا افتراس إلّا لمَرَقة[١٥] قِذر، ودُرَيْد هذا الفن يُحمل في خِدر: [الكامل]

سَلَّتْ عليَّ سيوفَها أجفانُه ... فلقيتُهُنَّ من المَشِيب[١٦] بمَغْفَرِ

فلولا تقدّم العَهْد بالسِّلْم، لخيف من كَلِمها وقوع الكَلْم. أما إحداهنّ ذات القَتام[١٧]، والدّلْج بالإعتام، المستمدُّ سوادُها الأعظم من مِسْك الختام، فعلَّلت[١٨]

(١) في الريحانة: «دِمْنة الملك الغَضّاب».
(٢) في الريحانة: «وأقفى».
(٣) قوله: «أنا ما» ساقط في الريحانة.
(٤) في الريحانة: «الأحلام».
(٥) في الريحانة: «أعمال».
(٦) في الريحانة: «رجمها».
(٧) في الريحانة: «بذور».
(٨) في الريحانة: «من السِّمال».
(٩) في الريحانة: «عزّ».
(١٠) في الريحانة: «حِجال».
(١١) في الريحانة: «زَحَفَتْ».
(١٢) في الريحانة: «العَصي».
(١٣) في الريحانة: «الخُلُق».
(١٤) كلمة «سذر» ساقطة في الريحانة.
(١٥) في الريحانة: «إلّا لمن قد قدر».
(١٦) في الريحانة: «المنيب».
(١٧) في الريحانة: «القيام».
(١٨) في الريحانة: «فعالتْ فريضتها بالزيادة».

فريضَة نظامها بالزيادة، وعَلَتْ يَدُها بمَنْشُور السِّيادة، ورَسْم شَنْشَنتها المعروفة لأخْزَم[١]، وجَادَها من الطَّبْع السِّماك والمَرْزم، وضفر أشجاعها[٢] المضفَّرة لزومُ ما لا يَلْزم: [الكامل]

خدم اليراعُ بها فدَبَّجها[٣] وسألْتُ مجتهدًا عن الغرضِ[٤]
فعلمْتُ أنّ الصُّلح مَقْصِدُه لتزول بعضُ عداوةِ الرَّبَضِ

وأما أُختُها التَّالية، ولُدَّتُها الحافلة الحالية[٥]، فنؤومٌ مكسالٌ، ريقُها برُودُ سِلْسال، ومن دونها مواردُ ونُسال[٦]، وذئب عسَّال، وإنْ عُلِّلت[٧] بنقص في النَّظم، وقد أخذت من البدائع بالكَظْم، وامْتَكَّته[٨] المعاني امْتِكاك العَظْم. وأمَّا الثالثة فكاعِبٌ، حُسْنها بالعقول مُتَلاعب، بِنْتُ لَبُون، لا لُهْمة[٩] حرب زَبون، حَيَّاها الله وبَيَّاها، فما أعطر ريَّاها: [البسيط]

تَشمُّ أرواح[١٠] نَجْدٍ من ثِيابهمُ عند القُدوم لقُرْب العَهْد بالدَّارِ

ولو قصَّرَتْ لَتُغُمِّد تقصيرُها، وكثُر بالحقّ نصيرُها، فكيف وقد أجادت[١١]، وصَابَتْ غمامتُها وجادَتْ. وقد شَكَرَتْ على الجملة والتَّفصيل، وعَرَفت منَّة الباذل وجُهْد الفَصيل، وطالَعَتْ مسائل البيان والتَّحصيل، وقابلت مُفضَّض الضُّحى بمُذَهَّبِ الأصيل. وأثْرَت يدي وكانت إلى تلك الفِقَر فقيرة، ونَبُهَت في عَيْني الدُّنيا وكانت حَقِيرة، ورجحت[١٢] أنْ لا تَعْدَم هذه الأسواق مُديرًا، ولا تَفْقِد هذه الآفاق روضةً وغديرًا. وسألت لجملتكم المحُوطة للشَّمْل، الملحوظة بعين السِّتْر والحَمْل[١٣]، عزًّا أثيرا، وخيرًا كثيرا، وأمْنًا تحمدون منه فراشًا وثيرا. وعُذْرًا أيها الأحباب، والصَّفْو اللُّباب، عن كَذْح سِنٍّ وكَبْرة، وفَلِّ استرجاع وعِبرة، اسْترقته ولجَّ الشَّغبُ[١٤] ذو النظام، والخَلْق فراشٌ يُكبُّون منّي على حطام، ورُسُل الفرنج قد غشي المنازل مُنْثالُها، ونَبَحتها[١٥] بالعشيّ أمثالُها، والمراجعات تشكون اللَّبْث[١٦]، والجُباة تستشعر

---

(١) في الريحانة: «أخزم».
(٢) في الريحانة: «أسْجاعها».
(٣) في الريحانة: «فدلَّجها».
(٤) في الريحانة: «الفرض».
(٥) في الريحانة: «الحانية».
(٦) في الريحانة: «وكُسال».
(٧) في الريحانة: «وإن عالت بنقص».
(٨) في الريحانة: «وامتكّت المعالي».
(٩) في الريحانة: «لا بنت».
(١٠) في الريحانة: «أنفاس».
(١١) في الريحانة: «أجابت».
(١٢) في الريحانة: «ورجوت».
(١٣) في الريحانة: «الجميل».
(١٤) في الريحانة: «الشعب طامّ ذو التطام».
(١٥) في الريحانة: «ونَتَّجَتْها».
(١٦) في الريحانة: «البثّ».

المكيدة والخَبْث[١]: [الطويل]

ولـو كـان هَـمًّـا واحـدًا لَبَـكَـيْـتُـه ولـكـنّـه هـمٌّ وثـانٍ وثـالـثُ

والله، عزّ وجلّ، يمتّع بأُنسكم مَنْ عَدِم الاستمتاع بسِواه، وقَصَر[٢] عليه مُتشعَّب هواه، ويُبقي بَرَكة المولى الذي هو قُطْب مدار هذه الأقمار، والأهِلَّة، لا بل مركز فَلَك المِلَّة، وسِجِلُّ حقوقها المستقلَّة، والسلام عليكم، ما حَنَّتِ النِّيب إلى الفِصال، وتعلَّلَتْ أنفسُ المُحبِّين بذكر أَزْمنة[٣] الوِصال، وكرَّت البُكَر على الآصال، ورحمة الله وبركاته.

وكتبت إلى بعض الفضلاءِ، وقد بلغني مرضه أيام كان اللحاق بالمغرب:

ورَدَتْ عليّ من فِئتي التي إليها في مَعْرِك الدهر أتحيَّز، وبفضل فضلها في الأقدار المشتركة أتميَّز، سحاءَة سرَّت وساءَت، وبلغت من القَصْدين ما شاءَت، أطلع بها صنيعة وُدِّه من شكواه على كل عابث في السُّويداءِ، موجبِ اقتحام البَيْداءِ، مُضرمِ نار الشَّفقة في فُؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، ولا من إفصاح لسانه إلّا الأنينَ والأليل، ونوًى مُدَّت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا تَسَلْ عن ضَنين تطرَّقت اليدُ إلى رأس ماله، أو عابدٍ موزع مُتَقَبَّل أعماله، وأملٍ ضُويق في فَذْلكة آماله. لكني رجَّحت دليل المَفهوم على دليل المَنطوق، وعارضت القواعد المُوحِشة بالفروق، ورأيت الخطَّ يَبْهَر والحمد لله ويَرُوق، واللفظ الحسن وَمَض في حِبْره للمعنى الأصيل بُروق، فقلت: ارتفع الوَصَب، ورُدَّ من الصِّحة المُغْتَصب، وكلَّة الحِسِّ والحركة هو العَصَب. وإذا أشرق سراجُ الإدراك حَمَل على سلامة سَليطه، والرُّوح خليط البدن والمرءُ بِخَليطه، وعلى ذلك فبَليدُ احتياطي لا يُقْنعه إلا الشَّرح، فيه يسكن الظَّمأُ البَرْح. وعذرًا عن التكليف فهو محلّ الاسْتِقصاءِ والاسْتِفْسار، والإطناب والإكثار. وزَنْد القلق في مِثلها أوْرَى، والشَّفيق بسوءِ الظن مُغْرى. والسلام.

وخاطبت بعضَهم: كتبت إلى سيدي، والخجل قد صبغ وجْهَ يَراعي، وعقَّم ميلاد إنشائي واختراعي، لمَكارمه التي أعْيَتْ مِنَّة ذِراعي، وعجز في خَوْض بحرها سَفيني وشِراعي، فلو كان فضلُه فنًّا محصورًا، لكنت على الشكر معانًا منصورًا، أو على غرضٍ مقصورًا، لزارت أَسَدًا هصُورًا، ولـم يكن فكري عن عَقائل البيان

---

(١) في الريحانة: «والحَيْف». (٢) في الريحانة: «وتُصِرُ».

(٣) في الأصل: «بذكران سنة...»، والتصويب من الريحانة.

حَصُورًا، لكنه نَجْدٌ تألّق بكل ثَنِيّة، ومكارمُ رمَت عن كلّ حَنِيَّة، ومجد سبق إلى كل أُمْنِيّة، وأيادٍ ببلوغ غايات الكمال مَغْنِيَّة. فَحسْبي الإلقاءُ باليد لغلبة تلك الأيادي، وإسْلام قيادي، إلى ذلك المجد السِّيادي، وإعفاءُ يراعي ومِدادي. فإذا كانت الغاية لا تُدْرك، فالأوْلى أن يُلقى الكَدُّ ويُترك، ولا يُعرَّج على الادِّعاءِ، ويُصرف القول من باب الخَبَر إلى باب الدُّعاءِ. وقد وصل كتاب سيِّدي مُخْتصر الحجم، جامعًا بين النَّجم والنَّجم، قريبُ عهد من يَمينه بمجاورة المَطَر السَّجْم، فقلت: اللهمّ كلِّف سيدي وأجْزِه، ومُدَّ يده بالضَّر فاخزه. ولله درُّ المثل، أشبه امرؤ بعض برّه كمالٌ واختصار، وريحان أنوفٍ وإثمد أبصار. أعلق بالرَّعي الذي لا يُقرّ بُعْد الدار من شيمته، ولا يَقْدح اختلاف العُروض والأقطار في دِيمَته. إنما نفسه الكريمة والله يقيها، وإلى معارج السعادة يُرَقِّيها، قانون يلحق أدْنى الفضائل بأقصاها، وكتابٌ لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً إلّا أحصاها. وإني وإن عجزت عما خصَّني من عُمومها، وأحسَّني من جُموعها، لمخلّدُ ذكرٍ يبقى وتذهبُ اللُّها، ويُعلى مباني المجد تُجاوز ذُوابها السُّها، ويذيع بمخايل المُلْك فما دُونها، ممادحُ يَهْوى المِسْك أن يكونها، ويَقْطفُ له الروض المجُود غصونها، وتُكْحِل به الحُور العَيْنُ عُيونها، وتؤدي منه الأيام المتهرِّبة ديُونَها. وإن تشوَّف سيدي، بعد حمده وشكره، واستنفاد الوُسْع في إطالة حَمْده، وإطابة ذِكره، إلى الحال، ففلانٌ حفظه الله يشرح منها المُجْمل، ويبيِّن من عواملها المُلْغى والمُعْمَل. وإما اعتناءُ سيدي بالوَلَد المُكَفَّن بحرمته، فليس ببِدْع في بُعْد صيته، وعُلوِّ همَّته، على مَن تمسَّك بأذِمَّته، وفضله أكبر من أن يُقَيَّد بقصَّة، وبَذْرُ كماله أجلُّ من أن يُعَدَّل بوسطٍ أو حِصَّة. والله تعالى يحفظ منه في الولاءِ وليّ القِبلة، ووليَّ المكارم بالكَسْب والجِبلَّة، ويجعل جيش ثنائه لا يُؤتى من القِلَّة، بفضله وكرمه، والسلام الكريم عليه، ورحمة الله وبركاته. وكتب في كذا.

ومن تشوف إلى الإكثار من هذا الفن، فعليه بكتابنا المسمى بـ «ريحانة الكُتَّاب، ونُجعة المُنْتاب»(١).

رسالة السياسة

قال ابن الخطيب: ولنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عني في السِّياسة وكان إملاؤها في ليلة واحدة(٢):

(١) الكتاب مطبوع، حققه الأستاذ محمد عبدالله عنان، ويقع في مجلدين، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٠، وفيه عدة رسائل تاريخية وأدبية.

(٢) الرسالة في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٤٧ ـ ١٥٩) وريحانة الكتاب (ج ٢ ص ٣١٦ ـ ٣٢٤).

حدَّث من امتاز باعْتِبار الأخبار، وحازَ درجةَ الاشْتِهار، بنقل حوادث الليل والنهار، وولج بين الكمائم والأزهار، وتلطَّف لخجل الورد من تبَسُّم البَهار، قال:

سَهِر الرشيد ليلة[١]، وقد مال في هَجْر النبيذ ميلةً[٢]، وجهد ندماؤه في جَلْب راحته، وإلمام النوم بساحته، فشحَّتْ عِهادُهم[٣]، ولم يُغْنِ اجتهادهم. فقال: اذهبوا إلى طُرُقِ سمَّاها ورسمها، وأُمهاتِ قسمها، فمنْ عَثَرْتُمْ عليه من طارقِ ليل، أو غُثاءِ سَيْل، أو ساحبِ ذَيْل، فبلِّغوه، والأَمَنَةَ سوِّغوه، واستدعوه، ولا تَدَعُوه. فطاروا عَجالى، وتفرّقوا رُكْبانًا ورجالا، فلم يكن إلّا ارتدادُ طرف، أو فُواق حَرْف[٤]، وأتوا بالغَنيمة التي اكتسحوها، والبضاعة التي ربِحوها، يتوسَّطهم الأشْعَثُ الأغبر، واللُّجُ الذي لا يُعْبَر، شيخٌ طويل القامة، ظاهر الاستقامة، سَبَلَتُه مُشْمَطَّة، وعلى أنْفه من القُبْح[٥] مَطَّة، وعليه ثوبٌ مرقوع، لطير الخَرْق[٦] عليه وقوع، يُهَيْنِمُ بذكرِ مسموع، ويُنْبىء عن وقت مجموع. فلما مَثَلَ سَلَّم، وما نَبَس بعدها ولا تكلَّم. فأشار إليه الملك[٧] فقعد، بعد أن انْشمر وابتعد، وجلس، فما استرقَّ النظر ولا اخْتَلس، إنما حركة فكره، معقودةٌ بزمام ذِكْره، ولحظات اعتباره، في تفاصيل أخباره. فابتدرَه الرشيد سائلًا، وانحرف إليه مائلًا، وقال: ممنَّ الرجل؟ فقال: فارسيُّ الأصْل، أعْجميُّ الجِنْس عربيُّ الفَصْل، قال: بلدك، وأهلك وَوَلدك؟ قال: أمّا الوَلَدُ فولد الدِّيوان، وأمّا البلدُ فمدينة الإيوان. قال: النُّحْلة، وما أعملْتَ إليه الرِّحلة؟ قال: أمّا الرِّحلة فالاعتبار، وأمّا النُّحْلة فالأمور الكُبار، قال: فَنُّكَ، الذي اشتمل علية دَنُّكَ؟ فقال: الحكمة فنيَّ الذي جعلْته أثيرًا، وأضجعْتُ منه فراشًا وَثيرًا، وسبحان الذي يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٨]. وما سوى ذلك فتَبيعٌ[٩]، ولي فيه مُصْطاف وتَرْبيع[١٠]. قال: فتعاضدَ جَذَلُ الرشيد وتوفَّر، وكأنما[١١] غَشِي وجهه قطعة من الصبح إذا أسْفر، وقال: ما رأيت كاللَّيلة أجْمَعَ لأملٍ شارد، وأنْعَمَ بمؤانسة وارد. يا هذا، إني سائلك، ولن تخيبَ بَعْدُ وسائلُك، فأخبرني

---

(١) في النفح: «ليله». (٢) في النفح: «ميله».
(٣) العِهاد: جمع عَهْد وهو أول مطرِ الوسميّ.
(٤) الفُواق: ما بين الحلبتين من الوقت. والحَرْف: الناقة الضامرة.
(٥) في النفح: «القَبْع». والقَبْع: الصياح؛ يقال: قَبَعَ فلان إذا صاح.
(٦) في النفح: «الحرق»، بالحاء المهملة.
(٧) كلمة «الملك» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح، وهي كذلك ساقطة في الريحانة.
(٨) سورة البقرة ٢، الآية ٢٦٩. (٩) في النفح: «فَتَبَع».
(١٠) في النفح: «ومُرْتَبَع». (١١) في النفح: «كأنما أغشى».

بما[١] عندكَ في هذا الأمر الذي بُلينا بحمْل أعبائه، ومُنينا بمراوضة إبائه[٢]، فقال: هذا الأمر قلادةٌ ثقيلة، ومن خُطَّة العجز مُسْتقيلة، ومُفتقرة لِسَعَةِ الذَّرْع، وربط السياسة المدنية بالشَّرْع، يُفسدها[٣] الحلم[٤] في غير محلِّهِ، ويكون ذريعةً إلى حَلِّه، ويُصْلحها[٥] مقابلة الشكل بشكلِهِ: [المتقارب]

ومـن لـم يـكـن سَـبُـعًـا آكـلًا   تـداعَـتْ سـبـاعٌ إلـى أكْـلِهِ

فقال الملك: أجْمَلْتَ فَفَصِّلْ، وبَرَيْتَ فَنَصِّلْ، وكِلْتَ فأَوْصِلْ، وانْثُرِ الحَبَّ لمن يُحَوْصِل، واقْسِم السياسة فنونًا، واجعلْ لكلِّ لَقَبٍ قانونًا، وابْدَأْ بالرَّعيَّة، وشروطها المَرْعيَّة. فقال: رعِيَّتُك ودائع الله[٦] قِبَلَكَ، ومرآة العدل الذي عليه جَبَلَكَ، ولا تصل إلى ضَبْطهم إلّا بإعانته[٧] التي وهب لك. وأفضلُ ما استُدْعِيت به عَوْنُك[٨] فيهم، وكفايته التي تكفيهم، تقويمُ نفسك عند قَصْد تَقْويمِهم، ورضاك بالسَّهر لتَنْويمهم، وحراسةِ كَهْلهم ورَضِيعهم، والترفُّع عن تضْييعهم، وأخذِ كل طبقةٍ بما عليها وما لها، أخْذًا يَحُوط مالها، ويَحْفظُ عليها كمالها، ويُقَصِّر عن غير الواجب آمالها، حتى تَستَشْعرَ عَلْيَتها[٩] رأفتك وحَنانك، وتعرف أوساطُها في النَّصَب امتنانك، وتحذر سِفْلَتُها سِنانَك، وحَظْرٌ على كلِّ طبقة منها أن تتعدَّى طَوْرها، أو تخالف دَوْرها، أو تجاوزَ بأمْر طاعتك فَوْرها. وسُدَّ فيها سُبُلَ الذريعة، وأقصرْ جميعها على[١٠] خِدْمة الملك بموجب الشَّريعة، وامنع أغْنِياءَها من البَطَر والبِطالة، والنظر في شُبُهات الدين بالتَّمشدق والإطالة، وليقلَّ فيما شَجر بين السلف[١١] كلامها، وترفض[١٢] ما ينبز به أعلامُها، فإنّ ذلك يُسْقط الحقوقَ، ويرتِّب العُقوقَ. وامْنَعهمْ من فُحْش الحِرص والشَّرَهِ، وتعاهَدْهم بالمواعظ التي تَجْلُو البصائر من المَرَهِ[١٣]، واحملْهمْ من الاجتهاد في العِمارة على أحْسَن المذاهب، وانْهَهُمْ عن التحاسد على المواهب، ورُضْهُمْ على الإنفاق بقَدْر الحال، والتعزِّي عن الفائت فردُّه من المحال. وحذِّر[١٤] البُخْل على[١٥]

---

(١) في النفح: «ما».

(٢) في الأصل: «آبائه»، وكذا في الريحانة، وقد فضّلنا رواية النفح. ومراوضة إبائه: ترويضه والتغلّب عليه وجعله طوع البنان.

(٣) في النفح: «يفسده».

(٤) في النفح: «الحكم».

(٥) في النفح: «ويصلحه».

(٦) في النفح: «الله تعالى».

(٧) في النفح: «بإعانة الله تعالى».

(٨) في النفح: «عونه».

(٩) في الأصل: «عليُها»، والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «عن».

(١١) في النفح: «الناس».

(١٢) في النفح: «ويرفض ما تنبز».

(١٣) في الأصل: «الموه»، والتصويب من النفح.

(١٤) في النفح: «وحَدِّد».

(١٥) في النفح: «عن».

أهل اليسار، والسَّخاء على أُولي الإعْسار. وخُذْهُمْ من الشَّريعة بالواضح الظاهر، وامْنَعْهُمْ من تأويلها مَنْعَ القاهر. ولا تُطْلِقْ لهم التَّجمُّع على مَن أنكروا أمْرَه في نواديهم، وكُفَّ عنهم أكُفَّ تعدِّيهم، ولا تُبِحْ لهم تغيير ما كرِهوه بأيديهم. ولْتَكُنْ غايتهم، فيما توجَّهَتْ إليه إبايَتُهم، ونكَصَتْ عن الموافقة عليه رايَتُهم، إنْهاؤه[١] إلى مَنْ وَكَلْتَه بمصالحهم من ثِقاتك، المحافظين على أوقاتك. وقَدِّمْ منهم من أمِنْتَ عليهم مَكْرَه، وحَمِدْتَ على الإنصاف شكره، ومَنْ كَثُرَ حياؤه مع التَّأنيب، وقابل الهَفْوَةَ باستقالة[٢] المُنِيب، ومن لا يَتَخَطَّى عندك[٣] محلَّه، الذي حَلَّه، فربما عَمَد إلى المُبْرَم فَحَلَّه. وحَسِّنِ النِّية لهم بجَهْد الاستطاعة، واغْتَفِرِ المكاره في جنب حُسْنِ الطاعة. وإن ثار جَرادُهم، واخْتَلف في طاعتك مُرادُهم، فَتَحَصَّنْ لثورتهم، واثْبَتْ لفَوْرتهم، فإذا سألوا وسَلَّوا، وتفرّقوا وانْسَلُّوا، فاحتقِرْ كثرتهم، ولا تُقِلْ عَثْرَتَهُمْ[٤]، واجعلْهُمْ لما بين أيديهم وما خلفهم نَكالًا، ولا تترك لهم على حِلْمك اتِّكالًا.

ثم قال: والوزير الصالح أفضلُ عُدَدِك، وأوْصَلُ مَدَدِك، فهو الذي يصونُك عن الابْتِذال، ومباشرة الأنْذال، ويَثِبُ لك على الفرصة، وينوب في تجرُّع الغصَّة، واستجلاءِ القِصَّة، ويستحضر ما نَسِيتَه من أُمورك، ويُغلِّب فيه الرأي بموافقة مأْمُورك، ولا يَسَعُه ما تُمْكنك المسامحةُ فيه، حتى يَسْتَوْفيه. واحذرْ مُصادمة تيَّاره، والتجوُّز في اخْتِياره، وقدِّم استخارة الله في إيثاره، وأرْسِل عيون الملاحظة في[٥] آثاره، وليكن معروف[٦] الإخلاص لدولتك، مَعْقُود الرِّضا والغضب برِضاك وصَوْلتك، زاهدًا عمّا في يديك، مؤثرًا كلَّ[٧] ما يُزْلِفُ لديك، بعيد الهمةَّ، راعيًا للأذِمَّة[٨]، كامل الآلة، محيطًا بالإيالة، رَحْب[٩] الصَّدر، رفيع القَدْر، معروف البَيْت، نبيهَ الحيِّ والمَيْت، مؤثرًا للعدل والإصلاح، دَرِبًا[١٠] بحمل السِّلاح، ذا خبرة بدَخْل المملكة وخَرْجها، وظَهْرها وسَرْجها، صحيح العَقْد، متحرِّزًا من النَّقْد، جادًّا عند لَهْوك، متيقِّظًا في حال سَهْوِك، يَلينُ عند غضبك، ويَصِلُ الإسْهاب بمقْتَضِبك[١١]، قلقًا من شكره دونك

(١) في النفح: «إنهاءه».
(٢) في النفح: «باستتابة».
(٣) في النفح: «عن».
(٤) تُقِلْ: من أقال الله عثرتك: رفعك من سقوطك، والعَثْرة: السقطة. يقول: لا تساعِدْهُمْ على النهوض من عثرتهم.
(٥) في النفح: «على».
(٦) في النفح: «معروفًا بالإخلاص».
(٧) في النفح: «لكل».
(٨) الأذِمّة: جمع ذمام وهو العهد.
(٩) في النفح: «رحيب».
(١٠) في الأصل: «دَرِبًا»، والتصويب من النفح.
(١١) المقتضب: الموجز.

وحَمْده، ناسبًا لك الأصالة[١] بعَمْده. وإن أعيا عليك وجودُ أكثر هذه الخِلال، وسبق إلى نَقِيضها[٢] شيءٌ من الاختِلال، فاطلبْ منه سُكونَ النَّفْس وهدونها[٣]، وأن لا يرى منك رُتْبةً إلّا رأى قَدْرَه دونها، وتقوى الله تَفْضُلُ شرفَ الانْتِساب، وهي للفضائل فَذْلَكَةُ الحِساب. وساوِ في حِفْظ غَيْبه بين قُرْبه ونَأْيه، واجعلْ حَظَّه من نِعْمتك موازيًا لحظِّك مِنْ حُسْن رأيه، واجتَنِبْ منهم من يرى في نفسه إلى المُلْك سبيلًا، أو يقُود من عِيصه للاستظهار عليك قَبِيلًا، أو من كاثر مالَكَ مالُه، أو من تقدم لعدوِّك استِعْماله، أو من سَمَتْ لسواك آماله، أو من يَعْظُم عليه إعراضُ وجهك، ويهمُّه نادرة[٤] نَهْجك[٥]، أو من يُداخلُ غير أحْبابك، أو من ينافسُ أحدًا ببابك.

وأمّا الجند فاصْرِفِ التَّقويم[٦] منهم للمقاتلة، والمكايدة المُخاتلة[٧]، واسْتَوفِ عليهم شرائط الخِدْمة، وخُذْهُمْ بالثَّبات للصَّدْمة، ووفِّ ما أوْجَبْتَ لهم من الجِراية والنِّعْمة، وتَعاهَدْهُم عند الغِناءِ بالعَلَفِ[٨] والطُّعمة، ولا تُكرِّمْ منهم إلّا من أكرمه غَناؤه، وطاب في الذَّبِّ عن ملّتك[٩] ثناؤه، ووَلِّ[١٠] عليهم النُّبهاءَ من خِيارهم، واجتهدْ في صَرْفهم عن الافتِنان بأهْلِهم[١١] ودِيارهم، ولا توطِّئْهم الدَّعَة مهادًا، وقَدِّمْهُمْ على حِفْظك[١٢] وبُعوثك متى[١٣] أرَدْتَ جهادًا، ولا تُلِن[١٤] لهم في الإغماض عن حُسْن طاعتك قيادًا، وعوِّدْهُم حُسْنَ المواساة بأنفسهم اعتيادًا، ولا تسمحْ لأحد منهم في إغفال شيءٍ من سلاحِ اسْتِظْهاره، أو عُدَّةِ اشْتِهاره، وليكنْ ما فَضَل عن[١٥] شبعهم وريِّهم، مصروفًا إلى سِلاحهم وزِيِّهم، والتَّزيُّد في مراكبهم وغِلْمانهم، من غير اعْتِبار لأثمانهم. وامْنَعهمْ من المُسْتَغَلّات والمتاجر، وما يُتَكسَّب منه غير المشاجر، وليكن من الغَزْو اكتسابُهم، وعلى المغانم حسابُهم، كالجوارح التي تُفْسد باعتيادها، أن تَطْعَمَ من غير اصْطِيادها. واعلمْ أنها لا تَبذل نفوسها من عالم الإنسان، إلّا لمن يملك قلوبها بالإحسان وفضل اللِّسان، ويملك حركاتَها بالتَّقويم، ورُتَبَها بالميزان القَويم، ومن تثق بإشفاقها[١٦] على أولادها،

(١) في النفح: «الإصابة». (٢) في النفح: «نقضها».
(٣) في الأصل: «وهدونها»، والتصويب من النفح. وهُدونُ النفس: سكونها.
(٤) في النفح: «نادرُ». (٥) في النفح: «نجهك».
(٦) في النفح: «التقديم». (٧) في النفح: «والمخاتلة».
(٨) في النفح: «بالعَلْفة». (٩) في النفح: «ظَنِّك».
(١٠) في الأصل: «ودُلّ»، والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «بأهليهم».
(١٢) في النفح: «حصصك». (١٣) في النفح: «مهما».
(١٤) في المصدر نفسه: «ولا تُلَيِّنْ». (١٥) في النفح: «من».
(١٦) في النفح: «بإشفاقه».

وتشتري[١] رضا الله بصبرها[٢] على طاعته وجلادها. فإذا اسْتَشْعَرْتَ لها هذه الخلالَ تقدمتك إلى مواقف التَّلف، مطيعةً دواعي الكَلَف، واثقةً منك بحسن الخَلَف. واسْتَبِقْ إلى تمييزهم اسْتِباقًا، وطبِّقْهُمْ طِباقًا، أعلاها من تأمَّلْتَ منه في المحاربة عنك إحظارًا[٣]، وأبْعَدُهُم في مَرْضاتك مَطارًا[٤]، وأضْبَطُهُم لما تحت يدك[٥] من رجالك حَزْمًا ووقارًا، واستهانةً بالعظائم واحتقارًا، وأحْسَنُهُم لمن تُقَلِّده أمْرَك من الرعيَّة جِوارًا، إذا أجَدْت اختيارًا، وأشدُّهُم على مُماطلة من مارسه من الخوارج عليك اضْطِبارًا. ومَنْ بَلا[٦] في الذبِّ عنك[٧] إخْلاءً وإمْرارًا، ولحقه الضُّرّ في معارك[٨] الدفاع عنك مِرارًا. وبَعْده مَنْ كانت محبَّته لك أكثرَ[٩] من نَجْدته، ومَوْقعُ رأيه أصْدَقَ[١٠] من موقع صَعْدته[١١]. وبعده[١٢] مَنْ حَسُنَ انْقِيادُه لأمرائك، وإخْمادُه لآرائك، ومَنْ جعل نفسه من الأمر حيث جعله[١٣]، وكان صَبْرَه على ما عراه أكثر من اعْتِداده بما فعله. واحْذَرْ منهم مَن كان عند نفسه أكبرَ من مَوْقِعه في الانتفاع، ولم يَسْتح[١٤] من التزيُّد بأضعاف ما بذله من الدِّفاع، وشكا البخْس فيما تعذَّر عليه من فوائدك، وقاسَ بين عوائد[١٥] عدوِّك وعوائدك، وتَوَعَّدْ بانتقاله عنك وارْتِحاله، وأظْهِرِ الكراهية لحاله.

وأما العُمَّال فإنهم يُنبئون[١٦] عن مَذْهَبك، وحالهم في الغالب شديدة الشَّبَه بِك، فَعَرِّفْهم في أمانتك السَّعادة، وألْزِمْهمْ في رعيَّتك العادة، وأنْزِلْهمْ من كرامَتِك بحسب منازلهم في الاتِّصاف، بالعدل والإنصاف، وأحِلَّهُمْ من الحِفاية، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكِفاية، وقِفْهم عند تَقْليد الأرجاءِ، مواقف الخوف والرَّجاءِ، وقَرِّرْ في نفوسهم أنّ أعْظَم ما به إليك تقرَّبوا، وفيه تدرَّبُوا، وفي سبيله أعْجَمُوا وأعْرَبُوا، إقامةُ حقٍّ ودَحْضُ باطل[١٧]، حتى لا يشكو غَريمٌ مَطْلَ ماطل، وهو آثر لديك من كل رَباب[١٨] هاطِل. وكُفَّهم من الرِّزق الموافق، عن التصدّي لدنيِء المرافق. واصْطَنِعْ منهم من تيسَّرت كُلْفتُه، وقويتْ للرعايا أُلْفَته، ومن زاد على تَأْمِيله صَبْرُه، وأرْبَى على

---

(١) في النفح: «ويشتري».
(٢) في النفح: «بصبره».
(٣) في النفح: «أخطارًا».
(٤) يريد أنه أسرع في إنجازه غاية السرعة.
(٥) في النفح: «يده».
(٦) بلا: اختبر وجرَّب.
(٧) في النفح: «في الذي عَنَّ لك إحلاءً...».
(٨) في النفح: «معارض».
(٩) في النفح: «أزيد».
(١٠) في المصدر نفسه: «أنفع».
(١١) الصَّعْدة: القناة المستوية، أي الرمح.
(١٢) في النفح: «وبعدهما».
(١٣) في الأصل: «جعلته»، والتصويب من النفح.
(١٤) في النفح: «يَسْتَحْي».
(١٥) العوائد: جمع عائدة وهي الأمر النافع.
(١٦) في الأصل: «يبينون»، والتصويب من النفح.
(١٧) دَحْضُ الباطل: إبطاله.
(١٨) الرَّباب: السَّحاب الأبيض.

خَبَره خُبْرُه، وكانت رغبته في حُسْن الذِّكر، تَشِفُّ[١] على غيرها من بنات الفِكر، واجتنبْ منهم من غلب[٢] عليه التَّخرُّق في الإنفاق، وعدم الإشْفاق، والتنافس في الاكْتِساب، وسَهُلَ عليه سوءُ الحِساب، وكانت ذريعته المُصانعة بالنِّفاية، دون التَّقصِّي والكِفاية، ومن كان منشؤه خاملًا، ولأعْباءِ الدَّناءَة حامِلًا، وابْغِ مَنْ يكون الاعتذار في أعماله، أوْضَحَ من الاعتذار في أقواله، ولا يَفْتننَّك من[٣] قلَّدته اجتلاب الحظِّ المُطمِع[٤]، والتَّنفُّق بالسَّعي المُسْمع، ومخالفة السُّنن المرعيَّة وإتْباعِه رضاك بسُخْط الرعيَّة، فإنه قد غَشَّك، من حيث بَلَّكَ ورَشَّكَ، وجعل مَنْ يمينك في شمالك، حاضر مالك. ولا تُضَمِّنْ عاملًا مال عمله، وحُلْ بينه فيه وبين أمَلِه، فإنَّك تُمِيتُ رُسومك بمُحَيّاه، وتُخْرجُه من خدمتك فيه إلَّا أن تُمَلِّكَه إيَّاه. ولا تجْمَع له في[٥] الأعمال فيُسْقِط استِظْهارك ببلَدٍ على بلد، والاحتجاج على والد بولَد، واحْرِصْ على أن يكون في الولاية غريبًا، ومُتَنقَّله منك قريبًا، ورَهِينةً لا يزال معها مُرِيبًا، ولا تقبلْ مصالحته على شيءٍ اخْتَانَه، ولو برغيبة فَتّانه، فتقبلَ المصانعةَ في أمانتك، وتكون مشاركًا له[٦] في خِيانتِك، ولا تُطِلْ مدَّة العمل، وتعاهَدْ كَشْفَ الأُمور ممَّن يَرْعى الهَمَل، ويبلغ الأمل.

وأما الولد فأحْسِنْ آدابهم، واجعلِ الخير دَابهم[٧]، وخَفِّفْ عليهم من إشفاقك وحَنانك، أكثر من غِلْظَةِ جَنانك، واكتمْ عنهم مَيْلك، وأفِضْ عليهم جُودك ونَيْلك، ولا تستغرق بالكَلَف بهم يومَكَ ولا لَيْلَك، وأثِبْهُمْ على حُسْنِ الجواب، وسَبِّق إليهم[٨] خوف الجزاءِ على رجاءِ الثواب، وعلِّمهم الصَّبْرَ على الضَّرائر، والمُهْلة عند استخفاف الجرائر، وخُذْهُمْ[٩] بحسن السَّرائر، وحَبِّبْ إليهم مراس الأُمور[١٠] الصعبة المِراس، وحَصِّنِ[١١] الاصطناع والاغتراس، والاستكثار من أُولي المراتب والعلوم، والسياسات والحُلوم، والمقام المعلوم، وكَرِّهْ إليهم مجالسة المُلْهين، ومصاحبة السَّاهين، وجاهِدْ أهواءَهُمْ عن عقولهم، واحْذَر[١٢] الكذبَ على مَقُولهم، ورَشِّحْهُمْ

---

(١) في النفح: «تَشفّ على بنات...».
(٢) في النفح: «يغلب».
(٣) في النفح: «ممن».
(٤) في النفح: «المقنع».
(٥) في النفح: «بين».
(٦) كلمة «له» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٧) أصل القول: «دأبهم»، وقد حذف الهمزة مراعاة للسَّجع. والدأب: العادة.
(٨) في النفح: «لهم».
(٩) في الأصل: «وخذْ لهم»، والتصويب من النفح.
(١٠) مراس الأمور: ممارستها ومزاولتها واختبارها.
(١١) في النفح: «وحُسْنَ».
(١٢) في النفح: «وحَذِّر».

إذا أنِسْتَ منهم رُشْدًا أو هَدْيًا، وأرْضِعْهُمْ من المُؤازرة والمُشاورة ثَدْيًا، لِتُمَرِّنهم على الاعتياد، وتحملهم على الازدِياد، ورُضْهُمْ رياضة الجياد، واحْذَرْ عليهم الشهوات فهي داؤهم، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم. وتَدارَكِ الخُلُقَ الذَّميمة كلّما نَجَمَتْ، واقْدَعْها إذا هجمتْ، قبل أن يظهر تَضْعِيفُها، ويقوى ضعيفها، فإن أعجزتك في صِغرهم[1] الحيل، عظُم الميل: [البسيط]

إنّ الغصونَ إذا قَوَّمْتَها اعتدلتْ ولن تَلينَ إذا قَوَّمْتَها الخشبُ

وإذا قدروا على التدبير، وتَشَوَّفوا للمحلّ الكبير، فلا[2] تُوَطِّنْهم في مكانك، جهْد إمكانك، وفَرِّقْهم في بُلدانك، تفريق عِبْدانك. واستعملْهُم في بعوث جهادك، والنيابة عنك في سبيل اجْتِهادك، فإنَّ حَضرتَك تُشْغلهم بالتَّحاسد، والتَّباري والتَّفاسد. وانظرْ إليهم بأعين الثِّقات، فإنّ عين الثقة، تُبْصِرُ ما لا تُبْصِرُ عين المحبَّة والمِقَة.

وأمّا الخدم فإنهم بمنزلة الجوارح التي تُفَرِّق بها وتجمع، وتُبْصر وتسمع، فَرُضْهُمْ بالصدق والأمانة، وصُنْهُمْ صَوْن الجُمانة[3]، وخُذْهُمْ بحسن الانقياد إلى ما آثرته، والتقليل ممّا استكثرته. واحذرْ منهم من قويتْ شَهَواته، وضاقتْ عن هواه لَهَواته، فإنّ الشهوات تنازعك في اسْتِرقاقه، وتشاركك في اسْتِحقاقه. وخَيرهُم من سَتَر ذلك عليك[4] بلطف الحيلة، وآداب للفساد مخيلة[5]. وأشْرِبْ قلوبهم أنّ الحقَّ في كلّ ما حاولته واستنزلْتَه، وأنّ الباطل في كلّ ما جانَبْتَه واعتزلْتَه، وأنَّ مَنْ تَصَفَّحَ منهم أمورك فقد أذْنَب، وبايَنَ الأدبَ وتجنَّب. وأعْطِ من أكْدَدْته، وأضَقْتَ منهم مَلْكَه وشَدَدْتَه، رَوْحَةً يشتغلُ فيها بما يُغنيه[6]، على حَسَب صعوبة ما يُعانيه، تُغْبطهم فيها بمسارحهم، وتُجمُّ كليلةَ جوارحهم. ولتكنْ عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يُبْطر أعلامَهم، ولا يُؤْسِف الأصاغرَ فيُفْسِد أحلامهم، ولا تَرِم مُحْسِنَهُمْ بالغاية من إحسانك، واتركْ لمزيدهم فَضْلةً من رِفْدك ولِسانك. وحذِّرْ عليهم مخالفتك ولو في صلاحك، بحدّ سلاحك. وامنعهمْ من التَّواثُب والتَّشاجُر، ولا تحمد لهم شِيَم التَّقاطع والتَّهاجر، واستخلصْ منهم لسرِّك مَنْ قَلَّتْ في الإفشاءِ ذنوبُه، وكان أصبرهم[7] على ما يَنُوبه، ولودائعك من كانت رغبتُه في وظيفة لسانك، أكثر من رغبته في إحْسانك،

---

(١) في النفح: «الصغر».
(٢) في النفح: «إياك أن».
(٣) في الأصل: «الجفانة»، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «عنه».
(٥) في النفح: «محيلة» بحاء مهملة.
(٦) في النفح: «يعنيه».
(٧) في النفح: «أصْبَرَ».

وضَبْطُه لما تقلّده(١) من وديعتك، أحبُّ إليه من حُسْن صَنِيعتك. وللسِّفارة عنك مَنْ خَلا الصدق في فمه، وآثره ولو بإخطار دَمِه، واسْتَوفى لك وعليك فَهْم ما تَحَمَّلَهُ، وعُني بلفظه حتى لا يُهْمله، ولمن تُودعه أعداءَ دولتك مَنْ كان مقصور الأمل، قليل القول صادق العمل، ومن كانت قَسْوته زائدة على رَحْمته، وعَظْمُه في مَرْضاتك آثر من شَحْمته، ورأيه في الحذر سَدِيد، وتَحَرُّزُه من الحِيل شديد. ولخدمتك في ليلك ونهارك مَنْ لانَتْ طباعه، وامتدَّ في حُسْن السَّجية باعُه، وآمَن كَيْدُه وغَدْرُه، وسَلم من الحِقْد صَدْرُه، ورأى المَطامع فما طمع، واستَثْقَل إعادة ما سمع، وكان بَريئًا من المَلال، والبِشْرُ عليه أغلبُ الخِلال. ولا تؤنسهم منك بقَبيح فعل ولا قول، ولا تُؤيِسْهم من طَوْل(٢). ومَكِّنْ في نفوسهم أنَّ أقوى شُفَعائهم، وأقرب إلى الإجابة من دُعائهم، إصابة الغرض فيما به وُكِلوا، وعليه شُكِّلوا، فإنَّك لا تعدم بهم انْتِفاعًا، ولا يَعْدمون لديك ارتفاعًا.

وأمّا الحُرَم فهنّ(٣) مَغارس الوُلْد، ورياحين الخُلْد، وراحة القَلْب الذي أجْهَدته الأفكار، والنَّفس التي تقسَّمها الإحماد إلى المساعي والإنكار(٤)، فاطلبْ منهنّ من غَلَب عليهنّ من حسن الشِّيم، المترفِّعة عن القيم، ما لا يسوءُك في خَلَدك، أن يكون في وَلَدِك، واحذرْ أن تجعل لفكر بشرٍ دون بصر إليهنَّ سبيلًا، وانصبْ دون ذلك عذابًا وَبيلًا(٥)، وأَزعِجهنَّ من النِّساءِ العُجُزِ مَنْ فاقتْ(٦) في الدِّيانة والأمانة سبله(٧)، وقَوِيَتْ غَيْرتُه ونُبْله، وخُذْهنَّ بسلامة النِّيّات، والشيم السَّنِيَّات، وحسن الاسْتِرسال، والخُلُق السَّلْسال. وحظِّر(٨) عليهنّ التَّغامُز والتَّغاير، والتَّنافس والتَّخاير، وآسِ(٩) بينهنّ في الأغراض، والتَّصامم عن الإغراض، والمُحاباة بالأعراض. وأقْلِلْ من مخالطتهنّ فهو أبْقَى لهِمَّتك، وأسْبلُ لحُرْمتك، ولتكنْ عشرتك لهنّ عند الكلال والمَلال، وضيق الاحتمال، بكثرة الأعمال، وعند الغضب والنَّوم، والفراغ من نَصَب اليوم. واجعلْ مَبيتَكَ بينهنّ تَنُمّ بركاتُك، وتَسْتتِرْ حركاتك، وافصلْ من ولدتْ منهنّ إلى مسكن يُخْتبرُ فيه استقلالُها، وتُعْتَبر(١٠) بالتفرُّد خلالُها. ولا تطلقْ لحرمةٍ شفاعةً ولا تدبيرًا، ولا تَنُطْ بها من الأمْر صغيرًا ولا كبيرًا، واحذرْ أن يظهر على خَدَمهنَّ في خروجهنّ عن القصور، وبروزهن من

(١) في النفح: «تقلّد».
(٢) الطَّوْل: الفضل والنعمة.
(٣) في الأصل: «منهم»، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «والإفكار».
(٥) الوبيل: الشديد.
(٦) في النفح: «بانَتْ».
(٧) في الأصل: «سبيله»، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «وحَذِّرْ».
(٩) آسِ بينهنّ: سَوِّ بينهنّ.
(١٠) في الأصل: «ويعتبر»، والتصويب من النفح.

أَجَمَة الأسد الهَصُور[١]، زِيِّ مُفارع[٢]، ولا طيبٌ للأنوف مُسارع، واخصص بذلك مَنْ طعن في السِّن، ويئِس من الإنس والجنّ، ومن توفَّر النزوع إلى الخيرات قبله، وقَصَر عن جمال الصورة ووُسِم[٣] بالبَلَه.

ثم لمّا بَلَغ إلى هذا الحَدّ، حَمِي وَطِيس اسْتِجفاره، وختم حِزْبَهُ باستغفاره، ثم صمت مَلِيًّا، واستعاد كلامًا أوّليًا. ثم قال: واعلمْ يا أمير المؤمنين، سدَّد الله سَهْمَك لأغراض خلافته، وعَصَمك من الزمان وآفته، أنك في مجلس الفصل، ومُباشرة الفَرْع من مُلْكِك والأصل، في طائفةٍ من عزِّ الله تَذُبُّ عنك حُماتها، وتدافع عن حَوْزتك كماتها، فاحذرْ أن يَعْدل بك غضبك عن عدل تُزْري منه ببضاعة، أو يهجم بك رِضاك على إضاعة. ولتكنْ قدرتك وقْفًا على الاتصاف، بالعدل والإنصاف، واحكمْ بالسَّويَّة، واجنحْ بتدبيرك إلى حُسْن الرَّويَّة. وخَفْ أن تقعدَ بك أناتُك عن حزم تعيَّن، أو تستفِزُّك العجلة في أمر لم يتَبيَّن. وأطِع الحجَّة ما توجَّهت عليك[٤]، ولا تَحْفَلْ بها إذا كانت إليك[٥]، فانقيادُك إليها أحْسَنُ مِنْ ظَفَرك، والحقُّ أجْدى من نَفَرك. ولا تَرُدَّنَّ النصيحة في وجه، ولا تقابلْ عليها بنَجْه، فتمْنَعها إذا استدعيتها، وتُحْجَب عنك إذا استَوْعيتها، ولا تستدعها من غير أهلها، فيُشْغِبك أُولو الأغراض بجهلها. واحرصْ على أن لا يَنْقضي مجلسٌ جَلَسْته، أو زمنٌ اخْتَلسْته، إلّا وقد أحْرَزْتَ فضيلة زائدة، أو وثقْتَ منه في مَعادك بفائدة، ولا يَزْهدنَّك في المال كثرته، فتقلَّ في نفسك أثْرَته. وقِسِ الشَّاهد بالغائب، واذكرْ وقوع ما لا يُحْتَسب من النوائب، فالمالُ المصون، أمْنَع الحصون. ومَنْ قلَّ مالُه قَصُرَت آماله، وتهاونَ بيمينه شمالُه، والمَلِك إذا فقد خَزِينُه، أنْحَى[٦] على أهل الجِدَة التي تَزِينه، وعاد على رعيَّته بالإجحاف، وعلى جبايته بالإلْحاف، وساءَ مُعْتادُ عَيْشه، وصَغُر في عيون جَيْشه، ومَنُّوا عليه بنَصْره، وأنِفُوا من الاقتِصار على قَصْره. وفي المال قُوَّة سماوية تَصْرف الناس لصاحبه، وتربُط آمال أهل السِّلاح به. والمال نعمةُ الله تعالى فلا تجعله ذريعةً إلى خِلافه، فتجمع بالشَّهوات بين إتْلافِك وإتلافه. واسْتأْنس بحسن جوارها، واصْرِفْ في حقوق الله بعضَ أطوارها، فإنْ فَضَلَ المالُ عن الأجل فأجَلّ[٧]، ولم يضر ما تلف[٨] منه بين يدي الله عَزَّ وجلّ. وما يُنْفق في سبيل الشَّريعة، وسَدِّ الذريعة، مأمول خَلَفُه،

---

(١) الأسد الهصور: الشديد الوثبة الذي يكسر فريسته ويهصرها.
(٢) في النفح: «بارع».
(٣) في النفح: «ورسم».
(٤) في النفح: «إليك».
(٥) في النفح: «عليك».
(٦) في النفح: «أخنى».
(٧) أجلّ: أعظم، أفعل التفضيل من الجلالة.
(٨) في النفح: «خلف».

وما سواه فمُسْتَيْقَنٌ[١] تَلَفُه. واستخلصْ لحضور[٢] نواديك الغاصَّة، ومجالسك العامَّة والخاصَّة، مَنْ يليق بولُوج عَتَبها، والعُرُوج[٣] لرُتَبها. أما العاميَّة فَمَنْ عَظُم عند الناس قَدْرُه، وانشرح بالعِلم صَدْرُه، أو ظهر يَسارُه، وكان لله إخْباتُه وانْكِسارُه، ومن كان للفُتْيَا مُنْتَصِبًا، وبتاجِ المَشُورة مُعْتَصِبًا. وأما الخاصِّيَّة فمن رَقَّتْ طباعُه، وامتدَّ فيما يليق بتلك المجالس باعُه، ومَنْ تَبَحَّر في سِيَر الحكماءِ، وأخلاق الكُرماءِ، ومن له فضلٌ سافرٌ، وطبع للدَّنيَّة مُنافِر، ولديه من كل ما تَسْتَتِر به الملوك عن العوام حظٌّ وافر. وصِفْ ألْبَابهم بمحصول خيرك، وسَكِّنْ قُلوبهم بيُمْنِ طَيْرك، وأغْنِهِمْ ما قَدِرْتَ عن غَيْرك.

واعلمْ بأنّ مَواقع العلماءِ من مُلْكِك مواقعُ المشاعل المتألِّقة، والمصابيح المُتعلِّقة، وعلى قَدْر تَعاهُدها تَبْذِلُ من الضِّياءِ، وتجلو بنورها صُوَرَ الأشياءِ، وفَرِّغها[٤] لتَحْبير ما يُزَيِّن مدتك، ويُحَسِّنُ من بَعد البلاء جِدَّتك. وبعناية الأواخر، ذُكرت الأُوَل[٥]، وإذا مُحيَت المفاخرُ، خَرِبت الدُّول. واعلمْ أنّ بقاءَ الذِّكر مشروط بعمارة البُلْدان، وتَخْليد الآثار الباقية في القاصِي منها والدَّان، فاحرصْ على ما يُوضِّح في الدهر سبُلَك، ويحُوز[٦] المزيَّة لك على من قَبْلك، وأنَّ خير الملوك من ينطق بالحجَّة وهو قادرٌ على القَهْر، ويَبْذل الإنصاف في السِّر والجَهْر، مع التمكُّن من المال والظُّهْر. ويسار الرعية جمالٌ للمُلْك وشَرَف، وفاقَتُهُم من ذلك طَرَف، فغلِّبْ أيْنَق[٧] الحالين بمحلِّك، وأولاهما بظَعْنك[٨] وحِلِّك. واعلمْ أنّ كرامة الجَوْر دائرة، وكرامة العدل مُكاثِرة[٩]، والغلَبة بالخير سِيادَة، وبالشَّرِّ هَوادَة.

واعلمْ أنّ حُسْن القيام بالشَّريعة يَخْسِمُ عنك نِكايةَ الخَوارج، ويسمو بك إلى المَعَارج، فإنها تَقْصِدُ أنواع الخِدع، وتُورِي بتغيير البِدَع. وأطلقْ على عدوِّك أيدي الأقوياءِ من الأكْفاءِ، وألْسِنةَ اللَّفيفِ من الضُّعفاءِ، واستَشْعِرْ عند نكْثه شِعارَ الوَفاءِ. ولتكنْ ثقتك بالله أكثرَ من ثقتك بقوة تَجِدُها، وكَتيبةٍ تُنْجدها، فإنَّ الإخلاص يمنحك قوى لا تُكْتَسب، ويُهديك[١٠] مع الأوقات نصرًا لا يُحْتَسب. والتمسْ سِلْمَ[١١] من

---

(١) في النفح: «فمتعيّن».
(٢) كلمة «الحضور» ساقطة في النفح.
(٣) العروج: الصعود.
(٤) في النفح: «وفَرِّغها» بالغين المعجمة.
(٥) في الأصل: «الأوائل»، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «ويحرز».
(٧) في النفح: «أليق».
(٨) الظّعْن: الارتحال.
(٩) في النفح: «متكاثرة».
(١٠) في النفح: «ويمهّد لك».
(١١) في النفح: «والتمسْ أبدًا سَلْمَ».

سالمك، بنَفيس[١] ما في يدك. وفَضِّلْ حاصل يومك على مُنْتَظر غَدِك، فإنْ أبى وَضَحَتْ مَحَجَّتُك، وقامت عليه للناس[٢] حُجَّتُك، فللنفوس على الباغين مَيْل، ولها من جانبه نَيْل، واسْتَمِدَّ[٣] كل يوم سِيرَة من يُناويك، واجتهدْ أن لا يُباريك[٤] في خير ولا يُساويك، وأكْذِبْ بالخير ما يُشَنِّعه[٥] من مَساويك، ولا تقبلْ من الإطراءِ إلّا ما كان فيك، فضلٌ عن إطالته، وجَدٌّ يُزْري ببطالته[٦]. ولا تَلْقَ المذنبَ بحميَّتك وسَبِّك، واذكرْ عند حَمِيَّة[٧] الغضب ذنوبك إلى ربِّك. ولا تَنْسَ أنَّ ذَنْبَ[٨] المُذنب أجْلَسك مجلس الفَضْل، وجعل من[٩] قَبْضَتِك رياشَ النَّصل. وتشاغَلْ في هُدْنة الأيام بالاستعداد، واعلمْ أنّ التّراخي مُنْذِرٌ بالاشْتِداد. ولا تُهْمل عَرْضَ ديوانك، واختبارَ أعْوانك، وتحصينَ مَعاقلك وقلاعك، وعُمَّ إيالتك[١٠] بحسن اضطلاعك. ولا تُشْغلْ زَمَنَ الهدنةِ بلذَّاتك، فتجني في الشِّدة على ذاتك. ولا تُطْلقْ في دولتك ألْسِنَةَ الكَهانة والإرجاف، ومُطاردة الآمال العِجاف[١١]، فإنه يبعثُ سوءَ القَوْل، ويفتحُ باب الغَوْل[١٢]. وحذِّرْ على المدرِّسين والمعلِّمين[١٣]، والعُلماءِ والمُتكلِّمين، حَمْلَ الأحداث على الشُّكوك الخالِجة، والزَّلّات[١٤] الوَالِجة، فإنه يُفْسد طباعهم، ويُغْري سِباعَهم، ويمدُّ في مخالفة المِلّة باعَهم. وسُدَّ سُبُل[١٥] الشَّفاعات فإنها تُفْسد عليك حُسْنَ الاختيار، ونفوسَ الخِيار. وابذِلْ في الأسْرى من حُسْن مُلْكَتك ما يُرْضي مَنْ مَلَّكَك رِقابَها، وقَلَّدك ثَوابها وعِقابَها. وتَلَقَّ بَدْءَ نهارك بذكر الله في ترفُّعك وابْتِذالك، واختم اليوم بمثْل ذلك. واعلمْ أنك مع كثرة حُجَّابك، وكثافة حِجابك، بمنزلة الظَّاهر للعيون، المُطالَب بالدُّيون، لشدَّة البحث عن أُمورك، وتَعَرُّف السِّرِّ الخفيِّ بين آمِرك ومأْمُورك، فاعملْ في سرِّك ما لا تَسْتَقبحُ أن يكون ظاهرًا، ولا تأْنَفْ أن تكون به مُجاهرًا، وأَحْكِمْ بريك في الله ونَحْتَكَ، وخَفْ من فَوْقَك يَخَفْك[١٦] مَنْ تَحْتك.

---

(١) في الأصل: «بنفس»، والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «للناس بذلك حُجّتك».
(٣) في النفح: «واسْتَهْد في كلِّ...». وقوله: استهدى سيرته: طلب أن يُهْدى إليها، أي طلب أن يتعرّف على أخباره.
(٤) في النفح: «يوازيك». (٥) في النفح: «يشيعه».
(٦) في النفح: «على بطالته». (٧) في النفح: «حركة».
(٨) في النفح: «رَبّ». (٩) في النفح: «في».
(١٠) الإيالة: السياسة، وأراد هنا البلاد التي يسوسها.
(١١) العِجاف: الهزيلة، واحدتها: عَجْفاء. (١٢) في النفح: «العَوْل»، بعين غير معجمة.
(١٣) في النفح: «والمتعلمين». (١٤) في النفح: «والمزلّات».
(١٥) في النفح: «سبيل». (١٦) في النفح: «يَخَفْ».

واعلمْ أنَّ عدوَّك من أتباعك من تَناسَيْت حُسْن قَرْضه، أو زادَت مؤونتُه على نصِيبه منك وفَرْضه. فأَصْمتِ الحُججَ[١]، وتَوَقَّ اللُّجج[٢]، واسْتَربْ بالأمل، ولا يَحْمِلَنْك انتظامُ الأُمور على الاسْتِهانة بالعمل. ولا تُحَقِّرَنَّ صغير الفساد، فيأْخذَ في الاسْتِئْساد. واحْبِسِ الألسنة عن التَّحالي[٣] باغتيابك، والتَّشبُّث بأذيال ثيابك، فإنّ سوءَ الطَّاعة ينتقلُ من الأعيُن الباصرة، إلى الألْسُن القاصرة، ثم إلى الأيدي المتناصرة. ولا تثقْ بنفسك في قتال عدوٍّ ناواك[٤]، حتى تظفر بعدوِّ غضبِك وهواك. وليكنْ خوفك من سوءِ تدبيرك، أكثر من عدوِّك السَّاعي في تَتْبيرك[٥]. وإذا اسْتَنْزَلْت ناجمًا[٦]، أو أمِنْت ثائرًا هاجمًا، فلا تقلِّده البَلَد الذي فيه نَجَم، وهَمى عارضه[٧] فيه وانسجم، يعظُم عليك القَدْح في اختيارِك، والغَضُّ[٨] من إيثارك، واحْترزْ من كيده في حَوْزك[٩] ومأمِّك، فإنَّك أكبرُ هَمِّه وليس بأكبر هَمِّك. وجَمِّلِ المملكة بتأْمِين الفَلَوات، وتسهيل الأقْوات، وتجويد[١٠] ما يُتَعامل به من الصَّرف في البياعات، وإجراءِ العوائد مع الأيام والسَّاعات، ولا تبخسْ عِيارَ قِيَم البضاعات، ولتكنْ يدُك عن أموال الناس مَحْجُورَة، وفي احترامها إلّا عن الثّلاثة مأجورة: مالُ مَنْ عدا طَوْرَه وطورُ[١١] أهله، وتجاوزَ[١٢] في الملابس والزِّينة، وفُضُول المدينة، يرومُ معارضتك بحَمْله[١٣]، ومَنْ باطَنَ أعداك، وأمِن اغْتِداك، ومَنْ أساءَ جِوارَ رعيَّتك بإخْساره، وبذل الأذاية فيهم بيمينه ويساره. وأضَرُّ ما مُنِيتَ به التَّعادي بين عُبْدانك، أو في بلد من بُلْدانك، فَسُدَّ فيه الباب، واسألْ عن الأسباب، وانقُلْهم بوساطة أُولي الألباب، إلى حالة الأحْباب. ولا تطوِّق الأعلام أطواقَ المَنُون، بهواجِسِ الظُّنون، فهو أمر لا يقفُ عند حَدّ، ولا ينتهي إلى عَدّ. واجعلْ ولَدَك في اخْتِراسك، [وصِدْق مَراسك][١٤]، حتى لا يطمع في افْتِراسك.

---

(١) في الأصل: «للحجج»، والتصويب من النفح.
(٢) تَوَقَّ اللُّجَجَ: تحفَّظ من الاسترسال في الجدال.
(٣) في النفح: «التخالي»، بخاء معجمة.
(٤) أصل القول: «ناوأك»، وقد خفّف الهمزة للسجعة.
(٥) التتبير: الهلاك.
(٦) الناجم: الثائر.
(٧) العارض: السَّحاب.
(٨) الغَضُّ: الانتقاص.
(٩) في النفح: «حَوْرك». والحَوْر: العودة. والمَأَمّ: القصد.
(١٠) في النفح: «وتجديد».
(١١) في النفح: «طور».
(١٢) في النفح: «وتخارق».
(١٣) في النفح: «بجهله».
(١٤) ما بين قوسين ساقط في نفح الطيب.

ثم لمّا رأى الليلَ قد كاد ينتَصِف، وعمُوده يريدُ أنْ يَنقَصِف، ومَجال الوصايا أكثر مِمّا يَصف، قال: يا أمير المؤمنين، بَحْرُ السِّياسة زاخِر، وعمر التَّمتّع[1] بناديك العزيز[2] مُسْتَاخر، فإن أذِنْتَ في فنٍّ من فنون الأُنس يَجْذِبُ بالمقاد، إلى راحة الرُّقاد، ويُعْتِقُ النَّفْسَ بقدرة ذي الجلال، من مَلَكة الكَلال[3]. فقال: أما والله قد اسْتَحْسَنَّا ما سرَدْت، فشأنك وما أرَدْت. فاستدعى عودًا فأصلحه حتى أحْمَده[4]، وأبعد في اختياره أمَده. ثم حرّك فمه[5]، وأطال الحُسن ثَمّه، ثم تغنّى بصوت يستدعي الإنْصات، ويَصْدع الحَصاة[6]، ويستفزُّ الحليم عن وقاره، ويسْتَوْقفُ الطَّيْرَ ورزْقُ بَنِيه في مِنْقاره، وقال: [الخفيف]

صاحِ، ما أغطَرَ القبولَ بِنَمَّهْ ... أتراها أطالتِ اللبثَ[7] ثَمَّهْ؟

هي دارُ الهوى مُنى النَّفْسِ فيها ... أبَدَ الدَّهْرِ والأمانيُّ جَمَّهْ

إنْ يكنْ ما تأرَّجَ الجَوُّ منها ... واستفادَ الشَّذا وإلَّا فَمِمَّهْ

مَنْ بِطَرْفي[8] بنظرة ولأنفِي ... في رُباها وفي ثَراها بِشَمَّهْ

ذُكِرَ العَهْدُ فانتفضْتُ كأنِّي ... طَرَقَتْنِي من الملائك لَمَّهْ

وَطَنٌ قد نَضَيْتُ فيه شبابًا ... لم تُدَنِّسْ منه البُرودَ مَذَمَّهْ

بِنْتُ عنه والنفسُ من أجلِ مَن قد[9] ... خَلَّفَتْهُ خلالَه[10] مُغْتَمَّهْ

كان حُلمًا فويْحُ مَنْ أمَّل الدَّهـ ... ـر وأعماه جَهْلُه وأصَمَّهْ

تأمُلُ العيشَ بعد أن أخْلَقَ[11] الجسـ ... ـم وبنيانُه عَسيرُ المَرَمَّهْ

وغدَتْ وَفْرَةُ الشَّبيبةِ بالشَّيْـ ... ـبِ على رغم أنفها مُغْتَمَّهْ

فلقد فاز مالكٌ[12] جَعَلَ اللَّـ ... ـه إلى الله قَصْدَه ومَأمَّهْ

مَنْ يَبِتْ من غرور دنيا بهمّ ... يَلْدغ القلبَ أكْثَرَ اللهُ هَمَّهْ

---

(١) في النفح: «المتمتّع».
(٢) كلمة «العزيز» ساقطة في النفح.
(٣) الكَلال: التعب والإعياء.
(٤) في النفح: «حمده».
(٥) في النفح: «بَمّه».
(٦) أراد بالحصاة: القَلْب.
(٧) في الأصل: «البثّ»، والتصويب من النفح. واللبث: الإقامة.
(٨) في النفح: «الطرفي».
(٩) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(١٠) في الأصل: «في جلاله»، وكذا يختل الوزن والمعنى، والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «خلق».
(١٢) في النفح: «سالك».

ثم أحال اللّحن إلى لون التّنويم، فأخذ كلٌّ في النُّعاس والتّهويم، وأطال الجسَّ في الثّقيل، عاكفًا عكوف الضّاحي في المَقيل، فخاط عيونَ القَوْم، بخيوط النَّوم، وعَمَر بهم المراقد، كأنّما أدار عليهم الفراقد، ثم انصرف، فما علم به أحد ولا عَرَف. ولمّا أفاق الرشيد جَدَّ في طلبه، فلم يُعْلَم بمُنْقَلبه فأسف للفراق، وأمر بتخليد حِكَمه في بُطون الأوراق. فهي إلى اليوم تُرْوى[1] وتُنْقَل، وتُجْلى القلوبُ بها وتُصْقَل، والحمد لله ربِّ العالمين.

هذا[2] ما حضرني[3] من المنثور والمنظوم[4]، وحظُّه عندي في الإفادة[5] حظٌّ ضعيف، وغرضه، كما شاءَ الله تعالى[6]، سَخِيف، لكن الله سبحانه[7] بعباده لطيف، [سبحانه لا إلٰه إلّا هو][8].

مولدي: في الخامس والعشرين لرجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة[9]، وكم بالحيِّ ممَّن ذكرته أُلحق بالميت، وبالقَبْر قد استَبْدل من البَيْت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

قلت[10]: هنا انتهى هذا التأليف المسمّى بـ«الإحاطة في تاريخ غرناطة» بالاختصار، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار، ووهَبْناه للناظر فيه هبَةً ليست بهبة اغتصار، بل هي لتحصيله ذات انتصار. ولمَّا لم يمكنه أن يُعرِّف بمحْنَته ووفاته، رأيْتُ أنا بَعْدَه أن أُعرِّف بذلك في مُخْتَصري هذا على مَهْيَعه، وعادته، فأقول:

محنته ووفاته: رأيت تعليقًا بخط بعض العدول المعاصرين، الأذكياءِ المحاضرين، الأُدباءِ المجيدين، الطرفاءِ المقيدين، وهو صاحبنا أبو عبد الله...[11] الوادي آشي، حفظه الله، طُرْفة زمان، وحَفَظة أوان، وهو ما نصّه

(١) في النفح: «تُتْلى».
(٢) ما يزال النقل مستمرًا عن نفح الطيب (ج ٩ ص ١٦٠).
(٣) في النفح: «حضر».
(٤) كلمة «والمنظوم» ساقطة في النفح.
(٥) في النفح: «من الإجادة ضعيف».
(٦) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٧) كلمة «سبحانه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٨) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(٩) كذا جاء في نفح الطيب (ج ٧ ص ٦٩).
(١٠) القول للناسخ، وليس لابن الخطيب.
(١١) بياض في الأصول، وأبو عبد الله هذا هو محمد بن أحمد بن الحداد، الشهير بالوادي آشي، =

من تاريخ ابن خلدون، قال[١]:

ولما[٢] استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد، دار ملكه، فاتحَ[٣] ست وسبعين، استقلّ[٤] بسلطانه، والوزير محمد بن عثمان مستبدّ عليه، وسليمان بن داود من أعراب[٥] بني عسكر رديف له[٦]. وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر، عندما بويع بطنجة، على نكبة[٧] ابن الخطيب وإسلامه إليه، لما نُمي عنه أنه كان يُغْري السلطان عبد العزيز بمُلْك[٨] الأندلس. فلمّا زحف السلطان أبو العباس من طَنْجة، ولقي[٩] الوزير أبا بكر بن غازي بساحة البلد الجديد، فهزمه السلطان، ولاذ منه[١٠] بالحِصار، أوى معه ابنُ الخطيب إلى البلد الجديد خوفًا على نفسه، فلمّا[١١] استولى السلطان على البلد[١٢] أقام أيامًا، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه[١٣]، فقبضوا عليه، وأودعوه السجن[١٤]، وطيَّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر. وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب، لما[١٥] كان سليمان قد بايعه[١٦] السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغُزاة بالأندلس، متى أعاده الله إلى ملكه. فلمّا استقرّ له سلطانه، أجاز إليه سليمان سفيرًا عن[١٧] عمر بن عبد الله، ومقتضيًا عهده من السلطان، فصدَّه ابن[١٨] الخطيب عن ذلك، بأن[١٩] تلك الرياسة إنما

= وقد خرج من غرناطة إلى تلمسان. أزهار الرياض (ج ١ ص ٥٥، ٧١) ونهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين (ص ٤٩١).

(١) كتاب العبر (م ٧ ص ٧٠٧ ـ ٧١٠). والنص أيضًا في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٠٥ ـ ١٠٨) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١).

(٢) في كتاب العبر: «لمّا».

(٣) في كتاب العبر وأزهار الرياض: «فاتح سنة ستّ...».

(٤) في الأصل: «واستقلّ»، وكذا في كتاب العبر، وقد فضَّلْنا رواية النفح والأزهار.

(٥) في الأصل: «من أعراب كبير بني...»، فحذفنا كلمة «كبير»، كما في كتاب العبر. وفي النفح والأزهار: «بن أعراب كبير بني...».

(٦) في النفح: «رديفه».

(٧) في النفح: «نكبة الوزير ابن...».

(٨) في الأصل: «لِمُلْك»، والتصويب من المصادر الثلاثة.

(٩) في المصادر الثلاثة: «ولقيه أبو بكر بن...».

(١٠) في النفح والأزهار: «ولازمه بالحصار».

(١١) في كتاب العبر: «ولمّا».

(١٢) في المصدر نفسه: «البلد الجديد».

(١٣) في النفح: «على ابن الخطيب».

(١٤) في الأصل: «بالسجن»، والتصويب من المصادر الثلاثة.

(١٥) في كتاب العبر: «بما كان سليمان بن داود...».

(١٦) في الأصل: «بايع»، والتصويب من المصادر الثلاثة.

(١٧) في النفح والأزهار: «عن الوزير عمر...».

(١٨) في النفح: «الوزير ابن الخطيب».

(١٩) في النفح والأزهار: «محتجًا بأنَّ...».

هي[١] لأعياص[٢] الملك من آل[٣] عبد الحق؛ لأنهم يعسوب زَناتة، فرجع آيسًا[٤]، وحقد ذلك لابن الخطيب. ثم جاور[٥] الأندلس بمحل[٦] إمارته من جبل الفتح، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس[٧] كل واحد[٨] منهما لصاحبه[٩]، بما يُحْفظه[١٠] لما[١١] كَمَنَ في صدورهما. وحين بلغ الخبر[١٢] بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان [ابن الأحمر][١٣]، بعث كاتبه ووزيره بَعْدَ ابن الخطيب، وهو أبو عبد الله بن زَمْرك، فقدم على السلطان أبي العباس، وأُحْضر ابن الخطيب بالمَشْور[١٤] في مجلس الخاصة وأهل الشورى[١٥]، وعُرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه[١٦]، فعظم عليه[١٧] النكير[١٨] فيها، فوُبِّخ ونُكِّل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ[١٩]. ثم تلّ[٢٠] إلى محبسه، واشْتَوَروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجّلة عليه، وأفتى بعض الفقهاءِ فيه. ودسّ سليمان بن داود لبعض الأوْغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلًا، ومعهم زَعانفة جاءُوا في لفيف الخدم مع سُفراء السلطان ابن الأحمر، وقتلوه خنقًا في محبسه، وأخرجوا شِلْوه من الغد، فدفن في مقبرة باب المحروق. ثم أصبح من الغد على شأفة[٢١] قبره طريحًا، وقد جُمعت له أعواد، وأُضْرمت عليه نارًا[٢٢]، فاحترق شعره، واسودّ بشره، فأُعيد إلى حفرته. وكان في ذلك انتهاءُ محنته. وعجب الناس من هذه

---

(١) قوله: «إنما هي» ساقط في كتاب العبر.

(٢) في الأزهار: «لأعياض» بالضاد المعجمة. (٣) في النفح والأزهار: «بني».

(٤) في كتاب العبر: «فرجع سليمان يائسًا وحقد...». وفي النفح والأزهار: «فرجع سليمان وأثار حقد...».

(٥) في النفح والأزهار: «جاوز». (٦) في المصدرين السابقين: «لمحلّ».

(٧) في كتاب العبر: «يتنفس». وفي النفح: «ينفث». وفي الأزهار: «يشير».

(٨) كلمة «واحد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصادر الثلاثة.

(٩) في كتاب العبر: «بصاحبه». (١٠) يُحْفظه: يُغْضبه.

(١١) في النفح والأزهار: «مما». (١٢) في المصدرين السابقين: «خبر القبض».

(١٣) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصادر الثلاثة.

(١٤) في كتاب العبر: «بالشورى». والمشور: القصر لأنه موضع الشورى.

(١٥) قوله: «وأهل الشورى» ساقط في النفح والأزهار.

(١٦) في كتاب العبر: «في كتابته». وفي النفح والأزهار: «كتابه في المحبة».

(١٧) كلمة «عليه» ساقطة في النفح والأزهار.

(١٨) في الأصل: «النكر»، والتصويب من المصادر الثلاثة.

(١٩) في كتاب العبر: «الملأ من الناس». (٢٠) في النفح: «قُلّ». وفي الأزهار: «نقل».

(٢١) في النفح: «سافة». (٢٢) في النفح والأزهار: «نار».

السفاهة[١] التي جاءَ بها سليمان، واعتدّوها من هَناته، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته. والله فعال[٢] لما يريد. وكان، عفا الله عنه، أيام امتحانه بالسجن، يتوقّع مصيبة الموت، فيتجيش[٣] هَواتِفه بالشعر[٤] يبكي نفسه. ومِمّا قال في ذلك: [المتقارب]

بَعُدْنا وإن جاوَرَتْنا البُيوتْ | وجِئنا بوعظٍ[٥] ونحن صُمُوتْ
وأنفاسُنا سَكَنَتْ دَفْعَةً | كَجَهْرِ الصلاة تَلاهُ القُنُوتْ
وكُنّا عِظامًا[٦] فَصُرْنا عِظامًا[٧] | وكُنّا نَقُوتُ فها نحنُ قُوتْ
وكنّا شُمُوسَ سماءِ العُلا | غَرُبْنَ فناحَتْ[٨] علينا[٩] البيوت[١٠]
فكم جَدَّلَتْ[١١] ذا الحُسامَ الظُّبا | وذو البختِ كم جَدَّلَته البُخُوت
وكم سِيق للقبر في خِرْقَةٍ | فتًى مُلِئَتْ من كُساه التُّخوت
فَقُلْ للعِدا: ذَهَبَ ابنُ الخطيبِ | وفاتَ ومَنْ[١٢] ذا الذي لا يَفُوت
فمنْ[١٣] كان يَفْرَحُ منهمْ[١٤] له | فَقُلْ: يَفْرَحُ اليومَ من لا يموت

* * *

انتهى من السفر الأخير منه، حيث عرّف بنفسه وبشيوخه، رحمة الله على الجميع.

قلت: وهنا انتهى ما قصدْناه، وتمّ بحول الله ما أردْناه واسْتَوْفَيْناه واسْتَلْحَمْناه، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها، وعَمَر بالعلماءِ الأعلام، وصالحي الإسلام، عُمْرانها، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة وتسعين وثمانمائة، والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

---

(١) في المصادر: «الشنعاء».
(٢) في المصادر الثلاثة: «الفعال».
(٣) في كتاب العبر: «فتجيش». وفي النفح والأزهار: «فَتُجْهِش».
(٤) في كتاب العبر: «الشعر».
(٥) في كتاب العبر: «لوعْظٍ».
(٦) عظامًا: جمع عظيم.
(٧) العظام: جمع عظم.
(٨) في كتاب العبر: «فباحت».
(٩) في الأصل: «عليها»، والتصويب من المصادر الثلاثة.
(١٠) في المصادر الثلاثة: «السُّمُوت». والسُّمُوت: جمع سَمْت وهو الطريق أو مدار النجوم.
(١١) في الأزهار: «خَذَلَتْ».
(١٢) في كتاب العبر: «فمن».
(١٣) في المصادر الثلاثة: «ومن».
(١٤) في الأصل: «منكم»، والتصويب من المصادر الثلاثة.

الحمد لله، من كتاب «نفاضة الجراب» لابن الخطيب المذكور، رحمه الله، الذي ألّفه بالعُدوة بعد صَرْفه عن الأندلس، واستقراره بالعُدْوة بآخرة من عمره، وقُرْب وفاته، ولذلك سمَّاه «نفاضة الجراب»، قال في أثنائه ما نصُّه:

وإلى هذا العهد صدر عني من النظم والنثر بحال القلْعة، ومكان الغَمْرة، رسائل إخوانية، ومقطوعات أدبية، نُثبتها إحماضًا وإراحة؛ لتعيد مطالع هذا جمامًا، أو تهدي إليه أُنسًا، والحمد لله على البأساءِ والنَّعماءِ: [المتقارب]

جَزتْنيَ غَرْناطةُ بعد ما ... جَلَوْتُ محاسنَها بالجَلا
ولم تُبْقِ جاهًا ولا حرمةً ... ولم تُبْقِ مالًا ولا منزلا
كأني انفردْتُ بقتل الحسين ... وجَرَّدْتُ سيفيَ في كَرْبَلا
ولم أجْنِ ذنبًا سوى أنني ... صَدَعْتُ بأمداحها في المَلا
وأني صنعْتُ فيها الغَريبَ ... فصرْتُ الغريبَ أجُوبُ الفَلا
يمينًا لقد أنكَرَتْ ما جرى ... نفوس الورى وأبَتْه العُلا
وما خصَّني زمني بالعُقوق ... فكم خَصَّ[1] من فاضل مُبْتلى
أَإنْ ظَهَرَتْ نعمةُ الإلٰه ... عليَّ فألْبِسْتُ منها حُلا
أَإن قَرَّبَتْني الملوكُ الكرام ... يُقلِّدُ آخرُها الأوّلا
وإن مَكَّنَتْنيَ مِنْ أمرها ... فَشِمْتُ السيوفَ وصُنْتُ الطِّلا
وقابلْتُ بالشكر منها الصنيع ... وحاشَى لمثْلي أن يُغفلا
فأُقْسِم بالله لولا أُنوفًا ... لَجَرَّدْتُ من مِقْولي مِنْصَلا
يقدُّ الدروع ويُخْلي الدموع ... ويُلْقي على مَن عدا الله ركلا
فيترك في الناس أمثاله ... تجدُّ على رغم أنفِ البِلا
ولا خَلْقَ أجهلُ ممن يظنُّ ... بمقدار مثليَ أن يُجْهلا
وما[2] ركبت الدُّجى إذ سما ... يقلِّد للنَّجم نَضْرًا كلا
وكان لسانيَ سيفًا صقيلًا ... وكانت يَراعي قَنًا ذُبَّلا
ولكن لِيَأْتِ[3] بصبرٍ جميل ... قضاءُ الذي لم يزلْ مُجْملا
وحاسبْتُ نفسيَ فيما أمُرُّ ... فألْفَيْته البعض فيما خَلا

(١) كلمة «خصّ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «ما»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «ليته»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

وأسكنتُ ناري لِما دَعا ... وأسكنتُ يأسِي لِما غَلا
سلام عليها وإن أخْفَرَتْ ... ذِمامي وَوَجَّزتْ بالقَلا
وألبَسْتها الأمن سِتْرًا حصيفًا ... وإن هَتَكَتْ سِتْرِيَ المُسْبلا
ومِثليَ يَبْقى على عهده ... إذا أعرض الخِلُّ أو أقْبَلا

وقلت[1]: [مخلع البسيط]

مِنْ حاكمٍ بي على الفراقِ ... حُكْم زيادٍ على العراقِ
يُبْدي[2] وقد خُتِمَتْ يداه ... بالجور في أنفسٍ رقاق
وعاجَلَ النَّظْمَ بانتِثار ... وصَيَّر الشَّمْل لافْتِراق
فمنْ أكفٌ على خُدودٍ ... ومِنْ دموعٍ على تَراق
وأيّ حالٍ إلى دوام ... وما سوى الله غيرُ باق
يا سائق الرَّكْب، إنَّ نَفْسي ... من لوعة البَيْن في سِياق
رفْقًا على مُهجتي فإنّي ... قد بَلَغَتْ رُوحيَ التَّراقي
ويا رسول النَّسيم، بَلِّغْ ... بحيرة الحيِّ ما أُلاقي
وسِقْ إلى سَمْعهمْ[3] حديثًا ... من أرضهمْ طَيِّبِ المساق
جَرَّعَني البَيْنُ كأسَ حُزْنٍ ... بَعْدَهُمُ مُرَّةَ المذاق
فلا أَنِيسًا[4] سوى ادّكاري ... ولا جليسًا[5] إلى اشتِياق
ففي غُدُوِّي بها اصْطباحي ... وفي رَواحي بها اغْتِباقي
يا شقَّة القلب، ليت شعري ... هل صحَّ[6] شَمْلك في اتِّساق؟
أو يقلع الدهر من عِتاب ... أو يُطْلق الشوق من وِثاق؟
طال عليَّ الظلام لمّا ... ضَنَّ مُحيَّاك بالتَّلاقي
فيكذب الليل في ارتحال ... ويَمْطُل الفَجْر بانْشِقاق
ضايَقَني الدَّهرُ فيك حتى ... في مَوْقف البَيْن والفراق

(١) كلمة «قلت» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها لمقتضى الكلام.
(٢) في الأصل: «يبدي»، وكذا لا يستقيم لا الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «سَمْعي»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «أنسَ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «جليسَ اشتياق»، وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «يصح شملٌ»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

فلم يَكُنْ فيه من سلام ... ولا كلام ولا اعتناق
قد عَجَز النطق عن شُجوني ... قد بَلغ الماءُ للنِّطاق
أقسمْتُ حقًّا بخير هاد ... سَرى إلى الله بالبُراق
لو خَيَّرَتْ في الوجود نَفْسي ... ما اخترْتُ منها[1] سوى التَّلاقي
إن بَطَشَ الدهر بي وأبْدى ... سجيَّة الغَدْر والنِّفاق
فكم هلالٍ رأيْتُ بَدْرًا ... أفْلَتَ من ظلْمة المحاق
يا مَنْ على فَضْله اعتمادي ... يا مَنْ بأسْبابه اعتِلاقي
إن لم تَجُد منك لي بِرُحْمَى ... ما ليَ في الخَلْق من خِلاق

تمّ بحمد الله

(١) في الأصل: «بها»، وكذا يختل الوزن والمعنى معًا.

فهارس الإحاطة

فهرس تراجم الأعلام

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الصاد

باب الطاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الياء

فهرس الكِنى والألقاب

باب التاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس الكتب والمؤلَّفات

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب الفاء

باب اللام

باب النون

باب الهاء

فهرس الأماكن والبِقاع

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس القوافي

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
تبقَى	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٤٨
منتقَى	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/٢٨٠
يرقَى	الطويل	ابن قطبة الدوسي	٧	٢/١٦٢
فتعالى	الخفيف	عبد الله بن سعيد السلماني	٣	٣/٢٩٧
أولَى	الطويل	ابن سالم	٥	٤/٢٥٩
الخزامَى	الرمل	ابن هذيل	١٦	٤/٣٣٧
الحمَى	الطويل	ابن طفيل	١٨	٢/٣٣٥
لمَى	البسيط	ابن المرابع	١٠	٣/٣٢١
مثنَى	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٤	٤/٤٥٢
الأدنى	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/٢٧٨
معنَى	الطويل	علي بن أحمد الغساني	٩	٤/١٥٥
أفنَى	الطويل	العبدري	٣	٢/٤١٩
تفنَى	الطويل	ابن حزم	٦	٤/٨٩
الجوَى	الطويل	ابن شبرين	٤	٢/١٥٤
والشكوَى	الطويل	المليكشي	٨	٢/٤٠٥
نوَى	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/٢٨٢
الهوَى	المتقارب	ابن المرابع	٥	٣/٣٢٣

قافية الهمزة

الهمزة الساكنة

وثناءْ	الطويل	ابن الحاج	٢	١/١٨١

الهمزة المفتوحة

أضاءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	١	٣/٣٨٢
فناءَه	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/٢٨٠
هاءَ	السريع	ابن المرحل	٢	٣/٢٤٢

الهمزة المضمومة

باءُ	الوافر	الإستجي الحميري	١	٢/٢١٢
أنباءُ	الطويل	ابن خميس	٥١	٢/٣٨٥
انتضاءُ	الوافر	القاضي عياض	٣	٤/١٩٠
جفاؤُه	الطويل	النفزي	٢	٣/٤٢
خفاءُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٨	٣/٩٥

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
شركاءُ	الطويل	المنتشاقري	١٣	٤/ ٣٢٩
العناءُ	الوافر	النفزي	١٢	١/ ١٩٥
مناؤُها	الكامل	ابن صفوان	١	١/ ٩٩
ونهاؤُه	الخفيف	أبو محمد ابن القبطرنة	٢	١/ ٣٠٠
ينشئُها	المنسرح	ابن سعيد	٢	٤/ ١٣٠
واطىءُ	الطويل	ابن الحداد	٢١	٢/ ٢٢٢

الهمزة المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
رداءِ	الكامل	ابن خاتمة	٦	١/ ١١٥
أعدائه	الكامل	ابن الحكيم اللخمي	٤	٢/ ٣٢٤
أعدائِها	الكامل	ابن الحاج البلفيقي	٤	٢/ ٩٦
بسوداءِ	الطويل	النفزي	٢	٣/ ٤٢
والضرّاءِ	الكامل	ـ	٢	٣/ ٣٨٥
الفقراءِ	الكامل	الورّاد	٣	٤/ ١٤٦
الجوزاءِ	الخفيف	أبو إسحٰق الإلبيري	١٦	٤/ ٦٣
استرضائِه	الكامل	ابن الصقر	٢	١/ ٧٠
الحفاءِ	المتقارب	ابن رضوان	٢	٣/ ٣٤٣
خفاءِ	مخلع البسيط	ابن الخطيب السلماني	٤	٤/ ٥١
الشرفاءِ	الكامل	ابن هانىء اللخمي	٣٤	٣/ ١١١
لصفائِه	الكامل	الرصافي البلنسي	٣	٢/ ٣٦٥
ذكائِه	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٧
ماءِ	الوافر	ابن طلحة	٢	١/ ١٠٦
بدمائِه	الطويل	ابن فرسان	٢	٣/ ٤٤٧
سماءِ	الكامل	صفوان بن إدريس	٢٥	٣/ ٢٦٧
ظلماءِ	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٣٥
أثنائِه	الكامل	الرصافي البلنسي	٢	٢/ ٣٦٤
العناءِ	الخفيف	ابن جزي	٢	٢/ ١٧١

قافية الباء

الباء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الكتابْ	السريع	ابن منظور القيسي	٤	٤/ ٦٨
عجبْ	الطويل	النفزي	٢	٣/ ٤١

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وجبْ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٤٨
صاحبْ	الوافر	ابن سالم	٢	٤/٢٧٦
لاحبْ	المتقارب	البرجي	٤	٢/١٩٥
هاربْ	المجتث	ابن فركون	٥	١/٥١
الغضبْ	المتقارب	أبو القاسم السهيلي	٢	٣/٣٦٥
الطلبْ	الرمل	أبو البركات ابن الحاج	٢	١/٦١
عجيبْ	السريع	صالح بن يزيد	٣	٣/٢٨٢
قريبْ	الخفيف	النفزي	٢	٣/٤٢
القشيبْ	المتقارب	ابن زمرك	٣	٢/٢٠٣
الرطيبْ	السريع	الشريشي	٧	٣/١٢٨
المغيبْ	السريع	ابن البراق	٥	٢/٣٤٤

الباء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وكآبَهْ	الرمل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٣٧
قبابا	الوافر	صفوان بن إدريس	٤٥	٣/٢٦٨
النجابَهْ	مخلع البسيط	عبد الله بن سعيد السلماني	٢	٣/٢٩٧
عابَهْ	الوافر	صالح بن يزيد	١	٣/٢٨٦
غابَها	الكامل	ابن عبد الواحد	٥	٣/١٦٧
ركابا	الكامل	ابن هانىء الأندلسي	٢	٢/١٨٧
صوابَهْ	مجزوء الرمل	المعتمد بن عباد	٣	٢/٦٤
عتبَى	مخلع البسيط	النفزي	٢	٣/٤٣
عجبا	البسيط	صالح بن يزيد	٢	٣/٢٨٠
وجبا	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٢٥
الحبَّا	الطويل	ابن الحكيم اللخمي	٨	٢/٣٢٣
مجدبا	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٢/٨٥
مقتربا	البسيط	الشراط	٣	٣/٣٣٦
طربا	البسيط	الشنتوفي	٢	٤/٣٤٦
انتسبا	البسيط	ابن البنا	٦	٤/١٤٣
عصبَهْ	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٣٣
قصبَهْ	الرمل	ابن قزمان	٢	٢/٣٥٠
تعبا	البسيط	—	١	٣/٣٨٢
تعبا	البسيط	إبراهيم بن سهل	١	١/٣٠٧

الباء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
بالذنوبِ	الخفيف	ابن أضحى	٤	٤/ ٦٦
بموهوبِ	البسيط	الطرطوشي	٢٦	٤/ ٣٦٥
عيوبِهِ	الطويل	ابن أبي المجد	٢	٣/ ٣٥٠
آيبِ	الطويل	النباهي	١	٤/ ٧٤
الحبيبِ	الخفيف	ـ	٢	٣/ ٢٨٧
دبيبِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٣
كثيبِ	الطويل	النفزي	٢	٣/ ٤٢
ونحيبي	الكامل	ابن خلدون	٥٢	٣/ ٣٨٧
تعذيبي	البسيط	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٥٢٩
خصيبِهِ	الطويل	أبو بكر بن أرقم	٢	٣/ ٣٥٠
كنصيبِهِ	الطويل	ابن الجياب	٢	٣/ ٣٥٠
بطيبِهِ	الطويل	ابن شبرين	٢	٣/ ٣٥٠
عيبي	السريع	ابن شبرين	٢	٢/ ١٥٦
برغيبِ	الطويل	ابن البربري	٥	٤/ ١٦٥
مغيّبِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٠
تأنيبِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	١٠١	٤/ ٤٠٠

قافية التاء

التاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
فازتْ	السريع	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٣٨٩، ٤٥٢
عرفتْ	المنسرح	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٢
صموتْ	المتقارب	ابن الخطيب السلماني	٨	٤/ ٥٥١
بيتْ	المتقارب	ابن الحاج	٢	١/ ١٨٢

التاء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
مسرّتَهْ	البسيط	الشنتوفي	٢	٤/ ٣٤٦
زَنّتَهْ	المتقارب	ابن جزي	١	٥٣
البيوتا	الوافر	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٠

التاء المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
ففائتُ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٦
شتاتُ	الطويل	ابن جزي	٣	٣/ ٣٠٤
أوقاتُ	الطويل	ـ	٢	٨

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
عالجا	الطويل	ابن الخبان	٣٠	٢/ ٢٣٥

الجيم المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
دارجُ	السريع	محمد بن مالك الطغنري	٦	٢/ ١٨٣
سجسجُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٥١٢

الجيم المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وحراجِ	الكامل	ابن خميس	٦٤	٢/ ٣٩٤
المزاجِ	الوافر	ابن طفيل	٣	٢/ ٣٣٦
الحلّاجِ	الكامل	ابن عياش	٢	٢/ ٣٣٩
وعلاجي	الكامل	ابن الجياب	٣١	٤/ ١٠٢
منهاجِ	الكامل	الشاط	٢	٤/ ٢١٨
تبرّجِ	الكامل	ابن العابد	٢	٢/ ١٨٥
معرّجِ	الطويل	ابن الجياب	٩	٤/ ١٠٢
وبنهجِهِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥١
الموجِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٧
البهيجِ	الوافر	ابن الفخار	٢	٣/ ٦٧

قافية الحاء

الحاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
النجاحْ	السريع	ابن الكماد	٢	٣/ ٤٥
الرياحْ	السريع	القاضي عياض	٢	٤/ ١٩١
وضحْ	المتقارب	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٥
يروحْ	السريع	ابن الخطيب السلماني	٢٣	٣/ ٩٧، ٤/ ٤٣٥

الحاء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وروائحا	الكامل	ابن الجياب	٥٦	٤/ ١٠٤
راحا	الكامل	النفزي	٩	٣/ ٤٠
إفصاحَه	الطويل	ابن الحاج	٢	١/ ١٨٢
جناحا	المتقارب	ابن خميس	٨٠	٢/ ٣٨٨
الضحَى	الكامل	ابن الحاج البلفيقي	١٩	٢/ ٩١
أضحَى	ـ	أبو بكر المخزومي	٣	١/ ٢٣٥
الصريحَهْ	الوافر	اليتيم	١٠	٣/ ٧٤
النصيحَهْ	الوافر	ابن عبد السلام	٢	٣/ ٧٤

الدال المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
والمعادِ	مخلع البسيط	ابن العسال	٢	٣/ ٣٥٣
واجتهادي	الخفيف	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣١
العهادِ	السريع	عبد المهمين بن محمد	١٣	٤/ ٨
وادِ	السريع	ابن الخطيب السلماني	٢	١/ ٣٠٦
بوادي	الوافر	حمدة بنت زياد	٦	١/ ٢٧٦
عوادي	الكامل	ابن عبد الصمد	٣	٢/ ٦٩
إيادِ	الكامل	الرصافي البلنسي	٤٩	٢/ ٣٦٠
مزبدِ	الكامل	عروة بن حزام	٣	٣/ ٣٨٥
كبدِ	البسيط	ابن خلصون	٥	٣/ ١٩٦
الكبدِ	البسيط	المكودي	١٦	٣/ ٩
زبرجدِ	الكامل	ابن الفخار	٣	٣/ ٦٧
زبرجدِ	الكامل	ابن فضيلة	٤	٢/ ٢٢٧
المجدِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٢٩
نجدِ	الطويل	ابن حزب الله	٣	٢/ ٢٥٢
نجدِ	الكامل	ابن شعيب الكرياني	١	١/ ١٣٥
الوجدِ	الكامل	ابن خلدون	٣٧	٣/ ٣٨٩
ووجدِي	الخفيف	ابن الحكيم اللخمي	٩	٢/ ٣٢١
يجدي	الطويل	ابن سالم	١٨	٤/ ٢٥٦
واحدِ	الطويل	اللوشي	٢١	٣/ ٢٣
وخدِها	الكامل	الفشتالي	١١	٢/ ١١٥
ردِّهِ	السريع	ابن عبد الملك	٢	٢/ ٣٧٥
الردِّ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٥	٢/ ٤١٧
واردِ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٩
والزَّردِ	الطويل	ابن أضحى الإلبيري	١٤	١/ ٤٨
الوردِ	الطويل	البلوي	٩	٢/ ٢٦٥
الوردِ	الطويل	ابن جابر	١٢	٢/ ٢١٧
وَردِها	السريع	ابن جزي	٢	٣/ ٣٠٣
يزدِ	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٢	١/ ٢٧، ٢٨
حاسدِ	الكامل	ابن هانىء اللخمي	٢	٣/ ١١١
والرشدِ	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٣١
مقصدِ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٨

قافية الراء

الراء الساكنة

الراء المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
إيثارُهُ	السريع	صالح بن يزيد	٣	٣/ ٢٨١
جارُ	البسيط	البلياني	٨	٢/ ٢٤٨
يجارُ	الكامل	عزوز	١٨	٤/ ١٤
تحارُ	الكامل	ابن سعيد الغساني	١٢	٤/ ٢٧٤
أسحارُ	البسيط	عبد الحق بن غالب	١٠	٣/ ٤١٣
دارُهُ	الكامل	ـ	٢	٤/ ٥١٩
تدارُ	الوافر	ابن المرابع	٦	٣/ ٣٢٢
عذارُهُ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٦
عذارُه	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	١/ ٢٥
عذارُه	الكامل	ابن شعيب الكرياني	٢	١/ ١٣٦
اعتذارُ	مخلع البسيط	صالح بن يزيد	٣	٣/ ٢٨٤
حرارُ	الكامل	أبو القاسم السهيلي	٥	٣/ ٣٦٦
أسرارُ	البسيط	ابن المحروق	٣	٤/ ١٧٢
الضرارُ	الوافر	ابن الحاج	١	١/ ١٨٨
اعورارُ	الوافر	أبو المخشي	١	٤/ ١٩٦
أفكارُهُ	الكامل	ابن عيسى الحميري	٣	٢/ ٢٥٥
وبهارُهُ	الكامل	القيجاطي	٢٧	٤/ ٨٢
أزهارُها	البسيط	ابن المرحل	٢	٣/ ٢٤٠
يدبرُ	السريع	صالح بن يزيد	٢	٣/ ٢٨٥
يصبرُ	الطويل	ابن جزي	٢	٣/ ٣٠٣
فيصبرُ	الكامل	ابن المرحل	٢	٣/ ٢٤١
والكبرُ	البسيط	ابن سارة	٥	٣/ ٣٣٤
ناثرُهُ	البسيط	البدوي	١٧	٣/ ٥٩
زاجرُ	الطويل	النباهي	٤	٤/ ٧٠
فَجْرُ	الطويل	أحمد بن عبد الملك بن سعيد	٤	١/ ٩١
ساحرُ	الطويل	ابن هذيل	١٤	٤/ ٣٣٨
والبحرُ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٨
ذخرُوا	البسيط	أبو الحسن ابن القبطرنة	٢	١/ ٣٠٠
صَدَرُ	البسيط	ابن الصيرفي	٥٢	٤/ ٣٤٩
مصدرُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٤	١/ ٢٩٣
غدرُوهُ	الخفيف	ابن شبرين	٣	١/ ٣١٥

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الآثارِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٤٤
جارِ	البسيط	الشاط	٢	٤/ ٢١٩
داري	المتقارب	ابن رشيق	٢	١/ ٢٦٦
بالدارِ	البسيط	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٤٣٢
مقدارِ	الطويل	ابن جزي	٣	١/ ٥٣
واعتذاري	الخفيف	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥١
الجزّارِ	الكامل	صالح بن يزيد	١٠	٣/ ٢٨١
مدرارِ	الكامل	ابن زمرك	٨	٢/ ٢٠١
المدرارِ	الكامل	ابن زمرك	١٥	٢/ ٢٠٠
الأزرارِ	الكامل	المعتمد بن عباد	٧	٢/ ٦٦
قرارِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٣٩	٤/ ١٨٤
قرارِ	الكامل	ابن مجبر	٥	٤/ ٣٦٣
مزارِهِ	الطويل	ابن الفرس	١٠	٣/ ٤١٨
مزارِي	الكامل	البلوي	٣٣	٢/ ٢٦٣
الاختصارِ	الوافر	ابن البنا	٣	٣/ ٢٠٤
والأوطارِ	الكامل	عزوز	١٠	٤/ ١١
عقارِ	الكامل	النفزي	٩	٣/ ٤٠
وقارِهِ	الكامل	الرصافي البلنسي	٢	٢/ ٣٦٥
بالوقارِ	الوافر	ابن الحكيم اللخمي	١٠	٢/ ٣٢٢
بالذكارِ	الكامل	المأمون	٤	١/ ٢٢٦
تذكارِه	الكامل	ابن الحكيم اللخمي	١٥	٢/ ٣٢٢
المضمارِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٣
الأعمارِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٦
نارِ	الطويل	ابن قطبة	٢	٢/ ١٦٠
النهارِ	الوافر	العبدري	٢	٢/ ٤١٩
الأنوارِ	الكامل	ابن صفوان	١	١/ ٩٩
اختيارِهِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٧
الديارِ	الوافر	الطويجن	١	١/ ١٧٣
الديارِ	الوافر	عبد الله بن سعيد السلماني	٢	٣/ ٢٩٧
الخبرِ	البسيط	المنتشاقري	٢	٤/ ٣٢٥
خبري	مجزوء الرجز	ابن مرزوق	١١٦	٣/ ٨٠

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
واليسرِ	ـ	محمد بن أحمد القيسي	٢	٢/ ٢٦٢
العُشَرِ	البسيط	أبو العلاء المعري	١	٣/ ٧١
والبصرِ	البسيط	ابن الرومية	٤	١/ ٨٧
والنصرِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٤
القطرِ	الطويل	ابن بيبش	٥	٣/ ١٧
نواظري	الطويل	يحيىٰ بن محمد التطيلي	١٠	٤/ ٣٥٨
النواظرِ	الطويل	ابن قطبة	٦	١/ ٣٠
نظري	المنسرح	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٨
الشعرِ	الطويل	ابن هذيل	٦	٣/ ٢٩٨
وَغِرِ	الطويل	محمد بن عبد الملك بن سعيد	٢	٣/ ١٦٢
الأعفرِ	الكامل	الطويجن	١	١/ ١٧٦
بمغفرِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٥٣١
والفقرِ	الطويل	ابن عباد النفزي	٢	٣/ ١٩٠
والبكرِ	البسيط	الورّاد	٢	٤/ ١٤٧
بالنكرِ	الطويل	ابن الحاج	٢	١/ ١٨٣
أمرِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣١
الأمرِ	الطويل	ابن خلصون	٩	٣/ ١٩٨
عامرِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٣٧٨
الخمرِ	الطويل	المكودي	٢	٣/ ٩
والخمرِ	الطويل	ابن راجح	٢٠	٢/ ٤١٦
القمرِ	البسيط	ابن الحكيم اللخمي	٢	٢/ ٣٢٤
الطاهرِ	الكامل	ابن حزب الله	٩	٢/ ٢٥٠
الدهرِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٨	١/ ٢٠١
الدهرِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢٥	٤/ ٢٩٢
الدهرِ	الطويل	ابن رشيق	٦	٤/ ٣٤٧
الدهرِ	الطويل	الششتري	٨	٤/ ١٧٤
قهرِهِ	السريع	صالح بن يزيد	٥	٣/ ٢٨٥
بِزَوْرِهِ	الوافر	ابن سارة	٣	٣/ ٣٣٥
وقسورِ	الطويل	ـ	٢	٤/ ١٨
والصورِ	البسيط	ابن عبدون	٧١	٤/ ٣٢
وقصورِها	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٨١

قافية الضاد

الضاد المفتوحة

الضاد المكسورة

قافية الطاء

الطاء المفتوحة

قافية الغين

الغين المضمومة

قافية الفاء

الفاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
		الفاء المكسورة		
الطوائفِ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٨٠
وإشرافِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣١
نطافِ	الكامل	ابن قزمان	٢	٢/ ٣٤٧
حتفِ	الطويل	فرج بن محمد	١	٤/ ٢٠٧
كطرْفِهِ	الطويل	ابن أبي مدين	٢	٢/ ٣٢٤
رشْفِه	الكامل	أبو الطاهر المازني	٤	٢/ ٣٧١
المنصفِ	الكامل	البلياني	١٧	٢/ ٢٤٨
شغفِ	البسيط	ابن عرفة	٢	١/ ١٤٢
بالجلفِ	الطويل	ابن العراقي	٥	٣/ ١٧١
بمخلفِها	المتدارك	ــ	٦	٤/ ٥١٩
والسَّلفِ	البسيط	ابن عطية المحاربي	٢٢	٣/ ٤٢٦
مرهفِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٢
بالخوفِ	الطويل	ابن الحاج البلفيقي	٢	٢/ ٩٣
خوفِهِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٠
المتصوّفِ	الكامل	ابن الجياب	١١	٣/ ١٧٩
أنوفِ	الخفيف	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٨
سيفِ	الطويل	ابن القصيرة	٤	٤/ ٢٠٧

قافية القاف

القاف الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الرفاقْ	مجزوء الكامل	ابن شعيب الكرياني	١٦	١/ ١٣٧
السبّقْ	الكامل	ــ	١	١/ ٢٠٩
فاتّسقْ	السريع	ابن عبدون	١	٤/ ١٧
غسقْ	السريع	صفوان بن إدريس	٤	٣/ ٢٧٣
الغسقْ	السريع	الزياني	١	٤/ ١٧
أفقْ	المتقارب	ابن ميمون	٣	٣/ ٦١
الفلقْ	السريع	ابن المرحل	١	٤/ ١٧
العقيقْ	السريع	ابن طلحة	٣	١/ ١٠٥

القاف المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
السوابقِ	الطويل	ـ	٢	٣/ ٣٦١
السوابقِ	الطويل	المتنبي	٢	١/ ١٥٤
تتقي	الكامل	ابن أبي العافية	١٦	١/ ٢٨٣
وانتقِ	الكامل	ابن جزي	٢	٢/ ١٧٠
الحقِ	الطويل	الإستجي الحميري	١	٢/ ٢١٢
الحقّ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٤	٢/ ١٦٣
أرقي	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٣٤
بارقِ	الكامل	يحيىٰ بن بقي	١٠	٤/ ٣٥٩
مشرقِ	الكامل	المليكشي	٢	٢/ ٤١٢
طرقِ	المنسرح	ابن أبي الخصال	١٠	٢/ ٢٧١
المورقِ	الكامل	ابن أبي العافية	٢	١/ ٢٨٤
لموفّقِ	الطويل	الورّاد	٤	٤/ ١٤٧
مراهقِ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٨
الطريقِ	المتقارب	ابن الحاج البلفيقي	٩	٢/ ٩٦
عريقِ	الطويل	التطيلي	٢	٤/ ٣٥٩
وعشيقِ	المجتث	أبو بكر بن سعيد	٢	٣/ ٢٦٣
بعقيقِهِ	الكامل	المنتشاقري	٦٤	٤/ ٣٢٥

قافية الكاف

الكاف الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
ومقتكْ	الخفيف	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٣
مقداركْ	السريع	محمد بن أحمد الحسني	٥	٢/ ١١١
بقدركْ	الوافر	ابن عبد الملك	٢	٢/ ٣٧٦
أمركْ	الوافر	ابن خاتمة	٢	١/ ١١٧
شمسكْ	السريع	ابن الحاج	٢	١/ ١٨٤
معكْ	الرمل	ابن مرج الكحل	٢	٢/ ٢٣٢
آفكْ	الطويل	ابن الجنان	٨٠	٤/ ٢٤١
المسالكْ	مجزوء الرمل	أبو زيد الفزاري	٣	٤/ ٢٣٢
الحلكْ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٠
الحلكْ	الكامل	ابن مرزوق	٤	٣/ ٧٧
بذلكْ	الخفيف	ابن رضوان	٣	٣/ ٣٤٣

قافية اللام

اللام الساكنة

اللام المفتوحة

اللام المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
لأجلِهِ	الخفيف	ابن الحاج البلفيقي	٢	٢/ ٩٤
مثلي	الطويل	ابن مهيب	١٩	٢/ ٢٩٣
بالأرجلِ	السريع	ابن سعيد	١	٤/ ١٣١
والوجلِ	البسيط	ابن الحكيم اللخمي	٤	٣/ ٣٥٩
ومرتحلِ	البسيط	ابن يست	٢٨	٣/ ٤٤٢
زحلِ	البسيط	ـ	١	٣/ ٢٠١
الأكحلِ	السريع	ابن أبي الأصبغ	١	٤/ ١٣١
للكحلِ	البسيط	ابن جهور	٣	٢/ ٢٣٣
للكحلِ	البسيط	ابن مرج الكحل	٣	٢/ ٢٣٣
خلاخله	الكامل	نزهون بنت القليعي	٢	٣/ ٢٦٣
النخلِ	الطويل	عبد الرحمٰن الداخل	٤	٣/ ٣٥٧
العذْلِ	الطويل	المليكشي	١	٢/ ٤١٢
فاعدلِ	الكامل	ابن عرفة	٤١	١/ ١٣٩
تعدلِ	الطويل	ابن رضوان	٤	٣/ ٣٤٣
الذلّ	الطويل	ابن مهيب	٢	٢/ ٢٩٣
مبتذلِ	البسيط	الرصافي البلنسي	١٠	٢/ ٣٦٤
غيرلي	الطويل	ابن جزي	٤	٣/ ٣٠٥
المنازلِ	الطويل	ابن قطبة	٢	١/ ٣١
أنزلِ	الكامل	ابن الحاج	٢	١/ ١٨٣
بسلِّهِ	الكامل	الشاط	٣	٤/ ٢١٩
تَسلِ	البسيط	ابن عطية المحاربي	٣٠	٣/ ٤٣٦
رسلِهِ	الطويل	النباهي	٥	٤/ ٧١
الرسلِ	البسيط	ابن شرف	٣	٣/ ١٦١
تنسلِ	الطويل	امرؤ القيس	١	١/ ٣٠٧
يسلِ	البسيط	صالح بن يزيد	٦	٣/ ٢٨١
فضلي	الطويل	ابن الأفطس	١٠	٤/ ٢٩
بفضلِهِ	الوافر	ابن عبد الملك	٢	٢/ ٣٧٦
بفضلِهِ	مجزوء الرمل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٨
الهاطلِ	المتقارب	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٧
علِ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٩
شغلِ	البسيط	ابن خاتمة	١٢	٢/ ٣٤٥

قافية الميم

الميم الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
مظلمْ	مجزوء الرمل	ابن الخطيب السلماني	٤	٤/ ٤٣١
علمْ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٤
العلمْ	المتقارب	ابن أضحى	٨	٤/ ٦٦
الأممْ	المتقارب	البدوي	٢	٣/ ٥٩
		الميم المفتوحة		
التثاما	الوافر	ابن خميس	٣٧	٢/ ٣٧٧
إفحاما	السريع	ابن سعيد الغساني	٥	٤/ ٢٧٤
وداما	الكامل	محمد بن قاسم الأنصاري	٤	٣/ ١٥٠
الخذامَى	الرمل	ابن هذيل	١٦	٤/ ٣٣٧
عظامَها	الطويل	ابن هذيل	٤	٤/ ٣٤٤
وزكاما	الطويل	ـ	٢	٣/ ٣٨٤
السلامَهْ	مجزوء الكامل	ابن مرزوق	٥	٣/ ٩٢
الهماما	مجزوء الرمل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٢
النياما	الخفيف	يوسف بن محمد اللوشي	٢	٤/ ٣٦٤
عاتمَهْ	مجزوء الخفيف	ـ	٢	١/ ١٢٢
ثمّهْ	الخفيف	ابن الخطيب السلماني	١٢	٤/ ٥٤٧
مترجما	الطويل	ابن الفرس	٢٧	٣/ ٤١٦
الحمَى	الطويل	ابن طفيل	١٨	٢/ ٣٣٥
ملتزما	المنسرح	ابن هيضم	٧	٤/ ١٤٠
تنسّما	الطويل	الإستجي الحميري	٢	٢/ ٢١٠
ضما	الطويل	ابن فرسان	٣	٣/ ٤٤٧
لَمَى	البسيط	ابن المرابع	١٠	٣/ ٣٢١
سلّما	الكامل	ابن قطبة الدوسي	١	٢/ ١٦٣
فسلّمَا	الطويل	ابن جودي	٥	٤/ ١٣٥
مسلما	السريع	الحجاري	٤	٣/ ٣٣٠
تعلما	الطويل	ابن زمرك	٢	٢/ ٢٠١
قلَمَهْ	الخفيف	ابن باق	١٤	٢/ ٢٢٥
بينهما	البسيط	ابن عميرة	٢	١/ ٦٤
مرومَا	الكامل	ابن أبي العافية	١٩	١/ ٢٨٢
نسيما	مخلع البسيط	ابن الفرس	١٣	٣/ ٤١٨
الذميمَهْ	الخفيف	ابن الحاج البلفيقي	٣	٢/ ٩٤

الميم المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
عائمُهُ	السريع	ابن عسكر	٢	٢/ ١٠٥
دعائمُهُ	الطويل	ابن جزي	٤٥	٤/ ١٢٦
مدامُ	الوافر	ابن مرج الكحل	٤	٢/ ٢٣١
حرامُ	الكامل	–	١	٢/ ١٣٨
حرامُ	المتقارب	–	١	١/ ١٢٦
ضرامُه	الكامل	ابن عيسى الحميري	٥	٢/ ٢٥٣
الغرامُ	الوافر	صالح بن يزيد	٤٥	٣/ ٢٧٦
يرامُ	الوافر	ابن زمرك	٣	٢/ ٢٠٢
اعتصامُ	مخلع البسيط	ابن عبد الملك	٤	٢/ ٣٧٦
سقامُ	المتقارب	أبو القاسم السهيلي	٣	٣/ ٣٦٦
مقامُ	الوافر	ابن الشديّد	٣٣	٢/ ٢٦٧
المقامُ	الوافر	النباهي	٣	٤/ ٧٤
غلامُ	الوافر	الإستجي الحميري	١	٢/ ٢١٤
غلامُ	الوافر	ابن عبدون	١١	٤/ ٣٠٥
الكلامُ	الوافر	ابن جزي	٢	٣/ ٣٠٣
اهتمامُ	الوافر	ابن جابر	٣٥	٢/ ٢١٨
حمامُ	الكامل	أبو تمام	١	٢/ ١٧٩
منامُ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٥٠	٤/ ٢٩٣
منامُ	الكامل	ابن الصباغ العقيلي	٣	٤/ ٩٩
تُختَمُ	الطويل	ابن شلطبور	١٩	٢/ ٢٤٣
تترجمُ	الطويل	الورّاد	٥٣	٣/ ١٨٣
الأنجمُ	الكامل	الجراوي	٤	٢/ ٣٣٣
تترحّمُ	الطويل	ابن الفرس	٤	٣/ ٤١٩
يرحمُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٦
قدمُ	–	الإستجي الحميري	١	٢/ ٢١١
المكارمُ	الطويل	العبدري	٤	٢/ ٤١٨
تتصرّمُ	الكامل	ابن البراق	٤	٢/ ٣٤٤
أكرمُ	الكامل	المعتمد بن عباد	٧	٢/ ٦٥
العرمرمُ	الطويل	المتنبي	١	٤/ ٣٠٤
فأكرمُ	الطويل	ابن زمرك	٢٠	٢/ ١٩٨

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وينعمُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٥١
هواكُمُ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/٤٥٢
ودّكمُ	البسيط	الشنتوفي	٢	٤/٣٤٦
أحلمُ	الطويل	ابن عسكر	٣	٢/١٠٥
وسلّمُوا	الطويل	ابن سعيد الغساني	٢	٤/٢٧٤
يسلمُ	الكامل	–	٥	٢/٦٥
وعلمُ	الوافر	ابن طلحة	٣	١/١٠٧
الهممُ	الرمل	المقري (أبو عبد الله)	٥	٢/١٣٣
ويمّمُوا	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/٢٨٠
مراهمُ	الطويل	النفزي	٢	٣/٤٣
يبهمُ	السريع	أبو عمرو الزاهد	٣	٣/٤٦
منفهمُ	البسيط	صالح بن يزيد	٢	٣/٢٨٢
لفضلهمُ	البسيط	ابن الحاج البلفيقي	٨	٢/٩٧
مكتومُ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	١٣	٤/٤٢٤
تحومُ	الطويل	ابن صفوان	١	١/٩٩
مرحومُ	الخفيف	النفزي	٢	٣/٤٢
ترومُ	الكامل	–	٢	١/٢٥٢
يرومُ	الكامل	ابن صفوان	١	١/٩٩
كلومُ	الطويل	ابن مقاتل	٢	٣/١٧٣
الغيومُ	مخلع البسيط	الورسيدي	١٨	٤/٢٢٣
وخيّمُوا	الطويل	ابن البربري	١٩	٤/١٦٤
وتديمُ	الكامل	ابن الباذش	٢	٤/٧٨
مديمُ	الطويل	محمد بن عبد الله ابن الحاج البضيعة	٦	٢/٣٠٩
والتكريمُ	الكامل	الرصافي	١	٣/١٦٢
نسيمُهُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٣٣	٤/٤٥٨
سقيمُ	الطويل	ابن مهيب	٣	٢/٢٩٤
مقيمُ	الوافر	ابن حزم	٢	٤/٩١
كليمُ	الطويل	ابن مقاتل	٥	٢/٢٦٢
صميمُ	الوافر	ابن بيبش	٣٢	٣/١٨
إبراهيمُ	الكامل	–	١	٢/٢١٥
إبراهيمُ	الكامل	ابن كسرى	١	١/٢٦٣

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة

الميم المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الغمائمِ	الطويل	أبو القاسم الحسني	١	٣/ ١١٦
الغمائمِ	الطويل	المنتشاقري	٢	٤/ ٣٣٠
المدامِ	الرمل	ابن قطبة	٢	٢/ ١٦٠
بسطامِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٤٢
إنعامِ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٢٧
الإسلامِ	الكامل	ابن سعيد	٥	٤/ ١٣٠
وسلامِ	الكامل	—	١٢	٣/ ٢٦١
التمامِ	الوافر	الورّاد	٣	٤/ ١٤٦
يتتمي	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٤	٤/ ٤٤١
للترحّمِ	الطويل	صالح بن يزيد	٢	٣/ ٢٨٧
الدمِ	الطويل	ابن الحاج	١	١/ ٢٩
المتقادمِ	الطويل	موسى بن يوسف (أبو حمّو)	٥٧	٣/ ٢١٧
النادمِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٠
القدمِ	البسيط	ابن قزمان	٧	٢/ ٣٤٨
والصوارمِ	الطويل	ابن الأبار	١٠١	٤/ ٢٦٢
الكرمِ	البسيط	—	٢	٢/ ٢١٣
كالمواسمِ	الطويل	الحجاري	٣	٣/ ٣٣٠
رسْمِهِ	الخفيف	—	٢	٣/ ٤٠٧
وهاشمِ	الطويل	أبو العلاء المعري	١	٢/ ١٤٣
المنعّمِ	الطويل	النفزي	٥	٣/ ٣٠
وتحكّمي	الطويل	ابن الجياب	٢٧	١/ ٢١٣
والألمِ	البسيط	ابن شلطبور	٣	٢/ ٢٤٤
سلِّمِ	المتقارب	ابن أبي العافية	٢	١/ ٢٨٥
والسَّلمِ	البسيط	ابن المرحل	١٦	٣/ ٢٤٠
الظُّلمِ	البسيط	عبد الحق بن غالب	٣	٣/ ٤١٣
ظُلمِهِ	السريع	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤١
علمِ	البسيط	ابن سبعين	٤	٤/ ٢٤
العلمِ	البسيط	—	١٣	٢/ ٥٦
قلمي	البسيط	حفصة بنت الحاج	٢	١/ ٢٧٧
والقلمِ	البسيط	ابن عطية المحاربي	١٤	٣/ ٤٣٨

قافية النون

النون الساكنة

النون المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الأدنَى	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٨
عدنا	الطويل	الششتري	٦٩	٤/ ١٧٤
السنا	مجزوء الكامل	الجراوي	٣	٢/ ٣٣٣
وحسنا	الوافر	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٨
معنَى	الطويل	علي بن أحمد الغساني	٩	٤/ ١٥٥
غنا	المتقارب	الباهلي	٦	٣/ ٤٢٥
أفنَى	الطويل	العبدري	٣	٢/ ٤١٩
تفنَى	الطويل	ابن حزم	٦	٤/ ٨٩
لنا	الكامل	ابن قطبة	٤	٢/ ١٦٠
رقّطونا	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٧
الجفونا	الوافر	ابن المرحل	٢٠	٣/ ٢٣٩
العيونا	الوافر	صالح بن يزيد	٢	٣/ ٢٨٣
أينا	المجتث	محمد بن قاسم	٥	٢/ ٣٦٦
تصبحينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١	٩/ ١
سبعينا	السريع	ابن المرحل	٢	٣/ ٢٤٢
تلاقينا	البسيط	ابن زيدون	١	٢/ ٢٥٦
علينا	مخلع البسيط	ابن الأفطس	٢	٤/ ٣٠
الياسمينا	الخفيف	الإستجي الحميري	٢	٢/ ٢٠٩

النون المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
بانُوا	الكامل	ابن صفوان	٣٧	١/ ٩٤
أشجانُهُ	الكامل	ابن هيضم	٥	٤/ ١٤١
وريحانُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٣
دخانُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	١	٤/ ٥٢٨
هجرانُهُ	السريع	ابن جزي	٨	٢/ ١٧٠
الخفقانُ	الطويل	ابن عطية القضاعي	١	١/ ١٣١
الحرمانُ	الكامل	ابن سارة	٢	٣/ ٣٣٤
فعدنانُ	البسيط	ـ	١	٣/ ٢٠١
إخوانُ	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٨٠
العيانُ	المتقارب	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٢٩
باطنُ	الطويل	الورّاد	٢	٤/ ١٤٦
شؤونُ	الطويل	ابن صفوان	٣٧	١/ ٩٦

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
جونُ	الطويل	ابن الصباغ العقيلي	١٥	٤/ ٩٨
شجونُ	الطويل	ابن شبرين	١٣	٢/ ١٥٧
المجونُ	الوافر	ابن طلحة	٦	١/ ١٠٧
تكونُ	الخفيف	أبو محمد القرطبي	٣	٣/ ٣١٢
ركونُ	الطويل	ابن كسرى	٣	١/ ٢٦٤
وسكونُ	الطويل	ابن سالم	٢	٤/ ٢٥٩
سحنونُ	البسيط	المقري (أبو عبد الله)	١	٢/ ١٣٤
عيونُ	الطويل	العبدري	٨	٢/ ٤٢٠
العيونُ	الوافر	ابن الرومية	١	١/ ٨٨
مبينُ	الطويل	ابن سالم	١٢	٤/ ٢٥٨
وشَيْنُ	المجتث	ابن أبي العافية	٤	١/ ٢٨٤
فتعينُهُ	الكامل	ابن سودة	٣٧	٣/ ١٢٩
ظعينُ	الطويل	النباهي	٣٦	٤/ ٧٢
ويمينُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٠
رهينُ	الوافر	ابن حوط الله	٢	٣/ ٣١٨

النون المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
أبانِ	مخلع البسيط	ابن الخطيب السلماني	٧	٤/ ٥٢٩
بلبانِها	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	١	٤/ ٥٢٤
هتانِ	البسيط	الورّاد	٣	٤/ ١٤٦
ثانِ	مخلع البسيط	ـ	٢	٣/ ١٧
خانِهِ	الرمل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٣
دانِ	البسيط	أبو بكر المخزومي	٤	١/ ٢٣٢
التداني	مخلع البسيط	ابن زمرك	٦	٢/ ٢٠٤
الفدانِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٩
هداني	الطويل	أبو القاسم السهيلي	٨	٣/ ٣٦٥
والآذانِ	الخفيف	ابن الحاج البلفيقي	٢	٢/ ٩٣
هجراني	البسيط	الحكم الربضي	٤	١/ ٢٧٠
الميزانِ	الخفيف	ابن المرحل	٣	٣/ ٢٤١
لإحسانِ	ـ	ابن المرحل	٢	٣/ ١٧٧
شانِ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٤
شانِ	الكامل	ابن رضوان	٤	٣/ ٣٤٣

قافية الهاء

الهاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
أمّ لَهْ	المتقارب	ابن جبير	٢	٢/ ١٥٠
		الهاء المفتوحة		
رباها	الكامل	عبد الله بن سعيد السلماني	٤	٣/ ٢٩٧
فتاها	الخفيف	ـ	٢	٢/ ١٤١
قراها	الكامل	البدوي	٢	٣/ ٥٩
أعلاها	الطويل	ابن أبي الخصال	٢	٢/ ٢٧٨
نواها	الطويل	العطار	١٢	٣/ ١٤٢
قضاياها	الطويل	العبدري	١٤	٢/ ٤١٩
رياهَا	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٥٢١
ما لها	المتقارب	صالح بن يزيد	٢	٣/ ٢٨٥
وأولها	البسيط	الشنتوفي	٢	٤/ ٣٤٦
باريها	البسيط	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٥
يجاريها	البسيط	النفزي	٥	١/ ١٩٥
أرضيها	البسيط	ابن شبرين	٢	٢/ ١٥٦
تليها	الخفيف	ابن عميرة	٣	١/ ٦٤، ٢/ ٨٥
يجنيها	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٥٤
		الهاء المضمومة		
تراهُ	الكامل	ـ	٢	٢/ ٦١
جلساهُ	المجتث	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٣
وتخشاهُ	الطويل	ـ	٢	٢/ ٢٠
وأغلاهُ	السريع	ابن شعيب الكرياني	٢	١/ ١٣٦
أولاهُ	الوافر	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٣
مغناهُ	الطويل	الإستجي الحميري	١٣	٢/ ٢٠٨
وعيناهُ	المنسرح	ابن قزمان	٤	٢/ ٣٤٩
مثواهُ	الكامل	ابن أبي الخصال	٢٠	٣/ ٤٠٢
تقواهُ	الطويل	ابن الصائغ	٣١	٢/ ٣٠٧
يهواهُ	السريع	ابن جزي	٢	٢/ ١٧١
محياهُ	الطويل	ـ	٢	٢/ ١٤١
محياهُ	الطويل	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٦، ٤٤٠
لقياهُ	الكامل	ابن الخطيب السلماني	٣	٤/ ٤٥٥
لَهُ	السريع	البدوي	٢	٣/ ٥٨

قافية الواو

الواو المفتوحة

قافية الياء

الياء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
عنايَهْ	الكامل	ـ	٢	٣/ ٣٧٣
نابيَهْ	الكامل	ابن مهيب	٢	٢/ ٢٩٤
المحيَّا	الخفيف	ابن الحكيم اللخمي	٤	٢/ ١٧٣
يحيا	الطويل	الإستجي الحميري	١٣	٢/ ٢٠٩
يحيا	الطويل	الشراط	٥	٣/ ٣٣٦
الأعاديا	الطويل	ابن الحاج البلفيقي	٢	٢/ ٩٩
الأعاديا	الطويل	النفزي	٢	٣/ ٤٣
عاريا	الطويل	أبو بكر المخزومي	٢	١/ ٢٣٣
جازيا	الطويل	المتنبي	١	٤/ ٥١٨
خطيَّهْ	المجتث	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٤٣
راعيا	الطويل	ابن الحكيم	١	٤/ ١٢٨
باليا	الطويل	ابن زمرك	١٤	٢/ ١٩٩
الخاليَهْ	السريع	ابن غفرون	٢	٤/ ١٦٣
جليَّهْ	مخلع البسيط	ابن ميمون	٢	٣/ ٦٢
داهيَهْ	الطويل	ـ	٢	٣/ ٣٨٤
الزاويَهْ	السريع	ابن الخطيب السلماني	٢	٤/ ٤٣٦

الياء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
حيَّهْ	الطويل	ابن باق	٥	٢/ ٢٢٦
وموشيِّ	البسيط	ابن خاتمة	٢	١/ ١١٦

فهرس الأرجاز

قافية التاء

التاء الساكنة

التاء المفتوحة

التاء المضمومة

التاء المكسورة

قافية الراء

الراء الساكنة

قافية الزاي

الزاي المفتوحة

قافية السين

السين المفتوحة

السين المضمومة

الرجز	الراجز	الجزء والصفحة
	السين المكسورة	
لدولة المسترشد العباسي	ابن الخطيب السلماني	٢٢٨/١
ووافقت أيامه في الناسِ	ابن الخطيب السلماني	٢٢٨/١
فأصبحت فريسة المفترسِ	ابن الخطيب السلماني	٣٥٨/٣
لم يأل فيها أن دعا لنفسِه	ابن الخطيب السلماني	٢٢٨/١
وجلّت الفتنة في أندلسِ	ابن الخطيب السلماني	٣٥٨/٣
وكان في الحزم فريد جنسِه	ابن الخطيب السلماني	٢٢٨/١
وضج بالتسبيح والتقديسِ	عزوز	٣١٠/٤
حتى يتم الحزب في التغليسِ	عزوز	٣١٠/٤

قافية الشين

الرجز	الراجز	الجزء والصفحة
	الشين المفتوحة	
وسار في الليل إلى وادي الأشَى	ابن الخطيب السلماني	٢١٤/١
والملك لله يعزّ من يشا	ابن الخطيب السلماني	٢١٤/١

قافية الضاد

الرجز	الراجز	الجزء والصفحة
	الضاد الساكنة	
مستوحشًا كالليث أقعى وربضْ	ابن الخطيب السلماني	٢٧١/١
واستشعر الثورة فيها وانقبضْ	ابن الخطيب السلماني	٢٧١/١
	الضاد المفتوحة	
فلاح نور السعد فيها وأضا	ابن الخطيب السلماني	٢٥٧/٣
تصير الملك لعثمان الرضا	ابن الخطيب السلماني	٢٥٧/٣
حتى إذا الملك سليمان قضَى	ابن الخطيب السلماني	٢٥٧/٣
ونسي العهد الذي كان مضَى	ابن الخطيب السلماني	٢٥٧/٣
قام ابنه يوسف فيها عوّضَهْ	ابن الخطيب السلماني	٣٠٩/٤، ٣١٢
حتى إذا الله إليه قيّضَهْ	ابن الخطيب السلماني	٣٠٩/٤، ٣١٢
	الضاد المكسورة	
فأفحش الوقعة في أهل الربضِ	ابن الخطيب السلماني	٢٧١/١
حتى إذا فرصته لاحت تفضِ	ابن الخطيب السلماني	٢٧١/١

قافية اللام

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المفتوحة

فهرس المحتويات

حرف الغين من الأعيان

حرف الفاء الأعيان والكبراء

حرف السين

حرف الهاء من الملوك والأمراء

حرف الياء الملوك والأمراء